مجلة الأزهر

٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩١

المجلد الثامن والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٦هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

حضارة التعليم في هذا الدين القيم

الحديث عن « الحضارة » يتناول قطاعاً غير هذا الذى يتناوله « التاريخ » . ذلك أن التاريخ يعنى بحركة الحوادث ، وأسبابها ، ونتائجها لدى كل أمة ، بينما تُعْنَى الحضارة بمبلغ التقدم والرقى فى حياة الشعوب . لذلك تتناول بحوثُها - باستمرار - جوانب : الدين ، والعمران والتعليم والفن والأدب والقانون وما شابه ذلك من جوانب تضع بصمات ثابتة ، على مدارج نهوض أمة أو تخلفها . ومن هنا يتبع التاريخ الحضارة كجزء منها .

وإذا كان موضوعنا هنا يتناول التعليم الذى اعتبر خطوة أولى من لوازم هذا الدين تمثلت فى أول آية نزلت من كتاب الله - تعالى - وأوحِيتْ إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال ربنا

ـ جل شأنه : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ فإن محو الأمية كان خطوة أولى فى السنة الأولى من هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان انتصار المسلمين علميا ـ أيضاً ـ فى الدرجة الأولى ، إذ تولى أسْرَى بدر تعليم أبناء المسلمين بالمدينة المنورة ، ولعلنا نعلم النتائج الباهرة لهذه الخطوة المجدية حين نقرأ أن مكة عند نشأة الرسالة المحمدية لم يكن بها إلا سبعة عشر رجلاً كاتباً قارئاً ليس غير ، بينما كانت الأمية تموج ضاربة أطنابها بأركان الجزيرة .

توالت الحركة التعليمية ، وبرزت آداب التعليم ، وتكونت ، ثم التزمت ، وحُقَّ للمستشرق « روزنتال » أن يمجدها ويشيد بها فى كتابه : « مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى »[1] .

من أهم الجوانب العلمية بل فى مقدمتها « المعارضة » ويعنى المسلمون بها « مقابلة المادة العلمية على مصدرها » للتأكد من دقة المحصول العلمى من إنسان لآخر .

كانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل على يد سيدنا جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ روى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ فى باب « ذكر الملائكة » من كتاب « بدء الخلق » يذكر عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ لقاء جبريل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » وروى فى كتاب « فضائل القرآن » عن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت :

أسرّ إلىّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلى » وكذا روى معناه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ـ بشأن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام : كان يعرض على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه »[2] .

وأصبحت « المعارضة » لازمة من لوازم التعليم فى الإسلام ، بها تتحقق المادة العلمية وتثبت صحتها بيقين ، وصارت متعينة وإلا هبط مستوى المادة العلمية ولم تحظ بالقبول ، ونظر إليها العلماء نظرة .. لايأمنون فيها السلامة من التحرييف والتصحيف .

ويستمسك علماؤنا الأجلاء ـ فى هذا الباب بـ (حوار) داربين عروة بن الزبير بن العوام وولده هشام بن عروة ، وقد كتب الأخير كتاباً ، فقال له أبوه : كتبت ..؟ قال : نعم ..!

قال : عرضت كتابك (أى على أصل صحيح) ..؟ قال هشام : لا ! قال عروة : لم تكتب .

ويذهب الإمام الشافعى ، ويحيى بن كثير معاً إلى القول :

---

(١) طبعت هذا الكتاب القيم دار الثقافة ــ بيروت ــ ١٩٦١

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب ــ فضائل القرآن ــ باب كان جبريل يعرض القرآن الكريم على النبى ﷺ .

« بأن من كتب ، ولم يعارض ـ أى يقابل على أستاذ أو أصل صحيح ـ كان كمن دخل الخلاء و لم يستنج » .

وإنما كانت المعارضة لتصحيح المادة وضبط الشكل فيما ينبغى أن يشكل ، ونقط ما ينبغى نقطه وتخليص بعض الكلمات التى يمكن أن تلتبس بغيرها تحقيقاً لها .. من هنا كتبوا ـ مثلاً ـ يقولون ـ عن كلمةٍ ما : بضم أولها وكسر ثانيها ... إلخ .

وحظيت هذه الخطوة الأولى ـ فى التعليم الإسلامى بتقدير الأوساط العلمية مجتمعة ، وبخاصة حين اطلع الغرب على مُؤَلَّفين نادرين فى منهج التعليم والبحث العلمى للمسلمين هما كتاباً : « المعيد فى أدب المفيد والمستفيد » للعلامة عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى المتوفى بدمشق عام (٩٨١) هـ واحد وثمانين وتسعمائة هجرية ، وكتاب « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » الذى ألفه ابن جماعة عام ثلاثة وسبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة .

كان لهذين المؤلفين دوى هائل فى تلك الأوساط العلمية حتى قال فرانتز روزنتال ـ ص ١٢ من كتابه سالف الذكر : « إنه لم يكن عند العلماء الغربيين سوى عدد محدود من الأفكار » بينما قال مرجليوث حاثاً تلامذة الغرب على الاقتداء بما فى الكتابين : « إنه لا مجال للشك فى قيمة هذين المؤلفين لمن ينشد الدقة والأمانة » روزنتال ص ٢٩ .

هدانا الله سواء السبيل

د. على أحمد الخطيب

كلمة الإمام الأكبر

فى الهجـرة فقـة وقيم ومثل

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر الشـيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

نستهل بهذا اليوم الأول من المحرم عاما جديدا فى تاريخ الإسلام حيث اعتبر عام الهجرة سمة على قيام الدولة والأمة ، ولم تكن هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى المدينة حدثا من الأحداث العابرة التى تطوى فى سطور الصحف ، أو تطمر فى غمار الأحداث ولكنها أكبر وأجل وأعظم من كل حادثة أو حدث لأنها تمثل تحولا بالدعوة وتوسعا فى مجالاتها ودعما لمقوماتها ، وحركة وحياة انبعثت تذكى الروح المعنوية لجماهير المسلمين المقيمين فى المدينة ، والذين كانوا يترقبون بزوغ نور الإسلام على يثرب بقدوم رسول الله ﷺ إليها واتخاذها مقرا للدعوة الإسلامية .

كانت الهجرة بداية انطلاق إلى آفاق تتسع فيها الدعوة وتسعى وتنتشر وتعم الجزيرة العربية وما حولها ، ولتصبح المدينة قاعدة الدولة والدعوة .

فى الهجرة برزت أخلاق ومبادىء ، كما كان فيها أمور خارقة لما اعتاده الناس . فقد أيد الله رسوله ﷺ فى هجرته بجنود لم يبصرهم الناس كما قال فى كتابه فى سورة التوبة .

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا .. ﴾ ـ آية ٤٠ .

وكان فى الهجرة تلك الصداقة التى تخلت عن المال والأهل والولد فى سبيل الصحبة ، تلك هى صداقة وصحبة « أبى بكر » ـ رضى الله عنه ـ وفداؤه لرسول الله ﷺ وترتيب وتدبير أمر الرحلة المباركة دعما لها من أولاد أبى بكر وأتباعه .

كانت كل تحركات « أبي بكر » حال رحلة الهجرة تشير إلى حرصه على سلامة صاحبه وبلوغه مقصده ، فهو يرتاد الطريق ويمشي مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ، ومن ثم فقد برزت فى الهجرة قيم الإيمان العميق بمبادىء الحق والعدل والخير والوفاء النادر .

وذلك كله سمو فى الخلق الإنسانى وبعث للثقة فى قدرة الإنسان متى استقام على طريق الله على النهوض بالأعباء التى أناطها الله به حين استُخْلِف فى الأرض ، وهى إقامة الدين الحق الذى يصون الأمن ويشيع الإخاء والمودة .

فقه التجربة برز ظاهرا واضحا فى تحديد المهام لكل المعاونين فى نجاح الهجرة ، ومن فقه الهجرة جواز الاستعانة بغير المسلم فيما يحسنه مما يلزم للمسلمين ، فقد اختير دليل الرحلة خبيرا يعرف دروب الصحراء . وكان غير مسلم ..

بهذه الهجرة نشأت الدولة ، بعد أن أقيم المسجد وعقدت المعاهدات وتوالت التشريعات ، وتتالى النصر والانتصارات حتى دخلت الجزيرة كلها فى دين الله ، صار الإسلام دعوة ، ودولة ، ولحق الرسول ﷺ برحاب الله – تعالى – راضيا مرضيا .

وكان لابد لهذه الدولة من سمة وتاريخ ، ولم يكن للمسلمين ثمت قرار باتخاذ حدث معين يعتبر تأريخا للدولة .

فقد نقلت كتب التاريخ ، أن التأريخ جرى على عهد رسول الله ﷺ ببدء بعثته بهذا الدين .
حتى كانت إمارة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقد كتب أبو موسى الأشعرى إليه : أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندرى على أيها نعمل .

وروى ميمون بن مهران قال : رفع إلى أمير المؤمنين عمر صك محله « شعبان » فقال أى الشعابين ؟ أ هو الذى مضى أو الذى نحن فيه أم الآتى ؟

وقال قرة بن خالد : كان عند عمر عامل جاء من اليمين فقال لعمر : أما تؤرخون ؟
إنى رأيت باليمن شيئا يسمونه التأريخ ، يكتبون من عام كذا أو شهر كذا ، فقال عمر : إن هذا لحسن فأرجوا .

وقد كانت هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فى ربيع الأول ، فقال : بأى شهر نبدأ فنصيره أول السنة ؟

فقال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ : أرخوا من المحرم أول السنة وهو شهر حرام ، وأول الشهور فى العدة وهو منصرف الناس من الحج ، فلما عزموا على تأسيس التأريخ الهجرى حسبما اقترح عثمان ، رجعوا ثمانية وستين يوما ، وجعلوا التأريخ من أول محرم هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم فى المحرم إلى آخر عمر النبى ﷺ ، فكان عشر سنين وشهرين ، وأما إذا حسب عمره فى شهر الهجرة الحقيقية (ربيع الأول) . فيكون قد عاش فى المدينة تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما .

وأقر عمر هذا الرأى وبهذا يعتبر : هو واضع التأريخ الهجرى وموصلة ولم يكن هذا التأريخ على عهد رسول الله ﷺ .

وهذا يدلنا على أن أصحاب الرسول ﷺ قدروا أثر الهجرة وما تلاها من نصر الإسلام . وانتشار ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، فكانت بحق دنيا ، وحياة ، ودولة ، ولم تكن حدثا من الأحداث ، وإنما كانت نصرا من الله :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة التوبة

فخذوا أيها المسلمون من الهجرة والتأريخ بها ؛ فقها وقيما ، ومثلا عليا فى فضل الصحبة والإخاء ، والفداء من الصغار والكبار ، خذوا منها فكر الإسلام وثقافته ولا تعدلوا عنه فتضلوا وتهلكوا ، واتخذوا القرآن إماما ، والسنة شرعة ومنهاجا ، فهما الطريق المستقيم .

ما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا ما نهى الله عنه من الخلافات والفرقة والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق والتهجم على الإسلام والتخلى عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى .

هذا من عهد الإيمان : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الفتح : ١٠

إن الإسلام يفرض على المسلمين جميعا حكاما ومحكومين أن يتناصحوا ، وأن يرتفعوا فوق الشقاق والخلافات ، وأن يعفوا ويصفحوا عما كان ، أملا فيما يكون من وحدة الصف ، وجمع الكلمة دفاعا عن الأمة التى استهان بها غيرها ، وتخطفها الناس من حولها .

إن المتغيرات التى حدثت وتحدث فى العالم المعاصر تنبىء عن أحداث جسام تقتضى الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب قاطبة وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانخذلت الصداقة واختفى الصدق وانكشف المستور الذى يراد بهذه الأمة ، فهذا الصمت من أقوياء العالم على الأحداث التى ألمت بالمسلمين فى أوربا من قتل وتشريد ، وفى كل مكان يتنادى هؤلاء جهارا نهارا اغتصابا لما بقى من أرض ، وامتهانا لأمة عريقة الحضارة ، قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وعلمت الجاهل ، وهدت الضال .

فلتقف الأمة وقفة صامدة صابرة فى وجه هذا العدوان الآثم على أرض المسلمين حتى يرتد المعتدون على أعقابهم خائبين : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ - الشعراء .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولتقف الأمة المسلمة ضد كل التحركات الغادرة التى لا تعمل إلا على انتقاض حقوق المسلمين واشعال الفتن فيما بينهم وصرفهم عن دينهم وعن وحدتهم .

وباسم الأزهر أدعو علماء المسلمين فى كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة ، وأن يفصحوا عن كلمة الله التى حملهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين ويكونوا جميعا على قلب رجل واحد .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام ..
إن ربى لسميع الدعاء ، وإنه لغفور رحيم .

فكونوا أيها الناس على قدر هذا الحدث ، حدث الهجرة النبوية الشريفة التى تمر بنا ذكراها ، واستعدوا استعدادا واعدادا ووحدة واتحادا وفقها ونظاما .

أهنىء الأمة الإسلامية بالعام الجديد ، وأهنىء شعب مصر ، وليكن تذكرة نأخذ منها دروسا نصلح بها حالنا ، وعلاجا لما شاع فى بلادنا من سوء الفكر ، وتعصمنا بالإسلام عقيدة وشريعة .
﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ - سورة محمد آية ٧

كلمـة فى القضايا الجاريـة

لابد من وقفة مع الأصدقاء

بقلم صاحب الفضيلة :
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تعالوا بنا نفكر مليًّا فيما يجرى الان فى عالمنا ، لنعرف من نصادق ومن نحييه إعجابا وإكبارا ونشد على يديه إصرارا على صداقته ، وتحية لعدله ووفائه ، وترويه فى الحكم احتراما لتاريخه وقيادته الإنسانية إلى مجالات الحرية التى ارتادها ، فازدهرت ، وأينعت على الأرض فلسفات وعلوما أشاعت الفكر وأيقظت المشاعر فاستيقظ العقل الإنسانى لدى شعوب دفعتها قدراتها المتنوعة فى العلم والصناعة ، وابتداع المخترعات ؛ حتى تبدلت أنماط الحياة الإنسانية الرتيبة الوئيدة وفقا لخطوات الإنسان ، فركب الماء وغاص فى طياته يسابق الحيتان وطار فى الفضاء يسابق الطير الآمن والجارح ، ويطأ سطح القمر بقدميه ومايزال يسعى ويمعن فى السباق إلى اللحاق بالنجوم السيارة والأفلاك الدوارة يريد أن يتعرف على ميكانيكيتها وأى وقود يغذيها ومن يمدها بقطع الغيار ويدفع عنها الغبار .

هذا الإنسان الذى علمه الله ما لم يكن يعلم (علم الإنسان ما لم يعلم) قاده هذا الشأو الذى بلغه من الحضارة المادية والقدرة على امتطاء بساط الريح وإلغاء المسافات طولا وعرضا وعمقا ، ومد وسائل الاتصالات حتى كأن العالم قرية واحدة تتنادى وتتسامر وتتحاور وربما تتشاتم ، وكأن هذه الملايين من البشر بل المليارات يتواجهون فى معركة الحياة لا بالتعاون على البر والتقوى ولكن على الإثم والعدوان ، ورفع شعارات الظلم ؛ وكأنها العدل المطلق .

وها هى الشعوب المغلوبة على أمرها تُظْلم وتُدَق أعناقها وتُنتَهب ثرواتها ، وتُقَدَّم خيراتها لأولئك الذين أقاموا حكومة لهذا العالم بقاراته الرحيبة قانونها الظلم ، ومحكمتها الغدر والخيانة والاحتيال .

صار الجهر بالسوء والأذى للآخرين قانونا واجب النفاذ .

الأصدقاء الأعداء :

تعالوا : يا من رفعتم شعار العدل والإحسان ، وعرفتم من دين الله الإسلام ، كيف يكون تعايش بنى الإنسان ، وجعلتم هذا الشعار دينا وعقيدة وعلْما وعَمَلا ، كيف تحول حالكم وكان مآلكم إلى أن تتخطفكم الطير وكيف حظيتم بصداقة هؤلاء الأقوياء الذين تفوقوا بالعلم والصناعة وتخلوا عن الأخلاق قوام الإنسان وميزته على غيره من المخلوقات التى تزامله الحياة .

تعالوا : نفرز مواقف هؤلاء الأصدقاء (الألداء) كيف وقفوا فى قلب أوروبا يتنادون ـ بحقوق الإنسان ـ ويقيمون الدنيا فلا تقعد « والبوسنة والهرسك » و« الشيشان » ، وسكانها كلهم من بنى الإنسان تحرق وتهدم عليهم ديارهم ، ويطردون ويسحلون وتنتهك الأعراض ولم يعيروا حقوق هؤلاء اهتماما ثم يتحدثون عن حقوق الإنسان !!

ثم تعالوا لنرى الموقف فى « فلسطين » و« قدسها » والتزامات السلام يفى بها المغلوبون على أمرهم ـ العرب ـ يوفون بالوعد وبالعهد والآخرون لا يعرفون عهدا ولا ذمة ؛ أفعالهم خيانة للعهد وللوعد ؛ يقتلون ويغدرون ويهدمون ثم يجدون (الفيتو) نصيرا لهم مع أنه صديق حميم للعرب استودعوه أسرارهم وأموالهم ، فما رعى هذا حق رعايته ، وإنما تحكمت فيهم صداقته وَاستَغْلَتْ حقدا وخيانة وظلما ونكرانا للتكريم والتعظيم الذى يلقاه والكرم (الحاتمى) الذى يغشاه والتهليل والترحيب الذى يُستقبل به مع أنه قادم بالويل والثبور وعظائم الأمور .

تعالوا : أيها المغلوبون على أمرهم نقول لصاحب (الفيتو) : كنا نتوقع عدلك ونتوخى ـ بصداقتنا ـ انحيازك على من تعرف دخائل نفسه وأنه ماكر مخادع لا يرضى حتى تتبع ملته ، وتذوب شخصيتك فى ظله وتكون ومن تصادق له زادا يزدردك !!

ذلك الذى وقفت شعوب الأرض تنتظر نظرته وكلمته فنطق كفرا بعد أن ظلم دهرا واستمرأ الظلم والعدوان ، وانتهاب حقوق المستضعفين من الشعوب حتى تدور فى فلكه ويكفيها رضاه ، وإن لم تبلغ هى غايتها فى الحياة .

الصديقة الأسيوية :

وما بال اختنا (الصديقة الآسيوية) تهدم المساجد فى « جياوا » و« كشمير » وتقتل أهل الصلوات فى محاريبهم وتحرق عليهم دوروهم ما بال هذه المواطنة التى نُعَالنها بالمودة ، وفضيلة حسن الجوار ونعاتبها عتاب الجار الذى لا يرد السيئة بالسيئة ، ما بالها قد أغمضت العين الساهرة على الأمن عن بنيها الذين لم يرعوا فى الله إلا ولا ذمة ، لم يرعوا حق مواطنيهم المسلمين ، فراحوا يهدمون المساجد على المصلين ، بل ويحرقون الدور على ساكينها ، ولم يوقروا مضاجع الموتى فى قبورهم فاستعملوا النار التى وعد الله بها الظالمين سعيرا تأكلهم كلما نضجت جلودهم .

كانت لهم جلود أخرى يمن الله بها عليهم إمعانا فى لتعذيب جزاء اقترائهم وظلمهم الآخرين فى هذه الحياة التى آلت بسبب ظلم الإنسان أخاه الإنسان وكانها غابة فقدت مَلِكَها .

مرة أخرى عتابا من الأزهر الشريف إلى الصديق اللدود الذى نخطب وده ونددلله فيأبى إلا أن ينابذنا بحقده الذى يفصح عن سوء طويته وقصده ، ولكن الوفاء يقتضينا أن نستبقى صداقته وأن نناديه دائما بالصديق اللدود .

وعتابا ــ ثانيا ــ إلى جارتنا الآسيوية التى نحفظ لها حقوق الجار التى أوصانا بها الإسلام حتى وإن جار .

ونقول لكل من الصديقين : اتق غضب الحليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ونقول لقادة العرب والمسلمين وشعوب الأمة الإسلامية على اختلاف لغاتها ومواقعها ولمناصريهم بالقول والتعاطف : ماحك جلدك مثل ظفركفتول أنت جميع أمرك .

لابد أن نفكر ونقدر ونغير ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لابد أن توقف الحروب الداخلية فى : « افغانستان » و« الجزائر » وتلك الانشقاقات التى تبدو هنا وهناك ، واستَنْفِرُوا العزة فى نفوسكم تلك التى انزوت فارتفعت الغواية وانتكست الراية .

إن هذه المليارات من البشر بأرضها ، وعرضها ، وبناتها ، وأبنائها البررة الذين يواجهون هذه العواصف بالثبات . نأمل أن تنزاح عنهم الفردية والأنانية ، وأن يعملوا ويعلنوا أن يد الله مع الجماعة وليأخذوا من الصفوف فى الصلاة واستقامتها وتلاحمها مبدأ وغاية .

خذوا حذركم من الصديق قبل العدو .

ارفعوا الأذان؛ وأقيموا الصلاة ، وسدوا الفرج ، وسترون أن الله معكم ولن يتركم أعمالكم .

من أجل القدس :

ونقول لأصحاب الجلالة والفخامة ، والسمو الملوك ، والرؤساء ، والأمراء الذين كانت تنتظر الأمة لقاءهم حتى يستبين بقولهم الرشد من الغى فى قضية القضايا (القدس) كلها غير منقوصة ولا مستذلة وحتى نشد على أيديهم حين يقولون للآخرين المعتدين ومن يظاهرونهم قفوا وارحلوا فإن الأمة الإسلامية قد أخذت أمورها بيدها ، ونحن القادة فى المقدمة ولا يغتر أحد بهذا الموقف الجديد لإسرائيل وإعلانها تجميد قرارها مصادرة أراضى (القدس) فإن التجربة معها من خلفها الوعد وخيانتها للعهد تدل على أن الثقة بها موضع حذر .

وإن الامة الإسلامية لتأمل من قادتها أصحاب الجلالة الملوك وأصحاب الفخامة الرؤساء ، وأصحاب السمو الأمراء أن تظل يقظتهم لهذا الأمر وغيره مما تُقدم عليه إسرائيل حادة وجادة حتى يواجهوا بحكمتهم كل جديد تحدثه إسرائيل هضما للحقوق العربية والإسلامية فى (فلسطين) .

وهاهم علماء هذه الأمة يسددون خطاها ويُعبِّدون ممشاها دفاعا مشروعا عن الارض وعن العرض ، وفى مقدمتها (القدس) وما حولها من الأرض التى باركها الله بالرسلات ، وخُطى الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد رسول الله ﷺ حيث كانت مسراه ومنها معراجه إلى السماوات العلا .
أما الأصدقاء الذين جاهدوا فى ميدان مجلس الأمن ، أما هؤلاء الأربعة عشر الذين يمثلون العالم كله إلا هذا الصديق المقامر بصداقتنا إياه والذى يتنكر الآن لمواقف أمتنا فى تأييده فيما تعرض له ؛ أما هذا الصديق صاحب (الفيتو) الذى لديه ثروات هذه الأمة وأسرارها فقد يأتى الموعد الذى لا يخلفه الله ولن تتخلف عنه هذه الأمة فإن الأيام دُول يوم لك ويوم عليك .

وصدق الله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

٢٣ من ذى الحجة سنة ١٤١٥ ه
٢٣ من مايو سنة ١٩٩٥ م

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

«القدس فى حديث للإمام الأكبر»

- مصادرة إسرائيل لأراضى القدس اجتراء على الحق العربى
- على الولايات المتحدة أن تقف ضد أية تغييرات تحدث فى القدس
- مصر تقف من القضية حفظا للعرض والأرض

حديث اجـرته / سـناء السعيد

● ● فى حديثه للمصور وصف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق قرار إسرائيل بمصادرة أراض عربية شرق القدس ، وقال : إنه اجتراء على القانون لا يمكن تمريره ـ وحمل على منظمة الأمم المتحدة متهماً إياها بالعجز وعدم التحرك لمجابهة عدوان إسرائيل على الحق العربى .

وقال : إن أمريكا بيدها خيوط اللعبة وعليها أن تمسكها حتى تنتهى المفاوضات وترد الحقوق إلى أصحابها . وحول معاهدة الحظر النووى قال فضيلته : بأنه على إسرائيل أن توقع على المعاهدة إثباتاً لحسن نيتها ، ذلك أن تحقيق السلام لابد أن تتوازى معه إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية ـ وحمل على أمريكا إعلانها الأخير بفرض حظر تجارى على إيران ووصفه بأنه قرار بغيض ؛ وأثنى على موقف الدول الأوربية التى رفضت تبنى مادعت إليه أمريكا ● ●

● فى محاولة جديدة لإسقاط الشرعية والاجتراء على القانون لجأت إسرائيل أخيراً إلى مصادرة أراض عربية شرق القدس من أجل الاستيطان اليهودى ؟

● ● إسرائيل هى إسرائيل ، منذ أن خططوا للوضع القائم ، والموقف العربى والإسلامى متهاون فى حق نفسه وأرضه وعرضه ، إن ما تفعله إسرائيل فى القدس وفى غير القدس لاسيما بعد

(*) نشر الحديث بمجلة المصور العدد (٣٦٨٣) ذو الحجة ١٤١٥هـ ، ١٢ مايو ١٩٩٥م .

توقيع اتفاق « أوسلو » الذى كان ينتظر أن توقف إسرائيل معه العدوان بأشكاله المختلفة على الأرض والناس ، لكن ماحدث هو العكس فلقد اشتد القهر وجرى طرد الناس من بيوتهم ، وهدمت دورهم وصودرت أراضيهم وأقيمت عليها مستوطنات رغم ما نص عليه اتفاق « أوسلو » ، وهو إرجاء موضوعها إلى المرحلة الأخيرة فى المفاوضات ، بما يعنى أن تظل القدس على الوضع الذى كانت عليه وقت الاتفاق . ومن ثم فما قامت به إسرائيل من إجراءات جغرافية وسكانية فى القدس لتغيير معالمها هى إجراءات باطلة . وعلى العرب عموماً وخاصة الفلسطينيين الذين وقعوا الاتفاق أن يبادروا إلى أخذ الإجراءات التى تمكنهم من وقف أى عدوان على أرض فلسطينية أو على الفلسطينيين وممتلكاتهم .

● قرار المصادرة اجتراء على الحق العربى قامت به إسرائيل لغياب المجتمع الدولى !

● ● نعم اجتراء على الحقّ والقانون وهو أمر يدعو إلى العجب ـ إذ كيف تكون المفاوضات جارية بينما يمتد اغتصاب الأرض ويشتد، خاصة فى البقعة ذات الأثر فى النزاع ، إن اللوم لايوجه إلى إسرائيل لأنه لم يعد يجدى معها اللوم ـ ولكن يرد التساؤل ـ أين المجتمع العربى والإسلامى ؟ بل أين المجتمع الدولى ؟ وإذا كانت الأمم المتحدة وهيئاتها تقف عاجزة ولا تتحرك لمجابهة مثل هذا العدوان ولصيانة الحقوق ولردع المعتدى ولو أدبياً فما .. جدوى منظمة الأمم المتحدة ؟ ثم أين الجهد الجماعى للعرب والمسلمين ؟ ثم أين استنهاضهم لهذه المنظمة كى تؤدى دورها فى الحفاظ على حقوق شعب سلب جهده ، وعطلت قواه فلم يعد يستطيع أن يدافع عن أرضه وعرضه إلا بجسده الإنسانى ، إننى أطلب من العرب والمسلمين سرعة التحرك لاستنهاض المنظمات الدولية لتقف ضد هذا العداون .

إن الجامعة العربية لمشكورة إذ بادرت فعقدت اجتماعاً فى السادس من ذى الحجة ١٤١٥ هـ الموافق ١٩٩٥/٥/٦ لبحث الموقف . ثم أين «منظمة المؤتمر الإسلامى» وأين موقفها فى مساندة قضية القدس التى يحمل لها العالم كله ـ كل إعزاز ويحافظ عليها أدبياً ، إن الأمر يقتضى الحفاظ عليها واقعياً من هؤلاء الذين لا يرعون عهداً ولا وعداً ـ الذين نقضوا كل الوعود فى تاريخهم الطويل لاسيما منذ أن استوطنوا فلسطين .

إن الأمر جدّ أيها العرب والمسلمون وإن لم تنهضوا للوقوف ضد هذا العدوان ؛ فإلى أن يأتى السلام لن تكون له أرض يستقر عليها .

● تبنت أمريكا موقفاً فاتراً من الإجراء الإسرائيلى وقالت مندوبتها الدائمة فى الأمم المتحدة : إن مجلس الأمن ليس الجهة المناسبة لمناقشة المصادرة ؟

● ● يجب على أمريكا وهى التى بيدها خيوط اللعبة كما يقال ، أن تقف ضد أية تغيرات تحدث فى القدس بحيث تبقى الحال فى القدس على ماكانت عليه وقت توقيع الاتفاق إلى أن يعاد التفاوض بشأنها مع الفلسطينيين ؛ وهذا ماينبغى أن تقوم به أمريكا حتى يثق بها الناس كراعية للعهود والوعود ، وعليها حين تحكم بين المتنازعين أن تتوخى العدل والإنصاف .

● أحجم المسلمون عن زيارة القدس أمام مواقف إسرائيل وتجاوزها للقانون ـ وتساءلوا : هل الذهاب إلى القدس فريضة ؟

● ● إن القدس هى غاية إسراء النبى ﷺ من « مكة » وموطىء قدمه فى معراجه ـ وفيها « المسجد الأقصى » الذى صلى فيه إماماً بالأنبياء ، وهو بهذا من المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ـ وإن أجر الصلاة فيه مضاعف ـ فهو ثالث الحرمين فى « مكة والمدينة » ـ ولهذه الأسباب يكون للقدس منزلة عظمى فى نفوس المسلمين لكنهم يحجمون الآن ويحجبون أنفسهم عن زيارتها والصلاة فيها ترقباً لتحريرها ، فإن مايقع فيها لايمكن للمسلم أن يطيقه من اختراق لحرمة المسجد ، وتعطيل للصلاة وحفريات حول المسجد وأسفله ـ الأمر الذى يوحى بأن إسرائيل تستهدف إزالته ـ وهذا أمر ينبغى أن يفكر فيه المسلمون طويلًا وكثيراً ، وأن يعملوا على حراسته بأجسادهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

● إسرائيل تزمع الاحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على القدس كعاصمة موحدة للشعب اليهودى ـ وهو الاحتفال الذى يبدأ مع السنة العبرية الجديدة فى سبتمبر القادم ويستمر حتى سبتمبر ١٩٩٦ ؟

● ● أيضاً يجب أن يقترح على الجامعة ، بعد منظمة المؤتمر الإسلامى ، أن يواجها هذا الفكر المعتدى الذى يتجاهل كل الحقوق ويعتصم بالجحود ونكران الوعود والعهود ، بإيضاح الحقوق العربية فى فلسطين كلها وليس القدس فحسب . وأن يعرضوا على الأجيال المعاصرة فى العالم كله ـ ولاسيما العرب والمسلمين ـ هذه الحقوق بأسانيدها التاريخية والعلمية حتى يوضع الأمر فى نصابه ، وحتى يكون الفكر الصحيح الذى يبديه العرب والمسلمون مناهضاً لهذه الأباطيل التى كادت تثبت وتبقى .

● هنــاك من يرى أن الضرورات تبيــح المحظورات ـ وأنه يمكن فى الإسلام تجميد فريضة الحج إذا كانت تعطل فريضة الجهاد ؟

● ● هذه وجهة نظر غير صحيحــة فى الإسلام ، فإن العبادات لاتسقطها إلا الضرورات الشرعية التى نص عليها الشرع ، فالصلاة لم تسقط فى الحرب ـ بل يؤديها المحاربون ، وقد نظم القرآن طريقة أدائها ، لاسيما وأنه أثناء الجهاد الحربى لايشارك كل أفراد الأمة فى الميدان ، وإنما الجزء القادر والمدرب على الجهاد ، أما الآخرون فعليهم ألا يعطلوا شرع الله .

● يتوقع صدور قرار بتجميد معاهدة الحظر النووى إلى أجل غير مسمى ـ وأتساءل ماذا عما يتعرض له العالم العربى من ابتزاز نووى إسرائيلى ؟

● ● إن الموقف الذى وقفته مصر فى هذه القضية ، وانضم إليها الكثيرون هو موقف من يعرف قدر نفسه ومن يحافظ على عرضه وأرضه . والأمر يحتاج إلى الإصرار على التمسك بالحق ولو انفرد صاحب الحق به ، ولا ينبغى أن تفرط مصر ولها قدرها ومكانتها فى المنطقة فى موقفها الدفاعى عن نفسها ، وعن الأمة العربية والإسلامية لأنها تدافع عن هذه الأمة وتقودها دائماً إلى النصر .

● إذا كانت النية لإسرائيل خالصة فإن تحقيق السلام لابد أن تتوازى معه إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية !

● ● نعم وهذا ماطالبت به مصر . ولاشك أن موقف إسرائيل يثير الشكوك والريب خاصة أن تصريحات مسئوليها تأتى معارضة لما طالبت به

مصر ودول المنطقة بأن يكون الجميع على قدم المساواة فى التوقيع على معاهدة الحظر النووى ،

فأى ضير فى هذا بالنسبة لإسرائيل إذا كانت تريد حقاً أن تعيش فى سلام ؟

● تتمسك إسرائيل بالسلاح النووى كضمانة أمنية ؟

● ● ضمانة أمنية ضد من ؟ لا أحد فى المنطقة يملك سلاحاً نووياً حتى يكون هناك مقابل رادع له ، ثم إن الأمن الحقيقى لإسرائيل يتمثل فى توافقها مع دول المنطقة وهو ما يتطلب أن تكون المنطقة خالية من الأسلحة النووية ، الكل أبدى استعداداً للتوقيع ، فلماذا تصر إسرائيل على أن تكون استثناء وترفض التوقيع ، ولماذا تريد التفرد بالسلاح النووى إلا إذا كانت سيئة النية وسيئة الغاية ، وهذا مايدعو الدول الأخرى وعلى رأسها مصر أن تحذر وتحاذر من الوقوع فى هذا الفخ وهو المد إلى أجل غير مسمى لمعاهدة الحظر النووى .

● إسرائيل تتذرع بأن دولة مثل إيران تعكف على تصنيع القنبلة النووية ؟

● ● أليست إيران من دول المنطقة ، بل إنها وقعت على معاهدة الحظر وتخضع منشآتها لرقابة «وكالة الطاقة النووية»، فلماذا لاتوقع إسرائيل مثلما وقعت إيران ؟ ولماذا تزداد حدة الهاجس الأمنى لدى إسرائيل«وكأن المنطقة ليس لها أن تبحث عن أمنها وأن إسرائيل هى الوحيدة المهددة فى أمنها ، إن إسرائيل بترسانتها من الأسلحة التقليدية والنووية تشكل أكبر تهديد للأمن القومى العربى .

● طالعتنا الولايات المتحدة أخيراً بفرض حظر تجارى على إيران بدعوى تطرفها وتطلعها إلى امتلاك أسلحة نووية .

ما هى رؤيتكم خاصة أن الحصار اليوم لا يطبق إلا على الدول الإسلامية مثل : العراق وليبيا وإيران ؟

● ● هذه هى السياسة اللعينة التى لا تعرف الحق ولا العدل ، وإنما تعرف الأنانية والمصالح الشخصية وتعادى الإنسانية ، هذه هى الديكتاتورية التى تعامل الناس وهى تزعم أنها قائدة الديمقراطية وراعيتها والمدافع الأكبر عن حقوق الإنسان ، ولو كانوا حقاً يعرفون الديمقراطية ويرعون حقوق الإنسان ماصنعوا مثل هذا الذى صنعوه بإيران أو بغيرها من دول العالم الثالث كما يقولون ، إن العنصرية التى زعموا أنها انتهت . انتهت لفظاً فقط ؛ ولكن مؤدى هذا اللفظ مازال سوطاً يهدد الدول التى تبتغى الحياة الهادئة النظيفة وتنمى وتبنى نفسها وتقود شعوبها لكى ينهضوا ببلادهم وحياتهم الأسرية والاجتماعية إلى مرتبة الإنسان الذى يؤدى واجباته نحو نفسه كإنسان .

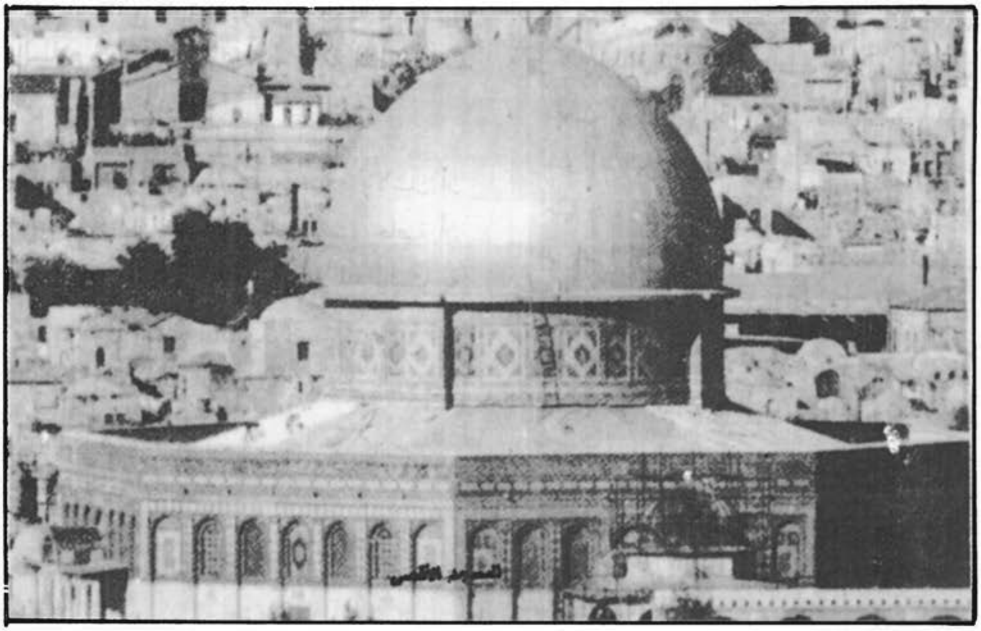

إن هؤلاء الذين يتنادون بأنهم أصحاب عدل ومبادىء يجب أن ينظروا تحت أقادمهم لأنهم سيجدون أنهم قد انحدروا بتصرفاتهم ضد الشعوب المستضعفة إلى درجة لاتصدق ؛ إن فرض الحصار على إيران وغيرها بدعوى التطرف أمر بغيض ـ وخيراً فعلت بعض الدول الأوربية حين أعلنت رفضها لهذا المبدأ وأنها لن تشارك فيه .

إن على دول العالم الثالث أن تنهض لتأخذ دورها فى هذه الحياة بالإعتماد على نفسها ، والتساند فيما بينها اقتصادياً واجتماعياً وصناعياً مادام العالم المتحضر ـ كما يقول عن نفسه ـ قد افتقد الإنسانية أو افتقدته الإنسانية .

● رابين يتطلع إلى أن يتم التوصل إلى مسودة اتفاق حول « الجولان » خلال عام يتم الاستفتاء حوله قبل انتخابات الكنيست !

● ● متى كانت أراضى الغير موضع استفتاء ، إنه لأمر غريب وعجيب ، ولم يكن ينتظر أن يصدر مثل هذا الفكر من إنسان عاقل ، إذ هل يستفتى ـ المغتصب والمعتدى ـ للتخلص من العدوان ؟ أم أنه ينبغى عليه أن يرحل مختاراً تنفيذاً لقرارات المجتمع الدولى ؟ إذا كانت إسرائيل تبتغى السلام فعليها أن ترحل دون أية شروط ودون تراخ حتى تثبت ـ وقد صار من حولها جيران لها ـ حسن الجوار من جانبها ؛ أما هؤلاء الجيران فهم مسالمون بطبيعتهم وبمعتقداتهم يعرفون حقوق الإنسان وحقوق الجوار ، وعليه فإن إسرائيل مطالبة اليوم بالانسحاب الكامل من « الجولان » .

بيان من الأزهر الشريف

بشأن اتجاه إسرائيل لضم القدس

تواترت الأنباء عن الإجراءات الاسرائيلية الخطيرة ضد « مدينة القدس » ، وإلى تفريغها من سكانها الفلسطينيين توطئة لإحلال آخرين دخلاء على أرضها .

ولا شك فى أن هذه الإجراءات تشكل انتهاكا خطيرا لاتفاق إعلان المبادىء الفلسطينى الإسرائيلى ، ويناقض العملية السلمية الجارية تنفيذا لذلك الاتفاق ، فضلا عن أنه يتنافى مع الشرعية والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

والأزهر الشريف ــ بجميع هيئاته ــ يستنكر هذه الإجراءات ويناشد المجتمع الدولى ، الوقوف بحزم ضد أى مساس بوضع مدينة القدس العربية والمقدسات على أرضها وصيانة حقوق أهلها العرب .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الشعوب والحكومات الإسلامية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والأمم المتحدة بكافة أجهزتها أن تعمل على وقف هذا العدوان على مدينة القدس ومقدساتها بإجراءات حازمة حاسمة تهىء الجو لمواصلة إرساء السلام على هذه الأرض المقدسة ومنعا لهذا العبث الذى يعوق الاستقرار فى المنطقة العربية .

ولتظل مدينة القدس كما كانت خالصة لأهلها حتى تتحقق الآمال فى وطن مستقر آمن عاصمته القدس .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

شيخ الأزهر

وزيارة ناجحــة للســنغال

بقلم السـفير/ محمد عبدالرحمن دياب
ســفير مصــر فى الســنغال

شهدت السنغال حدثاً إسلامياً وسياسياً هاماً تمثل فى الزيارة الأخيرة التى قام بها فضيلة الإمام الأكبر «الشيخ جاد الحق على جاد الحق»ـ شيخ الأزهر ـ والوفد المرافق له بدعوة من الرئيس / عبده ضيوف ولمدة أسبوع من ٥ إلى ١٢ من إبريل . الموافق الخامس من شهر ذى القعدة ١٤١٥هـ .

وقد سعدت «السنغال» كلها جكومة وشعباً بهذه الزيارة التى اعتبرتها (تشريفاً وتكريماً ومباركة لها) على حد تعبير الرئيس / عبده ضيوف ، وحرصت على إحاطة الإمام الأكبر ووفده بأقصى مظاهر التكريم والترحيب الرسمى والشعبى ، وكان أحد مظاهرها مقابلة مع الرئيس عبده ضيوف ، الذى قلد فضيلته أعلى وسام سنغالى .

حققت الزيارة نجاحاً مطلقاً وعلى كافة الأصعدة ، وكان طوال مدة الزيارة بمثابة مظاهرة سياسية ودعائية لمصر والرئيس/ حسنى مبارك «والإسلام والأزهر ودوره فى العالم كله» وكانت موضع تغطية إعلامية مكثفة على مدى الأيام السبعة للزيارة من قبل كافة أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمكتوبة .

وقد أدى فضيلته صلاة الجمعة بالمسجد الكبير «بالسنغال» وسط حشد وحضور كبيرين .
كما أسفرت الزيارة عن تحقيق نتائج محددة للتعاون بين الأزهر والسنغال فى مجال تعليم اللغة

العربية أعلن عنها فى بيان رسمى مشترك وقعه كل من فضيلة الإمام الأكبر ، ووزير التعليم الوطنى السنغالى .

ويأتى على رأس هذه النتائج إنشاء « معهد إسلامى للأزهر » فى قلب العاصمة ، وقرار مضاعفة عدد المنح الحالية « وإقامة معارض للفنون والمخطوطات الإسلامية » وزيادة عدد مبعوثى الأزهر لتدريس اللغة العربية داخل المدارس العامة المملوكة للدولة .

وبخلاف المقابلات واللقاءات الرسمية العديدة « وزيارة المعاهد والجمعيات والاتحادات الإسلامية المختلفة بدكار » ، **فقد غطى فضيلة الإمام خلال زيارته عدة مدن « سنغالية هامة » التقى خلالها بمختلف** خلفاء الطوائف الإسلامية الأساسية فى « السنغال » من « تيجانية » « موريدية » « وقادرية » ... إلخ وبعض كبار المعاهد الإسلامية السنغالية التى يعمل بها ممثلو الأزهر .

وفى جميع هذه الجولات كان الموكب الرسمى لبعثة الأزهر يستقبل استقبالًا رسمياً وشعبياً حافلًا يشترك فيه أكبر القيادات الإدارية الرسمية ، وتتردد فيه هتافات الجماهير العريضة بحياة مصر وقائدها والأزهر « والإسلام » وحيث ألقيت طوال هذه اللقاءات كلمات الترحيب الحارة من قبل القيادات الدينية والشعبية ورد عليها فضيلته بكلمات مناسبة أشاد فيها بمكانة « السنغال » ودورها الرائد فى غرب أفريقيا ، كما أجاب فيها فضيلته على كافة الاستفسارات التى تلقاها من المسلمين « السنغاليين » عن بعض المشاكل التطبيقية للإسلام فى « السنغال » والتى حاول فضيلته من خلالها تصحيح بعض السلوكيات والتطبيقات الإسلامية الخاطئة الموروثة عن التقاليد الوثنية التى كانت سائدة فى عصر الاستعمار .

ولم تغفل الزيارة الجانب الدعائى الإعلامى حيث تضمنت محاضرة عامة بعنوان : « الإسلام دين التسامح والحوار » فضلًا عن مؤتمر صحفى فى ختام الزيارة ، بالإضافة إلى سلسلة مقابلات صحفية خاصة رتبتها « السفارة » له مع أهم صحف العاصمة .

وغادر فضيلة الإمام وقد تأكد بنفسه أن الإسلام بخير فى « السنغال » وأن مستقبل الإسلام بالقارة يعتبر واعداً ، كما أعطى سيادته جرعة روحية ضخمة لكافة المسلمين فى ربوع « السنغال » وسيتذكرون له هذه الزيارة دائماً بكل الإعزاز والتقدير .

مع سورة الفاتحة

للأستاذ الدكتور
إبراهيم الدسوقى محمد خميس*

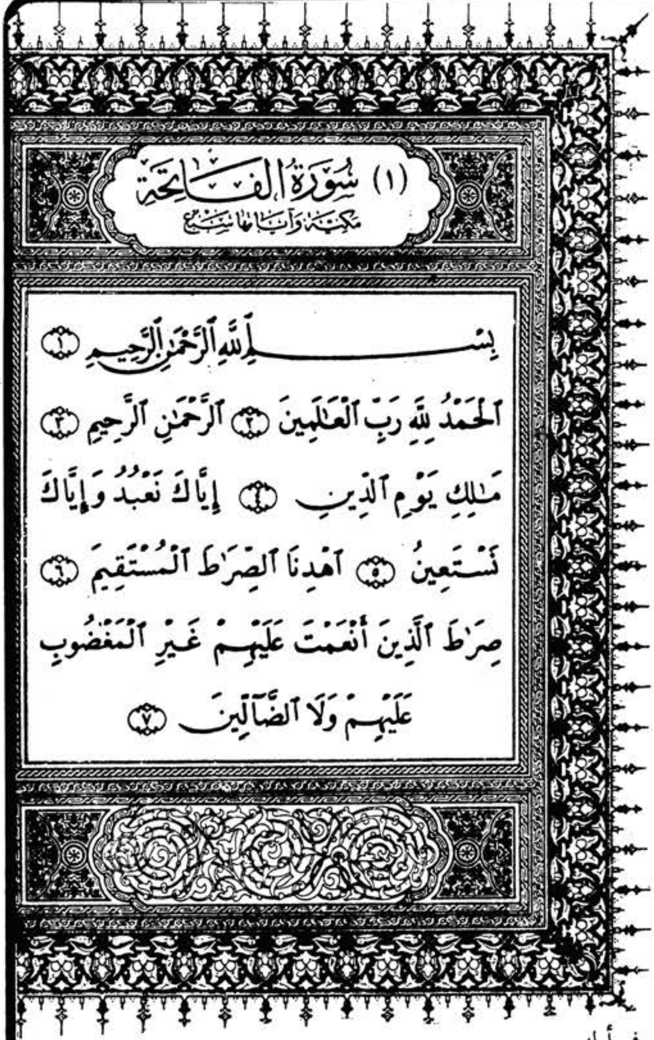

هذه السورة بالنسبة لترتيب المصحف فى أوله وأما بالنسبة لترتيب النزول فليست أول ما نزل على الصحيح ، وإنما أول ما نزل صدر سورة « اقرأ » ويقال : إنها نزلت مرتين مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ؛ ولا مانع منه عند أكثر العلماء .

وعدد آيها سبع على الصحيح .

و« بسم الله الرحمن الرحيم » آية منها عند أكثر العلماء .

وللفاتحة أسماء كثيرة أوصلها بعضهم إلى ثلاثين : منها أنها « أم القرآن » و « فاتحة الكتاب » و « السبع المثانى » وتسمى أيضا القرآن العظيم . فقد أخرج ابن جرير عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى والقرآن العظيم .

● الكاتب أستاذ التفسير بكلية أصول الدين ــ جامعة الأزهر

وإنما سميت « السبع المثانى » لقوله تعالى : فى سورة الحجر « **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم** » .

وسميت سبعا : لأن عدد آيها كذلك .

وسميت : مثانى لأنها تثنى بسورة أخرى ، أو لأنها نزلت مرتين : مرة بمكة ومرة بالمدينة ، أو لأنها على قسمين : ثناء ودعاء .

وسميت بالقرآن العظيم ، لأنها جمعت مقاصد القرآن كله وما جاء بعدها من سور القرآن فهو تفصيل لما أجمل فيها .

ومقاصد القرآن هى : التوحيد ، والوعد ، والوعيد ، والعبادة والمنهج ، وقصص الأنبياء فالتوحيد فى قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » والوعد والوعيد فى : الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » والعبادة فى قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، والمنهج فى قوله : إهدنا الصراط المستقيم . وقصص الأنبياء السابقين فى قوله : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

التفسير :

بسم الله الرحمن الرحيم تكلم المفسرون كثيرا فى معنى البسملة ، وفى علاقة بعضها ببعض ، وفى المقصود منها أول كل سورة ، ويتلخص ما قالوه فى أن : البسملة تعبير يُقصد به الفاعل إعلان تجرده من نسبة الفعل إليه ، فالقارىء إذا ابتدأ قراءته يبتدئها « باسم الله » كأنه يقول أقرأ بإقدارك وبأمرك يا الله ، وكذلك من يشرع فى طعام أو شراب أو بناء أو سفر أو نحو ذلك ؛ فإنه حين يسمى الله يطلب منه أن يعينه على إتمام ما بدأ ، وقد ورد الحديث الشريف بذلك ، قال — ﷺ — : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع أو أجزم أو أبتر » . أخرجه البخارى .

والقصد فى أفتتاح أوائل السور لفت أربلب العقول إلى أن هذه السور ، وما يتلى فيها من آيات إنما هى لله ، ومن الله ، وليس لأحد من خلقه شىء فيها ؛ فليست من قول محمد — ﷺ — ولا من تعليم بشر : « إن هو إلا وحى يوحى » « الرحمن علم القرآن » .

وكلمتا « الرحمن الرحيم » مقترنتين تعبير غير مألوف عند العرب ، ولم يعرف عندهم إلا بعد أن نزلت البسملة على النبى — ﷺ — .

و « الرحمن الرحيم » صفتان لله — تعالى — وهما من الرحمة التى هى : رقة القلب ورقة القلب معنى مستحيل بالنسبة لله — تعالى — لأن رقة القلب من صفات الحوادث ، والله — تعالى — منزه عنها لقوله — تعالى : « ليس كمثله شىء » ولذا اختلف السلف والخلف فى المراد من الرحمن الرحيم :

فيرى السلف : أن لله رحمة تليق بذاته لا يدرك معناها أحد .

ويرى الخلف : أن المراد بهمت أن الله محسن منعم متفضل ، وهى معان تنشأ من رقة القلب فيكون الاستعمال عندهم مجازى .

وقد اختلف المفسرون فى القرن بين « الرحمن والرحيم » فيرى البعض أن الرحمن هو : المنعم بجلائل النعم ، والرحيم : المنعم بدقائقها ،

وبعضهم يقول : إن الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم ، والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين .

ويرى الشيخ محمد عبده أن الرحمة صفة عارضة وأما الرحيم فهى صفة أصيلة ، والرحمن أثر من آثارها فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل ، وهى إفاضة النعم والإحسان ولفظ الرحيم يدل على منشأ الرحمة والإحسان فهما وصفان لا يستغنى أحدهما عن الآخر .

الحمد لله رب العالمين :

السور التي بدئت بالحمد خمسة : « الفاتحة ، والأنعام : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ » والكهف : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا » و « سبأ » : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾
و « فاطر » : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾

وقد ذكر فى كل سورة حيثية الحمد ، ولكن الحيثية الأعم والأشمل جاءت فى سورة الفاتحة وهى : (لله رب العالمين) .

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الإختيارى .

والحمد لله رب العالمين تقرر ثبوت الثناء المطلق الذى لا يحد لله سبحانه وتعالى ، وتثبت أن الثناء مختص به ــ سبحانه ــ فليس لأحد أن ينازعه إياه وإذا حُمد أحد غير الله فسبب حمده إجراء نعمة على يده .

واستحقاق الله العام الشامل للثناء المطلق سببه وحيثيته : أنه سبحانه ــ رب العالمين فليس شىء من الكائنات سماويها وأرضيها إلا والتربية الألهية قد شملته فى جميع أطوره ، ومن هذه الكائنات الإنسان فقد جعله الله ــ سبحانه ــ سيد هذا الكون كله فأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من روحه ، وأعلن أنه خليفته فى الأرض « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

ولله فى الانسان تربيتان : تربية خَلْقية وأخرى تشريعية وقد جمعهما قوله : « رب العالمين » هذه الكلمة توحى قويا بأن يُعمل الإنسان عقله فى هذا العالم ليدرك نواحى هاتين التربيتين اللتين جعلتا من حيثيات استحقاق الله ــ تعالى ــ للحمد واختصاصه بالثناء .

« الرحمن الرحيم » :

هذه هى الحيثية الثانية لتخصيص استحقاق الله بالحمد ، وقد يقول قائل : ما سر مجىء هذين الوصفين عقب (رب العالمين) وللجواب عن ذلك نقول :

إن ربوبية الله للعالم وملكه إياه وعلاقته به ليست علاقة قسوة وشدة ، وإنما هى علاقة رحمة ورأفة فبالرحمة يُوجدون ، وبالرحمة يُرزقون ، وبها يتصرفون ، وبها يوم القيامة يبعثون : ليأخذ كل جزاءه إظهاراً للعدل الإلهى ؛ فإذا استقر هذا المعنى فى نفوس العباد ، وأن الله يتحبب إليهم بصفة « الرحمة » كان ذلك أدعى إلى إقبالهم عليه واختصاص الحمد له دون غيره ، وما أحوج المؤمن إلى أن يتخلق بخلق الرحمة .

قال : ـــ ﷺ ـــ : « الراحمون يرحمهم الرحمن » وإرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء أخرجه مسلم .

واتصافه سبحانه بالرحمة لا ينافى تشريع العقوبات على الجرائم ؛ لأن هذا التشريع يمنع الناس من أن يعتدى بعضهم على بعض فتشيع الرحمة فيهم ، فإن الآباء مع حبهم لأبنائهم حبا شديدا يقومون أثناء تربيتهم بضربهم والقسوة عليهم ، وقد يعطونهم الدواء المر بقصد شفائهم ، وكل رحمة بهم وحنوا عليهم . والشاعر يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على مـــن يرحـــم

« مالك يوم الدين » :

للدين معان كثيرة والمعنى المراد هنا : هو (الجزاء) وقد قرىء مالك ومَلِك بالمد والقصر ، والقرأءتان تقيدان الملك ، ـــ فى يوم الدين الذى هو يوم الجزاء والحساب ـــ لله وحده وقد أعطى الله ـــ سبحانه ـــ فى الدنيا لبعض خلقه شيئا من مظاهر الملك أو الملك تنفيذا لما أراده فى هذا الكون من تصرفات ظاهرية لبعض عباده ، وانفرد ـــ وحده ـــ فى هذا اليوم بجميع التصرفات . لا يشاركه فيها أحد ممن خلق ولا يشفع أحد إلا لمن ارتضى ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه .

قال تعالى : « مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ

وقال : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٢)

« إياك نعبد وإياك نستعين » :

ما تقدم من الآيات فى سورة الفاتحة ثناء على الله سبحانه ، وبيانُ لحيثيات استحقاقه للحمد وحده ، وتقرير لحقيقة الربوبية . وإذا ثبتت هذه الحيثيات وتلك الصفات لله كان حقيقيا بأن يُخص ويُفرد بالعباد والاستعانة ويجدر بالعباد أن يتجهوا إليه وحده بالخضوع والخشوع والالتجاء إليه فى طلب حوائجهم الدنيوية والتشريعية ، لا يتجهون إلى غيره لا استقلالًا ولا اشتراكا وهذا التخصيص قد أُخِذَ وَاسْتُفِيدَ من تقديم « إياك » على « نعبد » كما هو مقرر فى قواعد البلاغة . من أن تقديم ما حقه التأخير يفيد القصر . والعبادة ـــ فى حقيقتها : خضوع ينشأ عن استشعار القلب بعظمة المعبود اعتقادا بأن لله ـــ سبحانه ـــ سلطانا أعلى لا يدرك العقل كنهه ، وهذا هو روح العبادة وسرها فإذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة وقد فرضت الشعائر التعبدية لتذكير الإنسان بذلك الشعور ولتقويم الأخلاق وتهذيبها

والاستعانة بالله لا تنافى الأخذ بالأسباب ولا تتنافى مع تعاون الناس بعضهم مع بعض وبناء عليه ؛ فالمسلم مطالب بالأخذ بالأسباب لارتباطها بمسبباتها ، مع الاعتقاد بأنها لا تنشأ عنها مسبباتها إلا بإرادة الله ، وقد لا يوجد هذا الارتباط بينهما لعدم إرادة الله سبحانه ذلك فقد اعدت النار لإحراق إبراهيم عليه السلام ومع ذلك لم يصب منها بسوء قال تعالى « قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ »(٣) .

يتبع

(٢) غافر ١٦ .

(٣) الأنبياء ـ ٦٩ .

رؤية مفتوحة فى تفسير:

غضب موسى الكليم.. وأثره فى ألواح التوراة

بقلم الدكتور عبدالفتاح أبوسنة

القرآن وحده ـ دون الكتب من قبله ـ هو الكتاب الذى لاريب فيه ، لا نشك أن كل حرف فيه من قول الله ، فلا تصحيف فيه ولا تبديل .

والتوراة بالذات من بين ما أنزل الله تعالى فيما نعلم من قول الله عز وجل ؛ هى الكتاب الوحيد الذى أنزله الله مكتوباً فى الألواح . قال تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ **الأعراف : ١٥٤**

أى : إن لم تفعلوا كان مصيركم دار الفاسقين

(سفر الخروج ٣٢/٢٩) فلم تعد ثمة ألواح ، ولكن موسى نحت لنفسه بأمر الله لوحين من حجر مثل الأوَّلين كتب الله له عليهما نفس الكلمات التى كانت على اللوحين اللذين كسرهما فى حُمُوِّ غضبه (خروج ٣٤/١) .

إن القرآن الكريم يجىء « بالألواح » على صيغة الجمع كما مر بك ، وبين لنا أن الألواح لم تتحطم ولم يكسرها موسى بيديه ـ حاشاه أن يفعل ، مهما كان حمو غضبه ـ ولكنه (أخذ الألواح) أى التقطها لم يمسسها سوء ولم تمح منها كلمة مما كتب الله له فيها كما تفيد لفظة « أخذ » ولو أنه ألقى الألواح بمعنى رماها فتكسرت وتبعثرت لكان الأولى أن يقال : « ولما سكت عن موسى الغضب (جمع) كسور الألواح ولكنه ولكن بنى إسرائيل لم يفعلوا ، وتعللوا بأن الألواح التى جاء بها موسى من عند الله ألقاها موسى فتحطمت منه فى فتنة العجل ؛ بل تقول لك هذه التوراة المتداولة بأيدى الناس : إن الألواح لم تكن إلا لوحين اثنين ، كسرهما موسى فى حُمُوِّ غضبه .

* الكاتب عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

قال : (أخذ) أى أخذها من مكانها الذى وضعها فيه ليتفاهم مع أخيه هارون وقومه .

ولست أدرى من أين استقى المفسرون المسلمون المعلومات التى تفيد رمى الألواح وتكسيرها ؟ اللهم إلا تلك الإسرائيليات التى كتبت بأيدى كتبة استنسخوها بأيديهم إبان السبى لم يهبط عليهم بها وحى .

ناهيك عن تحريك الكلم عن مواضعه ودليلك فى هذا من التوراة المتداولة فهى تحيلك فى بعض مواضع إلى أسفار تسميها لك بالاسم ثم تفتش عنها فى هذا المجلد فلا تجد لها أثراً بين دفتيه . وسواء نسب السفر إلى نبى أو كاتب ، فسيان هذا أو ذاك ؛ إذ ليس فى التوارة سفر واحد خطه نبى بيده مع جودتهم للقراءة والكتابة ــ عدا النبى الأمى الغنى عن التعريف البعيد كتابُهُ الذى أنزل عليه عن التصحيف والتحريف والذى تولى الله ــ تعالى ــ حفظه إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[الحجر : ٩] .

وسائر الكتب من صنع الكتبة على التراخى حفظوا أم ضيعوا وماجاء القرآن فى بعض مقاصده إلا لهذا ، ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ سورة الأعراف

يقول صاحب الكشاف : (وألقى الألواح) : طرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضباً لله وحمية لدينه ، وكان فى نفسه حديداً شديد الغضب ، وكان هارون ألين جانباً ، ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى .

و (رُوِىَ) أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى منها سبع واحد . اهـ

ويقول أبو البركات النسفى فى تفسيره : ﴿ **وألقى الألواح** ﴾ ضجراً عند استماعه حديث العجل غضباً لله وكان فى نفسه شديد الغضب ، وكان هارون ألين منه جانباً ، ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد ، وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى هدى ورحمة . اهـ

أما الإمام القرطبى فينقل عن أبى الفرج الجوزى سؤاله الاستنكارى :

ــ من يصحح عن موسى عليه السلام أنه رماها رمى كاسر ؟ والذى ذكر فى القرآن (ألقاها) فمن أين لنا أنها تكسرت ؟ ثم لو قيل : تكسرت . فمن أين لنا أنه قصد كسرها ؟ (تفسير القرطبى : ٧/٢٨٨) .

حول الحرف القرآنى (ألقى)[١] :

تأتى ألقى ــ بمعنى : طرح ، وقذف .

١ ــ معان حسية تدرك بالحس .

(أ) ﴿ **أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ** ﴾ [طه : ١٩] ــ

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) ــ لسان العرب لابن منظور .

أى : ارمها أو اطرحها على الأرض .

﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ [طه : ٢٩]

أى : فليطرحه .

﴿ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ [يوسف : ١٠] ـ أى : ارموه أو اطرحوه .

(ب) وتأتى بمعنى القذف .

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ : [القصص : ٧] ـ أى فاقذفيه فى ماء النهر .

﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق : ٢٤] ـ أى : اقذفا .

(جـ) وتأتى بمعنى دفع أو وصل .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾

[النمل : ٢٩] ـ أى : أُوصِل ودُفِع .

٢ ـ ولها معان عقلية مجازية

(أ) ﴿ ألقوا إليكم السلم ﴾ [سورة النساء ٩٠] ـ إلقاء السلم أى : الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا .

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ [طه : ٣٩] ـ أى : أسبغت عليك محبة منى فأحبتك القلوب أو ركزت فى القلوب محبتك .

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة : الآية الأولى] ـ أى : تظهرونها لهم أو توصلونها إليهم .

﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٣] ـ أى : يوجه الأفاكون سمعهم إلى الشياطين ، والغرض أنهم يصغون إليهم ويتلقون منهم مايتلقون .

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الحج : ٥٢] ـ أى فيزيل الله العراقيل التى يضعها الشيطان فى قلوب الأتباع لتستقر الآيات التى تأتى بها الرسل .

﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ ﴾

[النساء : ٩١] ـ أى يعلنوا إسلامهم .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾

[الحجر : ١٩] ـ أى : وضعنا وثبتنا .

وقفة متأنية :

يكاد يجمع المفسرون على أن موسى كان فى نفسه حديداً شديد الغضب ضيق الخلق[٢] ولابد لنا هنا من وقفة متأنية تليق بهذا الكليم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، كما أنه واحد من أولى العزم من الرسل الخمسة الذين ذكرهم البعض فى قوله :

محمـــد إبـــراهيم موسى كليمـــه
فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

ومن البدهى أن غضب هذا الرسول لم يخرجه عن حِلمه ووقاره كما أن حِدَّتَهُ قد عرفها الله له ؛ كما أخبر بذلك جبريل الأمين رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حين سأله عن موسى وقد علا صوته : من هذا يا أخى يا جبريل ؟ فقال : هذا أخوك موسى بن عمران قد عرف الله له حدته . وهى حدة نألفها جميعاً من المعلم المخلص صاحب القلب الرحيم حين يدفع تلاميذه لعلو الهمة أو يزجرهم حين يصدر منهم ما يسيئون به إلى أنفسهم فيقسوا عليهم أحياناً وفى هذا يقول القائل :

فقسا ليزدجروا ومـن يك حازمـاً
فليقـس أحيانـــاً على مَن يرحـــم

يقول ابن العربى : وكان موسى عليه السلام من أعظم الناس غضباً لكنهُ كان سريع الفيئة

(٢) المحرر الوجيز لابن عطيه : ٨٦/٦ ـ طبعة قطر .

فتلك بتلك . اهـ

قلت : من أين جاء ابن العربى بهذه المقولة وهو يعلم يقيناً ـ رحمه الله ـ أن المؤمن بطىء الغضب لما يتسم به من الحلم والأناة ، سريع الرضا لما يتسم به من كظم الغيظ والعفو عن المسىء بل والإحسان إليه . أفيكون هذا نصيب المؤمن ولا يحظى به صاحب الرسالة الذى جاء بهذه الأخلاق التى يعلمها الناس ويدعوهم إلى حسن التأسى والاقتداء به ؟ إن هذا الشىء عجاب !!

إن إلقاء الألواح بمعنى الرمى الذى يؤدى إلى الكسر يصل بنا إلى أمرين يتنزه عنهما كليم الله موسى الذى ألقى الله عليه محبة منه واصطنعه لنفسه

الأمر الأول : الاستهانة بما عظم الله كمن يلقى بالمصحف على الأرض رمياً أو طرحاً لحزن ألم به أو غضب انتابه ، وإذا كان هذا لا يليق بعامة المؤمنين فكيف يقع هذا من خواصهم بَلْهَ الأنبياء والرسل . ناهيكَ عن أولى العزم منهم ؟ فحاشا موسى الكليم أن يكون قد رمى بالألواح على الصورة التى ذكرها من ذكرها ـ غفر الله لنا ولهم ـ .

الأمر الثانى : أن التوراة المتداولة قد انتابها التحريف والتغيير والتبديل . وقد أخبرنا القرآن بأن هذا قد تم بأيدى المغالين والمغرضين من أهل الكتاب ـ فلو أن كليم الله موسى ألقى الألواح رمياً فانكسرتَ لكان هو أول من تسبب فى ضياع التوراة مما أدى بها إلى ماصارات إليه الآن وذلك مالا يكون .

وعليه فالذى تستريح إليه النفس أن كلمة « ألقى » بمعنى وضع كما جاء فى معنى قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ﴾ وفى لغة (صعيد مصر) الذين يتكلمون العربية بفطرتهم يقولون لك إذا جئتهم بشىء : « لقحه » أى : ضعه وهى كلمة تفيد ألقه [بزيادة حاء وإسقاط ألف] .

كما أن رمى الألواح المؤدى إلى كسرها يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ سورة الأنعام

حول الحسن والأحسن :

﴿ ..وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ... ﴾

والحسن والأحسن هنا يتعلق بالجانب العملى والسلوكى على ماهو أرفق بالجانى وأكمل ثواباً للمجنى عليه كما ترى فى مثل قوله تعالى :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ سورة النحل

وكقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الشورى : ٤٠

وذلك ماتفيده الآية الكريمة

﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر : ٥٥] .

وبعد فإن رضاض الألواح الذى ذكره المفسرون بناء على أن الألواح قد تكسرت ، وأنه من البقية التى ترك آل موسى وآل هارون لم يكن لهم فيه دليل مقنع ، وتكون البقية هى عصا موسى وثيابه ونعلاه وعمامة هارون عليهما السلام ، وكانت هذه الآثار الموضوعة فى التابوت بركة على المجاهدين فى سبيل الله كما كان قميص يوسف بركة على أبيه يعقوب عليهما السلام . نسأل الله الهداية والتوفيق

قبس من أنوار النبوة

الرسول يحذر أمته مزالق الشيطان

لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن أم المؤمنين صفية بنت حيى — رضى الله عنها — قالت : كان النبى ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معى ليقلبنى فمر رجلان من الأنصار — رضى الله عنهما — فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال النبى ﷺ : على رسلكما ، إنها صفية بنت حيى .. فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله ، فقال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا ، أو قال شيئا »

« رواه الشيخان ، وأحمد ، وأبوداود ، وغيرهم »

المفردات :

(١) معتكفاً : ملازما للمسجد مع حبس النفس عما تعتاده ، والتفرغ للطاعة .

(٢) قمت لأنقلب : أى لأرجع إلى منزلى

(٣) على رسلكما : أى إمشيا الهوينى وتمهلا فليس هناك مانكرهانه .

(٤) يجرى مجرى الدم : أى بكثرة إغوائه والتصاقه بالإنسان كأنه دمه الذى يجرى فى عروقه والمقصود التسلط والوسوسة .

(٥) خشيت : خفت عليكما من مزالق الشيطان .

البيان :

كان رسول الله ﷺ — المثـل الأعلى فى الكمال الإنسانى جعله الله للناس إماما يقودهم إلى الخير ، ويدفعهم عن الشر ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم ؛ وكان رفيقا بأمته يتحسس لهم مواطن الخير فيدفعهم إليها وينأى بتصرفاتهم أن تشوبها ريبة ، أو تقرب منها شبهة ، فلم يترك للشيطان منفذا إلا أغلقه ، لأن الشيطان عدو حذرنا الله منه فقال — تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾
فاطر — ٦ .

وكيف لا يكون عدوا وهو الذى كاد لأبوينا آدم وحواء وغرهما ، حتى أخرجهما من الجنة ، ومن هنا كان تحذير الله — سبحانه — لبنى آدم من الافتتان به ، فقال : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾
الأعراف — ٢٧ .

وكما كاد لأصلنا فهو لا يترك فرصة سانحة إلا كاد بها لبنى الإنسان ، فهو يأتى لابن آدم من كل جهة : من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن تحته ، ولا يأتيه من فوق لأن رحمة الله تتنزل من فوق ، ويقعد له كل مرصد .

روى أحمد والنسائى وابن حبان : عن ابن الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، قعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ قال : فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك .. قال فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : هو جهاد النفس والمال فتقاتل وتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد » ..

والشيطان لا ييأس من إلقاء الوسوسة لبنى آدم ومن أجل ذلك أمرنا الله أن نستعيذ بالله من الشيطان ، وكثر فى القرآن الأمر بالاستعاذة منه . والمتقون إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا . كما قال — عز من قائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف — ٢٠١ والمتقون يفزعون إلى الله ويلوذون به من وساوس الشيطان الذى لا يفتأ يزين السوء سوءا ويغرى بالشهوات ولهذا يشتد اللجوء إلى الله . كما قال الله :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ فصلت

وكم أغرى الشيطان بنى الإنسان فأقبل أكثرهم على إرضاء الهوى واتباع الملذات والجرى وراء الشهوات .

وحديثنا يذكر واقعة حذر فيها النبى أمته من مواقف الريب ، ودعا إلى إحكام الرقابة على الأفعال التى يجد الشيطان فيها سبيلا إلى الفتنة والإغواء فقد كان — عليه الصلاة والسلام — معتكفا منصرفا عن مشاغل الحياة ، متفرغا للطاعة فجاءته زوجته أم المؤمنين صفية — رضى الله عنها — تزوره ليلا ، فحدثته . ثم همت بالرجوع إلى بيتها فقام النبى معها ليرجعها إلى المنزل فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فى مشيهما حياء منه ﷺ وأدبا معه ومهابة له ، فناداهما أمرا بالتمهل فى المسير : « على رسلكما » فليس فى الأمر ما تكرهان وليس هناك ما يدعو إلى الحرج .

ثم أراد ﷺ أن يصون صاحبيه : أسيد بن حضير ، وعبـــاد بن بشر — من وساوس الشيطان ، حتى لا يقذف فى قلبيهما ما يكون سببا فى هلاكهما فإن من يظن بالنبى سوءاً يكفر ، وهو عليه الصلاة والسلام – حريص على أمته من مخاطر الشيطان . قائلا : إنها صفية بنت حيى ، وليس فى المشى معها ما يدعو إلى حرج ، وإنه – عليه السلام – يبلغ عن ربه ، وهو معصوم من الخطأ محفوظ من الشيطان .

والصحابيان يعرفان هذا ، ولذلك قد تعجبا من بيان الرسول ﷺ لهما — وقالا : سبحان الله ، يارسول الله ، وهل يُظن بك إلا خير .. كما جاء فى رواية أخرى .

فأنت الأمين الذى جاء بالهدى ، وليس لمؤمن أن يظن بك إلا الخير .

وقد كان ﷺ يعلم من صاحبيه قوة الإيمان ورسوخ العقيدة ، لكنه خشى عليهما وسوسة الشيطان . كما أراد أن يعلم الأمة فى شخصهما أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق لشدة وسوسته ، وعظم خطره ، وله قوة على ذلك بكثرة أعوانه ؛ ولذا وجبت الاستعاذة من هذا الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . وأن على المؤمن أن يسد عليه المسالك وألا يترك له منفذاً إلى قلبه ، فهو شديد التسلط عليه إلا من أخلص لله الطاعة وأصبح مشمولا برعاية الله وعنايته ، فهو — سبحانه — القائل :

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لقد أراد الرسول ﷺ – أيضا – أن يعلم الأمة : أن على المؤمن ألا يعين على نفسه بالقيام بعمل فيه شبهة دون أن يبين ما يدفع الشبهة عنه ، ويبرر به فعله له .

إن النبى ﷺ قد حسم مادة الشر ، حين بين للناس — وهو أبعد ما يكون عن ظن السوء به — قد نفى عن نفسه التهمة بالبيان الناصع – أن التى تقف معه زوجه صفية – رضى الله عنها – .

فإذا كان الرسول ﷺ وهو من هو فى سمو المكانة ، وارتفاع المنزلة والبعد عن التهمة قد فعل هذا ، فإن على كل مؤمن أن ينأى بنفسه عن مواطن الشبهة وأن يبين — عند الحاجة إلى البيان ما يدفع عنه قالة السوء ؛ صيانة للدين والعرض والسمعة .

فعلينا أن نقف بالمرصاد لهذا الشيطان اللعين نستعيذ بالله من شره ومن همزه ولمزه .

روى الترمذى بسند صحيح عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال : حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الحشر » ٢٢ — ٢٤ .

وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال ذلك حين يمسى كان بتلك المنزلة » وتلك فضيلة لهذه الآيات .

روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » .

ولقد أمرنا الرسول ﷺ بالوضوء عند الغضب ليطفىء الماء جمرة هذا الشيطان ، ولنستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

الرجوع إلى الحق فضيلة

للدكتور/محمد عبدالوهاب عبداللطيف(*)

فى مجلس علم ضم نخبة من العُلماء : فقهاء وقانونيين ، دار حديث حول السؤال : هل يجوز الأكل فى آنية الذهب والفضة ؟

فرأى فريق جواز الأكل فى أوانى الذهب والفضة ، واستدل لرأيه بأدلة ، بينما رأى الفريق الآخر عدم جواز الأكل فى أوانى الذهب والفضة ، وحشد من الأدلة والبراهين ما يؤيد رأيه ، وكعادة العلماء الفاقهين ، أنهم يريدون الوصول إلى الحق ، لا الانتصار للرأى ، من منطلق : « الرجوع إلى الحق فضيلة » وجريا على أسلوب المحاورة ، الذى يبتغى النصح والرشد .

والعلماء الذين يسيرون على هذا النهج لا يلجئون إلى الجدل العقيم ، وإنما يذعنون للرأى السليم .

ومن أقوال الإمام الشافعى ـــ رحمه الله ـــ : « لو جادلنى ألف عالم لغلبتهم ولو جادلنى جاهل واحد لغلبنى » لأن مقصد العالم الوصول إلى الحق ، ولو خالف رأيه .. أما مقصد الجاهل والمكابر ، فهو الانتصار للرأى دون مراعاة للحق .

وقد جرى النقاش بين هؤلاء الأخيار من علماء الأمة الإسلامية ، فى جو من المودة والمحبة ، والأنس والألفة .

طلب الفريق الثانى إلى الفريق الأول ، أن يقيم الأدلة على صحة دعواه ، من جواز الأكل فى آنية الذهب والفضة فقال : « إن الله ـ عز وجل ـ أباح لنا الطيبات والقاعدة الأصولية تقول : « الأصل فى الأشياء الإباحة » فهل نحرم الأكل فى آنية الذهب والفضة ؟ والقرآن الكريم يقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ من آية ٣٢ سورة الأعراف .

ثم إن الحديث الوارد فى النهى عن لبس الذهب بالنسبة للرجال ، كما ورد أن الرسول الكريم ﷺ « أمسك بالذهب والحرير وقال : هذان حرام على ذكور أمتى ، حل لإناثها » كما أن الرسول الكريم تختّم بالفضة ، فكان مباحا للرجال لبس الخاتم من

(*) مدير عام منطقة وعظ الجيزة

الفضة فكيف تحرمون الأكل فى أوانى الفضة لو سلمنا جدلا بحرمة الذهب ؟

وإنا ــ مع ذلك ــ لنسلم بالتحريم إذ اتيتمونا بالحديث الصحيح .

وانبرى الفريق الثانى يقيم الأدلة على صدق مقولته من حرمة الأكل فى أوانى الذهب والفضة فقال : « الاستدلال بالآية ، ليس على إطلاقه ، فطالما أن هناك نصًّا يحرم أو يمنع جزءاً بعينه ، أو حالا بعينها فلابد أن نأخذ به ، وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تنهى عن آنية الذهب والفضة ، ثم إن استدلالكم بعمل الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه اتخذ خاتما من الفضة ، ليس مبررا للأكل فى أوانى الذهب والفضة ، فالجائز هو لُبس خاتم الفضة ، فعمل الرسول الكريم هنا محدّد بالخاتم فقط فكيف تجاوزتم هذا إلى الأوانى ؟

إن الإمام الرازى يقول فى تفسيره : « مفاتيح الغيب » جـ ١٤ ص ٦٣ تعليقا على تفسيره لقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الأعراف آية ٣٢ ما يوضح هذا كل التوضيح :

« القول الثانى » أنه يتناول جميع أنواع الزينة ، فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزيين ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ، ويدخل تحتها المركوب ، ويدخل تحتها ــ أيضا ــ أنواع الحلى ، لأن كل ذلك زينة ، ولولا النص الوارد فى تحريم الذهب والفضة والإبْرَيْسَم(١) على الرجال ، لكان ذلك داخلا تحت هذا العموم(٢)ا هـ .

ولا نريد أن نذهب بكم بعيدا فها هى أحاديث رسول الله ﷺ التى تنص على عدم جواز الأكل فى آنية الذهب والفضة .

روى الإمام البخارى ــ رضى الله عنه ــ فى كتاب الأطعمة ــ الباب التاسع والعشرين باب الأكل فى إناء مفضض عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر ــ فى بطنه ــ نار جهنم » .

وروى عن حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة » .

وروى ــ رحمه الله تعالى ــ فى كتاب الأشربة ــ الباب الثامن والعشرين ، باب آنية الفضة ــ عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع :

أمرنا : « بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعى ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم » .

ونهانا عن : « خواتيم الذهب ، وعن الشرب فى الفضة ــ أو قال : آنية الفضة وعن المياثر والقِسّى وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق » . ا هـ

(١) الإبْرَيْسم : أحسن الحرير

(٢) ص ٦٣ من كتاب « التفسير الكبير » للإمام الفخر الرازى جـ ١٤ ط أولى ١٣٥٧/١٩٣٨ مطبعة أمين عبدالرحمن .

جاء فى كتاب « الأدب النبوى » للشيخ محمد عبدالعزيز الخولى ط/٧ سنة ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ص ١٦٩ تعليقا على حديث البراء .. قال : ورواه مسلم فى كتاب « اللباس والزينة » ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وفى تعليقه على حديث حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال : من أجل ذلك ذهب الفقهاء إلى تحريم الأكل والشرب فى أوانى الذهب والفضة ، لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء ، إنما لهن التحلى بهما تزينا وتجملا . ا هـ

ولقد اتسعت روايات الإمام أحمد ــ بمسنده ــ فى هذا الموضوع طبع المَيْمَنية فى المجلدات : الرابع والخامس والسادس على النحو التالى :

أحاديث بالمجلد الرابع ص : ٩٢ ــ ٩٥ ــ ٩٩ ــ ٢٨٤ ــ ٢٨٧ ــ ٢٩٩ .

والخامس ص : ٣٨٥ ــ ٣٩٦ ــ ٣٩٧ ــ ٣٩٨ ــ ٤٠٠ ــ ٤٠٤ ــ ٤٠٨ .

والسادس ص : ٩٨ ــ ٢٢٨ ــ ٣٠١ ــ ٣٠٢ ــ ٠٤ ــ ٣٠٦ .

وقد نص كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » على حرمة اتخاذ الآنية من الذهب والفضة[٣] والله أعلم .

وكعادة العلماء الفاقهين . اقتنع الفريق الأول بما أورده الفريق الثانى من حجج وأسانيد ، وأدلة وبراهين . واتفق الفريقان على قبول حكم السنة النبوية من حرمة الشرب والأكل من آنية الذهب والفضة .

وتبديدا للشبهة القائمة فى الأذهان . فقد ارتضى الفريقان إذاعة هذا الحكم ، ونشره بين الناس ، تبيانا للحقيقة .

والله يحق الحق ويهدى إلى صراط مستقيم .

(٣) جـ ٦١٢/١ ط دار الكتب المصرية ــ ط ثالثة

من وحى هجرة الرسول

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ عبدالعزيز أحمد رضوان(*)

لايزال الاستعمار الثقافى يبث سمومه وهو يزحف على الشرق والعالم الإسلامى ، فيبعث بجنوده وحشوده من علمانيين وإلحاديين وغيرهم موهما إيانا أن الولاء والعصبية لقومية عرقية ، أو تراب أو وطن ، أو إقليم هنا أو هناك هو آخر مايتمناه ويطمح إليه المسلم !!

والحق أن حب الأهل والأقربين والأوطان ، عاطفة جياشة تجرى فى الدم والعروق كما بين ذلك القرآن الكريم « قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ »(١) .

كذلك فإن المسلم بطبعه ودود عطوف يحب الإنسانية كلها ويتمنى الخير والحب والوئام للناس جميعاً مع حبه لأهله وذوى قرباه .

فلا تعارض على الإطلاق بين حبنا لأوطاننا وأهلينا مع حبنا الجارف لديننا وعقيدتنا .

فما دام غيرنا لم ينل من ديننا ، ولم يحاربنا فى عقيدتنا ؛ فإنه إنسان يوجب علينا الإسلام إحسان جواره حتى ولو كان كافراً أو يهودياً أو نصرانياً .

فما سر هذه الطنطنة لأعداء الإسلام الذين يقولون : إن التمسك بالإسلام والدعوة إلى وصله وربطه بالحياة الشاملة يتعارض مع الولاء للوطن أو القبيلة ؟ ثم رتبوا على هذا أن دعوا لتنحية الدين وإبعاده عن كل مجال وزعموا أن هذا فيه الخير للناس أجمعين .

إنهم أول من يعلم أن هذا الزعم فاسد . لأن ديننا (الإسلام) هو كما صوره أمير الشعراء أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ :

الديـــن عرض الله كل أبيــــة
بين النفـــوس حمى له ووقـــاء

* الكاتب : مفتش أول وعظ كفر الشيخ

(١) سورة الشورى : من الآية : ٢٣

ولقد أخطأ خطأ فاحشاً كل من ينسب نفسه للعلم ثم يدعى أن الإسلام يهوى بالبشرية إلى الحضيض .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٢)

ولهذا السبب نجد أن رسول الله ﷺ ـ بالرغم من حبه الشديد لأعز وطن وأغلى وطن فى الدنيا كلها ـ هاجر منه إلى وطن آخر . وموطنه الأصلى ـ مكة ـ لا يحمل ذكريات الطفولة والصبا فحسب ؛ ولكنه الوطن المبارك مثوى البيت الحرام المبارك ، مثابة الناس وأمنهم ..

والموطن الذى هاجر إليه رسول الله ﷺ ـ المدينة ـ كان محفوفاً بالأخطار . فحياة الاستقرار فيه مهزوزة ، والثارات والحروب الطاحنة أهلكت حيين من العرب هما : الأوس والخزرج .

والمهاجرون يحتاجون إلى القوت والسكن . يضاف إلى ذلك أنهم استوخموا المدينة بعد هجرتهم إليها ، واعتلت صحتهم .

ومع هذه المشكلات كلها تغلبت العزائم القوية وروح الإيثار وحب المسلم للمسلم . وراح رسول الله ـ ﷺ ـ بما أيده الله به من الوحى العظيم ، وبما وهبه الله من روح قوية ، راح يدعو لهم ويدعو للوطن الجديد ، ويؤصل فيهم هذا الحب حتى تكون المدينة المنورة هى وطن الإسلام وعاصمة الدولة الإسلامية قال رسول الله ﷺ :

(لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى إلا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ، ولا يدعها رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه)(٣) .

وتروى لنا أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وعك : أبو بكر وبلال . قالت : فدخلت عليهما . فقلت : يا أبا بكر كيف تجدك ؟ ويابلال كيف تجدك ؟ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبّح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه ـ المرض ـ يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد ، وحولى إذخر وجليل
وهل أردنه يوما مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل(٤)

قالت : فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال :

(اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد . اللهم وصححها . وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل حماها واجعلها بالجحفة)(٥) .

وعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ :

(اللهم اجعل بالمدينة ضِعفىّ ما جعلت بمكة من البركة)(٦)

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩
(٣) مسلم وأحمد
(٤) جبال مكة
(٥) البخارى ومسلم وأحمد .
(٦) البخارى ومسلم وأحمد

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : كان رسول الله – ﷺ – إذا أتى بأول التمر قال :

(اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، وفى ثمارنا ، وفى مدنا وفى صاعنا بركة مع بركة . اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، وإنى عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه) .

ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان[٧] بهذه الروح القوية ، وبهذا الحب العظيم للمدينة والأنصار ، من رسول الله – ﷺ – والمهاجرين ، أقام لنا المسلمون الدليل الواضح والمثل الأعلى ، على أن العقيدة أغلى من الحياة نفسها فما بالك بالوطن والأهل والعشيرة ؟!! وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٨] .

لقد كان الأنصار يخشون أن يحن رسول الله ﷺ إلى وطنه الأصلى بعد أن يستقر الأمر للإسلام . وهم يريدون من رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – أن لا يترك المدينة ؛ لأنها آوت المسلمين وأعزتهم ونصرتهم .

ولقد بين لهم – عليه الصلاة والسلام – أنه يوافقهم فيما يحبون . روى ابن إسحاق – فى المغازى – وهو يروى ماحدث فى بيعة العقبة الكبرى ، أن أبا الهيثم بن التيهان قال :

يارسول الله إن بيننا وبين الرجال – يعنى اليهود – حبالا وإنا قاطعوها . فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله – ﷺ !! ثم قال : « بل الدم الدم والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »[٩] .

ومن كلمته ﷺ – بعد (هوازن) :

« أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله ربا ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا[١٠] .

هذا .. ولقد صدق رسول الله ﷺ وعده فعاش بالمدينة وصعد روحه الشريف إلى الرفيق الأعلى منها ، وضم ترابها جسده الطاهر ، فالوطن الحق هو كل أرض المسلمين ، ومعقد اللواء فيها ، حيث يعز الإسلام ، وإنه لعزيز إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(٧) مسلم وراجع أيضا فقه السيرة للغزالى ص١٨٣ ، ١٨٤

(٨) سورة التوبة : الآية ١١١

(٩) فقه السيرة ط دار الكتب الحديثة ص١٥٩

(١٠) أحمد وابن هشام وابن جرير عن ابن اسحاق وراجع المصدر السابق ص٤٢٩

التأمين عقده ومدى مشروعيته

دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي

للدكتور: عبدالله مبروك النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة الأنعام

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، أحمد الله تبارك وتعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، سبحانه هو القائل فى محكم كتابه الكريم :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين ، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، الذى بعثه ربه بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بأيديهم نحو الأسباب الحقيقية لأمن القلوب ، واطمئنان النفوس ، لتتهيأ أمامهم مسالك الرقى ، ووسائل السعادة فى الدنيا والآخرة ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه ، ومن سار على منوال شريعته ، واتبع منهاج دينه إلى يوم الدين .

(١) سورة الأنعام ـ آية ٨٢

وبعد :

فمنذ أن خلق الله الإنسان واستخلفه لعمارة هذه الأرض ، وهو لا يكف عن التماس الأسباب التى يستشعر بها الأمن والطمأنينة على حاضره ومستقبله ، ومن رحمة الله بخلقه : أنه ــ وهو خالقهم ، ويعلم ما تنطوى عليه أنفسهم ــ قد قدر فى نفوسهم هذا المعنى ، فشرع لهم من الدين ما يشبع فى قلوبهم معنى الأمن ، ويشيع فى نفوسهم أسباب الطمأنينة ، وجعل أعظم الأسباب التى توصل لذلك من أول ما طلبه من خلقه فى مجال التكليف ، ذلك أن أول ما طلبه الله من خلقه ، أن يؤمنوا به ، وأن يوحدوه ولا يشركوا معه فى العبادة أحداً ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٢) ، ولا شك أن الإيمان بالله تعالى هو السبب الرئيسى لتحقيق الأمن ، لأن المؤمن ــ ومن منطلق إيمانه بالله تعالى ــ يحس بكل معانى التأمين على جميع ما يعنيه أن يأمن عليه ، ويطمئن فيه ، ولا عجب فإن دواعى الإيمان أن يذكر الإنسان ربه الذى آمن به إلهاً ، خالقاً ، رازقاً ، ضاراً ، نافعاً ، بيده الأمر وهو على كل شىء قدير ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾(٣) ، وهو حين يذكر ربه يطمئن قلبه بالنسبة لنفسه ولمن يعنيه أمره ، قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٤) ، ومن ثم كان الإيمان بالله كفيلاً بتحقيق معنى الأمن فى قلوب الناس إذا حل بها ، فإذا دخل الإيمان فى القلب واستقر فيه لا يترك منه ذرة للخوف .

ولا يوجد خلاف بين فقهاء القانون وجميع فقهاء الشريعة حول مشروعية مقاصد التأمين وغاياته ، من جهة أنها تستهدف التكافل والتعاون فى مواجهة الأخطار وترميمها ، ولكن الخلاف منحصر حول بعض وسائل تحقيق تلك الغايات ، فبينما يرى فقهاء القانون ، وبعض الباحثين فى فقه الشريعة : أن وسائل التأمين ممثلة فى أنواعه كلها تعتبر مشروعة فى نظرهم ، فإن جانبا كبيراً من فقهاء الشريعة لا يسلمون بعموم تلك النتيجة ، ويرون : أن القول بمشروعية وسائل التأمين وإن كان يمكن قبوله فى التأمين التعاونى ، والتأمين الإجتماعى الذى تقوم به الدولة لقيامهما على التبرع وبعدهما عن قصد الربح ، إلا أنه لا يمكن التسليم به بالنسبة للتأمين التجارى ، وذلك لتضمنه معنى الغرر والقمار والربا ؛ بما يجعله غير مشروع فى نظر هذا الجانب من الفقه .

وبهذا يتحدد محل النزاع فى التأمين حول نوع واحد منه ، وهو التأمين التجارى ، الذى اشتد حوله الخلاف واحتد ، وكثرت حوله الكتابات ، وتقارعت الأدلة لدرجة تجعل من العسير على القارىء أن يصل إلى معرفة حكمه بسهولة ، كما تجعل من الصعب على الباحث أن يتتبع تلك الأدلة ويناقشها وذلك لكثرتها وتداخلها ــ وهو إن أراد ــ فليس أمامه إلا التذرع بالصبر الجميل والحرص الزائد ، والعناية الفائقة فى التعامل مع أدلة كل فريق وتتبعها ، وترتيبها ، وتحليلها ، ومناقشتها ، بغية الوصول إلى الحق فى تلك

(٢) سورة محمد ــ آية ١٩ .
(٣) سورة الفلق ــ الآيتان ١ ، ٢
(٤) سورة الرعد ــ آية ٢٨

المسألة ، ولعلّ ذلك جانباً مما عاناه الباحث فى دراسة هذا الموضوع .

والهدف من تلك الدراسة : هو بيان مدى مشروعية عقد التأمين فى الفقه الإسلامى ؛ لذلك !، ومن منطق هذا الهدف المحدد ، كان من الضرورى أن يلم القارى، بفكرة كافية عن عقد التأمين ونظامه تمهد لبيان حكمه فى التشريع الإسلامى ، انطلاقاً مما تقضى به الأعـراف العلمية ، وقواعد المنطق ، من أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، وذلك ما راعيته فى الباب التمهيدى الذى خصصته لبيان حقيقة التأمين كما تقررت فى التشريع والفقه ، وبما يكفل إعطاء تلك الفكرة الضرورية العامة ، التى تكفى لأن يكون الحكم عليه عن بينة ، ومراعيا أن يكون التعرض لتفصيلات أحكامه من الناحية القانونية. فى ثنايا تلك الدراسة ، وفى موضعها من بحوثها ، لتسهل مقارنتها ، ويحسن فهمه ، مع عرض رأى كل فريق بأمانة ، والتعامل مع الأدلة بموضوعية وتجرد ، بغية الوصول إلى الحق فى هذا الموضوع المهم ، ابتغاء وجه الله وحده ، مع التقييم ، والتقويم وتقديم ما أعتقد أنه بديل شرعى ، يتلافى ما أخذه الذين ذهبوا إلى تحريم التأمين التجارى ، عليه من ملاحظات حتى لا يكون القول بالتحريم خلوا من البديل ، فيشق على الناس تركه ، وإيماناً بأن الله إذا حرم أمراً أو جدله بديلا مشروعاً من جنسه .

أدعو الله تبارك وتعالى أن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، وهو سبحانه الموفق والمعين .

تمهيـــــد

جرت العادة لدى غالبية الفقهاء أن يقدموا لدراسة عقد التأمين بتمهيد يدور حول الفكرة التى يقوم عليها نظام التأمين ، إذ أن هذه العملية هى الأساس الذى يقوم عليه عقد التأمين ذاته .

فالتأمين ليس من العقود التى تتم بناء على علاقة فردية بين شخصين ، بل يحتاج إلى تنظيم وأسس فنية لولاها لما أمكن ظهور التأمين ، ولما تميز عن غيره من التصرفات غير المشروعة التى تشتبه به كالرهان والمقامرة(٥) .

أهمية التأمين وضرورته فى نظر القانون :

والتأمين فى فقه القانون يهدف إلى توفير نوع

---

(٥) فالتأمين رغم أنه عقد بين طرفين ، هما : المستأمن والمؤمن ، إلا أن النظر إلى هذه العلاقة وحدها دون ملابسات التأمين ، من كثرة عدد المستأمنين ، وقيام المؤمن بدور الوسيط بينهم ، يجعل من عقد التأمين قماراً محرماً فى الشريعة والقانون ، ولهذا حرص الفقه فى مصر وفرنسا على إبراز الجانب الإحصائى أو الفنى فى التعريف ـ ومن هؤلاء الأساتذة هيمار ، وشافان ، وبيكار وبيسون راجع :

HEMARD, Theorie et partique des assurances terrester, paris. 1924 -- 1925 vol. I.P. 73.

A. CHAUFTON, les Assurances, 1984 P. 347.

PICARD. et BESSON. les assurances, Terrstes, Tome le contrat d'assurance 5'eme edition, par. Besson, L G D T. 1982, No. 10.

وفى الفقه المصرى : د. أحمد شرف الدين ـ أحكام التأمين ١٩٩١ ص ١١ ، د. خميس خضر ـ العقود المدنية الكبيرة ـ ص ٣٥٠ ، دار النهضة العربيـــــة ، ١٩٨٤م. د. سمير الشرقاوى ـ الخطر فى التأمين البحرى ـ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٦ ، د. نزيه المهدى ـ عقد التأمين ١٩٧٤ ، ص ٣٢ ، د. عبدالمنعم البدراى ـ التأمين مكتبة وهبة ١٩٦٣ ، ص. ١٥ د. محمد حسام الدين لطفى ـ الأحكام العامة للتأمين ـ ص ١٠ ، ١٩٨٨ .

من الضمان للجماعة من نتائج الأخطار التى تهدد حياتها أو أموالها ، ذلك أن أشد ما يشغل بال الإنسان العاقل هو المستقبل والغد ، والحاجة إلى الأمان هى التى تدفع الإنسان لأن يعمل لحياته ومستقبله كما لو كان سيعيش أبد الدهر .

ولو كانت مبادىء الإيمان راكـزة فى قلبه ما أقلقه الخوف من المستقبل ، ولكنه فى بحثه عن الأمان بعيداً عن ساحة تلك المبادىء ؟ يحاول أن يجد من يحميه ويؤمنه ، وهذا المؤمن تطور وتغير على مر العصور ، حيث بدأ بما يمكن أن يسمى بالتأمين الأسرى الناتج من تجمع أفراد تربطهم صلة القرابة بما تكفله من حق التناصر والحماية من المخاطر ، ثم ما لبث دور التأمين الأسرى أن تقلّص مع بداية القرن الثامن عشر ، حيث حدث تطور هام فى مجال الأسرة ، فقـد حلت المجتمعـات الصناعية محل الأسرة بمعناها الضيق التى تقوم فقط على أساس الزوجيـة وتجمـع الـزوج والزوجـة والأولاد القصر .

ولقد ساعد على ضعف التضامن الأسرى ، الأفكار الفلسفية التى سادت فى القرن الثامن عشر ، تلك الأفكار التى كانت تقدس الفرد وتوفر له أكبر قدر من الحرية ، فهى لا تقبل أن يذوب الفرد فى جماعة يخضع لتقاليدها وروابطها ، حيث أخذ قدراً كبيراً من الحرية والاستقلال تجاه أسرته .

كما ساعدت ظروف الحياة فى المدينة ، على تعرض الأفراد لمخاطر لم تكن تخطر ببالهم فى ظل المجتمعات الريفية التى كان يسود فيها نظام التأمين الأسرى ، يدل على جسامة المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها الفرد فى المدينة ، الحريق الذى حدث فى لندن سنة ١٦٦٦ ، والذى استمر أربعة أيام من (٢ ـ ٥ سبتمبر) من هذا العام وأتى على ما يزيد على خمسة أسداس المدينة ، وقد كان هذا الحريق سبباً فى ظهور بوادر التأمين بصورته العصرية[٦] ، فى أنواعه المتعددة وميادينه المختلفة .

حيث ظهـرت فى إنجلتـرا جمعيـات مختلفة لتعـويض الأضرار النـاجمة عن الحرائـق مثـل شركة (Fire Office) التى أنشئت سنة ١٦٨٠ ، وشركة (Frie enadly Sociecty) سنـة ١٦٨٤ وشركة (Hand in hand) سنة ١٦٩٦ .

وقد نشأت الصورة القديمة للتأمين فى إنجلترا سنة ١٣٠٠ ، حين كان التأمين ينصب على تغطية الخطر البحرى ، والخطر الناتج عن الأسر بواسطة القراصنة للإفراج عن الرهائن ، ومنذ منتصف القرن الخامس عشر بدأ التأمين على الحياة يظهر بعيداً عن مخاطر البحر ، ويتخذ شكل عقد يتم بصورة رسمية ، وكان التأمين على الحياة يتخذ فى ذلك الوقت صورة الرهان أكثر من التأمين ، فقد كان الناس يراهنون على حياة البابا أو الملك ، أو تحقق الزواج ، أو أن تصبح امرأة حامل ، وقد ساعد على عدم وجود التأمين بالمعنى الحقيقى فى تلك الفترة ، عدم التقدم العلمى الذى أدى فيما بعد إلى ظهور التأمين العلمـى ، حيث عرف الإحصاء وإحصائيات الوفاة وغيرها[٧]

(٦) د. عبدالودود يحى ـ أصول التأمين البرى الخاص ١٩٧٦ ـ ص ٧ ، د. عبدالرازق حسن فرج ـ عقد التأمين ١٩٨٥ ـ ص ١٠ د. أحمد شرف الدين ـ ص ١٧ ، وبيكار وبسيون ـ فقرة ٢ وارجع :

H. j. Mazeaud, M. de juglae, le,con de deout civil, T.3 vol, 2. peincipaux contrats, paris, 1974, P. 771.

(٧) د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١٠٧ .

وقد أدى قيام الثورة الصناعية والتقدم العلمى الحديث ، وما ترتب عليهما من زيادة الآلات الموجودة وانتشارها ، مثل السيارات والماكينات الصناعية ، ووسائل النقل البرى والبحرى والجوى ، إلى ظهور التأمين من المسئولية ، وهكذا فرضت ظروف الحياة التماس الأمان من خلال ما أسفر عنه التطور الحضارى من مخاطر أدت إلى وجود التأمين بأنواعه المختلفة(٨) .

وسوف نلقى الضوء على حقيقة التأمين من الناحية القانونية والعملية فى فصلين نخصص أولهما : للتعريف بالتأمين ، وثانيهما : لبيان أركانه ، كما يلى :

الفصل الأول

التعريف بالتأمين فى القانون

نتناول التعريف بالتأمين فى القانون من خلال ثلاثة مباحث ، نخصص أولها : لتعريفه ، ونخصص ثانيها : لبيان خصائصه ، أما الثالث فنخصصه لبيان وظائف التأمين .

المبحث الأول

تعريف التأمين

عرفت المادة (٧٤٧) من التقنين المدنى المصرى الحالى التأمين بقولها : « التأمين عقد يلزم المؤمن بمقتضاه ، أن يؤدى إلى المؤمن له ، أو إلى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغاً من المال ، أو إيراداً مرتبا أو أى عوض مالى آخر ، فى حالة وقوع الحادث ، أو تحقق الخطر المبين بالعقد وذلك نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

ويتضح من هذا النص : أن المشرع قد أوضح عناصر عقد التأمين ، وأنه يبرم بين طرفين ، هما المؤمن والمؤمن له(٩) ، وقد يوجد إلى جانب المؤمن

(٨) وقد شهد القرن العشرين ظهور أنواع جديدة من التأمين ، كالتأمين ضد السرقة والتأمين ضد الإصابات المدنية ، والتأمين ضد مخاطر الحروب ، والتأمين الجوى ، وتأمين المحاصيل ، وتأمين البترول ، راجع : بيكار وبيسون ـ السابق ، د. أحمد شرف الدين ، ص ١٧ ، د. حسام لطفى ـ السابق ص ١٧ ، وراجع : د. برهام عطا الله ، التأمين من الوجهة القانونية والشريعة ـ مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٥ وما بعدها .

(٩) تحظى هذه التسمية بميول جانب كبير من الفقه راجع : د. أحمد شرف الدين ـ السابق ص ١٤ ، د. حمدى عبدالرحمن ـ مذكرات فى عقد التأمين ـ فقرة ٤١ ، دار النهضة العربية ١٩٧١ ، د. جلال محمد إبراهيم عقد التأمين ـ ص ١٨ طبعة ١٩٨٠ د. خميس خضر ـ السابق ، ص ٣٥٠ ، د. حسام الدين كامل الأهوانى ـ المبادىء العامة للتأمين ، ص ١٣ ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ ورسالة : محمد يوسف صالح الزغبى ـ عقد التأمين ، دراسة مقارنة بين القانون الوضعى والفقه الإسلامى ، من جامعة القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٣٢ وقارن ، د. عبدالحى حجازى ـ التأمين ـ ص ١٤٩ وما بعدها ـ طبعة ١٩٥٨ ، حيث يسمى المؤمن له فى مقابلة شركة التأمين بالمتعاقد ، بينما يرى البعض تسميته بالمستفيد ، راجع : د. محمد برهام عطا الله ـ أساسيات التأمين ـ ص ٢٠ ـ الدار المصرية الحديثة ١٩٨٢ ، د. عبدالودود يحيى ـ دروس فى العقود المسماة ـ ٣١٣ ، دار النهضة العربية ١٩٧٨ ، د. نزيه المهدى ـ السابق ـ ص ٣٢ ، ويرى الأستاذ الدكتور السنهورى : ـ أن المستأمن ـ طالب التأمين والمؤمن له : لقب للمستأمن بعد التعاقد ، الوسيط ، جـ ٧ / ٢ فقرة ٥٧٢ ، طبعة ١٩٦٤ ، دار النهضة العربية ويرى مجمع اللغة العربية : إطلاق لفظ المستأمن على طالب التأمين ، راجع : مجموعة المصطلحات العملية والفنية التى أقرها المجمع ، جـ ٥ ، ص ١١١ ، وراجع : د. عبدالرازق حسن فرج ـ السابق ـ ص ٥ ، د. محمد حسام لطفى ، ص ٩ ، حيث يقرر أن هذا التعريف يتسم بسهولته ويسره ، بيد أن إهماله لأهم جانب من جوانب التأمين هو الذى حال بينه وبين القبول التام له من الفقه

له شخص آخر يتقاضى مبلغ التأمين ، ويسمى بالمستفيد ، كما يتضح من التعريف : أن التأمين يقوم على أساس حدوث خطر يخشى وقوعه ، ويهدف المؤمن له إلى تأمينه منه ، كما أوضح التعريف أن المؤمن له : يلتزم بأداء قسط التأمين ، أو الاشتراك ، أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها للمؤمن ، كما يلتزم المؤمن بدوره ، بالقيام بدفع مبلغ التأمين للمؤمن له أو المستفيد ، إذا ما تحقق الخطر ، ويشمل التعريف ـ أيضاً ـ التأمين ضد الأضرار والتأمين على الأشخاص على حد سواء .

ورغم أن هذا التعريف يمتاز بإيضاحه للعلاقة بين المؤمن والمؤمن له ، وهي علاقة قانونية ، فهو مع ذلك لم يشر إلى اعتبار التأمين عقداً تعويضياً ، يراد به تعويض المؤمن له عن خسارة احتمالية ، كما أنه لم يوضح الأسس الفنية التي يقوم عليها التأمين ، لهذا فإن خير تعريف لعقد التأمين لدى معظم الفقهاء هو ما عرّفه به الفقيه الفرنسي (هيمار) بأنه : (عملية يحصل بمقتضاها أحد الطرفين وهو المؤمن له نظير دفع قسط على تعهد لصالحه ، أو لصالح الغير ، من الطرف الآخر وهو المؤمن ، بمقتضاه يدفع هذا الأخير أداء ، معيناً عند تحقق خطر معين ، وذلك عن طريق تجميع مجموعة من المخاطر وإجراء المقاصة بينها وفقاً لقوانين الإحصاء)[10] .

ومن المؤكد أن ذلك التعريف يعتبر جامعا لأبرز العناصر القانونية للتأمين ، وهي طرفا العقد ، والخطر المؤمن منه والقسط والمبلغ الذى يدفعه المؤمن عند تحقق الخطر ، كما أنه يصدق على نوعى التأمين من الأضرار ، والتأمين على الأشياء ، والتأمين من المسئولية والتأمين على الأشخاص ، كما يصدق كذلك بالنسبة للتأمين التعاونى وبالنسبة للتأمين ذى الأقساط الثابتة كما أنه لم يقف عند الحدود التى وقفت عندها المادة (٧٤٧) مدنى ، سالفة الذكر ، وإنما نظر إلى الناحية الفنية والطبيعية ، وإجراء المقاصة بينها وفقاً لقوانين الإحصاء[11] ، وإذا كان تعريف القانون المدنى المصرى لم يتضمن تلك الزيادة فإنها يمكن اعتبارها ـ فى نظره ـ مجرد احتراز فقهى .

المبحث الثانى

خصائص عقد التأمين

عقد التأمين هو الأداة القانونية التى يتحقق بها التأمين . ومن تعريف عقد التأمين وفقاً لنص المادة (٧٤٧) مدنى مصرى ، وما أضافه الفقه مما يبرز الجوانب الفنية والإحصائية فى التعريف يتضح أن

(١٠) راجع : مؤلف الأستاذ هيمار ـ السابق ـ ص ٧٣ ، وأنظر بصفة خاصة فى التركيز على الجانب الفنى فى عملية التأمين : الأستاذ شافان ـ السابق ـ ص ٣٧٤ .

(١١) د. حسام الأهوانى : المبادىء العامة للتأمين ص ١٤ ، د. عبدالرازق حسن فرج : المرجع السابق ص ٨ ، د. عبدالرازق السنهورى : الوسيط جـ ٧ ص ١٠٨٦ ـ المجلد الثانى ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ ، وراجع : د. خميس خضر ، السابق ، ص ٣٥١ د. أحمد شرف الدين ، السابق ، ص ١٤ .

لهذا العقد خصائص يمكن إجمالها فى أنه : عقد رضائى ، وهو عقد معارضة ملزم للجانبين ، كما أنه عقد مستمر ، واحتمالى ، ومن عقود الإذعان ، وحسن النية ، وهو قد يكون تجارياً كما قد يكون مدنياً ، ونشير إلى ذلك بشىء من التفصيل .

أولا : عقد التأمين ، عقد رضائى :

يعتبر عقد التأمين من العقود الرضائية ، فهو ينعقد فى الأصل بإيجاب وقبول ، ولا يلزم لانعقاده أى شكل خاص[١٢] .

ويرى بعض الفقهاء أن المشرع المصرى فى المادة (٧٥٥ / ١ مدنى) يستلزم الكتابة كركن لانعقاد التأمين على حياة الغير[١٣] ، وهذا الرأى محل نظر ؛ لأن النص صريح فى أن هذه الكتابة يجب أن تكون قبل العقد فهى لا تدخل فيه ، كما أن الغير المؤمن على حياته ليس طرفاً فى العقد[١٤] .

ثانياً : عقد التأمين من عقود المعاوضات :

يعتبر عقد التأمين من عقود المعارضات ، ففيه يأخذ كل من المتعاقدين مقابلا لما أعطى ، فالمؤمن يأخذ قسط التأمين فى مقابل تحمل الخطر المؤمن منه ، فضلا عن أنه يقوم بدفع مبلغ التأمين إذا ما وقع هذا الخطر ويلتزم المؤمن له بدفع قسط التأمين مقابل الحصول على الأمان من الخطر .

ثالثاً : عقد التأمين ملزم للجانبين :

ينشىء عقد التأمين التزامات متبادلة على عاتق كل من المؤمن والمؤمن له ؛ فالمؤمن له يلتزم بدفع أقساط التأمين وبيان أوجه الخطر والإعلان عن تفاقمه ، ويلتزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، ويستفاد هذا مما تنص عليه المادة (٧٤٧) حين عرفت عقد التأمين بقولها : « يلتزم المؤمن بأن يؤدى إلى المؤمن له أو إلى المستفيد مبلغاً من المال أو إيراداً مرتباً أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له إلى المؤمن[١٥] .

رابعاً : التأمين عقد مستمر :

يعتبر عقد التأمين من العقود المستمرة ، لأن الزمن عنصر جوهرى فيه ذلك أن المؤمن يلتزم قبل المؤمن له ابتداء من تاريخ معين إلى نهاية وقت آخر معين هو وقت وقوع الحادث أو الخطر للمؤمن منه ويظل المؤمن ملتزماً بضمان الخطر على نحو مستمر طوال مدة التأمين ومن ناحية أخرى فإن التأمين بالنسبة إلى المؤمن له يعتبر أيضاً عقداً مستمراً فهو يظل ملتزماً منذ إنعقاد العقد بدفع أقساط التأمين سنوياً بل أنه يظل مستمراً بالنسبة له حتى ولو كان التأمين قد تم فى مقابل قسط واحد يدفع مرة واحدة ؛ لأن أداءه إنما يكون بالنظر إلى مدة معينة ، ويلتزم المؤمن بضمان الخطر طول مدة التأمين بشكل مضطرد مستمر .

---

(١٢) السنهورى ــ الوسيط ــ السابق ــ ص ١١٣٨ ، د. حسام الأهوانى ، ص ١٠٣ ، د. محمود سمير الشرقاوى ــ ص ١ ، د. عبدالرازق حسن فرج ، ص ١١٦ ، د. عبدالحى حجازى ــ ص ١٥٥ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ ص ٢٤٦ ، د. خميس خضر ــ ص ٤١٤ ، د. أحمد شرف الدين ص ٧١

(١٣) د. عبدالمنعم البدراوى ــ ص ٢٤٦ .

(١٤) د. أحمد شرف الدين ص ٧٢ .

(١٥) السنهورى ــ ص ١١٢٩ ، د. عبدالودود يحيى ــ ص ١١٥ ، د. عبدالحى الحجازى ــ ص ١٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص ٧٥ ، وبيكار وبيسون ــ ص ٦٨ .

خامساً : التأمين من العقود الإحتمالية أو عقود الغرر :

والعقد الإحتمالى : هو العقد الذى لا يستطيع فيه كل من المتعاقدين أو أحدهما وقت العقد معرفة مدى ما يعطى أو يأخذ من العقد ، فلا تتحدد مدد تضحيته إلا فى المستقبل تبعاً لأمر غير محقق الحصول أو غير معروف وقت حصوله .

وعقد التأمين من العقود الاحتمالية ، لأن دفع العوض أو مبلغ التأمين معلق على تحقق الخطر ، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤمن له فى عقد التأمين فإن مدى ما يدفعه من أقساط هو الآخر متوقف على المصادفة للتعلقة بوقوع الخطر أو بتاريخ تحققه .

فالاحتمال هو من طبيعة التـــأمين بل من مستلزماته أيضاً(١٦) .

سادساً : عقد التأمين من عقود إذعان :

لم ينازع أحد فى اعتبار التأمين من عقود الإذعان ، أى تلك العقود التى لا يملك فيها أحد المتعاقدين فى شروط العقد إلا أن يقبلها كما هى أو يرفضها دون مناقشة أو تعديل ، وهذا ما عبرت عنه المادة (١٠٠) من التقنين المدنى المصرى الحالى بقولها : « القبول فى عقود الإذعان يقتصر على مجرد التسليم بشروط مقررة يضعها الموجب ولا يقبل مناقشة فيها » .

ومن أجل هذا فإنه يجب حماية المؤمن له وهو الطرف المذعن ، وهذا ما اتجه إليه القضاء ، كما اتجه إليه المشرع فى التقنين المدنى المصرى الحالى ، فنص فى المادة (١٤٩) على أنه : « إذا تم العقد بطريق الإذعان وكان قد تضمن شروطاً تعسفية ، جاز للقاضى أن يعدل هذه الشروط أو أن يعفى الطرف المذعن منها ، وذلك وفقاً لما تقضى به العدالة ، ويقع باطلا كل إتفاق على خلاف ذلك(١٧) .

وأوضحت المادة (١٥١ / ٢) مدنى : أن الشك يفسر لمصلحة المدين ، وأضافت فى فقرتها الثانية قولها : « ومع ذلك لا يجوز أن يكون تفسير العبارات الغامضة فى عقود الإذعان ضاراً بمصلحة الطرف المذعن » . ومؤدى هذا أن الشك يفسر لمصلحة المذعن ، وهو هنا المؤمن له دائناً كان أو مديناً(١٨) ، هذا ومن خصائص عقد التأمين أنه من

---

(١٦) د. أحمد شرف الدين ـ ص ٧٧ ، السنهورى ـ فقرة ٥٩٩ ، د. عبدالحى حجازى ـ فقرة ١٣٣ ، لامبير ـ ص ٧٠ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ٤٢ .

(١٧) وتأكيداً لذلك نصت المادة (٧٥٣ مدنى مصرى) على أنه : « يقع باطلا كل إتفاق يخالف أحكام النصوص الواردة فى هذا الفصل ، إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المستفيد » ، وطبقت محكمة النقض المصرية ذلك بصدد التأمين ضد الحريق ، واضعة فى اعتبارها أن المادة (٧٦٧) تنص على أنه : « يضمن المؤمن تعويض الشىء المؤمن عليه » ، وقضت ببطلان شرط فى وثيقة التأمين يقضى بعدم ضمان المؤمن للأضرار التى تلحق الشىء المؤمن عليه بسبب الاحتراق الذاتى إلا بنص صريح فى الوثيقة ، راجع : حكم النـقض المدنى المصرى فى ١٩٦٥/١٢/٢٨ المجموعـة : س ١٦ ـ ص ١٣٤٧ رقم ٣١١ ، وبتاريخ ١٩٦٠/٢/١٨ ، المجموعة س ١١ ، ص ١٧٤ ، وبتاريخ ١٩٦٦/١٢/٢٨ ، المجموعة س ١٧ ، ص ١٤٦٣ ، رقم ٣٠٤ ، وبتـاريخ ١٩٧٠/١٢/٢١ ، المجموعة س ٢٢ ، ص ١٣٠٥ ، رقم ٣١٤ .

(١٨) أ.د. عبدالرازق حسن فرج ـ عقد التأمين ص ١٢٢ وما بعدها .. د. أحمد شرف الدين ص ٧٢ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ٢٥٢ ، د. السنهورى ـ ١١٤١ .

عقود حسن النية ، كما أنه قد يكون مدنياً وقد يكون تجارياً[١٩] .

المبحث الثالث
وظائف التأمين

يقوم التأمين بعدة وظائف هامة فى العصر الحديث ، وهذه الوظائف تعود فائدتها على الفرد والمجتمع بأسره وتتمثل تلك الوظائف فيما يلى :

أولا : التأمين من عوامل الأمان :

من المؤكد بالنسبة لطالب التأمين على الأقل أنه يحقق له الأمان ، سواء بالنسبة للفرد أو على مستوى الجماعة ، فالتأمين يجعل الإنسان ينظر إلى المستقبل بثقة ، فهو يحميه ضد مخاطر الزمن التى قد تصيب الشخص فى جسمه ، وصحته ، وذمته المالية ، ولا شك أن إحساس الفرد بالأمان من أهم العوامل التى تدفعه إلى أداء دوره فى المجتمع على أكمل وجه ، وينتج بصورة فعالة ، والتأمين يحقق ذلك ، وهذه الوظيفة التى يكفلها التأمين نجدها واضحة فى تأمين الأضرار[٢٠] ، وفى تأمين الأشخاص .

(أ) ففى التأمين من الأضرار ؛ قد يؤمن الشخص على منزل لا يملك غيره ضد الحريق . فإذا ما احترق هذا المنزل فى وقت ما ، فقد ذهب كل ما يملكه من حطام الدنيا . وتحطمت آماله ، وعند هذه الحالة تدفع له شركة التأمين المبلغ المتفق عليه بشرط أن لا يتجاوز مقدار الضرر الذى حدث[٢١]

(ب) وفى التأمين من المسئولية : التى ازدادت حالاتها وكثرت فى عصرنا الحديث ، على أثر تقدم الصناعة وازدهارها ، وجدت إلى جانب المسئولية المبنية على أساس الخطأ الشخصى ، المسئولية التى مبناها تحمل المخاطر حيث يستطيع الشخص عن طريق التأمين أن يحصل على مواجهة الكوارث ، وبالتالى الإقدام على مباشرة نشاطه فى حرية واطمئنان ، ويتسع نطاق معاملاته مما يؤدى إلى زيادة الإنتاج الفردى والقومى .

(جـ) وفى التأمين على الأشخاص ؛ يؤمن الشخص على حياته لمصلحة أولاده مما يدعو إلى بث روح الأمن والطمأنينة فى النفوس ، ذلك أن كثيراً من الأفراد يعتمدون فى الكثير الغالب على ما يدره عملهم ، والإنسان معرض لعجز قد يقعده ، عن العمل ، أو مرض يهدده كما أن الموت مكتوب عليه ويخشى أن يترك من ورائه ذرية ضعافاً يخشى عليهم ، وعن طريق التأمين يستطيع أن يتقى[٢٢] هذه المخاطر .

---

(١٩) د. محمد على عرفه ـ ص ٩٦ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٥٠ ، د. أحمد شرف الدين ، ص ٧٤ ، وتكون صفة العقد مدنيا أو تجاريا بحسب صفة كل طرفيه ، إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك .

(٢٠) د. عبدالرازق حسن فرج ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢ ، ود. حسام الأهوانى ـ ص ١٧ وما بعدها ، ود. نزيه المهدى ـ عقد التأمين ـ ص ٤٥ ، ود. عبدالناصر العطار ـ ص ٥ ود. عبدالودود يحيى التأمين على الحياة ـ ص ٤٢ ، وبيكار وبيسون ـ ص ١٣ .

(٢١) د. محمد حسام ـ ص ٣٣ وما بعدها ، د. خميس خضر ـ فقرة ٢٣١ ، د. عبدالمنعم الدراوى ـ فقرة ٧ .

(٢٢) د. عبدالرازق حسن فرج ـ نفس المكان ، ود. حسام الأهوانى ص ١٧ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ـ فى التأمين ص ١٥٣ ، ود. محمد على عرفه ص ٨٣ ، ود. عبدالحى حجازى ص ٨٣ ، د. محمد حسام ، ص ٣٤ ، د. عبدالناصر العطار ، ص ٦ ، د. نزيه المهدى ـ ص ٤٩ .

ثانياً : التأمين أداة للتنشيط الإئتمان :

يعتبر التأمين عاملا من عوامل تنشيط الإئتمان ، فمن ناحية يعتبر التأمين وسيلة لحصول الأفراد على ما يحتاجون إليه من قرض ، وذلك بتقديم مال من أموالهم ضماناً لهذا الغرض فيقرر المدين للدائن رهنا على عقار من عقاراته أو منقول من منقولاته ، فإذا بقى هذا المال موجوداً ولم يتلف ، فإن ضمان الدائن يظل باقياً إلا أن هذا المال المرهون قد يسرق أو يحترق ، فيضيع ضمان الدائن ، ولهذا فإنه يكون للدائن مصلحة فى أن يؤمن على الشىء المرهون ضد السرقة أو ضدُ الحريق ، فإذا ما حدث حريق أو سرقة حل التأمين محل الشىء المرهون وانتقل حق الدائن المرتهن إلى التعويض المستحق للمدين ، وقد نصت على هذا المادة (٧٧٠ / ١) من التقنين المدنى المصرى .

وكثيراً ما يحتفظ الدائن لنفسه بالحق فى أن يدفع قسط التأمين إلى المؤمن إذا أهمل المدين أو امتنع عن ذلك ، على أن يكون له الرجوع عليه بها بعد ذلك .

بالإضافة إلى ذلك : فإن التأمين يساعد الدولة فى الحصول على ما تحتاجه من قروض إذ تحتفظ شركات التأمين باحتياطى كبير توظفه فى شراء السندات التى تصدرها هى والهيئات العامة ، وهذا يؤدى إلى تقوية الإئتمان العام حد كبير(٢٣) .

ثالثاً : التأمين وسيلة للإدخار :

كذلك يعتبر التأمين وسيلة لتكوين رءوس الأموال ، فمن خلاله يمكن تجميع مبالغ طائلة من الأقساط التى يدفعها المستأمنون والتى يغلب أن تكون أكثر من التعويضات التى تلزم منه . وتحتفظ بجزء آخر بمثابة احتياطى ، ويستغل الجزء الباقى فى تمويل المشروعات الخاصة بالأفراد وبالدولة ، وهذه الأموال التى تجمعها شركات التأمين سواء أكانت أقساط أو رأس مال الشركة أو احتياطات تفيد المستأمنين وتعود على الاقتصاد القومى بالنفع(٢٤) .

رابعاً : التأمين من عوامل الوقاية :

يهدف التأمين إلى توقى المخاطر ، فإذا حاقت ، المؤمن له كارثة فإنه يجد من مبلغ التأمين ما يعوضه عما أصابه وهذا هو الغرض المباشر من التأمين .

وللتأمين فضلا عن هذا غرض غير مباشر ، وهو الوقاية من المخاطر والعمل على تقليل الحوادث ، وذلك يتلافى أسبابها وتجنب وقوعها ، ويتحقق هذا عن طريق جمعيات تكونها شركات التأمين فيما بينها فتقوم هذه الجمعيات ببحث أسباب المخاطر والعمل على توقيها ، وذلك كالعمل على توقى الحرائق وإصابات العمل وحوادث السيارات ، وهى تهدف من وراء ذلك إلى الحد

---

(٢٣) د. عبدالودود يحيى ـ العقود المسماة ـ ص ٣٠١ ، د. خميس خضر ، فقرة ٢٣٤ ، د. نزيه المهدى ـ ص ٥٢ ، محمد حسام ـ ص ٣٧ ، وبيكار وبيسون ـ السابق .

(٢٤) د. عبدالرازق السنهورى ص ١١١٤ ، د. محمد حسام ـ ص ٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص ٢٧ ، وبيكار وبيسون ـ ص ١٥ .

من التعويضات التى تلزم شركات التأمين بدفعها .

وقد تلجأ شركات التأمين إلى اتباع الوسائل التى تشجع المستأمين على مراعاة الحيطة ، ومن ذلك تخفيض قسط التأمين الذى يدفعه المؤمن له بنسبة معينة ، أو إشراك المستأمنين فى الأرباح إذا قلت نسبة الحوادث فى السنة الماضية عن معدلها ، ومثل ذلك فى التأمين من حوادث السيارات إذ تقوم بتخفيض القسط السنوى عاماً بعد عام بنسبة معينة ، إذا لم يقع من المستأمنين حادثة فى العام السابق(٢٥) .

خامساً : الدور الدولى للتأمين :

ونظراً لتشابه المخاطر فى الدول المختلفة ، فإن مجال التأمين يتعدى حدود الدولة ويمتد إلى الدول الأخرى ، وذلك من خلال طريقتين :

الأولى : قيام الشركات الوطنية بإبرام عقود تأمين مباشرة عن أخطار وقعت فى الخارج ، وذلك بواسطة وكلائها وفروعها الموجودة هناك .

الثانية : قيام شركات التأمين بإعادة التأمين ، فهى بعد أن تتعاقد مع المؤمن لهم فى داخل الدولة تقوم بالتعاقد مع شركات أجنبية بقصد تحميلها بجزء من الأخطار بدلا من أن تتحمله الشركة وحدها إزاء عملائها فى الداخل ، فيمكن بذلك أن يتحمل معيد التأمين فى الخارج بجزء من الأضرار ، فتتوزع بهذا الآثار المترتبة على الكوارث بين شركات التأمين فى الدول المختلفة بدلا من أن تتحمل بها الشركات المحلية وحدها ، ويحقق هذا نوعا من التوازن والإستقرار العام ، كما أن هذا الطابع الدولى للتأمين قد يعين على توحيد أحكامه خاصة وأن المشاكل التى تثيرها تكاد تكون متشابهة فى الدول المختلفة(٢٦) .

سادساً : الجوانب الأخلاقية فى التأمين :

والتأمين ليس عملية مادية بحته لا صلة لها بالأخلاق ، ولا يقلل من ذلك أن الصفة الإحتمالية قد تجعله يبدو لأول وهلة وكأنه من أعمال المضاربة أو القمار الذى لا يتفق مع مبادىء الأخلاق ، إذا الواقع أن هناك أسسا أخلاقية يقوم عليها نظام التأمين ، مثل فضيلة التبصر للمستقبل والإستعداد له ، أو الإيثار لدى المؤمن له ، أو التعاون على البر والتقوى ، وقد وضع المشرع من القواعد ما يهدف من ورائه إلى منع الخروج على المبادىء الخلقية ومن ذلك :

١ ـ أنه قد وضع تنظيماً آمراً لعقد التأمين لحماية المؤمن له وهو الطرف الضعيف فى العقد ، وقد نصت المادة (٧٥٣) مدنى على أنه : « يقع

---

(٢٥) د. حسام الأهوانى ـ ص ٣٣ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ١٦١ ، د. عبدالرازق السنهورى ـ فقرة ١٠٨٧ ـ ، د. محمد كامل مرسى ـ العقود المسماة ـ جـ ٣ ـ عقد التأمين فقرة ١٤ ، ط ١٩٥٢ .

(٢٥) د. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ١٧٤ ، ود. حسام الأهوانى ص ٢٠ ، ود. عبدالرازق حسن فرج ـ ص ٣٤ .

(٢٦) د. حسام الأهوانى ـ ص ١٩ ، د. أحمد شرف الدين ص ٣٤ ، د. عبدالحى حجازى ص ٦٠ ، د. أحمد شرف الدين ـ فقرة ٣ .

باطلا كل إتفاق يخالف أحكام النصوص الواردة فى هذا الفصل إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المستفيد .

٢ ـ عمل المشرع على بسط رقابيته على الهيئات التى تقوم بالتأمين حتى يمنعها من استغلال المؤمن لهم .

٣ ـ كذلك فإن مما يتفـــق مع قواعـــد الأخلاق ، ما يقضى به المشرع من عدم المسئولية عن الأضرار الناشئة عن الفعل العمدى الصادر من المؤمن له ، وبطلان كل شرط يخالف ذلك ، وإلا لكان فى استطاعة المؤمن له أن يتسبب عمداً فى وقوع الكارثة ليحصل على مبلغ التأمين ، ومثل ذلك أن يقوم بإحراق الشىء المؤمن عليه عمدا ، وقد نصت على هذه المادة (٧٦٨ / ١) مدنى .

وكذلك فإن تأثير القواعد الخلقية فى التأمين يبدو واضحاً فى الصفة التعويضية لتـــأمين الأضرار ، ففى هذا النوع من التأمين يقتصر المؤمن على تعويض الخسارة وفى حدودها حتى لا يكون التأمين مصدر إثراء وكسب بدون سبب[٢٥] .

وقد وضع المشرع قواعد تهدف إلى مجازاة المتعاقد الغشاش والمدلس فى عقد التأمين ، سواء أكان ذلك عند انعقاد العقد أم فى أثناء تنفيذه أم عند وقوع الكارثة ، وهذا ما يعبر عنه بأن عقد التأمين من عقود حسن النية ، والمؤمن له يلزم بأن يدلى بكافة البيانات الصحيحة ، التى يكون من شأنها إحاطة المؤمن علما بقدر الخطير المؤمن منه وجسامته ، فإذا أخفى المستأمن الحقيقة عمداً أو دلّس على المؤمن بشأنها ، حرم من حقه فى التأمين ، ومن المقرر كذلك أن حق المؤمن له يسقط إذا تعمد زيادة الخطر ، فهذه المبادىء وغيرها تبرز مقدار الجانب الخلقى فى التأمين .

---

(٢٧) د. حسام الأهوانى ـ ص ٣٣ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ١٦١ ، د. عبدالرازق السنهورى ـ فقرة ١٠٨٧ ـ ، د. محمد كامل مرسى ـ العقود المسماة ـ جـ ٣ ـ عقد التأمين فقرة ١٤ ، ط ١٩٥٢ .

تحذير المسلمين من الغزو الفكرى

للدكتور محمود محمد رسلان

يقال عن العصر الحاضر : عصر الكلمة ، عصر العلم ، عصر الثقافة ، ثم تبقى الحقائق فى النهاية بعد الطنطنة ، إذ البقاء للأصلح : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(١)

بيد أن الثقافات الغربية تحاول السيطرة على الأمم وبخاصة المسلمين بكل ما أوتيت من أساليب المكر والدهاء لأن الأمة الإسلامية فى نظرها العقبة الكؤود أمام نجاحهم إذ للإسلام ثقافته الثابتة البنيان الراسخة الأصول التى تستمد من القرآن الكريم فلا تخطىء ، ومن السنة النبوية الشريفة فلا تزيغ ، ومن ثم لجأت هذه الثقافات إلى ميدان الكلمة ــ مقروءة أو مسموعة ــ مستخدمة أساليب لا يرضاها الخلق ولا مناهج العلم ، فقام المستشرقون والمنصرون ومن سار فى ركابهم وتبطن عباءتهم من الزائغين ، متخذين من ثقافاتهم هدفا لهز العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين لكن الإسلام الحنيف لهم بالمرصاد ، يكشف علماؤه ألاعيبهم ، ويحذرون المسلمين مكرهم ودهاءهم ، وقد بين القرآن فى أكثر من آية أن أعداء الإسلام والمسلمين لن يملوا من إيجاد سبيل أو سبل ليطوا أمة الإسلام فكريا ، تحت غاياتهم وأهدافهم ، ويرغموهم على الدوران فى فلكهم من هذه الآيات المحذرة قول الله تعالى :

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(٢).

وقوله ــ سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(٣) وقوله ــ تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(٤)

وحيث إن المسلم يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد عمد المستشرقون والمنصرون

(١) الأنبياء : ١٨

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) آل عمران : ١١٨

(٤) آل عمران : ١٤٩

إبتداء ثم بواسطة تلاميذهم إلى النيل من الكتاب والسنة بتشويه صورتهما لدى المسلمين فعمدوا إلى ترجمة القرآن ترجمة ضالة ليشوهوه أولا ، ثم ليصلوا ــ من بُعدٍ ــ إلى أهدافهم ، وأنطلق فى فلكهم من الزائغين من يتقدم باسم البحث العلمى ليجعل القرآن حديثا بشريا ينال منه النقد ما يشاء منطلقــا من حيث أراد المستشرق « جب » فى كتابه « المذهب المحمدى » حيث يقول : إن هذا الإسلام مذهب وليس بدين[٥] « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ سورة الكهف

إن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله تعالى لعباده من قديم ، قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ويرد القرآن مفنداً مزاعم هؤلاء المبطلين مبينا أن محمداً ﷺ رسول الله إلى الناس كافة ، وللعالمين جميعا ، وأنه تلقى القرآن الكريم من ربه ، قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [٦]

وقال سبحانه لرسوله ﷺ « قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ »[٧]

وقال سبحانه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

وقال ــ عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٩]

وقال تبارك وتعالى :

« وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[١٠]

فالقــرآن الكــريم : هو وحـــى الله ــ سبحانه ــ إلى نبيه محمد ﷺ الذى أرسله رحمة للعالمين .

والسنة حجة ، وليس لحديثهم فيها أثر على إيمان المسلمين اللهم إلا من ضلَّ فاتخذهم محرابا يحرق تحت أقدامهم بخور زيغة ، قال ــ تعالى :

« مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء ــ ٨٠ ، وقال ــ تعالى : « وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » النور ٥٦ .

ومصدر طاعة الرسول ﷺ إنما يعرف من قوله وفعله وإقراره أى : من سنته ــ عليه الصلاة والسلام ــ وهذا الجزء من عقيدة المسلم لن يتغير مهما قالوا بعدم حجية السنة .

وللأستاذ الدكتور محمد محمد أبوشهبة مواقفه العلميــة فى رد ترهــات أولــئك الخصوم[١١] : مستشرقين وتابعين .

ومثله أيضا الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه : « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى »[١٢] يقول الدكتـــور السباعـــى

(٥) المذهب المحمدى : للمستشرق (جب) ص ٢٧ : ٣٨ بإيجاز ، وأنظر د. محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ١٧٨ وما بعدها باختصار .

(٦) النمل : ٦

(٧) الأنعام : ٥٠

(٨) سبأ : ٢٨

(٩) الأنبياء : ١٠٧

(١٠) الشورى : ٥٢

(١١) طبعة الأزهر سنة ١٩٦٧م

(١٢) طبع سنة ١٩٦٦م

ـ رحمه الله ـ فى كتابه رداً على تلك المزاعم :
« لا نزاع بين العلماء فى أن نصوص السنة على ثلاثة أقسام :

أولا : ما كان مؤيدا لأحكام القرآن موافقا له من حيث الإجمال والتفصيل ، وذلك مثل الأحاديث التى تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم .. الخ من غير تعرض لشرائطها وأركانها فإنها موافقة لآيات القرآن الكريم فى ذلك مثل حديث : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا »(١٣) فهذا الحديث موافق لقوله سبحانه : « وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ »(١٤) وآيات الصوم ، والحج فى القرآن الكريم .

ثانيا : ما كان مبيناً لأحكام القرآن من تقييد مطلق ، أو تفصيل مجمل ، أو تخصيص عام كالأحاديث التى فصلت أحكام الصلاة والزكاة والحج ، والبيوع والمعاملات التى وردت مجملة فى القرآن الكريم ، وهذا القسم هو أغلب مافى السنة ، وأكثرها ورودا .

ثالثا : ما دل على حكم سكت عنه القرآن الكريم ، فلم يوجبه ولم ينفه كالأحاديث التى أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وأحكام الشفعة ، ورجم الزانى البكر المحصن ، وتغريب الزانى البكر وإرث الجدة وغير ذلك(١٥)

(ومن دليل حجية السنة) إجماع الصحابة رضى الله عنهم على الاحتجاج بالسنن والأحاديث ، والعمل بها ويشهد لذلك ما يلى :

إقراره ﷺ لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن قاضيا حيث قال له : « بم تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فإن تجد ؟ قال أجتهد رأيى ، ولا آلو : فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله(١٦)

لقد وضع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ نصب أعينهم هذا الأمر موضع التنفيذ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ ومن ثم أرجعوا كل ما جاءت به السنة إلى هذه الآية الكريمة .

وأما الأصوليون والفقهاء فقد اتفقوا على أن أدلة الأحكام هى : الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس :

كتب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى شريح القاضى : انظر ما استبان لك فى كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا ، وما لم يستبن لك فى كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ(١٧)..

أهداف الأعداء

١ ـ فصْل المسلمين ، وإبعادهم عن أصول دينهم بتشويه تلك الأصول وعزلها عن مصادرها . وهدم المقومات الأساسية لمنهج الإسلام لدى الفرد والجماعة .

---

(١٣) البخارى : كتاب الإيمان : ١ : ١١ ، مسلم : كتاب الإيمان : ١ : ٤٥ باب أركان الإسلام .

(١٤) البقرة : ٤٣

(١٥) السنة ومكانتها فى التشريع : ص ٣٧٩ وما بعدها

(١٦) سنن الدارمى : المقدمة : ١ : ٦٠ .

(١٧) المرجع السابق وأنظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٥٠

٢ ــ الحيلولة بين الشعوب الغربيـة ، وبين الإسلام ، حيث عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب نوره ؛ لإقناع قومهم بعـدم صلاحيته لهم ، وهذا الغرض هو ما بذل من أجله المستشرقون الجهد الكثير وبخاصة بعد الحروب الصليبية ، حيث عاد المحاربون إلى أوربا يحملون الصورة المشرقة للإسلام والمسلمين إلى أهليهم ومواطنيهم .

٣ ــ تأييد الغزو الاستعمارى لبلاد المسلمين والعمل على تحطيم المقاومة الإسلامية بالتأويل فى الجهاد ، وصرف أنظار المسلمين عن الشريعة الإسلامية وعن تطبيقها فى المجتمع الإسلامى ، وإحلال النظم الوضعية محل النظم الإسلامية فى البلاد التى تدين بالإسلام[١٨]

وفى ذلك يقول ــ عز وجل : « ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[١٩]

قال القرطبى فى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » ــ الإطفاء : هو الإخماد ، يستعملان فى النار ، ويستعملان فيمـا يجرى مجراهـا من الضياع والظهور ، والفرق بين الإطفاء والإخماد أن الاطفاء يستعمل فى القليل فيقـال أطفـأت السراج ، ولا يقال أخمدت السراج .

وجاء فى « نور الله » عز وجل ما يلى :

(أ) إنه القـرآن يريـدون إبطالـه وتكذيبـه بالقـول ، وهـذا عين ما ينـادى به الملحـدون والعلمانيون اليوم ، والتعبير بالفعل المضارع يفيد الحال والاستقبال .

(ب) إنه الإسلام يريدون دفعه بالكلام .

(جـ) إنه محمد ﷺ يريدون هلاكه أو النيل منه بالأراجيف .

(د) إنه حجج الله سبحانه ودلائله يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم .

(هـ) إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء نور الشمس بغية فوجده مستحيلا ممتنعا .

سبب نزول هذه الآية الكريمة : ما حكاه عطاء عن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ أبطأ عليـه الوحـى أربـعين يومـا فقـــال كعب بن الأشرف : يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد ﷺ فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمـــره فحـــزن رسول الله ﷺ فأنـــزل الله ــ سبحانه ــ هذه الآية .

وقال ــ سبحانه ــ « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا »[٢٠]

والكتاب هو المبين لقوله سبحانه : «قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ »[٢١]

« تلك آيات الكتاب المبين »

فالكتاب حجة لكونه معجزا والحجة هى النور فالكتـاب كذلك والرسول ﷺ نور وإلا لما وصف بكونه رحمة للعالمين إذ بواسطته اهتدى الخلق وبين للناس ما نزِّل إليهم .

كونه ﷺ نورا من وجوه منها :

(أ) أنه يدل على مكانة شأنه وعظمة برهانه .

(ب) لوصفـه بالنـور وإضافتـه إلى الـذات الإلهية .

---

(١٨) أنظر أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ص ٢١ ، ٢٢ وأنظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٥١ وما بعدها .

(١٩) الصف : ٨ ، ٩

(٢٠) النساء : ١٧٤

(٢١) المائدة : ١٥

(جـ) وكونه ﷺ نورا من أنوار الله تعالى أنه أشرق فى جميع أقطار العالم ومن ثم كان رسولا إلى جميع الخلائق لقوله ﷺ : « بعثت إلى الأحمر والأسود »

فما من دولة إلا وفيها من ينطق بالتوحيد نور الله المبين ، كما لا يوجد شخص من الجن والإنس إلا ويكون من أمته ، إن كان مؤمنا فهو من أمة الإجابة ، وإن كان كافرا فهو من أمة الدعوة .

وتؤكد آيتى الصف ؛ آيتا التوبة ، قال سبحانه :

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ » سورة التوبة

كما أن شرح آيتى التوبة قريب جدا من شرح آيتى الصف لدى علماء التفسير ولذا يمكننا أن نستخلص ما يلى :

(أ) أن ما فعله الكفار والمشركون قديما فى الصد عن سبيل الله سبحانه ومحاولة إطفاء نور القرآن ، يفعله تلامذة أعداء الله اليوم .

(ب) ثمة محاولات مستميتة لطمس نور الله وشرعه فى قلوب المسلمين وعقولهم ، والقضاء على سنة نبيهم ﷺ بكل أساليب المكر والخديعة !!

(جـ) تحذير المسلمين من أعداء الله حتى لا يؤخذوا على غرة وفى تدبرهم لآيات الله سبحانه النجاة كل النجاة .

(د) إننا نذكر أعداء هذا الدين بأن الله سبحانه ناصر دينه ، ولو كره الكارهون .

(هـ) نذكر هؤلاء باجتماع معاصرى صدر الرسالة قديما على حرب رسول الله ﷺ من العرب والفرس والروم ثم انتصار رسول الله ﷺ ثم فتح المسلمين لبلادهم .

(و) نذكرهم بالنهاية للحروب الصليبية التى عاشت فى الشرق فسادا قرابة قرنين من الزمان ولكن الله ـ عز وجل ـ رد كيدها فى نحور من أججها ، وعاد الشرق لأهله يبنى ما هدمته قوى الشر والعدوان .

(ز) يظن أعداء الإسلام اليوم أنهم قادرون على الإطاحة به وبأهله ، ولا يعلمون أنه إنما جاء ليبقى ، وبقى لِيَقْوَى وليزيل عن هذه الأرض كيد الزائغين .

إن الإسلام باق ما بقيت السموات والأرض فإن الذى يمسكه ويحفظه هو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ـ سبحانه الدائم الباقى .

لقد وعد الله ـ عز وجل ـ المؤمنين بالتمكين فى الأرض ، وَوَعْدُ الله ـ عز وجل ـ لا يتخلف ، ولن يتخلف ولا يأس من رحمة الله :

« إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ »

يوسف ٨٧ .

قال ـ عز وجل ـ وقوله الحق :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ سورة النور ﴿٥٥﴾

وليعتبر من شاء ، أو يتجرع مرارة التاريخ هذا التاريخ الذى يستعيد دورته .

خلق المسلم

٢

صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف (*)

إن صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات صلة قوية متينة ، فالأخلاق هى السمة البارزة الأصلية فى كل جانب من جوانب هذا الدين ، ففى الجانب العقائدى ، أو الجانب التعبدى ، أو المعاملات ، وفى العلاقات الأسرية والاجتماعية ، وهى ما تسمى بالأحوال الشخصية ، وفى الجهاد ومحاربة الأعداء والعلاقات الدولية ، وأحكام الرقيق وفى القضاء . وحتى إقامة الحدود والجنايات نجد الأخلاق هى الأصل والأصيل .

وبنظرة سريعة لهذه الجوانب يتضح ذلك تماماً :

أولا ـ العقيدة :

إن التشريعات والتوجيهات والأوامر والنواهى فى دين الله تنبثق من أصل واحد وهو العقيدة الصحيحة التى هى أصل الأصول ، ونبع الفضائل والخيرات ، والأخلاق جزء لا يتجزأ منها ، فمن الحقائق الثابتة أن الإسلام عقيدة وعبادة ونظام حياة ، فهو عقيدة تنبثق منها شريعة ، إنه الدين الذى يتمثل فى العقيدة أولا ، وفى تشريعات الأحكام السلوكية ثانياً . ولقد جاء الإسلام مع العقيدة بنظام خلقى رفيع ونظام مادى لحكم المجتمع وتنظيم العلاقات بين أفراده .

فإذا تأملنا نصوص القرآن نجد أن الله ـ عز وجل قرن عبادته وحده لا شريك له بفضيلة خلقية راقية وهى الإحسان ، دلالة على أهمية الأخلاق فى شرع الله ، فنجد أن الله ـ عز وجل ـ فى الوقت الذى يأمرهم بتوحيده بالعبادة ، يأمرهم بالإحسان فى كل شيء ، إلى كل أفراد المجتمع بأصنافهم وعلى رأسهم الوالدين .

والإحسان هو قمة العطاء والفضل والإيثار ..

قال تعالى :

(*) الكاتبة أستاذ مشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، نشر الجزء الأول من هذا البحث بعدد ذى القعدة ١٤١٥ هـ ص ١٥٠٩ وما بعدها .

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[٦٣] .

وكلمة الإحسان من الكلمات الجامعة المانعة (ففى اللغة العربية كلمات كثيرة كساها الإسلام معان سامية ثم خلع عليها القرآن الكريم من ثياب البلاغة فأصبحت ذوات جلال موجز وبيان معجز . من ذلك الحياء والإنفاق والبر والإحسان الذى أكثر الكتاب الحكيم ذكره .. والإحسان مصدر لأحسن أى نقل ما هو أحسن[٦٤] وفى التنزيل العزيز :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[٦٥] .

وأحسن الشىء : أجاد صنعه ــ وفى التنزيل العزيز :

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٦٦] .

وأتقنه ، ويتسع أفق الكلمة فتنتسب إلى الله سبحانه ــ وإلى عباده الصالحين ، وتمتد إلى العمل والعلاقة بين الناس وما أكثرها وأشد حاجتها إلى الإحسان وتزيد اتساعاً فتنال المحسنين وما أعظمهم على قلتهم ، ولا تترك المحسنات إحساناً يفرضه الإسلام ويوجبه الإيمان ، وإذا اجتمع العدل والإحسان فقد سمى الأخير بمعنى الأول ، ولذا قال الإمام على فى تفسير : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ .

« العدل : الإنصاف ، الإحسان : التفضل » وهذا على وجازته يفسح للإتقان والإجادة فى كل أمر فوق المجازاة بالمثلية ، والوقوف عند الحق وكفى[٦٧] .

وتوضح الأحاديث النبوية معنى الإحسان توضيحاً دقيقاً من ذلك قوله ﷺ : (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[٦٨] .

والحديث الثانى قوله ﷺ : (**إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**)[٦٩] .

فالحديث الأول عرف الإحسان بأنــه : مشاهدة الحق بالقلب ، فيستحضر العبد أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل ، وهذا يثمر خشية الله .

والحديث الثانى يفيد : أن الله أوجب على الإنسان أن يتقن عمله فى كل شىء فإذا تحقق المعنى الأول صدر عنه المعنى الثانى ، إتقان العمل .

---

(٦٣) سورة النساء ، آية ٣٦ .

(٦٤) أنيس إبراهيم وآخرون ــ المعجم الوسيط الناشر معجم اللغة العربية ط٢ ١٩٧٢م مطابع دار المعارف بمصر .

(٦٥) سورة الإسراء ، آية ٧ .

(٦٦) سورة غافر ، آية ٦٤

(٦٧) الباز ، محى الدين ، مقال ، القرآن الكريم ، كتاب الإحسان ، ص ٣٦ ، مجلة الهداية .

(٦٨) مسلم ، صحيح مسلم الشرح النووى ، جـ١ ، ص١٥٧ .

(٦٩) نفس المرجع السابق ، جـ١٣ ، ص١٠٦ .

وقد جاء فى تفسير الآية السابقة «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» ، قول القرطبى[٧٠] : (أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ، ليس منها شىء منسوخ ، والآية أصل فى خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره . قال العلماء فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان ، هما : الوالدان) .

كما دلت الأحاديث النبوية على ارتباط الأخلاق بالعقيدة ارتباطاً شديداً يجعل الخلق الكريم شعبة منه ، وجزءاً لا يتجزأ . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ، قال : (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)[٧١] .

فربط بين عقيدة «لا إله إلا الله» ، وبين فضيلة خلقية راقية «الحياء» ، وبين معروف صغير يفعله المسلم وهو تنحية الأذى من طريق الناس .

والشعبة هى الخصلة أو الجزء ، والحياء فى اللغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به ، وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، ولهذا جاء فى الحديث الآخر «الحياء كله خير»[٧٢] ، فإن قيل الحياء من الغرائز ، فكيف جعله شعبة من شعب الإيمان ؟ أجيب بأنه قد يكون تخلقاً ، ولكن استعماله وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية ، فهو من الإيمان .. لهذا ، ولكنه باعثاً على فعل الطاعة ، وحاجزاً عن فعل المعصية[٧٣] . فقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : (لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء)[٧٤] ، بل نجد أن الحديث قد قرن بين هذه الفضيلة الخلقية ، الحياء والإيمان وجعلهما شيئاً واحداً .. قال ﷺ : (الإيمان والحياء قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[٧٥] .

جعل الرسول الكريم ﷺ ، الخلق الكريم علامة مميزة للمسلم يوم يعلن عن إسلامه ، وصفة يعرف بها بين الناس ، فيقول ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٧٦] .

وهو تعريف شامل جامع لكل الفضائل الخلقية والسلوك الراقى فالمسلم الحق هو الذى لا يصدر منه أى أذى لا بالقول ولا بالفعل .

[قال الخطابى : المراد أفضل المسلمين من : جمع مع أداء حقوق الله تعالى ، أداء حقوق الناس ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يبين علامة المسلم التى يستدل بها على إسلامه ، وهى سلامة المسلمين من لسانه ويده ، وخص اللسان بالذكر لأنه يعبر عما فى النفس .. هكذا اليد ، لأن أكثر الأفعال بها ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه ، لأنه إن أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه من باب تنبيه الأدنى على الأعلى ، وذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب ، لأن محافظة

(٧٠) الجامع لأحكام القرآن ، م٣ ، ص ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٧١) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٢ ، ص ٦ .

(٧٢) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٧ .

(٧٣) ابن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ١ ، ص٥٢ .

(٧٤) مالك ، الموطأ ، جـ١ ، ص ، ٩٠٥ دار إحياء التراث العربى ، ط١٩٥١م .

(٧٥) الحاكم ، المستدرك ، جـ١ ، ص٢٢ .

(٧٦) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ١ ص٥٣

المسلم عن كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً](77) .

ثانياً ـ العبادة :

ترتبط الأخلاق بالعبادات وبالعقيدة ارتباطاً وثيقاً ، فلا عبادة بدون عقيدة ، ولا عبادة إن لم يرافقها سلوك مهذب نظيف ، وأخلاق إنسانية راقية .. فالإسلام ليس عقيدة فحسب ولكنه عقيدة وعبادة ونظام حياة ، شمل جميع شئون الحياة ، وسلوك الإنسان وأحكام الأخلاق والعبادات فى تناسق بديع ، وارتباط وثيق ، حتى أنه يصعب فصل أى جزئية عن الأخرى ، ويصبح العمل ببعضها دون الآخر ، نقص فى صفة الإسلام ، ولتأكيد ذلك سوف نلقى نظرة على العبادات المخصوصة بهذا الاسم :

١ ـ الصلاة :

تلك العبادة اليومية التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم فرضها الله على عباده لتكون لهم درعاً واقياً من الإثم والبغى والفحشاء والمنكر وسيئات الأقوال والأفعال ، وتكون بمثابة المصل الواقى من سوء الخلق مع الخلق ورب الخلق وهى وسيلة عظيمة لتزكية النفس . قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(78) .

يقول ابن كثير(79) : (يعنى إن الصلاة تشتمل على شيئين . على ترك الفواحش والمنكرات ، أى مواظبتها تحمل على ذلك . وقد جاء فى الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعاً «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً » فهذا حديث موقوف) .

فالمسلم إذا أقام الصلاة وأداها ، بأركانها وشروطها وواجباتها على كمالها وتمامها بخشوع وإخلاص واستحضر مثوله بين يدى ربه ، قطع دابر العجب والغرور وقطع دابر المنكر ، وكانت له خير زاجر ومانع عن كل مايشين ، وخير وازع ومعين على فعل الخير ، فالصلاة تصل هذا العبد الضعيف بمصدر القوة والخير والعدل الذى له الحكم وإليه المصير .

(فالصلاة قوة خلقية ، وفى هذه القوة مدد ، أى مدد لضمير المؤمن ، يقويه على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر ، ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير ، فهى تغرس فى القلب مراقبة الله ـ تعالى ، ورعاية حدوده ، والحرص على الوقت والدقة فى المواعيد ، والتغلب على نوازع الكسل والهوى ، وجوانب الضعف الإنسانى)(80) .

وهكذا نرى كيف ارتبطت الصلاة بالأخلاق ، وكيف كان إيجابها على المسلمين لإحياء الجوانب الخلقية العظيمة فى نفس المسلم إحياء لعاطفة الأخوة ، وزيادة روابط الوحدة ، وإظهاراً للقوة .

٢ ـ الزكاة :

هذه الفريضة التى أوجبها الله فى أموال الأغنياء للفقراء ، وعالج بها مشكلة الفقر بنظام فريد ، وعالج فيه مشكلة المال بوجه عام .

---

(77) المصدر السابق جـ١ ، ص٥٣ .

(78) سورة العنكبوت ، آية ٤٥ .

(79) تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص٤١٤ .

(80) القرضاوى ، العبادة فى الإسلام ، ص٢٢١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٧ ، ١٩٨٥م .

فالزكاة طهارة للقلب والمال ، طهارة للقلب من الشح والبخل وطهارة للمال ونماء ، تجعل ما بقى حلالا طيباً ، وهى وسيلة من وسائل تزكية النفس ، لأن النفس مجبولة على الشح ، والشح رذيلة خلقية يجب تطهير النفس منها وتعويدها على البر والإنفاق .

والزكاة عبادة يشترط الشارع فى إخراجها ، أن تكون بكرم وطيب نفس مصحوبة بالخلق الرفيع والأدب الجم ، فيخرجها من أطيب وأحسن الملك ، من الجيد من المال والعروض والثمار والزروع ، ومن السليمة الجميلة والسمينة من السائمة والأنعام . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾(٨١) .

وفسر ابن كثير(٨٢) الآية إلا أن تغمضوا فيه بقوله : (لو أن أحدكم أهدى له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على أغماض وحياء .

إن الآيات القرآنية التى حثت المسلمين على إخراج الزكاة والصدقة من أفضل الموجود كثيرة ، لأن الله ـ عز وجل ـ لا يقبل الردىء الخبيث ، ولذلك قال تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(٨٣)

إن الحكم التى شرعت من أجلها الزكاة كثيرة ، فهى طهارة لنفس الغنى ، وطهارة لنفس الفقير ، وصيانة للمجتمع من الفقر ، وضمان اجتماعى ، وتأمين وتكافل للأفراد جميعاً ، فهذه كلها معان عظيمة تدخل تحت مكارم الأخلاق ..

كذلك حذر القرآن من الخلق السىء الذى يتبع الصدقة والزكاة فيبطلها ويفقدها معناها ويحبط أجرها وثوابها . قال تعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾(٨٤)

وقيل المن : أى يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة . (فيقرر أن الصدقة التى يتبعها الأذى ، لا ضرورة لها وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح ، كلمة طيبة تضمد جراح القلوب ، وتفعمها بالرضا والبشاشة ، ومغفرة تغسل أحقاد النفوس ، وتحل محلها الإخاء والصداقة ..

فالقول المعروف والمغفرة فى هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة ، من تهذيب النفوس وتأليف القلوب ، ولأن الصدقة ليست تفضلا من المانح على الآخذ ، وإنما هى فرض لله .. عقب عليه بقوله : ﴿ **والله غنى حليم** ﴾ غنى عن الصدقة المؤذية ، حليم يعطى عباده الرزق فلا يشكرون)(٨٥) .

---

(٨١) سورة البقرة .

(٨٢) العبادة فى الإسلام ، ص ٢٢٣ .

(٨٣) سورة آل عمران ، آية ٩٢ .

(٨٤) سورة البقرة ، آية (٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

(٨٥) تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، ص٣٢٠ .

ولذلك نجد أن الله عز وجل يمدح عباده المنفقين ، الذين ينفقون فى سبيله ، فيخرجون الصدقات والزكاة بنفس طيبة ، وأدب جم وخلق رفيع ، فيعدهم بالثواب العظيم . قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٨٦)

بل اعتبر البخل (هذه الرذيلة الخلقية) سبباً للهلاك والبوار والخسران . قال تعالى :

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٨٧) .

٣ ـ الصوم :

فرض الله الصوم وبين الحكمة من تشريعه . فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨٨)

(فالصوم تقوية للارادة ، وتربية على الصبر ، فالصائم يجوع وأمامه شهى الغذاء ، ويعطش وبين يديه بارد الماء ، ويعف وبجانبه زوجته ، لا رقيب عليه فى ذلك إلا ربه ، ولا سلطان إلا ضميره ، ولا يسنده إلا إرادته القوية الواعية ، يتكرر ذلك نحو خمس عشرة ساعة أو أكثر فى كل يوم ، وتسع وعشرين يوماً أو ثلاثين فى كل عام . فأى مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصيام)(٨٩) .

فكان من إرشاداته ﷺ للصائم أن يلتزم بالآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة ، والسلوك السليم ، وأن يمتنع عن كل قول أو فعل مخل بالأدب ، ومناف للأخلاق ، ومن كل تصرف فيه أذى للغير ، ولم يكتف بذلك بل يريد من المسلم أن يترفع عن ذلك ويستعلى عليه ، فيمتنع حتى عن رد الأذى بمثله .

٤ ـ الحج :

الحج هو الشعيرة الرابعة فى الإسلام فرضها الله على كل مستطيع ، وجعل تركه كفراً بالله ، يشترط المولى سبحانه عند آدائه الأخلاق الفاضلة والانضباط التام فى السلوك .

فقبول هذه العبادة مشروط بالانضباط الأخلاقى فى القول والفعل ، ويتضمن الحج معانى عظيمة كلها تدور فى دائرة النظام الأخلاقى فى الإسلام (فالحج تعويد للنفس على معانى من استسلام وتسليم ومن بذل الجهد والمال فى سبيل الله ، ومن تعاون وتعارف ومن قيام لله بشعائر العبودية ، وكل ذلك له آثاره فى تزكية النفس) .

٥ ـ الجهاد :

هو ذروة سنام الإسلام وهو قمة مكارم الأخلاق . إن المجاهد فى سبيل الله يمثل القمة الايمانية الحقة ، وهو المثل الأعلى الذى يجب أن يحتذى فى مكارم الأخلاق

يتبع

(٨٦) سورة البقرة ، آية ٢٧٤ .

(٨٧) سورة البقرة ، آية ١٩٥ .

(٨٨) سورة البقرة ، آية ١٨٣ .

(٨٩) القرضاوى ، العبادة فى الإسلام ، ص٢٧٥ .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد .. فضل أحمد صالح ..

١ ـ توفى رجل عن زوجة وأولاد ، وقبل انتهاء عدة الوفاة خرجت الزوجة متعمدة من بيت زوجها المتوفى عنها ـ فهل لها حق النفقة مدة عدتها ، وما حكم مهرها المؤجل ؟

٢ ـ مات رجل ثرى ، وقام أحد اخوته بمصاريف الدفن وما يلزم فى مثل هذه الحالة فهل له أن يأخذه من تركة هذا المتوفى ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد عن الأول بأن المتوفى عنها زوجها إذا كان لها بعض المهر مؤجلاً فلها الحق فى أخذه من التركة .

وأما النفقة فلا تجب لها .

وعن الثانى بأن الذى يؤخذ من التركة هو مؤن التجهيز بالمعروف من أجرة غسل وثمن كفن وثمن قبر وأجرة حفرة ومازاد على ذلك فلا يلزم القصر منه شىء . وعلى من رضى به وأذن فيه ، من غير القصر دفعه .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ محمد عيسى عبده ..

هل يجوز للزوجة المتوفى عنها زوجها أن تطالب والد الزوج بمؤخر صداقها ونفقة لأولادها ولها أيضاً وما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على

سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأنه لايجوز للمرأة أن تطالب والد زوجها المتوفى بمؤخر صداقها ولا نفقة لها ولكن من حقها أن تطالب بالإنفاق على أولادها إذا كان ليس لهم مورد للإنفاق .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ م . ح ..

هل يجوز للأب أن يجبر ابنته البالغة على الزواج من شخص لاتريده وهى كارهة له . ما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : نفيد بأنه لايجوز للأب أن يجبر ابنته البالغة على الزواج من شخص لاتريده وهى كراهة له لأن الكراهة تعدم ركن الرضا فى القبول ..

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/

ما هى حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها علماً بأن الزوج دفع المهر وقدم لها شبكة ذهبية قيمة / فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فنفيد بأن حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول هى : نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره وكذلك نصف الشبكة لأنها جزء من المهر كما تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الصلاة والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ محمد على البتانونى ..

ماهو تحديد سن اليأس الوارد فى الشريعة الإسلامية ، وهل هو معمول به الآن فى المحاكم المصرية ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأن المعتبر فى القضاء العدة بلوغ المرأة سن اليأس ثم مضى ثلاثة أشهر إذا ثبت أنها بلغت سن اليأس وهو على المختار خمس وخمسون سنة فإن لم يثبت ذلك اعتدت بثلاثة أقراء أو بمضى سنة من تاريخ الطلاق ، وهذا العمل فى المحاكم الآن .

والله تعالى أعلم ،،،

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« والله ما نسِيتُ »

كان لعبدالله بن عتبة بن مسعود ، رقعة من الأرض تصرف فيها بالبيع وقبض ثمنها ، فقال له صديق : أنَسِيَ عبدالله أن له ولداً هو أحوج ما يكون إلى أن يدخر له هذا المال ؟

فأجاب عبدالله بن عتبة :

والله ما نَسِيتُ ، ولكنى أجعل هذا المال ذخراً لله – تعالى –

فقال الصديق : وولدك ؟

فقال عبدالله بن عتبة : أما ولدى فسأجعل الله ذخراً له .

« نصيحة »

للإمام على – كرم الله وجهه – :

ميدانكم الأول أنفسكم ، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر ، وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز فجربوا معها الكفاح أولا .

« حقائق »

إذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل .

وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور .

وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل .

« سخاء الإمام الشافعى »

لما قدم الإمام الشافعى – رضى الله عنه – إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار ، فقالوا له : تشترى بها ضيعة ، فضرب خيمته خارج مكة ، وصب الدنانير ، فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء . ولما قربت وفاته ، قال : مُرُوا فلاناً يُغَسِّلنى ، وكان الرجل غائباً ؛ فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته ، فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا ، فقضاها .

وقال : هذا غُسلى إيَّاه .

« كلمات .. مضيئة »

للشاعر الكبير الأستاذ محمد عبدالرحمن صان الدين :

● ليس على البسيطة أضيع من إنسان يحيا مزعزع العقيدة ؛ فما بالك بفاقدها .

● أنت على دين ، فأنت على خلق قويم تركن النفوس إليك ، وترف الأرواح عليك .

● لا شمس بدون ضياء وحرارة ، ولا إيمان بلا عمل وطهارة .

● لا تستعن بظالم على ظالم ، حتى لاتكون فريسة لظالِمَيْن .

● للشباب سكرة تورث الحسرة فتبصر كى لا تخسر .

● أنا على يقين من أن أولادى لا يتعجلون مَوْتِى لأنه ليس عندى ما يورث .

« ما منعك .. منعنا »

كتب أحد الملوك يدعو زاهداً فأبى عليه إجابة لدعوة .

فقال الملك : وكيف لايجيئنا وقد دعوناه ؟

فكتب الزاهد يقول : أيها الملك ؛ إن الذى منعك أن تجيئنا منعنا أن نجيئك .

« وكيف .. ذلك ؟ »

أمر أحد الملوك بضرب رجل حتى أوجعوه .

فقال الرجل : أيها الملك إذا ضربت فاضرب ضرباً تقوى عليه .

قال الملك : وكيف ذلك أيها الرجل ؟

فقال الرجل المضروب : نعم إذا ضربت فاضرب ضرباً تقوى عليه ؛ لأنه لابد من القصاص .

« ســتة »

ستة لا يخلون من الكآبة : رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف على ماله الفقر ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء بغير أدب .

« أنا ابن أخت فلان »

سئل بعض الجند عن نسبه ، فقال : أنا ابن أخت فلان ، فسمعه أعرابى ، فقال : الناس ينتسبون طولا ، وهذا الفتى ينتسب عرضاً .

« قول .. وفعل »

قال بعض حكماء الهند : لن يبلغ ألف رجل فى إصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل ، كما يبلغ رجل واحد فى إصلاح ألف رجل بحسن الفعل دون القول

« حقًا »

لكــل جديــد لذة غير أننــى
وجدت جديد الموت غير لذيـذ

« دعــاء »

اللهم يا هادى المضلين ، ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .

من الأعلام المعاصرين

- ٢ -

شيخ الإسلام .... مصطفى صبرى

الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

صرح الشر عن وجهه بعد عام واحد من إقامة شيخ الإسلام فى مصر ، حيث أعلن الكماليون إلغاء الخلافة الإسلامية ، وحل الجماعات الدينية ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، وفرض **القبعة والملابس المدنية ، وإلغاء النص الدستورى القائل : بأن الإسلام دين الدولة ، وإباحة زواج** النصرانى بالمرأة المسلمة ، ثم تحريم الأذان بالمساجد وتلاوة القرآن بالعربية ! وهنا حق لمصطفى صبرى أن يخاطب خصومه بقول القائل :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

لقد كان مناوئوه يعتقدون أن تقييد الخليفة فى دائرة ضيقة من المراسيم الدينية ، لا يخفى نية شر لتعاليم الإسلام ، وقوانين الشريعة ، وهبوا يصيحون فى وجه شيخ الإسلام بأنه ذو غرض خاص ، **فهو موتورٌ لانتزاع المشيخة منه ، حتى قال قائلهم فى جريدة (المقطم) مخاطباً شيخ الإسلام**(١) :

لقد جردت من حكومة الكماليين شخصاً موهوما حكمت عليه بالردة ، مع أنهم الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة الإسلام ، وهل معنى الخلافة أنه لا ينفذ الأحكام إلا الخليفة وحكومته وراثية لم تنزل على إرداة المسلمين ، إذ يستبد الخليفة معهم بأمور الناس على رغمهم ، **والله تعالى يقول : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾(٢) ويقول : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾(٣) اللهم إن الكماليين** قد اتبعوا الصراط المستقيم ، والدين القويم ، فلم يتركوك مع مولاك المخلوع تسترشدون وتأتمرون

(١) نقلا عن كتاب (الأسرار الخفية) للدكتور مصطفى حلمى ص ١٣٢

(٢) سورة الشورى : ٣٨

(٣) سورة آل عمران : ١٥٩

بإشارات الأجانب ، وتحنون ظهور المسلمين لصعاليك اليونان ، وإن الكماليين قد رجعوا إلى قواعد الشرع الحنيفة فجعلوا اختيار أمير المؤمنين بآراء المسلمين ، لا بالوراثة ، ولم يجعلوا الخليفة يتبع هواه فيوحى بإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل» .

هكذا كان المخدعون من الكتاب فى مصر يتوهمون أن الكماليين يدافعون عن بيضة الإسلام ، وأنهم اتبعوا الصراط المستقيم والدين القويم ، وتقيدوا بالشورى التى فرضها الإسلام ، أما الخليفة فمستبد يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل ، وأما شيخ الإسلام فأداته فى التحليل والتحريم ، والإذعان **لإشارات الأجانب ، وقد رجع الكماليون إلى قواعد الشرع حين اختاروا أمير المؤمنين بآراء** المسلمين ومشورتهم !!! هكذا نطمس الحقائق ، لأن المجلس النيابى الذى اختار أمير المؤمنين الجديد كان لا يملك لنفسه شيئاً ، بل يأتمر بأمر شخص واحد ، يشير بالرأى فيسارع الاعضاء إلى **الإذعان دون اعتراض ، ولا نحتاج إلى إيضاح هذه الحقيقة .**

ولا ننكر أن فريقاً من علماء الإسلام فى مصر قد آزروا شيخ الإسلام ، ووقفوا فى اتجاهه أمام المخدوعين من كتاب جرائد المقطم والسياسة والأهرام ولكن الصوت الغالب كان مع المخدوعين !

على أن بشاعة الإلحاد والمروق عند أتاتورك ، قد دفعت من كانوا يؤازرونه من غير العلماء إلى **مخاصمته وفضح سرائره ، وأضرب المثل المؤرخ الكبير الأستاذ محمد عبدالله عنان ، حيث كان من** أوائل المتحمسين للحركة التركية الملحدة ، وظل بعد سقوط الخلافة ، يلتمس لها الأعذار ، ويخلق من التبريرات الموهومة مايعتصر به الأفكار اعتصاراً شاذاً لتثبت حروفها فى عيون القراء ، دون اعتراض ، فلما طفح الكيل ، وبدا الشيطان الآثم بوجهه الكالح المقيت ، كر بالملامة على الكماليين منددأ ، وأعاد بعد عشرة أعوام ما سبق أن كرره شيخ الإسلام مصطفى صبرى فى كتابه (النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة) بل زاد فكشف الدور الروسى فى محنة الإسلام بتركيا ، وكيف احتذى أتاتورك حذو الثورة الماركسية فى عداء الدين إلى درجة **التلدد والغليان ، وسأنقل بعض ما قاله الأستاذ (عنان) لأنه سلط الضوء على ناحية خافية يتجاهلها** الكاتبون إذ أغفلوا الدور الروسى ، وجعلوا التأثير خالصاً لفرنسا وانجلترا وعملاء الصهيونية ، **يقول الكاتب من مقال حار نشره تحت عنوان : (حرب منظمة يشهرها الكماليون على** الإسلام)[٤] .

(٤) مجلة الرسالة ـ العدد ٨٠ ـ ١٩٣٥/١/١٤

«إن تركيا الجمهورية تحذو فى تلك الحرب اللادينية حذو روسيا البلشفية ، وهى الدولة **الغربية الوحيدة التى تشهر الحرب على النصرانية ، وتطارد كل مظاهرها ، ولم يقع الشبه عرضا بين** الدولتين اللادينيتين ، ولكنه يقوم على نفس المبادىء والروح اللادينية المشتركة ، وقد كانت **روسيا البلشفية أكبر عضد للكماليين فى حرب التحرير التركية ، ولم يبذل البلاشفة هذا العون** للكماليين حبا لتركيا ، ولكنه كان قطعة من برنامجهم فى محاربة الاستعمار البريطانى ... وروسيا تشد أزر تركيا فى كل مظاهرة دولية ، وتركيا تعرف أنها مدينة بحياتها لروسيا ، وحكومة أنقره مازالت حكومة ثورية على مثل حكومة موسكو ، وهى تحذو حذوها فى تطبيق مبادىء الهدم والإباحة إلى أبعد الحدود ، وكما أن النزعة الإلحادية تسود الثورة البلشفية ، فكذلك الثورة الكمالية تسودها هذه النزعة ، وإذن فإن هذا الإلحاد الذى يطبع كل تصرفات الكماليين ، وهذه **الإباحة التى يغرقون فيها ، وهذه الحرب اللادينية المستعرة التى يشهدونها ترجع فى كثير من** وجوهها إلى غريس أساتذتهم ومدربيهم سادة موسكو ، على أن الفكرة الثورية والإلحادية ليست كل شىء فى سياسة الكماليين ، فهناك بواعث أخرى تحفزهم إلى هذه البغضاء المتأججة نحو الإسلام ، ذلك أن الكماليين يجدون أن الإسلام كان سبباً فى كل ما أصاب تركيا القديمة من المحن التى أودت بقوتها ، وأن صفتها الإسلامية هى التى أثارت الدول الغربية ضدها خلال العصور المختلفة» .

ثم قال الأستاذ (عنان) فى تفنيد هذا الزعيم : «لقد كان الإسلام ــ حقاً ــ من العوامل التى أثارت أوروبا النصرانية وجمعت كلمتها ضد الدولة العثمانية ، ولكنه لم يكن بهذا الاعتبار مسئولاً عما أصاب الدولة العثمانية من المحن وضروب الانحلال بقدر ما تسأل عنه السياسة الغاشمة والأساليب الهمجية المخربة التى سارت عليها هذه الدولة وعجز الترك المطبق عن أن يكونوا عاملاً من عوامل الإنشاء فى صرح الحضارة الحديثة» .

وإذا كان على المرء أن يسعى إلى الخير وليس عليه أن تتم المطالب ، فقد سعى شيخ الإسلام إلى خير الأمة الإسلامية ما استطاع ، ولم يضع جهاده الدائب ، وحسبه أن أثبتت الأيام سداد رأيه ، وسلامة منحاه .

ننتقل الآن إلى جهاده العلمى بعد أن ألمحنا إلى جهاده السياسى ، والحق أن الرجل فى مهجره بمصر ، وقد يئس من صلاح الحال بتركيا ، بعد أن بذل كل جهد فى كشف العوار لم يركن إلى الدعة ، بل جعله يرقب التيارات الفكرية المعاصرة ليواجهها بما يعتقد ، ولا ننكر عليه حقه فى أن يقول ما يعتقد ، وأن يعارض الأعلام الأئمة من رجال الفكر فى عصره ، فهو لا يقل عنهم فى ميدان البحث والتنقيب، ولكنى أنكر عليه المجادلة بغير التى هى أحسن ، فقد غلا غلواً شديداً فى التهجم دون مبرر ، حتى رمى بالكفر الصريح أئمة من أئمة المسلمين المعاصرين حين خالف اتجاههم العلمى فى الشرح والتأويل ، ومثله فى مكانته العلمية لا يجهل أن النقاش غير السباب ،

وأن الولوج إلى الضمائر المستترة ومحاولة استنطاقها بغير ماتكن مما يجب أن يبتعد عنه كل مسلم ناشيء فضلاً عن شيخ الإسلام فى دولة الخلافة ، وقد كان مصطفى صبرى مدرساً ناشئاً بجامع السلطان محمد الفاتح ، والإمام محمد عبده علم الأعلام فى العصر ، فهو بمثابة أستاذ كبير له ، وقد يخالف التلميذ أستاذه ، ويفتح الله عليه بما يصحح به بعض أخطائه ، فتلك سنة العلم منذ عرف الناس حيوات العلماء ، فكان عليه إذا خالف اتجاهه الفكرى ألا يرميه بالكفر وممالأة الغرب ، مع أن الشيخ الإمام ما نفى من بلده إلا لوقوفه فى وجه الاستعمار ، وماووجه المستشرقون فى افتراءاتهم الظالمة بسيف أقوى مقطعاً ، وأحد إثخانا من مقالات الإمام ، تلك التى فتحت الطريق لتلاميذه فعرفوا كيف ينتصرون للإسلام بسلاح لايفل ! وسأحاول أن أمر سريعا على مؤلفات الشيخ فى هذا المعترك العلمى معقباً بما أراه ، لقد ألف كتابه الثانى بعد كتاب «النكير على منكرى النعمة فى الدين والخلافة والأمة» وقد تحدثت عنه من قبل ، خاصة بترجمة معانى القرآن ، حيث اعتزم الإمام المراغى أن يقوم على إعداد ترجمة أمينة لهذه المعانى تكون بديلاً لترجمات ذوى الاستشراق ، فعارضة ملأ كثير ، ومنهم الشيخ مصطفى صبرى ، الذى أصدر حكمه المحرم المستفظع لهذه الترجمة ، وقد مرت الأيام فعلم المخلصون صدق اتجاه المراغى ، وقاموا بترجمة المعانى إلى اللغات الحية فى الغرب ، مع أن رئيس المحكمة العليا الشرعية حينئذ قد شن مع نفر من زملائه القضاة ناراً حامية فى الصحف ، وجمع ماقاله فى كتاب تحت عنوان : (حدث الأحداث فى الإسلام) وكان الأمر من الخطورة الفادحة يبلغ مبلغ حدث الأحداث فماذا نقول إذن عن سقوط الأندلس وهزيمة يونيو ، ومأساة البوسنة والهرسك ! فى هذا الاتجاه سار الشيخ ، وزاد فى غلوائه منكراً قادحاً هاجياً وهذا موضع المؤاخذة ! وقد بح صوت الداعين إلى الترجمة مؤكدين أنها ترجمة معان فحسب ، أما النص المعجز فلا يترجم فلم يستمع أحد لهم ، ثم أصدر الشيخ كتابه ، (موقف البشر تحت سلطان القدر) ليرد على مازعمه المغرضون من أن فهم المسلمين للقدرية بمعناها الجبرى كان مدعاة هبوطهم وانحطاطهم ، وليت الشيخ سار فى اتجاهه الصائب دون أن يلمز أو ينبز ، فقد تعرض لما قال الشيخ محمد عبده فى هذا المجال ، ورآه منحرفاً عن الصواب كى يرضى الناقد الغربى والمتفرنج الشرقى ، وهذا خطأ لاصحة فيه ، لأن الإمام قد أتى بالمنطق المعقول حين أكد أن أقوال النبى ﷺ وسلوكه وتصرفاته تشهد كلها بما كان له من إيمان لايتزعزع بحرية الأفعال ، فهل نقل عنه أنه اتكأ يوماً على وسادته ، واكتفى بالاستسلام للقدر فى تمام دعوته قائلا : لقد كفل الله لى النصر فلا حاجة إلى التعب ، كلا ؛ بل لم تكن تزيده الوعود الصادقة إلا نشاطاً ، ولاتجد العصمة الالهية من نفسه إلا حزما واحتياطا ، بهذا الأسلوب الكاشف كتب الإمام صفحات تأتلق بالضياء ! فأين إرضاء الغربيين فيما قال !

وقد ألف الشيخ بعد ذلك كتابه الموجز تحت عنوان : (قولى فى المرأة) مقارناً بأقوال مقلدة الغرب ، وهو كتاب جيد فى بابه ، ومعارضته لخصومه ،سديدة موفقه ، كما أن خبرته الشخصية بما

انحرف إليه المجتمع الإسلامى من تهتك فى التبرج ، والابتذال فى شواطىء البحر ، والاختلاط الداعر مما تؤكد أنه كان قلقاً على هذا التطور المتهالك على الابتذال والنزق ، وتلا هذا الكتاب مؤلفه عن : (الذين يؤمنون بالغيب والذين لايؤمنون) وهو كتاب فى حاجة إلى تنقيح ؛ لأنه جعل ممن لا يؤمنون بالغيب فضلاء المتحدثين عن الإسلام ، وهو خطأ سافر ، ويزيد من خطورته أنه اتهم أكبر مدافع عن عالم الغيب بانكار عالم الغيب فقد ألف الاستاذ فريد وجدى كتاب : (على أطلال المذهب المادى) فى عدة أجزاء لينصر عالم الغيب ، ويهتك كفر الماديين ، فكيف تسلط عليه أقسى العبارات الظالمة ، وهو برىء ! كما أن عظماء الكتاب الذين كتبوا سيرة رسول الله من أمثال هيكل ووجدى لاينكرون المعجزة كما ألح (مصطفى صبرى) فى ذلك ، ولكنهم لا يجعلونها وحدها دليل نبوته ـ ﷺ ، فكيف يؤاخذهم الرجل بما لم يقولوه ، كيف يرمى الأستاذ (فريد وجدى) بإنكار المعجزة وقد قال مانصه بعد أن أثبت قيام الإسلام على منطق العقل .(٥) .

«**ليس مؤدى هذا الكلام أن النبى ﷺ ، لم تصدر منه معجزات كسائر إخوانه الأنبياء ،** ولكن مؤداه ، أنه لم يجعل المعجزات أساسا لدعوته ، أما معجزاته ـ ﷺ ـ فكثيرة شهدها عدد من الناس لايدع للشك مجالاً» أنقول : إن الشيخ نقد دون أن يقرأ ؟وكيف !

ويجىء الحديث عن كتاب الشيخ (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) ويقع فى أربعة أجزاء كبار ، ليشمل خلاصة تجارب الشيخ عملاً وعلماً ، وليؤكد ما يلح عليه من الانصراف عن تقليد الغرب عن ناحية ، وترك التقليد فى المسائل الدينية من ناحية أخرى ، وعيب الكتاب هو الهجوم الصارخ على مخالفيه من الأعلام ورميهم بالكفر الصريح ! وهو عيب يحتاج إلى اعتذار ، قد نراه فيما أصيب به الرجل من يأس قاتل من استقامة الأمر على مايريد من إصلاح ، وإلى ماكابده من خصومه فى السياسة الذين أزعجوه عن مستقره ، ورموه بالتأخر والرجعية ، وابتزاز أموال حملها من تركيا ، وهو من كل هذا برىء برىء !

قال الشيخ : إن دافعه إلى تأليف هذا الكتاب مارآه بتركيا من قبل من انصراف المتعلمين عن الدين ، ومايراه كذلك الان فى مصر من هذا الانصراف ، وهو دافع حميد يشكر عليه ، غير أنه أكد أن التقليد الغربى فى مصر الذى يمارسه بعض الكتاب هو الذى يضعه فى بؤرة النقد الجرىء ، ولو اقتصر المؤلف الكبير على المقلدين من ذوى الانتماءالفكرى إلى الثقافة الغربية لشارك إخوانه المجاهدين فى محاربة هذا التيار ، ولكنه جعل أئمة الفضل والعلم والإيمان من أمثال (محمد عبده) (ومحمد مصطفى المراغى) (ومحمد رشيد رضا) (ومحمد فريد وجدى) (ومحمود شلتوت) من الخصوم الألداء الذين أسهموا فى التقليد الغربى ! وكان المنتظر أن يقف الرجل فى جبهة واحدة مع هؤلاء الأفاضل ، لأنهم شركاؤه فى الحمية الإسلامية والغيرة الدينية وآلام الحاضر وآمال

(٥) من معالم الإسلامى للأستاذ فريد وجدى ص٢٦٣ ، جمعه وحققه الدكتور محمد رجب البيومى

المستقبل ، وإذا اختلف معهم فى الرأى فلن يكون اختلاف المخاصم اللدود الذى يرمى بالكفر والضلال ؛ بل اختلاف الأسرة الواحدة فى مسألة تتنوع فيها وجوه الرأى ، وكل عضو حريص **على أن ينتهى الخلاف إلى العناق والاحتضان ، لا إلى المنابذة والعدوان ، وقد أكد أن علم الكلام** بمنطقه الصارم هو باب الدفاع عن العقيدة ، ونسى أن الامام محمد عبده هو الذى قدم فى هذا العصر علم الكلام فى معرض مستنير حين كتب (رسالة التوحيد) فلخص المصطفى المختار من كتب السالفين فى هذا المجال وأضاف إليه من الأبواب الجديدة ما أمده بالحيوية والنماء حين تحدث عن نظرية النبوة ، والإرادة الإنسانية وانفساح مجال الحرية فى أفعال الإنسان ، ووظيفة الرسل فى المجتمع ، والعوامل الهامة فى انتشار الإسلام ، ولا أستطيع أن أفقد الرجل الكبير لحدة شططه فأنا أقدر جهاده وأعلم خلوص سريرته ولكنى أنقل سطوراً قليلة قالها الأستاذ الدكتور (أحمد فؤاد الأهوانى) فى نقد الكتاب أراها تعبر عن رأيى ، فقد قال[٦] بعد أن عرض أسماء محمد حسين هيكل وفريد وجدى ورشيد رضا ومحمد عبده ولم يسلم أى واحد من هؤلاء من مطاعن المؤلف بل الذهاب إلى تكفيره بحجة إنكار الوحى والنبوة والمعجزة فهو يقول ص ٢٩ : وكان الأستاذ (فريد وجدى بك) من غلاة منكرى المعجزات بدعوى أنها مخالفة للعقل وسنة الكون ! كما ادعى هيكل باشا ، حتى إن الأستاذ (وجدى) ينكر البعث بعد الموت وينكر إعجاز القرآن !! وغير ذلك من الاتهامات المتناثرة فى صفحات الكتاب بأجزائه الأربعة ، وهى تخرج بهيكل ووجدى من **الإيمان إلى الكفر ، ثم يقول الدكتور الأهوانى ، وقد قرأنا «محمد» لهيكل ومقالات فريد وجدى** فلم نجد فيها ما يستوجب الكفر بل هى على العكس دفاع مجيد عن العقيدة» .

ولعل القارىء يعجب حين يعلم أن الشيخ الكبير رمانى بالكفر فى الجزء الثانى من كتابه ، لأنى استشهدت بأبيات لمعروف الرصافى ، وكنت طالباً صغيراً بكلية اللغة العربية ، وأشهد لقد **فرحت بالتفات الشيخ من أوجه إلى السفح الذى آوى إليه ، وكان خاطرى يردد قول : ابن الدمينة .**

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة ★ ★ ★ لقد سرنى أنى خطرت ببالك

رحمه الله وأكرم مثواه

---

(٦) مجلة الكتاب (يناير سنة ١٩٥٢) ص٨٦

من روائـــع الماضـــى بمجلة الأزهر

إلى أين؟؟ شاطىء النجاة

للشيخ محمد أبو المكارم

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

قامت دعوة الإسلام على الحق ؛ وهو لذلك يدعو إليه دائما وأبدا ، ولم يقصره على أمة بعينها ؛ لأن الحق قدر مشترك بين سائر الأمم ، والمرتكز الأساسى للحق هو العقل ، ولهذا فقد ورد ذكره فى القرآن الكريم ، قرابة خمسين مرة ، وفى سنة رسول الله ﷺ الكثير .

والإسلام ـــ هنا ـــ يزاوج بين المادة والروح ، وبين العلم والدين ، دون نظر إلى لون أو جنس ، ولعل فى القول المأثور : « الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها أخذها » أبلغ دليل على احترام الإسلام لكلمة الحق لأن الإسلام دين الحق .

قال الشيخ ـ رحمه الله :

توفر للدين الإسلامى من الإمكانيات الروحية والمادية ما استطاع بها أن يصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المتناحرة ، ويكون من شتاتها جميعا قوة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هذا الدين . والإسلام دين يربى معتنقيه التربية القويمة ، ويصوغهم على صفات الكمال الإنسانى ، ويهيئهم لمواجهة مشاكل الحياة ، ويمكنهم من معالجة الأمور بما يناسبها .

استقر الأمر للدولة الإسلامية بعد أن انتشر الإسلام فى الشرق والغرب ، ودخل أهل البلاد المفتوحة فى هذا الدين القويم ، فرجع المسلمون الى عقولهم يستوحونها الحكمة والمعرفة ، وينطلقون بها فى ميادين البحث والعلم ، ويحلقون بها فى سماء النشاط الفكرى المادى والروحى ، فبحثوا فى العلوم الدينية والمعارف الإنسانية ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، فى جميع ما أنتجته العقول البشرية السابقة من كلدانيين وهنود ويونانيين وفرس وغيرهم .

وإذا بدأت حركة البحث الفكرى دينية على عهد النبى ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين فذلك أمر طبيعى اقتضته فطرة الوجود وسنة التدرج ، فالدين قد ملك على القوم قلوبهم ومشاعرهم ، فهو سبب وحدتهم ، ومنبع نهضتهم ، وسر وجودهم .

وقد أقبل كبار الصحابة الذين وزعوا على الأمصار ومن تتلمذ عليهم من التابعين الذين دخلوا فى الإسلام من الشعوب المفتوحة على القرآن والحديث بالتفسير والشرح والتمحيص ، يدونون المعانى ، ويستنبطون أحكام ما يعرض لهم من معاملات اقتصادية ، ونظم سياسية ، ومبادىء اجتماعية ، فى هذه الدولة المترامية الأطراف ، التى صاغت حضارتها فى إبداع على أكمل نظام .

وقد وسع الإسلام بأصوله الواضحة ، وقواعده السليمة ، وتعاليمه السمحة القويمة ، هذه الحركة الفكرية المتحررة من أغلال التقليد والتقييد ؛ ذلك لأن الإسلام يتسع لبحث الفكر ولا يضيق ذرعا بمبتكرات العلم ومبدعاته . كيف لا وهو الدين الذى أخذ بيد الفكر من مواطن الرعونة والغفلة والإهمال إلى أماكن الروية والعمل والاستبصار .

وإن دينا من أعظم مزاياه أن النص المقطوع به لا يتعارض قط مع العقل فى اتجاهه السليم .

وإن دينا لا يكتفى من معتنقيه بتصديق المقلد ، وإن دينا يرى أن الحكمة فى متناول الإنسان ، وأنها من نصيب البشر ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ سورة البقرة

إن دينا هذا شأنه لخليق أن يستمتع العقل فى ظلاله بالحرية الكاملة فى البحث والتفكير .

لذلك شق الإسلام طريقه إلى القلوب والعقول بالحجة والبرهان دون التجاء إلى السطوة والصولجان . فلا تجده يكلف الإنسان عقيدة من العقائد دون أن يتبعها الدليل الذى يأخذ عليه طريق المكابرة والعناد . فلا يسعه إلا التصديق والإذعان ، فكتاب الإسلام حين يلقى إليك بعقيدة التوحيد فى قوله : « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ »(1) يقرنها بالدليل مباشرة إذ يقول :

« إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »(2) .

ولو تتبعنا القرآن دستور الإسلام ، لوجدناه ينعى باللائمة المرة على من يهمل عقله ، ويعيش

(1 ، 2) البقرة ١٦٣ ، ١٦٤ .

دون العناية بهذه الجوهرة الغالية ، وتلك الهبة الربانية السامية ، فقد أبرزه فى أبشع صورة إذ يقول : « إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »(٣) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) ، كما أوضح بالكثير من آياته شدة عنايته بالعقل وعظيم اهتمامه بشأنه . استمع معى إلى بعضها وتأمل : « وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٥)

« ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ »(٦) .

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ »(٧) ،

« لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ »(٨) ، « قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ »(٩) ، « أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ »(١٠) ، « وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ »(١١) .

إن هذه العناية بالعقل لأن العقل قد بلغ أشده فى ظلال الإسلام ، واستوى على عرش الفكر ، وتمكن من زمام البحث ، فلم يعد طفلا يكتفى بالتلقينات ويقنع بالمسلمات . لذا جاء الإسلام مؤسساً دعائمه على العقل ، متمشيا فى تشريعاته مع الطور الفكرى الذى وصلت إليه الإنسانية فى عمرها المديد ، فقد بلغت الإنسانية منتهى النضج الفكرى ، ووافاها الإسلام عند الكمال ، فهو لذلك دين الإنسانية الكاملة .

ومهما ارتقت وسائل البحث العلمى ، ونظم الحياة المادية ، ومهما ابتدع العلم الحديث من عجائب وأحدث من مبتكرات ، فإن الإسلام لا يمكن أن يجافيها بل هو يشجع الباحثين على التفنن فى الابتكار والإتقان لما فيه خير الإنسانية ورفاهيتها « عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » « سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ » « ويخلق ما لا تعلمون » .

أقول : لن يقف الإسلام مناهضاً لحركة البحث ، أو عقبة كأداء فى سبيل الفكر ، كما وقفت الكنيسة « الكاثوليكية » فى ماضيها أمام كثير من الحقائق والمخترعات .

فقد سجل التاريخ صورا قاتمة من الكفاح المرير بين رجال الكنيسة وجمهرة المكتشفين والمخترعين وأتباع كل مما أوجد العقدة النفسية بين الدين والعلم ، وأرث نار العداوة بينهما . ولا زلنا نصطلى نارها ونحاول تهدئتها حتى الآن . وهاك بعض هذه الصور المفجعة للعبرة والمقارنة :

---

(٣) الأنفال ٢٤ .
(٤) البقرة ١٧١ .
(٥) النحل ٧٨ .
(٦) الملك ٣ .
(٧) الحج ٤٦ .
(٨) الأعراف ١٧٩ .
(٩) الأنعام ١١ .
(١٠) الأعراف ١٨٥ .
(١١) العنكبوت ٤٣ .

لم تكتف الكنيسة بالمقاومة القولية ، والمصاولة بالحجة والبرهان ؛ لأنها تعلم أن قوتها ستنهار فى هذا الميدان ؛ لذا لجأت إلى طريق القسوة والعنف ، وتفننت فى أنواع التعذيب والتنكيل فى النفس والمال والأهل والأتباع ، وأوقعت المحكمة المقدسة بين الناس فى أوربا من الرعب ما خيل لكل من يلمع فى رأسه شعاع من نور الفكر أو بصيص من خواطر البحث ، أن رسول الشؤم يترصده ، وأن السلاسل والأغلال أقرب إلى عنقه ويديه من ورود الفكرة العلمية إليه .

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها سنة ١٤٨١ ــ ١٥٠٨م على ثلاثمائة ألف وأربعين نسمة باسم مقدسات المسيحية : منهم مائة ألف حرقوا بالنار أحياء ــ يقول أحد مؤرخى أوربا مصورا الحالة النفسية الهالعة فى ذلك العهد « يكاد يكون من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه » وحاربت الكنيسة كروية الأرض ، وكشف أمريكا ، والحقن تحت الجلد ، وتخدير النساء عند الولادة وغير ذلك ، والمؤلم أن تستند الكنيسة فى هذه المقاومة إلى نصوص من الكتب المقدسة ــ كأن الأديان إنما هى لعنة الإله على الإنسان وليست هداية الله للبشر يهدى بها من استنار بضوئها إلى تحقيق السعادة لنفسه ولبنى جنسه فى العاجلة والآجلة .

نكتفى بهذا الإجمال تاركين العقل الإنسانى فى غيابات سجون أوربا يرسف فى السلاسل والأغلال لنرى العقل الإنسانى فى ربوع الشرق وفى رحاب الإسلام ، وتحت ظلاله الوارفة ، وشمسه المشرقة .

ماذا وجد العقل فى الدين المحمدى ؟

وجد العقل فى دستور الإسلام منبها له من سباته العميق ، وحاثا إياه على العمل والتبصر ، ومهيئا له كل وسائل البحث والمعرفة ولا يسعنى للبرهنة على هذه الحقيقة ــ بعد ما قدمت من آيات دستور الإسلام ، وما نعلمه من سنة رسول الإسلام وقيادته للحركة العلمية ، وحضه أتباعه على التزود من العلوم والمعارف ــ إلا أن أضع أمام ناظريك الحالة العلمية فى ربوع الإسلام وتحت راية القرآن ، فهى الميزان الصادق ، والفيصل القاطع فى هذا المقام ؛ لأن الحالة العلمية هى النتيجة الطبيعية لحرية البحث الفكرى .

ازدهرت العلوم المدنية ، وأخذت حظها من النضج والبحث الفكرى والتجريبى تحت راية الإسلام ، لا فرق فى معاملة الباحثين والمفكرين بين مسلم وغيره ، وأول من توجه إلى هذا الميدان أبوجعفر المنصور وأوصلها هارون الرشيد إلى أوربا المظلمة ، فلما كان المأمون لم يبق شىء من الكتب والأبحاث العلمية باللغات الأخرى : إغريقية أو فارسية ، سريانية أو هندية ، إلا وترجم إلى اللغة العربية ، وبهذا وضع العرب المعارف البشرية منذ نشأتها بلغتهم تحت أبصارهم وبصائرهم .

وأقبل العلماء على هذه العلوم بالشرح والتحليل ، والاستنباط والتأويل ، واجتازوا دور الفهم والتقليد سراعا إلى دور الابتكار والتجديد . فأنشأوا المدارس والمراصد ، والبيمارستانات وألفوا الكتب والموسوعات وأودعوها جهودهم الجبارة فى خدمة المدنية والعلم ، وقدر الباحثون دور علماء الإسلام فى سلم التطور الفكرى بأنه حلقة الاتصال بين القديم والحديث ، وكذب أن

العرب حميلة على اليونان ، وإنما نظر المسلمون فى علوم اليونان فأكملوا الناقص منها وشذبوه من الأدران العالقة به ، وأخرجوا منه ومن غيره علما جديدا أنضجوه بعقليتهم الجبارة وفطرتهم العربية الإسلامية السليمة . فكتاب « القانون » الذى ألفه الرئيس ابن سينا كان شريعة الطب فى العالم طوال ستة قرون ، واستمر عمدة التدريس فى جامعات فرنسا وإيطاليا حتى منتصف القرن التاسع عشر . وهم أول من عين موضع إخراج الحصاة كآخر اكتشاف وصل إليه الطب الحديث . وما وصلوا إليه من معرفة فى الفلك والجبر والحساب ناطق بفضلهم ، فقد رصدوا الأفلاك وابتكروا آلات الرصد وقالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورها ولا تزال المصطلحات العربية فى هذه العلوم حتى الآن ، وبحوثهم فى الحيوان والنبات والكيمياء أصول هذه العلوم . وأما النواحى الفكرية الفلسفية « الميتافيزيقية » فإن علماء الإسلام فيها هم الأعلام الذين لا يشق لهم غبار . وجدير بالذكر أن أبحاث ابن رشد أثارت ثائرة العالم المسيحى « الأوربى » آنذاك حيث كان غارقا فى بحر الظلمات .

وما كان هذا الإنتاج المادى والروحى إلا لأن الإسلام أطلق لمعتنقيه العنان فى هذه الأبحاث ، وشجعهم على الإجادة بما كافأهم من مكافآت مادية وأدبية .

وقد سجل التاريخ صورا رائعة تنطق بمؤازرة الإسلام للعلم والنهوض به ، ورفع مكانة العلماء والعناية بشأنهم وتقدير جهودهم ، وما نبأنا التاريخ مرة واحدة أن الإسلام حارب حقيقة أو قاوم اختراعا جديدا .

كيف والإسلام دين العلم ، ورسول الإسلام يقول عنه القرآن : « وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا » ودستور الإسلام يسمو بمكانة العلماء فى قوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وما رضى الإسلام بتشجيع معتنقيه فحسب ، وإنما وسع العلماء والباحثين من غير المسلمين كذلك . يقول المستر درابر : « إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيرا من الأعمال الجسام ، ورقوهم إلى أعلى المناصب فى الدولة » .

فالإسلام دين لا يعرف إلا الحق ، فهو يقدر العالم لعلمه دون اعتبار لنسب أو نشب أو دين أو جنس أو لغة ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ــ يقول أحد خلفاء المسلمين : « العلماء هم صفوة الله من خلقه ، ونخبته من عباده ؛ لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل الفضائل الإنسانية هم ضياء العالم ، ولولاهم لسقط العالم فى الجهل والبربرية » هذا تقديره الأدبى للعلماء أما المكافآت المادية فقد كان يعطى أحدهم وزن مايترجم ذهبا .

وفى ظلال هذه الرعاية « أثمر العقل ثمراته التى حفلت بها الأرض فى ظلال القرآن وتحت راية السنة المطهرة ، وخلف العلماء هذا التراث الخالد الذى نعتز به وتعتز به البشرية قاطبة » .

ويقول درابر : « إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » .

من كل هذا نقرر فى وضوح أن الإسلام كدين ودولة معا لم يعاد العلم ولم يحجر على الفكر . وإنما أطلق للعقل والبحث العنان وشجع العلماء

والباحثين على الابتكار والإتقان ، فما جمع المجامع العلمية ، وما استعدى السلطة الزمنية على إخماد الحركة العلمية وإنما بذلت الأموال ، وأغدقت الأعطيات على العلماء والباحثين .

فهل كان الدين آنذاك فى زوايا النسيان والإهمال ، أم كانت له الدولة والسلطان ، إن عصرا أنجب أئمة المسلمين المجتهدين والحكماء والعباقرة والمفكرين ، وكان من خلفائه من يغزو عاما ويحج عاما لا يمكن إلا أن يكون الحق فيه صاحب القهر والسلطان .

فالإسلام شريعة البشرية عامة ، نظم حياتها ووضع لها التشريعات القويمة وضعا بديعا متناسقا ، فلا عداء ولا صراع ولا تفريق ولا تضارب بين المادة والروح ، ولا بين العلم والدين ، ولا عبادة للمال ولا إنكار لقيمته ، ولا تخريب للدنيا كما لا جحود للآخرة ، بل توافق وتعاون وانسجام

« وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ »(١٢)

إن العلماء والمفكرين الإسلاميين قد ضربوا للعالم أصدق المثل العلمية على هذا التعاون بين العلم والدين ، ودونت أسفارهم مثلا رائعة للتضامن بين المادة والروح . وهاك مثلا طريفا ضربوه لإيضاح هذه الصلة :

« أعمى يحمل مقعدا ، يأويهما صاحب بستان ، ويبيح لهما أن يأكلا من ثماره ومشتهياته دون العبث بمحتوياته ، تحت مراقبة وإرشاد حارس البستان » فإن أطاعا وامتثلا دامت لهما حياة الرغد فى البستان ، وإلا استحقا الطرد والحرمان . هذا الأعمى هو المادة ، والمقعد هو النفس « الروح » وحارس البستان هو العقل ، والبستان هو الدنيا ، وثماره طيبات الدنيا ومشتهياتها ، وصاحب البستان هو الخالق العظيم ـ سبحانه وتعالى ـ وهم فى هذا يشيرون إلى أن المادة تستطيع أن تتعاون مع الروح فتنعم بثمرات الدنيا ومشتهياتها إذا هى استرشدت « العقل » وأطاعت الخالق « الدين » وبهذا تتحقق لها السعادة فى دنياها ، وتوفى جزاءها الكريم فى أخراها .

أما إن أهملت المادة الروح وعصت الخالق ، وخرجت على أوامره « الدين » فقد تخبطت فى تصرفاتها ، وأغضبت خالقها ، وحق عليها الشقاء ، وسارت كالأعمى خرج على المقعد وغافل حارس البستان ، فصار يعيث فى البستان فسادا ، وهو لايدرى أنفعا جلب لنفسه أم ضرا أصاب « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

وهكذا يتبين أمامنا ما ضربه أسلافنا من المثل العالية فى التضامن بين المادة والروح ، والتناصر بين العلم والدين . فهل نستطيع أن نضرب مثلا جديدة فى هذا السبيل ، دون تطاحن أو مروق ، فتنمحى تلكم الصرخات المدوية وتتلاشى هذه الصور القاتمة التى تهدد البشرية بالفناء والدمار .

إن السير فى طريق المادة والخضوع لسلطانها مود بالعالم إلى الشقاء والفناء ، وإن الأمم التى أسست حضارتها على أسباب المادة تحتل المظاهر المادية عندها جميع نواحى النشاط الإنسانى ، أما

---

(١٢) القصص ٧٧ .

الأخلاق فمنزوية فى مكان مظلم من الحياة سحيق ، إن الفرد من رعاياها يعبد البنك ستة أيام فى الأسبوع وينطلق اليوم الباقى من حياته للانغماس فى الملذات والشهوات ،

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الحجر

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (١٣)

لهذا نادى العقلاء وبناة الأمة والناهضين بالشعوب الإسلامية مبصريـــن ، أن انخلاع المسلمين عن تعاليم دينهم ، ومجافاتهم القيم الرفيعة التى أتى بها الإسلام ، وهجر الفضائل التى ورثتها البشرية ، ونبذ الآداب الخلقية السامية التى قررتها الفطر الإنسانية السليمة على مر الأجيال ، لا ينبغى أن تقام عليه مدنية المسلمين وحضارتهم فى القرن العشرين ، بل يجب أن نحرص على مقدسات الإسلام .

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى
ونصنـــع مثـــل ما صنعـــوا

وكذب أن الدين مخدر للشعوب ومعوق للأمم عن النهوض ، فالإسلام قد أيقظ شعبا وأنهض أمة ، وأنشأ دولة وحضارة .

وأخيرا أقول : إن صوت الإسلام يدوى فى الآفاق ينادى أتباعه جميعا :

أيها الماديون جوسوا خلال المادة ، وتلصصوا بين خلاياها ، واخترقوا جدرانها ، وأميطوا اللثام عن خفاياها ، واهتكوا ستورها ، وابحثوا ما تهيأت لكم وسائل البحث ، وامتطوا الهواء وفتتوا الذرة وحطموها ، وأخرجوا للبشرية ما تستطيعون مما أبدع الخالق فى ملكوت السموات والأرض ، واستنيروا بهدى الروح ، واستضيئوا بضوء السماء ، وإياكم والتوجه بمخترعاتكم إلى إيذاء البشرية وضررها ، بل إلى ما ينفع الإنسانية ويبهجها « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ »(١٤)

أيها الروحانيون ، يا سدنة الأخلاق ، ويا دعاة الفضيلة ، ويا عشاق المثل العليا ، ابذلوا الجهد ، وأنيروا السبيل ، وأحيوا القول بالعمل ، كونوا مثلا حية عملية لما تقولون ، فقول بلا عمل شجرة بلا ثمر «كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ» خذوا من الحياة المادية بنصيبكم ، واقتدوا بنبيكم ــ عليه الصلاة والسلام ــ فهذا دستور الإسلام « وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(١٥) .

إنكم إن أجبتم جميعا الدعاء ، ولبيتم النداء تحقق لكم وعد السماء ، نصر من الله وحسن الجزاء ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

---

(١٣) الروم ٧ .
(١٤) الزلزلة ٧ ، ٨ .
(١٥) التوبة ١٠٥ .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

مشاهد من الهجرة

للشاعر: رشاد محمد يوسف

الندوة عقدت واشتملت كل الكفار
والشر يعربد مجنونا مثل الإعصار
وتحدث شيخ نجدى فأقر .... قرار
نتخير من كل قبيل شهما مغوار
ونحيط البيت ونحكمه بأشد حصار
فإذا ما أقبل فاجأه السيف البتار
رسموا للغدر وما قدروا رب الأقدار

• • •

الهادى الصادق يتخطى كيد الأشرار
وثابا يمشى فى ثقة بين الأخطار
والنور يواكب خطوته يغشى الأبصار
يغشى أبصار من التفوا من حول الدار
وصحوا والخزى يجللهم وجنون العار
والله يتم النور ولو كره النور الكفار

• • •

النخلة شدت قامتها ورنت خيمه
والبدر تسلل مبهورا قلب الغيمه
وتهلل نجم فى شوق عانق نجمه
وانساب ضياء علوى كشف الظلمه
والغار سرادق أضواء بعد العتمه
والهادى الصادق بسمته يا للبسمه
تسمو تتألق إشراقا فوق القمه
شلال ضياء وأمان جم الأنوار
وخيوط تنسج وتعشش فيه الأطيار
والقوم أطلوا وأطالوا ويدور حوار

ماذا لو ينظر إنسان فى جوف الغار
ماذا وتهز أبا بكر تلك الأفكار
والهادى الصادق بسمته أمن وقرار
والله يبارك خطوهما بثنايا الغار

•••

وسرت كالنسمة فى صمت سارت « أسماء »
تدعو تتوق فى خوف عين الأعداء
تحمل للرحلة بعض الزاد وبعض الماء
وتشق نطاقيها طوعا فتنال دعاء
وتسير الرحلة آمنة عبر الصحراء
عين الرحمن تباركها والعزم مضاء

•••

ويدور حوار مجنون ويثور طغاه
والركب الصادق منطلق يرعاه الله
وسراقة سهم مدفوع فى إثر خطاه
ودنا فكبا منه جواد غاصت قدماه
وترجل يسرع فانهارت خانته قواه
وأشار محمد قم وانهض فأنار حجاه
وتقدم أسلم مبهوراً برسول الله
ويهل البدر بطلعته فيعم سلام
وتصير مدينة أحمدنا أرض الإسلام
منها يتقدم جحفله .. كل الإقدام
وبها أرواح تتآخى فى الله كرام
ويظل محمد رائدنا عبر الأيام

العلم بين الخير والشر

للشاعر/ محمد عبدالرحمن صان الدين

من بديـع العصـر أن العـلم للأطيـاف صَـوَّرْ
فغـدت بالعيـن فى الأوراق والشاشـات تُنظـر
يا لهـا ، من بعـد أن تخفـى عن الأنظـار تظهـر !!
منجـزات العلـم فوق الأرض مثـل السحـر تبهر
عـرشَ بلقيـس عليـمٌ ∴ قبـل رَدِّ الطـرف أحضـر

•••

كهربـاء الـروح فى الأجسـام تسـرى بالحيـاةِ
فتـرى الأحيـاء منهـا ∴ غاديـات رائحـات
تختفـى إن غادرتهـا ∴ عن عيـون مبصـرات
لا تـرى إلا جمـادا ∴ أو نثـارا من رفـات
بـل خفـاءً تحـت صـمت ∴ فى ديـاج موحشـات

•••

قـد يصـير العـلم شـرا ∴ داهمـا يطغـى ، ونقمـة
ماحقـا فى الأرض من غيـر اعتبـار كـل نعمـه

(١) فطير : غير ناضج :

إن غـــدا حكـــرا لعـــقل ∴ جاحـــد من غيـــر ذمـــه
عن بنـــى الإنســـان يخفـــى ∴ فى دجـــى الكتمـــان علمـــه
إذْ يـــرى أن احتكـــار العـــلم والعرفـــان حكمـــه

• • •

ويـــح أهـــل الأرض من عـــلم تبنـــاه رجيمُ
كـــل ما يـــأتى بـــه فى ∴ هـــذه الدنيـــا ذميـــم
كـــم على الغبـــراء من إنتاجـــه شـــاعت ســـموم
إنـــه فى قبضـــة الإلحـــاد رعـــب وجحيـــم
فى أيـــادى الرشـــد والإيمـــان أمن ونعيـــم

• • •

ســـيقول البعـــض من جهـــل وخبـــث فى الضـــمير :
أنت يا هـــذا تعـــادى العـــلم فى العقـــل المنيـــر
حقـــق الإنســـان حـــلم الفكـــر بالعـــلم القديـــر
وجـــوابى : ما الـــذى نجنيـــه من عـــلم فطيـــر[1]
يدفـــع الأحيـــاء فى حمـــق إلى هـــول المصـــير

• • •

لم أعـــادِ العـــلم والعرفـــان فى أيـــد أمينـــه
وعقـــول فى يـــد الإيمـــان والتقـــوى رهينـــه
تجعـــل الأحيـــاء فـــوق الأرض فى أمن مُصُونـــه
من نزوق راح بالعرفـــان يســـترضى مجونـــه
معطيـــات العـــلم فى شـــر وتدميـــر لعينـــه

عتاب

للشاعر السيد الصديق حافظ

لولاك يا «حواء» ما كان التراب سوى تراب !
يا أرضنـــا المعطـــاء يخطبها ويزجوهـــا السحـــاب !
يسقـــى روابيها فينـــبت فى جوانبها الشبــــاب !

***

يابنتنـــا .. يا أختنـــا ... يا أمنـــا عنـــد انـــتساب !
يا زوجة حفظت أمـــانتها ومـــا جاءت بعـــاب !
إن الذى فرض الصلاة عليك قد فرض الحجاب !
ليصون ذاتك ـ وهـــى غاليـــة مطهـــرة الجنـــاب
عن أعين وحشية النظـــرات خاسئـــة الرغـــاب !
تدمى الثياب وما بدا منها ومـــاتحت الثيـــاب !
فاقْنَـــىْ حيـــاءك(١) واطلبى ستراً به يرجـــى الثـــواب !

***

داعـــى الرذيلـــة ناعب بالشر أشأم من غراب !
يدعـــو نساء المسلـــمين إلى مكاشفـــة الذئـــاب !
وإذا أردن تحصنـــا ذم التـــحصن والمتـــاب !
ويسره جمع العنـــادل(٢) والعنـــاكب فى جراب !

(١) اقنى حياءك : الزمى حياءك .

لاتتركى الديوث يهزأ بالنبوة والكتاب !
يدعو إلى خطأ ويدأب فى معاداة الصواب !
زعم التقدم فى السفور وجد فى ذم الحجاب !
أخذ القشور من الحضارة عندما عز اللباب !

***

يانعمة الدنيا وخير متاعها هل من عتاب ؟!
لما هجرتِ البيت عاثت فيه فئران الخراب !
فقد الصغار أمان أنفسهم وسادهم اكتئاب !
واستنوق الجمل الكبير وصار زوجاً من شراب(٣) !

***

جر اختلاطك بالرجال عليك ألوان العذاب !
عمل النساء كرامة بين الصواحب لا الصحاب !
ويكون أكرم مايكون لنيل ـ علم واكتساب !
فإذا كفيت مئونة ورزقت مَنْ صان الإهاب
فدعى مزاحمة الرجال فإنها هم وصاب !
عودى إلى بيت له سقف ونافذة وباب
وأبو الفوارس حارس لاتستخف به الكلاب
من حوله نبتت رماح تستظل بها كعاب !
حسناء مثلك جاء يخطبها ويمهرها سحاب !

(٢) العنادل : جمع العندليب طائر حسن الصوت .
(٣) زوجاً من شراب : الجوربان .

البيمارستانات

العلوم الكونية

فى عصر الحضارة الإسلامية

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

نشأت البيمارستانات (المستشفيات)[١] فى جنديسابور بفارس قبل الإسلام بنحو ثلاثة قرون ، وذلك على أيدى طائفة من الأطباء النسطوريين بعد أن هربوا من اضطهاد الرومان الشرقيين لهم . أما بعد الإسلام فقد أقيمت البيمارستانات ؛ لتكون بمثابة دور لعلاج المرضى ومعاهد لتعليم الطب ، ومنها ما كان ثابتا فى المكان الذى أقيم عليه أو متنقلا من مكان لآخر[٢] مع الخلفاء والأمراء فى أسفارهم ، أو مع الجيوش فى الحرب ، أو بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها فى البلدان الخالية من البيمارستانات الثابتة .

البيمارستانات المتنقلة :

روى مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق (سنة ٥ هـ/ ٦٢٧م) رماه رجل من قريش ابن العرقة ، رمى فى الأكحل فضرب رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد يعوده من قريب . وقال ابن اسحاق فى السيرة : كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة فى مسجده ، كان تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وقد كان رسول الله قد قال لقوم حين أصابه السهم بالخندق : « **اجعلوه فى خيمة رُفَيْدَة حتى أعود أعوده من قريب** »[٣] .

ويفهم من ذلك أن أول « بيمارستان متنقل » فى الإسلام هو « المستوصف الحربى » الذى أمر الرسول ﷺ بإنشائه أثناء معركة الخندق على هيئة خيمة فى مسجد المدينة لعلاج جرحى الحرب .

وقد كانت « البيمارستانات » المتنقلة أو

(١) « بيمارَسْتان » ـ بفتح الراء ـ كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما « بيمار » بمعنى مريض أو مصاب و« ستان » بمعنى دار ، أى أنها « دار المرضى » ، وهى تناظر « المستشفى » فى عصرنا الحاضر . وقد اختصر اللفظ بعد ذلك إلى « مارستان » وأطلق على ما يقصد به الآن « مصحة الأمراض العقلية والعصبية » .

(٢) « البيمارستان المتنقل » يناظر ما يُعرف الآن باسم « المستوصف » أو المستشفى الصغير الذى يُقتصر فيه على الخدمات الطبية اليسيرة ، ويقابله بالانجليزية كلمة Ambulance .

(٣) د. فاطمة محجوب ، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، مادة : بيمارستان ، دار الغد العربى ، المجلد الثامن . ١٩٩٣م .

المحمولة معروفة لدى خلفاء المسلمين وملوكهم وسلاطينهم ، وهى عبارة عن « مستوصفات » مجهزة بالأطباء والصيادلة ، ومزوّدة بكل ما يلزم لعلاج المرضى من دواء وغذاء وشراب وملبس ، وكل ما يعين على ترفيه الحال . ومن هذا النوع ذلك « البيمارستان » المتنقل الذى أنشىء فى عصر المقتدر بالله بناء على كتاب أرسله ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة يقول فيه :

« فتقدم مدّ الله فى عمرك بإبقاء متطبين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السَّوادِ[٤] ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره ...» .

وذكر المؤرخون أن السلطان محمود السلجوقى كان يستصحب فى معسكره (بيمارستان) يحمله أربعون جملا .

وكانت العادة فى دولة المماليك أن يخرج السلطان ومعه الأمراء والأعيان إلى القصور التى بنوها خارج المدن ؛ ليقيم فيها أياما ، ويصحب معه كل ما تدعو الحاجة إليه من وسائل العيش ، بما فى ذلك الأطباء والجراحين وما يلزم من الأشربة والعقاقير والمستلزمات المحمولة بما يكون « بيمارستانا » كاملا متنقلا فى ركاب السلطان[٥] .

البيمارستانات الثابتة :

الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك هو أول من بنى دارا للمرضى (مستشفى) فى الإسلام سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٦م ، وأمر بعزل المجذَّمين لئلا يختلطوا بالناس ، فكان هذا أول « محجر صحى » فى الإسلام .

وكانت « البيمارستانات » الثابتة فى أول عهدها بسيطة ، ثم ازدهرت وتطورت تطورا كبيرا فى عهد العباسيين ، وانتشرت فى مختلف البلاد التى ضمتها الدول الإسلامية الكبرى ، وتزايد عددها فى الحواضر حتى أن مدينة قرطبة وحدها كان بها خمسون مستشفى فى أواسط القرن العاشر الميلادى .

وكان اختيار موقع البيمارستان يتم بعد بحث وتفكير لتحديد أفضل الأماكن صحة وجمالا ، فقد جاء فى كتاب « طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة أن عضد الدولة استشار أبا بكر الرازى الطبيب المشهور ؛ ليختار له مكانا لبناء مستشفى يحمل اسمه ، فطلب الرازى أن يعلق فى كل ناحية من جوانب بغداد شقة لحم ، واعتبر الناحية التى لم يتغير فيها اللحم فأشار بإقامة المستشفى عليها . وعندما أراد الناصر صلاح أن يبنى المستشفى الناصرى فى القاهرة اختار لهذا الغرض أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء[٦] .

نظام العمل الطبى فى البيمارستانات :

كان « البيمارستان » بوجه عام ينقسم إلى قسمين منفصلين : أحدهما للذكور والآخر

(٤) السواد من البلد : قراه ، ومنه سواد العراق : ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من قرى .

(٥) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، بإشراف : د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ للنشر .

(٦) سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية فى أوروبا ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١م .

للإناث ، وكانت تُخصص به قاعات لمختلف الأمراض ، فقاعة للأمراض الباطنة ، وقاعة للجراحة ، وقاعة للكحالة (أمراض العيون) ، وهكذا . كما كانت قاعة الأمراض الباطنة مقسمة هى الأخرى إلى أقسام خاصة بالمحمومين (أى : المصابين بالحميات) : وقسم للمبرودين (أى : المتخومين) ، وقسم للممرورين (أى : الذين فسد مزاجهم أو أصابهم هوس ، وهو ضرب من الجنون يتميز بالانفعال الشديد ويسميه الأطباء « مانيا » (Mania) ، وقسم لمن به إسهال ، وهكذا . وكان لكل قسم من هذه الأقسام خدم وفراشون وقوّام من الرجال أو النساء يشرفون على خدمة المرضى وإطعامهم وتقديم العلاج لهم[٧] .

أما العمل الطبى فى « البيمارستان » فتقوم به طوائف الأطباء المتخصصين فى فروع الطب المختلفة ، منهم الباطنيون والجراحون والكحالون (أطباء العيون) والمجبرون وغيرهم . وكان لكل طائفة من هذه الطوائف رئيس يحكم على أفراد طائفته ويأذن لهم فى التطبيب . وكان رئيس الأطباء يتفقد أحوال المرضى ومعه معاونوه ، وإذا دعا الحال كان الأطباء والمتخصصون يدعون من قسم آخر غير الذى يقيم به المريض للاستشارة ، وكان جميع ما يكتبه الطبيب لكل مريض من المداواة والتدبير ينفذ ولا يتوانى فى ذلك[٨] .

وعرف عن أطباء « البيمارستانات » نظام المناوبة فى العمل ، فكان بعض رؤساء الأطباء تقع نوبته يومين وليلتين . وقد نشأ إلى جانب العمل بالأقسام الداخلية نظام للعلاج الخارجى ، إذ يذكر ابن أبى أصيبعة أن « الطبيب كان يجلس على دكة ، ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقا يعتمد عليها (أى « روشتـــات ») ، ويأخذون بها الأدوية والأشربة من البيمارستان » ، وكانت « الشرابخانة » (أى بيت الشراب أو « الصيدلية ») جزء هام من مرافق البيمارستان ، يقوم عليها الصيادلة ، وتحتوى على العديد من الأدوية والأشربة والعطريات والمعاجين وغيرها من أصناف شتى[٩] .

ولم تكن وظيفة البيمارستانات مقصورة على المداواة ، بل شملت تدريس صناعة الطب عن طريق المرور مع التلاميذ على المرضى ، وعقد المباحث الطبية فى قاعات مجهزة بالكتب والآلات ، فقد كانت المستشفيات الكبيرة بمثابة معاهد عالية للطب يقابل فيها الطلاب ما تلقونه نظريا بما يشاهدونه عمليا . ولقد كتب ابن أبى أصيبعه عن تجارب فى سنى دراسته فى دمشق فوصف كيف كان يدأب على مرافقة رئيسه فى زياراته للمرضى ، وكيف كان مع زملائه يعملون على متابعة ما يقوم به حين يكشف على بعض المرضى ويصف الدواء لهم ، وكيف كانوا يتدافعون بالمناكب لتلَقُّطِ كل ما كان الرئيس يقوله لزميل له شهير كان يأتى كلما استعصت حالة ما ليناقشا ويتباحثا ، الأمر الذى كان يجعل زيارة المستشفى ذات فائدة مزدوجة حين يعمد الاثنان

(٧) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

(٨) نفس المرجع السابق . راجع ايضا : د. أحمد فؤاد باشا ـ التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٣م .

(٩) المرجع السابق .

إلى مناقشة الحالات المختلفة فى حضور الطلبة وإشباع أمر معالجتها بحثا ونقاشا(١٠) .

أمـا من ناحيـة الإدارة ، فقـد كان « للبيمارستـان » « ناظر » يشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة له ، وكان لكل قسم من أقسامه إدارة يتولاها قائم لتفقد أحوال المرضى . وكان تعيين الناظر يتم وسط مظاهر حافلة ، حيث أن نظارة البيمارستان كانت من وظائف الدولة السامية ، وكان يتولاها أحيانا السلاطين بأنفسهم أو يولونها أحد أمراء الدولة . وكثيرا ما كان الخلفاء والملـوك والسلاطين والأعيان يتبارون فى إقامة « البيمارستانات » فى دور فسيحة ذات عمارة ممتازة تلحق فى كثير من الأحيان بمؤسسات : كالمساجـد والقبـاب والمدارس ، وكانت رواتب العاملين فيها تدفع من ريع مخصص لهذا الغرض . وقد حدث أن قلَّ دخل إحدى المستشفيات الكبرى ، فأرسل رئيس الأطباء إلى الوزير المختص بتقرير خطى يصف فيه معاناة المرضى من شدة البرد وقلة الطعام وندرة العقاقير ، ولما قرأ الوزير هذه الرسالة تأثر تأثرا شديدا وكتب على ظهرها ما نصه : « إلى مدير الأملاك .. أنت أكرمك الله تقف على ما ذكره ، وهو غلط جدا والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك وما أحسبك تسلم من الإثم فيه .. وكيف تصرفت الأحوال فى زيادة المال أو نقصانه ووفوره أو مقصورة ، لابد من تعديل الحال فيه ، بين أن تأخذ منه وتجعل « للبيمارستان » قسطا ، بل هو أحق بالتقديم على غيره ، لضعف من يلجأ إليه ، وعظيم النفع به ، فعرِّفنى ، أكرمك الله ، ما النكتة فى قصور المال ونقصانه فى تخلف نفقة « البيمارستان » هذه الشهور المتتابعة ، وفى هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من فى « البيمارستان » من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم ، ويقام لهم القوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة . وأجبنى بما يكون منك فى ذلك وأنفذ لى عملا يدل على حجتك ، واعْنُ بأمر « البيمارستـان » عنايـة ، إن شاء الله تعالى ـ »(١١) .

والواقع أن السجلات التى كانت تقيَّد فيها مصروفات مثل هذه « البيمارستانات » تنبؤنا عن مدى الاهتمام الزائد بالإنفاق عليها ، سواء من حيث قيمة رواتب الأطباء والعامـلين ، أو الميزانيات المخصصة للعقاقير والتجهيزات والآلات الطبية وغيرها .

البيمارستانات الإسلامية كما وصفها المؤرخون :

أجمع المؤرخون على أن البيمارستانات الكبرى التى أنشئت فى عصر الحضارة الإسلامية كانت على أكبر جانب من التنظيم والرقى ، وكان نظام العمل والعلاج والنظافة والإشراف الطبى لا يختلف عما نجده اليوم فى أحدث المستشفيات ، اللهم إلا بقدر ما حدث من تقدم علمى وتقنى فى طرق التشخيص وصناعة الأجهزة الطبية .

(١٠) سيجريد هونكه ، مرجع سابق .

(١١) ابن أبى أصيبعة فى « طبقات الأطباء » ، عن د. سيجريد هونكه ، المرجع السابق .

ويكفى أن نذكر من بين هذه « البيمارستانات » الكبرى ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المستشفى المنصورى الذى أنشأه الملك المنصور قلاوون من أمراء المماليك البحرية عام ٦٨٢ هـ ، وسمّى أيضا « مارستان قلاوون »[١٢] ، وقد بنى على مساحة كبيرة تبلغ عدة أفدنة ، إلى جانب مسجد وقبة ومدرسة ، وتشهد آثاره الباقية حتى اليوم على ما كان عليه من روعة الزخرفة والبناء والتنظيم .

عرض « مسيو جومارا » Gomara ، أحد علماء الحملة الفرنسية على مصر ، وصفا تفصيليا لمستشفى قلاوون فى كتاب « وصف مصر » Description de L'Egypte ، موضحا ما كان عليه من شهرة وتنظيم ومستوى عال فى خدمة المرضى ، حتى إنه كان يقال : إن كل مريض ينفق عليه فى كل يوم دينار ، وكان له شخصان يقومان بخدمته ، وكان المؤرقون من المرضى يعزلون فى قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بألحان الموسيقى ، أو يتسلون باستماع القصص . وكان لكل مريض عند خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق قبل أن يستعيد صحته . وقد وصف « مارستان قلاوون » أيضا « بريس دافـــــن » Prisse d'avennes فأضاف أن قاعات المرضى كانت تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أو الشجيرات العطرية[١٣] .

وتقدم المستشرقة الألمانية « سيجريد هونكة » وصفا تفصيليا رائعا لإحدى المستشفيات الكبرى فى عصر الحضارة الإسلامية ، من خلال رسالة بعث بها أحد المرضى آنذاك إلى أبيه يقول فيها : « ... لقد سجلوا اسمى بعد المعاينة وعرضونى على رئيس الأطباء ، ثم حملنى ممرض إلى قسم الرجال ، فحممنى حماما ساخنا وألبسنى ثيابا نظيفة من المستشفى .. واليوم صباحا جاء كالعادة رئيس الأطباء مع رهط كبير من معاونيه ، ولما فحصنى أملى على طبيب القسم شيئا لم أفهمه ، وبعد ذهابه أوضح لى الطبيب أنه بوسعى الخروج قريبا من المستشفى صحيح الجسم معافى ، وإنى والله لكاره هذا الأمر !! فكل شىء هنا جميل للغاية ونظيف جدا .. الأسرَّة وثيرة وأغطيتها من الدمقس الأبيض والملاء بغاية النعومة والبياض كالحرير ، وفى كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جاريا فيها على أشهى ما يكون . وفى الليالى القارسة تدفأ كل الغرف ، وأما الطعام فحدث عنه ولا حرج ، فهناك الدجاج أو لحم الماشية يقدم يوميا لكل من بوسعه أن يهضمه ... » .

وإذا كان هذا النص يعكس المستوى الحضارى الذى كانت عليه المستشفيات الإسلامية فإن الحال فى الغرب كانت على النقيض ، حيث أشار إليها « ماكس نوردو » فى وصفه لمستشفى « أوتيل ديو » Hotel Dieu ، وهو أقدم مستشفى فى

---

(١٢) أنشىء « مارستان قلاوون » فى منطقة بين القصرين ، أى المنطقة بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير فى قاهرة الفاطميين ، وهى ما يعرف اليوم بشارع المعز لدين الله .

ولمعرفة المزيد عن « البيمارستانات » المختلفة فى بلدان العالم الإسلامى يرجع إلى : د. أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

(١٣) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

باريس فى القرون الوسطى ، فقال : « ... كان ثمة قش كثير موضوع على الأرض ، تزاحم عليه المرضى ، وأقدام بعضهم إلى جانب رءوس الآخرين .. الأطفال قرب الشيوخ ، والرجال بجانب النساء بشكل يدعو إلى العجب .. وكان قرب المتوعكين توعكا بسيطا أناس ذوو أمراض معدية ، وأناس كثيرون ، منهم الحبلى التى تعانى آلام المخاض ، والطفل الذى يعانى سكرات الموت ، ومريض السل الذى مزق صدره السعال يبصق دما ، والمصاب بالمرض الجلدى يمزق جسمه بأظافره حكا .. والطعام سىء ويقدم لهم على فترات متباعدة بكميات ضئيلة جدا .. وكان المبنى الذى يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات ، أضف إلى ذلك فساد الهواء فى الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل ، وكانت جثث الموتى من المرضى تترك حتى يدب فيها الفساد ، فتفوح الروائح النتنة فى الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعنا نهشا وأكلا من اللحم العفن ، ويضطر المرضى الآخرون أن يشاطروا الجثث هذا المكان قبل أن تُنقل ...»(١٤) .

ويشهد « مايرهوف » بأن المستشفيات الأوربية لم يبدأ مستواها فى التحسن إلا إبان الحروب الصليبية ونتيجة لها ، فالمستشفيات التى ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثالث عشر الميلادى كانت تقليدا للمستشفيات الراقية التى شاهدها الصليبيون فى الشرق أثناء الحروب الصليبية(١٥) .

---

(١٤) د. سيجريد هونكه ، مرجع سابق .

(١٥) د. أحمد فؤاد باشا ، مرجع سابق .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن تحلل الدم

أنيميـــا الفـــول

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا فى المقالات السابقة ، عن فقر الدم الناجم عن نقص أى من العناصر اللازمة لعملية تكوين خلايا الدم الحمراء ، واليوم نتحدث عن فقر الدم الناجم عن تحلل الدم ، وقبل أن نبدأ خُطانا فيما عزمنا عليه ، نلقى الضوء على مكونات الدم .

يتكون الدم من خلايا (تشكل حوالى ٤٥٪ منه) ، والبلازما (وتشكل حوالى ٥٥٪ منه) .

● **خلايا الدم** : *Blood Cells* **وهى تشمل :**

☐ كرات الدم الحمراء : Erythrocytes

☐ كرات الدم البيّضاء : Leucocgtes

☐ الصفائح الدموية : Platelets

● **البلازما** : *Plasma* **وتتكون من حوالى :**

☐ ماء (٩٠٪) : Water

☐ الذوائب الكهربائية (٠,٩٪) Electroly tes وأهمها : الصوديوم والكلور .

☐ بروتينـــات البلازمـــــا (٧ جرام٪ – ٧,٤ جرام٪) Plasma Proteins .

☐ والباقى فى صورة دهون Plasma Lipids .

فقر الدم الناجم عن تحلل خلايا الدم الحمراء :

Hemolytic Anemia

ويحدث التحلل نتيجة لأسباب يجمعهـا نوعان : داخلى وخارجى

١ ـ النوع الداخلى : Intrinsic type

ويحدث نتيجة لوجود خلل فى تكوين كرات الدم الحمراء ناشىء عن :

(أ) خلل فى تكوين غشاء الخلية Cell membrane : مثل مرض تكسر الخلايا الكروية Spherocytosis .

(ب) خلل فى تكوين مادة الهيموجلوبين الموجود داخل الخلية : وأهمه أنيميا البحر المتوسط Thalassemia ، وأنيميـا الخلايـا المنجلية Sickle Cell anemia

(جـ) نقص أحد الإنزيمات الهامة الموجودة فى الخلايا الحمراء :

مثل أنيميا الفول Favism .

٢ ـ النوع الخارجى Extrinsic type .

وفيه تكون الخلية الحمراء طبيعية التكوين ويحدث تكسر الدم نتيجة عوامل خارجية مثل :

(أ) حالات نقل دم مخالف لفصيلة دم الطفل incompatible blood transfusion

(ب) إصابة الطفل بخلل فى جهازه المناعى مما يكون ـ عادة ـ مصحوباً بتولد أجسام مضادة لخلايا الدم الحمراء

Auto immune hemolytic anemia

(جـ) استخدام أحد العقاقير المؤدية إلى تكسر كرات الدم الحمراء مثل أدوية السلفا .

(د) إصابة الطفل بأحد الأمراض مثل الملاريا malaria

• • •

وسوف نبدأ بإلقاء الضوء على أحد أنواع فقر الدم الناجم عن تحلل الدم وهو « أنيميا الفول » .

أنيميــا الفــول :

وهو مرض يحدث نتيجة لنقص أحد الإنزيمات داخل خلايا الدم الحمراء ، وهذا الإنزيم يعد مسئولاً عن حماية خلايا الدم الحمراء من العوامل المؤكسدة oxidizing agents التى قد تؤدى إلى تحلل الخلية ، ولهذا فإن نقص هذا الإنزيم يؤدى إلى تكسُّر كرات الدم الحمراء ، إذا تعرض الطفل لأحد هذه العوامل المؤكسدة ، التى لا تسبب أى ضرر للطفل الصحيح .

وهــذا المرض وراثى متنحٍّ مرتبــط بـ (الكرموسوم) الجنس إكس :

X- linked recessive disease

يصيب الذكور ونادراً جداً ما تصاب به الإناث .

● ونتساءل : ما العوامل المؤكسدة التى تؤدى لتحلل كرات الدم الحمراء للطفل المصاب بأنيميا الفول ؟ :

وتكمن الإجابة فى :

١ ـ بعض العقاقير مثل :

● مخفضات الحرارة كالأسبرين Salicylates والفيناستين phenacetin ولهذا يعد عقار الباراسيتامول Paracetamol هو العقار الوحيد الخافض للحرارة الذى يمكن للمريض استخدامه .

● الأدوية المستخدمة فى علاج مرض الملاريا مثل عقار البرايماكوين Primaquine .

● الأدوية المستخدمة فى علاج مرض الدرن مثل الستربتومــيسين Streptomycin وعقــار الأيزونيازيد isoniazide .

● بعض المضادات الحيوية مثل السلفــا ، الكلورامفينيكول .

● فيتامين (ك) المصنع Synthetic Vitamin K

٢ ـ رائحة النفالتين .

٣ ـ الفول بجميع صوره ومشتقاته ولهذا لُقِّب المرض بأنيميا الفول ، نظراً لتأثيره الضار على كرات الدم الحمراء للطفل المصاب حيث يؤدى إلى تحللها وبالتالى إلى حدوث فقر الدم .

● أعراض المرض :

تختلف شدة المرض من طفل لآخر حسب عدد الخلايا الحمراء المتحللة ويتوقف هذا على :

١ ـ درجة نقص الإنزيم داخل الخلايا .

٢ ـ كمية ونوع العامل المؤكسد الذى تعرض له الطفل .

ويبدأ المرض بعد التعرض للعامل المؤكسد بحوالى (٨ إلى ٧٢) ساعة إذا كان عقاراً ، أو حوالى (يوم إلى ٩ أيام) إذا أكل الفول ، أو أحد مشتقاته ، أو فى خلال دقائق معدودة إذا استنشق حبوب اللقاح للفول . وتظهر الأعراض الحادة للمرض Acute hemolysis بعد التعرض للعامل الضار فى صورة :

١ ـ شحوب ، واصفرار لون الجلد والعين والأغشية المخاطية .

٢ ـ غثيان وقىء وصداع وألم فى البطن .

٣ ـ احمرار بول الطفل .

وتستمر الأعراض عدة أيام وفقاً لشدة المرض ـ كما سبق وذكرنا ـ ثم تختفى الأعراض تدريجياً ويلزم على الطفل التوقف عن التعرض للعامل المؤكسد الذى أدى إلى تحلل كرات دمه الحمراء ، وإلا استمرت هذه الأعراض .

وقد يتخذ المرض صورة مزمنة Chronic hemolytic Anemia

ويحدث هذا فى الحالات الشديدة حيث ينقص الإنزيم بشدة فى خلايا الدم الحمراء ويكون الطفل أصفر اللون ، شاحباً ، وقد يتضخم الطحال .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المرض قد يظهر عند الطفل المصاب بعد أيام قليلة من ولادته neonatal hemolysis وقد يحدث هذا تلقائياً بدون سبب وخاصة فى حالة نقص فيتامين (هـ) ، أو فى حالة تعاطى الأم لأحد العوامل المؤكسدة الضارة للطفل ـ كما سبق ذكره ـ يتم إفرازها فى لبنها ، وبالتالى تنتقل للطفل خلال الرضاعة ، حيث يصاب بشحوب واصفرار جلده وعينيه .

● تشخيص المرض :

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة ، حيث يتجلى فيها :

● نقص نسبة الهيموجلوبين وعدد كرات الدم الحمراء مع وجود بقايا جلوبين متحلل بها Heinz bodies تختفى بعد ٣ إلى ٤ أيام .

● زيادة عدد الخلايا الشبكية .

٢ ـ زيادة نسبة البيلروبين غير المباشر فى دم الطفل indirect Serum bilirubin

٣ ـ قياس نسبة الإنزيم فى خلايا الدم الحمراء بعد ٦ أسابيع من نقل الدم .

● علاج المرض :

١ ـ لابد من التوقف عن التعرض للعامل المؤكسد الضار للطفل والذى أدى إلى تحلل خلايا الدم الحمراء .

٢ ـ نقل الدم Blood transfusion للطفل المريض فى صورة كرات الدم الحمراء إذا احتاج له الطفل .

٣ ـ علاج المضاعفات إذا حدثت مثل إصابة الطفل بهبوط القلب نتيجة حدوث فقر دم شديد Anemic heart Failure .

وسوف نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن تحلل الدم فى مقالنا التالى بإذن الله تعالى .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد *

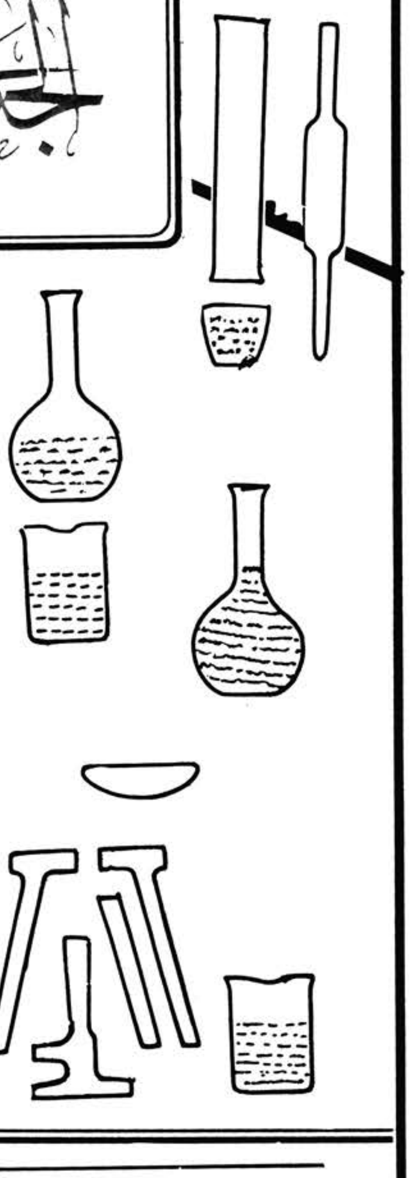

البطاريات النووية :

صمم مجموعة من الخبراء فى إحدى الشركات الأمريكية بطارية تعمل بطاقة إشعاع الجسيمات النووية ، ويقوم هذا التصميم الجديد على أساس التحويل المباشر للإشعاع المنطلق من وقود نووى سبق استخدامه فى محطات القوى إلى كهرباء ، ويؤكد الخبراء إنه يمكن للبطارية النووية الجديدة أن تولد من الكهرباء ما يساوى مائة ألف ضعف الكهرباء التى تولدها الآن البطاريات التى تمد الأقمار الصناعية الفضائية بها .

النواقل الفائقة عالية الحرارة لفحص القلب :

تمكن فريق من العلماء فى موسكو من استخدام النواقل الفائقة التى تعمل فى حرارات مرتفعة فى

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

قياس المجال المغناطيسى الدقيق الذى تولده نبضات قلب الإنسان ، فقد نجحوا فى استخدام مادة تحتوى على عناصر الأيتريوم ، والباريـوم ، والنحاس والأكسجين فى صنع جهاز سمى « جهاز تداخل الكم الفائق الناقلية » ، وهو عبارة عن حلقة من مادة فائقة التوصيل الكهربى شديدة الحساسية للتغيرات الطارئة على الدفق المغناطيسى المار عبر الحلقة ، ويتميز هذا الجهاز بصغر حجمه وقلة تكاليفه وسهولة نقله .

تحويل الإشارات إلى كلمات :

يعمل علماء كنديون على ابتكار جهاز آلى يترجم حركات اليد إلى أصوات ويمكن تطويره ليحول هذه الأصوات لكلمات تساعد العاجزين عن النطق فى التعبير ، ولتشغيل الجهاز يرتدى مستخدمه قفازا يتصل بأسلاك من الألياف الزجاجية متصلة بالجهاز ، ويقوم الجهاز بتحويل حركة الأيدى إلى أصوات تلائم كل حركة وتدخل هذه الأصوات إلى المسجل فيترجمها إلى كلمات .

الحاسب الآلى لتحليل النظـام الـوراثى فى الإنسان :

يقول العلماء فى أمريكا أن تقنيات الحاسب الآلى ستقوم سريعا بإجراء تحليل للمليارات المعلومات التى تشكل فى جملتها المجموع المورثى للإنسان ، حيث قام العلماء فى أحد المعاهد التكنولوجية بتصميم اصطفاف لجذاذات حاسوبية لمسح وتفسير الأسس الكيميائية التى تكون المجموع المورثى للإنسان ، وتتعامل الجذاذات مع تيار من المعطيات المتسلسلة ، ويستطيع هذا الجهاز أن يحدد التعاقبات فى « د.ن.ا. » DNA بأسرع بكثير مما يفعل الإنسان ، ولقد برمج البيولوجيون أخيرا حواسيب تستطيع كشف التعاقبات الشاذة غير المعتادة .

السيارات الإلكترونية

يشهد عالم صناعة السيارات تطورا كبيرا حيث إن معظم السيارات ستكون مزودة بنظام إلكترونى متكامل يقوم بعمل كل شىء ، من رصد أصغر خلل فى المحرك إلى منع الإطارات من التزحلق عند التوقف المفاجىء وستعمل معظم الأنظمة الميكانيكية فى السيارة بمساعدة أنظمة إلكترونية وستكون السيارات الإلكترونية مزودة بمجسات تكشف كل ما لا يراه السائق وأنظمة خاصة لتعزيز الرؤية فى الليل وأجهزة للحفاظ على سرعة السيارة المناسبة وستصبح السيارات أكثر سلامة وأمنا .

شاشات التليفزيون

بيلورات سائلة أكثر سطوعا :

انتجت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات شاشات التليفزيون الجديدة التى تسمى « المحولة اللونية الشعاعية » ، وتعتمد على تقنية هجينة من البلورات السائلة وحزمة من

الأشعة الإلكترونية ، وتعطى صورا أكثر سطوعا ، وهذه الشاشة عبارة عن شريحة إلكترونية متوجة بصفيحة شفافة مطلية بأشرطة فسفورية ملونة وعندما يسرى التيار الكهربى عبر شبكة من الأسلاك متصلة بالشريحة الإلكترونية تشع سحابة من الإلكترونات تتركز فى أحزمة ضيقة وتسقط على الصفيحة الفسفورية لتكون الصورة الملونة .

حاسب آلى

جديد :

أنتجت شركة يابانية للحاسبات الإلكترونية حاسب آلى جديد يمكن إدخال البيانات والأوامر بضغط الأصابع مباشرة على البيانات الخاصة بها على الشاشة ، ويمكن الاجابة عن الاستفسارات بالضغط على « نعم » أو « لا » المرسومتين أيضا على الشاشة ، كما أنه يمكن إظهار صورة للوحة المفاتيح على الشاشة والضغط على الأحرف المناسبة فيها ، ويعمل بشكل متواصل لمدة أربع ساعات ببطارية ضوئية قبل إعادة شحن بطاريته .

محطة

هاتفية

متحركة

قامت شركة فرنسية بتصنيع محطة هاتفية صغيرة تسمح بإرسال واستقبال المكالمات الهاتفية ورسائل الفاكس والتلكس من وإلى جميع بقاع العالم ، وتتميز هذه المحطة بأنها لا تتطلب أى عمل معين لبدء تشغيلها ، وهى تزن حوالى ٢١ كيلو جرام مما يعنى سهولة نقلها من مكان إلى آخر .

آلة تصوير رقمية مع جهاز تظهير :

عرضت شركة يابانية أول نموذج لآلة تصوير رقمية تعتمد على تسجيل الصورة بطريقة رقمية عبر استخدام تقنيات الحاسب الآلى بدلا من التصوير الذى يعتمد على تعريض الأفلام الحساسة للضوء المنبعث من موضع الصورة ، وتتميز آلة التصوير الجديدة بأنها تقوم بتظهير وطبع الصور .

مضخة قلبية

لإنعاش القلب

طورت جامعة كاليفورنيا مضخة قلبية تحسن من عمليات إنعاش القلب والرئتين ومحاولات إعادة التنفس للمصابين بحالات إغماء شديدة وتستعمل هذه المضخة من قبل التقنيين الطبيين فقط فيضغطونها على صدر المريض ثم يرفعونها بطريقة تسمح بدفع الدم إلى القلب والهواء إلى الرئتين .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

- ٢ -

للشيخ: عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

قرأنا فى مقال سابق أن الشاهد النحوى أو البلاغى ، لاينبغى أن يمر به قارئه مرور الكرام ويقف منه عند حد الاقتناع بانطباق القاعدة عليه أو شذوذه عنها ، بل يجب عليه أن يتأمل فى معناه ، ويفكر فى مرماه ، فكم من شواهد تثير الذهن بمعناها ، وتفجر قضايا أدبية وفكرية تمتع النفس وتثير العقل وتشرح والصدر .

ولنقرأ مثلا قوله ـ تعالى ـ :

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ الروم ٤

فما من متعلم للنحو إلا ومرَّ على هذا الشاهد القرآنى ، وهو يذكر أن (قبل وبعد) هنا ظرفان مبنيان على الضم لأنهما قُطِعَا عن الإضافة لفظاً ، وصارا متضمنين ما حذف معنى ، مخالفا تعريف الأسماء ، وأشبها الحروف فى التضمين فبُنِيا ، وخُصَّا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد فى أنه إذا نكر وأضيف زال بناؤه .

أحوال قبل وبعد :

ويذكر المتعلم مايقوله النحويون عن أحوال (قبل وبعد) وأن لها أحوالاً أربعة فى إحداها مبنية وفى سائرها معربة .

والحالة الأولى من أحوال (قبل وبعد) أنها تعرب على حسب موقعها إذا حذف المضاف إليه ونوى لفظه ، مثل قول الشاعر :

ومن قبل نادى كل مولى قرابة
فما عطفت مولى عليه العواطف

وهذا الشاعر مجهول النسب ، ومعنى بيته : من قبل ذلك الموقف نادى كل مولى قرابته ، ولكن هذا المولى لم يجبه أحد .

والشاهد فيه أن (قبل) أعربت ، ولم تُبْن ؛ لأن المضاف إليه حُذف ، ولكن لفظه منوى .

والحالة الثانية أن يحذف مايضاف إليه ، ولاينوى لفظه ، وحينئذ تصبح (قبل نكرة وتنون ، ومن ذلك قول الشاعر :

فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبْلًا
أغَصُّ بنقطة الماء الحميم

وهذا البيت لشاعر جاهلى كان له ثأر أدركه ، فتحدث عن حالتيه قبل إدراك ثأره وبعده ، لقد كان قبل أن يدرك ثأره حزينا لايهنأ بطعام أو شراب ، ولكنه بعد ذلك ساغ له الشراب والطعام ، وسيأتى حديث مفصل عن هذا الشاهد .

والشاهد فيه أن (قبلا) قطع عن الإضافة لفظا ومعنى فأعرب ونُوِّن ، وعلى ذلك قراءة من قرأ الآية السابقة «لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ» بتنوينهما .

والحالة الثالثة من أحوال (قبل وبعد) هى أن تضيفهما إلى مفرد ، فتقول : جئت من قبل زيد .وتكون هنا معربة مجرورة بحرف الجر . أو جئت قَبْل زيدٍ فتكون هنا منصوبة على الظرفية .

أما الحالة الرابعة فهى أن يحذف المضاف إليه وُينْوىَ معناه ، وذلك ما أشرنا إليه فى صدر هذا الحديث .

مايشير إليه الشاهد من معان

التأمل فى هذا الجزء من الآية الكريمة يبعث فى النفس كثيرا من العبر والعظات . فهى إلى جانب ماتدل عليه من انفراد الله ـ تعالى ـ بالقدرة ، وأن مافى العالم من غلبة وغيرها ، إنما هى منه وحده ، وبإرادته وقدرته ، وأن له الأمر كله لا لأحد سواه ـ تشير إلى قصة ذات مغزى عميق ، أوردها الرواة فى كتب السيرة والتفسير ، وتتضمن معجزة للقرآن الكريم ، ومعجزة للنبى ـ ﷺ ـ ويقينا صادقا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الذين بادروا بالإيمان به وآزروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ..

لقد أشارت القصة التى ذكرت حول هذه الآية إلى انتصار الروم على الفرس بعد أن كانت فارس قد انتصرت عليهم ، وإلى انتصار المسلمين – أيضا – على المشركين فى الحروب الدائرة بينهم ، وكان ذلك قبل وقوع النصر لكل منهما على الآخر بسنين .

القصة كما رواها الرواة

جاء فى تفسير القرطبى فى تفسير قولـه – تعالى –

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ④ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

الروم ١ – ٥

قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، فذكروه لأبى بكر ، فذكره أبو بكر – رضى الله عنه – لرسول الله – ﷺ – فقال «أما إنهم سيَغْلبون» أى : الروم .

وحين نزلت هذه الآيات خرج أبـو بكـر للمشركين فقال : أسركم أن غُلِبت الروم ؟ فإن نبينا – ﷺ – أخبرنا عن الله – عز وجل – أنهم سيَغْلبون فى بضع سنين .

فقال له أُبَىُّ بن خلف وأُميَّة أخوه ، وقيل : أبو سفيان بن حرب : ياأبا فصيل – يعرضون بكنية أبى بكر – فلنتناحب – أى نتراهن فى ذلك فراهنهم أبو بكر ، وذلك قبل أن يحرم القمار ، وجعلوا الرهان خمس قلائص ، والأجل ثلاث سنين .

ثم أتى أبو بكر النبى – ﷺ – فأخبره ، فقال له : «فهلا احتطت ؟ فإن البضع مابين الثلاث والتسع والعشر ، ولكن ارجع فزدهم فى الرهان واستزدهم فى الأجل» .

ففعل أبو بكر ، فجعلوا القـلائص مائـة ، والأجل تسعة أعوام .

فغلبت الروم فى أثناء الأجل . يقال إنهم غلبوا فى أثناء الحديبية على رأس تسع سنين من نزول الآيات وحدوث الرهان – تفسير القرطبى –

طرائف حول القصة

● حكى النقاش وغيره أن أبا بكر الصديق – رضى الله عنه – لما أراد الهجرة مع النبى – ﷺ – تعلق به أبى بن خلف ، وقال له : أعطنى كفيلا بالخطر – الرهن – إن غُلِبت ، فكفل به ابنه عبدالرحمن .

فلما أراد أُبَىُّ الخروج إلى أحد طلبه عبدالرحمن بالكفيل ، فأعطاه كفيلا ، ثم مات أُبَىُّ بمكة بعد عودنه من أحد بسبب جرح أحدثه به النبى – ﷺ – وأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته بعد انتصار الروم ، فقال له النبى – ﷺ – : «تصدق به» فتصدق به .

وربما اعتُرض على هذا الخبر بأن الهجرة كانت سرا ، وقد يجاب عنه بأن المشركين كانوا قد أحسوا بهجرة المسلمين بعد بيعة العقبة ، وأن عدد المسلمين قد أخذ يتناقص ب مكة ، فخشى أُبَىٌّ أن يهاجر أبو بكر كما هاجر غيره دون أن يحس به ..

● وجاء فى تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠٠٥ أن سبب غلبة الروم من فارس أولا ، أن أمرأة كانت فى فارس لاتلد إلا الملوك والأبطال ، فقال لها كسرى : أريد أن استعمل أحد بنيك على جيش أجهزه إلى الروم .

فقالت : هذا هرمز أروع من ثعلب ، وأحذر من صقر .

وهذا فَرُّخان أحدُّ من سنان وأنفذ من نَبْل .
وهذا شهربزان أحلم من كذا .

فاختار كسرى الحليم وولاه ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، فظهر على الروم .

ثم إن شهربزان لما غلب الروم خرب ديارهم حتى بلغ الخليج ـ فقال أخوه فرخان : لقد رأيتنى جالسا على سرير كسرى .
وبلغ ذلك كسرى فكتب إلى أخيه شهربزان أن يرسل إليه برأس فرخان ، فلم يفعل .

فعزله كسرى ، وولى مكانه فرخان ، ثم كتب إلى فرخان يأمره أن يقتل أخاه . شهربزان . فأستجاب فرخان سريعا وهم بقتل أخيه .

فقال شهر بزان لفرخان : إن كسرى كتب إلى أن أقتلك ثلاث مرات ، وراجعته أبداً فى أمرك ، أفتقتلنى أنت بكتاب واحد ؟

فرد فرخان الملك إلى أخيه شهر بزان ، وكتب شهربزان إلى قيصر ملك الروم ، فتعاونا معا على كسرى . وبذلك غلبت الروم .

تعليق على قول الشاعر : فساغ لى الشراب

جاء فى خزانة الأدب للبغدادى تعليقا على قول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً
أَغَصُّ بنقطة الماء الحميم

إن هذا البيت آخر أبيات خمسة ليزيد بن الصعق ، وهذه الأبيات هى :ـ

إلا أبلغ لديك أبا حريث
وعاقبة الملامة للمُليم
فكيف ترى معاقبتى وسعيى
بأذواد القصيبة والقصيم
ومابرحتْ قلوصى كل يوم
تكر على المخالف والمقيم
فنمت الليل إذ أوقعت فيكم
قبائل عامر وبنى تميم
وساغ لى الشراب وكنت قبلا
أغصّ بنقطة بالماء الحميم

وفى رواية :

..... وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الحميم

وأبو حريث هو الربيع بن زياد العبسى :

معنى الأبيات :

يقول يزيد : أيها الرسول أبلغ أبا حريث أن اللوم يقع على عاتق المتسبب فيه ، وقد بدأت بالعدوان ، فتلق عقابى وكرى بأنصارى عليك وعلى قومك حتى أتمكن من أخذ ثأرى ، وقد نتج عن إدراك ثأرى أننى أصبحت أنام بعد أن

خاصمنى النوم ، وأصبحت أستسيغ الشراب بعد أن كان الماء العذب يقف فى حلقى .

مناسبة الأبيات

قال البغدادى : حكى أبو عبيدة قال : كانت بلاد بنى غطفان مخصبة ، فرعت بنو عامر بن صعصعة ناحية منها ، فأغار الربيع بن زياد العبسى على يزيد بن الصعق ، وكان فى جماعة من الناس ، فلم يستطعه الربيع ، ولكنه استاق سروحهم . وأحنق ذلك يزيد فحلف ألا يقرب النساء ، ولا يتطيب حتى يأخذ بثأره ، فجمع قبائل شتى من عامر وتميم ، ثم أغار على خصومه ، فاستاق أنعامهم ، وأصاب معها عصافير النعمان بن المنذر ، وهى إبل مشهورة معروفة به ، فقال فى ذلك يزيد أبياته السابقة .

رواية أخرى لبيت الشاهد

وجاءت للبيت ـ مواطن الشاهد ـ رويات أخرى منها : أكاد أُغصُّ بالماء الفرات ، ومنها أكاد أُغصُّ بالماء المعين . وكلها بمعنى ، على اعتبار أن (الحميم) من الأضداد يطلق على الحار والبارد .

كما جاء كلمة (قبلا) فى بعض الروايات بالضم والتنوين ، وقال الفراء فى هذه الرواية : هذا التنوين بالضم نظير تنوين المنادى المفرد إذ لحقه التنوين فى ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

قدِّموا إذ قيل : قيسٌ ـ قدِّموا
وارفعوا المجد بأطراف الأسل

أراد : ياقيس : فنوَّنه ضرورة ، والأجود النصب .

نقول:ومثله قول الشاعر :

سلام الله يامطــــــرٌ عليها
وليس عليك يامطر السلام

ويجوز نصبه كما قال الشاعر :

ضربت صدرهـــا إلى وقـــالت
ياعديّاً لقد وقـتك الأواقى

لماذا لقب جد يزيد بالصعق ؟

ويزيد صاحب الشاهد هو يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل الكلابى ، وخويلد هو الذى يقال له : الصعق . وسبب ذلك فيما ذكره ابن الكلبى أنه عمل لقومه طعاما بعكاظ ، فجاءت ريح شديدة بغبار ، فسبها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته .

وقيل : إن سبب ذلك أن بنى تميم ضربوه على رأسه ضربة فأدمته ، فكان إذا سمع الصوت الشديد صعق وذهب عقله .

هذا بعض ماجاء فى كتاب « حزانة الأدب » تعليقا على شاهد من شواهد النحو : فانظر مدى الفوائد التى ذكرها ، والمعارف التى أشار إليها ..

وإن كان من إضافة نضيفها فهى أن إدارك الثأر له أثره الطيب فى النفس ، وأن الراحة النفسية المترتبة عليه لاتعادلها لذة أخرى ، ولعل الله يمن على المظلومين الذين يسومهم الظالمون العذاب والهوان فى أقطار الأرض بيوم يدركون

فيه تأثرهم ويشفون به غيظهم فيقولون مثلما قال الشاعر ، أو يقولون ماقال الله ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة ١٤ ، ١٥

مؤلف خزانة الأدب

ومؤلف خزانة الأدب هو العلامة عبدالقادر بن عمر البغدادى ، نزيل القاهرة ، جاء إليها سنة خمسين وألف من الهجرة ،بعد مولده فى بغداد بعشرين عاما ، وتعلم فى الأزهر ، وتتلمذ لشهاب الدين الخفاجى إمام وقته ، وتوفى البغدادى بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وألف .

وقد ألف هذا الكتاب فى أثناء إقامته بمصر بدأ فيه سنة ثلاث وسبعين وألف ، وفرغ منه بعد ست سنوات ، علق فيه على شواهد الرضى الذى شرح كتاب الكافية ..

من هو الرضى ؟ ماذا نعرف عن الكافية ؟

أما الكافية فهى كتاب فى النحو تحوى على وجازتها مقاصد النحو بأسرها ، قال فيها بعض الشعراء ـ فيما يرويه حاجى خليفة فى كشف الظنون :

صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب
دُرَراً فأخفاها كغمز الحاجب
لما تواتــر حسْنها بين الــورى
قالت : أنا السحر الحلال فحاج بى

ولايخفى مافى البيتين من بديع جميل .

وابن الحاجب هو الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمرالمعروف بابن الحاجب المالكى النحوى ، ولقب بابن الحاجب لأن أباه كان حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحى بالقاهرة ـ وموسك هذا ـ هو الذى ينسب إليه شارع الموسكى المؤدى للأزهر الشريف .

وكما ألف ابن الحاجب الكافية فى النحو ألف الشافية فى الصرف .. وتوفى ابن الحاجب سنة ست وأربعين وستمائة .

أما الرضى فهو نجم الأئمة ، مشهور بلقبه ، وهو محمد بن الحسن الأستراباذى نسبة إلى استراباذ بفتح الهمزة ، وهى بلدة مشهورة أحرجت خلقا كثيرا من أهل العلم . ألف هذا الكتاب وفرغ منه سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتوفى بعد ذلك بسنة أو ثلاث حسبما ذكر السيوطى فى كتابه «بغية الدعاة فى أخبار النجاة» .

وقد قرظ السيوطى شرح الرضى فقال : « لم يؤلف على الكافية بل ولا على غالب كتب النحو مثل هذا الكتاب جمعا وتحقيقا ، فتداوله الناس واعتمداو عليه » أهـ .

وجاء كتاب « خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب » للبغدادى تتويجا لهذا العمل العلمى العظيم ..

وليس فى هذه العجالة يمكن استقصاء الحديث عما جاء فى هذه الخزانة من أسرار ولكن حسبنا ما أشرنا إليه ليرجع إليها من يريد ، ونرجو أن تمكننا الفرصة من حديث آخر عن بعض شواهدها الغنية بالجمال الحافلة بروائع الفكر والمتعة الأدبية ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .

مع الدكتور عبد الوهاب عزام وشاهنامة الفردوسي

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

تُعدُّ « الشاهنامة » للفردوسى[1] من أعظم الملاحم[2] البطولية فى تاريخ الأمم .

ويذهب محمد على فروغى ــ أحد كبار أدباء الفارسية المعاصرين ــ إلى القول بأن الشاهنامة تُعتبر « أروع الأعمال العالمية .. ولولا حرصى لقلت : إنَّها أعظم عمل أدبى قام به إنسان ، وأنتجه فنان » . ويشاركه (نُولدكه) الرأى ، فى قوله عنها : « إنها ملحمة لا نظير لها عند أمة أخرى »

ويظهر تأثر (فيكتور هوجو) واضحاً بالشاهنامة ، فى كتابه « مشرقيات » Orientales .

---

(١) تتفق الراويات ــ التى محَّصها الدكتور عزام فى مدخل الشاهنامة ــ على أن لقبه : الفردوسى ، وكِنْيته : أبو القاسم .

ثم تختلف الروايات فى اسمه ، بين : منصور وحسن وأحمد ويرجح الدكتور عزام أنه ولد فى (طوس) ٣٢٩هـ ويذكر أنه فاق أقرانه فى التحصيل العلمى ، وكان شغوفاً بالاطلاع وبعد فراغه من نظم الشاهنامة وإهدائها للسلطان الغزنوى ، أمر السلطان له بستين ألف دينار ، إلا أن حاشية السلطان التى نَفَستْ على الفردوس هذا العطاء الجزيل ، عملت على تقليله أو تعطيله ..

وحينما علم السلطان بذلك أمر بتعجيل إرسال العطاء ، مع الاعتذار للشاعر لكن جنازة الفردوسى كانت على الأعناق يوم وصول العطاء تتقدم من باب روزان ! ورفضت ابنته قبول العطاء ، بأنفة وترفع ، لما لحق والدها من غبن ومهانة . وتوفى الفردوس عن سن الثمانين أو الثلاث والثمانين . (انظر مدخل الشاهنامة ص ٤٩ ــ ٦٦) .

(٢) الملحمة ــ اصطلاحات ــ جنس أدبى ، يقوم على مُطوَّلة من الشعر ، تحكى عجائب الأحداث ، التى تتجاوز الواقع ، إلى الخيال الممعن فى الغرابة ، وتتركز حول شخصية البطل ، أو الأبطال . كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس : (والسيرة الهلالية تُعد فروسية شعبية ، بل هى من الوثائق البارزة ، فى تصحيح ما استقر فى أذهان بعض المفكرين ، من رأى يخالف الواقع ، وهو أن الأدب العربى لم يعرف الملحمة » انظر مجلة (عالم الفكر ، المجلد السابع عشر ١٩٨٦ » .

والدكتور عبد الوهاب عزام هو أكبر أديب عربى فى العصر الحديث ، تصدّى لدراسة (الشاهنامة) ومؤلفها أبى القاسم الفردوسى ، واتخذهما موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، حينما علم أن الشاهنامة قد تُرجمت إلى العربية منذ قرون ، يقول : « وكنت أحسب ترجمتها من الآثار التى نَدَّبها الزمان ، وطوتْها ظلمات القرون »[٣]ودعم ظن الدكتور عزام ، ماذكره (البستانى) فى مقدمته النثرية ، لترجمته للإلياذة شعراً :

« ثم إنه لا يخفى أن الشعر إذا تُرجم نثراً ، ذهب رونقه ، وبَهَت رُواؤه ، والظاهر أن هذا الحكم انطبق على تعريب (الشاهنامة) فأهملها الناس .. وإلا فما ذهبت ضياعاً ، وبقيت أثراً بعد عين ، يُقرأ عنها فى كتب التاريخ ، وليس فى الأدباء من روى لنا منها حديثاً مذكورا .. »[٤] .

وقد فوجىء الدكتور عزام ــ أثناء قراءته لكتاب « تاريخ الآداب الفارسية لبراون ــ بأنه توجد نسخة من ترجمة البندارى للشاهنامة ، فى مكتبة جامعة كمبردج ، فَسَرَتْ فى نفسه هزة الفرح والظفر ، وقال : « لقد كُفيت ترجمة الشاهنامة وإنها لعبء فادح .. » .

فهل كان الأمر بهذا اليسر بالنسبة للدكتور عزام ؟ إن الذى تبين له بعد ذلك ، جعله يبذل جهداً شاقاً متواصلًا ، وعناءاً شديداً ، فى سبيل بلوغ الغاية التى استهدفها من تحصيل مادة الكتاب كاملة ، وتحقيقه . وَوَضْع الشروح والتفسيرات االلازمة له ، ثم لنشره . ومهما كانت المشقة ، فإن لذة البحث العلمى فى حد ذاتها تعد مقابلًا فذاً لا يُقَدَّر بمال ، فيتقبل المعاناة بصبر ودأب عن طيب خاطر .

وقدَّم عزام المثل الذى يحتذى للباحثين الجادين ، حينما شمَّر عن ساعد الجد ، بعد اطلاعه على ترجمة « قوام الدين فتح بن محمد البندارى » الأصفهانى للشاهنامة ، بأمر من الملك « عيسى بن الملك العادل : أبى بكر أيوب المتوفى ٦٢٣هـ ــ ١٢٢٦م فى دمشق . وتمت الترجمة ١٢٢٤م .

وبقراءة الدكتور عزام لهذه الترجمة ــ فى عدة نسخ مختلفة لها ، استحضر صوراً لها من « كمبردج » بانجلترا ، «وجامعة برلين » بألمانيا ، « ومكتبة كوبريلى » بالآستانة ، بل قام بالسفر بنفسه إلى كل من انجلترا والآستانة صيف ١٩٢٩م للاطلاع على نسختى الترجمة بهما ، وتصويرهما .

نقول بعد قراءته لهذه الصور لترجمة البندارى ، عرف أن الكتاب ناقص ، يقول : « وتصفحت الكتاب ، فإذا آخره : « وهذا ماانتهى إلينا من أخبار رستم ، والحمد لله على التمام والكمال والله تعالى أعلم إلخ » ذلك لأن للكتاب بقية ــ فى الأصل ــ بعد (أخبار رستم) .

---

(٣) انظر مقدمة (الشاهنامة) تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ .

(٤) الإلياذة للبستانى ص ٦٧ ، وكان سليمان البستانى قد قام فى عام ١٩٠٤م بإنجاز ترجمة الإلياذة ــ شعراً ــ عن اليونانية ، فى مجلد ضخم ، يضم بين دفتيه (١٢٦٠) صفحة من القطع الكبير ، بعد أن تفرغ لنقل هذا السفر ثمانية عشر عاماً باقتراح من الدكتور يعقوب صروف عام ١٨٨٧م وتشجيع من الداعية الإسلامى جمال الدين الأفغانى . (أنظر كتابنا شعراء ودووابن ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٠ ص ٧٣ .

يقول الدكتور عزام : « وكنت أريد أن أقابل الترجمة كلها بأصلها الفارسى ، ولكن وجدت هذا متعذراً أو مستحيلًا ، فاكتفيت بمراجعة الأصل ، حين يضطرب سياق الترجمة ، أو يغمض الكلام ، وحين أجد معنى لا يشبه أن يكون من معانى الشاهنامة التى أثبتها كلها فى الحواشى ، وبالفهارس المفصلة فى (ترجمتى وَزْنَرْ ومُولْ) ، وبما أعرف عن الكتاب من قبل » .. إلى أن يقول :

« وقد أكملت الترجمة فى مواضع كثيرة ، فأثْبتُّ فصولًا ، أو نبذاً حذفها المترجم (البندارى) كلما رأيت فائدة فى إثباتها ، وأثبت فى الحاشية ماترجمته ، إلا أن يكون فصلًا كاملًا ، فأثبته فى متن الكتاب ، بين قوسين كبيرين ، مبيناً هذا فى الحاشية أيضاً . وقد نظمت مما ترجمت فصولًا ، أردت أن تكون نموذجاً من شعر الشاهنامة »[٥] ويقول الدكتور عزام : « ورأيت الكتاب فى حاجة إلى التعليق ، لشرح غامضه ، أو لمقارنته بالأصل الفارسى ، أو لرد بعض أساطيره إلى أصلها ، أو تبيين مابين تاريخه والتواريخ الأخرى ، من اتفاق واختلاف .. وقد استلزم هذا مراجعة كتاب زردشت (الأبستاق) ، وكثيراً من المصادر العربية والفارسية والأوربية[٦] .

ومن نماذج الترجمة الشعرية للدكتور عبد الوهاب عزام ، لبعض المواقف فى الشاهنامة ، الأبيات التى تصور فجيعة (أم سهراب) بعد سماعها بمقتله :

تئـــنُّ وتجأرُ جَهْـــــرَ الحزيـــــن	وينتـــابها الــــغَشْىُ فى كل حين
تُلـــفُّ أصابعهـــا بالشعْـــــرْ	فتجتـــر من أصلـــهت الطُّـــــرزْ
وتَـــذْرى على الخد دمـــع الـــدَّم	وتكبـــــــو .. وتنهض .. فى المأتم
تقـــول : بُنـــىَّ وروحـــى ! تُرَىَ	بأيَّـــــــــة أرضَ طواكَ الثرى ؟

إلى أن تقول (بعربية عزام) :

مَنْ اليـــوم يُؤْنس صدرى ؟ وَمَـــنْ	يقاسمنـــــى الغَـــــمَّ يوم الحزَنْ
ومـــن ذا ، مكـــانك ، أدعـــو مجيبـــا ؟	ومـــن ذا أبثُّ الجوى والوجيـــا

ويقول :

أطـــالت بكـــاء ابنها والنحيبـــا	فَأجْرَتْ ـــ من الناسِ ـــ دمعا سكوبا
وخَـــرَّتْ على الأرض جمْـــراً خَمَـــدْ	كأنَّ بها ـ دَمَهـــا ـ قد جَمَـــدْ[٧]

ويذكر الدكتور عزام أن مترجم الكتاب ـ البندارى ـ قد اختصر زهاء ثلث الكتاب ، وذلك ـ كما يقول الدكتور عزام ـ أنه أراد أن ينقل إلى قراء العربية ، حوادث الشاهنامة ، مجملة ، مجردة من أوصاف الشاعر المسهبة .. وقد أشار الدكتور عزام إلى موطن الاختصار بالتفصيل .

(٥) انظر مقدمة (الشاهنامة) ص ١٥ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .. ونلاحظ أن الدكتور عزام قد التزم نفس البحر الذى نظمت به أبيات الشاهنامة فى الفارسية ، وهو بحر : (المتقارب)

ومن المعلومات القيمة التى تفيد دارسى الشاهنامة ، أن هناك بعض الشعراء سبقوا الفردوسى إلى محاولة نظم (الشاهنامة) ، يقول : « وقد اقترن اسم (الدقيقى) باسم الفردوسى ، إذ كان السابق إلى نظم الشاهنامة فنظم ألف بيت ، ثم حالت المنية دون أمنيته ، وقد أدرج الفردوسى مانظمه الدقيقى(٨) فى الشاهنامة ، إجابة لرجاء الدقيقى فى الرؤيا(٩) إلا أن هذا لايمنع أن يكون الفضل الأكبر للفردوسى ، الذى نظم الشاهنامة فى ستين ألف من الأبيات .:

وتفصيل الموقف بين الشاعرين : الدقيقى والفردوسى ، جدير بأن يروى .. وقد ذكره الفردوسى نفسه ، فى مقدمة الشاهنامة بقوله : « فلما قرئت هذه القصص على الناس ــ عن الغابرين من الملوك والأبطال ــ أعارتها الدنيا سمعتها وقلبها ، وأولع بها العقلاء والحكماء .. حتى ظهر فتى فصيح اللسان ، حسن البيان ، ذكى الفؤاد ، فقال : سأنظم هذا الكتاب ، ففرح الناس به أى فرح .. ثم انقلب به جده ، فقتله أحد عبيده بعد أن نظم ألف بيت عن (كُشْتاسِبْ) و (أرْجاسبْ) ، ثم انتهى عمره ، فذهب والكتاب لم ينظم » .

« وسألت أناساً لايحصيهم العدّ ، وأنا أوجس خيفة من غير الزمان ، وأخشى ألا تمتد بى الحياة ، فأتركه لغيرى » يقول الفردوسى : وكان فى المدينة صديق لى ، كأنى وإيَّاه نفس واحدة ، فقال : لقد هُدِيت ، وسارت قدمك فى سبيل السداد .. أنا كفيل بهذا الكتاب « الفهلوى » ، فلعلك لاتنام عنه » . فلما أحضر هذا الكتاب(١٠) ، أضاءت روحى المظلمة الجناب » ويسترسل الفردوسى بعد ذلك ، قائلًا : « لما ظفرت بهذا الكتاب ، أتيح لى أحد الكبراء : فتى من ذرية الأبطال » عاقل حازم ذكى ، سديد الرأى ، شديد الحياء ، فصيح المنطق حلو الحديث . قال : « ماذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بما تملك يداى ، ولا أقضى إلى أحد بحاجتك فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضة ، يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر » يقول الدكتور عزام : « فهذا برهان على أن الفردوسى نظم من كتاب (أخبار الملوك) الذى بدأ الدقيقى نظمه » بل اعتمد الفردوسى أيضاً على غير الدقيقى ، إذ يقول الفردوس فى موضع آخر من الشاهنامة : « ختمت هذه الحرب ــ حرب كاموس أيضاً ، وما سقط منها ــ على طولها ــ قطمير .. ولوضاع من هذه القصة كلمة واحدة ، لقام عليها بنفسى مأتم ! » .

وقد أمضى للفردوسى خمساً وثلاثين سنة فى نظم الشاهنامة وانتهى منها عام ٤٠٠هـ .

وبعد ، إن الأدب العربى الحديث مدين حقاً للدكتور عبد الوهاب عزام بهذا الجهد والفضل الكبير ، فى إظهار شاهنامة الفردوسى إلى حيز الوجود مرة ثانية ، وهى أكثر تكاملًا وتحقيقاً وتفسيراً ، بعد أن قبعت فى الظل ترجمتها العربية (البندارية) ، لعدة قرون ، لايكاد يعرف أحد عنها شيئاً .

رحم الله الدكتور عزام رحمة واسعة ..

---

(٨) هو ابو منصور الدقيقى من شعراء القرن الرابع ، ومن الذين مدحوا السامانيين والصاغانيين وتوفى حوالى ٣٧هـ .

(٩) مقدمة الشاهنامة ص ٣٩ .

(١٠) كان كسرى أنو شروان ملك الفرس ، قد أمر أن تجمع شتات التواريخ المتناثرة فى أنحاء أمبراطوريته ، وتثبت فى كتاب ، وتم له مأأراد ، وعقب عليه فى ذلك العمل الملوك الذين جاءوا بعده ، وبخاصة محمود بن سبكتكين الغزنوى (٩٩٨ ــ ١٠٣٠م) ، ومازال هذا العمل الكبير ينتظر من يخلده ، حتى صادفه فى شخص : الفردوسى .

المجتمع السواحيلى أصوله ومجموعاته

بقلم الأستاذ/ عادل رناعى خفاجة

فى شرق إفريقية إخوة لنا يؤمنون بالله ربا واحد ، وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولاً ، وبالقرآن الكريم إماما هادياً ونورا .

فى تلك المنطقة فى إفريقيا ـ كما فى كثير من بقاع افريقيا المسلمة ـ يعيش هؤلاء المسلمون الذين يحكمهم التسامح وحب الجار ، وخاصة الجار غير المسلم ، ويتصفون بالكرم ، هم فى أغلبهم متصوفة . فمن هؤلاء القوم ؟ وكيف انتشر الإسلام بينهم

أصول المجتمع السواحيلى :

إذا أردنا أن نتكلم عن أصول المجتمع السواحيلى فإننا ـ فى الواقع ـ نتكلم عن أصول (البانتو) الذين اختلطوا مع العرب والإيرانيين والهنود المهاجرين إلى المنطقة ، وكونوا هذا المجتمع الجديد المسمى بالمجتمع السواحيلى .

وقد اختلفت الآراء بشأن أصول (البانتو) ، ولكن الرأى الأرجح أنهم نشأوا من اختلاط الزنوج بالحاميين[1] .

ويمكننا أن نلخص التاريخ السلالى لهذا الإقليم[2] الذى يسكنه المجتمع السواحيلى على النحو التالى :

(١) يعتبر أجداد (البوشمن) أقدم جنس سكن هذا الإقليم .

(٢) وفدت إلى المنطقة هجرة حامية اختلطت بهم فنشأ عن هذا الاختلاط (جماعة الهوتنتوت) .

(٣) تحرك أجداد البوشمن إلى الجنوب الغربى .

(٤) جاء إلى المنطقة زنوج البانتو (وهم الزنوج الذين يتكلمون لغة البانتو) .

---

(١) ا. د. محمد عبدالغنى سعودى : افريقية ص ٣٠٥ .

(٢) هى المنطقة الواقعة بين خطى الطول ٣٠ ، ٤٠ شرقا ومن خط عرض ٥٤ شمالا حتى خط العرض ـ ١٠ جنوبا وتضم دول كينيا وتنزانيا وأوغندا وبوروندى ورواندا وجنوب الصومال .

وهم ثلاثة أقسام :

ا ـ البانتو الشرقيون : ويضم هذا القسم جماعات « الجاندا » و« الباجندا » و« البانيورو » .

ب ـ البانتو الجنوبيون : مجموعتان كبيرتان فى جنوب إفريقيا هما :

مجموعة « سوتو ـ شوانا » - Suto - Chuana .

ومجموعة زولو ـ اكسوزا Zulu - Xhosa .

ج ـ بانتو الوسط والغرب الأوسط :

وهم يعيشون فى المنطقة الممتدة من وسط (الكاميرون) حتى وسط (أنجولا) .

٥ ـ اختلط العرب بهؤلاء الزنوج البانتويين الشرقيين .

وقد نتج عن هذا الاختلاط « العرب السواحيليون » .

ليس المجتمع السواحيلى مجنوعة واحدة ، ولكنه مجتمع متعدد المجموعاتِ .

ومن أهم مجموعاته

١ ـ العرب السواحيليون (الأفارقة ذوو الأصول العربية)[٤] :

وهذه المجموعة تتكون من عدة فروع ، من أشهرها : (المزروعى ، وآل بوسعيد) وهم الذين وفدوا إلى المنطقة أثناء العصر العمانى . منذ القرن الثامن عشر الميلادى .

أما المجموعات السابقة للعصر العمانى فمنها : آل شاتيرى والمفازى .

ثم عدة قبائل كان لها تأثير إسلامى كبير ، وهم الأشراف (Washarifu) يقال : إنهم من سلالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن بينهم سلالة الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما .

وقد أدت هذه العائلات دورا ملموسا فى نشر الإسلام ، ومن بينهم : « آل حسين » و« آل جديد » و« باعلوى » و« وشاتيرى » وغيرهم .

٢ ـ الشيرازيون :

وهذه التسمية نسبة إلى مدينة (شيراز) فى إيران ، حيث وفدت إلى المنطقة هجرة فارسية مختلطة بالعرب ، استطاعوا تكوين إمارة على الساحل وبعض الجزر ، وحملت هذه الإمارة التأثيرات الآسيوية . ولكن الشيرزاريين تخلوا بالتدريج عن ثقافتهم الآسيوية ، اصطبغوا بصبغة إفريقية عربية ، ومازالوا يحملون اسم « الشيرازيين » تمييزا لهم عن العرب السواحيليين .

نشأت هذه المجموعة ـ أصلا ـ على ساحل الصومال و« لامو » ، ثم امتدت إلى الجنوب ، ومنه إلى جزر « زنجبار » و« بمبا » حيث طرأ عليها بعض التغيير نتيجة لتأثير الثقافة الإسلامية والعربية ، وهم يشكلون الآن نسبة قليلة بين السواحيليين فى المدن والقرى ؛ بل إن بعضهم ينسبون أنفسهم إلى العرب المهاجرين .

ومن أهم مجموعاتهم

ا ـ الحادميون « Wahadimu » :

وهم يسكنون القرى الواقعة على الساحل الشرق من جزيرة (زنجار) وأجزاء من المناطق

(٣) راجع فى ذلك د. ابراهيم رزقانة : جغرافيا السلالات البشرية ص١٢٤ ، ١٢٥ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٧م ، د. يسرى الجوهرى : إفريقيا الإسلامية ص١٠٩ دار المعارف ـ

(٤) راجع فى ذلك : سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق إفريقيا ص٧٣ : ص١٠٩ .

الوسطى وأقصى الشمال والجنوب من الجزيرة .

ب ـ التمباتيون ـ ، Watumbatu »

وهم يعيشون فى جزيرة « تمباتو » (جنوب بمبا) وفى جزيرة زنجبار .

ج ـ البمباويون ـ « Wapemba » :

وهم البانتو من سكان جزيرة « بمبا » .

٣ ـ السواحيليون الداخليون :

وهم يسكنون المناطق الداخلية ويعتنقـون الإسلام ومن أشهرهم :

« البوكرمو » pokomo ، ويعيشون على (نهر تانا) شمال شرق (كينيا) .

* الزارامـــو Zaramo : وهـــم خليـــط من الشيرازيين والحاميين . وهم نحو ثلاثمائة أسرة ينتشرون فى مائة وثمانين قرية ، وقد شمل الإسلام معظم الزارامو .

٤ ـ الهنود : وهم يشكلون عنصرا هاما فى المنطقة وهم إما مسلمـون ، أو (هنادكـة) ، وينتمى المسلمون منهم إلى عدة مذاهب هى :

ا ـ الإثنا عشرية (الجعفرية أو الإمامية) .

ب ـ الإسماعيليون .

ج ـ المأمونيون (حنفيون) .

د ـ السنيون .

هـ ـ الأحمدية .

ومن هذا العرض للمجموعات التى يضمها المجتمع السواحيلى يتضح أنهم مجموعة من الناس تجمعهم ثقافة واحدة وهم فيما عدا الأحمدية ـ شكلتهم الهجرات الإسلامية المختلفة .

هذا وكلمة (سواحيلى) تستعمل كاصطلاح ثقافى للتعبير عن هؤلاء الذين انضموا تحت لواء حضارة الساحل .

ولعل الإجابة عن التساؤل الذى أثرناه فى بداية هذا المقال : من السواحيليون ؟ قد حملت فى طياتها إجابة أخرى عن : كيف انتشر الإسلام فى شرق إفريقيا ؟ إلا أن هناك وسائل أخرى ـ غير الهجرات ـ انتشر الإسلام عن طريقها ، نذكر منها :

أولا ـ الدعوة :

ودور الأزهـــر فى هذا المجال واضح جلى ، فقد نزح إلى الأزهر طلاب العلم من شرق إفريقيـة والحبشة ، ينهلـون من معينـة الـذى لا ينضب ، خُصِّصَت لهم الأروقـة بالأزهـر لإقامتهم والقيام على أمرهم ، وقد عاد هؤلاء الذين أتموا دراستهم إلى بلادهم ، حيث تولوا مناصب دينية رفيعة : كالقضاء والافتاء وعملوا على نشر الإسلام والثقافة الإسلاميـــة بين مواطنيهم .

« ويسجل التاريخ وصول وفد من العلماء إلى الحبشة كان قوامهُ أربعة وأربعين داعيا عربيا وفدوا من (حضرموت) ونزلوا عند جبل بالقرب من مدينة « بربرة » أطلق عليه « جبل الأولياء » تخليدا لذكراهم حيث كانوا يجلسون هناك فى خلواتهم للعبادة ومن (بربرة) انتشروا فى بلاد (الصومال) داعين إلى الإسلام فى طول البلاد وعرضها »(٥).

(5) R- F Burton: Firststepa in east Africa, pp. 76, 404 Longman, lavdon, 1856.

ثانيا ـ الطرق الصوفية :

وللطرق الصوفية فضل كبير فى انتشار الإسلام انتشارا ملموسا ، حيث كانت هى الاسلوب الأكثر ملاءمة لانتشار الإسلام فى إفريقيا ، ويشهد لذلك هذا العدد الكبير من الطرق الصوفية المنتشرة فى شرق إفريقيا ، بل فى القارة بشكل عام . ونذكر منها(٦) : (الطريقة الرفاعية) فى تنزانيا ، و(الطريقة الصالحية والسنوسية) فى الصومال و(التيجانية) فى الحبشة وشرق إفريقيا بصفة عامة ، و(الشاذلية) فى جنوب تنزانيا ومناطق أخرى . ثم (الطريقة القادرية) وهى أقدمها وأوسعها انتشاراً .

ولسنا نشك فيما قدمت الصوفية بإفريقيا ـ شرقاً وغرباً ـ من خير : ـ ديناً وجهاداً ورداً لمطامع الاستعمار ـ . وكم نرجو أن يواجه أعلام الصوفية فى إفريقيا الحبيبة دور الانتصار على النفس فيقضون قضاء مبرما على الخلافات الخطيرة فيما بينهم ، تلك الخلافات التى تلصق ظلما وعدوانا بالإسلام كاختلافهم الشديد فى توقيت الصيام ، ونهى بعضهم عن الزواج من بعض الطوائف الصوفية الأخرى ، ورميها بالنقص فى الدين .

كذلك ينبغى أن يُنْهُوا ما يقوم بين الأتباع من مغالاة فى شخص الخليفة لم يرضها رسول الله ﷺ لنفسه .

نسأل المولى ـ عز وجل ـ أن يهدينا سواء السبيل .

وبعد :

فلقد سجل التاريخ للعرب فى شرق إفريقيا وجوداً نظيفاً ، حق لنا أن نباهى به ، ولم لا ؟ وهو تاريخ إسلامى ، يسعد الإفريقيون ويسبقون إلى روايته إخوانهم العرب .

---

(٦) د. محمد عبدالله النقيرة : انتشار الإسلام فى شرق إفريقيا ـ ص١٥٦ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

تلقينا بمزيد من التقدير تعقيب الدكتور : عصام عزوز « المرصفى » ـ الحاصل على درجة الماجيستير من كلية الطب وأحد أبناء قرية مرصفا ـ على سلسلة مقالات « الأزهر والمراصفة » التى نشرتها مجلة الأزهر ، وهو فى هذا التعقيب إنما يشكر المجلة على تجليتها لدور المراصفة فى الأزهر ، واهتمامها بهذه القرية التى أنجبت أجيالا من العلماء والأدباء وانتسب إليها عشرات من أعلام الفقه واللغة والحديث والتفسير والمعارف العامة .

ونحن بدورنا ننشر هذا التعقيب ونرى أن مجلة الأزهر إنما تقوم بدورها تجاه علماء الأزهر وقادة العمل الإسلامى ـ أياً كان موطنهم ـ إشادة بفضلهم ووفاءً لحقهم ، وترسيخا لما كانوا ينشرونه من أفكار صالحة للاقتداء والتطبيق .

كما يضم هذا الباب كلمات عدة بأقلام القراء ، عن الأدب مع القرآن الكريم ، وأئمة الفقه والحديث النبوى ، وحسن المعاملة ، والفاروق عمر ، وغير ذلك من الكلمات ، حرصا على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات التى يتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل بعضها على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة .

المحـــرر

نعم .. مرصفى مصنع العلماء

● تقع قرية « مرصفا » فى الجنوب الشرق من مدينة بنها عاصمة القليوبية ، وهى قرية أثرية قديمة ، إذ يرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامى لمصر ، بل قيل أن بها آثار تدل على أنها كانت عامرة قبل الإسلام ، حيث عثر بها على حجار كبيرة مخطوط عليها باللغة الهيروغليفية ، وبعد الفتح الإسلامى لمصر سكنت هذه القرية قبيلة عربية أطلقت عليها اسم (مرج الصفا) ، وهذا الاسم يتكون من كلمتين : كلمة (مَرْج) بسكون الراء ، وتعنى الأرض التى يكثر بها النخيل ، وكلمة (الصفا) وتعنى النقاء والطهارة والهدوء ، وهذا الاسم له دلالته على الموقع الجغرافى للقرية وما يمتاز به .. إلى أن خفف هذا الاسم وصار (مَرْصَفَا) .

من خصائص أهل مرصفا :

– كان وجود (الأبَّارين) وهم الذين يقومون على خدمة النخيل وقطعه وتلقيحه وحزّه ، ولعل هذا يؤيد ما يقال عن اسمها « مرج الصفا » .

– يمتاز أبناء هذه القرية بأنهم يعتبرون القرية أسرة واحدة يتزاوجون ويتصاهرون فيما بينهم ، والقرية آمنة مطمئنة وأهلها أبعد الناس عن الكبائر والمحرمات .

– لما ضاق بالقرية أهلها نزح عدد كبير منهم طلبا للرزق والعلم ولم ينسوا خارج بلدهم لقب (المرصفى) معتزين بهذا اللقب مستبدلينه بأسماء أسرهم وأجدادهم ، وهم يعتبرون (المرصفية) أسرة واحدة جامعة ، وقد أنشأ أبناء مرصفا رابطة لهم بالقاهرة سجلت سنة ١٩٤٧ تحت رقم ٧١٥ بوازرة الشئون الاجتماعية .

– أيضا نزح من القرية قديما عدد من أهلها استقروا فى بلاد آخرى قريبة أطلقوا على أنفسهم (المرصفاوى) والمرصفى والمرصفاوى : كلاهما من قرية مرصفا .

– فى مرصفا يتنافس الأهل فى تعليم أولادهم فى (الكتاب) أولًا حتى يحفظوا القرآن الكريم ثم يخرجوا من القرية إلى الجامع الأزهر ليكملوا فيه تعليمهم ... ويجاز للبعض بالتدريس فيه .

– كان لقب (المرصفى) لا يطلق إلا على العلماء من أبناء هذه البلدة كأنه وسام يستحقه من يناله .. إلا أن هذا اللقب صار عاما .

لعل قرية « مرصفا » من أكثر القرى – فى التاريخ – التى أنجبت من العلماء والأدباء ورجال الفكر والشريعة واللغة والأدب أكثر من غيرها ومن ثم أطلق عليها : (مصنع العلماء) و(بلد العلم والإيمان) . وقيل فيها : (لو كان العلم ينبع من الحيطان لنبع من حيطان مرصفا) ، ويكفى أنه فى فترة من فترات تاريخنا الحديث شكل فيه المراصفة بأحرف من نور أسمى درجات العلم والأدب ، واعتلى المراصفة قمم العلم والدين :

وأخيرا وليس بآخر إذا كان نجم المراصفة قد لمع فى فترة من الزمن ، فأنني أؤكد لكم بأن نجم المراصفة لم يقفل بعد .

دكتور : عصام عزوز (المرصفى)
أحد أبناء مرصفا

من أئمة الفقه والحديث النبوى

كتب الأستاذ : محمد إبراهيم الدمرداش هذه الكلمة عن الأئمة المجتهدين وعلماء الحديث :

أولا : أئمة المذاهب الأربعة فى الفقه .

١ - الإمام أبو حنيفة النعمان ، ولد فى الكوفة بالعراق عام ٨٠ هـ وتوفى ببغداد عام ١٥٠ هـ .

٢ - الإمام مالك بن أنس .. ولد عام ٩٣ هـ وتوفى بالمدينة عام ١٧٩ هـ .

٣ - الإمام الشافعى (محمد بن إدريس الشافعى) ولد بغزة بفلسطين عام ١٥٠ هـ وتوفى بمصر عام ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ وتوفى بها عام ٢٤١ هـ .

ثانيا : من أئمة الحديث النبوى :

١ - الإمام مالك بن أنس ، ومن أثاره الخالدة كتاب « الموطأ » وله شروح كثيرة ، وتتلمذ على يديه الإمام الشافعى .

٢ - الإمام أحمد بن حنبل ، ومن أثارة « المسند » وقد حققه الشيخ أحمد شاكر .

٣ - الإمام البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ولد ببخارى وتوفى بـ (خزنتك) إحدى قرى (سمرقند) وله مؤلفات كثيرة منها : صحيح البخارى - الأدب المفرد - التاريخ الكبير .

٤ - الإمام مسلم (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) ولد بـ (نيسابور) إحدى مدن (خراسان) وتوفى بها - رحمه الله - وله صحيح مسلم وقد اعتنى به العلماء ، وله شروح كثيرة أهمها : شرح الإمام النووى ، ويسمى المنهاج .

٥ - الإمام أبو داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ولد بـ (سجستان) ودفن بالبصرة بالعراق وله كتاب (السنن) .

٦ - الإمام الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) ولد بـ (ترمذ) وله جامع الترمذى ، وهو الكتاب الذى أصبح به إماما فى الحديث النبوى وهو أشهر كتبه وأجلها .

٧ - الامام النسائى (٢١٥ هـ) ولد بمدينة (نساء) من بلاد (خراسان) وله كتب كثيرة منها : (السنن الكبرى والسنن الصغرى) .

٨ - الإمام ابن ماجة (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) ولد بمدينة (قزونن) وله كتاب مشهور هو (سنن ابن ماجة) .

حذار من رياء العبادة

وكتب الاستاذ شريف رشدى خليفة هذه الكلمة محذرا من عاقبة الرياء فى العبادة :

قيل فى معنى رياء العبادة : أن تعمل عملًا من مطلوبات الله عز وجل - وتشرك معه فيها غيره ، وعلى هذا فإن الذين يراءون الناس لا يخلصون عبادتهم ودينهم لله وقد ورد التحذير من مثل ذلك

فى قوله تعالى :« فويل للمصلين الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » الماعون ٥ ،٦ ،٧ ، وفى الحديث الذى رواه أبوهريرة ـ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » رياض الصالحين .

النجوم السارية والزوايا الثابتة

حقا ما أجمل إخلاص الصالحين الذين كانوا يسيحون فى بلاد الله شرقا وغربا للتوعية الدينية ولسان حالهم يقول « لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » فالزوايا التى بنوها تعتبر مراكز إشعاع ثقافية ودينية ففى رحابها كانوا يبينون للناس تعاليم دينهم فينتشر الحب والسلام لاجتماع الناس على محبة الله ورسوله ، وبإرشاداتهم كانت تتلاشى العصبيات والقبليات ويصبح الإسلام وطنا والمسلمون جميعا أهله ، فالصالحون فى سماء الوطن الإسلامى كالنجوم السارية ، نورها يتخطى أهله ، ومن هؤلاء العارف بالله أحمد بن عمر الذى بنى زاوية بالقاهرة ، ثم بنى زاوية بدمشق ومن هؤلاء أيضا الشيخ : محمد الدمياطى تلميذ نورالدين الدمياطى صاحب الدمياطية .

فقد بنى أول مسجد فى العريش منذ ٥٠٠ عام تقريبا بجوار قلعة العريش ، وفى عهد السلطان سليمان القانونى الذى بنى قلعة العريش ١٥٦٠م .

وسيم عبدالعليم عزب
شمال سيناء ـ العريش

لا يستويان مثلاً

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود : ٢٤

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلا زال فريق العمى والضلالة يعادى الإسلام وينطح برأسه الفارغة قلعته الصامدة ، هو لاييأس ولا يمل من دعاويه الفارغة ومنطقه المعوج المتناقض مع أفكار الإسلام وتعاليمه .

إذ كيف يستوى الهدى مع الضلالة ، والعلم مع الجهالة ، والنور مع الظلمة ، أو كيف يتسنى للمسلم أن يستجيب لوعود الشيطان وقد حذره منه الرحمن « ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا » البقرة : ٢٦٨ .

نعمة عبدالدايم محمد صالح
القرايا ـ إسنا

هذا هو الفاروق

كتب الأستاذ : حمدى أحمد مراد ـ من إمبابة هذه الكلمة .

ـ ذات يوم أبصر عمر عجوزاً تحمل فوق رأسها حملًا ثقيلًا فتقدم منها وحمل عنها حملها .. وسار أمامها .. ثم ضحك ملء فيه ، وهو يسمعها تقول وهى لا تعرفه ..

أثابك الله الخير يابنى .. والله إنك لأحق بالخلافة من عمر ..

ـ قال سالم بن عبدالله بن عمر :

سمعت رجلًا من الأنصار يقول : دعوت الله

أن يرينى عمر فى المنام فرأيته بعد عشر سنين .. وهو يمسح العرق عن جبينه ..!!

فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟!!!

قال : الآن فرغت من الحساب .. ولولا رحمة ربى لهلكت !!

هذا هو عمر – رضى الله عنه – أحد ممن قال – تعالى – فيهم : « رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ »

(النور / ٣٧)

حسن المعاملة

قال الله تعالى

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة فصلت

يأمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير فنكون ممن إذا أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حلموا ، وإن أساء إليهم عفوا عنه ، وإن أذنب فى حقهم ذنبا غفروه ، وأغضوا عن الهفوات وتجاوزوا عما صدر من الأخطاء ، فإن فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقا ، والبعيد عنهم قريبا والمبغض لهم حبيبا ، حتى يصير كأنه ولى حميم ، ولا يقبل هذه الوصية ، ولا يعمل بها ، إلا من اتصف بالصبر ، وثبات القلب ، وقوة العزيمة ، لانها من الأمور الشاقة على النفس ، التى لا يتحملها إلا من كان ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة .

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم – قرية الأعلام

شجرة الإخلاص

وكتبت القارئة/ آمنة أحمد مكرم – بمعهد فتيات أسيوط الثانوى الأزهرى – هذه الكلمة عن فضل الإخلاص وأهميته ، مشاركة منها فى تحرير هذا الباب :

السنة شجرة والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، والأنفاس ثمرها . فمن كانت أنفاسه فى طاعة فثمرة شجرته طيبة ، ومن كانت فى معصية فثمرته حنظل . وإنما يكون الجداد « أى قطف الثمر » يوم المعاد ، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها .

والإخلاص والتوحيد « شجرة » فروعها الأعمال وثمرها : طيب الحياة فى الدنيا ، والنعيم المقيم فى الآخرة .. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فثمرة التوحيد والإخلاص فى الدنيا كذلك .

والشرك والكذب والرياء « شجرة » ثمرها : فى الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب ، وثمرها فى الآخرة الزقوم والعذاب المقيم . وقد ذكر الله هاتين الشجرتين فى سورة إبراهيم فى قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » .

الأدب مع القرآن الكريم

كتب الأستاذ/ محمد خيرى أبو ربيع ـ من يعقوب ـ البلينا ـ سوهاج ـ هذه الكلمة عن آداب التلاوة :

يؤمن المسلم بقدسية كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وشرفه وأفضليته على سائر الكلام وأن القرآن هو حبل الله المتين ، ولكن يزيد فى إيمان المسلم .

التأدب مع القرآن بالآداب التالية :ـ

أولًا : أن يقرأه على طهارة ، واستقبال قبلة ، وأدب ووقار .

ثانياً :ـ أن يرتله ولايسرع فى تلاوته ، فلا يقرأه فى أقل من ثلاث ليالٍ ، لقوله ﴿ ﷺ ﴾ « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث ليالٍ لم يفقهه » رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى .

ثالثاً :ـ أن يلتزم الخشوع عند تلاوته ، وأن يبكى أو يتباكى إن لم يستطع البكاء . لقوله ﴿ ﷺ ﴾ : « اتلوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » متفق عليه ..

رابعاً :ـ أن يحسن صوته به ، لقوله ﴿ ﷺ ﴾ « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه احمد وابن ماجه والنسائى والحاكم وصححه .

خامساً : أن يجتهد فى أن يتصف بصفات أهله الذين هم أهل الله وخاصته ، وأن يتَّسِم بسماتهم ، كما قال عبدالله بن مسعود « رضى الله عنه » ينبغى لقارىء القرآن ان يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبورعه إذ الناس يخلطون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وكما قال ذو النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها لاتهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه ... فهماً تذل له الرقاب وتخضع

على سبيل المثال !!

تلقت المجلة من الأستاذ الكاتب : محمد مصطفى الغمرى ـ المدير السابق لادارة شبرا الخيمة التعليمية ـ نسخة من مؤلفه القيم « الأفكار الحرة » ، ذلك الكتاب الذى قام بتأليفه منذ سنوات عدة ، وعالج فيه بالرأى المستنير جوانب مهمة من الفكر والحياة والمجتمع ، كذلك تلقت المجلة ضوءة الكاشف لعدد واحد من مجلة الأزهر على سبيل المثال ، ومما جاء فيه قوله :

« الجزء الحادى والعشرين من السنة الهجرية ـ السابعة والستين عدد ذى القعدة حافلا بالآيات البينات كدأب مجلة الأزهر الغراء ،

خصوصا ما نشرته عن : مضامين كلمة السيد رئيس الجمهورية فى الاحتفال بليلة القدر ، ففيها إيضاح لأولى النهى من أجل الدعوة الإسلامية ، وكذلك كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الاحتفال بليلة القدر ـ ليلة القرآن ـ وإيجاز هذه الكلمة زادها جمالا وجلالا ، كما نتوقف عند كلمة فضيلة الدكتور على أحمد الخطيب رئيس التحرير « أين التناقض ؟ » والعتاب فيها جاء بمحله ، والتذكير بحق العلم له أهميته ، وليت كل كاتب يعرف حق الكلمة عليه ويصون أمانته .

و « والحجاج والعمار وفد الله » ـ قبس من أنوار النبوة ـ عرضه فضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم عرضا نيِّرا ، وربطه ربطا قيمًا بالواقع فى ضوء الحديث النبوى .

و « ظاهرة التجاوز فى بناء الفكر » للدكتور عبدالله النجار أحسن فى عرض مظاهر التجاوز فى البناء الفكرى ، وفى التعامل مع الأفكار لا مع الأشخاص ، خصوصاً رَدَّه على الكاتب الذى زعم التناقض بين الدين والحياة ببيان مغالطاته ، وأخطائه الجسيمة ، وردَّه على زعمه الصراع بين النقل والعقل ، لأن زعمه فهم سقيم . وتعجبنى الإشارة إلى « أن عظمة الإسلام أنَّهُ لا يضيق ذرعاً بالمعاندين بل يشتد ويقوى إذا أثير أو اعتدى عليه » وتسير المجلة على هذا النحو الكريم ، وانتهى إلى هذا الحد خشية الإطالة .

من إبداعات القراء

فلسطين فى لسان أبنائها

للشاعر :

هشام أبو عيشة(*)

لَيْلَــى بصبــح لَيْلُــهُ — طالــت يــداه المجرمــة
وطنـــى تــأوه نخلـــه — صــارت بــلادى مُعتمــه
ليــل تدفــق سيلـــه — فلـــه الــدُّنى مستلمــة
ليــل تكاثـــر خيلـــه — والخيــل ليســت مسلمــه

●●●

باتــت بقلبــى العاطفـــة — وخيــال شعــرى غاضــب
أحــزان قلبــى وارفــه — والقلــب أيضــا عاتـــب
بينــى وبينــى واقفــه — رُوحٌ بروحـــى ذائـــب
قالــت دمــوعى الواكفــه — أيــن الطـريــق الغائــب

فالنار تعصف فى الرياح — والأرض تأكـل من سـقـط
ردد معــى حتــى الصبــاح — هــذى حــروف والنقــط
ردد معــى حتــى الصبــاح — الأرض تأكــل من سـقـط

(*) مدرس بالتربية والتعليم

ردود وتعليقات

● القارىء : محمد إبراهيم الدمرداش ـ مجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية .

نحن نخصص فى مجلة الأزهر بابا ثابتا عن أعلام الأزهر وفاء لحقهم وتقديرا لدورهم ، ونرحب بأية دراسة عن أحد هؤلاء الذين أثروا تاريخنا المعاصر بعلمهم وتآليفهم ومواقفهم ، متى استطاعت هذه الدراسة أن تحيط بتلك الشخصية وينبغى أن تكون شخصية أعلام الأزهر لها تآليف حتى يستفيد منها القارىء والدارس .

● القارىء : مسلم يحب السنة ـ كفر الدوار .

نشكركم على تحيتكم للأزهر وعلمائه ونتفق معكم فى أهمية الرجوع إليهم ، وأحقيتهم فى تصدر مجالس الافتاء ، علما بأننا لا نذكر أسماء أعداء الإسلام ـ عند الرد عليهم ـ حتى لا نمنحهم شرف ذكر الاسم فى مجلة الأزهر ، ويمكنكم الرجوع إلى مركز بيع كتب الأزهر بإدارة التوريدات خلف مدينة البعوث بالقاهرة للحصول على أجزاء فتاوى الإمام الأكبر ، والرجوع إلى فروع شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات للحصول على شرائط الإمام الشعراوى .

● القارىء : يوسف حلمى ـ الشلاتين البحر الأحمر .

نشكركم على تحيتكم الرقيقة لأسرة تحرير المجلة ، ولعلم الشعر أوزان وبحور ينبغى الإلمام بها قبل نظم الشعر .

● القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة ـ معهد منوف الدينى .

فيما يتعلق بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر السابق نود أن يتصدى للحديث عن شخصيته من أبنائه ومحبيه ممن يستطيع أن يسبر غورها ، ويفيد القارىء والتاريخ بها .

● القارىء : إبراهيم أبوسريع رشدى حسن ـ كلية أصول الدين بالقاهرة .

نأمل أن يتسنى لنا تزويدكم بهذه الكتب مستقبلا .

● القارىء : سيد حسن عطية الله ـ بنجع حمادى .

فيما يتعلق بشيخ الإسلام الشيخ محمد مصطفى المراغى نقول فيه ما قلناه فى فضيلة الإمام الأكبر عبدالحليم محمود .

● القارىء : السيد مرسى البرعى ـ كلية أصول الدين بطنطا .

عسى أن تتاح لنا فرصة زيادة الكمية المطبوعة من المجلة فى وقت قريب ، وفيما يتعلق بكلمتكم عن الصيام فقد وصلت متأخرة عن مناسبتها .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعا .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

كلمة الإمام الأكبر فى ختام دورة الأئمة

فى ختام الدورة الثامنة والعشرين للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى وزع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف شهادات التقدير والتخرج لخمسة وعشرين داعية من : « غينيا كوناكرى وأثيوبيا وأرتريا والمالديف وألبانيا واستراليا » كما سلم كل منهم مكتبة إسلامية ، وقد ألقى فضيلته كلمة قال فيها :

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فقد سعدنا بأن تكونوا طلاب علم فى رحاب الأزهر الشريف فى هذه الدورة التدريبية للأئمة والوعاظ ، وآمل أن تكونوا قد استفدتم وانتفعتم من محاضرات السادة الأساتذة الذين شاركوكم هذه الدورة زملاء كبار يقومون على نشر العلم والتعليم ، وآمل أيضاً أن تكونوا مع استيعابكم لما طرح عليكم من علم قد استفدتم من الحوار مع الأساتذة فيما غاب أو غمض عليكم ، وأن تعودوا إلى أوطانكم بعلم وفهم وفكر تنشرونه وتصححون به المعلومات لمواطنيكم ، عن القضايا التى تثار من حين لآخر ، فى وسائل الاعلام المختلفة لاسيما القضايا التى تخرج عن النطاق الصحيح فى الإسلام ، وآمل أن يكون كل ذلك قد كان ، وهذا هو العهد بكم وبالأساتذة الذين وكل إليهم مشاركتكم فى هذه المهمة ، ونحن العلماء ـ علماء المسلمين ـ فى كل مكان مطلوب منا أن نكون مع مواطنينا فى مساجدهم ، وفى مجتمعاتهم ، نبين لهم الرشد ، وننصحهم فى دينهم ودنياهم حتى تستقيم أمورهم ، أمور الأمة الإسلامية على دين الله ، وعلى كتاب الله ، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة الأنعام

لَمْ تُدْعَوْا إلى الأزهر الشريف لمجرد رياضة أو سفر أو تغيير موقع ؛ وإنما قدمتم لمهمة علمية ، ثم تعودون بحمد الله إلى أوطانكم تبلغون رسالة الله

فإن الرسول ﷺ عهد وقال : « **ألا هل بلغت اللهم فاشهد** » وهو قد أنابكم فى هذه المهمة فقال : « **بلغوا عنى ولو آية** » ، هذه المهمة هى مهمة عظيمة وشاقة فلابد أن يكون هناك تحمل لهذه المهمة وصبر فى أدائها حتى لا تخطئوا فى الإجابة فإن الرسول ﷺ حذرنا من الفتوى بغير علم فقال : « من أُفْتِى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » .

أرجو أن ننصح لله وأن ننصح لرسول الله ، وأن ننصح للناس كما قال رسول الله ﷺ : « **الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » .

والنصح لله كما تعلمون هو : العمل بكتابة وأوامره ، والنصح لرسول الله ﷺ هو : العمل بسنته وعقيدته وشريعته ، والنصح لأئمة المسلمين : أى لحكامهم ولعلمائهم بأن يبصروا بالحلال والحرام ، وبمهمتهم فى هذه الحياة فى توجيه الناس وضبط أمورهم ، وحسن معايشتهم وتوجيههم إلى طريق الصواب الذين يؤدون به حياتهم ، والنُّصْح لعامة المسلمين أن تقول لهم كلمة الدين الحقة ، كلمة القرآن ، كلمة رسول الله ﷺ وأن نبصرهم كذلك بما يحل وبما يحرم حتى تستقيم حياتنا على منهج الله سبحانه وعلى ما شرع .

كونوا أيها العلماء بين مواطنيكم هداة مهديين مهتدين حتى تصلح أمتنا ، أُدْعو دائماً إلى التعايش بين طبقات الأمة مهما اختلفت ألوانها ولغاتها ومواطنها ، فإن الإسلام جمعنا على قبلة واحدة وعلى كتاب الله وحده ، وعلى سنة رسوله ﷺ ثم عرفنا الرسول أن الأمة كلها تشترك فى أسس الإسلام : « **بنى الإسلام على خمس** ... » إذا أقيمت هذه الخمس فى كل أوطان المسلمين هدى الله بها الأمة ، وزاد رزقها وكانت كما وصفها الرسول ﷺ : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم** وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

أقول لكم هذا : وأنصحكم وأنصح نفسى بالاستقامة على أمر الله وأرجو لكم عوداً حميداً إلى أوطانكم ، وأن تكونوا مأجورين إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإمام الأكبر وسفيرة الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة السفيرة/أرونداتى غوز سفيرة الهند بالقاهرة ٩٥/٥/٨ .

وقد تناول اللقاء شكر السفيرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وللأزهر الشريف على ما يقدمه من دعم وتأييد ونهوض بالعلاقات الثقافية والدينية للمسلمين فى الهند ، وطلبت من فضيلته أن يشكر شعب وحكومة مصر نيابة عنها لما وجدته من كرم ضيافة وحفاوة بين الأوساط الشعبية والرسمية فى مصر ، وقد أثنى فضيلته على جهود السيدة السفيرة فى استئناف العلاقات الثقافية والعلمية بين الأزهر والجامعات الهندية الإسلامية والعلمية حيث تم إيفاد عدد من الأساتذة هذا العام إلى جامعة (كيرالا) فى الهند .

الإمام الأكبر وسفير البوسنة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السيد أفديا حسن جادروفيتش القائم بالأعمال لسفارة جمهورية (البوسنة والهرسك) بالقاهرة، وقد تناول اللقاء حاجة شعب البوسنة المسلم للدعم الديني والتعليمي، وأعرب السيد القائم بالأعمال عن شكر وتقدير بلاده حكومة وشعباً للجهود الكبيرة التي يقدمها الأزهر الشريف لمساندة ودعم الشعب المسلم في (البوسنة والهرسك) في جهاده العادل أمام المعتدين الصرب.

اعتماد حركة الترقيات بالأزهر

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف حركة ترقيات ١٤ ألف، ٨٣٨ موظفاً بالأزهر الشريف.

شملت الحركة ترقية ٢٦٣ إلى الدرجة الأولى، ٤ آلاف و١٠٩ للدرجة الثانية، ٧ آلاف و١٩٦ للدرجة الثالثة، ١٥٥ للدرجة الرابعة، ٣ آلاف و١١٥ للدرجة الخامسة.

كما اعتمد فضيلته حركة العلاوات التشجيعية للعاملين بالأزهر والتي يستفيد منها ١٠٧٣٠ موظف وتشمل الكادر التخصصي والفني والكتابي والعمالي.

الإمام الأكبر ووفد الفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف الكاردينال فرنسيس أرنيز رئيس مجلس الأساقفة للحوار الديني بالفاتيكان، وبصحبته معالي سفير الفاتيكان بالقاهرة والوفد المرافق.

وقد شمل اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والفاتيكان في الأمور المشتركة التي تسهم في تأصيل روح التعاون والأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً.

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر في لقائه بالوفد جميع زعماء ورؤساء العالم وفي مقدمتهم القيادات الدينية على تكثيف جهودهم لوقف نزيف المذابح التي يشهدها عالمنا المعاصر في أنحاء العالم، والعمل على نشر المحبة والإخاء بين البشر جميعاً حتى ترتفع راية السلام على ربوع العالم أجمع، كما وافق فضيلته على تمثيل الأزهر في لقاء الفاتيكان الذي سيعقد في ٢٣ يونيو القادم تمهيداً للتنسيق والتشاور قبل انعقاد مؤتمر بكين الذي ستنظمه الأمم المتحدة حول وضع المرأة ومكانتها في العالم.

الإمام الأكبر ومدير منظمة اليونسيف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السيد/محمد باقر نيازى مدير (منظمة اليونسيف) بالقاهرة والوفد المرافق له ، وتم فى اللقاء بحث دور الأزهر الشريف فى توعية المسلمين بأمور دينهم ، وأهمية دور الأزهر وعلمائه فى التوعية بالنظافة وترشيد استخدام المياه والمحافظة على البيئة من التلوث من الناحية الدينية والسلوكية وأشاد مدير المنظمة بدور الأزهر وعلمائه لدى (منظمة الأمم المتحدة واليونسيف) وأثره على المسلمين حيث يتبنى الأزهر قضايا الأمومة والطفولة والأسرة ، وإعلان رأيه فيها ويصدر مطبوعات إسلامية حول هذه القضايا ، ويتم توزيعها على العالم مما سهل وضع الحلول المناسبة لها .

التعليم وحق المرأة فى الإسلام

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف فى افتتاح المؤتمر الدولى الثانى لكلية طب بنات الأزهر : أن تعليم البنات كان ضرورة بهدف إعطائهن الفرصة كاملة فى التعليم والثقافة ، ولذلك انتشرت المعاهد الأزهرية الخاصة بالبنات فى جميع المراحل التعليمية فى كثير من القرى والمدن ، ويوجد بجامعة الأزهر فرع خاص للبنات ، ناقش المؤتمر أكثر من مائة بحث علمى .

الإمام الأكبر ومندوبى طهران

كما استقبل فضيلته الدكتور/جعفر شهيدى رئيس أقسام اللغة العربية فى جامعات طهران وبرفقته السيد القائم بالأعمال لسفارة إيران بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء أوضاع العالم الإسلامى والاعتداءات التى يواجهها المسلمون وقد صرّح فضيلة الإمام الأكبر : بأن على المسلمين فى كافة أنحاء العالم أن ينبذوا الخلافات فيما بينهم وأن يمتنعوا عن تصدير المذاهب حتى يكون للأمة الإسلامية موقفاً موحداً وثابتاً أمام الآخرين .

على هامش المؤتمر الخامس للجامعات الإسلامية

إعداد الشيخ : عمر البسطويسى

عقد بجامعة الأزهر الشريف «بمركز الاقتصاد الإسلامى» المؤتمر العام الخامس للجامعات الإسلامية الدورة الخامسة ، واستمرت لأربعة أيام اعتباراً من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٦ من أبريل ١٩٩٥م وشارك فيه رؤساء وممثلون عن (٧٠) سبعين جامعة وكلية ومركز بحوث من مختلف دول العالم .

وشهد حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف، والدكتور عبد الله عبد المحسن التركى وزير الإرشاد والدعوة بالسعودية ورئيس رابطة الجامعات **والدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف ونائب رئيس الرابطة ، وناقش المؤتمر** التحديات التى تواجه التعليم فى المستقبل .

ودعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى ضرورة النهوض بمستوى التعليم فى الجامعات الإسلامية فى دول العالم المختلفة ، وأشار الدكتور عبدالله التركى رئيس الرابطة إلى أن هذا المؤتمر سيكون بداية **لتنفيذ برنامج عمل طموح يضع كل الإمكانات فى خدمة الجامعات الإسلامية ويجعلها تتواكب مع** متطلبات العصر .

وأعلن الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف ونائب رئيس الرابطة أن انعقاد هذا المؤتمر بالقاهرة يأتى تقديراً لدور مصر الإسلامى وحرصها على نشر الفكر الدينى الصحيح ودعمها للتعليم الإسلامى الهادف ، ودعا إلى العمل على توحيد الثقافة الإسلامية التى تدرس فى الجامعات .

وصرح الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف ومدير مركز الاقتصاد الإسلامى بالجامعة أن المؤتمر ناقش الاتفاقات العلمية والمالية بين الجامعات الأعضاء وسبل دعم **التعاون العلمى بين الجامعات ، وقال : إن المؤتمر عقد بمناسبة مرور ٢٥ سنة على إنشاء الرابطة ، وشهده** عدد كبير من كبار الباحثين ورؤساء الجامعات منهم : الدكتور حسين حامد حسان رئيس جامعة باكستان الإسلامية ، والدكتور أحمد العسال نائب رئيس الجامعة والدكتور عبد العزيز التويجرى مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، والشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت ، والدكتور إبراهيم صالح النعيم مدير جامعة قطر .

وقد نظمت أمانة المؤتمر برنامجاً ثقافياً وإسلامياً زار السادة الضيوف من خلاله : القلعة ، وبانوراما حرب اكتوبر المجيدة ، ومدينة السادس من أكتوبر ، وقد سبق افتتاح المؤتمر اجتماع المجلس التنفيذى

للرابطة لمناقشة برنامج العمل فى الدورة القادمة والتصديق على الاتفاقيات المبرمة بين الجامعات الإسلامية والهيئات الأخرى ومتابعة توصيات الندوات العلمية التى نظمتها الرابطة فى عدد من الأقطار العربية والإسلامية وترشيح الأعضاء الجدد بعد الإقبال الكبير من الجامعات العربية على الانضمام للرابطة والمشاركة فى أنشطتها .

وقد شهد المؤتمر حواراً مفتوحاً بين رؤساء الجامعات الإسلامية والجامعات العامة من خلال ندوة علمية عن « الجامعات الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين » .

وفى ختام أعمال رابطة الجامعات الإسلامية السبت ٢٩ من ذى القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٩ من أبريل ١٩٩٥م تمت الموافقة على نقل مقر الرابطة الدائم من المغرب إلى القاهرة ، وذلك بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر الشريف لحين الانتهاء من إقامة مبنى مستقل للرابطة ، كما تم انتخاب د/ عبد الله عبد المحسن التركى وزير الشئون والأوقاف بالسعودية رئيساً للرابطة للمرة الثانية ، وا . د/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف نائباً للرئيس ، والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس الجامعة أميناً عاماً للرابطة ، وتم انتخاب خمسة عشر عضواً بالمجلس التنفيذى للرابطة ، منها جامعات : الأزهر وعين شمس والزقازيق من مصر ، والإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأم القرى من السعودية والجامعة الإسلامية بأوغندا وموافقة **المجلس على قبول ٢٩ عضواً جديداً للرابطة طلبوا الانضمام إليها منها ١١ جامعة مصرية : طنطا** والزقازيق والأسكندرية وحلوان والمنيا وعين شمس وقناة السويس وأسيوط والمنوفية والمنصورة ، ومعهد الدراسات الإسلامية والعربية ، فضلًا عن جامعتى الأزهر والقاهرة سابقتى العضوية .

وكذلك ضم جامعات آل البيت بالأردن والدعوة الإسلامية بسلطنة عمان ، والجامعة الإسلامية بأندونيسيا وأبو بكر بباكستان .

وبذلك يصل عدد أعضاء الرابطة إلى ٧٨ عضواً وقد وافق المؤتمر على تعديل نظام الرابطة بحيث يكفل تيسير اشتراك الجامعات والهيئات ومراكز الأبحاث بالدول الإسلامية فى الرابطة وإعطاء فرصة للقيادات التى قادت الرابطة للاستمرار فى موقع القيادة .

كما وافق المجلس التنفيذى للرابطة على عمل اتفاقيتين ثقافيتين وعلميتين بين الرابطة وكل من جامعة الأزهر الشريف ومنظمة اليونسكو ، كما وافق على تخصيص ميزانية كبيرة لأبناء الأقليات الإسلامية فى العالم خاصة أبناء القوقاز وتشجيع التأليف فى المناهج الإسلامية .

والجدير بالذكر أن فضيلة الإمام الأكبر ورؤساء الجامعات الإسلامية السبعين المشاركين فى المؤتمر أدوا صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ، وألقى خطبة الجمعة فضيلة الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام الجامع الأزهر الشريف وأكد فى خطبته أن المؤتمر الذى يعقد فى رحاب جامعة الأزهر عليه واجب كبير فى وحدة مناهجه العلمية والعملية ؛ لبناء مستقبل هذه الأمة متفقاً مع كتاب الله والسنة النبوية المطهرة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

القاهـــرة

مؤخراً من قضية (القدس) حيث قال سيادته فى تصريحات (صحيفة للأهرام): إن استخدام
تصريحات صحفية للأهرام : إن استخـــدام الولايات المتحدة لحق النقض لمنع مجلس الأمن من إصدار بيان يدين الممارسات الإسرائيلية العدوانية الاستفزازية أمر غير مبرر ولامقبول ، وأن الاستيلاء بطريق المصادرة ونزع الملكية لأكثر من ١٤٠ هكتار من أراضى القدس الشرقية بحجة إقامة مستوطنات لليهود عليها هو فرض لسياسة الأمر الواقع الذى يهدف إلى تهويد القدس العربية وجعلها عاصمة لإسرائيل وأضاف سيادته : أن ذلك المسلك المتطرف خلق شعوراً عربياً وإسلامياً أكثر حدة وأشد احتداماً خصوصاً وأنه جاء بعد فترة قصيرة من الموقف الأمريكى فى مؤتمر معاهدة حظر الانتشار النووى الذى استثنى إسرائيل من الانضمام للمعاهدة ، والجدير بالذكر أن هناك اقتراح بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ، قدمه زعيم الأغلبيــة الجمهوريـــة بالكونجرس ، والمعروف أن أمريكا استخدمت الفيتو سبعين مرة وكان ثلث هذا العدد من المرات فى خدمة أهداف صهيونية يهودية مما يسمح لإسرائيل أن تضرب عرض الحائط بكل القوانين والمواثيق والأعراف وهو مايؤكد سياسة النظام العالمى الجديد القائمة على المحاباة والكيل بمكيالين

جامعة الأزهـــر

بدأ السبت ٢٠ من ذى الحجة ولمدة ثلاثة أيام بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر المؤتمر الدولى الأول الذى عقد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية لمناقشة ور البحث العلمى فى الجامعات المصرية فى خدمة قضايا التنمية والبيئة وناقش المجتمعون عدة أبحاث لخدمة قضايا الصناعة والإنتاج الزراعى والتنمية الاجتماعية والإدارة والاقتصاد والصحة .

وعقدت على هامش المؤتمر ندوات ترأسها الوزراء ورؤساء الجامعات والشخصيات العامة وذوو الخبرة فى المجالات المتخصصة . صرح بذلك رئيس جامعة الأزهر ورئيس المؤتمر .

الشيشـــان

تستمر القوات الروسية الغاشمة فى حربها البربرية ضد الشيشان المسلمين فى جنــوب الجمهورية الصامدة وفى الوقت الذى نفى فيه متحدث باسم أبطال الشيشان مزاعم القادة

الروس بالاستيلاء على قرية « شريورد » . اعترفت القوات الروسية بأنها تواجه مقاومة شرسة من جانب المقاتلين الشيشان فى المعارك الجارية جنوب شرق « جروزنى » .

تل أبيب

نشرت صحيفة الديلى تليجراف البريطانية المعروفة تقريراً مفاده أن تل أبيب فى طريقها الآن لأن تصبح أكبر بيت للدعارة فى الشرق الأوسط ونقلت الصحيفة عن أحد أعضاء بلدية تل أبيب قوله: إنه لايكاد يوجد شارع فى هذه المدينة لاتسيطر عليه العاهرات والسبب كما يؤكد هو وصول مئات الآلاف من اليهود الروس إلى إسرائيل وهم اليهود الذين لايستطيعون العثور على أعمال لهم مما دفع العديد من النساء إلى الاتجار بالدعارة وبيع العرض لأجل البقاء .

تركمانستان

يقوم الرئيس التركمانستانى صابر مراد نيازوف بزيارة لمصر فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٤١٥هـ وتتركز محادثاته مع الرئيس حسنى مبارك حول سبل تنشيط التعاون بين البلدين فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والقضايا الدولية محل الاهتمام المشترك وقد رحب وزير الخارجية بضيف مصر الكبير وصرح أنه سيتم توقيع إتفاقيات التعاون الاقتصادى والتجارى والثقافى فى إطار حرص مصر على دعم علاقاتها مع دول الكومنولث الجديد .

فى عيد الاعلاميين

وافق الرئيس حسنى مبارك على الوثيقة الخاصة بالبدء فى تصنيع أول قمر صناعى مصرى يسمى « NILE SAT » .

وصرح السيد وزير الإعلام بأنه يجرى وضع النقاط الأخيرة للمشروع الإعلامى الكبير الذى يشمل إطلاق القمر الوليد فى الربع الأول من عام ١٩٩٧م ، إلى جانب إقامة قمر صناعى احتياطى وبناء محطتين فضائيتين فى كل من القاهرة والأسكندرية ، جاء ذلك فى مؤتمر صحفى عقده سيادته قبل توجهه إلى دمشق لرياسة وفد مصر لاجتماعات المؤتمر الثالث لوزراء إعلام الدول الإسلامية الذى تتقدم مصر فيه بورقة عمل للنهوض بالمستوى الإعلامى للدول الإسلامية .

ومن أهم ماتحتويه هذه الورقة المشروع الإعلامى الكبير المسمى « إسلام - فزيون » وهى جريدة إسلامية عالمية مصورة تواكب الأحداث الجارية .

البوسنة والهرسك

دعا الرئيس البسنى على عزت بيجوفيتش مجدداً إلى رفع حظر السلاح المفروض على بلاده . كما كرر دعوته للصرب للاعتراف بالبوسنة لاستتباب الأمن فى كل شبه جزيرة البلقان . يأتى ذلك فى الوقت الذى دعا فيه زعيم صرب البوسنه الرئيس الصربى إلى عدم الإذعان للضغوط الدولية من أجل الاعتراف بالبوسنه وكرواتيا مصراً على رفض الصرب لذلك الأمر .

Selon Huzayla -- qu'Allah.soit satisfait de lui-le prophète (B.S.) a dit: "Rien n'ait plus agréable à Allah que de voir Son serviteur prosterné, le visage collé au sol".

Selon Abou Feras Raby'a Ibn Ka'b El Aslamy qu'Allah soit satisfait de lui-le serviteur du Messager d'Allah (B.S.) et l'un des vertueux a dit: "J'ai passé la nuit avec le Messager d'Allah (B.S.), je lui apportais de quoi faire ses ablutions et ce dont-il avait besoin. Il m'a dit une fois: "demande-moi une chose"; j'ai dit: "Je veux être ton compagnon au Paradis"; il demanda! "y a-t-il autre chose?" j'ai répondu: "Rien que cela" Fais donc un effort dit-il pour m'aider en cela: multipliez les prosternations".

Le Messager d'Allah (B.S.) disait en se prosternant: "Ô Allah, c'est pour Toi que je me prosterne, c'est en Toi que je crois, à Toi que je me soumets. Mon visage se prosterne pour Celui qui l'a créé, l'a formé et m'a octroyé la vue et l'ouie. Gloire à Allah, le plus Parfait des créateurs.

«Ô Allah, nous cherchons refuge auprès de Toi contre l'infinité et la paresse, l'avarice et la vieillesse, et le supplice de la tombe. Ô Allah donne à nos âmes la piété et purifie-les. Tu es le meilleur purificateur, Tu es mon Seigneur et Maître.

Ô Allah, nous cherchons refuge auprès de Toi contre un savoir inutile, un coeur qui ne s'humilie pas une âme insatiable et une invocation qui ne soit pas exaucée.

«Ô Seigneur, fais que nous nous contentions du gain licite, plutôt que de rechercher ce qui est illicite. Fais que Toi et personne d'autre, nous épargne le besoin. Nous Te demandons -- Ô Allah — de nous faire mériter Ta miséricorde et Ton pardon, de nous sauver de tous les péchés, de gagner la récompense de toute bonne action afin de mériter le paradis et d'échapper à l'enfer".

dis que son front et son nez touchent le sol et que nul autre qu'Allah ne l'entend. La prosternation a été mentionnée dans le Saint Coran pour exprimer la soumission absolue de toutes les créatures devant Allah, Celui qui les a créées.

Quand le croyant se prosterne en pleine nuit humblement en pleurant tout en ayant le coeur en état de soumission, il ressent la beauté de la foi et la tranquillité du coeur; alors ses soucis et ses peines disparaissent et son coeur s'apaise.

La prosternation de celui qui est soumis humblement à Allah, l'Unique, le Dominateur, est mentionnée dans le Coran dans la parole du Tout-Puissant "Voilà ceux que Allah" a comblés, parmi les prophètes, parmi les descendants d'Adam, et aussi parmi ceux que Nous avons portés en compagnie de Noé et dans la descendance d'Abraham et d'Israël, et parmi ceux aussi que Nous avons guidés et choisis quand les versets du Très Miséricordieux leur sont récités, ils tombent prosternés et pleurent".

Ma'dân Ibn Abou Talha — qu'Allah soit satisfait de lui -- a dit: "J'ai rencontré Sowbane, l'affranchi du Messager d'Allah (B.S.) et je lui ai dit: "Enseigne-moi un acte qui me fasse entrer au Paradis, où les actes qu'Allah aime le plus, comme il ne répondit pas, je renouvelai ma question, alors il se tut; je reposai ma question pour la troisième fois, alors il dit: "J'ai posé la même question au prophète (B.S.) et il m'a dit: "Je vous recommande de multiplier les prosternations, car à chaque fois que tu tombes prosterné devant Allah, Allah t'élève d'un degré et efface un de tes péchés.

Selon Ibada El Çani — qu'Allah soit satisfait de lui-il a entendu le prophète (B.S.) dire: "Tout serviteur qui se prosterne devant Allah, Allah lui compte à chaque prosternation une action louable, lui efface une de ses fautes, et l'élève d'un degré. Multipliez donc les prosternations.

«Si tu veux te rapprocher d'Allah prosterne-toi»

par Islam Abdel Raouf Mohammad

Quand l'être humain tombe prosterné devant Allah l'Unique, le Dominateur sur la terre d'où il a été créé, à laquelle il retournera et d'où il sera réssucité. L'être humain prosterné, tout en ayant l'ouie, la vue et le coeur dans un état de parfait recueillement, atteint de servitude devant Allah. Or lorsque l'être humain atteint de servitude devant Allah, il est donc arrivé à l'apogée de la foi. Or, dans l'apogée de la foi, le serviteur est aussi proche que possible d'Allah Seigneur des mondes.

L'être humain prosterné, est plein d'humilité et d'espoir dans ses louanges et ses implorations adressésà Allah. A ce moment, il jouit d'un entretien confidentiel avec son Seigneur, où il murmure doucement tan-

Notons toutefois que si certains compagnons du Prophète (b.s.) sont morts en s'affrontant tels que Talha et Az-Zoubaïr, il ne faut pas voir dans cette confrontaion une division comme certaines versions tendent à vouloir l'affirmer. Ils agissaient toujours en une de sauvegarder la sécurité et l'unité des musulmans. Ils voulaient préserver l'Islam de toute modification. Il ne faut pas douter de la bonne foi des compagnons du Prophète (b.s.) à qui Allah à déjà accordé Son pardon et Sa satisfaction. Gare à celui qui réduit le mérite de l'un d'entre eux ou qui met en doute la foi des uns à l'encontre des autres. Celui qui ose insulter Ali pour défendre Aïicha, cette dernière se dressera contre lui le jour du jugement dernier. Le messager d'Allah (b.s.) a dit : "La meilleure des époques, c'est la mienne, puis celle qui viendra après, puis celle qui viendra après'" Hadith rapporté par Al-Bokhary. Il a dit également : "Craignez Allah en mes campagnons, ne les prenez pas pour cibles après moi" rapporté par Al-Tirmizi. Il a dit aussi : "N'insultez pas mes compagnons ! Je jure par Celui qui détient mon âme entre ses mains, que si l'un d'entre vous dépensait l'équivalent de la montagne d'Ohod en or, il ne saurait atteindre le poids de ce que peuvent contenir les deux mains de l'un d'entre eux ou de la moitié de cette quantité" rapporté par Al-Bokhary et Moslim. Cette image sert à souligner la valeur morale et le mérite de ces compagnons.

Talha est mort en martyr comme le Prophète. (b.s.) l'avait prédit. Nous implorons Allah, le Tout Puissant, d'accorder à Talha toutes les bénédictions, la réalisation de la prédiction du Prophète (b.s.) et le voisinage du Prophète (b.s.) au paradis. Le Prophète (b.s.) n'a - t - il pas dit : "Talha et Az-Zoubaïr seront mes deux voisins au paradis." Qu'Allah te comble, Ô Talha, de son approbation dans l'au-delà, pour tout le bien que tu fis dans ta vie.

Les jours s'écoulèrent et Othman fut nommé calife; puis l'insurrectin eut lieu. Talha se rangea du côté des opposants d'Othman et les appuya dans leur demande pour le changement et la réforme. Talha crut que le malentendu se dissiperait. Or, Médine se réveilla un jour sur l'assassinat de Othman (a.s.l.). Lorsque Talha apprit le crime, il éprouva un grand remords à cause de son attitude envers Othamn - (a.s.l.) Dès qu'il eut donné son serment d'allégeance à l'Iman Ali, à Médine, ils prirent congé, lui et Az-Zoubaïr, afin de partir pour la Mecque faire la visite pieuse. De la Mecque, ils emmenèrent avec eux Aïsha (a.s.e.) l'épouse du Prophète (b.s.), et se dirigèrent à Bassorah où se rassembla une foule qui cherchait à venger Otman (a.s.l.) or, Ali se trouva dans une situation critique. En tant que calife des musulmans, il ne pouvait être tolérant envers n'importe quelle rebellion contre l'Etat islamique .. Toutefois, en voulant écraser une rebellion de ce genre, il devait affronter ses fères, ss amis, ses compagnons et les adeptes de sa religion. Pour trouver une solution à ce dilemme, il se dirigea vers Bassarah. Quand il arriva, il fit appeler Talha et Az-Zoubaïr. Lorsque ces derniers furent tout près de lui, il dit à Talha : "Ô Talha, as-tu amené l'épouse du messager d'Allah pour combattre, alors que tu as caché la tienne à la maison?" Talha reconnut vite son erreur et se retira du combat; mais il paya sa vie pour prix de cette vérité. Un homme appelé Marwan Ibn Al-Hakam le suivit et lui lança une flèche qui le tua. En mourant Talha dit : "Ô Allah! prends aujourd'hui de ma vie pour donner le compte de Othman jusqu'à ce que tu sois satisfait." Lorsque Ali passa en revue les martyrs de la bataille, il se tînt immobile devant le corps de Talha; il pleura et dit: "Ô Abou Mohammad (le surnom de Talha) je suis trop chagriné de te voir mort sous ce ciel. Je ne me plains qu'à Toi Ô Allah." Il pleura ses amis et dit : "J'espère qu'Allah me ressuscitera avec Othman, Talha et Az-Zoubaïr, parmi ceux qu'Allah a ainsi décrits (nous enlèverons toute rancune de leurs poitrines, sous eux coulerons les rivières) Sourate Al-Araf le sens du verset 43. Ali pria pour tous les martyrs, ceux qui étaient avec lui et ceux qui étaient contre lui.

Le jour de Ohod, Talha était préoccupé à défendre le prophète (b.s.) Lorsque le cours de la bataille tourna en faveur des polythéistes, le Prophète (b.s.) fut blessé et tomba dans un fossé. Talha porta le prophète (b.s.) sur son dos et l'emmena à l'abri d'un rocher. Le Prophète lui dit alors : "Talha l'a mérité" (le paradis). Abou Bakr As-Seddik a raconté : "j'étais le premier à venir vers le Prophète b.s. - ; il me dit ainsi qu'à Abou Oubaïda Ibn Al Garrah. : "occupez-vous de votre frère." Nous regardâmes et nous vîmes Talha atteint de 70 blessures causées par les coups des lances et d'épées même son doigt était coupé. Nous primes soin de lui et l'emportâmes à Médine."

Lorsque le seigneur révéla dans la sourrate "Les Coalisés" : (Il est, parmi les croyants, des hommes qui ont été sincères dans leur engagement envers Allah. Certains d'entre eux ont atteint leur but, et d'autres attendent encore et ils n'ont pas changé leur engagement) le sens du verset 23, un bédouin vînt et demanda au Prophète (b.s.) "Qui est celui qui a atteint son but ?" Le Prophète (b.s.) se détourna et ne voulut pas répondre. Le bédouin lui répéta la question et, à la troisième fois, comme Talha entrait dans la mosquée, le Prophète (b.s.) dit : "Voilà ! celui là qui a atteint son but."

Talha était riche et fortuné. Son épouse Sou'da Bint 'Owf a dit : "Une fois j'ai vu mon mari en pleurs; je lui demandai : "Qu'as-tu?" Il me répondit : "Cette fortune que je possède est devenue tellement grande qu'elle m'a causé des soucis". Je lui dis : "Partage-la avec les gens." Il sortit et distribua tout l'argent aux gens, sans garder aucun dirham.

Une autre fois, il vendit un terrain à un prix très élevé; il regarda l'amas d'argent et dit, les larmes aux yeux : "Un homme qui garde cet argent chez lui ne sachant ce qu'il adviendra, est un vaniteux qui se trompe de la vie terrestre." Puis il sortit avec ses compagnons, distribua l'argent et rentra chez lui, sans le moindre dirham. Le messager d'Allah (b.s.) l'avait surnommé "Talha de la bienfaisance", "Talha de la générosité", "Talha de la dépense", en vertu de sa générosité sans limites.

TALHA IBN AUBAIDALLAH QU'ALLAH SOIT SASTIFAIT DE LUI LE MARTYR VIVANT L'HOMME QUI MIRITA LE GRADE DU MARTYR EN ETANT VIVANT

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le messager d'Allah (b.s.) dit un jour en désignant Talha : "Celui qui aime voir un martyr marcher sur la terre, qu'il regarde Talha." Rapporté par Ibn Magah. Talha était l'un des premiers à embrasser l'Islam et parmi les dix à qui le messager a annoncé le paradis, et parmi les six membres du conseil auquel Omar a confié de choisir le calife qui allait le succéder.

Talha s'est converti à l'Islam - grâce à Abou Bakr - à l'âge de 21 ans. Il appartenait à la tribu de Taîm celle d'Abou Bakr, c'est pour cela qu'il fut torturé avec lui. Un membre de leur tribu les attacha ensemble pour les empêcher d'accomplir leur prière; mais Allah les libéra et ils se levèrent pour la prière.

Dans tous les combats et les expéditions, Talha était aux premiers rangs, désirant gagner l'approbation d'Allah et luttant pour Sa cause. Talha émigra à Médine quand les musulmans reçurent l'ordre de le faire, puis il prit part à tous les combats avec le messager d'Allah (b.s.) à l'exception de l'expédition de Badr, car le messager l'avait envoyé dans une mission en dehors de Médine avec Saïd Ibn Zaïd. Une fois la mission accomplie, ils retournèrent à Médine et épruvèrent une grande peine parce qu'ils n'avaient pas combattu aux côté du messager d'Allah (b.s.) dans sa première expédition. Mais le Prophète (b.s.) les tranquillisa quand il leur garantit qu'ils auraient une récompense égale à celle des combattants; il leur donna même leur part du butin comme à ceux qui avaient combattu.

REVUE
AL-AZHAR

Vol. 68 Part I

El-Moharam 1416 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

We all, as Muslims, must feel the ailments of the African horn and share with the African people their misery and their tragedy. We are no more in need for glittering promises that are actually hard to be fulfilled. Muslims must address the problems of the African continent and consider them their primary priority. They should resort to a United action and collective efforts so as to eradicate poverty, starvation and hunger from the African continent.

We here call upon the United Nations as well to have a vigorous response to the misery of the African continent. We ask the United Nations to adopt a people-oriented policy that must be geared more towards improving the lives of the African people rather than the overall conditions of the continent. We also call upon the United Nations, as being the principle custodian of our global human security, to exert its utmost effforts to help in freeing the world from the scourages of war and poverty.

Finally, we as Muslims should never forget that our primary task is to be always ready to offer our help to our Muslim brethern allover the world, whether in the East or West, with no discrimination for Allah Almight says;

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

"Help ye one another in righteousness and piety, but help ye not one another in sin and rancour: Fear Allah : For Allah is strict in punishment."

(Al Maidah, Verse 2)
(Yusuf Ali, P. 244)

In addition, we must always remember as well that we should be merciful to our brethern on earth so that Allah be merciful to us in heavens.

increasing numbers of refugees and immigrants, in the light of the current events that are taking place in Africa we can easily admit that Africa can now be considered one of the major sources of violence and oppression. In fact, natural vicissitudes in addition to political upheavals, ethnic problems, economic callapse and civil wars, have greatly affected many African people and have turned many of them into miserable frustrated refugees living in very bad conditions and are concentrated in a very limited number of the neighbouring countries.

Some reports have indicated that more than 30 million people in more than 20 countries in South Africa are threatened with death due to the widespread of diseases, epidemics, malnuturition, hunger, starvation and drought. These refugees have no identity or entity; they are not recognized by anyone and they are not offered any effective help. The reports have indicated as well that hundreds of thousands of the Euthiopian and Eritrian refugees, who most of them are Muslims, are facing death in east Sudan because of war or because of drought and malnuturition. Moreover, hundreds of thousand of refugees from South Sudan have immigrated to the north so as to flee the civil war there.

In short, it can be said that the African horn, which is set on fire and which is witnessing bloody violence, is extremely suffering from the overflow and influx of refugees especially from Somilia, Ugadin and Euthiopia. In other words, the refugees problem in Africa can be viewed as a clear manifestation of the worldwide failure to safeguard humanity and preserve human rights. It is a flagrant reality that underlines the downfall of human solidarity.

Thus, we here call upon all Muslims to join their hands and offer their help to their brethern in the African continent.

Commissiner for Refugees had offered great and grand services to the European refugees. It had established for them settlements and provided them with food, clothing, and health care. It had even helped many of them to migrate to the countries which opened their doors for migration such as U.S.A, Australia, and West Europe. These countries, at that time, had been in bad need for labourers.

In contrast to the European scene, in Africa no one had suffered from such a problem. But as time had passed, colonialism had come to an end in most of the African countries after it had usurped their natural wealth, destroyed their infrastructures and Spread insurrection among their people. It is only then that Africa began to suffer from different calamities and drastic disasters the consequence of which were huge waves of migration and huge numbers of refugees having nowhere to live. The most astonishing thing regarding this issue is that the wealthy western countries lingered and refrained from offereing any help to the African refugees similar to the help they had offered to the European refugees. On the contrary, they calmly witnessed the sufferings, the humiliation and the extreme poverty of the African, people without taking any decisive measures. For example, the United Nations has allocated only one third of its aid to the African refugees in spite of their increasingly huge numbers. In other words, we can say that the United Nations has failed the poor refugees in Africa. In addition, it may be worhwhile to pointout here that the problems of the refugees in the African horn are worsening and many other problem are outbursting causing mass gigantic destruction in many African countries such as Somailia.

It goes without saying that the downfall of peace and security in any part of the world means but only one thing;

The Issues of the Hour
The ailments of the African Continent

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

No one can deny that the refugees problems all-over the world is a human burden that we all should shoulder, whether Muslims or non Muslims. the miserable sad reality which we have to face is that mass migration and resorting to a new land in search for a new life and security is the last step which anyone may take when he feels that he is completely defeated because of natural vicissitudes, wars, or political choas.

In fact, the African continent is no exception to this rule. Since the 1960's, Africa had witnessed continuous waves of migration in search for a secure peaceful life. However, many of those immigrants may have died before they reached to a host land in which they could live in peace. Meanwhile, this host land may have failed to provide them with the needed means of accommodation, or earning aliving or even having the due health care.

The historical background of the refugees problems goes back to the Second World War. In the wake of this war huge numbers of refugees scattered all over the world in order to escape the scourges of war, namely hunger, starvation, poverty and finally mass destruction. In response to this tragedy the United Nations in 1951 Founded what is known by the High Commissioner for Refugees (UNHCR). It is noteworthy to say in this context that the United Nations High

Arberry (651) :

"No indeed; surely Man waxes insolent."

On the other hand, Arberry introduces the following verse with the causal conjunction 'for' which has no actual existence in the original, yet, it can be understood between lines.

Arberry (651) :

"for he thinks himself self-sufficient."

By this interpretation, Arberry believes that Man is rebellious because het hinks himself independent.

However, in order to avoid any misunderstanding in rendering the above verses, it is believed that one should not use any clear causative linkage as Arberry did, because it might change the meaning of the original text. Instead, it is better to use any ordinary particle of linkage such as 'that', as Pickthall's renders in verse 7 : "That he thinketh himself independent!". The following version could be suggested to render verses 6-7, Sura 96, as follows :

Suggested Version :

'Yes indeed, surely Man is rebellious that he thinks himself independent.'

"Yet, surely man is contumacious,
when he considers himself in no need."

The same attitude applies to Y. Ali's and Pickthall's versions where they add the coordinator 'but' to the negative particle 'Nay':

Y. Ali (1673):

6. Nay, but man doth Transgress all bounds,
7. In that he looketh Upon himself as self-sufficient.

Pickthall (813):

"6. Nay, but verily man is rebellious
7. That he thinketh himself independent!"

Perhaps their attitude is due to the fact that it is not clear whether Man believes himself to be independent as a result of his being rebellious, or it is vice versa.

However, looking up the meaning of /kallä/ in Ibn Khalaweih's exegesis, (1989: 153), we find that it means /nacam haqq-an/ (yes, indeed) and not 'yet' or 'but'. In addition, the particle /läm/ in /la-yatgä"/ is an affirmative particle which asserts the fact, as Al-Muntakhab (1986:917) states, that Man indeed is rebellious as he thinks himslef independent and self sufficient. Translators should not, therefore, add any of the conjunctions 'but' or 'yet'. The reason is that such additions may not only affect the comunicative meaning of the original, but may also give the opposite meaning, as clearly illustrated in Khatib's, Y. Ali's and Pickthall's versions.

As for Arberry, he overcomes this difficulty by only using the affirmative words 'indeed' and 'surely' which suit the meaning of verse 6.

meaning of the source message. Second, in comparing the various translations under study. Third, in giving an assessment of each translation and finally, in giving a suggested version, based on Khatib's translation.

Syntactic Evaluation of translating Coordination :

It is realized that quality assessment of translation mainly distinguishes between Syntax (or merely grammar) and semantics. Therefore, our judgement of the four tranlations in question in dealing with Coordination will first be focussed on the syntactic analysis which, together with the semantic analysis, leads ot the communicative value of the original text.

As mentioned above, syntactic evaluation of translation is mainly represented in formal and lexical aspects such as additions, repetitions and deletions of coordinators as well as changes in the conjoined structure.

Additin of Coordinators :

Translators may sometimes add a coordinator in the TL which does not actually exist in the SL text. The result is a change in both structure and meaning of the original. An example for illustration is :

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾

Sura 96, Verses 6-7 : 166.

"Kallä? inna-l-insän-a la-yatgä in raä-hu-stagnä"

Translators adopt different attitudes in rendering both verses. Khatib, for instance, introduces verse 6, with the adversative conjunction 'yet', although it has no apparent equivalent in the original text except for the negative particle /kallä/.

Khatib (814):

thirty seven suras, most of which were revealed in Mecca. These short Meccan suras, including the earliest revelations of the Qur'an, are described by Muslim as well as non-Muslim scholars, such as Tritton (1968: 16) states, "a vigorous imagination and considerable mastery of language and sound, while the moral and religious enthusiasm cannot be mistaken."

Syntactic and Semantic Evaluation of Translating Coordination :

The first step towards the quality assessment will be concerned with syntactic mismatches. These are mainly represented in formal and lexical aspects such as additions, repetitions and deletions of coordinators as well as changes in the structure of coordination (i.e. change in the position of conjoined elements). The second step towards the analytic approach of translation assessment will be concerned with semantic mismatches which are mainly represented in functional and communicative aspects such as wrong selection of coordinators. Semantic mismatches may also result from the substitution of one coordinator for another. In other words, by substitution, the translator usually slects a coordinator or any other conjunction that can replace or substitute the original one in the text. The coordinator or the conjunction used may suit the meaning of the original or is even identical without significant changes in the conceptual content of the utterance. However, we may sometimes find deviations or slight changes in meaning as a result of this substitution.

In the quality assessment followed, the four translations in question are judged with the help of different exegeses like those of Abu Hayyan, Al-Zamakhshari and Ibn Khalaweih. These exegeses play a major role in; first, judging the exact

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses

Part I

By Maha Yousry El Tagoury Ph.D.

THE Qur'an, the earliest surviving written corpus is not distinguished by virtue of its highly eloquent rhetorical style but by its particular cohesive nature and its characteristic features on the morphological, syntactic and semantic levels. Another distinctive feature, manifested in the style of the Qur'an, is repetition. These features, however, may sometimes turn out to be quite problematic as far as translation is concerned. Coordination, the focus of attention in the following study, constitutes one of these problems. Therefore, the assessments of the four translations rendered by M.M. Pickthall 1930, A.J. Arberry 1971; 1st ed. 1955, M.M. Khatib 1984 and A.Y. Ali 1993; 1st ed. 1934 will be based on the syntactic and semantic characteristics of coordinators, as discussed by Arab grammarians and as represented by Muslim exegets. This study will hopefully illustrate whether the four translators in question have succeeded in transferring the communitive and functional effect of these characteristics or not.

Translation of Coordination in 'Amma' Part:

The different approaches in translation is applied to the last part of the Qur'an, 'Amma Part', rather than to the whole text due to its style, ambiguity and liability for different interpretations. As we all know, this part consists of

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Muharram, 1416 - June, 1995

بسم الله الرحمن الرحيم

VOL. 68 Part 1

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

آل عمران / ٨

" Our Lord ! " (They say)
" Let not our hearts deviate
Now after Thou hast guided us,
But grant us mercy
From Thine own presence;
For Thau art the Grantor
of Bounties without measure .

(Ali Imran v.8)

EDITORS : Dr TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University,

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية :
حضارة التعليم فى هذا الدين القيم
فضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب ١
● مع الإمام الاكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر
فى الهجرة فقه وقيم ومُثل ٤
كلمة فى القضايا الجارية ٨
القدس فى حديث للإمام الأكبر
حديث أجرته سناء انسعيد ١٢
بيان من الأزهر الشريف بشأن اتجاه
إسرائيل لضم القدس ١٧
● شيخ الأزهر وزيارة ناجحة للسنغال
للسيد سفير مصر فى السنغال
محمد عبدالرحمن دياب ١٨
● مع سورة الفاتحة
د. إبراهيم الدسوقى محمد ٢٠
● رؤية مفتوحة فى تفسير غضب موسى الكليم
د. عبدالفتاح أبو سنة ٢٤

● قبس من انوار النبوة
الرسول يُحذر أمته مزالق الشيطان
فضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم ٢٨
● الرجوع إلى الحق فضيلة
د. محمد عبدالوهاب عبداللطيف ٣١
● من وحى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
الشيخ/عبدالعزيز أحمد رضوان ٣٤
● التأمين : عقده ومدى مشروعيته
د. عبدالله مبروك النجار ٣٧
● تحذير المسلمين من الغزو الفكرى
د. محمود محمد رسلان ٤٩
● خلق المسلم (٢)
د. فاطمة عمر نصيف ٥٤
● الفتـــاوى :
ا/عبدالمنعم حافظ فودة ٦٠
● طرائف ومواقف
للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٢
● من الأعلام المعاصرين (٢)
أ.د/محمد رجب البيومى ٦٤

● من روائع الماضى
شاطىء النجاة للشيخ محمد أبو المكارم
إعداد أ/عبدالفتاح حسين الزيات ٧٠

● الشعر والشعراء ●

● شاهد من الهجرة (قصيدة)
للأستاذ/رشاد محمد يوسف ٧٨
● العلم بين الخير والشر (قصيدة)
للأستاذ/محمد عبدالرحمن صان الدين ٨٠
● عتاب (قصيدة)
للأستاذ/السيد الصديق حافظ ٨٢

● العلوم الكونية ●

● البيمارستانات
ا.د/أحمد فؤاد باشا ٨٤
● أنيميا الفول
د. جيهان أحمد مصطفى ٩٠
● الجديد فى العلم والتقنية
د.نجوى السيد أحمد ٩٣
● الشواهد النحوية
للشيخ/عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ٩٦
● مع الدكتور عبدالوهاب عزام
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ١٠٢
● المجتمع السواحيلى : أصوله ومجموعاته
للأستاذ/عادل رفاعى خفاجة ١٠٦
● بين المجلة والقارىء
د.محمد عبدالحكيم محمد ١١٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
أ/ عمر البسطويسى، أ/مصطفى عبدالمجيد . ١١٨
● على هامش المؤتمر
للأستاذ/عمر البسطويسى ١٢٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/مجدى عبدالحميد بشير ١٢٤

● القسم الفرنسى ١٣٣
● القسم الإنجليزى ١٤٣

الأزهر يدين العدوان

على السيد الرئيس حسنى مبارك

نحمد الله سبحانه، ونسجد لجلاله شكرا، أن شمل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وحماه برعايته، وحمى المرافقين له، ولهم الشكر فردا فردا على مبادرتهم، ومواجهتهم المسئولية بشجاعة وثبات فائقين، وسلمت ياسيادة الرئيس لمصر قائدا، وللأمة الإسلامية رائدا.

وباسم الأزهر الشريف وباسمى أهنئكم بالسلامة، وبسلامة الوصول، بعد أن رد الله كيد الحاقدين، فلم ينالوا ما ابتغوا من عدوان آثم ، وقد كان السيد الرئيس فى طريقه إلى متابعة ما بدأه من مشروعاتٍ خيّرة لأفريقيا فى رياسته للقمة الأفريقية فى دورتين سابقتين كآلية المنازعات وغيرها من المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وسيقول العالم كلمته كشاهد على أولئك الآثمين الذين لن ينالوا خيرا هم ومن وراءهم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ﴿ وكان الله قويا عزيزا ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

دعـــوة
إلى صـــلاة الشـــكر

قال الله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ .

حمدا لله وشكرا على ما أنعم به على مصر بنجاة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ حفظه الله ورعاه ، وأيد على طريق الحق خطاه . وإن رعاية الله ورحمته وحمايته الرئيس من يد الغدر تفرض على شعب مصر أن يسجد لله شكرا طلبا للمزيد من رضوانه ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ . إبراهيم ـ ٧

ولقد علمنا القرآن الكريم هذا الدعاء المبارك « وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه » .

والأزهر الشريف، يدعو شعب مصر لأداء صلاة الشكر مرضاة لله وحمدا على نعمائه عقب صلاة الجمعة المقبلة ليكون الجمع أوفى، والرجاء فى الاستجابة والقبول أوفر ـإن شاء الله.

وعلى السادة أئمة صلاة الجمعة أن يؤدوا سجدة الشكر عقب صلاة الجمعة، وهى عبارة عن سجدة واحدة، وإن اشتهرت باسم صلاة الشكر ـ تؤدى عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة، وتكون خارج الصلاة، وقد ورد فى حديث لأبى بكر «أتى النبى ـصلى الله عليه وسلمـ أمرٌ فَسُرَّ به فخر ساجدا».

شيخ الأزهر الشريف

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

والعاملون بمجلة الأزهر ـ جميعا ـ يستنكرون هذه المؤامرة الدنيئة. شاكرين المولى ـ عز وجل ـ أن أبقى لمصر رئيسها سليما ليتابع واجبه الكريم.

برقيــة جامعــة الأزهــر

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

رئيس الجمهورية

فى مؤتمر النجباء بجامعة الأزهر المنعقد الآن بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وبحضور فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة والسادة الأساتذة نواب رئيس الجامعة وعمداء الكليات والأساتذة والطلاب والعاملين .

وقد وقعت تلك المحاولة الآثمة بالعدوان على ركب الرئيس مبارك فى أديس أبابا ..

نحمد الله ونشكره أن حمى السيد الرئيس وحقق وعده ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ .

السيد الرئيس حفظكم الله من كل سوء ووفقكم للمزيد من الجهد فى نشر السلام وعشت داعيا إليه، وحفظ الله مصرنا الغالية ـ مصر السلام والأزهر ـ من كل سوء وبلاء إنه سميع مجيب الدعاء .

رئيس الجامعة	شيخ الأزهر
أ . د / عبدالفتاح الشيخ الحسينى الشيخ	جاد الحق على جاد الحق

تهنئة الأزهـر للسـيد الرئيـس

التقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قبيل ظهر الأربعاء ٣٠ من المحرم ١٤١٥ ، بوفد يمثل رجال الدين بمصر من المسلمين والنصارى ، يتقدمه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وفضيلة وكيل الأزهر الشيخ سيد سعود وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

● تحدث الإمام الأكبر فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .. السيد الرئيس .. سلمت وسلمت بك مصر بل سلم بك العالم الإسلامى .. دائماً فى حفظ الله ورعايته .. نسأل الله أن تكون بك الهداية ، وبك السلامة لهذا الشعب الذى يلتف حولك .. شكرا وسلامة لك .

● كلمة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

بسم الله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على خير خلقه سيدنا محمد وبعد ..

فإن إذن الراعى قلما تتهيأ للسان الرعية فمن أعطاه الله أذن راع فليحسن ما يقوله له ، وأن يدعو الله له فإن بدعائه له يصلح الله خلقاً كثيرا .. وأنا أستعير من المتنبى ما قاله لسيف الدولة :

ولا أخصك فى منجى بتهنئة ... إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وإنى يا سيادة الرئيس أقف على عتبة دنياى لأستقبل أجل الله .. فلن أختم حياتى بنفاق ، ولكن أقول كلمة موجزة للأمة كلها : أريد منهم أن يعلموا أن الملك كله بيد الله يؤتيه من يشاء ، فلا تآمر لأخذه ، ولا كيد للوصول إليه فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قال : ﴿ يؤتى الملك من يشاء ﴾ فلا تآمر على الله لملك ، ولا كيد على الله لحكم ؛ لأنه لن يحكم أحد فى ملك الله إلا بمراد الله .. فإن كان عادلًا فقد نفع بعدله ، وإن كان جائراً ظالماً بشع الظلم وقبحه فى نفوس الناس فيكرهون كل ظالم ولو لم يكن حاكماً .

ولذلك أقول للقوم جميعاً : إننا ـ والحمد لله ـ قد تأكد لنا صدق الله فيك بما جاء من الأحداث .. فكيف كنا نفسر قول الله : ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ .. وقوله : ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ﴾ ؟

الله يريد أن يثبت قيوميته على خلقه فأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكماً أنصحه بألا يطْلُبَهُ ؛ بل يجب أن يُطْلَبَ له ؛ فإن رسول الله ﷺ قال:من طُلِبَ إلى شىء أعين عليه .. ومن طلب شيئاً وكل إليه ، يا سيادة الرئيس إن آخر ما أحب أن أقوله لك : إذا كنت قدرنا فليوفقك الله وإذا كنا قدرك فَلْيُعِنْكَ الله على أن تتحمل .

.. أيها الشعب ، أيتها الرعية : قدر الله لا يأتى إلا بخير ، وسترون قريباً آثار هذه الهزة : حكماً سديداً رائداً آخذاً بأيدينا إلى منهج الله .

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

حضارة التعليم فى هذا الدين القيم

٢

ونخص هذه الكلمة بآداب تحصيل العلم التى يُطالب بها التلميذ ، وعليه أن يمارسها إلى أن يصير أستاذاً يجب عليه أن يتولى نفس المهمة ، أىْ ينشر العلم على فقهٍ ونبوغ .

وهى آداب لا تزال - والحمد لله - قائمة بين المسلمين ، فالحديث عنها ليس من باب الفخر بالماضى ؛ بل الفخر المستمر بماض مجيد إلى حاضر مرموق - بمشيئة الله - تعالى .

حَصَرَ الإمام سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ هذه الآداب فى أربع تليها النتيجة .. فقال :

« أوَّلُ العِلْــمِ الاستماعُ ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر » .

(حِلْيةُ الأولياء) ٤/٧ وتعْنى هذه الآداب :

أنَّ واجب الطالب ـ إذا التحق بصف العلم ـ أن يجمع وَعْيَهُ ونشاطه للاستماع ، وَمَا السَّمع إلا إحساس الأذن بالصوت ، وإدراكه جُمْلةً ، والسمع ـ وحده ـ لا يكفى ، فينبغى الإنصات ـ وهو حسن الاستماع الذى يدرك به الطالب كلماتِ أستاذه وحروفها ، فلا تصل إلى أذنيه مُجَرَّد ضوضاء ، ويعنى الأمران معا : أن يجلس بين يدى أستاذه متفرغاً له ، لا يعبث بشيء ، ولا يتحدث إلى زميله ، ولا يقوم بمشاغبة ... إلى آخر ما هنالك من آداب الاستماع والإنصات .

كذلك نجد السمع مع الإنصات يؤديان إلى « حُسْن الفهم » فيما يمر على أذنيه بغير معرفة ، فيتمكن حينئذ من سؤال أستاذه عما لم يفهمه ، ويستوضحُهُ إياه ، وهاتان مرحلتان ـ أو أمران ـ يُيسِّران عليه الخطوة الثالثة : خطوة التحصيل ، فلا يحفظ بغير فهم ؛ فيصير مَثَلُهُ كمثل « شريط التسجيل » يحفظ المادة ولا شأن له بالوعى بها ، فمثل هذا الحفظ لا يُخرِّج عالما ولا متعلما .

إن الحفظ عن وعى وإدراك يَمُدُّ العلم بعالم متفوق يتمكن من الملاحظة فالاستنباط والاختراع : الاستنباط فى العلوم النظرية ، والاختراع فى العلوم المادية ، فالتحصيل عن وعى وإدراك طريق العبقرية ، ولا تعرف العبقرية ـ فى العالم وعلى مدى تاريخ الإنسانية ـ عالما بلا تحصيل ، قد حَصّل عن وعى عميق .

ثم تأتى الخطوة الرابعة . خطوة « العمل » سواء فى الميدان النظرى ، أو الميدان المادى . والعمل ـ هنا ـ يتبع نوعية العلم الذى تلقاه الطالب .

فإذا كان عِلْماً من علوم الدّين : فِقْها أو حديثا شريفا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينبغى للطالب أن يمارس ـ فِعْلًا ـ ما قرأهُ ، عِلْماً ، وَيتَّسِمُ سلوكُهُ بما عرف من عِلْم ، وأيما علْم من هذا الباب لم يُعْقِبْهُ ممارسة فهو لا شيء . ومن العجيب أن نجد ـ فى تاريخنا ـ نساءً يُنَبِّهْنَ أبناءَهُنَّ إلى هذه الحقيقة ، هذه أُمُّ سفيان الثورى تقول له :

يا بُنَىَّ ، إذا كتبت عشرةَ أحرف ، فانْظُرْ : هل ترى فى نفسك زيادة فى خَشْيَتِكَ وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعْلَمْ أنها تضرك ولا تنفعك .

وأما إذا كان العلم أحد فروع المادة ؛ فإن الطالبَ تنمو فيه قوة « الملاحظة » واستخدام « التجربة » وهاتان هبتان بهما تتقدم الإنسانية فى هذا العالم ، وكانتامحورَ إعجاب الغرب بعلماء المادة وعلماء النظر المسلمين ، وقد سجل « فون كرايمر » إعجابه هذا كتابة فقال :

إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين (يلاحظون) ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من (التجربة) أو أخذوه من الرواية [الرواية – فى جانب العلوم الشرعية والعربية] ثم يقول : وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرون مبدعون فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة فى حقلى : الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب فى التشريع ، وفى وضع قواعد اللغة من صَرْفٍ ونحوٍ فى شكلٍ شاملٍ مُحْكَم » روزنتال ص ١٥ .

وواضح أن المعنى بعلماء العرب علماء المسلمين ؛ لأن مَنْ تحدَث عنهم فى هذه الفقرة كانوا علماء من أجناس مسلمة مختلفة .

وما من شك أننا ننتهى إلى الأستاذية :

حين نجد أنفسنا بين يدى عالم سَمِعَ وأنصت وحفظ وعمل ؛ فصارت له قدمٌ راسخة فى ميدان تخصصه ، قد جمع تَفوقا علميا وأدبا جَمًّا ؛ فمثله فقط يكون أستاذا نتقبل منه وندعو له .. والله الموفق .

د. علي أحمد الخطيب

سياسة وأدب العقاب في التشريع الإسلامي

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

اشتهر السجن كموضع للعقاب فى كثير من الجرائم ، والسجن كعقوبة ..

يقول أهل اللغة : إن السجن ـ بكسر السين ـ الحبس وبفتحها المصدر يقال : سجنه ويسجنه سجناً أى حبسه، والسجن المحبس، وهو فى هذه الحالة اسم، وفى قراءة لقوله ـ تعالى ـ فى سورة «يوسف» : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[1] بكسر السين على أنه المحبس ، وقراءة أخرى بفتحها المصدر أى الفعل ذاته .

وفى الحديث الشريف[2] : « ليس شىء أحوج إلى طول سجن (بفتح السين) من لسان » .. والسجان : صاحب السجن ورجل سجين ومسجون ، والأنثى كذلك .

وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم فى سورة «يوسف» فى الآيات : ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٠٠ وجاءت فى سورة «الشعراء» فى الآية ٢٩ وجاءت فى سورة «المطففين» فى الآيات :

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ ..

قيل : إن معناه أن كتاب هؤلاء الفجار فى حبس لخساسة منزلتهم عند الله ـ تعالى ـ فما بالك بمنزلتهم : هم أنفسهم وقيل : إن سجين موضع فيه كتاب الفجار وهو الديوان الذى سجلت فيه أعمالهم .

وقال ابن كثير : والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق .

وجاءت مادة الحبس فى الآية ١٠٦ من سورة «المائدة» والآية ٨ من سورة «هود» .

والسجن كموضع للحبس وعقوبة أمرهما قديم فقد سجن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وقد كان معاصراً لفراعنة مصر وتعرف فى السجن على صاحبيه اللذين وردت قصتهما فى القرآن الكريم .

وتروى كتب التاريخ[3] أن السجن عند الأقدمين كان على أخشن مايتصوره العقل ، فقد كان إما سراديب تحت الأرض ؛ أو قلعة حصينة أو مكاناً مخوفاً تعافه النفس ويهابه الرائى لاتمييز فيه بين

(١) من الآية رقم ٣٣ .

(٢) غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول شرح أحاديث الرسول جـ ٥ ص ١٨٢ ط دار الفكر .

(٣) دائرة المعارف جـ ٥ مادة سجن ـ لفريد وجدى .

السجناء ، فالقاتل والمزور والخائن للوطن ؛ والعالم الذى جهر بكلمة حق أو دعا إلى ترقية حال الشعب دينياً أو سياسياً أو علمياً كل أولئك سواء فى السجن .

والعقوبة فى الشريعة الإسلامية قسمان : حد ، وتعزير ، والحد ماجاءت فيه العقوبة مقدرة بنص صريح فى القرآن الكريم أو فى سنة رسول الله ﷺ كحد الزانى محصناً وغير محصن ، وحد السرقة ، وحد القذف ، وحد الشرب .

والتعزير يقع على الجرائم التى لم ترد فيها عقوبة محددة ، وهذا النوع أيضاً ثابت بوجه عام بالقرآن الكريم مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ... ﴾(٤) وبالسنة الشريفة فعلًا وقولًا وبإجماع الأمة على وجوبه فى كل كبيرة لاتوجب حَدًّا أو جناية لا توجب الحد كذلك ، ويكون التعزير بالحبس وبالضرب وباللوم والتوبيخ ، وبأخذ المال على خلاف بين الفقهاء فى هذا الأخير .

والتعزير بالحبس موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين فقد أثر عن الرسول ﷺ(٥) أنه حبس رجلًا بالتهمة ، وقد ردد الفقهاء فى كتبهم جرائم أجازوا فيها الحبس فقالوا : إن من يتهم بالقتل والسرقة وضرب الناس يحبس ويخلد فى السجن إلى أن يظهر التوبة ، ويحبس كذلك المجتمعون على نية الشرب وإن لم يشربوا والمغنى والمخنث ، والنائحة ومَنْ قَبَّلَ أجنبية أو عانقها أو لمسها بشهوة ، وكذلك من قذف إنساناً بما يعتبر قذفاً عرفاً ، والمسلم آكل الربا كل أولئك يعزرون بالحبس وليس فى الحبس مقدار محدد بل أمر تحديد مدته مفوض لولى الأمر أو للقاضى حسب الأحوال .

والحبس فى فقه الشريعة الإسلامية كما يكون فى الجرائم أجازه الفقهاء أيضاً فى نظير الديون . فقال فقهاء الحنفية : إن سبب وجوب الحبس هو الدين قل أو كثر ، ويشترط فى الدين أن يكون حالًا فلا حبس فى الدين المؤجل لأن الحبس لدفع الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين ولم يوجد من المديون لأن الدائن هو الذى أخر حق نفسه بالتأجيل ، ولايمنع المدين من السفر قبل حلول أجل الدين سواء بعد محله أو قرب ، واشترطوا لحبس المدين ثبوتِ قدرته على قضاء الدين حتى ولو كان معسراً لايحبس لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾(٦) ومنها المطل وهو : تأخير قضاء الدين لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ(٧) : « مطل الغنى ظلم » وقوله ـ عليه السلام ـ(٨) : لَىُّ الواجِدِ يُحل عرضه وعقوبته » أى امتناع المدين الموسر يجيز عرضه على القضاء وعقوبته والحبس من

---

(٤) الآية ٣٤ من سورة النساء .

(٥) كتاب أدب القاضى للخصاف ـ باب الحبس فى الديون وغيره ص ١٣٤ .

(٦) من الآية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه ابن حبان والحاكم .

العقوبات المقررة شرعاً ولكن لايحبس أحد الوالدين بدين لولده لقول الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٩] ومع هذا فإذا امتنع أحد الوالدين مع يساره عن أداء نفقة ولده يجوز حبسه ، وفى هذه الحال يقول الفقهاء : إن الحبس تعزير فى نظير الامتناع عن أداء دين النفقة خاصة باعتبارها صوناً للحياة .

هذا ولا يكون الحبس فى الديون إلا بطلب الدائن أما فى الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة مقابل كل جريمة .

والحبس قد يكون بمعنى الملازمة ؛ وذلك لايتأتى إلا فى حبس المدين أو من لم تثبت عليه التهمة بعد فيأمر القاضى الدائن بملازمة مدينه إكراهاً له على سداد الدين أو ارتقاباً لبينة قريبة ، والأصل فى شرعية الملازمة هو ضمان حضور الخصم إلى مجلس القضاء لأن بعض فقهاء المذاهب لايجيزون سماع الدعوى ولا القضاء فيها على غائب .

وقد يكون الحبس فى منزل المحبوس وسكنه وهو يقابل التعبير فى عصرنا « بتحديد محل الإقامة » كما يكون بوضع الجانى أو المدين فى السجن على ماأورده فقهاء الحنفية فى كتبهم وتحدث به سائر فقهاء المذاهب فى كتبهم أيضاً إذ الحبس كنوع من أنواع الجزاءات العقابية تعزيراً أمر متفق عليه ذو سند صحيح فى السنة الشريفة وعمل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

وإذا كانت الشريعة الغراء قد أجازت الحبس عقاباً فإنها بقواعدها العامة قد أحاطت هذا العقاب بما أحيط به غيره من وجوب الرفق والامتناع عن إيذاء المسجون ومن هذه القواعد ماجاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال[١٠] : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .

أرأيت إلى هذه القاعدة الشريفة : إن الله كتب الإحسان على كل شىء .. أى أن الله سبحانه أمرنا أن نحسن كل شىء حتى العقوبات ، فإذا كانت العقوبة ـ القتل ـ فالإحسان ... أن يستعمل السلاح الذى ينهى حياة الجانى قصاصاً دون تعذيب له ، وإذا كان القصاص فى عضو أو جزء عضو فإن المتتبع لأقوال الفقهاء فى شروط تنفيذ هذه العقوبة بالقطع قصاصاً يتراءى له عياناً تصويرهم لحرص الإسلام على تحقيق العدالة فى المماثلة مع الرحمة فى المعاملة فهم يقررون أنه متى ثبتت السرقة تقطع يد السارق وتحسم لينقطع نزف الدم لقول الرسول ﷺ فى شأنه : «فاقطعوه واحسموه » والمقصود حسم نزف الدم أى وقفه ولايتعين أن يكون بالكى كما كان معروفاً وقتذاك ، بل كل ما يوقف النزف رحمة ورفقاً بالجانى بعد إنزال العقاب به فشرع الله عقاب ورحمة ، حزم وعزم ، إصلاح وتهذيب وتأديب توقف به الجرائم .

---

(٩) من الآية ١٥ من سورة لقمان .

(١٠) رواه مسلم .

ووفقاً لتطوير الإنسان وصلاحية الشريعة الإسلامية لاحتواء كل جديد سواء فى عالم المعاملات أو العقوبات أو حتى طريق توقيع هذه الجزاءات لم تحمل النصوص تحديداً لا مرونة فيه لوسائل التنفيذ بل : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » أحسنوها بأى أداة لاتحوى تعذيباً ولا إذلالًا إلا فى حال الحرابة وقطع الطريق فإن لذلك حكماً خاصاً قصد به الشارع ردع المجاهر بالسب والنهب وترويع الناس وزجراً لغيره ممن قد تحدثه نفسه اتخاذ ذات هذه السبيل صناعة وبضاعة .

ومن هنا لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام وإنما ترك تحديد معالمه وفقاً لتطور الإنسان واتساع العمران وانحسار الإيمان من القلوب وانعدام مراقبة الله جرياً وراء المادة والمادية ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد فقد حبس[11] رسول الله ﷺ رجلًا فى تهمة فربطه فى سارية المسجد ، وكان هذا الفعل كافياً فى امتثال هذا الرجل واحتباسه نفسه وجسده حيث وضعه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فلا يمكن أن يخطر ببال هذا المحبوس الخروج على حكم الرسول فَلِمَ إذاً السجن والسجان وقتئذ ؟ وجرى هذا أيضاً فى عهد عمر - رضى الله عنه - .

ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن ، كانت جُبًّا يحفر فى الأرض يستقر فيه المسجون ولم تكن مدد السجن موضوع تحديد ، لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة ، وكان لأولئك سجن ولهؤلاء سجن ، وكما هو مشروع معروف فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام «أبى حنيفة» وكالإمام: «أحمد بن حنبل» فى فتنة خلق القرآن ، كل هذا فى العصر العباسى .

هذا وتاريخ العقاب فى الإسلام لايعرف نظام السجن المؤبد أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة والمثل الواضح لهذه النزعة الإسلامية فى تقصير أمد الحبس يتجلى فيما يراه الإمام مالك من أن عقوبة الحبس تكون سنة مع الدية لجريمة القتل إذا انتفى فيها القصاص، وفى الفقه الحنفى أمثلة لذلك أيضاً ، ومدة الحبس القليلة تحدث أثرها فى نفس الجانى ولاتحدث أضراراً مؤبدة فى الأسرة أو الجماعة .

ومما سلف نستبين ملامح السجن مكاناً للعقوبة فى الإسلام الذى يدعو إلى الإحسان فى كل شىء ، بل ينبغى أن يعامل فيه الإنسان معاملة لائقة بآدميته التى كرمها الله سبحانه فى قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ .. ﴾[12] .

فقد نص الفقهاء على أن المسجون إذا مرض فى السجن كان دواؤه من بيت المال وكذلك نفقاته وأنه إذا لم يوجد من يقوم على تمريضه وتطبيبه أعيد إلى بيته ليلقى عناية أهله .

ثم ماذا يفعل بالسجين فى سجنه : يقول الكاسانى فى « بدائع الصنائع » ، وهو من أعلام الفقه الحنفى .: المحبوس ممنوع من الخروج إلى أشغاله ومهماته وإلى الجُمع والجماعات والأعياد وتشييع

(١١) رواه أبو دواد .

(١٢) من الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

الجنائز وعيادة المرضى ، والزيارة والمضايفة ولايمنع من دخول أقاربه عليه لأن هذا لايخل بما وضع له الحبس ولايمنع كذلك من التصرفات الشرعية من بيع وشراء وهبة وصدقة لأن الحبس لا يوجب بطلان أهلية التصرفات وسلطة ولى أمر المسلمين فى عقوبات التعزير ليست مطلقة ، بل مقيدة بأمور استقاها الفقهاء من قواعد الشريعة العامة وهى :

أولًا : أن يكون الباعث على تحديد العقوبة وتقديرها حماية المصالح الإسلامية المقررة .

ثانياً : أن تكون العقوبة ذات فعالية فى القضاء على الفساد دون إهدار لآدمية الفرد وكرامته .

ثالثاً : أن يكون هناك تناسب بين الجريمة والعقوبة المقررة لها .

رابعاً المساواة بين الناس فى تطبيق العقوبة التعزيرية بحيث يسرى حكمها على جميع من تساوت مراكزهم القانونية دون استثناء .

وإذا كانت هذ القيود مفروضة فى ذات عقوبة الحبس فإنها أيضاً واردة فى الحبس أى السجن فلا يكون السجن لمجرد التعذيب ، بل لحماية المجتمع من الأشرار الخطرين على الأموال والأعراض .

* * *

هذا : وهدف سياسة العقاب فى الشريعة الإسلامية حماية المصلحة العامة وحماية الفضيلة . ودفع الفساد ، ومن أجل ذلك فإن العقوبات الشرعية يستتبع توقيعها :

أولًا : الزجر : بمعنى ردع ومنع الجناة من العودة إلى ارتكاب الجريمة وكذلك منع الغير من اقتراف ذات الجرم ، وهذا يتمثل على وجه خاص فى الحدود الشرعية ..

ثانياً : تحقق العدالة إذ أن العقوبة تنزل بالجانى ألماً تراه الجماعة المجنى عليها ومقابلًا لذات الجرم فتهدأ النفوس وتطهر نفس المجرم ، ويعود إلى الاستقامة مقلعاً عن جريمته ، ذلك لأن إصلاح ذات الإنسان المنحرف المرتكب للخطيئة أهم أغراض العقاب فى الشريعة .

ومن أجل تهذيب النفوس وإصلاح حال الخطائين نرى أن العقوبة تقع على جسد الخاطىء بالجلد والضرب وعلى داخل نفسه بشهود جمع من الناس توقيع هذا الجزاء : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٣] فى حد الزنا لغير المحصن وهو الذى لم يتزوج بعد .

وهذا لاشك أدخل فى العقاب وأدنى ثمرة فى الإصلاح وزجر الغير والابتعاد به عن مجرد التفكير فى اقتراف مثل هذا الجرم .

وإذا كان هدف العقوبة دائماً الردع والإصلاح ، فالأولى أن نعود إلى النظر فى كثير من الجزاءات المقررة فى قانون العقوبات لنستبدل بالحبس الجلد أو الضرب العلنى حتى تجدى فى الزجر ، لأن أساس العقوبة فى الشريعة هو الجلد ، لا السجن ولا الحبس .

(١٣) من الآية ٢ من سورة النور .

والجلد عقوبة بدنية مؤقتة بساعات لاتهدر آدمية المستحق لها وتتيح للمذنب فرصة التوبة والأدب والصلاح وخدمة الأسرة والجماعة ، بل وخدمة النفس بالسعى المشرف والعمل النافع ، إذ أن الحبس أو التغريم أو هما معاً لايردعان الكثير من الخاطئين .

وسنرى أن السجون وقتئذ قد قل روادها وانحسرت كثرتهم الحالية عن فئة المحترفين وعتاة المجرمين الذين اعتادوا الجريمة على اختلاف صنوفها واستمرءوا كسبها ، وهؤلاء نرى أن فقهاء الإسلام قد قالوا فى شأنهم ـ على ماجاء فى « الأحكام السلطانية » للقاضى أبى يعلى الحنبلى ـ : « أنه يجوز للأمير فيمن تكررت منه الجرائم ولم ينزجر عنها بالحدود أن يستديم حبسه إذا استضر الناس بجرائمه حتى يموت ، بعد أن : يقوم بقوته وكسوته من بيت المال ليدفع ضرره عن الناس » .

ومن أجل هذه السياسة العقابية فى الشريعة الإسلامية لم تكن السجون بهذه الكثرة التى نشهدها فقد كانت عقوبة الحبس فى الأعم الأغلب إما حبس تهمة استظهاراً واحتياطاً كما فعله الرسول ﷺ .

فقد روى الحاكم فى « المستدرك » عن عراك بن مالك عن أبيه عن جده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم ـ : أن النبى ﷺ حبس فى تهمة يوماً وليلة استظهاراً واحتياطاً ، وهذا الوجه من الحبس يقابل فى نظامنا الآن الحبس الاحتياطى على ذمة التحقيق ـ وإما حبساً مستديماً للخطرين الذين اعتادوا الإجرام والذين يتضرر الناس من جرائمهم ، ويروعون الآمنين فى الأموال والأنفس والأعراض والثمرات .

والمتتبع لأقوال الفقهاء المتناثرة فى مواضع كثيرة من كتب الفقه الإسلامى فى شأن السجون يجد أنها فى نطاق القول الجامع الصادر من الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ..» فهم يوصون بتوقير الإنسان المحبوس والامتناع عن إهدار كرامته التى حفظها الله وأوصى بها ، وبتوفير الرعاية الصحية له ، والقيام على أمور معاشه داخل السجن ، وأمور أسرته من : زوج وولد ووالد واستدامة زياراتهم له واستقباله إياهم صلة للرحم واستعانة بهم على إصلاح ذات نفسه وانتزاع الشرور من بين جنبيه ، كما يوصى الفقهاء ـ إعمالًا لتلك القاعدة الجامعة ـ بأن يكون فى السجن العلاج من داء الإجرام ، باشتغال السجين بما يعود عليه نفعه مادياً كعمل يدر عليه كسباً أو مهنة يتعلمها ليحترفها تعطيه ربحاً طيباً ، ولذلك يجب أن يتوسع فى إلحاق مصانع بالسجون يتدرب فيها المسجونون ويعملون وتصرف لهم أجورهم أو إلى المستحقين لها عنهم أو تدخر لهم ، وأن تلحق بها كذلك مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية وللنظر فى إدخال عقوبة الجلد وحدها أو مع الحبس فى بعض الجرائم ، وفى حالة الجمع بينهما يكون الحبس عقوبة تبعية ولنعمل على وضع النماذج الصالحة من البشر أمامه تزكوا برؤيتها نفسه ويلين قلبه ، ونعنى بهذه النماذج نفراً من المستقيمين فى دينهم ودنياهم عظة وقدوة .

ومع هذه الوصايا من فقهاء الإسلام فإنهم قد احتاطوا لئلا يكون السجن مدرسة خطرة تؤلف بين قلوب المجرمين فقالوا : بوجوب تصنيفهم والبعد بذوى المروءات الذين زلت أقدامهم عن طريق

الحق والفضائل فى مكان قَصِيٍّ عمن ساءت دخائلهم وصارت الجريمة كسبهم ومأواهم ، ومن هنا كانت عقوبة التعزير سواء بالجلد والضرب أو الحبس أو بالتغريم أو بالعظة والنصح واللوم مختلفة باختلاف الناس وماجبلوا عليه وهم فى ذلك جد مختلفين .

وبعد :

فإن عقوبة الحبس أو السجن بالمصطلح السائد قانوناً قد صارت غالبة ، وقد أوجزت فيما سبق خطة السجن والسجون كما أوصت بها نصوص الشريعة الإسلامية ..

وآمل ـ ونحن نعمل على مراجعة القوانين ونشر الاصلاحات فى مجتمعنا تشريعاً وسلوكاً وقضاء واقتضاء ـ أن تتعدل سياسة العقاب وفقاً لنصوص الشريعة حداً وتعزيراً ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ويشرق نور الإسلام وقوة اليقين فى قلوب الآثمين ، فيخشون الله وتحيا ضمائرهم ، فإنها لاتعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

« اللهم اهدنا الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعمت عليهم .. غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آمين .

مصادر هذا البحث

- القرآن الكريم .
- لسان العرب لابن منظور .
- بدائع الصنائع للكاسانى .
- البحر الرائق لابن نجم .. فقه حنفى .
- الدر المختار وحاشيته رد المحتار لابن عابدين .
- منهج الطلاب وحواشيه .. فقه شافعى .
- حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير .
- تبصرة الحكام لابن فرحون .. فقه مالكى .
- فتاوى الشيخ عليش .
- الروض المربع .
- المغنى لابن قدامة .. فقه حنبلى .
- الأحكام السلطانية للماوردى .
- الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى .. فقه عام .
- أدب القاضى للخصاف .
- دائرة المعارف لفريد وجدى .

فتوى للإمام الأكبر

بيان

أولى الأمر :

واجبهم نحو الرعية وواجب الرعية نحوهم

المسجد الأقصى وزيارته

هل تجوز الموادعة أو الصلح المؤقت أو الدائم مع غير المسلمين ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من المواطن عادل السنهورى بجريدة « العربى » يطلب الإفادة عن الحكم فى الأسئلة التالية :

أولا ـ : بيان حدود طاعة أولى الأمر فى الإسلام ؟

ثانياً ـ : هل يجب على المسلمين العمل بالقول بزيارة المسجد الأقصى ، والقدس الشريف وهو أسير الآن بين براثن اليهود ؟

ثالثاً ـ : هل إقامة سلام دائم مع من يغتصب أراضى المسلمين ويشرد أولادهم يتفق مع الشريعة ؟

والجواب عن السؤال الأول :

بيان حدود طاعة أولى الأمر فى الإسلام .

من هم أولى الأمر ؟

هم : كل من ولى أمراً من أمور المسلمين ولاية عامة ابتداء من رئيس الدولة وحتى أدنى مرتبة فى الولايات ، كما يشمل العلماء باعتبار أنهم ولاة حفظ الشريعة وبيان ما يجوز وما لا يجوز[1]

أو هم : أهل النظر الذين عُرِفوا فى الأمة بكمال الاختصاص فى بحث الشئون ، وإدراك المصالح ، والغيرة عليها ، وطاعتهم هى : الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح فيها بقوة البرهان أو بقدرة المجتهدين من أهل الاختصاص فى كل أمر عام يطرأ على الأمة مما يدخل فى الولايات العامة .

(١) تفسير روح المعانى (الألوسى) جـ ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ط المطبعة المنيرية بدمشق .

وليس من شك فى أن شئون الأمة متنوعة بتنوع عناصر الحياة ، وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد وزع الصلاحيات على الأفراد حسب تنوع الشئون ، وصار لكل شأن بهذا التوزيع رجال هم أهل معرفته ، ومعرفة ما يجب أن يكون عليه ، ففى الأمة جوانب : القضاء ، والمال ، والاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، والحلال والحرام ، وغير ذلك من الجوانب التى تتطلبها الحياة .

ولكل جانب رجال عُرفوا فيه بنضج الآراء ، وطول الخبرة والمران ، وهؤلاء الرجال هم أولو الأمر فيما برعوا فيه ، وصاروا منه خبراء وهم بهذا :

الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم ، تمنحهم ثقتها وتنيبهم عنها فى وضع نظمهـا وتشريعها ، وتوجيه حياتها ، وهم الوسيلة الدائمة المتجددة فى نظر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها وتصويب مسيرتها فيما لم يرد فيه نص فى القرآن أو السنة أو هما معاً ، أو إجماع مستقر أو قياس صحيح .

وأولو الأمر كذلك هم : ـ أهل الإجماع ـ الذين يكون اتفاقهم حجة يجب الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها وذلك بشرط الإجماع المقرر فى علم « أصول الفقه » .

ماذا يجب على الرعية لأولى الأمر ؟

الطاعة :

فقد دلت النصوص من القرآن والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر وإن معصيتهم حرام وهذه الطاعة ليست مطلقة ، وإنما هى طاعة فى حدود الشرع .

وقد جاء أمر الله تعالى بطاعة أولى الأمر فى القرآن كما فى قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾(٢) .

وقد وضع بعض العلماء هذه الآية تحت عنوان (آية الأمراء) .

والطاعة بهذه المثابة أمر أساسى لوجود الانضباط فى الدولة .

والطاعة : امتثال الأمر ـ وهى مأخوذة من أطاع إذا انقاد .

ووجوب طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ مستفاد من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ لأن (أطيعوا) أمر ، والأمر يتعين للوجود إذا حفت به قرينة تصرف إليه ، وقد تضمن النص قرينة جازمة تصرف الأمر إلى الوجوب ، وذلك بربط الطاعة بالإيمان بالله واليوم الآخر أى : حقيقة(٣) .

والله سبحانه أمر بالطاعة ، طاعة مطلقة غير مقيدة ، ثم جاءت السنة فقيدت هذه الطاعة بما لا يكون معصية .

---

(٢) من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .

(٣) تفسير الطبرى جـ ٥ ص١٤٧ ، ١٤٨ ، وأحكام القرآن لابن عربى جـ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، والقرطبى جـ٥ ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، وروح المعانى للألوسى جـ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وحاشية رد المحتـــار جـ ١ ص ٥٥٩ ، جـ ٣ ص ٣١١ ، جـ ٤ ص ٣٤٤ ـ والأحكام السلطانية للمـــاوردى ص ٢١٧ والأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٣٠ .

فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)(٤) .

وعن النبي ﷺ – أنه قال : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)(٥) .

وروى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميرى فقد عصاني)(٦) .

ويقول الطبري : إن الذين أمر الله – تعالى – بطاعتهم في الآية ﴿ **وأولى الأمر منكم** ﴾ هم :

١ – الأئمة ، ومن ولاه المسلمون دون غيرهم من الناس(٧) .

٢ – أن يفوضوا الأمر إليهم وإلى أهل العلم بالدين وأهل الخبرة ويكلوه إلى تدبيرهم ، حتى لا تختلف الآراء(٨) ، قال الله – تعالى – :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(٩) .

٣ – النصرة لأولى الأمر في غير المعصية .

٤ – النصح لهم : قال رسول الله ﷺ(١٠) : (الدين النصيحة ، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)(١١) .

ما يجب على أولى الأمر :

يجب عليهم التصرف بما فيه المصلحة العامة للمسلمين ، كل في مجاله وبحسب سلطته وفي هذا جاءت القاعدة الشرعية (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) .

وبالتفصيل ما يلي :

١ – حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فإن زاغ ذو شبهة عن هذا أوضح له الحجة ، وبين له الصواب ، مع أخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود إذا لم يلتزم ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأمة مصونة من الذلل .

٢ – فصل الحقوق بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى يظهر العدل فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

٣ – حماية الدولة والدفاع عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش ، وينتشروا في الأسفار آمنين .

٤ – إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى من الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

٥ – تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بثغرة ينتهكون بها محرماً ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد .

٦ – جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .

---

(٤) أخرجه البخاري – فتح الباري جـ١٣ ص ١٢١ ، ومسلم جـ٣ ص ٦٩ '١٤ .

(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٥ ص ٢٢٦ بلفظ (لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى) وقال : رواه أحمد بألفاظ والطبراني وفي بعض طرقه : « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) أخرجه البخاري – فتح الباري جـ١٣ ص ١١١ – ومسلم جـ٣ ص ١٤٦٦

(٧) فتح الباري جـ١٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ١ ص ٥٥٩ ، جـ٣ ص ٢٣٤ ، جـ٣ ص ٣١٠ – وشرح المنهاج جـ٤ ص ٢١٧ ، وتفسير الطبري جـ٨ ص ٤٩٥ وما بعدها .

(٨) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٣١ .

(٩) الآية رقم ٨٣ من سورة النساء .

(١٠) أخرجه مسلم جـ١ ص ٧٤ .

(١١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٢ ، ٣١ ، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧ .

٧ ـ قتال أهل البغى والمحاربين وقطاع الطريق وتوقيع المعاهدات وغير هذا مما فيـــه صالح الأمة[١٢] .

٨ ـ تعيين الوزراء وولايتهم عامة فى الأعمال العامة لأنهم يستنابون فى جميع الأمور من غير تخصيص .

٩ ـ تعيين الأمراء (المحافظين ومن يلونهم من الحكام حتى آخر درجة محددة فى النظم القائمة المعترف بها فى الدولة) للأقاليم ، وولايتهم عامة فى أعمال خاصة لأن النظر فيما خصوا به من الأعمال عام فى جميع الأمور المرتبطة بهذه الأعمال .

١٠ ـ تعيين القضاه وأمراء الحج ورؤساء الجيش وولايتهم خاصة فى الأعمال العامة لأن كل واحد منهم مقصور على نظر خاص فى جميع الأعمال وكذا تعيين الأئمة للصلوات الخمس والجمعة ولكل واحد من هؤلاء شروط تنعقد بها ولايته .

١١ ـ تقدير العطاء وما يستحق من بيت المال (الميزانية العامة) من غير سرف ولا تقصير فيه[١٣] .

١٢ ـ استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال وما يكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة .

١٣ ـ أن يباشر بنفسه أو بأعوانه الموثوق بهم مشارفة الأمور ، وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة[١٤] والمقصود بهذا فى مصطلحات الإدارة العصرية أجهزة الرقابة ـ المحاسبات والتفتيش أو التوجيه) .

١٤ ـ مشاورة ذوى الرى :

وتعتبر المشاورة مبدأ من أهم المبادىء الإسلامية ، وقاعدة من أهم القواعد الأساسية فى الولايات العامة وقد جاءت الدعوة إلى الشورى صريحة فى القرآن الكريم فى آيتين منه :

الأولى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[١٥]

والثانية قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١٦] .

السؤال الثانى :

هل يجب على المسلمين العمل بالقول بزيارة المسجد الأقصى والقدس الشريف وهو أسير الآن بين يدى براثن اليهود ؟

إن مصطلح الواجب فى الفقه الإسلامى هو ما طلب الشارع فعله فى سبيل الحتم والإلزام ، وكان

(١٢) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ وما بعدها ـ والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٥ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣٥ وما بعدها وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ٣ ص١٥٨ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٣١١ وجواهر الإكليل جـ١ ص٢٦٩ ، جـ٢ ص ٢٨٦ ، وشرح المنهاج جـ٤ ص ١٧١ ، ٢١٧ ، والمغنى لابن قدامة جـ٢ ص ٢٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٤٧ ، وجـ٨ ص ٢٨٧ .

(١٣) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٥ ، ١٠٨ ، وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ٤ ص ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، وشرح المنهاج جـ٤ ص ٢٩٥ والمغنى لابن قدامة جـ٩ ص ٣٨ ، ١٠٦ والأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٧٨ ، ٩٢ .

(١٤) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١٢ والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٦ .

(١٥) من آية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

(١٦) الآية رقم ٣٨ من سورة الشورى .

ثبوته بدليل ظنى فيه شبهة ، وحكمة مثوبة فاعله وعقوبة تاركه ، بلا عذر ، ولا يكفر جاحده ، بل يحكم بتفسيقه .

وزيارة المسجد الأقصى ، والقدس الشريف ، ليست من الأمور الواجبة بهذا المعنى أصلا ، وإنما هى من الأمور المباحة التى خير الله فيها المكلف بين الفعل والترك ، وحكمه مضاعفة ثواب الصلاة فيه ، ولا عقاب على ترك الصلاة فيه على ما يشير إليه حديث رسول الله ﷺ الذى حصر فيه شد الرحال للصلاة فى المساجد الثلاثة ونصه كما رواه الإمامان البخارى ومسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ، وواضح من أسلوب النهى الذى اشتمل عليه هذا الحديث الشريف المنع من شد الرحال إلى أى مسجد قصداً مع وجود غيره من المساجد ثم استثنى من هذا استحباب شد الرحال للصلاة فى كل من المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ فى المدينة المنورة ، والمسجد الأقصى بالقدس فى فلسطين مع المفاضلة بينها فى ثواب أداء الصلاة فى كل منها على ما ورد فى الأحاديث المعتمدة عن رسول الله ﷺ(١٧) .

وإذ كان ذلك كانت زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه وشد الرحال إليه من المستحبات حيث يضاعف ثواب الصلاة فيه على اختلاف فى مقدار هذا الثواب وبالتالى فليست زيارة المسجد الأقصى من الواجبات .

وإذ كانت الأحوال القائمة فى فلسطين عموماً وفى القدس خاصة من احتلال إسرائيل لهذه الديار وكان المسجد الأقصى بهذا فى حكم الأسير كان الإقدام على زيارته من غير أهل دياره من قبيل الإقرار بالرضا من الوافدين إليه بهذا الأمر وباحتلال القدس وسائر فلسطين من الإسرائيليين وهذا ما لا يرضاه أحد من المسلمين الذين لم يسلموا لإسرائيل بشرعية اغتصابها لهذه الأرض ومن بينها ساحة ومساحة المسجد الأقصى الذى باركه الله وبارك حوله .

لما كان ذلك كان الأولى بالمسلمين من غير أهل فلسطين والقدس خاصة أن ينأوا عن التوجه إلى القدس - فى غير حاجة للدفاع عن المسجد وحمايته - حتى تتطهر المدينة من دنس المغتصبين وتعود إلى أهلها العرب آمنة مطمئنة يرتفع فيها ذكر الله والنداء إلى الصلوات فى أمن وسلام وعلى المسلمين فى كل مكان أن يعملوا على تحرير القدس ومسجدها الأقصى الذى كان الإسراء برسول الله ﷺ إليه موثقاً بأول آية فى سورة الإسراء كما كان العروج برسول الله ﷺ إلى السماوات العلا من ذات الموقع فأولى بالأمة الإسلامية أن تعمل على تحريره ورفع شأنه والإصرار على ألا يدخلوا القدس كلها إلا إذا تطهرت من دنس الغاصبين ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٨) .

---

(١٧) انظر فى ثواب المفاضلة بين المساجد الثلاث - المسجد الحرام والمسجد النبوى بالمدينة والمسجد الأقصى فى القدس فى ثواب الصلاة فى كل منها - كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد الباب الثالث ما يتعلق بالمسجد الأقصى فى فصل بيان أحكامه ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(١٨) من الآية رقم ٨ من سورة « المنافقون » .

هل إقامة سلام دائم مع من يغتصب أراضى المسلمين ويشرد أولادهم يتفق مع الشريعة ؟

كان الإسلام ولايزال دين الأمن والأمان والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء وليس دين حرب أو شحناء أو بغضاء لم يستخدم السيف للتحكم والتسلط إنما كانت حروبه وسيلة لتأمين دعوته ، أو هى تلك الحرب الوقائية بمنطق العصر .

وقد أمر القرآن الكريم المؤمنين بالامتناع عن القتال إذا لم تكن هناك ضرورة ، ففى كتاب الله قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(١٩)

وقوله : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ... ﴾(٢٠) .

ومن تعاليم الإسلام للمسلمين أن يردوا كل ما يختلفون على معرفة أحكامه إلى الله ورسوله ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾(٢١) .

وأكد الله سبحانه هذا المبدأ بوجوب الإذعان لحكمه وحكم رسوله فى قوله فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾(٢٢) .

إننا إذا نظرنا فى كتاب الله قرآنه الكريم نجد أنه قد قرر أن العلاقة الأساسية بين الناس جميعاً هى السلم ورد هذا واضحاً فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢٣)

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾(٢٤)

ويقول ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ... ﴾(٢٥)

هذا حكم الله أنزله إلينا وهو يجيز لنا أن نتعاهد ونقيم المعاهدات مع غير المسلمين إبقاء على السلم أصلا أو رجوعاً إليه بوقف الحرب وقفاً مؤقتاً بمدة أو وقفاً دائماً كما يجيز أن تتضمن المعاهدة مع غير المسلمين تحالفاً حربياً وتعاوناً على رد عدو مشترك .

قال القرطبى : إن كان للمسلمين مصلحة فى الصلح لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدىء المسلمون إذا احتاجوا إليه ، وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم ، وهادن قريشاً عشرة أعوام حتى نقضوا عهده ثم قال : ومازال الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التى شرعناها سالكة وبالوجوه التى شرحناها عاملة ـ ثم نقل قول الإمام مالك

(١٩) من الآية رقم ٩٠ من سورة النساء .

(٢٠) من الآية رقم ٦١ من سورة الأنفال .

(٢١) من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .

(٢٢) من الآية رقم ٥١ من سورة النور .

(٢٣) من الآية رقم ١٣ من سورة الحجرات .

(٢٤) من الآية رقم ١ من سورة النساء .

(٢٥) الآيتان ٦١ ، ٦٢ من سورة الأنفال .

ـ رضى الله عنه ـ فقال : « تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة[٢٦] » وفى التعقيب على تفسير الآيتين ٨٩ ، ٩٠ من سورة النساء حيث انتهت الأخيرة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ـ قال القرطبى[٢٧] : فى هذه الآية دليل على اثبات الموادعة بين أهل الحرب وأهل السلام إذا كان فى الموادعة مصلحة للمسلمين .

وفى « فتح البارى » لابن حجر العسقلانى بشرح صحيح البخارى فى باب الموادعة والمصالحة مع المشركين تعليقاً على الآية الكريمة : ﴿ **وإن جنحوا للسلم** ... ﴾ إن هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين .

وفى منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار وشرحه « نيل الأوطار » للشوكانى[٢٨] : فى غزوة الحديبية بعد أن نقل الأحاديث فى شأنها : إن مصالحة العدو ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للحاجة والضرورة دفعاً لمحظور أعظم منه .

وإذا تتبعنا سيرة الرسول ﷺ وأصحابه من بعده نجد أنهم قد تعاهدوا مع غير المسلمين ولم ينقضوا عهدا عقدوه إلا أن يُنقض من الغير ولعل فاتحة عهود الرسول ﷺ ومعاهداته كان العهد مع يهود المدينة وتحالفه معهم ثم تعامله وصحبه اقتصادياً ، ولقد ظل وفيا بهذا الوعد والعهد حتى نقضه اليهود فانتقض ، وصلح الحديبية وشروطه مشهور واعتراض الصحابة عليه ، كل ذلك فعله رسول الله ﷺ ولنا فيه القدوة ولأنه فعل ما فيه المصلحة للمسلمين ، ولقد عاهد خالد بن الوليد أهل « الحيرة » وصالحهم ، وصالح عمر بن الخطاب أهل « إيلياء » وكان يستدعى الزعماء من غير المسلمين ويشاورهم ويستأنس بآرائهم كما فعل عندما أراد تنظيم الطرق بعد فتحها ، وكما استشار المقوقس عظيم القبط فى مصر بعد الفتح .

وقد عقد الفقهاء المسلمون على اختلاف مذاهبهم الفقهية أبواباً فى كتبهم أبانوا فيها أحكام المهادنة والمصالحة مع غير المسلمين ، واتفقت كلمتهم على أن لرئيس الدولة المسلمة أن يهادن ويصالح محاربيه من غير المسلمين ويوقف الحرب معهم مادام فى هذا مصلحة للمسلمين ، واستندوا فى هذا إلى قوله الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[٢٩] وإلى صلح الرسول ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية وأضاف الفقهاء قولهم : ولأن الموادعة جهاد معنى إذا كان خيراً للمسلمين لأن المقصود هو دفع الشر الحاصل بالحرب[٣٠] .

بل إن فقهاء الشريعة الإمامية صرحوا بهذا فى كتبهم ، ففى كتاب « المختصر النافع » فى فقه هذا المذهب[٣١] فى كتاب الجهاد : وإن اقتضت المصلحة المهادنة جاز لكن يتولاها الإمام ومن يأذن له .

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص ٣٩ ـ ٤١ فى تفسير سورة الأنفال .

(٢٧) جـ٥ ص ٣٠٩ .

(٢٨) جـ٨ ص ٣٩ .

(٢٩) من الآية ٦١ من سورة الأنفال .

(٣٠) كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفى ص ٧٨ وما بعدها جـ٥ وبدائع الصنائع للكاسانى الحنفى جـ٧ ص ١٠٨ وما بعدها ـ ومجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر فقه حنفى جـ١ ص ٦٤٥ وما بعدها ، والمغنى لابن قدامة الحنبلى جـ١٠ ص ٥١٧ وما بعدها ، وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير فقه مالكى جـ٢ ص ٢٣٢ ، وحواشى تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ٩ ص ٣٠٤ وما بعدها ، وكتاب قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للسلطان العزبن عبدالسلام الشافعى جـ١ ص ١٠٣ .

(٣١) جـ١ ص ١١٢ .

ويقـول الفقيـه ابـن الـقيم فى كتابـه « زاد المعـاد »[٣٢] : ولما قدم النبى ﷺ المدينـة صار الكفار ثلاثة أقسام : قسم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم .

وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة .

وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه بل انتظروا ما يئول إليه أمره وأمر أعدائه فقابل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه ـ تبارك وتعالى ـ .

ثم قال[٣٣] فى فقه صلح خيبر : وفى القصة دليل على جواز عقد الهدنة مطلقاً من غير توقيت بل ماشاء الإمام ولم يجىء ما ينسخ هذا الحكم البتة فالصواب جوازه وصحتـه ، وقـد نص عليـه الشافعى فى رواية المزنى ونص عليـه غيره من الأئمة .

ويقـول العلامـة ابـــن تيميـــة فى كتابـــه « الاختيارات »[٣٤] فى باب الهدنة : ويجوز عقدها مطلقاً ومؤقتاً ، والمؤقت لازم من الطرفين يجب الوفاء به ، ما لم ينقضه العدو ، ولا ينقض بمجرد خوف الخيانة فى أظهر قولى العلماء ، وأما المطلق فهو عقد جائز يعمل الإمام فيه بالمصلحة .

أسس المعاهدات فى الإسلام :

وحينما نطالع أقوال علمائنا فى تفسير آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ فى شأن الحرب والصلح ، ونطلع كذلك على ما نقله الفقهاء فى هذا الشأن نرى أنهم قد استوجبوا توافر الأسس التالية لقيام المعاهدات مع غير المسلمين شرعاً :

الأول : مادل عليه قول الـرسول ـ عليـه الصلاة والسلام ـ : (... مابال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ؟ من اشترط شرطاً ليس فى كتاب الله فهو باطل ، شرط الله أحق وأوثق)[٣٥] وهذا مفاده أنه يتعين على ولى أمر المسلمين الذى يتعاهد مع غير المسلمين ألا يقبل شرطاً يتعارض صراحة أو دلالة مع نصوص القرآن الكريم ، محافظة على سمة الشريعة العامة واحتفاظا بعزة الإسلام والمسلمين قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣٦]

ومثال الشروط الباطلة أن تتضمن المعاهدة التحالف مع غير المسلمين ضد المسلمين أو التعهد بمقتضاها بالقعود عن نجدة المسلمين عند الاعتداء على ديارهم وأموالهم .

الثانى : تحديد الشروط فى المعاهـدات بينـة واضحة على مثال المصالحات التى عقدها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد كانت محددة فى الحقوق والالتزامات المتبادلة بين المتعاقدين وذلك حتى لا تكون وسيلة للغش والخداع واستلاب الحقوق .

الثالث : أن تعقد المعاهدة فى نطاق التكافؤ بين طرفيها فلا يجوز لولى أمر المسلـمين أن يعاهـد

(٣٢) جـ٢ ص ١٨٤ .

(٣٣) ص ٢٠٠ .

(٣٤) ص ١٨٨ .

(٣٥) جزء من حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن غيرها جـ٥ من فتح البارى بشرح صحيح البخارى الأحاديث أرقام ٢٥٦٠ ، ٢٥٦١ ، ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٥ وذلك فى كتاب « المكاتب » ترقيم وتخريج محمد فؤاد عبدالباقى ـ محب الدين الخطيب ط مؤسسة مناهل العرفان بيروت ومكتبة الغزالى دمشق .

(٣٦) من الآية رقم ٨ من سورة « المنافقون »

ويصالح تحت التهديد ، لأن مبدأ الإسلام التراضى فى كل العقود ، ومسالمة المسلمين لمخالفيهم فى الدين أمر يقره الإسلام ، فمن المبادىء العامة التى قررتها الشريعة فى معاملة أهل الكتاب تركهم وما يدينون ، والمنع من التعرض لهم متى سالموا بل والتسوية بينهم وبين المسلمين فى الحقوق والواجبات العامة ، وأجازت مواساتهم وإعانة المنكوبين وأباحت الاختلاط بهم ومصاهرتهم ، وما أباحت قتالهم إلا رداً لعدوان قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ سورة التوبة ٧

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ المائدة ٥

وكان من أوامر الإسلام الوفاء بهذه المعاهدات إذا انعقدت بشروطها داخلة فى نطاقه غير خارجة على أحكامه وحافظ عليها الطرف الآخر ولم تتغير ظروف انعقادها وهذا هو القرآن الكريم يقول : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة التوبة

ويقول فى شأن توقع الخيانة من المعاهد دعوة إلى اليقظة والحذر . ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ سورة الأنفال

ذلك حكم الإسلام فى التعاهد والمصالحة ، بل والمحالفة مع غير المسلمين يقر المعاهدات التى تضمن السلام المستقر وتحفظ الحقوق ، وهو فى ذات الوقت ينهى عن خيانة العهد ويأمر بالوفاء بالوعد ، فالعلاقة بين الناس فى دستور الإسلام علاقة سلم حتى يضطروا إلى الحرب للدفاع عن النفس أو للوقاية منها ومع هذا يأمر الإسلام بأن يكتفى من الحرب بالقدر الذى يكفل دفع الأذى ويأمر كذلك بتأخيرها ما بقيت وسيلة إلى الصبر والمسالمة ولم يجعل الإسلام الوفاء بالعقود والعهود من أعمال السياسة التى تجوز فيها المراوغة عند القدرة عليها ، بل جعله أمانة من الأمانات واجبة الأداء يكاد الخارج عنها أن يخرج عن الإسلام بل ويخرج عن آدميته ، ويصبح بهذا فى عداد السائمة .

قال تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة النحل

وبعـد :

فإن الإسلام صاغ الحياة البشرية فى نطاق قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الإسراء

هذا التكريم للإنسان ، أى إنسان ، بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو وطنه أعاد إلى فكر الإنسان وقلبه أن الناس جميعاً بنو آدم وحواء جعلهم الله شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، وأرسل إليهم الرسل لهدايتهم من الضلال حتى كان الإسلام خاتماً لجميع الرسالات يحوى كتابه ما حملته الكتب السابقة عليه منقياً عقيدته وعبادته وتشريعه مما لم يعد ملائما لدين الله الخالد إلى يوم الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

مع الإمام الأكبر في حديث صحفي

وثيقة الزواج الجديدة

أجرى الأستاذ/ هشام العجمى المحرر بالأخبار الحديث التالى مع فضيلة الإمام الأكبر .

- **ليس فى هذه الوثيقة جديد .**
- **الزواج ليس عقد بيع أو إجارة .**
- **الزواج عقد شمله الله بعنايته ، وقرر حقوقه وواجباته ، لتشمل الأسرة والأبناء جميعا .**
- **أغلقوا ملف هذا العقد ، فإنه شر مستطير يزيد أزمة الزواج فوق ما هى عليه .**

السؤال الأول :

ما رأى فضيلتكم فى وثيقة الزواج الجديدة ؟

الجواب :

قلت ـ أكثر من مرة ـ أن مشروع هذه الوثيقة قد طلبته من السيد المستشار وزير العدل ـ شخصيا ـ أكثر من مرة ، ولم يرد ، ومعلوماتى عن هذا المشروع مما ينشر فى الصحـــف ، والمشروع على نحو ما قرأت لا يفيد جديدا ، بل يضر أكثر مما ينفع ، فهو يحتوى قيودا وأغلالا وإهدارا لأحكام شرعية ، وخير أن يغلق ملف هذا الموضوع حتى لا تبدأ الحياة الزوجية بمقتضاه ، وكأنها عقد بيع ، أو إجارة ، أو مزارعة ، أو غير هذا من العقود التى تدخل تحت المساومات ، فى حين أنه عقد قد شمله الله ـ تعالى ـ بعنايته ورعايته فَأَصَّلَ قواعده وفَصَّلَ آثاره ، وقرن الحقوق بالواجبات لكل من الزوجين ، وجعل العمل قسمة بالعدل والإحسان ، وَوَجَّهَ كلا من الزوجين إلى مهامه ، ونشأت الأسرة المسلمة فى نطاق هذا العقد الذى يجب أن يصدر قوليا بإيجاب وقبول من طرفيه شخصيا ، أو من وكيل عن كل منهما ، أو من ولى كل منهما حسب مقتضيات الأحوال .

ولقد عبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أن هذا العقد فى ظل كلمة الله ـ عز وجل ـ حين قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ موجها الحديث إلى الرجال فى خطبة الوداع : (.....

واستوصوا بالنساء خيرا ؛ فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ....) .

ويشير القرآن الكريم إلى هذا فى قول الله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة النساء

وهذا كاف لأن نترك هذا العقد كما شرعه الله ، ونتفاءل بذلك ؛ فلا نجعله موضع مساومة ، أو خروج على شرع الله .

مرة أخرى أغلقوا ملف هذا الموضوع فإنه لا يأتى بخير ؛ بل إنه الشر المستطير .

ولعله قد ازدادت بالتفكير فيه والنشر عنه أزمة الزواج أكثر مما كانت .

السؤال الثانى :

هل لهذه الوثيقة أية إيجابيات ترونها ؟

والجواب :

أعتقد أن فى الإجابة السابقة عن السؤال الأول ما يهدى إلى الإجابة عن هذا السؤال .

وبالجملة فهذا المشروع ـ مشروع الوثيقة ـ تغلب أضراره ولا يبدو فيه نفع .

السؤال الثالث :

هل تركت شريعة الإسلام شيئا يتعلق بالزواج بدون توضيح فاقتضت ظروف العصر وتطورات الحياة ـ حاليا ـ توضيحه من خلال وثائق أو قوانين أخرى ؟

الجواب :

أساس الحكم ـ قضاء ـ فى مسألة الأحوال الشخصية هو القواعد المقررة فى المادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون ٧٨ لسنة ١٩٣١ .

تصدر الأحكام وفقا لأرجح الأقوال فى فقه مذهب الإمام أبى حنيفة ، وللمدون فى هذه اللائحة ، ولما يصدر به قانون للمحاكم الشرعية .

وهذه القواعد تستند إلى القرآن والسنة ، ففيهما الكليات التى تتناول كل ما يحدث فى أى العصور .

وقد صدرت القوانين الإصلاحية متلاحقة متعاقبة بدءا من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ، و٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، ٧٨ لسنة ١٩٣١ ، ثم أخيرا القانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ الذى جاء بالجديد المفيد فى بعض المشكلات الزوجية . أما أنه توجد أى وثائق يقتضيها الأمر فواقع ما جرت به العادة والعرف فى الزواج فى البيئات الإسلامية ـ لا سيما فى مصر ـ أن الزواج يحاط بالرحمة والمودة طبقا لنص القرآن الكريم :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(1) .

---

(١) الآية ٢١ سورة الروم .

ويجرى توثيقه فى النموذج القائم ـ حاليا ـ منذ مئات السنين ، وهذا النموذج يعتبر ورقة رسمية فى خصوص انعقاد الزواج فقط،وفيما عدا هذا من بيانات يعتبر **ورقة عرفية يجوز إثبات عكس ما ثبت فيها بكافة الطرق فى نطاق أحكام المرافعات الشرعية والقانونية** وقد استقرت المبادئ القضائية على ذلك فأى شروط تضاف إلى هذا النموذج يكون بها النموذج فى حكم الورقة العرفية التى لا حجية لها عند الجحود والإنكار .

ومن هنا فلم يفكر أحد فى أن يستظهر فى وثيقة الزواج مشارطات أو قيود أو حدود ، وإنما العقد يتم بكلمة الله ـ كما سبق ـ وكفى بالله وكيلا .

أما القوانين التى نظمت العلاقة الزوجية فهى مستقاة من شرع الله الذى شرحه فقه المذاهب الإسلامية ، وفيها السعة والغناء عن كل استعارة لأنظمة تخرج عن بيئتنا وعقيدتنا وعرفنا وعاداتنا التى نبتت فى ظل الإسلام ، أَلَا مَرَّةً أخرى أغلقوا هذا الملف .

السؤال الرابع :

أرجو توضيح بنود وثيقة الزواج كما وصلت إلى سيادتكم وتعليق فضيلتكم فى كلمات بسيطة على كل بند منها ..؟

الجواب :

سبق فى أول الحديث أن قلت أن مشروع هذه الوثيقة لم يعرض على الأزهر بالرغم من طلبه أكثر من مرة من السيد المستشار وزير العدل شخصيا .

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

حديث صحفى مع فضيلة الإمام الأكبر

الإيمان والعمل بالتشريع ومَوقف الإسلام من الحوادث الحاضرة

أجرى الحوار : الصحفى الإيطالى « جيوفانى فيرو » محرر مجلة الأسرة المسيحية .

- الإسلام والإيمان .
- العلمانية مرفوضة لأنها تعزل الدين عن مجريات الحياة .
- الشريعة تواجه كل جديد بأحكام .
- الجماعات بين الإرهاب والسياسة .
- التنسيق بين المسلمين والمسيحين لمؤتمر بكين عن المرأة .
- وثيقة عقد الزواج الجديدة ..
- الحوار بين الأديان ينبغى أن يكون فى نقطة التعايش بينها .

س : بصفتكم أعلى سلطة دينية فى العالم الإسلامى السنى . فهل تتفضلون بتوضيح ما يجب أن يكون عليه الإيمان الحقيقى وتأثيره فى الحياة اليومية للمسلم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الإسلام تصديق باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل ، وحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنى الإسلام على خمس : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ، يدل على أن هذه هى أصول الإسلام ، وأسس الإيمان ، والإيمان معناه : الاعتقاد القلبى بالعقيدة ، والإيمان بالعمل بشريعة الإسلام فى كل ما جاء به .

والإيمان ـ فى مفهومه العام ـ هو : إخلاص تام وأداء بإخلاص مقارن لكل عمل أمر به الله ـ عز وجل ـ فى القرآن وفى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

س : ما رأى فضيلتكم فى العلمانية ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

العلمانية ـ كما تقول عن نفسها ـ مؤداها الفصل بين الدين والسياسة ، والدين والدنيا ، وهى بهذا تعزل الدين ـ أى دين ـ عن مجريات الحياة ، وهذا يرفضه الإسلام ، فالإسلام كما نظم الصلة بالله فى عباداته ؛ نظم الصلة فى الحياة بدءا من خلق الإنسان المفرد « آدم » وانتهاء بتكوين

الأسرة فى تاريخ البشرية ، ثم المجتمع ثم الدولة ، ثم الدول جميعا ، فالإسلام فى نظامه ــ عقيدة وشريعة ــ ينظم كل هذه الحياة ، فهى حياة متصلة متواصلة وليست مختلفة ولا مفترقة ، فالدين والدنيا يجمعهما الإسلام .

س : هل فضيلتكم فى جانب التطبيق الحرفى للشريعة الإسلامية للنظم التشريعية الحالية فى الدول الإسلامية وهل تعتقدون أن الحكومة الحالية هى حكومة إسلامية جيدة ؟

فضيلة الإمام :

أولا : كلمة « التطبيق الحرفى » أمر غير وارد ، إنه تطبيق للنص بلفظه وروحه ، وللتطبيق مجالات فى الفهم بحسب مفاهيم اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، والتى هى لغة رسالة الإسلام ، ولغة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والقرآن ، يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن/١٦ .

والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »(٢) .

فأساس أداء الأوامر فى القرآن والسنة ــ وفى الإسلام بوجه عام ــ هو أن يؤدى المسلم ما استطاع من هذه الأوامر ، وأما النواهى والأمور المنهى عنها المحرمة فيجب أن ينتهى المسلم عنها ؛ المسلم الفرد والأمة ، وبتطبيق هذا على واقع المسلمين الآن نرى أنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ، وأن يستقيموا على الإسلام ــ كما أمر الله ــ والحكومات الآن ــ وهى تطبق بعض أحكام الإسلام ــ هى حكومات إسلامية ينقصها أن تستكمل الباقى ، كما وصف القرآن ، وكما قلت آنفا : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وأن يستقيموا على الإسلام .

س : إذا ما ظهرت مشكلة أو وضع جديد لم يرد له ذكر فى القرآن أو السنة فكيف تتعاملون معه بما يتفق مع الشريعة ؟

فضيلة الإمام :

النصوص التشريعية فى القرآن والسنة فيها نصوص خاصة ، ونصوص عامة ، تحتوى كل ما حدث وما يحدث سواء للفرد أو للأمة . والقرآن يقول : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء ٨٣

ويقول فى آية آخرى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة ١٢٢ .

هذه النصوص تضع الأمور الاجتهادية فى الوقائع الجديدة التى حدثت ــ أو التى تحدث ــ وليس لها نص ظاهر أمام العلماء الذين تخصصوا فى استنباط الأحكام من قواعدها الأصلية فى القرآن والسنة ، فالمسائل التى تحدث وليس لها نص لها فئة خاصة من علماء المسلمين الذين تأهلوا لدرجة الاجتهاد ، ويُوكَلُ إليهم بيان أحكام هذه الوقائع الجديدة ، وهذا ما يسمى فى علم أصول الفقه وعلم الفقه (**بالاجتهاد فى بيان الأحكام**) .

---

(٢) راجع نص الحديث بسنن ابن ماجه ــ أوّل باب

س : ماذا ترون فضيلتكم فى هذه الجماعات الإسلامية التى تستخدم العنف لتحقيق أهدافها الإسلامية التى يزعمونها ؟ وهل جماعة الإخوان المسلمين تدخل فى إطار هذه الجماعات المتطرفة ؟ .

فضيلة الإمام الأكبر :

أولا : الإسلام – عقيدة وشريعة – يمنع الإكراه فى العقيدة ، وفى العمل بالشريعة لغير المسلمين فيما يتعلق بالعقيدة كالأحوال الشخصية فيقول الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ البقرة ٢٥٦ .

ويقول سبحانه ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ آخر (الكافرون) .

فهذه الفئات التى تسمى نفسها (جماعات إسلامية) وترتكب العدوان ضد الناس لأى سبب إنما هى مخالفة لحكم الإسلام ولا تعمل بالإسلام ، لأن الإسلام إنما يكون عن طواعيه ورضا كعقيدة ، فإذا دخل فرد الإسلام التزم بأحكامه ، وكان ملزما بها أمام الله – سبحانه – وليس أمام البشر ، وكان عليه أن يتبع الأوامر والنواهى ، وأن يُوعَظَ إذا أهمل أو فرط فى هذا الالتزام .

والإخوان المسلمون هم فئة سياسية تنتهج خطا ينتسبون به إلى الإسلام ، طلبا للحكم ، فهى أشبه (**بحزب سياسى**) وأن لم تعلن هذه التسمية الحزبية ، واتخذت الدعوة إلى الإسلام عنوانا لها ، أما أنها تنتمى إلى تلك الجماعات المتشددة ، أولا تنتمى ، فالحكم عليها بما يصدر عنها من أفعال ، فإذا ثبت أنها تنتهج خط هذه الجماعات ، وهو : إكراه الناس على أمرٍ ما كانت فى صفها ، وإن كانت تنتهج خطا مسالما فى الوصول إلى أغراضها السياسية فشأنها شأن أى حزب سياسى .

س: ما الدور الأشد خطورة على الإسلام – من وجهة نظركم :

هل هو دور الجماعات الإرهابية المتطرفة ؟

أو هو الدور الذى يلعبه بعض المفكرين الذين يفصلون بين الدين والدولة ؟

فضيلة الإمام :

كلاهما خطر : على أنفسهم أولاً : ثم على المسلمين – وليس على الإسلام – .

ثانيا : وهذا الخطر يوجد نوعا من الخلاف والاختلاف الفكرى والعملى ، فتلك الجماعات التى تتخذ الإكراه والعنف مبدءا إنما تحدث نوعيات من الجرائم لم تكن مألوفة من قبل ، وقد تُحدِثُ فى البلاد التى تظهر فيها ذعرا وارتباكا وخوفا فى صفوف الناس ، أما هؤلاء الذين ينادون بالفصل بين الدين والحياة ، أو السياسة ، فضررهم كبير ؛ لأنهم يحدثون حَدَثًا ليس من الإسلام فى شىء ؛ فالإسلام دين شِامل يحكم كل تصرفات الإنسان فردا وجماعة ودولة ، بل ودُوَلاً ، فهو كما يحكم العلاقة بين المسلمين ، يحكم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى تشريعه ، وهو يقوم على التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم ، ونصوص القرآن واضحة فى ذلك ، وتعامل الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين غير المسلمين المعاصرين لدعوته كان تعايشا سلميا ، حتى إذا ما بدت منهم الخيانة والعدوان عاملهم بالمثل .

س : لقد التقيتم بالكاردينا ارينــــز ـ من الفاتيكان ـ منذ فترة قصيرة وأعتقد أنكم ناقشتم معه موضوع المرأة الذى سيطرح فى (مؤتمر بكين) فى سبتمبر القادم إشراف هيئة الأمم المتحدة .. ما النقاط الرئيسية التى اتفقتم عليها ؟

فضيلة الإمام :

لم يحدث نقاش مفصل فى الموضوع ، وإنما اتفقنا على أن يحضر مندوبون عن الأزهر فى لقاء روما يوم ١٩٩٥/٦/٢٣ بعد افتتاح المركز الإسلامى الذى أنشأته المملكة العربية السعودية بالاشتراك مع غيرها من الجماهير الإسلامية الذى سيتم افتتاحه بحضور منـــدوبى الأزهـــر يوم ١٩٩٥/٦/٢١ ، وسيكون اللقاء مع (الفاتيكان) استظهارا وتنسيقا بين رأى المسلمين والمسيحيين فيما هو معروض بمؤتمر بكين الذى ينعقد فى ظل الأمم المتحدة ، فلم يتطرق لقاؤنا إلى تحديد نقاط عليها وفاق وأخرى عليها خلاف ، وإنما سيكون ذلك فى لقاء روما يوم ١٩٩٥/٦/٢٣م

س : ما رأى فضيلتكم فى موضوع وثيقة عقد الزواج الجديدة التى اقترحتها رابطة المرأة فى مصر ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لقد أجبت عن أسئلة صحفية فى هذا الأسبوع وقلت : إنها لاضرورة لها ؛ لأنها لاتضيف جديداً ، ولكنها توجد اختلافات كثيرة فى المحيط الإسلامى فى مصر ؛ لأن عقد الزواج عقد شرفه الله تعالى بأن يتم باسم الله ـ عز وجل ـ وليس باسم أحد ، ولقد فصل القرآن وَأَصَّلَ حقوق الزوجين وواجباتهما كل منهما قبل الآخر ، والقرآن ساوى فى الجملة بين الرجال والنساء على ماهو مفصل فى القرآن وفى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وقد طالبت (بإغلاق ملـــف هذا المشروع) وعدم طرحه مرة أخرى .

س : ما رأى فضيلة الإمام الأكبر فى عملية الختان ، وهل هو واجب فعله هذه الأيام ؟

فضيلة الإمام ؟

ختان الإناث أمر مشروع فى الإسلام ينبغى تنفيذه ، وكثير من أطبائنا المسلمين قد أيدوا الموافقة عليه التزاما بحكم الشرع الإسلامى ، وبالضوابط التى فصلها وعلمها رسول الله ـ ﷺ ـ لبعض النسوة المحترفات لهذا العمل فى عصره ، وهو عبارة عن أخذ جزء يسير يعلو موضع الختان من الأنثى ليحفظ على الأنثى كرامتها دون أن يهدر حظها أو حظ زوجها ، فنفس اللفظ الذى قاله الرسول ـ ﷺ ـ للمرأة المحترفة التى كانت تسأله فى ذلك : «أَشِمّى ولا تنهكى» أى اقطعى الطرف الأعلى دون قطع للعضو ذاته من جذوره كما قد يقع خطأ ؛ ومن هنا فعلى القائمين من الأطباء أو الطبيبات أو المحترفات أن يفعلن ما شرعه الإسلام ، فإذا وقع خطأ فى التطبيق فليس هذا شأن الإسلام ، وإنما شأن من ينفذ هذا العمل بطريقة خاطئة .

س : مارأيكم فى موضوع الحرية الدينية المثار فى الغرب هذه الأيام ، بمعنى أن لكل فرد أن يختار لنفسه الدين الذى يرتضيه ؟ وهل المسيحيون فى مصر لهم نفس الحقوق والواجبات التى للمسلمين ؟

إذا كانت نصوص القرآن تقول : «لا إكراه فى الدين» و«لكم دينكم ولى دين» ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت ٤٦ .

وتقر نصوص القرآن والسنة التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم وقد تعايش الرسول ـ ﷺ ـ والمسلمون معه من المهاجرين والأنصار فى بدء الهجرة إلى المدينة مع من كانوا يسكنون فيها ، أو قريباً منها ، من اليهود وغيرهم ، فكانت التجارة والزراعة مشتركة دون تفرقة بين مسلم وغيره حتى إذا مابدرت الخيانة من اليهود بالانضمام إلى أعداء الدعوة كانت الحرب معهم ؛ فالإسلام مبدؤه فى القرآن والسنة هو التعايش السلمى مع الآخرين دون التعرض لديانتهم ، ودون أن يتعرضوا للإسلام ، ومنذ أن دخلت مصر الإسلام لاتوجد أى اختلافات بسبب الدين فى مصر أو اضطهادات لغير المسلمين ، على العكس يحدث للمسلمين اضطهادات بسبب الدين كما حدث فى عصور فائتة ، وقد كانت الحروب الصليبية التى قادتها أوروبا مجتمعة ؛ موجهة ضد المسلمين ، وتمت إبادة المسلمين فى الأندلس ، ثم الحروب المعاصرة الموجهة ـ ايضا ـ ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك وفى الهند ، وكشمير ، وفى الشيشان ، وغيرها من أجزاء العالم .. لاأقول بتحريض من المسيحية ، فالمسيحية دين من الله ـ تعالى ـ ولكنها بتعصب فئات مسيحية لاتريد للإسلام وجوداً بجوارها كما يتنادى بعض الناس فى بعض البلاد الأوروبية .

إن الإسلام والمسيحية مستقران فى الشرق الإسلامى ، حيث لا يوجد فيه اضطهاد باسم الدين إطلاقاً ، وقد تحدث جرائم ولكنها جرائم بسبب التنافس فى التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو مايحدث بين إنسان وإنسان من أهل دين واحد .

مرة أخرى أقول : لا يوجد فى مصر اضطهاد بسبب الدين ، فالمسلمون يسكنون ويتعايشون ويتجاورون مع المسيحين فى العمارة الواحدة وفى الزراعة وفى الصناعة وفى كل مجالات العمل دون تفرقة بين مسلم ومسيحى ولاتوجد فى مصر ولأى بلد إسلامى حقوق لمسلم ؛ وغيرها لمسيحى فالكل سواء أمام القانون ، إنهم موظفون فى الدولة وتجار وصناع وأصحاب شركات ومزارع وعقارات ، والضرائب فى الدولة واحدة وتعامل الدولة مع أفراد الشعب جميعاً تعاملاً بريئاً من النظرة إلى الدين ، أو إلى اختلاف الدين فالكل مواطنون .

فضيلة الإمام الأكبر :

س : ما رأى فضيلتكم فى الحوار بين الأديان ، وهل يمكن لديانة ما أن تأخذ من ديانة أخرى أو تتعلم منها ؟

هذا أمر وارد ، لكن سبيل الحوار السهل الميسر أن يكون هناك حوارا فى التعايش بين الأديان المختلفة كما هو مبدأ الإسلام ، إنما التصادم بين الأديان قد يقع بسبب العقيدة ؛ فهذا هو الخطر المميت .. وهذا هو الواقع فعلا فى أوربا ، حيث يضطهد المسلمون فى عقيدتهم فى البوسنة والهرسك ، وكذلك فى الشيشان ، وكذلك فى كشمير ، وفى الهند ، وليس العدوان من

المسلمين ، وإنما بكل أسف ممن يتنادون بحقوق الإنسان وهم الذين يظلمون الإنسان المسلم .

س : لقد صرح سكرتير عام حلف شمال الأطلنطى (الناتو) بأنه قد تم القضاء على الشيوعية والانتهاء منها ، وأصبح عليهم مواجهة الإسلام والمسلمين . فما تعليق فضيلتكم على هذا التصريح ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

إذا كان قد صدر فاعتقد أن هذه هى العصبية المقيتة التى لا تعرف حقوق الإنسان .

إن حقـوق الإنسان كما عبر عنها القـرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات ١٣ .

فلم يقل الإسلام لتتحاربوا ، أو ليفنى القوى منكم الضعيف وأنما أرجع بنى الإنسان جميعا ـ بغض النظر عن اختلاف اللغة أو الجنس أو اللون أو الدين ـ إلى أصلهم الواحد إنهم أبناء رجل وامرأة تفرعوا عن هذا الأصل ويجب أن يتعايشوا على هذا الأصل ، فإذا قال حلف الأطلنطى : إنه يجب أن يتفرغ للمسلمين ، فأين هى حقـوق الإنسان التى يتنادون بها ويتحدثون عنها ؟ .

نعم هى لدينا فى الشرق فقط ، ولا يعرفونها فى غربهم ، وفى قوتهم ، لأن العنـف مبدأهـــم ، والتعصب هدفهم وبَادٍ فى أفعـالهم « قد بدت البغضاء من أفواههم » فماذا يقولون بعد ؟

حضر اللقاء وترجمه وسجله
الأستاذ أحمد عبدالخالق محمد
المترجم بمكتب شيخ الأزهر

مع سورة الفاتحة

للأستاذ الدكتور
ابراهيم الدسوقى محمد خميس (*)

(١) سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿١﴾
الحمد لله رب العالمين ﴿٢﴾ الرحمن الرحيم ﴿٣﴾
مالك يوم الدين ﴿٤﴾ إياك نعبد وإياك
نستعين ﴿٥﴾ اهدنا الصراط المستقيم ﴿٦﴾
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ﴿٧﴾

يقول الله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ هذا الدعاء هو القسم الثانى من سورة الفاتحة ؛ فقد ذكر العلماء أن الفاتحة قسمان : ثناء ودعاء . وفى الآيات السابقة ذكر الثناء ، وفى هذه الآيات ذكر الدعاء ، وقد أخذ هذا التقسيم من قول الله – تعالى – فى الحديث القدسى .. فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل . وسيأتى الحديث بطوله فى آخر البحث إن شاء الله .

والدرس الذى نتعلمه من هذه السورة هو : أن الداعى قبل أن يدعو يثنى على الله بما هو أهله وذلك بذكر بعض أسمائه الحسنى وصفاته العلا . قال – تعالى – : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف .. ويختم الدعاء بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ فإذا فعل ذلك كان أرجى لقبول دعائه .

والهداية فى اللغة : الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب ، ولا تستعمل إلا فى الخير ، فإذا استعملت فى غيره كان المقصود بها التهكم والسخرية قال – تعالى : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ .
سورة الصافات

● أستاذ التفسير بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

والهداية تتعدى إلى مفعولين : إلى الأول بنفسها ، وإلى الثانى باللام أو بإلى ، وقد تتعدى إلى الثانى بلا واسطة كما فى هذه الآية : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

وهدايات الله كثيرة لا تعد ولا تحصى حيث إنها نعم والله – تعالى – يقول : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ وأمهاتها هى : هداية الإلهام ، هداية الحواس ، هداية العقل ، هداية الدين ، هداية التوفيق والمعونة .

فهداية الإلهام يعطيها الله للإنسان والحيوان منذ ولادته ؛ فالطفل عندما يولد يشعر بألم الجوع والحاجة إلى الغذاء ، فيصرخ طالباً له بهذا الإلهام ويلهم كذلك التقام الثدى وامتصاص اللبن ، وهداية الحواس متممة لهداية (الإلهام) ويعطيها الله للإنسان والحيوان بل يكون الحيوان فيها أكمل من الإنسان . فإلهامه وحواسه يكملان بعد ولادته بقليل ؛ أما فى الإنسان فيكمل فيه ذلك بالتدريج فى زمن غير قصير . فالطفل عقب ولادته لا يدرك من الأصوات والمرئيات شيئاً ، ثم بعد مدة يبصر ولكن لا يدرك تحديد المسافات ، فيحسب البعيد قريباً ، أما هداية العقل فهى أعلى من هداية الحس والإلهام ، وهى خاصة بالإنسان لأن هداية الحس والإلهام لا تكفيان الإنسان ؛ لأنه اجتماعى بطبعه فحباه الله العقل ليميز به بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، حيث إن العقل يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه ، ولذا وجه الله الإنسان إلى استعمال عقله فى التدبر والتفكر فى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، منها قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية/١٣ . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ النحل/١٢ .

وقد يخطىء العقل كما تخطىء الحواس وذلك حين ينغمس الإنسان فى شهواته وأهوائه وملذاته فيحتاج إلى هداية أخرى تصحح خطأ العقل وتلك هداية الدين .

فقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته وملذاته حتى توررده موارد الهلكة ، وحينئذ يكون فى حاجة إلى هداية تضبط مشاعره وأهواءه وتمنعه من الاعتداء على حقوق الآخرين .

وقد أودع فى غريزة كل إنسان الشعور بسلطة غيبية تسير الأكوان وتنظم حركتها فى الحياة وينسب إليها كلَّ ما لا يعرف له سبب ، وتوحى إليه بأن له حياة وراء حياته الدنيا الممدودة ولن يستطيع بتلك الهدايات تحديد ما يجب عليه نحو صاحب هذه السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هداياته فى الدنيا وما فيه سعادته فى حياته الثانية .

إذن فهو فى أشد الحاجة إلى هداية الدين وقد منحه الله إياها فأرسل الرسل وأنزل الكتب وذكرها فى كثير من آيات القرآن الكريم ، منها قوله – تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد/١٠

أى طريق السعادة والشقاوة والخير والشر وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ .. ﴾ فصلت/١٧ . أى دللناهم على طريقى الخير والشر . وهذه الهدايات التى مر ذكرها لا يحتاج الإنسان أن يسأل الله إعطاءها

فهى منحة منه سبحانه ـ وتعالى ـ لكل إنسان ولكنه فى حاجة إلى أن يسأل دوامها ، ويسأل نوعاً آخر من الهداية هى : هداية المعونة والتوفيق للسير فى طريق الخير دائماً ، وهى المقصود من قوله ـ تعالى : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

وأصل صاد الصراط سين قلبت صاداً لتطابق الطاء فى الإطباق . قال الراغب فى مفرداته السراط الطريق المستسهل أصله من سرطت الطعام وزردته . أى ابتلعته .

فقيل سراط ، تصوراً أنه يبتلعه سالكه ، أو يبتلع سالكه ص٣٣٧ المفردات فى غريب القرآن .

والمعنى : دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ . لهذا فهى هداية خاصة يراد بها الإعانة والتوفيق للسير فى طريق الخير دائماً ويعبر عن هذا المعنى أيضاً بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ الأنعام/٩٠ .

وأما الهدايات السابقة فهى بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الإنسان على رأسى طريق أحدهما مهلك والآخر منجى مع بيان ما يؤدى إليه كل منهما ليختار الطريق المنجى الموصل إلى السعادة وقد عبر المفسرون عن هذه الهدايات بهداية البيان والإرشاد ، ومما ذكر يتبين أن للهداية فى القرآن الكريم معنيين :

الأول : البيان والإرشاد وهى بهذا المعنى تسند إلى الله وإلى النبى وإلى الوعاظ والمرشدين قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى/٥٢ .

الثانى : التوفيق والمعونة للسير فى طريق الخير دائماً وهى بهذا المعنى لا تسند إلا إلى الله . قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ القصص/٥٦ .

والهداية المنفية عن النبى هنا هى : هداية التوفيق والمعونة . والهداية المثبتة له هى : هداية البيان والإرشاد فلا تناقض ولا تعارض بين الآيتين .

وإنما قال : ﴿ **اهدنا** ﴾ ولم يقل اهدنى بياء المتكلم رمزا إلى أن المسلمين جميعا متعاونون فلا ينبغى أن يدعو أحدهم لنفسه دون أن يدعو لغيره من هذه الأمة .

والمعنى الأصلى للصراط : هو : الطريق الحسى يذكر ويؤنث ، فتقول الطريق سلكته وسلكتها ، وفى المراد منه أقول : فقد روى أنه كتاب الله . عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « الصراط المستقيم . كتاب الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » وقيل هو الإسلام . وعن ابن الحنفية أنه دين الله الذى لا يقبل غيره .. وعن النواس بن سمعان عن النبى ﷺ قال : « **ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا . وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله والداعى من فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مسلم** » ابن كثير بتصرف . ص٤٣ جـ١ .

وعلى ضوء هذا الحديث نستطيع أن نقول الصراط المستقيم هو جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم من جهتى العلم والعمل وهو بهذا المعنى يشمل كل ما ورد من كلام المفسرين .

والمستقيم .. صفة لـ « الصراط » وهو الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، والوصف بالاستقامة لا ينطبق إلا على وحى الله ومنهجه ، فمناهج الأرض كلها منحرفة لا توصل إلى سعادة الدنيا والآخرة . وقد بين الله هذا الصراط المستقيم بقوله : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

فصراط الذين .. بدل من الصراط المستقيم وليس ذلك بتكرار ، لأن الصراط الأول : بيان للمكان المهيأ للسلوك ، والثانى بيان للسالكين ، وفى هذا بيان لطوائف الناس أمام قبول الحق والعمل به : منعم عليهم ، ومغضوب عليهم ، وضالون . فالمنعم عليهم هم : الذين اتبعوا منهج الله وأخذوا بتعاليمه كلها من شعائر تعبدية وشرائع عملية وأخلاق . وهم المقصودون بقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النساء/٦٩ . وأما المغضوب عليهم فهم : الذين حادوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله سليماً من التحريف والتبديل فرفضوه ولم يتقبلوه .

وأما الضالون ، فهم : الذين لم يعرفوا الحق ألبتة أو عرفوه محرفا مبدلا .

وقد جاء فى التفسير بالمأثور أن المغضوب عليهم هم : اليهود ، والضالون : هم النصارى .

قال ابن كثير : فعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم قال : اليهود قلت والضالين ، قال : النصارى .. ص٤٦ جـ١ وجاءت روايات كثيرة بهذا المعنى . ولكن الصحيح ما ذكر فى المراد بالمغضوب عليهم والضالين ، ويدخل فيهم : اليهود والنصارى دخولا أولياً ، لأن كل الكفار مغضوب عليهم وضالون .

وبعـــد :

فقد تبين لك أيها القارىء أن سورة الفاتحة جمعت مقاصد القرآن الكريم كله ، أجملها الله فى سبع آيات قصار . فكانت هذه السورة جديرة بأن تقرأ فى كل ركعات الصلاة ولا تصح بدونها صلاة .

وقد ورد فى صحيح مسلم من حديث العلاء ابن عبدالرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهى خداج - الخداج - الناقص - ثلاثاً غير تمام ، فقيل لأبى هريرة : إنا نكون وراء الإمام قال : إقرأ بها فى نفسك . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد « الحمد رب العالمين » قال الله حمدنى عبدى ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله أثنى علىّ عبدى فإذا قال « مالك يوم الدين » قال : مجدنى عبدى وقال مرة : فوض إلى عبدى ، فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين »قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

ولفظ « آمين » ليس من الفاتحة ، ومعناها استجب .

قواعد السلوك الاجتماعى فى سورة الحجرات

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمى *

لقد أنزل الله – سبحانه وتعالى – على نبيه الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قرءاناً هادياً ومبشراً ونذيراً ومعلماً ومؤدباً وحاثاً على مكارم الأخلاق ناهياً عن مساوئها .

وقد كنت فى كل مرة تخطر على بالى آية من سورة الحجرات أو أقرأ هذه السورة فى أثناء قراءتى للقرآن الكريم أقف عندها متأملاً ما اشتملت عليه من قواعد السلوك الاجتماعى التى ينبغى أن يتأدب بها الناس فى تعاملهم وتحاورهم .

وكنت أعجب ممن يظن أن (الإتيكيت) أو قواعد السلوك الاجتماعى من مبتكرات الحضارة الغربية الحديثة ومن مظاهر تقدمها .. فإذا هذه القواعد موجودة من قبل فى القرآن الكريم وقد قرأها المسلمون وعملوا بها منذ أنزل القرآن على سيد الخلق ﷺ ، فمازال أفاضل الناس يلتزمون بها .

وقد عزمت بعون الله – تعالى – أن أسجل مايفتح الله به علىَّ من هذه القواعد مستمداً من سورة الحجرات مايتضمن مكارم الأخلاق ومقتضيات الأدب .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الحجرات

يخاطب الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين من عباده ويؤدبهم ويعلمهم مايجب عليهم اتباعه من قواعد السلوك الاجتماعى القويم فى حضرة نبيه الكريم بما يتفق مع ماينبغى لمقامه ﷺ من توقير واحترام وتبجيل وتعظيم .

أولًا : ينبغى أن لايأخذ أحد منهم زمام المبادرة فى تناول أى أمر من الأمور بالحديث مالم يبدأ الرسول – عليه الصلاة والسلام – بالحديث فيه أو السؤال عنه ؛ أو التوجيه فيه بما يراه ، وأن لا يفتأتوا على الرسول ﷺ بالفتوى فى أمر من أمور الدين أو المشورة فى أمر من أمور الدنيا . فهو – عليه الصلاة والسلام – سيد المجلس ولا يتكلم أحد فى مجلسه إلا بإذن منه .

* عضو مجمع اللغة العربية

وقد قرن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الالتزام بهذا الأدب بالتقوى ، فجعله أمارة من أماراتها ، وأخبر عباده بأنه سميع لما يقولون ، عليم بما يدور فى نفوسهم وما يسرونه من أحاديثهم ونياتهم فهم تحت رقابة الله ـ سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾

ففى هذه الآية نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرفعوا أصواتهم بالحديث فى نبرة تعلو على صوت النبى ﷺ ؛ وإذا خاطب النبيُّ ﷺ أحداً منهم سراً فيتعين إن لا يجهر بالجواب ، إذ لو أراد النبى ﷺ منه الجهر بالجواب لجهر ﷺ بالسؤال ، وإن الإجابة علناً عن سؤال مهموس دليل الحماقة والطيش ، وهو لا يحسن بين الناس بعضهم بعضاً وبخاصة عند مخاطبة الرؤساء أو كبار القوم .

وينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين عن الجهر فى خطاب الرسول ﷺ كما يجهر بعض الناس لبعض ، بل أن يخاطب المرء من هو أعلى منه درجة أو أكبر سناً بهدوء وأدب وبصوت معتدل لا يكون خفيضاً إلى درجة لا يعرب عما يريد قوله ، ولا يكون عالياً حتى يزعج من يستمع إليه أو يلفت انتباه من يكون قريباً منه .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ إساءة الأدب فى المخاطبة سبباً فى إحباط العمل من حيث لا يشعر الإنسان .

فقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه لما نزلت هذه الآية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ... ﴾ الآية كان الصحابى ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا الذى كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله ﷺ : أنا من أهل النار ! حبط عملى ، وجلس فى أهله حزيناً ففقده النبى ﷺ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا : تفقَّدك رسول الله ﷺ ... مالَك ؟ فقال : أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ وأجهر له بالقول ، حبط عملى ، أنا من أهل النار .. فأتوا النبى ﷺ فأخبروه بما قال . فقال لهم النبى ﷺ : « لا بل هو من أصحاب الجنة » قال أنس رضى الله عنه : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة : فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكسار (أى الانهزام) فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه وقال : بئس ما نعودون أقرانكم .. فقاتلهم حتى قتل ـ رضى الله عنه .

وذكر ابن جرير الطبرى رحمه الله أن النبى ﷺ قال له : « ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ فقال : رضيت ببشرى الله ورسوله ﷺ لا أرفع صوتى أبداً فوق صوت رسول الله ﷺ .

وكما التزم المؤمنون بعدم رفع أصواتهم بحضرة رسول الله ﷺ فقد التزموا أيضاً بخفض أصواتهم عند قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه معظَّم حياً كما هو معظَّم فى (مقامه) .

وقد كره العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان الصحابة يكرهون ذلك فى حياته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾ .

وأثنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على من يخفضون أصواتهم بحضرة رسول الله ﷺ وجعل ذلك علامة على عمران قلوبهم بالتقوى

وقد التزم صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأدب وندم من كان منه خلاف ذلك على فعله وتاب إلى الله منه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ سورة الحجرات

وفى هاتين الآيتين الكريمتين ذم القرآن الكريم من ينادون رسول الله ﷺ وهو فى داره ، أو وهو مشغول عنهم ، وكان بعض الأعراب يفعل ذلك فهم قد تعودوا على نداء بعضهم بعضاً برفع أصواتهم وفى خطاب بعضهم بعضاً وكان ينادون بعضهم بعضاً بأسمائهم المجردة دون ألقاب ، وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده وابن جرير الطبرى فى تفسيره أن هذه الآية قد نزلت على أثر قيام (الأقرع بن حابس) وهو أعرابى من سادة بنى تميم بمناداة رسول الله ﷺ وهو فى بيته قائلًا : يا محمد يا محمد !! وفى رواية : يا رسول الله . فلم يجبه رسول الله ﷺ فقال الأقرع : إن حَمدى لَزَيْن وإن ذَمى لَشَيْن فقال رسول الله ﷺ : « ذلك الله عز وجل »

وقد أرشد الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين إلى ما ينبغى إتباعه عند رغبتهم فى متابعة النبى ﷺ أو التحدث إليه ، فأوصاهم بأن ينتظروا حتى يخرج إليهم من بيته ، أو يفرغ من شغله ، أو ينفتل من صلاته ؛ فذلك خير لهم من أن يزعجوا النبى ﷺ بندائهم ، وأخبر ـ سبحانه وتعالى أنه غفور رحيم فهو يغفر برحمته لمن غفل عن الالتزام بهذا السلوك قبل أن يعرف وجوب الالتزام به .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾

يوجه ـ الله سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين إلى وجوب التبين والتثبت من حقيقة ما يبلغهم من أخبار ، وما يصل إليهم من إشاعات ؛ فلا يتسرعوا فى البناء على هذه الأخبار أو ترديد هذه الإشاعات قبل التأكد من حقيقتها وصدقها حتى لايتصرفوا تصرفاً خاطئاً مبنياً على الظن السىء فيندموا على تصرفهم .

وقد أخرج الإمام أحمد وابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم وقتادة أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط إلى بنى المصطلق ليصدقهم (أى ليجمع صدقاتهم) فلما أقبل عليهم تلقوه بالصدقة فظن أنهم جاءوا ليهاجموه فرجع إلى النبى ﷺ فقال : إن بنى المصطلق جمعت لك لقتالك ، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام : فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلًا فبعث عيونه فجاءوا إليه وأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى مايعجبه .. فرجع إلى النبى ﷺ فأخبره الخبر فنزلت هذه الآية الكريمة .

قال تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾

وبعد أن أوصى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بالتثبت والتأكد من حقيقة الإشاعات والأخبار أخبرهم بأن فيهم رسول الله ﷺ وهو يرشدهم ويدلهم على الصواب بما يلهمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو بما يوحى إليه وأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو أطاع صحابته فى كثير من الأمور التى قد يظنون فيها خيراً لسبَّبَ لهم ذلك العنت والمشقة ، ولا أرهقهم بالالتزامات التى قد تترتب على مايظنونه .

وامتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده بعد ذلك بأنه لطف بهم فحبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم بما يدعو إليه من التثبت والصبر والتحلى بمكارم الأخلاق ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان لما فيها من نزق وتمرد وعجلة .

ثم قال ـ تعالى ـ بعد ذلك :

﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أى أن ما بينه لهم الله من التثبت واليقين هو فضل من الله عليهم ونعمة أولاهم إياها فهو عليم بأحوالهم حكيم فى مايقدره عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

يرشدنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى ماينبغى عمله عندما تحتدم الخلافات بين المسلمين وتشتعل الفتن بينهم حتى تؤدى إلى اقتتالهم فدعانا إلى أن نسعى بالصلح بين المفتتين المتقاتلين والعمل على وقف إطلاق النار .. ليتم التفاهم والتباحث فى موضوع الخلاف فى جو سلمى وبعد بحث موضوع الخلاف يحكم المحكمون فيه بما يرونه محققاً للحق والعدل .

ويجب على الطرفين المتقاتلين قبول الحكم والالتزام به ؟ ؛ فإن بغت إحدى الفئتين وأبت أن تذعن للصلح فينبغى فى هذه الحالة على الوسطاء أن يقاتلوهم حتى يذعنوا للصلح ويلتزموا به .

وفى هذه الآية بيان عوامل ما ينبغى عمله فى حسم الخلافات والقضاء على أسباب المنازعات .

فأولًا : يبدأ العمل بالسعى للإصلاح بين الطرفين المتنازعين قبل استفحال الخلاف بينهما .

ثم إذا تطور الخلاف إلى قتال وجبت المبادرة إلى وقف إطلاق النار .

ثم بعد ذلك يكون العمل على حل الخلاف واتخاذ قرار فيه يكون متسماً بالعدل وعدم التحيز

ولذلك أوجب الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون الصلح متسماً بالعدل .

. وبعد أن يتم الصلح العادل ينبغى أن يلتزم به الطرفان المتنازعان بصدق وإخلاص وحسن نية وتصميم على حفظ السلام والوئام ، فإذا انتكس أحد الطرفين يتعين إلزامه بالرجوع إلى الحق والعودة إلى الصواب وإلى الصلح المتفق عليه بقوة السلاح إن لم يُجْد معه النصح والإرشاد .

لو اتبع المسلمون مانَصَّ عليه القرآن الكريم فى حسم الخلافات بينهم لما رأينا ما نشب من حروب بين الدول الإسلامية ، أو بين الدول والشعوب ، ولما نتج عن هذه الحروب خسائر فادحة فى الأرواح والأموال والعتاد ، والنكسات الاقتصادية واستمرار الخلاف والاضطراب فى أنحاء العالم الإسلامى .

(للحديث بقية)

حرمة المساجد وصيانتها

أ.د/ محمود سالم الخطيب (*)

● روى أبو داود قال :

حدثنا عُبد الله بن عُمر الْجَشَمِى ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حَيْوَةَ ـ يعنى ابن شريح ـ قال : سمعت أبا الأسود ـ يعنى محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ـ يقول :

أخبرنى أبو عبد الله ـ مولى شداد ـ أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ سمع رجلًا ينشد ضَالَّةً فى المسجد فَلْيَقُلْ : لا أدَّاها الله إليك ، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا »(1)

● وروى ابن ماجه ـ بسنده إلى سليمان بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : صَلَّى رسول الله ﷺ ، فقال رجل : مَنْ دَعَا إلى الجمل الأحمر ؟ فقال النبى ﷺ :

« لا وجدتَهُ ؛ إنما بُنِيَتْ المساجدُ لما بُنِيَتْ له » .

● وروى ابن ماجه بسنده إلى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه : أن رسول الله ﷺ نهى عن إنشاد الضالة فى المسجد .

---

(1) سنن أبى داود 1/111 ط . مصطفى الحلبى سنة 1371 .

(2) سنن ابن ماجه 1/252 ط. عيسى الحلبى 1372 .

* الكاتب : أستاذ مساعد بأصول الدين ـ طنطا ـ جامعة الأزهر .

اللغـــة :

يَنْشُدُ ضالة : يطلبها من النشيد ، وهو رفع الصوت بطلب ما يريد .

الضالة : الضائعة من كل ما يقتنى من الحيوان وغيره يقال : ضَلَّ الشيء إذا ضاع ـ وهى فى الأصل فاعلة ـ وتقع على الذكر والأنثى ـ والاثنين والجمع ـ وتجمع على ضَوَالّ ـ والمراد بها فى الحديث: الضالة من الإبل والبقر مما يحمى نفسه ويقدر على الإبعاد فى طلب المرعى والماء وليس الغنم . [النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير] .

هدى نبوى كريم يربى رسول الله ﷺ أتباعه من المسلمين عليه ، ويؤدبهم بآداب الإسلام ويرشدهم إلى آداب المساجد ـ خاصة ـ مبيناً لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن المساجد ليست لإنشاد الضالة ولا للإعلانات التى يريدها أى إنسان لنفسه ، وإلا خرجت عما بنيت له ، وأقيمت من أجله ، فالمعروف فى الإسلام أن النبى ﷺ حين هاجر إلى المدينة كان أول ما عمله هو شراء أرض لتكون مسجداً لإقامة الصلاة التى هى الركن المهم فى الإسلام ، والركن الفارق بين المسلم والكافر بربه .

وحَثَّ ﷺ على الصلاة ، وكان ـ من آخر وصاياه ـ عليه الصلاة والسلام : « الصلاة ... الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » .

[أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ، وكذا الإمام أحمد] .

ولذلك دعا النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من يغدو إلى المسجد أن يحرص على آدبه من طهارة ونظافة ثوب ونظافة بدن وتطيب واستياك ؛ حتى لايتأذى منه أحد ، ولكى ينتفع بما فى المسجد من صلاة أو عظات أو خطب أو دروس ينتفع بها أو حلقات تناقش ما فيه خير الإسلام .

ومن يخرج عن هذه الآداب ، ويتخذ من المسجد مكاناً يعلن فيه أو منه على عرض دنيوى يريده كإنشاد ضالة مفقوده من إبل أو بقر أو غنم أو إعلان عن بضاعة من ثياب أو أموال أو ذهب أو خلافه أو أى أمر دنيوى يهمه الإعلان عنه فقد خرج عن رسالة المسجد الذى بنى من أجلها ؛ ومن ثم استحق الدعاء عليه بألا يحقق الله طلبه ، فلا يجد ما ينشده .

وفى الحديث : « أيها الناشد غير الواجد » والحديث وإن لم يكن قوياً ، فإنه يعمل به فى فضائل الأعمال .

وفق الله المسلمين للسير على كتاب ربهم والتمسك بآداب دينهم ـ فيعطوا للمساجد حقها من الوقار والسكينة والبعد عما يتعلق بغير وظيفتها .

ويؤخذ من هذا الحديث حرص الإسلام على آداب المساجد وعلى أن يؤدى المسجد رسالته التى بنى من أجلها ـ والواجب على كل مسلم أن يعنى بحق المساجد ؛ فإنها بيوت الله ـ كما قال تعالى **﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾** [سورة الجن] .

فى الحديث القدسى : « **إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره** » .

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

المبحث الأول
أركان التأمين

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

ومن خلال تعريف التأمين يتضح لنا أنه يقوم على أركان أربعة ، ربما يعبر بعض الفقه عنها بالشروط ، وهذه الأركان هى :

أولاً : الخطر

ثانيا : القسط .

ثالثا : مبلغ التأمين .

أى ما يلتزم به المؤمن عند تحقق الخطر المؤمن منه وسوف نعرف بكل منها فى مطلب على حدة .

المطلب الأول
الخطر فى عقد التأمين

وبيان الخطر فى عقد التأمين يقتضى تعريفه وبيان عناصره ، ثم بيان أنواعه ، والشروط الفنية للخطر ، ونخصص لكل موضوع فرعا .

الفرع الأول
تعريف الخطر وبيان عناصره

يعتبر الخطر أهم عنصر فى التأمين ، وهو محل التزام كل من المؤمن له والمؤمن ، فالمؤمن له يلتزم بدفع الأقساط فى مقابل تأمين نفسه من الخطر ، والمؤمن يلتزم بدفع مبلغ التأمين لتأمين المؤمن له من الخطر .

ويعرف الخطر بأنه : « كل حادث محتمل الوقوع لا يتوقف وقوعه على محض إرادة المؤمن أو المؤمن له ، أو المستفيد من التأمين »(١) .

ويتضح من هذا التعريف أن للخطر فى التأمين معنى خاصا يختلف عن معناه العام فى فقه

---

(١) د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ١٣٩ ، د. محمد كامل مرسى ، فقرة ٢٥ ء د. عبدالودود يحيى ــ ص ٣٣ ، د. محمد على عرفة ص ٢٧ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص ١١٥ ، د. عبدالرازق فرج ــ ص ٤٠ ، د. توفيق فرج ــ ص ٢٠ ، د. نزيه المهدى ــ ص ١١٣ ــ الوسيط للسهورى ــ السابق فقره ٥٦١ ، د. محمد حسام ــ ص ١٨٢ ، وبيكار وبيسون ــ فقرة ٢٢ ، ومازو ــ فقرة ١٥٤٦ ، وقارن : د. عبدالحى حجازى ، فقرة ٣٢ ويلاحظ أن فكرة الخطر فى مجال التأمين أوسع من فكرة الخطر فى القانون المدنى بصفة عامة ، فالخطر المؤمن منه لا يتمثل فى الهلاك بقوة قاهرة فحسب ، ولكنه يتمثل ـ أيضا ـ فى الهلاك لأى سبب آخر ، د. محمد كامل مرسى ــ فقرة ٢٧ .

القانون المدنى ، حيث يقتصر الأخير على ما يهدد الإنسان من أحداث تعتبر ضارة به ، بينما هو فى التأمين يشمل مع ذلك التأمين ضد حادث سعيد كالزواج ، وفيه يتقاضى المؤمن له مبلغا إذا ماتزوج قبل بلوغه سنا معينة ، وهناك تأمين المهر ، ويكون المستفيد فيه أحد أولاد المؤمن له إذا عاش إلى تاريخ معين وهو غالبا ما يكون سن الزواج ، وهناك التأمين لحال البقاء ، وهكذا كان الخطر فى التأمين شاملا لكل تلك الأنواع[٢].

عناصر الخطر :

ومن تعريف الخطر تبدو عناصره متمثلة فى أنه : حادث محتمل الوقوع ، ولا يتوقف وقوعه على محض إرادة المؤمن أو المؤمن له أو المستفيد من التأمين ، وبشرط أن يكون المحل الذى يمكن أن يرد عليه الخطر مشروعا .

العنصر الأول : الخطر حادث محتمل الوقوع :

والاحتمال فى الخطر يفترض أن يكون الحادث المكون له مستقبلا ، وأن يكون غير محقق الوقوع[٣].

أولا : الخطر حادث مستقبل :

يجب أن يكون الخطر المؤمن منه حادثا مستقبلا ، بمعنى أنه كان الخطر قد وقع عند إنعقاد العقد ، أو كان قد زال فإن عنصر الاحتمال يتخلف ويكون التأمين قد ورد على غير محل ، ومن ثم يكون عقد التأمين باطلا ، مثل أن يؤمن شخص على حياة شخص آخر يكون قد مات قبل عقد التأمين ، أو يقوم بالتأمين على منزل من الحريق ويكون ذلك المنزل قد احترق بالفعل .

الخطر الظنى :

وقد ثار تساؤل فى الفقه عما إذا كان يجوز التأمين من الخطر الظنى ، وهو ذلك الخطر الذى يكون قد تحقق بالفعل دون أن يعلم به كل من المتعاقدين أو أحدهما ، فهل يجوز التأمين فى تلك الحالة ويقع صحيحا[٤].

بالنظر فى المادة (٢٠٧) من التقنين البحرى المصرى نجد أن هذا النوع من التأمين لا يكون باطلا إلا إذا كان المؤمن له عالما وقت العقد بهلاكها من قبل . تقول المادة : كل (سيكورتاه) أى تأمين » عملت بعد هلاك الأشياء المؤمنة أو بعد وصولها ، تكون لاغية إذا

(٢) راجع فى معانى الخطر بصفة عامة ، والخطر فى التأمين بصفة خاصة : د. محمود سمير الشرقاوى ــ المرجع السابق ــ ص ١٠ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين ص ١١٥ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠١ ، السنهورى فقرة ٥٥٩ ص ١٢١٩ .

(٣) ويسمى ـ أيضا : حادث غير محقق الوقوع ، راجع : نزيه المهدى ، ص ١١٤ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ٤١ ، د. محمد كامل مرسى ، ص ٢٢ ، د. محمد على عرفة ــ ص ٢٨ ، د. أحمد شرف الدين ــ السابق .

(٤) د. عبدالرازق حسن فرج ــ ص ٤١ ، د. حسام الأهوانى ص ٤٤ ، د. محمود سمير الشرقاوى ــ محاضرات فى عقد التأمين ص ١٢ ــ طبعة ١٩٦٨ م .

ثبت أن المؤمن له كان عالما بهلاكها أو ثبت أن المؤمن كان عالما بوصولها أو إذا دلت قرائن الأحوال على أنهما يعلمان ذلك قبل وضع الإمضاء على مشارطة « السيكورتاه » أى التأمين(٥).

ومفهوم المخالفة لهذا النص يدل على أن المؤمن له إذا لم يكن عالما بهلاك الأشياء المؤمن عليها ، فإن التأمين يقع صحيحا حتى ولو كان الخطر المؤمن منه قد وقع وقت إبرام عقد التأمين .

ذلك بالنسبة للتأمين البحرى ، أما التأمين البرى فإن الأمر فيه مختلف فقد كانت المادة « ١٠٣٨ » من التقنين المدنى تنص على أنه : يقع عقد التأمين باطلا إذا تبين أن الخطر المؤمن منه كان قد زال أو كان قد تحقق فى الوقت الذى تم فيه العقد ، وكان أحد الطرفين على الأقل عالما بذلك ، ولكن لجنة المراجعة إنتهت فى مشروعها النهائى إلى حكم مخالف ، فحذفت عبارة : « وكان أحد الطرفين على الأقل عالما بذلك » وأصبح نصها فى المادة « ٨٧٢ » من المشروع النهائى مقتصرا على أنه : « يقع عقد التأمين باطلا إذا تبين أن الخطر المؤمن منه كان قد زال ، أو كان قد تحقق فى الوقت الذى تم فيه العقد » .

وقد وافق مجلس النواب على ذلك ولكن لجنة القانون المدنى فى مجلس الشيوخ قد حذفت هذا النص لتعلقه بمسائل تفصيلية يحسن أن تنظمها قوانين خاصة(٦).

ولا شك أن الخطر المؤمن منه هو أحد أركان التأمين الأساسية وإذا وقع الخطر قبل إبرام العقد يكون التأمين قد فقد ركنا من أركانه الأساسية وبالتالى يقع باطلا .

ولايسوغ قياس الخطر هنا على نظيره فى التأمين البحرى ، حيث يجوز فى قانون التجارة البحرى ، التأمين من الخطر الظنى كما رأيناه ، لأن الجواز هنا لا يعدو أن يكون استثناء من قاعدة عامة . والإستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه .

وقد أبيح هذا الاستثناء فى تلك الحالة لعلة خاصة تتمثل فى أن السفينة فى الغالب تكون بعيدة عن الطرفين عند إبرام العقد ، وهى فى عرض البحر أو المحيط يصعب مع بعدها معرفة وقوع

---

(٥) وقد الغى هذا النص بالمادة (١/٣٥٠، ٢) من قانون التجارة البحرى المصرى بما لا يخرج عن هذا المعنى ، حيث تنص الفقرة الأولى من المادة المذكورة على أنه : « يقع باطلا التأمين الذى يبرم بعد هلاك الأشياء المؤمن عليها ، أو بعد وصولها إذا ثبت أن نبأ الهلاك أو الوصول بلغ قبل إبرام العقد إلى مكان توقيع العقد أو إلى المكان الذى يوجد به المؤمن أو المؤمن له » ، والمشرع هنا يفترض أن مجرد وصول نبأ الهلاك أو الوصول ، قبل إبرام العقد إلى مكان توقيع العقد ، أو المكان الذى يوجد به المؤمن له أو المؤمن ، أفترض علم الأول بوقوع الخطر أو علم الثانى باستحالة وقوع الخطر بحسب الأحوال ، فيقع العقد باطلا فى هذه الحالة ، أما إذا عقد التأمين على شرط الأنباء السارة أو السيئة ، فقد نصت الفقرة الثانية من المادة (٣٥٠ بحرى مصرى) : « على أن العقد لا يبطل إلا إذا ثبت يقينا علم المؤمن له شخصيا بهلاك الشىء المؤمن عليه أو علم المؤمن شخصيا ، بوصول هذا الشىء ، وذلك قبل ابرام العقد فى الحالتين » ، ويستفاد من هذا النص أن العقد ينعقد صحيحا حالة تضمنه شرط الأنباء السارة أو السيئة ، إن كان المؤمن له لا يعلم بوقوع الخطر ، أو كان المؤمن لا يعلم باستحالة وقوع الخطر وقت إبرام العقد ، وفى هذه الحدود يقع التأمين من الخطر الظنى صحيحا » ، راجع : د. عبدالحى حجازى ــ فقرة ٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص ١١٧ وما بعدها والوسيط ــ فقرة ٥٩٨٠ ، د. محمد على عمران ، ص ٢٤ ، وما بعدها ، د. توفيق فرج ــ ص ٢١ ، د. عبدالمنعم البدراوى فقرة ١٣٢ ، د. عبدالرازق فرج ص ٤٢ .

(٦) مجموعة الأعمال التحضيرية ــ جـ ٥ ــ ص ٢٢٣ بالهامش ، وراجع : د. عبدالرازق فرج ــ المكان السابق .

الخطر أو عدم وقوعه ، والأمر مختلف فى التأمين البرى الذى يسهل معه معرفة ما إذا كان الخطر المؤمن منه قد زال أوتحقق فعلا وقت إبرام العقد[٧].

ثانيا : الخطر حادث غير محقق الوقوع :

وهذا يعنى أن الخطر يجب أن يكون وقوعه غير محتم ، بمعنى أنه قد يقع أو لا يقع ، أو أن يكون وقوعه محتما ولكنه مضاف إلى أجل غير محتم ، بأن كان وقت وقوعه غير معروف ، مثل التأمين على الحياة لحالة الموت ، فالموت محقق ولكن وقت وقوعه غير معروف .

ويترتب على ذلك أن الخطر إذا كان مستحيل الوقوع ، فإن التأمين يقع باطلا سواء كانت الاستحالة مطلقة أو نسبية ، والاستحالة المطلقة تتعلق باستحالة تحقق الخطر بحكم قوانين الطبيعة ، كالتأمين ضد سقوط كوكب من الكواكب ، والتأمين فى مصر ضد خطر الجليد ، وأما الاستحالة النسبية ، فهى تعنى عدم استحالة الخطر فى حد ذاته وإنما يكون محتملا طبقا لقوانين الطبيعة والمشاهدات والتجارب فى حالة معينة وفى فرض معين ، مثل أن يمتنع وقوع الخطر لهلاك الشيء المؤمن عليه ، أو وقوع الخطر قبل التأمين ، أو وصول البضاعة سالمة بالفعل[٨].

العنصر الثانى : عدم توقف وقوع الخطر على محض إرادة أحد طرفى العقد :

إذا كان تحقق الخطر متوقفا على محض إرادة أحد الطرفين فإن عنصر الاحتمال ينتفى ، ويصبح تحقق الخطر رهنا بمشيئة هذا الطرف ، ولهذا فإنه لا يجوز التأمين من الخطر العمدى ، لأن تحقق الخطر فيه مرجعه إرادة المؤمن له ، والعمد يعدم الخطر وبالتالى تنتفى فكرة الاحتمال الذى هو أساس الخطر .

هذا بالاضافة إلى أن منع التأمين من الخطأ العمدى يقوم على اعتبارات تتعلق بالنظام العام والآداب ، إذ لو أجاز المشرع هذا النوع من التأمين لكان فيه تسهيل لسبل الغش والتدليس لكل مستأمن وتيسيرا لاعتداء الأفراد بعضهم على بعض من جراء هذا المسلك ، وقد نصت على عدم جواز التأمين من الخطر العمدى المادة (٢/٧٦٨)

---

(٧) د. أحمد شرف الدين ــ ص ١١٨ ، د. عبدالحى حجازى ــ ص ٤٥ ، السنهورى ــ الوسيط السابق ــ فقرة ٥٩٩ ، د. محمد على عرفة ــ ص ٢٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ١٣٢ ، د. عبدالودود يحيى ــ ص ٢٨ طبعة ١٩٧٠ ، د. محمد كامل مرسى ، ص ٣٢ ، د. عبدالرازق فرج ــ ص ٤٣ .

(٨) د. محمد على عرفة ص ٢٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ ص ٢٠٠ حيث يرى أن : القول باجازه التأمين من الخطر الظنى يسهل دخول التحايل والغش فى عقد التأمين حين يلجأ شخص ما إلى ابرام العقد بالرغم من سبق تحقق الخطر ويدعى وقت العقد أنه كان يجهل تحقق الخطر وليس من السهل إثبات صحة كلامه فى هذه الحالة .

وراجع : د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٦ ، السنهورى ــ فقرة ٥٥٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى فقرة ١٢٣ ، وبيكار وبيسون ــ فقرة ١٢٣ ، د. عبدالرازق فرج ــ ص ٤٤ .

مدنى بقولها : « أما الخسائر والأضرار التى يحدثها المؤمن له عمدا أو غشا فلا يكون المؤمن مسئولا عنها ولو اتفق على غير ذلك » ، ونص على ذلك المشرع فى المادة (١/٧٥٦) مدنى والتى تقضى ببراءة ذمة المؤمن من التزامه بدفع مبلغ التأمين إذا انتحر الشخص المؤمن على حياته .

فالتأمين ضد الخطأ العمدى غير جائز ، وهو أمر يتعلق بالنظام العام[٩].

التأمين من الخطأ العمدى غير جائز أصلا :

الأصل أن التأمين من الخطأ العمدى غير جائز حيث يرجع الخطر فيه إلى إرادة المؤمن له والعمد يعدم الخطر ، وكذلك فإن منع التأمين على الخطأ العمدى يتعلق باعتبارات تتصل بالنظام العام والآداب ، فلو أبيح هذا النوع من التأمين لكان للمؤمن له أن يحصل على مبلغ التأمين وفى ذلك تسهيل لسبل الغش والتدليس لكل مستأمن ، كما أن فى إجازته ـ أيضا ـ تيسيرا لاعتداء الأفراد بعضهم على بعض وإقبالا على إبرام التأمين وهم ف إطمئنان من الناحية المدنية على الأقل .

لهذا : وتطبيقا لما تقدم جاء نص المادة (١/٧٥٦) مدنى فقرر أنه « تبرأ ذمة المؤمن من التزامه بدفع مبلغ التأمين إذا انتحر الشخص المؤمن على حياته ، ومع ذلك يلتزم المؤمن أن يدفع لمن يؤول إليهم الحق مبلغا يساوى قيمة احتياطى التأمين » .

ثم تضيف الفقرة الثانية من هذه المادة : « فإذا كان سبب الانتحار مرضا أفقد المريض إرادته بقى إلتزام المؤمن قائما بأكمله ، وعلى المؤمن أن يثبت أن المؤمن على حياته مات منتحرا ، وعلى المستفيد أن يثبت أن المؤمن على حياته كان وقت انتحاره فاقد الإرادة ».

وعلى هذا فإن الانتحار يعد عملا عمديا تنتفى معه فكرة الاحتمال ومن ثم فإن حق المؤمن له فى مبلغ التأمين يسقط بسببه .

وفى نفس هذا المعنى ، نصت المادة (١/٧٦٨) من التقنين المدنى فى التأمين من الحريق فقالت : « أما الخسائر والأضرار التى يحدثها المؤمن له عمدا أو غشا ، فلا يكون المؤمن مسئولا عنها ولو اتفق على غير ذلك »[١٠].

ومن ثم كان التأمين من الخطأ العمدى غير جائز ، وعدم الجواز فيه يتعلق بالنظام العام ، حيث إن من شأنه التشجيع على ارتكاب الحوادث والتحريض على ارتكاب الجريمة ، والنص وإن كان واردا فى التأمين من الحريق إلا أنه يشمل غيره من أنواع التأمين لاشتراكها مع التأمين من الحريق ف المبدأ[١١].

---

(٩) د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٤ ، د. عبدالحى حجازى ص ٦٠ وما بعدها ، د. محمد على عرفة ص ٣١ ، د. أحمد شرف الدين ص ١٢٠ .

(١٠) د. عبدالرازق السنهورى ص ١٢٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٥ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين ص ١٢١ وما بعدها .

(١١) ويقصد بالعمد الذى تتكلم عنه المادة (٢/٧٦٨) مدنى مصرى : إرادة الفعل الضار وإدراك نتائجه ، بمعنى أن يتعمد المؤمن له تحقيق الخطر عن طريق فعل إرادى يقع منه ، مع إدراكه أن فعله هذا ، يؤدى مع وقوع الحادثة إلى النتائج الضارة المؤمن ضدها ، راجع : د. أحمد شرف الدين ـ ص ١٢٣ ، د. عبدالحى حجازى ـ فترة ٤٠ ، والوسيط للسنهورى ـ السابق .

جواز التـأمين من الخطـأ العمـدى (استثناء) :

وإذا كان التأمين من الخطأ العمدى غير جائز بحسب الأصل لاعتبارات قدرها المشرع فإنه قد أورد حالات يجوز فيها الخروج على هذا الأصل وتعتبر بمثابة استثناء عليه ومن تلك الحالات :

جواز التأمين على الحياة بسبب الانتحار بشرط وقوعه بعد سنتين على الأقل من تاريخ العقد :

وقـد نصت على تلك الحالـة المادة (٣/٧٥٦) مدنى بقولها : « إذا اشتملت وثيقة التأمين على شرط يلزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين ولو كان انتحار الشخص عن اختيار وإدراك . فلا يكون هذا الشرط نافذا إلا إذا وقع الانتحار بعد سنتين على الأقل من تاريخ العقد ، وفى هذه الحالة يلتزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين كاملا ».

والحكمة فى جواز التأمين فى تلك الحالة ، أن الحرص على الحياة أمر طبيعى فطر عليه كل إنسان ، ولا يفرط فيه إلا من وقع تحت ظروف إنسانية خاصة ، وفى مرور السنتين ما قد يغير الظروف التى دفعت بالشخص إلى التفكير فى الانتحار ، ومن ثم أجازه المشرع فى تلك الحالة[١٢] ليكون مع هذا الشرط قليل الوقوع وجدير بالذكر أن الانتحار محرم فى الشريعة الإسلامية .

الخطأ العمدى الواقع من الأشخاص الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم :

وقد نصت على هذه الحالة المادة (٧٦٩) من التقنين المدنى وهى بصدد الكلام عن التأمين من الحريق فقالت : « يسأل المؤمن عن الأضرار التى تسبب فيها الأشخاص الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ومهما يكون نوع خطئهم ومداه » .

وبمقتضى هذا النص فإن المؤمن يكون مسئولا عن الأضرار التى تقع من فعل الغير الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ، مهما كان نوع الخطأ الذى وقع منهم ومداه ، حتى ولو كان خطؤهم هذا عمديا ، وكذلك فإن ممثلى الشخص المعنوى يسألون عن الخطأ العمد الواقع منهم ، ويعتبر خطؤهم خطأ الشخص المعنوى نفسه .

ويلاحظ أن نص المادة (٧٦٩) عام فيشمل التأمين من المسئولية والتأمين على الأشياء ، فإذا وقع الضرر بفعل من المؤمن له ولو كان عمديا أو بفعل أحد تابعيه فإن هذا لا يحول دون قيام مسئولية المؤمن ، فيظل مسئولا عن الأضرار التى تقع بفعل الغير الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ، وهذا حكم أمر لا يجوز الاتفاق على الخروج عن أحكامه ، وإلا كان هذا الاتفاق باطلا إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو المستفيد (م ٧٥٣) مدنى[١٣].

(١٢) د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٢٨ ، د. محمد حسام ــ ص ١٩٢ وبيكار وبيسون ــ فقرة ٦٧ .

(١٣) د. عبدالرازق حسن فرج ــ ص ٤٨ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٤ والوسيط للسنهورى جـ ٧ مجلد ٢ ص ١٢٢٤ .

والخطأ العمدى الممنوع تأمينه ، هو الخطأ الواقع من المؤمن له نفسه ، وبناء على ذلك فإنه يجوز التأمين ضد خطأ الغير ولو كان عمديا حيث يعتبر هذا الخطأ العمدى فى حالة صدوره من الغير من قبيل القوة القاهرة أو الحادث الجبرى ، كما لو سرق الغير مال المؤمن له أو أصابه بضرر ، فإنه يجوز التأمين ضد هذا الخطأ ، لأن هذا الخطأ لا يتعلق بإرادة المؤمن له بل ضد إرادته ، ومن باب أولى يجوز التأمين من الخطأ غير العمدى الصادر من الغير سواء كان يسيرا أم جسيما[١٤].

ارتكاب الخطأ العمدى أداء لواجب إنسانى أو حماية لمصلحة عامة :

فإذا صدر الخطأ العمدى من المؤمن له نفسه ووجد من الظروف ما يبرر ذلك جاز التأمين عنه ، وتتحقق مسئولية المؤمن ، ويجب عليه أن يعوض المؤمن له ، كما لو ارتكب المؤمن له الخطأ عمدا أداء لواجب إنسانى أو حماية للمصلحة العامة ، كأن يعرض المؤمن له حياته للموت إنقاذا لحياة غريق فيغرق هو أو أن يقوم المؤمن له بإتلاف بعض منقولاته لمنع امتداد الحريق إلى الأجزاء الأكثر قيمة ، أو أن يلقى صاحب الشأن بجزء من بضاعته فى اليم إنقاذا للسفينة من الغرق كما يحصل فى التأمين البحرى ، ففى هذه الحالات يمحو الواجب الانسانى مظنة الغش[١٥].

وفى غير تلك الحالات الثلاثة لا يجوز التأمين من الخطأ العمدى وإنما يجوز التأمين ضد الخطأ غير العمدى الصادر من المؤمن له سواء كان يسيرا أم جسيما ، حيث لا يتوقف الخطر فى تلك الحالة على إرادته وحده ، وإنما يتوقف على عوامل أخرى تسهم فى وقوعه بجانب إرادة المؤمن له ، وقد نصت على ذلك المادة (١/٧٦) بقولها : « يكون المؤمن مسئولا عن الأضرار الناشئة عن خطأ المؤمن له غير المتعمد ، وكذلك يكون مسئولا عن الأضرار الناجمة من حادث مفاجىء أو قوة قاهرة .

العنصر الثالث : مشروعية الخطر :

يشترط فى الخطر المؤمن منه أن يكون مشروعا بمعنى أن تكون المصلحة أو المحل الوارد عليه التأمين قابلا له من الناحية القانونية وغير مخالف للنظام العام والآداب العامة ، فلا يجوز التأمين ضد المسئولية الجنائية ، أو ضد النتائج المالية لهذه المسئولية ، أو ما يترتب عليها من عقوبات مالية كالغرامات ، وسبب ذلك أن مبدأ شخصية العقوبة من النظام العام ، ومن ثم فلا يجوز أن ينتقل عبؤه من المؤمن له إلى المؤمن ، كما لا يجوز التأمين من الأخطار المترتبة على عمليات التهريب لعدم المشروعية ، وكذلك لا يجوز التأمين من الأخطار الناجمة عن الاتجار فى المخدرات أو ممارسة الدعارة ، لنفس السبب كما لا يجوز التأمين على منزل يدار للدعارة أو للمقامرة ، ولا يجوز التأمين على الحياة لمصلحة الخليلة ، كما لا يجوز التأمين إذا لم تكن المصلحة المؤمن عليها إقتصادية

---

(١٤) د. خميس خضر ــ المرجع السابق ص ٣٨٩ .

(١٥) د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٢٩ ، أو إذا ارتكب المؤمن له الخطأ العمدى على سبيل الدفاع الشرعى ، مثل أن يقتل شخص حيوانا مؤمنا عليه بعد أن أصبح يهدد حياته ، راجع : د. عبدالحى الحجازى ــ فقرة ٤٦ ، السنهورى ــ فقرة ٦٠٠

مشروعة ، وقد نصت على ذلك المادة (٧٤٩) مدنى بقولها : « يكون محلا للتأمين كل مصلحة إقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين[١٦].

الفرع الثانى
الشروط الفنية للخطر

استبان لنا أن للخطر شروطا قانونية ، أو عناصر ، تتمثل فى كون الحادث المؤمن منه محتملا ، وألا يتوقف على محض إرادة المؤمن له ، وأن يكون مشروعا[١٧] وبالاضافة إلى تلك الشروط القانونية أو العناصر ، فإن هناك شروط فنية تتمثل فيما يأتى :

١ ــ أن يكون الخطر متواترا .
٢ ــ أن يكون موزعا .
٣ ــ أن تكون المخاطر متجانسة .

ونشير إلى تلك الشروط بالتفصيل الذى تقتضيه الدراسة على النحو الآتى :

أولا : أن يكون الخطر متواترا :

والمراد بالتواتر فى هذا الصدد أن يكون الخطر المؤمن منه قابلا للتحقق بدرجة كافية تسمح لقوانين الاحصاء أن تحدد احتمالات حدوثه .

ونظرا لأن التأمين يقوم بصفة أساسية على فكرة المقاصة بين المخاطر التى هى من نفس النوع ، فلهذا يشترط أن يكون الخطر متواترا ، والتواتر إنما ينظر فيه إلى مجموع المستأمنين مع بقاء عنصر الاحتمال فيه قائما بالنسبة لكل فرد منهم ، والتواتر لا يتنافى مع شرط الاحتمال فى الخطر إذا كان نادر الحدوث أى غير متواتر ، فإن التأمين منه لا يجوز وذلك مثل التأمين فى مصر ضد خطر الصقيع أو خطر البراكين[١٨].

ثانيا : أن يكون الخطر موزعا :

كما يشترط فى الخطر أن يكون موزعا ، فالأخطار التى تصيب عددا كبيرا من الناس فى وقت واحد ، لا يجوز التأمين منها ، وكذلك الأمر بالنسبة للمخاطر التى تصيب عددا كبيرا مع الأشياء فى وقت واحد ــ أيضا ــ فإنها لا يجوز التأمين منها .

وليس معنى كون الخطر موزعا ، أنه يجب أن يصيب عددا كبيرا من المؤمن عليهم ، بل يعنى ألا يصيبهم جميعا فى وقت واحد ، حيث يؤدى ذلك إلى تعذر قيام المؤمن بإجراء المقاصة بين تلك المخاطر ، وإجراء المقاصة من الأسس الفنية التى يقوم عليها التأمين[١٩].

ومن ثم فإن الكوارث الطبيعية التى إذا حدثت عم بلاؤها جميع الناس لا يجوز التأمين عليها ، وذلك مثل التأمين ضد الزلازل ، أو البراكين أو الأزمات الاقتصادية ، أو الحروب أو الثورات الأهلية .

---

(١٦) الوسيط للسنهورى ٧ ــ ١٢٢٨ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ١٣٩ ، د. خميس خضر ، ود. عبدالرازق حسن فرج ص ٥٢ ومابعدها ، ود. حسام الأهوانى ص ٦٧ ، ود. أحمد شرف الدين ص ١٣٦ ومابعدها ، ود. عبدالحى حجازى ، ود. عبدالودود يحيى ص ٤٤ .

(١٧) د. محمود سمير الشرقاوى ص١٣ ، د. عبدالرازق حسن فرج ص ٦١ ، د. أحمد شرف الدين ص ١٣٥ ، د. عبدالحى حجازى ص ٦٥ .

(١٨) د. المنعم البدراوى ــ فقرة ١٤٠ ــ د. عبدالرازق حسن فرج ــ ص ٢١١ .

(١٩) د. عبدالمنعم البدراوى ــ السابق ــ فقرة ١٤١ ، د. عبدالرازق فرج ــ السابق .

ثالثا : أن يكون الخطر المؤمن منه متجانسا :

والمخاطر المتجانسة : هى التى تكون من طبيعة واحدة ، أو هى التى تتماثل فيما بينها ، فإذا لم تكن كذلك فإنه لا يجوز إجراء المقاصة بينها كما أنه بدون التجانس لا يمكن تحديد نسبة إحتمال الخطر المؤمن منه ، ولهذا تنوعت فروع التأمين بقدر تنوع المخاطر ، فهناك التأمين من الحريق ، والتأمين من السرقة ، والتأمين من الحوادث والوفاة والمسئولية ، وداخل كل نوع من هذه الأنواع نجد فروعا متعددة .

والتماثل بين المخاطر يقوم على تناسبها فى القيمة ، بحيث لا يترتب على اختلافها الاضطراب بين ما يلتزم به المؤمن وبين دخله ، كما يقوم على تناسبها فى المدة ، فلا يجوز فى التأمين على الحياة الجمع بين تأمين لمدى الحياة ، وتأمين لمدة محدودة ، أو تأمين لمدة عام وتأمين لمدة عشرين أو ثلاثين عاما .

ومن المؤكد أن شرط التجانس فى الأخطار المؤمن فيها إنما يساعد على تحديد ومعرفة احتمالات وقوع الخطر المؤمن به[٢٠].

(٢٠) د. عبدالمنعم البدراوى — فقرة ١٤٢ ، د. محمد على عمران — ص ٣٥ ، د. عبدالرازق فرج ص ٦٣ .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الشورى

المنهاج الإسلامي في صنع واتخاذ القرار

بقلم لواء ٠٢٠ح / فوزى محمد طايل

يكتب تاريخ الأمم من خلال تتبع القرارات المصيرية التى يتخذها أولو الأمر ؛ فبالقرارات يغير الأقوام ما بأنفسهم فيغير الله مابهم :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[الأنفال : ٥٣]

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ [الرعد : ١١] .

وبرغم أن القرارات تصنع بواسطة القلة ممن يسمون « بالصفوة » ، أو « النخبة » ، ونسميهم فى فقهنا الإسلامى « أهل الحل والعقد » .

وتتخذ القرارات بواسطة فرد واحد ، هو من يتولى منصب القيادة أو الرياسة « فإذا عزمت ... » ، إلا أن آثار القرار تنعكس على المجتمع (دولة ـ شركة ـ جمعية ... إلخ) ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

إن مسئولية القرار على المجتمع أمام الله ـ تعالى ـ تتحدد بناء على موافقتهم الضمنية على ذلكم القرار وموقفهم منه ، لذا نعى القرآن الكريم على المواقف السلبية ، فقال الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

فصفة الفاسقين على طائعى فرعون من المجتمع ، ولم يوصف بها متخذ القرار وحده .

ولكم نحن فى حاجة للتذكرة بالمنهاج الإسلامى فى اتخاذ القرار ، إذ لم يعد خافياً على كل ذى بصيرة أن أحد أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية إهمالنا علم « الإدارة » بصفة عامة ، وضعف أسلوب اتخاذ القرار بصفة خاصة ، ونسيان مايذكرنا به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى هذا المجال .

لقد جاء ـ فى كتاب الله الكريم ـ آية جامعة يستفاد منها الأسلوب الصحيح لاتخاذ القرار ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ سورة آل عمران

وقد بينت سنة رسول الله ﷺ ، بطريقة عملية ، كيفية وضع هذه الآية الكريمة موضع التطبيق ، قبل وبعد نزولها . وقد يتضح هذا جلياً من دراسة قرارات رسول الله ﷺ فى غزوات «بدر» ، «وأحد» ، «والحديبية» ، وغيرها . وقد اتبع الخلفاء الراشدون هذا المنهاج بإحسان .

فإذا عدنا إلى الآية الكريمة نهتدى بما جاء فيها نجد أن اتخاذ القرار يمر بثلاث مراحل :

١ ـ مرحلة ماقبل « العزم » ؛ أى ماقبل حسم الأمر ، وهذه قد نطلق عليها مرحلة صنع القرار من خلال تمحيص البدائل وترتيب الخيارات المتاحة .

٢ ـ مرحلة « العزم » أى مرحلة اتخاذ القرار ، وفيها يحسم الأمر بتحديد الخيار الأفضل من بين الخيارات المطروحة .

٣ ـ مرحلة مابعد « العزم » ؛ وهى مرحلة تنفيذ القرار الذى يكون مصحوباً بالتوكل على الله .

قال ـ تعالى ـ :
﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

ـ المرحلة الأولى :

هى مرحلة مشورة بالدرجة الأولى ، وفيها يأمر الله تعالى نبيّه ﷺ ، وكل من ولى أمراً من أمور المسلمين (صغر موقعه أو كبر) أن ينزل إلى مستوى مستشاريه ، إلى درجة إشعارهم بأنه مجرد واحد منهم ، فيسمح لهم بطرح آرائهم وتمحيص البدائل ، ومقارعة الحجة بالحجة .

وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ومنزلة رسول الله ﷺ وأدب الخطاب معه لا تحول بينهم وبين حرية الفكر ومناقشة الأمور بأمانة ، وبذل أقصى الجهد لسوق الحجة والدفاع عنها .

يقول ابن كثير فى « تفسير القرآن العظيم » : إن فى هذا تأليفاً وتطييباً للقلوب ، ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه . ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .. فإذا ماشاع هذا الجو ، كان مناسباً للسهير قدماً فى المشاورة ، فيقوم كل عضو فى المجلس بعرض ماعنده ، وإقامته الحجة والدليل ، وإبداء المبررات ، وطرح التصورات وبدائلها ، والخيارات وأولوياتها .

وهذا موقف يظن فيه كل صاحب رأى أنه الأقرب إلى الصواب ، بما لديه من علم وخبرات ، وبما يستشعره فى نفسه من أمانة وإخلاص وغَيْرةٍ على المصلحة .. وهو موقف ، برغم سلامة النية ، يستوجب العفو والاستغفار ، لما قد يقع فيه المستشار من كِبْرٍ ، أو من لغو القول ، دون قصد .. ويأتى هذا فى ختام مجلس الشورى وقبل

أن يعلن القرار ... وحرف « الواو » بين الاستغفار والمشاورة لاتفيد الترتيب ، إذ تأتى الشورى أولًا يتبعها العفو والاستغفار .

ـ المرحلة الثانية :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ ... روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ قال : « مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم » .

روى الإمام أحمد : أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما : « لو اجتمعتما فى مشورة ماخالفتكما » .

و(العزم) هنا يعنى فى النهاية « اتخاذ القرار » وهو لايتم إلا بمعرفة من يحمل المسئولية ، ماضياً ـ فى اتخاذ القرار ـ على ماتقدم من خطا نزل بها القرآن الكريم . وعلى ذلك مضى الصدر الأول . وذاك ما ينبغى أن يكون عليه عمل الأمة من بعده ﷺ .

إن القرار عمل فردى ، يقوم به القائد أو الرئيس ، على كل المستويات ، بعد أن تستبين له الأمور ، وتضاء أمامه كل روايا المسألة التى يتخذ القرار لحسمها .

وفى المرحلة السابقة كان يتخذ القرار رأياً لعضوية من أعضاء مجلس الشورى ، وكان يعرض لوجهة نظره ويدافع عنها ، كأى عضو آخر فى المجلس ، فإن وافق الرأى الراجح فى المجلس رأيه لم تكن هناك مشكلة ، أما إذا لم يكن الرأى الراجح موافقاً لرأيه ، فإن عليه أن يقنع أعضاء المجلس بوجهة نظره .

أو يقتنع بضعف حجته ومبررات وجهة نظره ، فيتخذ القرار على مقتضى الرأى الراجح فى مجلس الشورى ... ويقبل مسئوليته عنه .

ـ المرحلة الثالثة :

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ... وهى مرحلة لايُسمح فيها على الإطلاق بإعادة فتح باب الشورى ، ولا بإعادة تحليل الموقف ، وإلا كان التردد ، أو مايطلقون عليه « الشلل الفكرى الناتج عن التحليل » ، فبعد اتخاذ القرار لايكون سوى التوكل على الله ـ تعالى ـ فهذه المرحلة هى مرحلة التوجه لتنفيذ القرار .. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

وقد لايتسع المقام هنا إلا لعرض تطبيق واحد من وحى السنة النبوية الشريفة ، وهو : « اتخاذ القرار فى غزوة أحد » :

لما علم رسول الله ﷺ بمسيرة قريش لقتاله ، وبلوغهم مسافة خمسة أميال من المدينة ، بعث من يتنطس الأخبار ، كى لايتخذ القرار إلا على معلومات مؤكدة أو راجحة ، ثم استشار أهل الرأى فانقسموا إلى قسمين :

ـ رأى يقول : بالتحصن بالمدينة وقتال العدو فيها ، وكان رسول الله ﷺ ممن يميلون إلى هذا الرأى .

ـ رأى يقول : بالخروج إلى العدو ؛ لأن فى الخروج ردعاً له وإظهاراً لشوكة المسلمين . وكان هذا هو الرأى الذى تغلّب فى النهاية ، فاتخذ رسول الله ﷺ القرار على مقتضاه بعد مراجعات ومناظرات .. وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ للمعركة، وأوصاهم بالصبر، فإن النصر معه، ظل البعض يتحاورون ، ويحللون الموقف ، بعد انصراف رسول الله ﷺ ، فقال أسيد بن خضير

وسعد بن معاذ ، وكانا ممن أشاروا بالتحصن بالمدينة ، للذين رأوا الخروج منها : « لقد رأيتم رسول الله يرى التحصن بالمدينة فقلتم ما قلتم واستكرهتموه على الخروج وهو له كاره ، فردوا الأمر إليه ، فما أمركم فافعلوه » . فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ لابساً درعه متقلداً سيفه أقبلوا عليه فقالوا : « ماكان لنا يارسول أن نخالفك ، فاصنع مابدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك ، والأمر إلى الله ثم إليك » ... وهذا يتضمن الدعوة إلى الرأى الأول ، واتخاذ قرار جديد فى أمر قد حسم .

أبى رسول الله ﷺ هذا الموقف وقال : « قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم . وما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . انظروا ما آمركم به فاتبعوه . والنصر لكم ما صبرتم » .

وقد يكون مناسباً أن نوضح فى هذا المقام عدداً من الأمور لايمكن التوجه إلى اتخاذ القرار مالم نحسن ترتيبها وإعدادها ، وعلى قدر مانبذله من جهد فى سبيل إعدادها يكون القرار ، إن شاء الله ، أقرب إلى الصحة :

أول هذه الأمور ـ المعلومات :

فأى قرار لابد له من وضوح للرؤية ، وتبين لأبعاد المسألة التى يتخذ القرار فيها . ولايكتفى فى هذا المجال بمجرد الأنباء ، أو الأخبار ، وإنما يجب تأكيدها من عدة مصادر حتى ترقى إلى مستوى المعلومات ، وقد كان هذا هو مايفعله رسول الله ﷺ قبل اتخاذ أى قرار ، فكان يبعث من يتنطسون الأخبار ، ثم يبعث من يؤكدون هذه الأخبار .

ولعل فى كتاب الله تعالى مايؤيد هذا المنهاج السليم ، فحينما جاء الهدهد لسليمان ـ عليه السلام ـ قائلا :

﴿ .... أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [**النمل** : ٢٢] .

كان رده ـ على ـ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾
سورة النمل

فلم يتخذ سليمان ـ عليه السلام ـ قراره على الأنباء ، مهما كان وصفها ، وإنما سعى لتأكيدها .

والأجدر بنا الآن ألا نتأخر عن « الثورة التقنية الثالثة » ، وهى « ثورة المعلومات » ، بل علينا أن نسهم فيها ، وأن نبرز من أبنائنا من يتفوق فى هذا المجال ، حتى تأتى القرارات على كل المستويات مبنية على معلومات تتيح لصنّاع القرار ومتخذه وضوح الرؤية .

ثانى هذه الأمور ـ حسن اختيار مجموعة صنع القرار :

مجموعة صنع القرار هم : « أهل الحل والعقد » فى المسألة التى سيتخذ فيها القرار ، وعلى قدر خطورة عملهم فإن التدقيق فى اختيارهم يعد مسئولية خطيرة وهامة يحتملها متخذ القرار نفسه .

ولم يترك الله ـتعالىـ أمر الاختيار هذا إلا وجعل له معياراً ثلاثى العناصر هو ؛ أن يكون المستشار : عالماً ، أميناً ، ذا كفاءة ، وهى صفات جاءت على لسان يوسف ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ نعلمها بوضوح

من قوله ـ سبحانه ـ وتعالى ـ حاكياً اختيار يوسف ـ عليه السلام ـ مستشاراً للملك فى الشئون الاقتصادية : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة يوسف

هل يقتضى الأمر عدداً بعينة : ؟

ذلك ، وقد يسأل سائل عن عدد أعضاء مجموعة صنع القرار وعن وضعهم الوظيفى ؟ إن العبرة ليست بالكثرة ، ولكن العبرة بتوافر شروط العلم والأمانة والكفاءة على معناها الجامع ، وأقل عدد هذه المجموعة هو اثنين ؛ لقول رسول الله ﷺ : « لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما » (رواه الإمام أحمد) . ولانكون إزاء شورى إن قل العدد عن اثنين ، ولكننا نكون فى موقف استنصاح .. يقول رسول الله ﷺ : « ... ثلاث لا يغل عليهم قلب المؤمن ؛ إخلاص العمل ، والنصيحة لولى الأمر ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحيط من ورائه » (رواه الإمام أحمد والترمذى) .

ويجب ألا يزيد عدد مجموعة صنع القرار من أهل الشورى ـ فى أمرٍ ما ـ عن خمسة عشر ، حتى يمكن لكل منهم أن يتحدث ويدافع عن رأيه فى نفس المجلس فى نظام ودون إرهاق شديد للمجموعة أو لمتخذ القرار .. فإن احتاج الأمر لأكثر من هذا ، فعلى كل من أعضاء مجموعة صنع القرار أن يتخذ له مستشارين ، أو مساعدين ينوب عنهم فى مجلس صنع القرار .

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يستشير ، فإنه يسأل من ينوب عن المهاجرين ، ومن ينوب عن الأنصار ، من يمثل المشيخة ، ومن يمثل الشباب ... إلخ .

وفى زماننا هذا ، قد يكون مجلس صنع القرار هذا مكوناً من رجال يشغلون مناصب ثابتة ، فيستشارون لعلمهـــــم وخبرتهم فى مجالات أعمالهم ، وقد يتم انتقاؤهم بهدف مؤقت لحسم مسألة بعينها ... والأفضل أن يكونوا مزاجاً من الصنفين .

ثالث الأمور ـ مرجعية صنع القرار :

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يترك الإنسان سدى ، بل أنزل معه مايهديه ويصحح تفكيره فقال تعالى : ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٤] .

لذا فقد ضل فرعون وملؤه عند اتخاذهم القرار مستندين إلى مرجعية مفادها أن فرعون إله من دون الله ، وأن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ساحر ماجاء إلا ليخرج أهل البلاد منها بسحره ونبا رأى حكومة سبأ عندما استندوا إلى أنهم أولوا قوة وأولوا باس شديد ، وإلى مرجعية الأغراء بالمال .

إن اختلاف منظومة القيم من أمة إلى أخرى يؤدى بالتالى إلى اختلاف منهاج صنع واتخاذ القرار . وقد حدد لنا كتاب الله ـ تعالى ـ مرجعية صنع القرار فى قول الله ـ تعالى :
﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٣] .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ثم بعد :

فإن صنع القرار ماهو إلا اجتهاد جماعى تختلف فيه الآراء ؛ لأنه يتعامل مع مسائل قد لانجد فيها — دائماً — نصوصاً قطعية الدلالة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لذا يجتهد صناع القرار بالرأى لمعرفة الأصلح والأرجح مما تشهد له نصوص الكتاب والسنة جملة :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

أما إذا كان هناك نص قطعى الدلالة فى المسألة ، فما على المؤمنين إلا الاتباع ، ولا يكون القرار إلا ما أراد الله وحكم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور] .

ردود خاصة بمشتركات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى — بنسخة واحدة شهرية — على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام — قسم الاشتراكات — شارع الجلاء — القاهرة — ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

محمد الأمين الكانمى

زعيم « برنو » المجاهد

د. عبد الله نجيب محمد

لكل أمة رجال تعتز بهم وتفخر ، وممن يعتز بهم أهل « برنو » ويفخرون الزعيم والقائد المجاهد « محمد الأمين الكانمى »

منذ عام ١٠٠٠ م تقريباً ، بدأ الإسلام يتسرب إلى منطقة بحيرة « تشاد » حيث حمله التجار والرحالة المسلمون إلى هذه المنطقة وكانت مملكة « برنو » تضم بحيرة « تشاد » واشتهرت بأنها مركز تجارى هام ، يرتاده المسافرون الوافدون إليها عبر الصحراء الكبرى من مصر وبلاد العرب وشمال إفريقيا ، حاملين منتجات بلادهم إليها ، وراحلين منها محملين بأنواع أخرى من السلع الإفريقية التى ترد إليها من جميع الجهات .

وكان سلطان « برنو » و « كانم » ـ الذى كان يطلق عليه « ماى » Mai ـ شخصية لها وزنها الكبير فى العالم الإسلامى منذ العصور الوسطى ، وقد أسس « علىّ الغاجى Ghagi » ـ وهو من أعظم مايات « برنو » ـ عاصمة جديدة لبلاده سُمّيَت « نجازارقامو Ngasargamu » تعاقب على عرشها عدد كبير من « المايات » ، الذين قاموا بالجهاد ونشر الإسلام فى طول البلاد وعرضها ، ومن هؤلاء « إدريس ألوما » (١٥٧١ ـ ١٦٠١) الذى كانت « برنو » فى عهده مملكة قوية مرهوبة الجانب ، وكان مسلما متحمسا للجهاد ونشر الإسلام ، وظلت « برنو » بعد وفاة « إدريس ألوما » تحتل مركز القيادة فى المنطقة ، وتدفع لها القبائل المحيطة الجزية ، وتدين لها بالولاء ، ومن بين هذه القبائل مجموعة قبائل « الهوسا » الشهيرة التى تقطن الآن فى شمال نيجيريا ، وتحولت إلى الإسلام . ثم ضمت « برنو » منطقة « الفزان « Fezzan ، وكان أهلها يتكلمون « الكنورية Kanuri ، والهوسا » ثم تعلموا اللغة العربية .

وفى عام ١٧٧٨ م وفى الفزان ، ولد واحد من أعظم القادة فى « برنو » وهو (محمد الأمين الكانمى) ، وكان أبوه الشيخ « لانغا Langa » من « كانامبو » وأمه سيدة عربية من منطقة « زوائيلا Zoai la » فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم « طرابلس » ، وقد حرص أبوه على تعليمه ، فأرسله إلى مصر فى طفولته فتعلم فى مدارسها فى القرن الثامن عشر ، وجاء معه إلى القاهرة وعمل بها ، حتى نما الفتى وترعرع ، وتزود بالعلم وتغذى بنور المعرفة .

ولما أدرك الوالد أن ابنه قد أصبح على قدر كاف من العلم بالدين ، اصطحبه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، حيث مكثا هناك عدة سنوات ، استمتع فيها « الكانمى » بالاستماع إلى علماء الحجاز ، وتزود بزاد جديد من المعرفة وأصبح شابا تلوح عليه مخايل الشجاعة والذكاء .

ولما استعد الشيخ « لانغا » للعودة إلى بلاده مرض ومات قبل مغادرته الديار المقدسة ، فعاد « محمد الأمين إلى مسقط رأسه « كانم » وحيدا ، حيث انضم إلى قافلة متجهة إلى القاهرة ، ولما وصلها مكث بها بعض الوقت لزيارة أصدقائه وزملائه القدامى ، ثم تجهز لرحلة العودة الطويلة الشاقة عبر الصحراء الكبرى إلى « كانم » فسارت بهم القافلة عبر « سيوة » و « أوجيلا » ثم إلى « بوركو » فاستراحوا قليلا فى واحاتها الوارفة ذات الظلال والخيرات الكثيرة ، ومنها رحل إلى « برنو » .

وحين عاد « محمد الأمين الكانمى » إلى بلاده أصبح شيخاً على مقاطعة « برنو » نائباً عن « الماى » فى حكم « الكانيمبو » والكانيمبو : عرب رحل ، يشتغلون برعى الماشية .

عمد « الكانمى » بنشاط وعزيمة إلى تعليم الكانيمبو تعليماً إسلامياً ، وتربيتهم على المبادىء الدينية والأخلاق الحميدة ، فكان يجالسهم ويؤمهم فى الصلاة ، ويعقد لهم حلقات الدروس بنفسه ، وكان كثير من الناس يؤمون مجلسه ،

ويحضرون دروسه . وكان ـ أيضاً ـ رجـلاً عطوفاً يعود المرضى ، ويقدم لهم العلاج ويساعد كل من يحتاج إلى مساعدة .. وكذلك كان صارماً لا تأخذه رحمة فيمن يرتكب المعاصى ويسىء إلى الناس .

حرص « الكانمى » ـ أيضاً ـ على تدريب رجال « الكانيمبو » تدريبا عسكريا متقدما ؛ فاستقدم لذلك بعض الضباط من الأتراك وأوكل لهم تدريب رجاله ، حتى صار له من أهله وعشيرته جيش قوى مدرب ومسلح تسليحاً جيداً ، بهذا الجيش استطاع الكانمى أن يحمى « مشيخته » وأن يتدخل لحماية (برنو) نفسها عندما هاجمها (الفولانيون) أيام الماى « أحمد بن على » بعد أن كتب إلى الزعيم الفولانى المشهور « عثمان دان فوديو » يطلب منه عقد معاهدة سلام على أن يغادر الجيش الفولانى « برنو » ، ولكن القائد « غونى مختار » لم يرض بالسلام ، ودارت المعركة بين الجيشين ، وانتصر محمد الكانمى ، وأخرج الجيش الفـولانى من بلاده ، وتم له تحريرها ، وبذلك تدعم سلطانه ، وحمى الدولة مرة أخرى عام ١٨٠٨ عندما هاجم القائد الفولانى « إبراهيم زكى » العاصمة « نجازارقامو » وتحقق له النصر ، وتحرير المدينة .

ومنذ ذلك التاريخ صار الأمر والنهى للكانمى فى « برنو » وكان الحكم الفعلى فى يده بينما كان صوريا فى يد المايات .

ابتنى الكانمى بعد ذلك مدينة جديدة عاصمة للدولـة سماهـا « برنين كابيلا » « Pernin Kabela » وحول إليها مقر الحكم ، أما مجلسه العلمى ، فقد تحول بدوره إلى مدينة كبيرة سماها « كوكاوا » مستعيرا لها اسم شجرة (الكوكا) التى كانت بجوار منزله .

ظل « محمد الأمين الكانمى » طوال حياته يدافع عن وطنه ويعلم تلاميذه ، ومع ذلك كان يعيش عيشة بسيطة لا إسراف فيها ولا ترف برغم ما كان يحمل إليه من أموال ، وعلم تلاميذه كيف يتحلون بالزهد والجلد والصبر ، ودفع الكثير منهم للقيام بالدعوة إلى الإسلام فى ربوع البلاد ، حتى انتشر فيها ، وتدعمت الثقافة الإسلامية تدعيماً قوياً فى كل المنطقة .

ومما يؤسف له حقاً أن (برنو) ـ وقد تعاقبت عليها الأيام ـ قد فقدت سلطانها ، ثم أصبحت أخيراً جزءا من جمهورية نيجيريا الإسلامية الناهضة ، ومما يؤسف له ـ أيضاً ـ أن « كوكاوا » قد أصبحت أثراً بعد عين ، وتخربت بعد وفاة زعيمها ومعلمها « محمد الأمين الكانمى » ولكن الناس مازالوا يذكرون زعيمهم ومعلمهم بكل اعتزاز وفخر ؛ لأنه كان جزءا من تراثهم وتاريخهم وتقاليدهم وحياتهم .

وبالله التوفيق

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد أ. ح. ص

● أعمل فى جهة خاصة بإصدار التراخيص ، ويقوم بعض أصحاب الوحدات المرخص لها بتقديم مايسمى بالإكراميات أو المكافآة وذلك بعد إتمام العمل . فهل هذه الإكرامية أو المكافآة حلال أم حرام ؟

● عند القيام بمأمورية خارج القاهرة نسافر مسافات بعيدة لمعاينة بعض الوحدات فيقوم أصحاب هذه الوحدات بتقديم قيمة أجرة السفر وزيادة رغم صرف بدل سفر بسيط من جهة العمل .

فهل هذا حلال أم حرام ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فإن البر والخير فى ما اطمأنت إليه النفس ، والشر والإثم ماحاك فى الصدر وخاف الإنسان من الاطلاع عليه ، والحلال بيّن ، والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، والمكافآت والإكراميات وغيرهما من المسميات التى تقدم للموظف فى الدوائر الحكومية نظير قيامه بواجبه الوظيفى تعد من الأمور التى اشتبهت على كثير من الناس ولكنها لاتخفى على أهل العلم والورع .

والمسلم إذا ترك ما اشتبه فيه فقد طهر دينه وعرضه ، وصلاح القلب يأتى من أكل الحلال ، ومن طهارة النفس من دنس المعاصى فالواجب على السائل أن يأخذ من الحلال ما استبان رشده ، ويترك من الحرام مايثبت غيّه ، ويتوق المشتبهات إبراء لدينه وطهارة لعرضه وصيانة لشرفه والله الموفق .

◆◆◆◆◆◆◆

السؤال من السيد ع. ح. ف

يقول الرسول « ﷺ » ــ « لانكاح إلا بولى وشاهدى عدل»

ونحن نعلم أن بعض شبابنا يسافر إلى بلاد مثل : أوروبا الغربية ، وأمريكا ويتزوج بكتابية فمن هو ولى هذه المرأة الكتابية ؟

ومن هما شاهدى العدل فى هذه البلاد ؟

وهل يصح الزواج بشهود كتابيين وولى كتابى ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد إجابة على السؤال والمدون عاليه أن المسلم إذا أراد أن يتزوج بأمرأة كتابية فإن ولّيها هو قريبها سواء كان هذا القريب أبا أو جدا أو ابنا أو أخا أو عما أو ابن عم على أن يقدم الأقرب فالأقرب ، ويشترط فى ثبوت ولاية القرابة شروط أربعة فى الولى وهى : أن يكون ولى الزوجة عاقلا بالغا حراً بينه وبين المولى عليه حق التوارث على فرض موت أحدهما ، فلا ولاية لمجنون أو معتوه ولا صبى ولاعبد على غيرهم وأيضا لا ولاية لغير المسلم على المسلم ، ولا لمسلم على غير مسلم لأنه لايرث غير المسلم من المسلم ، ولا المسلم من غيره لأن الاختلاف فى الدين من موانع الإرث والولاية كالإرث كلاهما مستند إلى القرابة .. فإذا كان المولى عليه غير مسلم (كتابية) كان لقريبه غير المسلم ولاية تزويجه لثبوت التوارث بينهما وبتوضيح أكثر إذا كانت المولى عليها مسيحية ولها أخوان أحدهما مسيحى والآخر مسلم وليس لها أب ولا جد فالولاية عليها لأخيها المسيحى ، وفقهاء الأحناف لايشترطون فى الولى أن يكون عدلا ، فالفاسق يصح أن يكون وليا يتولى تزويج موليه ، والولاية تعتمد على الشفقة ورعاية المصلحة ، وقد اشترط فقهاء الشافعية والحنابلة عدالة الولى استناد لحديث النبى ﷺ « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » وقوله « لا نكاح إلا بولى مرشد » والأحناف لم يعتمدوا فى فقه هذه المسألة على هذا الحديث بل عندهم عقل الولى وشفقته وحرصه على مايصلح لابنه وبنته أو قريبه كاف فى ثبوت الولاية ويقدم الأصلح فالأصلح .

وحكم زواج المسلم بكتابية كما يلى :

أولا : لابد لصحة هذا العقد من توافر نصاب الشهادة عليه .

ثانيا : أجاز الإمامان أبو حنيفة وأبو يوسف زواج المسلم بالكتابية بشهادة رجلين كتابيين وعللا صحة ذلك بأن شهادة الشهود هى شهادة للزوج على الزوجة ، فيراعى جانب المشهود عليه وهو الزوجة ، فإذا كانت الزوجة المشهود عليها مسلمة لم تصح شهادة « غير المسلم عليها ، وإن كانت كتابية صح أن يشهد عليها شهود من أهل الكتاب سواء أكانوا من أهل دينها أم من أهل دين آخر وقد خالف الإمامان محمد ، وزفر ، من الأحناف فقالا بلزوم إسلام الشهود كما هو الحال فى زواج المسلم بالمسلمة وعلل ذلك بأن الشهادة على العقد هى شهادة على كل من الإيجاب والقبول ، فليست إذا شهادة على المرأة الكتابية وحدها ، وإنما هى شهادة عليها وعلى الزوج المسلم .

والخلاصة أن زواج المسلم بكتابية يصح بولاية قرابتها كما تقدم وبشهادة الشهود ويصح – أيضا – أن يكونوا من أهل الكتابيين ، فالشهادة لازمة ولايجوز الإخلال بها ، ولاتترتب آثار العقد عليه بدونها .

ومما سبق يعلم أنه يصح الزواج بشهادة كتابيين وولى كتابى أخذا من مذهب الإمام أبى حنيفة وصاحبه أبى يوسف والله الموفق .

السؤال من السيد ى. م. أ. ع

● **أنا رجل بالمعاش تزوج إبنى الصغير وأمكن مساعدته ببعض من المال لتوفيقه فى الحصول على زوجته وتقف هى ـ أيضا ـ بجانبه فى الجهاز ، وأخيه الكبير طلب الزواج وأخاف أن يكون زواج أخيه قبله قد أثر فى تغيير بعض سلوكه ، وسوف أحصل على مبلغ من المال ـ إن شاء الله ـ قريبا فهل أساعد به فى الزواج ، أم أحج أنا بهذا المال .**

الحمد لله والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد

فنفيد بأنه إذا أمكن للأب أن يوفق بين مساعدته لابنه وتأدية فريضة الحج يكون هذا أفضل والا فإن الحج يكون مفضلا لأن الوالد حين يكون مستطيعا لتأدية الفريضة فإنها تجب عليه ومساعدته لابنه ليست واجبة عليه فيقدم الحج مالم يسبق له تأدية الفريضة والله أعلم .

◆◆◆◆◆◆◆

● **هل يجوز احتساب الضرائب من زكاة المال وما الحكم ؟؟**

لايجوز احتساب الضرائب من زكاة المال لأن الزكاة حق الله توزع للفقراء ومن ذكر معهم فى الآية القرآنية : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» إلى آخر الآية .

أما الضرائب فهى أمر تقدره الدولة فى نظير خدمات تقدمها للناس من بناء مدارس ومستشفيات وشق طرق وعمل مواصلات ، وغير ذلك من المنافع العامة . ولها قواعد مختلفة عن قواعد الزكاة المفروضة . فلا داعى للخلط بين هذين الأمرين الضرائب والزكاة .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الراعى والرعية

كان الرشيد فى بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة ؛ فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين ، أما ترى ؛ ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر ، والرعية قارة وادعة نائمة .

فقال : اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ، ولابد للراعى من حراسة الرعية وتحمل الأذية .

« حقا »

نريد أن لانموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

« نصيحــة »

قال بعض الحكماء لابنه : يابنى خذ العلم من أفواه الرجال ؛ فإنهم يكتبون أحسن مايسمعون ، ويحفظون أحسن مايكتبون ، ويقولـون أحسن مايحفظون .

لك جواب إذا أمنتنى

لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه ، وتضمخ بالطيب وركب أفْرَهَ خيله ، وتقدم إلى المرآة فأعجبته هيأته ، فقال : أنا الملك الشاب ، والتفت إلى جارية له ، وقال : يا جارية ، ماذا ترين فى هيئتى وفى شبابى ؟

فقالت الجارية : لك عندى يا أمير المؤمنين جواب إذا أُمنّتنى ، فقال سليمان : لقد أمنتك ، فما جوابى عندك ؟ قالت الجارية :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير ألا بقـــــاء للإنسان

أنت خلـــو من العـــيب ومما
يكـــره النـــاس غير أنك فانى

منزلتك.. مِنَ الناس

كتب سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى سعد ابن أبى وقاص :

إن الله ـ عز وجل ـ إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الناس .

وقال الشاعر :

البشر يكسب أهله
صدق المودة والمحبة
والتيه يستدعى لصا
حبه المذمة والمسبة

لِتجدِّدَ وَشكراً

مدح رجل هشام بن عبد الملك ؛ فقال :

يا هذا إنه قد نُهى عن مدح الرجل فى وجهه ؛ فقال : مامدحتك ؛ ولكن ذكّرتك نعم الله عليك لتجدد شكراً .

فقال هشام : هذا أحسن من المدح فوصله وأكرمه .

ماذا تقول فى الدنيا؟

قال رجل لأبى الفضل يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد يا أبا الفضل : ماذا تقول فى الدنيا إذا أقبلت ؟ فقال الفضل بن يحيى بن خالد : إذا أقبلت الدنيا فانفق فإنها لاتفنى .

قال الرجل : وماذا تقول فيها إذا أدبرت ؟ فقال الفضل بن يحيى بن خالد : وإذا أدبرت الدنيا فانفق فإنها لاتبقى .

لا أردُّ سائلا

قال ابن خارجة : لا أرد سائلًا فإنما هو كريم أسد خلته ؛ أو لئيم اشترى عرضى منه .

دعاء

« اللهم ارزقنا طاعتك وجنبنا معصيتك ، ولا تجعلنا من المنافقين ، واجعلنا من المحافظين على الصلوات القانتين فيها » .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد محمود فرغلي

الفقيه المجتهد

(١٩٣٢ - ١٩٩٤م)

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

تلك دراسة عن شخصية إسلامية نادرة تذكرنا بأولئك الصفوة من المسلمين الذين حفل تاريخنا الإسلامي العظيم بسيرهم وجهادهم بما ضربوه من أروع الأمثال فى قوة الإيمان ، وعمق العلم ، وصفاء النية ، وسمو الجهاد ، وصدق الأخوة ، والاستمساك بمبادىء البذل والإيثار والوفاء والفداء ، حتى صنعوا ــ بفضل الله تعالى ، ثم بإخلاصهم وطهارة نفوسهم ــ أنموذجا طيبا للأمة الإسلامية الرشيدة ، إنه الأستاذ الدكتور محمد محمود محمد فرغلي ــ العميد السابق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ــ بالقاهرة .

بدأت صلتى به عندما كنت أطلب العلم فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ــ بمرحلتى الليسانس والدراسات العليا ــ فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات ، وكان اسم فضيلته يتردد فى قاعات البحث والدرس ــ بجامعة الأزهر ــ كأحد العلماء العاملين الذين نحسب شعارهم ــ ولا نزكى على الله أحداً ــ قول ــ ربهم :

﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

سورة الأحزاب

تملكنى الإعجاب به ، وتتبعت بعض كتاباته فتكشفت لى أبعاد موهبته وشخصيته ، وأيقنت أن الرجل جدير بالدراسة لما اتصف به علمه — لا سيما فى مجال الفقه وعلوم الشريعة — من مظاهر الدقة ، ولما اتصفت به شخصيته من حلاوة المودة ورقة الطبع وقوة الفراسة .

وقد زادنى تعلقا بفضيلته ما وجدته من تشجيع وتأييد أستاذى الدكتور/على أحمد الخطيب — رئيس تحرير مجلة الأزهر — للكتابة عنه ، فى سلسلة أعلام الأزهر — وهو باب يذكر لهذه المجلة العريقة بكل تقدير . فعظم إكبارى له وشرح الله صدرى لهذه المهمة ، ومن ثم فقد تناولت فى هذه العجالة جوانب من نشأته وحياته وأخرى عن فكره وعلمه ومآثره ؛ بما يتناسب مع المساحة المتاحة .

فالحق أنه جدير بأكثر من بحث وبأكثر من دراسة .

ولعل الغرض من تناوله فى هذا الباب هو الوفاء بحقه وذكر مآثره من جهة ، وتجلية سيرته كواحد من العلماء البارزين الذين يتأسى بهم علميا فى آرائهم ، وخلقياً فى الصبر والإخلاص وإيثار الدين على الدنيا ، تلك المزايا التى لازمته طالبا ثم مدرساً ، فأستاذا ، وعميدا فى موقع المسئولية .

بيئته ودراسته

ولد الدكتور/محمد فرغلى فى قرية « بنى زيد التابعة لمركز أبنوب محافظة أسيوط » فى ١٩٣٢/١/٢٥م ، وإذا أردنا أن نلقى ضوءا على « أسيوط » فهى الإقليم الذى ينتسب إليه علامة القرن التاسع الهجرى الإمام جلال الدين السيوطى ، وهو نفس الإقليم الذى سبق أن خرج منه المئات من العلماء البارزين فى العلوم العربية والإسلامية ، حتى إنه لكثرة علمائه ومعاهده الأزهرية سمى « بالأزهر الثانى » .

وتحفل محافظة أسيوط بالعديد من المساجد الحديثة والقديمة ، وفيها مسجد عريق تجدده الآن وزارة الأوقاف ، وهو ينسب إلى رجل صالح يطلق عليه الأستاذ الفرغل ، كان معاصرا للحافظ ابن حجر — من رجال القرن التاسع الهجرى — وقد ذكره النبهانى فى كتابه « جامع كرامات الأولياء » ، والشعرانى فى « طبقاته الكبرى » واسمه بالكامل « محمد بن أحمد الفرغل » توفى سنة ٨٦٠هـ وله شهرة مدوية فى أنحاء القطر[١]

ويعتبر هذا الرجل الصالح أحد الأجداد الأوائل للدكتور/فرغلى ، فقد كان آباؤه على درجة — من الصلاح والعلم والتقوى — تشجعه على طلب العلم وترغبه فى مجالسه .

كان والد صاحبنا يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وهو الذى تعهد ابنه « محمد فرغلى » منذ طفولته حتى حفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة بعد وهكذا كان الدكتور/فرغلى خير خلف لخير سلف .

وليس من شك فى أنه تأثر بهذه البيئة الثرية بالعلم والحديث والفتاوى ، فسرعان ما نمت مواهبه فى ظلها ، وقويت ملكاته ، بالسماع تارة وبالدراسة أخرى ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى كبقية أترابه ، وكان هذا المعهد يطلق عليه « معهد نؤاد الأول الدينى » لأنه هو الذى أنشأه على أحسن طراز ، ليس فى الوجه القبلى له نظير ، وذلك بعد أن كان طلاب الأزهر فى أسيوط يطلبون العلم فى « الجامع الكبير » .

يقول معاصرة الأستاذ عبدالحفيظ القرنى : « فى هذا المعهد تعلمنا جميعا فى قسميه : الابتدائى والثانوى[٢] على أيدى أساتذة أجلاء وأوفياء يعرفون للعلم قيمته وللدين حرمته ، يعملون بعلمهم ، فكانوا مصابيخ هدى ونجوم علم ومعرفة ، كان شيخ المعهد إذ ذاك من أسيوط ، واسمه : الشيخ أحمد حميده ــ رحمه الله وكان حجة فى الفقه الحنفى وأصبح ــ فيما بعد ــ شيخا لهذا المذهب ، وكان من قبله شيخا لهذا المعهد الشيخ/أحمد فرغلى الريدى[٢]

أنهى الشيخ فرغلى دراسته الابتدائية والثانوية ثم نزح إلى القاهرة لإتمام دراسته فى جامعة الأزهر فتتلمذ على يد أساطينها فى ذلك الوقت ، حتى رُزق ــ على أيديهم ــ التبحر فى الدراسات العربية والاسلامية .

نبوغــه :

وفيما أعتقد أن الشيخ/محمد فرغلى لم يترك بابا من أبواب العلوم والمعرفة فى عصره إلا طرقه ، وأخد منه بنصيب كبيرٍ حتى أنه نال ليسانس حقوق بجانب مؤهلاته من جامعة الأزهر .

بهذا حدثنا ابن عمه الدكتور/على أحمد الخطيب ، غير أن عنايته كانت أكبر وأوفر بعلوم الشريعة الإسلامية ــ لاسيما مادة الفقه وأصوله ــ حيث كانت له مع أربابه وطلابه صولات وجولات ومساجلات ملأت أسماع قاعات البحث والدرس فى حياته بمصر والحجاز .

فقد كان له تلاميذ كثير بمصر والمدينة المنورة ، حيث أعير إلى هناك لمدة بعثة واحدة ، وها هم تلاميذه ــ الآن ــ هنا وهناك ينتشرون فى كل مكان ، يعملون بعلمه ، ينشرون فتاويه فى المسائل والواقعات .

ونقدم فيما يلى بيانا بما حصل عليه الدكتور/فرغلى من مؤهلات علمية ، وما تدرج إليه من وظائف قيادية ، فضلا عن بعض أنشطته العلمية والثقافية بالأزهر ووزارة الأوقاف .

مؤهلاته وأنشطته :

أولا : المؤهلات :

١ ــ حاصل على شهادة الإجازة العالية من كلية الشريعة والقانون عام (١٩٦٠) بتقدير (جيد جدا) .

٢ ــ حاصل على العالمية مع تخصص التدريس من كلية اللغة العربية عام (١٩٦١) .

٣ ــ حاصل على الماجستير شعبة أصول الفقه عام (١٩٦٧) بتقدير (جيد جيدا) من كلية الشريعة والقانون .

٤ ــ حاصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) فى أصول الفقه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام (١٩٧١) من كلية الشريعة والقانون .

ثانيا : الوظائف التى شغلها :

١ ــ عين مدرسا بالمعاهد الأزهرية من (١٩٦٢/١٩٦٤) .

٢ ــ عضوا فنيا بمجمع البحوث من (١٩٦٧/٦٤) .

٣ ــ عين معيدا فى قسم (الفقه المقارن) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٦٨/٢/٢٥م) .

٤ ــ عين مدرسا مساعداً فى قسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٧١/١١/٢٩م) .

(١ ، ٢) مجلة الأزهر : عدد رجب ١٤١٣ ص ١٠٢٤ من أعلام الأزهر : الدكتور مصطفى يونس ، للأستاذ / عبدالحفيظ القرنى .

٥ ـ عين مدرسا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٧٢/١/٣١م) .

٦ ـ عين أستاذا مساعدا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٧٧/٣/٩م) .

٧ ـ عين رئيسا لقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٨٣/١٠/٢٤م) .

٨ ـ عين أستاذا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (١٩٨٣/١٢/٧م) .

٩ ـ عين عميدا لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة اعتبارا من (١٩٩٠/١٠/٢٣م) .

ثالثاً : النشاط العلمى والثقافى :

١ ـ أشرف على مركز الدراسات الإسلامية الحرة بالجامع الأزهر الشريف التابع لجامعة الأزهر .

٢ ـ كان عضوا بهيئة الرئاسة الشرعية بالمصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية التابع لمركز الاقتصاد الإسلامى للبحوث والدراسات والاستشارات والتدريب .

٣ ـ أنتدب عضوا بالمؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف (الموسوعة الفقهية الإسلامية) .

٤ ـ أشرف على الدراسات الإسلامية بكلية التربية للعام الجامعى (١٩٨٨/١٩٨٧) .

٥ ـ أشرف على الدراسات الإسلامية بكلية (الهندسة) للعام الجامعى (٩٠/٨٩) و(١٩٩١/١٩٩٠م) .

ثناء العلماء عليه :

وكان لابد من إجراء بعض المقابلات القصيرة مع بعض الذين كان لهم حظ العمل مع الدكتور فرغل ، والاحتكاك به عن قرب ، حتى نصل فى النهاية إلى رسم صورة واضحة الملامح لشخصية هذا العلم الإسلامى ، فالتقيت أولا **بالأستاذ الدكتور/على أحمد مرعى** القائم بعمل عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة خلفا للدكتور/فرغلى .

قال فضيلته .. عن الجانب الانسانى فيه : إن الدكتور/فرغلى كان مطبوعا على فعل الخير وسعة الصدر للخلق ، ويكفى أنه كان مسارعا فى الخيرات وما سأله أحد فى خير قط إلا فعله مهما كلفه ذلك ، وكان يخدم من يعرف ومن لا يعرف .

يضيف الدكتور/على مرعى عن الجانب العلمى فى شخصية الدكتور/فرغلى : إن شخصيته العلمية كانت تتسم بالموضوعية وعدم التعصب فلم يعتقد أن رأيه ــ وحده ــ هو الجامع لجزئيات الحقيقة ، ومن ثم كان ينظر إلى آراء العلماء الآخرين وجهودهم بعين الإنصاف والنزاهة .

كما التقيت **بالأستاذ الدكتور/عبدالحكم أحمد شرف** الأستاذ بقسم القانون الخاص بالكلية وهو أحد من عاصروا الشيخ فرغلى وزاملوه مدة طويلة ، فكان شديد الصلة والارتباط به ــ رحمه الله ــ فيقول عن الجانب العلمى : إن الشيخ فرغلى كان يقوم بمحاضراته بنفسه لا يوكل أحدا عنه ، كما يفعل الكثير ممن زادت أعباؤهم ، وذلك مراعاة لحق الطلاب عليه ، هؤلاء الطلاب الذين كان يرغبهم فى الاجتهاد بشروطه ، وكان يدربهم على طرق البحث ووسائل الاستنباط والاجتهاد للوصول إلى رأى طيب وحكم سليم ، وإلى جانب دوره الريادى فى الكلية كأستاذ وعميد ، كان له دوره المتمم لرسالته فى البيت والمسجد المجاور له

وكان بيته مفتوحا لكل راغب علم أو فتوى ، أو لكل ضيف حلّ به .

وقد بلغ احتفاؤه بأهل قريته وقرابته من أهل الصعيد أنه خصص لهم شقة ـــ مواجهة لشقته ـــ وزودها بما يلزمها من المنافع والكماليات التى لا يستغنى عنها مقيم ، رغبة فى راحة ضيوفه وزواره ، إلى أن يبلغوا مقصدهم منه أو من القاهرة .

ويواصل الدكتور/عبدالحكم شرف حديثه عن دور الشيخ فرغلى فى خدمة بيئته ومجتمعه قائلا : لقد كانت له لقاءات شبه يومية بـ « مسجد الرحمة » المجاور لمسكنه بشارع النعام ـــ منطقة المطرية ـــ القاهرة ـــ يؤم بالناس فى الصلاة ويجلس إليهم ـــ بعد العشاء ـــ للدرس والإفتاء . كذلك ذكر لى ابنه الأكبر الأستاذ ياسر : أنه كانت ترد عليه الاستفتاءات فى أى وقت ، وأن الهاتف كان وسيلة ميسرة للاتصال به بشأن القضايا الفقهية والمسائل العلمية التى اختلفت فيها الآراء ، وضرب المثل بالأستاذ الدكتور/على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الذى كان كثيرا ما يتصل هاتفيا بوالده بعد الفجر مباشرة وهذا ما أكده الدكتور على الخطيب نفسه ، معترفا بعلمه وفقهه ومهارته فى المقارنة بين رأى وآخر لدرايته الموسعة بالأحكام .

زهده فى الدنيا

ويتفق الدكتوران عبدالحكم شرف ، ومحمود على أحمد ـ والأخير أستاذ بكلية الشريعة والقانون وأحد الأصدقاء المقربين للدكتور فرغلى ـــ على أن شخصية هذا الرجل كانت أبعد ما تكون عن طلب الجاه والمال والرياسة ، فلم يتهافت على شىء من هذا ، ولا على العمل بالخارج ، إلا لمدة اعارة واحدة وكانت عن إلحاح من مسئولى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ فيما بين عامى (١٩٧٨ ـــ ١٩٨٢) أستاذا للدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولعل مما يسر قبوله لها ، جوار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان إذا قابله أحد المعارف هناك أكرمه على أنه ضيف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ثم بعد ذلك رفض العمل بالخارج ، وعندما عوتب مرة من أحد أولى الأمر فى دولة عربية : لماذا لم تأت وقد أعددنا لك العدة قال له : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١]

كما يرى د/محمود على أنه لم يكن ـ أيضا ـ متهافتا على المناصب الدنيوية أبدا .

أولاده :

رزق الدكتور فرغلى باربعة أولاد ، ولدان هما : ياسر وأسامة ، تخرج الأول فى كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ويعمل وكيلا للنيابة ، وتخرج الثانى فى نفس الكلية ، وهو مجند حاليا ، وبنتان هما : دعاء ، وقد تخرجت فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر ، وشيماء وهى طالبة فى الثانوية الأزهرية .

من سماته الشخصية :

وكان فى شخصيته جانب من النقد الساخر أحيانا ، ويبدو والله أعلم أنه اكتسب هذه الصفة كما اكتسبها غيره من تلامذة الأستاذ الدكتور مصطفى مجاهد عبدالرحمن ـ عليهما رحمة الله .

وتتميز تعليقاته بأنه لم يكن يتحفظ إزاءها من شخصية من توجه إليه مهما بلغت مكانة تلك الشخصية .

فقهه وإنتاجه :

قلت : كان الدكتـــــور فرغلى رحمه الله متخصصا فى الفقه ، ومن ثم كان لهذا التخصص أثره على اتجاهه فى التأليف ، فلم تخرج المواضيع الرئيسية التى تدور حولها مؤلفاته عن : الفقه الإسلامى وأصوله ، وعلوم الحديث والسنة النبوية .

وهكذا اتجهت همته ـ فيما ألف ـ إلى الفقه والحديث ، إذ أولاهما عناية كبرى وألف فيهما مسائل مهمة تدور حول هذين الموضوعين ، وهى :

١ ـ حجية الاجماع وموقف العلماء منها .

٢ ـ النسخ بين الإثبات والنفى .

٣ ـ بحوث فى السنة المطهرة ـ جزآن ـ .

٤ ـ بحوث فى القياس .

٥ ـ بحوث فى أصول الفقه تشتمل على الأدلة المختلف عليها .

٦ ـ بحوث فى أصول الفقه تشتمل على الدلالات .

٧ ـ دراسات فى أصول الفقه بالاشتراك مع الدكتور جلال الدين عبدالرحمن الأستاذ بقسم أصول الفقه .

ونأمل أن نقدم دراسات وافية عن مؤلفاته بـ (باب اللغة والأدب والنقد) بمشيئة الله تعالى :

ونكتفى هنا بدراسة موجزة لكتابه : « بحوث فى السنة المطهرة » :

بحوث فى السنة المطهرة :

نشرته دار الكتاب الجامعى بالتوفيقية القاهرة عام ١٤٠٢ هـ فى جزأين يقع الأول فى ٤٧٩ صفحة ، والثانى فى ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير ، وهو سفر علمى ضخم له وزنه وقيمته العلمية ، وهو يكتسب أهميته فى دفع شبهات المعاندين والحاقدين والمغرضين التى أثاروها حول السنة النبوية المطهرة ، بدعاوى الاكتفاء بالقرآن وإغفال السنة بحجج واهية .

يقول الدكتور فرغلى فى مقدمة هذا الكتاب ص٦ :

« ولما لم يجد هؤلاء الحاقدون طريقا لما يريدون للقرآن من دسيسة ووقيعة وشبهات ، حيث وجدوا حياضة مصونة ، وحراسة أقوياء فكروا وفكروا ، وبئس ما فكروا ، فكروا فى النيل من المصدر الثانى ، بعد ما فشلوا فى النيل من قداسة المصدر الأول ، وهو القرآن الكريم .

فعمدوا إلى السنة المطهرة ، ينقصون من قدرها ويحطون من قداستها ، ويوجهون سهامهـــم المسمومة نحوها ظانين أنهم بفعلهم هذا يمكنهم أن يصلوا إلى غرضهم الخبيث ، وهدفهم الذميم من هدم لهذا الركن الركين ، والنيل من هذا الطود الشامخ ، فأخذوا بكل قوة يثيرون الشبهات على السنة المطهرة المصونة ، لينالوا من حياضها ، فيضل المستمسك بها .

وهنا يترك الناس هذا المصدر الثانى ، وينفضوا أيديهم منه ، وحينئذ يكونون قد وصلوا إلى

غرضهم الخبيث وهو العود على القرآن بالتشكيك فيه ، لكن من طريق آخر غير مباشر ، إذ أن من السنة ما هو مؤكد للقرآن ، ومنها ما هو مفسر ، ومنها ما هو موضح ومبين لما فيه ، ومنها ما هو مخصص لعمومه ، أو مقيد لمطلقة إلى غير ذلك مما هو معلوم لعلماء الشريعة وحراسها .

وعندها يفقد النـاس ما يبين لهم كتـابهم فيضلـون عن الطريـق السوى ، ويصبحـــون كالسوائم تهيم من غير ضابط ولا قائد ، وعندها فقل على الدنيا العفاء .

كذلك أخذ هؤلاء المغرضون يتفننون فى النيل من السنة ، وألقوا كل ما فى جعبتهم من سهام ، وأسلحة ، عمدوا بتلك الأسلحة وهذه السهام لتقويض هذا الطود الشامخ ، وذلك البناء المتين ، ولكن هيهات هيهات .

ثم يكشف الدكتور فرغلى عن بدء محاربة السنـة المطهـرة ، وأنها ليست وليـدة وقتنـا الراهن ، فيقول :

« منذ قام الإسلام بالدعوة إلى الهدى ودين الحق قام أعداؤه بمحاربته ، ولم يكد ينتهى العصر الثانى حتى وجد من يشكك فى السنة ، وأول من تصدى لهؤلاء فيما نعلم الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ ومع ذلك لم يستطع لأشد الناس دهاء ، وأكثرهم مكرا وعداء أن يقنع المسلمين بالانقطاع عن سنة نبيهم ﷺ لأن الدين يؤخذ دائماً عن رسول الديانة ، قوله وفعله وتقريره ، فلجئوا إلى أسلوب آخر هو : التشكـــيك فى الحديث الشريف ، وإثارة الغبار حول الرواة والناقلين عنهم ، والطعن فى إيمانهم ، وصدقهم ، والتوسع فى تدمير هذا التراث الهائل بفنون ظاهرها البحث العلمى ، وباطنها الإفساد والتخريب ، وعلى هذا الغرض ، التقى أعداء الإسلام قديما من اليهود والنصارى والزنادقة والموالى ، وغيرهم فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة ، مع أعداء اليوم من المستشرقين ، وهم يهود أو مسيحيون استعماريون ومن لف لفهم من تلاميذهم المفتونين بالحضارة الغربية ، فهى سلسلة متتابعة من الجهود لم تنقطع منذ أربعة عشر قرنا وستظل قائمة مادام للحق أعداء يغشى أبصارهم ضوؤه الباهر » .

وتمضى أبـواب الكتـاب وفصولـه ومباحثـه الممتدة فى جزأين عن السنة ورتبتها وأقسامهـا وحجية خبر الآحاد وشروطه ، فى ثراء متكامل وإقناع علمى منطقى يؤكد حجية السنة كمصدر ثان للإسلام ، ويكشف زيف المنحرفين وبطلان دعاويهم .

وفـــاتــه :

إثر مدة مرض لا تتجاوز الأسبوعين لحق الدكتـور فرغلى بالرفيـق الأعلى فى السابـــع والعشرين من شهر يونيو سنة أربع وتسعين وتسعمائة وألف ، تاركا خلفه هذا الرصيـد العلمى القيم الذى يعد مفخرة للمكتبة الإسلامية سواء فى قيمته العلمية أو التأليفيه ، فضلا عما أودعه من العلم فى صدور تلاميذه .

جزى الله الأستـاذ الدكتـور/ فرغلى عن إخلاصه لله تعالى فى خدمة الشريعة الإسلامية ، شرحا وتفسيرا ودراسة وبحثا وتعلما وتعليما ، دون أن يشوب ذلك غرض دنيوى ، وهذا ما ينبغى توفره فى كل عالم حتى لا تضيع قيمة العلم أو تتعطل وظيفته ، فقد قال تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

الملك لك

للشاعر : إبراهيم عيسى

الفجرُ فى مهدِ الأُفقْ   يحبُو ويلهو بالأَلَقْ
ويُبَعْثِرُ الضوء الندىَّ على الوجود .. فينطلق
وتثاءبتْ ، حتى البرا   عمُ .. فالشذا .. قلْبٌ خفَقْ !
وصَحَتْ على غُصْنِ الحيا   ةِ مُنًى تزقزق فى الحدق

***

وترف أجنحة الضيا   ءِ على الرُّبَى والمنحنَى
والطير تسخو بالغنا   ءِ ، لمن أساءَ وأحْسَنا
وتهيمُ فى تسبيحها   وتعودُ تلتقط الجنَى
صلواتُها تغريدةٌ   سجدتْ بمحرابِ السَّنا

***

و (تَعَمْلَقَ) الإنسان فى   خطْوٍ يَدِبُّ على الثرى
يَلْقى أخاه ببسمةٍ   بيضاءَ .. تُخفى الخنجرا !
ويمدُّ كفًّا للسلا   م حَوَتْ عَداءً مُمْطِرَا
ويجرُّ ذيلَ الكبريا   ء منمَّقاً ومُعطَّرا

***

آثامُهُ ليلٌ ينو   حُ ويرثمى .. كالجَدولِ
ويداه كم خنقَتْ مُنًى   عاشتْ بصدْرِ البُلبلِ
وكأنه مَلَكُ الزما   نَ .. وَهَمَّ بالمستقبَلِ !؟
ويقول فى جبروته :   ـ المُلْكُ لى ! الملك لى !

***

حتى إذا أرخى المسا   ءُ على الوجود ستائره
والنجم أيقظ جَفْنَه   والليلُ حلَّ ضفائره
ضمَّ الوجود جناحه   وطوى الفؤاد سرائره
وغفا السَّنا .. والكونُ مَدَّ إلى الصباح نواظره
والطير عادت للعشا   ش ، تجرُّ أسْتار الحَلَكْ
تغفو على تسبيحه التغريد ، تشكر من مَلَكْ
وربابها ترنيمة : ياربنا ... ما أكْمَلك
وتقول فى تغريدها :   المُلْك لك .. الملك لك

أرى مـــــولاى

للشاعر: لطفى محمد متولى(*)

أرى مولاى فى الدنيا كفيلى ... وركنك ربنا .. أبهى مقيـــل
وعزى أنه قد طاب عيشى ... وفاض عبيره وزهـا قبــولى
فلاشكٌ يؤرقنـــى حيـــاتى ... وعايشت الحقيقة فى مثـــول
ومـارست العلــوم وعــارفيها ... فلم أر غير ربى من دليل
نعيم الله لايحصيــه عقــل ... ولاحصر له فى كل جيـــل
عطاء من كريم ليس يحصى ... وهل لعطاء ربى من مثيل ؟

★★★

محبــة خالقــى نور بقلبـــى ... على هدى الضيا ألقى وصولى
وشوق فى إلهى لايـــارى ... وهــذى نعمــة الله الجليـــل
وإن الورد يذبل بعد قطف ... وورد السالــكين بلا ذبـــول
يظــن النـــاس أن الماء رى ... وأصل الرى فى نهج الرسول
وهــذا النهج للقيـــوم قرب ... وليس القرب بالشىء القليل
أهيم بربنــا شوقــاً ووجــداً ... ومظهــر ذاك باد فى نحولى
ولى وجد يفوق الوجد وجداً ... ولست مع المهَيمــن بالعليــل

وأصل الـــفضل معرفتـــى لربى ... ومــن يعرفــه يسعــد بالقبـــول

فى حب النبى ﷺ

الشاعر/ محمّدى حسَن الشافعى

هَزَّهُ الشَّوْق فَأنْشَدْ   هَائِماً فِي حُبِّ «أحْمَدْ»
.. شَاعر ـ كَالْبُلْبُلِ الصَّدَّاحِ فَوْقَ الأيْكِ غَرَّدْ ـ
.. إنَّهُ فِي حُبِّ خيْرِ الخَلْقِ هَيْمَان .. مُسهَّدْ ...
يَنْظِمُ الْحُبَّ قَصِيداً   يُشْبِهُ الدُّرَّ المَنضَّدْ
قَامَ ـ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِ   ـ يَمْدحُ الْهَادِى «محمّدْ»
قَائلًا : يَالَيْتَ شِعْرِى   ـ إنَّ قَلْبِى قَدْ تَوَقَّدْ
فِي هِوَىٰ «الْمختَارِ» عِشْقِي   ..وَهُيَامِى لَيْسَ يَنْفَدْ
إنَّ مَنْ يَعْشَقُ «طَآه»   خيْرَ خلْقِ الله يَسْعَدْ

● ● ●

إنَّهُ حُبُّ اتِّبَاعٍ   لِلْهُدَىٰ .. والله يَشْهَدْ
فَرَسُولُ الله يَهْدِى ..   ـ لَيْسَ بالسَّيْفِ المُهَنَّدْ
إنما بِالْحُبِّ وَالإقْنَاعِ يَهْدِى مَنّ تَمَرَّدْ
ـ دَعْوَةُ الْمُخْتَارِ حُبٌّ   ـ وِحِوَارٌ يَتَجَدَّدْ
ـ وَيْحَ قلْبٍ قَدْ تَنَاءَىٰ   .. وَمِنَ الحُبِّ تَجَرَّدْ
إنَّنَا بِالحُبِّ دَوْماً   سَوْفَ نَبْلُغُ كُلَّ سُؤْدَدْ
ـ حَبَّذَا حُبًّا لِخَيرِ الْخَلْقِ .. قُدْوَتُنَا «مُحَمَّدْ»

أيها المسلم :

أتدري من أنت ؟

للشاعر/
محمد عبد الرحمن صان الدين

تيقظ أيها الغافى الحزينُ ... ففى الغفلات تَرْتَبِعُ الشجونُ
وحَدِّقْ فالطريق بها وِهَاد ... وشوك بل أخاديد تخون
لتبصر ما الذى فى الأرض يجرى ... إذا سلمت من الرمد العيون
وتحيا فى مناكبها عزيزا ... وتعرف أنت فيها : مَنْ تكون ..؟
فإنك بين خلق الله نجم ... بَهِيرٌ ضَوْءُهُ الحق المبين
وإنك فى رِبَاطٍ مستديم ... تموج بك المفاوز والحصون
فدينك يا أخا الإسلام وحى ... ووحى الله للدنيا مِعِين
ورب الكون قد أعلاك قدراً ... رفيعا لا تزعزه القرون

* * *

أجل أنت الذى قد حِدْتَ حينًا … فتهتَ ، وعنك قد غاب اليقين !!
ونور الوحى زايل منك قلبا … فعينك فى الدجى لا تستبين !!
فنمت على جراحات وضيم … وصرت لكل باغ تستكِين !!
ولو كان البغاث بدا صقوراً … بأجنحة مزورة تمِين
فهل يرضى حياة الذل حر … وهل من يَعْبُدُ البارى يهون ؟!
تنبه يا جليل القدر وَانْهَضْ … فقد خلصت من الرق القُيُون
فإنك خير خلق الله طراً … فأنت بكل إجلال قَمِين
وإنك فى حمى الإسلام ليث … وهل يخلو من الأسد العرين ؟
بعلمك أو بخيرك قد تسامى … وأمسك مقود الدنيا مَهِين
وبين يديك أرض ذات رِفْد … وفى وجدانك المَحْمُوم دين
فكيف عن الشريد الوغد تُغْضِى … وفى وجدانك الغلّ الدفين ؟!
وكيف يجوس بين حماك ذئب … وتحسب أنه البر الأمين ؟!
فمن رام السلام لدى عدو … لدود فالذى فعل المجون
إذا الإنسان سار بطبع وحش … فلا يَنْدَى له خجلا جبين
أيا من أنت تسجد فى خشوع … بربك فى الشدائد تستعين
وقوفك صامداً فى وجه عَاتٍ … لتردِعه هو الحصن الحصين
فنصر الله لا يأتيك عفواً … ولكن بالذى تعطى رهين
حمى الجبناء نهب مستباح … وجار البأس مَرهوب مَصون
على هذا طباع الناس كانت … على الأزمان تقسو أو تلين
فما حفظ البرية غير دين … سماوى به كانت تدين
ومن عرف الحياة مضى حثيثا … بكل الهول فيها يستهين
فما نال الخلود بها عظيم … يُؤَمِّن عيشه عرش مكين
وما فى الكون إلا الله رب … فلا نامت على ضيم جفون

العلوم الكونية

الحسن بن أحمد الهمدانى

عالم موسوعى لم ينصفه المؤرخون

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

يعتبر الحسن بن أحمد الهمدانى من أكثر علماء الحضارة الإسلامية عمقاً وموسوعية وثراءً فكرياً ؛ لكن المؤرخين لم ينصفوه حق الإنصاف عندما ركزوا على جانب واحد من عبقريته ولقبوه « بلسان اليمن » ثم أهملو جوانب أخرى أكثر أهمية تتعلق بمنهجيته العلمية ؛ وإنجازاته التقنية وآرائه الرائدة فى مجالات الفلك ، والرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء وعلوم الأرض وغيرها .

وسوف نعرض فى هذا المقال ـ إن شاء الله تعالى ـ لبعض مآثر الهمدانى فى مجال العلوم الكونية ، وندعو غيرنا من الباحثين أن يحذو حذونا فى تقييم أعمال علماء الحضارة الإسلامية بلغة معاصرة ، مع تركيز الاهتمام على العلماء المغمورين ، أو الذين تأخر اكتشاف أو تحقيق مخطوطاتهم .

نبذة عن حياته :

هو : الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ابن سليمان* الأرحبى الهمدانى ، لقبه قومه « لسان اليمن » اعتزازاً به وافتخاراً لبلاغته ومعارفه ، وأحياناً يرفعه بعض المؤرخين إلى جده يعقوب بقولهم : قال ابن يعقوب ، أو يذكرونه باسم « ابن الحائك » ولا ندرى لذلك سبباً .

وقد ولد الهمدانى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م ، واشتغل بالجمالة ، حرفة أجداده ، وهو فى شرخ شبابه متنقلًا بين « صعدة » و « مكة » لنقل الحجيج والتجار وفى حوالى عام ٣٠٥هـ استقر الهمدانى « بمكة » لأكثر من ست سنوات ، جاور فيها الحرم والعلماء ، وتفتحت له آفاق المعرفة ، واقتنى أمهات الكتب فى مختلف الفنون ، وعرف الكثير من وفود الحجيج الذين كانوا يحملون معهم كل جديد عن أخبار بلادهم وأحوالها ، فانفتحت له بذلك آفاق المعرفة ، واتسعت بسطته فى العلم وأفاد منه فى فنون كثيرة .

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وفى حوالى سنة ٣١١هـ رجع الهمدانى إلى « اليمن » ونزل « صعدة » فأضافت إقامته فيها رافداً جديداً من روافد ثقافته لما كانت تتمتع به من استقرار وازدهار فى ذلك الوقت ، وأسهم بنصيب وافر فى ازدهار الحركة الأدبية ، والفكرية والعلمية ، ووُسم بالعلم بين أهلها . وعندما انتقل الهمدانى بعد ذلك إلى مسقط رأسه « صنعاء » لم تكن إقامته بها إقل أثراً فى تشكيل ثقافته وإثراء معارفه .

وتختلف الروايات حول تاريخ وفاة الهمدانى عام ٣٣٤هـ ، وربما ٣٣٦هـ ، وهناك من يرى أنه عمّر ثمانين عاماً وعاش إلى سنة ٣٦٠هـ ، ولكن الدليل على هذا الرأى ليس قاطعاً ، ولا يزال تحديد تاريخ الوفاة بدقة أمراً متعذراً[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن « جامعة صنعاء » قد عقدت فى أكتوبر عام ١٩٨١م ندوة عالمية لتكريم الهمدانى ولتعريف الأجيال بأثره فى تراث الحضارة الإسلامية ، ليس فقط فى ميادين الشعر والأدب والسياسة ، والأخبار والأنساب ، ولكن - أيضاً - فى « مجالات العلوم الكونية وتقنياتها »[٢] .

جملة مؤلفاته :

تبلغ مؤلفات الهمدانى بضعة وعشرين كتاباً ، معظمها ضخم وفياض بالمعارف وأكثرها مفقودة . وهذه الكتب هى :

١ - كتاب « سرائر الحكمة » المحتوى على ثلاثين مقالة فى التعريف بعلم الهيئة ، ولم يُعثر منه إلا على « المقالة العاشرة » المنسوخة فى ١٩ من المحرم سنة ١٠٩١هـ ، والموجودة فى « الجامع الكبير بصنعاء » ، وتحوى ثلاثة وثلاثين باباً ، عرض فيها لعلوم السابقين فى الفلك والفلسفة ، ومقادير حركة الكواكب والنجوم[٣] .

٢ - كتاب « الإكليل » ، وهو موسوعة علمية ألفها الهمدانى سنة ٣٣٠هـ فى عشرة مجلدات تتناول التاريخ والإنسان والثقافة فى اليمن القديم ، ولم يظهر إلا أربعة أجزاء من هذا الكتاب .

٣ - كتاب « صفة جزيرة العرب » ، وموضوعه الرئيسى : « دراسة الملامح الطبيعية والأجناس ، والقبائل والحيوانات ، والثروة المعدنية فى شبه الجزيرة العربية »[٤] .

---

(١) د . يوسف محمد عبد الله ، ترجمة الهمدانى ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الثانية ، وزارة الإعلام والثقافة « صنعاء » صيف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٥٥ .

(٢) أتيح لكاتب المقال أن يحضر هذه الندوة ، وأن يطلع على أعمالها ، وخاصة فيما يتعلق بالأراء والنظريات العلمية الرائدة التى أسهم بها الهمدانى فى بلورة « أصول المنهج العلمى التجريبى للعلوم الكونية فى عصر النهضة الإسلامية » . (راجع : د . أحمد فؤاد باشا ، « التراث العلمى للحضارة الإسلامية » ، ط ٢ ، ص ١٥٦ ومابعدها ، القاهرة ١٩٨٤م) .

(٣) قام محمد بن على الأكوع بتحقيق « المقالة العاشرة » من كتاب « سرائر الحكمة » للهمدانى ، وانتهى من نسخها والتعليق عليها فى عام ١٩٧٨م ، ثم نشرت بدون تاريخ . وقد لاحظنا وجود أخطاء كثيرة فى هذه النسخة بالنسبة لبعض أسماء الأعلام أو بالنسبة لبعض الحروف المستخدمة فى حساب الجمل وما يقابلها من أرقام .

لهذا نرى ضرورة إعادة طبع هذه المقالة لتصويب أخطائها وتقديم شروح تفصيلية واضحة لما فيها من مصطلحات علمية ونقدية .

(٤) حققه « موللر » ونشره فى طبعة ليدن عام ١٩٨٤م ، وصدرت منه فى البلاد العربية طبعتان :

الأولى تحقيق : محمد بن بليهد النجدى ، القاهرة ١٩٥٣م .
والثانية تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الرياض ١٩٧٤م .

٤ ـ كتاب « الجوهرتان العتيقتان المائعتان من البيضاء والصفراء » (الفضة والذهب) ، وكان لظهوره حديثاً فضل كبير فى إلقاء مزيد من الضوء على سيرة الهمدانى والتعرف عليه كعالم موسوعى ملك ناصية العلم والتقنية مثلما كان مؤرخاً ولغوياً ورجل فكر ، وسياسة ، وأدب(٥) .

٥ ـ قصيدة « الدامغة » .

٦ ـ شرح « القصيدة الدامغة » .

٧ ـ كتاب « الوشى المرقوم » .

٨ ـ كتاب « المطالع والمطارح »(٦) .

أما باقى كتبه التى ذكرها فى مؤلفاته أو ورد ذكرها فى مؤلفات من ترجموا له ولا تزال مفقودة فهى : « السير والأخبار » « المسالك والممالك اليمنية » « اليعسوب ، فى القسى والرمى والسهام والنضال » « الأيام » « الزيج » ، وكان عليه اعتماد أهل اليمن « القوى فى الطب والصيدلة » « الحيوان » « الحرث والحيلة » « مفاخر اليمن ووقائعها » « أخبار الإبل » « أخبار الأوفياء » « أسماء الشهور والأيام » « ديوان شعر » « ست مجلدات » .

منهجه العلمى :

تدلنا مؤلفات الهمدانى على الأسلوب العلمى الذى اتبعه فى تحصيل معارفه ، حيث عكف فى البداية على دراسة مؤلفات من سبقوه ، ووقف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينها ، ثم احتكم إلى الاختبار والرصد والحساب والقياس ، وانتهى إلى رأى يرجح صوابه ، ولا يستبعد أن يستدرك فى نتائجه على طول الزمان مثلما استدرك هو على غيره .

يقول الهمدانى فى « المقالة العاشرة » : « ولما رأينا ذلك من اختلافهم وضاقت أيامنا عن الاعتبار برصد بعد رصد ، وكنا نرى اقتران الكواكب المتحيرة مع الكواكب الثابتة لا ينتظم فى زيج بعينه ، جردنا العناية وأعملنا الفحص برهة من الدهر فى طلب مايؤدى الصواب مما اتفقت عليه الحكماء فوجدنا مايوافق التجربة ويصدق الاعتبار ويصح على الامتحان ... مع استلحاق تعديل أبعاد الكواكب من الأرض ... »(٧) .

وعندما يفند الهمدانى أراء السابقين ويرى فى بعضها رأياً مخالفاً ، فإنه يحتكم إلى التجربة العلمية ولايحيد عن الروح الإسلامية للتفكير السليم ، مثال ذلك ماجاء فى كتابه « الجوهرتان العتيقتان » عن نشأة الذهب : « ... وقال بعض الحكماء : يكون الذهب أول ماينشأ أبيض ثم تطبخه الأرض وتلك البخارات المتجددة عليه فيأخذ اللون فى أدوار من الزمان كثيرة ، فكيفما عتق كان أكثر لحمرته وأقل لفضته . وليس الأمر كما ذهبوا إليه ولكنه يتكون بتقدير العزيز العليم أحمر ويخالطه من جنس الفضة شىء يكثر ويقل على قدر طباع تلك الأرض ....»(٨) .

(٥) حققه المستشرق السويدى « كريستوفر تول » وترجمه إلى الألمانية عام ١٩٦٨م ، طبعة جامعة « أوبسالا » .

(٦) توجد فى مكتبة الأسكندرية نسخة من هذا الكتاب .

(٧) المقالة العاشرة من « سرائر الحكمة» للهمدانى ، تحقيق محمد ابن على الأكوع الحوالى ، بدون تاريخ للنشر ، إلا أن كلًا من المقدمة والخاتمة تشيران إلى الفراغ من نسخه فى ابريل ١٩٧٨م .

(٨) كتاب (الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء) (الذهب والفضة) للهمدانى ، إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبى ، من التراث اليمنى الإسلامى ، بدون تاريخ للنشر .

ولم يكن الهمدانى ممن يعتقدون فى صناعة التنجيم ، رغم أنها حظيت باهتمام العرب ، سواء فى الجاهلية أو بعد الإسلام ، بل إنها سادت بلاد الشرق والغرب مدة طويلة من الزمن ، ولايزال أثرها حتى أيامنا . ولقد كان الهمدانى على بينة من فساد هذه الصناعة ، ولم يذهب إلى ماذهب إليه فلكيو « السندهنـــد » من الربـــط بين قران الكواكب وفساد العالم أو نهايته(٩) ، فذكر فى معرض حديثه عن صحة تقويم الكواكب : « ثم الله بعد ذلك أولى إن أحب أن يديم الخراب أو يدورها مثل ذلك الدوران فله الخلق والأمر ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »(١٠) . وهو بهذا يؤكد إيمانه بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ »(١١) .

وإذا ما أردنا أن نستدل على عمق الجانب الإيمانى فى منهجية الهمدانى العلمية لوجدناه حريصاً على إظهار روحه الإيمانية فى افتتاحيات كتبه وبين سطور مؤلفاته . مثال ذلك : ماذكره من أسباب لتأليف كتاب « الجوهرتين العتيقتين » عن الذهب والفضة ، مستشهداً بما جاء بشأنهما فى كتاب الله ـ عز وجل ـ ، وفى الأخبار عن رسول الله ﷺ ، فيقول(١٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الخلق ، وباسط الرزق ، وقاسم المعيشة بين عباده بأحسن تقدير ، وأتقن تدبير ، فلم يغل عليه صغير ، ولم يعزب عنه حقير ، حتى عم الجميع بلطفه ، ووسعهم بفضله ، وأغناهم بحصاة من أرضه ، أخرجها لهم من بين حجر ومدر ،، لا ينهشها الكلب ولا يبتلعها الظليم (أى ذكر النعامة) ، ولا تؤذى شماً ولامذاقاً ، فجعل بها نظام دينهم ودنياهم ، ومتزودهم إلى معادهم وأخراهم ، فأحل بها الفروج ، وملك بها الرقاب ، ورأب بها الصدوع ، وسدّ بها الثغور ، وأرقأ بها الدماء ، وفك بها الأسرى ، وستر بها الحاج ، وقضى بها الفروض ، فقال لنبيه محمد ﷺ :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾(١٣) .

وقال تعالى :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ

(٩) قران الكواكب يعنى وجوده مع الشمس فى خط نظر واحد ، وقد احتوى كتاب « السندهند » على مقدمة فى تحركات الأجرام السماوية وطلوع ومغيب البروج محسوبة على أساس دورات زمنية تقدر بآلاف السنين ، حيث يعتقد أن الشمس والقمر والكواكب كانت فى بداية العالم مجتمعة على خط واحد ، وأنها سترجع إلى نفس الوضع فى نهاية العالم .

(١٠) المقالة العاشرة ، مرجع سابق .

(١١) سورة الرعد : ٤١ .

(١٢) كتاب « الجوهرتان العتيقتان » ، مرجع سابق .

(١٣) سورة التوبة : ١٠٣ .

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[14]

وقال تعالى :

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[15]

وفى مجال التأليف يسلك الهمدانى مسلكاً علمياً يدعو إلى الإعجاب والتقدير ، سواء بالنسبة لموضوعات الكتب ، أو بالنسبة لتبويبها وتصنيفها ، ويكفى أن ندلل على هذا الاتجاه المنهجى عند الهمدانى بأن نشير إلى ماذكره هو عن منهجه فى تأليف « ثلاثية » ذات معنى عن المال بأشكاله الثلاثة المتباينة : الأرض ، والحيوان ، والنقد ، حيث يقول : (فقد بوّبنا عن الأرض كتاب « الحرث والحيلة » ، وعن الحيوان كتاب « الإبل » ، ولم نحب أن نخلّ بأعظمها خطراً وأعتقها جوهراً ـ يقصد بذلك النقد وتبويبه لكتاب « الجوهرتان العتيقتان ، الذهب والفضة)[16] .

وهكذا نرى أن الهمدانى ينتمى بكل شموخ إلى جيل الرواد من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) اللذين تبلورت على أيديهم أصول المنهج العلمى التجريبى واصطنعوه طريقة للتفكير والبحث والتأليف فى مجال العلوم الكونية ، فكان من أهم الأسس التى قامت عليها النهضة العلمية والتقنية فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة ، ثم قامت عليها بعد ذلك نهضة أوروبا الحديثة التى أدت بدورها إلى حضارة العصر الذى نعيشه .

« يتبع »

---

(١٤) سورة الزخرف : ٧١ .

(١٥) سورة الإنسان : ١٥ ، ١٦ .

(١٦) كتاب الجوهرتان العتيقتان ، مرجع سابق .

برامج الحاسوب فى مجال العلوم الشرعية

ضوابط ومحاذير

بقلم / نبيل صلاح محمود العربى

الحمد لله الذى علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وبعد :

دخل الحاسوب إلى المنطقة العربية فى أوائل الستينيات ، وكانت التطبيقات السائدة منذ ذلك الوقت تكاد تنحصر فى المجالات المحاسبية والإدارية والإحصائية ، ولم يتجه التفكير إلى خدمة العلوم الشرعية إلا بعد ذلك بوقت طويل .

لقد كان على تطبيقات العلوم الشرعية أن تنتظر تطوير لغات وأنظمة مناسبة لطبيعة الدراسات والأبحاث الشرعية ، ومن جهة أخرى ، فقد تأخر التعريب ـ فى شكله العملى الواسع الانتشار ـ إلى الثمانينيات ، وهذا هو الوقت الذى بدأ فيه ظهور برامج حقيقية لخدمة القرآن الكريم والسنة ، ومع ذلك فقد كانت البداية مترددة حيث ارتبط الحاسوب بتطبيقاته التقليدية فى أذهان أغلب الناس وبخاصة المهتمين والمشتغلين بالعلوم الشرعية .

ولكن مع استمرار تطور تقنية الحاسوب وإنخفاض تكلفة اقتنائه وظهور أنظمة حديثة قوية لإدارة قواعد البيانات « Data Base Management » ولغات برمجة مرنة وسهلة الاستخدام ، فضلاً عن انتباه الباحثين فى مجال العلوم الشرعية للقدرات الكامنة فى تقنية الحاسوب ، أعلن عن عدد من المشروعات الطموحة ، ومن أمثلة هذه المشروعات[1] .

- « مشروع موسوعة الحديث النبوى » (د . يوسف القرضاوى) .
- « مشروع مكتبة الحديث الالكترونية » (د . مصطفى الأعظمى) .

---

(١) بعض هذه المشروعات وُضِعَتْ نَوَاتُهُ منذ سنوات طويلة ولكن لم يظهر إلى النور إلا مؤخرا وأرجو القارىء إذا تيسرت له معلومات موثقة عن هذه المشروعات أو مشروعات مشابهة أن يتفضل بإرسالها حيث نهتم بعمل مراجعة لهذه البرامج وتعريف بها ونبين أمرها .

• « مشروع برنامج القرآن الكريم ، وبرامج الكتب الثمانية » (شركة العالمية ـ صخر) .

• « مشروع مشكاة السنة النبوية » (مسجد نور الإسلام بالإسكندرية مصر) .

• « مشروع موسوعة الحديث النبوى الشريف » (مركـز التـراث لأبحاث الحاسب الآلى ، الأردن) .

وغير ذلك كثير .

على أن بعض هذه المشروعات والبرامج تجارية ، بمعنى أنها تباع فى السوق وتنطوى على هامش ربح ، بينما بعضهـا الآخر غير تجارى أى : لا يهدف إلى الربح ، وفيه معنى الوقف لله ـ تعالى ـ **والملاحظ أن بعض هذه المشروعات التى اكتملت وطرحت لجمهور المستخدمين فعلاً افتقرت إلى بعض العناصر الفنية ، بل وأحياناً إلى بعض الضوابط الشرعية ، ولذلك كان لابد من طرح هذا التساؤل :**

ماهى الضوابط والمعايير التى يتعين أخذها فى الاعتبار عند تصميم وتنفيذ برامج تخدم العلوم الشرعية ، حتى يمكن الاعتماد عليها كمراجع حقيقية أكثر كفاءة من المراجع التقليدية ؟.

إن البرنامج الشرعى (البرنامج المحوسب فى مجال العلوم الشرعية) عبارة عن شقين :

الشق الأول : هو مجموعة الوظائف والبرامج الفرعية والنماذج والتقارير ، وهذا الشق هو مسئولية مصمم النظام والمبرمجين ، والمعايير المتعلقة به هى معايير تقنية أو فنية .

والشق الآخر : هو المادة العلمية التى يتناولها البرنامج وهى مسئولية الباحث أو مجموعة الباحثين المتخصصين فى الموضوع (تفسير ، حديث ، أصول ، لغة ... إلخ) والمعايير المتعلقة بهذا الشق هى معايير الإنتاج العلمى فى المصنفات التقليدية من حيث التوثيق والدقة والموضوعية والأمانة العلمية والضبط الأصولى ... ألخ .

ومع هذا فجوانب التقنية تتداخل مع الجوانب العلمية فى كافة مكونات البرنامج ولذا فإن إعداد البرنامج الشرعى يتطلب تعاوناً مستمراً بين مهندس البرامج والباحث الشرعى فى كل مراحل العمل .

إن البرنامج فى النهاية هو منتج لاستخدام معين . ومن وجهة النظر الهندسية فإن تطوير منتج معين يقسم تقليدياً إلى خمس مراحل :

١ ـ وضع المواصفات .
٢ ـ التصميم .
٣ ـ التنفيذ .
٤ ـ اختبار المنتج .
٥ ـ صيانة المنتج .

أمـا فى مجال هنـدسة البرامج « Software Engineering » فإنه تتبع نفس الاستراتيجية لإنتاج منظومة برامج بواسطة متخصصين فى كل مرحلة من المراحل الخمس ، ولأن هذه المراحل تمثل الحياة الكاملة للمنتج يطلق عليها غالباً دورة حياة البرنامج « Software Life cycle » وفيما يلى نعرض للمراحل الخمس بشىء من التفصيل والبيان :

المرحلـة الأولى : وضع المواصفـات « Specifications »

فى هذه المرحلة توضع المواصفات الفنية للبرنامج ، وهذه المواصفات تكون مبنية على تصور كامل للجوانب التالية :

• نوعية المدخلات والمعطيات التى سيتم تغذية البرنامج بها : (نصوص ، أقوال ، بيانـــات تاريخية ، مادة صوتية ، ... الخ) .

• شكل التقارير والإحصائيات والمخرجات الأخرى التى يتعين أن ينتجها البرنامج .

• عدد الوظائف التى سيقوم بها البرنامج للوصول إلى المخرجات المطلوبة والخصائص التفصيلية لكل وظيفة .

• مستويات الأفراد المتوقع أن يتعاملوا مع البرنامج من حيث الدرجة العلمية (أستاذ متخصص أم طالب علم أم مجرد مسلم من العوام) ومدى الخبرة فى التعامل مع أنظمة محوسبة وكذلك الخدمات التى يحتاجها كل منهم .

وتعتبر مرحلة وضع المواصفات ــ بحق ــ أهم المراحل جميعاً ، والتقصير فيها يصعب تداركه فيما بعد ، ولذلك يبذل فيها جهد كبير من جانب : اخصائى تقنى يطلق عليه محلل النظم « Systems Analyst » وباحث متخصص فى العلوم الشرعية ، إلا أن الأخير يتحمل مسئولية أكبر فى هذه المرحلة ، لأنه يحدد الإطار الذى يعمل من خلاله البرنامج المنشود .

البرنامج الشرعى : هو إنتاج فكرى يشبه فى بعض الجوانب المصنف المطبوع ــ كما سلف ــ ومقتضى هذا أن اقتراح مشروع برنامج فى موضوع ما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المصنفات الأخرى فى نفس الموضوع حتى تكون الفائدة المرجوة من البرنامج أكبر ما يمكن ، فالعمل فى موضوع التصنيف فيه قليل أو لا توجد فيه مصنفات يكون أكثر فائدة ــ من حيث الإضافة العلمية ــ من موضوع آخر قتل بحثاً على أيدى السابقين .

فمثلاً إعداد برنامج لمجرد عرض « صحيح البخارى » على شاشة الحاسوب لا يحقق إضافة تذكر ، بل فى هذه الحالة قد يكون الكتاب أفضل لأن العين تصاب بالإجهاد من طول النظر إلى شاشة الحاسوب ، بعكس الحال بالنسبة للكتاب المطبوع .

ومن جهة أخرى ، يجب الحذر من الانبهار بإمكانيات أنظمة الحاسوب : « معدات Hardware » ، وبرمجيات Software » والانشغال بكم الإحصائيات وتنوع طرق عرض المعلومات التى توفرها عادة الأنظمة المحوسبة ، على حساب قيمة وفائدة المحتوى العلمى .

المرحلة الثانية : تصميم البرنامج Design

المرحلة الثانية : هى ترجمة المواصفات إلى تصميم ، وهدف مصمم النظم هو تحويل المواصفات المتفق عليها إلى ما يسمى : « برموجات Program Modules » وهى الوحدات البنائية لنظام الكامل ، حيث تحدد وظيفة كل برموجة والعلاقات بين البرموجات المختلفة .

إن الوصول إلى تصميم محدد انطلاقاً من المواصفات المعرفة فى مرحلة سابقة ينطوى على تحليل من أعلى إلى أسفل « Top-Down » حيث نبدأ بوظيفة النظام الكامل ثم نقوم بتقسيم النظام إلى أنظمة فرعية جزئية وكل منها له وظائفه التفصيلية ، ثم يعاد تقسيم الأنظمة الفرعية إلى أنظمة أصغر وهكذا إلى أن نصل إلى نقطة عندها

تكون كل وظيفة بسيطة (أى غير مركبة) ومحددة (أى غير مشتبهة) .

وعلى سبيل المثال منظومة براج « مشكاة السنة النبوية » تقوم بمجموعة وظائف تتعلق بدراسة الأسانيد والأحاديث وتمييزها ، فضلاً عن جوانب أخرى متعلقة بعلم الحديث وعلم الرجال .

فى مرحلة التصميم هذه يتم تقسيم المهام المتشابكة إلى أنظمة فرعية أهمها : المصنفات فى علم الحديث ورواة الحديث والحديث الشريف .. الخ .. **ثم قسم كل نظام فرعى إلى وحدات أصغر** (مثل إدخال البيانات وحساب الإحصائيات وطبع التقارير) وهكذا .

وبالتأمل فى العرض السابق يتضح أن هذه المرحلة تعتمد أساساً على خبرة وجهد محلل النظم أى أن لها طابع تقنى « Technical » إلا أن الأمر لا يخلو من الحاجة إلى مشاورة فريق البحث فى العلم الشرعى لضبط بناء المنظومة على نحو متماسك ومقبول ، وبحيث يكون تدفق البيانات وتسلسل العمليات منسجماً مع منطق العمل لدى المستخدمين الفعليين للنظام بعد إتمامه ، فهذا هو المقياس الحقيقى لنجاح النظام .

المرحلة الثالثة : بناء البرامج « Building »

بعد الفراغ من التصميم نحتاج إلى صياغة هذا التصميم فى شكل تعليمات يستطيع الحاسوب أن ينفذها ، وهذا ما يطلق عليه كتابة البرنامج أو التشفير « Coding » ولكتابة البرنامج نستخدم إحدى لغات البرمجة « Programming Languages » ، وعلى الرغم من ظهور عدة آلاف من لغات البرمجة خلال الثلاثين سنة الأخيرة إلا أن عدداً قليلاً منها فقط مما يمكن اعتباره لغة جيدة واسعة الانتشار .

وهناك اتجاهان فى اختيار لغة البرمجة . فبعض المبرمجين يفضلون استخدام إحدى اللغات العامة مثل « البيسيك BASIC » أو « السى C » أو « الباسكال Pascal » أو « فيجوال بيسيك Visual BASIC » ، وكل منها له خصائصه الفريدة .

بينما يتجه البعض الآخر من المبرمجين إلى إحدى لغات إدارة قواعد البيانات مثل : « DBASE » أو « FoxPro » أو « Clipper » ومؤخراً « Access » على أساس أن هذه لغات متخصصة وتتميز بالقوة والسهولة وملاءمتها لطبيعة مشاكل ملفات البيانات كبيرة الحجم .

وعلى كل حال فالعبرة أساساً بالمبرمج وليس بلغة البرمجة المستخدمة ، ولا داعى لإثارة جدل حول ماهية اللغة المستخدمة فى بناء تطبيق « Application » معين وليكن السؤال عن كفاءة وفاعلية التطبيق (أى البرنامج) .

ومع هذا فهناك عدد من الضوابط التى يوصى بالاسترشاد بها أهمها ما يلى :

١ ـ البرنامج الذى يعمل فى بيئة تشغيل واسعة الانتشار (مثل : « دوس » DOS أو « وندوز » Windows) أفضل من البرنامج الذى يرتكز على بيئات تشغيل أقل شيوعا .

وفى هذا السياق يذكر أن الشركة العالمية (صخر لبرامج الحاسب) قد أسهمت بالفعل بعدد من البرامج فى خدمة الشريعة الإسلامية واللغة العربية ، إلا أن أهم المآخذ على هذه البرامج هو إصرار الشركة على تشغيل برامجها تحت نظام غير

شائع أعدته هى يسمى « النوافذ العربية » وهو مجرد تعريب لأحد إصدارات « وندوز البلاتينى » بتصريح من الشركة الأمريكية « ميكروسوفت » التى لا يتوقع أن تجدد الترخيص للعالمية لأن ميكروسوفت قامت بتعريب نظام وندوز بواسطة فريقها الخاص وعلى نحو أفضل من العالمية .

٢ ـ يفضل دائماً البرنامج الذى يحتاج إلى موارد « Resources » قليلة من نظـــام الحاسوب . وبعبارة أخرى يفضل البرنامج صغير الحجم الذى يشغل حيزاً صغيراً على القرص وفى الذاكرة وهذا البرنامج يكون عادة ملفاً تنفيذياً قائماً بذاته « Standalone EXE File » يتم إنتاجه بواسطة أحد المترجمات Compilers .

٣ ـ يفضل البرنامج المتكامل الذى يغطى جوانب متعددة بحيث يلبى كافة احتياجات المستخدم فى مجاله .

المرحلة الرابعة : اختبار البرنامج Testing

نحتاج إلى اختبار النظام بعد إتمامه ، وذلك بالرجوع إلى المواصفات الموضوعة فى المرحلة الأولى للتأكد أن النظام يلبى الاحتياجات المطلوبة .

ولكن للأسف يتعذر اختبار أى برنامج جاد لكل احتمالات الإدخال والمعالجة التى يمكن أن تحدث فى الواقع العملى ، ولذلك يتم اختيار بعض عمليات الإدخال والمعالجة الأساسية وتجربتها على النظام .

ويعتبر النظام قد نجح فى الاختبار إذا استجاب للعمليات التجريبية بالطريقة المتوقعة ، وبعبارة أخرى ، يتم إدخال بيانات نعرف النتائج التى تتمخض عنها مقدماً ، فإذا جاءت النتائج الفعلية للنظام موافقة للنتائج المتوقعة ، يكون النظام قد نجح فى الاختبار .

وفى هذه المرحلة نستفيد من خبرة الباحثين فى العلوم الشرعية ، حيث يتسلمون نسخاً تجريبية من البرنامج ، ويقومون بتشغيلها باستخدام بيانات فعلية ، واستخراج التقارير مع نقدها ومراجعتها ؛ لاكتشاف أى خطأ محتمل استناداً إلى خبرتهم الطويلة فى التخصص .

المرحلة الخامسة : صيانة البرنامج Maintenance

بعد تسليم البرنامج لمجموعة المستخدمين بصفة نهائية وبدء التشغيل الفعلى ، يحتاج البرنامج إلى الصيانة . ومفهوم الصيانة هنا مختلف عن الصيانة فى المفهوم الهندسى التقليدى ؛ فالبرنامج لا يبلى مع الزمن ولا تتدهور وظائفه .

نحتاج إلى صيانة البرنامج بسبب التغيرات فى بيئة العمل مثل : تغيير مواصفات الأجهزة التى يركب فيها البرنامج أو إضافة أفكار جديدة لتحسين أداء البرنامج ، أى : تغيير بعض المواصفات . ومن جهة أخرى قد تظهر بعض المشاكل فى تشغيل البرنامج (مايسمى bugs) والتى تعذر اكتشافها فى مرحلة الاختبار مما يستلزم إعادة النظر فى البرنامج لضبطه وتنقيحه .

وأخيراً نعود فنؤكد أن بناء أنظمة برامج لخدمة العلوم الشرعية مسئولية كبيرة ومطلب ضرورى وعاجل . فاليوم توزع صحف ومجلات الكترونية على أقراص مدمجة (CDROM) توفر معلومات تفصيلية ووافية ومركزة فى حيز صغير ، وبالمثل نجد كافة الموسوعات الشهيرة اخرجت إصدارات

البقية ص ٢٣٢

من أمراض الطفولة

٢ - أنيميا ازدياد الخلايا الكروية في الدم

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

بدأنا الحديث عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقمنا بإلقاء الضوء على أحد أنواعه وهو مرض « أنيميا الفول » . واليوم نقوم بإلقاء الضوء على نوع آخر من ذلك المرض وهو مرض « أنيميا ازدياد الخلايا الكروية فى الدم » .

● **ما أنيميا ازدياد الخلايا الكروية فى الدم ؟** Spherocytosis .

من المعروف أن خلية الدم الحمراء عبارة عن قرص مستدير ، ذى سطحين مُقعَّرَيْن يتراوح قطره بين ٦,٧ إلى ٧,٩ (ميكرون)[1] (المتوسط هو ٧,٢ ميكرون) ويكون سُمْكها حوالى ٢ ميكرون ، ولا توجد بها نواة ، وتكون ممتلئة بالهيموجلوبين ، فيما عدا منطقة مركز الخلية ، وتكون مدة حياتها حوالى ١٢٠ يوم .

وفى هذا النوع من « فقر الدم » تكون خلايا الدم الحمراء أصغر حجماً ، ولكنها أكثر سمكاً .. فتكون بهذا كروية الشكل ، وبالتالى تكون أكثر عرضة للتحلل ، وتقل فترة حياة الخلية عن مُعَدّلها الطبيعى (١٢٠ يوم) .

● **سبب المرض ؟ :**

يحدث المرض نتيجة خلل فى تكوين الغشاء الخلوى لكرات الدم الحمراء ، وبالأدق نتيجة خلل فى البروتين الموجود تحت الغشاء الخلوى (ربما السبكترين) **Spectrin** وهذا يجعل الخلية أكثر نفاذية لعنصر الصوديوم ، ولكى يتم إخراج هذا العنصر من الخلية ، فإن ذلك يستلزم كمية أكبر من الطاقة لضَخّ الصوديوم ، خلال المضخة الخاصة به **Sodium Pump** خارج الخلية .

---

(١) الميكرون يساوى $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الميللى .

وعندما تمر هذه الخلايا فى الطحال Spleen ، يتم احتجازها داخله ، وتتعرض هذه الخلايا المحتجزة إلى قلة نسبة (الجلوكوز) وزيادة نسبة الحموضة Acidosis ، فى الطحال ، ونظراً لقلة الطاقة (حيث إنها تستغل فى عملية ضخ الصوديوم - الموجود بكمية كبيرة داخل الخلايا - إلى خارج الخلايا) فإن الخلية تجبر على فقد جزء من غشائها الخلوى ، بواسطة الالتهام Phagocytosis وتصبح الخلايا كروية صغيرة الحجم Microspherocytes ، قابلة للتكسر .

ومن الجدير بالذكر أنه فى أغلب الأحوال من (٧٥٪ إلى ٨٠٪) يورث المرض كصفة ذاتية جسدية سائدة Autosomal Dominant (أى يكون (الجين) الخاص بالمرض محمولًا على الكروموسومات الجسدية ، ويكون سائداً .. أى يكفى أن يكون أحد الجِينَيْن هو (جين) المرض . لكى يتجلى ظهور هذا المرض على المريض) . أما فى النسبة الباقية ، فيحدث المرض نتيجة لحدوث طفرات أو تحولات جينية جديدة : New gene mutation .

* * *

● **أعراض المرض :**

* قد يظهر المرض مبكراً فى الشهر الأول من عمر الطفل ، فى صورة فقر دم شديد ، مع زيادة نسبة مادة الصفراء فى الدم : Hyper bilirubin anemia نظراً لزيادة تكسر خلايا الدم الحمراء ، وربما يحتاج الرضيع لنقل الدم وعلاج زيادة نسبة البيليروبين إما بالعلاج الضوئى Phototherapy أو بتغيير دم الطفل Exchange transfusion ، فى الحالات الشديدة .

ثم يتجلى المرض بعد ذلك فى صورة :

١ - فقر دم شديد : حيث يصاب الطفل بالشحوب مع الضعف العام ، والشعور بالتعب وضيق التنفس ، عند بذل أدنى مجهود .

٢ - اصفرار الجلد وبياض العين ، والأغشية المخاطية .

٣ - تضخُّم الطحال - وفى الحالات الشديدة - قد يزداد نشاط الطحال Hypersplenism ويؤدى هذا إلى تكسُّر جميع خلايا الدم : (الخلايا الحمراء والبيضاء ، والصفائح الدموية) .

٤ - عندما يكبر الطفل قد يعانى من حدوث حصوات مرارية ملونة متكررة Pigmented gall stones .

٥ - قد يعانى الطفل من حدوث عدة نوبات Crisis وهى تشمل :

(أ) نوبة توقف تصنيع خلايا الدم : Aplastic Crisis .

وتحدث نتيجة إصابة الطفل بأحد الفيروسات Human Parvo Virus .

فيحدث الآتى :

● **فقر دم شديد مفاجىء نظراً لقلة عدد الخلايا الحمراء .**

● **قلة عدد الخلايا الشبكية ونسبة الصفراء ، نظراً لقلة عدد الخلايا الحمراء المتحللة .**

● **قد يصاحب هذا قلة كرات الدم البيضاء فيصاب الطفل بحدوث الالتهابات ، أو قلة الصفائح الدموية . فيصاب الطفل بالنزف .**

(ب) نوبة تحلل الدم : Hemolytic Crisis

حيث يزداد معدل تحلل الخلايا الحمراء فيحدث الآتى :

● **زيادة فقر الدم ، وزيادة نسبة الخلايا الشبكية والصفراء .**

● **احمرار لون البول (نظراً لوجود مادة « الهيموجلوبين » الناتجة عن تكسر الخلايا الحمراء به) .**

● **يزداد حجم الطحال ويصبح مؤلماً عند الفحص .**

ومن الجدير بالذكر أن نوبة ازدياد تحلل كرات الدم الحمراء Hyperhemolytic Crisis .

فتحدث إذا كان الطفل يعانى من (أنيميا الفول) أيضاً علاوة على إصابته بهذا المرض .

(ج) نوبة زيادة نسبة الخلايا الضخمة : Megaloblastic Crisis .

حيث تزداد نسبة الخلايا كبيرة الحجم المحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين Megaloblast وقد يصاحب هذا أيضاً قلة عدد الخلايا البيضاء ، والصفائح الدموية . ويحدث هذا إذا كان الطفل يعانى من نقصان حامض الفوليك .

* * *

● **كيفية تشخيص المرض**

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة :

ويتجلى فيها الآتى :

● قلة عدد كرات الدم الحمراء والهيموجلوبين ، وتكون الخلايا الحمراء صغيرة الحجم ، كروية الشكل (أكثر سمكاً) ، وممتلئة كلياً بالهيموجلوبين بحيث يختفى الشحوب المركزى Central Pallor .

● **زيادة نسبة الخلايا الشبكية :**

(٢) زيادة نسبة « البيلروبين » غير المباشر .

(٣) القيام بعمل اختبار التكسر الأسموزى :

Osmotic Fragility Test

وهذا الاختبار يثبت زيادة معدل تكسر الخلايا الحمراء عند المريض ، ويتم بإضافة كميات صغيرة من دم المريض ، إلى تركيزات متزايدة ، من محلول الملح ، ثم تقاس نسبة تحلل الخلايا الحمراء عند كل تركيز ، ويكون متوسط تكسر الخلايا **Mean Corpuscular Fragility** هو تركيز محلول الملح الذى يسبب تكسُّر (٥٠٪) من خلايا دم المريض المضافة ، ويكون هذا المتوسط حوالى (٤, ـ ٤٥,) عند الشخص غير المريض ، ويزداد هذا المتوسط عند المريض بأنيميا زيادة الخلايا الكروية .

● **علاج المرض :**

١ ـ يتم نقل الدم للمريض ، إذا كان يعانى من فقر دم شديد ، مع إعطائه حامض الفوليك ، فى شكل دوائى ، إذا كان يعانى من نقصانه .

٢ ـ استئصال الطحال :

وذلك سوف يمنع حدوث زيادة تكسر الخلايا الحمراء ، وبالتالى منع حدوث أعراض المرض ، ولكن الخلل فى تكوين الخلايا سوف يظل موجوداً . ويستحسن أن يتم هذا عند سن ٥ سنوات وليس بعد هذا ، حتى نتفادى حدوث

نوبات المرض ، وفقر الدم الشديد ، الذى يؤثر على نمّو الطفل ، وأيضاً لمنع حدوث الحصوات المرارية .

وأيضاً ، من الأفضل عدم استئصال طحال الطفل قبل خمس سنوات ـ إلا فى حالات المرض الشديد الوطأة ـ لمنع حدوث المضاعفات الشديدة التى تعقب استئصال الطحال وهى :

(أ) حدوث الالتهابات الشديدة بواسطة البكتريا ذات الكابسول Capsule (مثل الالتهاب الرئوى ، والالتهاب البكتيرى السحائى ، والالتهابات العظمى الحاد) وتحدث الإصابة بهذه البكتيريا ، بعد استئصال الطحال ؛ لأن هذا العضو يقوم بتصنيع مادة (الأوبسونين) (Opsonins) وهى أجسام مضادة تساعد فى عملية التهام الجراثيم .

(ب) زيادة نسبة الصفائح الدموية Thrombocytosis وقد يؤدى هذا إلى حدوث جلطات دموية ، ويمنع هذا بإعطاء الطفل الأدوية المانعة لحدوث الجلطات : Anti Coagulants .

بقية ص ٢٢٨

محوسبة (Computerized) من انتاجها ، فمتى يلتفت علماؤنا ومؤسساتنا إلى أهمية هذا الموضوع ويتم إرساء مفاهيم للتأليف والتصنيف وإعداد الأبحاث العلمية على نحو يتفق مع هذا الاتجاه الجديد .

إن ما يحدث الآن فى هذا المجال عبارة عن اجتهادات فردية من شركات البرامج أغلبها يرتكز على أساس تجارى يهدف إلى تحقيق الربح ، وطريقة حصول هذه الشركات على تصاريح لإصدار برامجها تماثل طريقة الحصول على تصاريح لإصدار مواد مطبوعة رغم البون الواضح بين المادة الألكترونية والمادة المكتوبة على الورق ، ولذلك يجب على المؤسسات الكبرى فى العالم الإسلامى وعلى رأسها الأزهر الشريف محاولة بحث معايير وضوابط جديدة لتصنيف وتقييم مشروعات البرامج الإسلامية ، ليكون القبول أو الرفض على أساس متكامل شرعى وتقنى وعلمى فى آن واحد . فهل نطمع أن يكون هذا قريبا ؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

«وَيَخلقُ مَا لَا تَعلمُونَ ...»

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد (*)

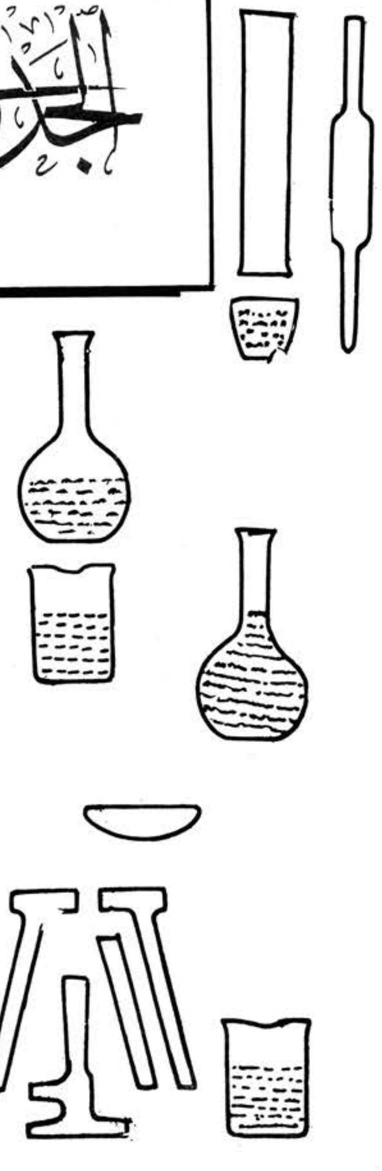

«جهاز نسخ جديد»

صممت إحدى الشركات «الفرنسية» جهاز نسخ جديد يكبر النصوص والرسوم إلى حجم معين فى دقيقة واحدة ، ويحتوى الجهاز على ماسح يقوم بتحليل الوثيقة الأصلية ويحدد درجة الطبع الحرارى على الورقة . وهذا الجهاز عبارة عن نقلة نوعية فى مجال التكبير .

«حاسب شخصى للجيب»

انتجت شركة يابانية «للألكترونيات» حاسب شخصى بحجم الجيب ، بجميع مميزات الحاسب الشخصى المكتبى ويمكن أن يستوعب كميات كبيرة من المعلومات ، كما يمكن توصيله ببطاقات برمجة لخزن أكبر كمية ممكنة من المعطيات ، ويقوم بجميع العمليات الحسابية تقريبا وبوظيفة مفكرة شخصية .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

« الدفع المغناطيسى لتسيير السفن »

قامت مؤسسة « يابانية » لصناعات السفن ببناء سفينة تسير بقوة الدفع المغناطيسية بدلا من الرفاصات ، ويعتمد عمل السفينة على سحب ماء البحر فى أنابيب تحت جسم السفينة ، ويتم شحنه بالكهرباء ، ثم يندفع هذا الماء المكهرب فى الأنابيب بواسطة مغناطيسات كهربية ذات موصلات بالغة القوة فينتج عن هذه العملية قوة دفع تحرك السفينة على سطح الماء ، وعند عكس تدفق التيار الكهربائى فى المغناطيسات ينعكس تدفق الماء فى الأنابيب فتتحرك السفينة للوراء ، وعند إبطائه تتحرك السفينة ببطء .

ملابس جديدة لحماية قاطعى الأخشاب »

أنتجت شركة « فرنسية » مجموعة جديدة من الملابس لحماية قاطعى الأخشاب الناجمة من آلات تقطيع الأخشاب . وتتميز هذه الملابس الحامية بأنها خفيفة ومتينة ومريحة ومصنوعة من طبقات من «البوليستر» وتستطيع أن توقف المنشار المسنن وآلة التقطيع السريعة فى أقل من الثانية .

« تقنية جديدة لحماية المحاصيل أثناء التخزين »

اكتشف العلماء فى « استراليا » طريقة جديدة للتخزين تخلص صوامع الحبوب من الحشرات بفعالية أكبر من الطرق التقليدية . وتقوم هذه الطريقة على ضخ تركيزات منخفضة من غاز الفوسفين الممزوج إما بالنتروجين أو بثانى اكسيد الكربون عبر الحبوب بمعدل ثابت بواسطة مروحة صغيرة ويؤدى تدفق الغاز المستمر إلى الانتشار فى كل أنحاء أكوام الحبوب ، كما أن هذه التقنية تحتاج إلى تركيزات من المبيد الحشرى الفوسفين أقل بكثير وتوفر حماية أطول من الطرق التقليدية .

اختيار سريع لمعرفة مستوى الكولسترول »

أعلن مجموعة من العلماء فى أحد المعاهد الطبية « بموسكو » عن اكتشاف طريقة جديدة وبسيطة لتقدير مستويات « الكولسترول » فى الدم تعتمد على مستويات « الكولسترول » فى الجلد ، وتتألف مجموعة التشخيص من كاشف يرتبط « بالكولسترول » ومحلول يتغير لونه بوجود « الكولسترول » ، ويضع العلماء ثلاث قطرات من الكاشف بتركيزات مختلفة على راحة اليد يغسلونها بعد فترة بسيطة ، وبعد ذلك يضيفون قطرات من المحلول إلى المواقع نفسها على اليد فيتغير لون المحلول تبعا لمستويات « الكولسترول » فى الجلد .

« خزف يابانى جديد لترميم العظام »

تمكن الباحثون اليابانيون من اختراع خزف جديد أقوى من مادة العظام وناشط حيويا ويمكنه أن يحل محل العظام فى عمليات الترميم العظمى .

والخزف الجديد عبارة عن زجاج مصنوع من الكالسيوم الفسفورى ومسحوق السيليكون ، ويمكن قطع هذا الزجاج وتشكيله فى أى شكل كان وحتى فى شكل الفقرات العظمية .

«توليد الكهرباء من باطن الأرض»

تمكنت اليابان من استخراج البخار من باطن الأرض وتوليد الكهرباء منه ، وتعتمد هذه الطريقة على أنه فى عمق كبير من سطح القشرة الأرضية تزداد درجة حرارة طبقات الصخور بشكل كبير وتتجمع مياه الأمطار التى تمتص داخل الأرض فى شقوق غائرة وتختلط بالأملاح المعدنية التى تأتى من الحمم البركانية التى بداخل الشقوق ، ويتم استخراج الطاقة من باطن الأرض بواسطة ضخ كميات كبيرة من الماء فى بئر عميق على هيئة خزان حيث يمكن استغلال الضعف الموجود فى بعض الطباقات الصخرية وتكوين شق غائر صناعى من المياه ، وبعد ذلك يتم حفر بئر آخر يصل حتى خزان الماء الذى يكون قد زادت حرارته بفعل الصخور المحيطة به فيستخدم البخار الناتج فى توليد الكهرباء .

«الحاسة السادسة عند بعض الحيوانات كهربائية»

اكتشف العلماء «الاستراليون» أن «القنفد» آكل النمل يحمل مستقبلات كهربائية فى خطمه ، مثل الحيوان الآخر المسمى «بخلد الماء» ، وهما الثدييان الوحيدان اللذان يتوالدان بوضع البيض وليس بالحمل .

وأكد الفريق «الاسترالى» أن هذه المستقبلات تتحسس التيار الكهربى سواء كان مستمرا أو مترددا ، وأظهرت الدراسة التى أجريت أن استجابة المستقبلات اللمسية لاتتحقق إلا بتيارات تبلغ ألف ضعف تلك التى تحرض المستقبلات الكهربائية .

«حقنة ممغنطة لمنع التلوث»

صمم مجموعة من جراحى الأسنان فى «أمريكا» آلة على شكل حقنة تقوم بالتقاط الأدوات الجراحية الملوثة لنقلها إلى حوض التعقيم وتسمى «الحقنة الممغنطة للأدوات الجراحية» ، وتتألف من أنبوب مركزى من الألومنيوم أو ألياف الكربون تحمل فى طرفها مغنطيسا صغيرا أسطوانى الشكل فعند الضغط على الآلة بالأصابع يبقى ظاهرا ليلتقط الأدوات الجراحية الملوثة وينقلها فوق حوض التعقيم دون أن يلمسها الطبيب .

مع الدكتور عبد الوهاب عزام

فى كتابه (التصوف وفريد الدين العطار)

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

تُعين دراسة اليوم على اجتلاء مَلْمَح جديد من مُكوِّنات شخصية الدكتور عبد الوهاب عزام وثقافته ــ رحمه الله ــ ونظرته إلى التصوف الإسلامى ، بصفة عامة ، فى أصله العربى ، وإطاره الفارسى .. خاصة إذا لاحظنا الاتجاه المشترك بينه وبين : (فريد الدين العطار) ، فى شغفهما بالسياحة والرحلة ؛ للتنقل فى آفاق الأرض ، وللتبحّر فى العلم ، ومقابلة العلماء الأعلام الأفذاذ[1] ، وقد استمر العطار فى تطوافه زهاء ثلاثين عاما ، زار خلالها : الرَّىَّ ، والكوفة ، ومصر ، ودمشق ، وتركستان ، والهند .. وبعد عودته إلى نيسابور ، مرَّ ببغداد ، حيث التقى بالشيخ مجد الدين البغدادى ، الذى ألْبسه : (خرقة التصوف) .. ويصف العطار ذلك كله ــ فى كتابه : (مختار نامه) ــ ، بقوله : « لقد طوَّفنا عُمْرًا فى كل ناحية ، وطِرْنا كالريشة حول رجال كالجبال .. » إلى أن يقول : « تركنا دارنا بسائلين ، ورجعنا .. ملوكا ! » .

● ● ●

ولكى تزيد الرؤية وضوحا ، نذكر أن الدكتور عزام نفسه ، كان ذا اتجاه صوفى ، يستمد مقوماته الأولى ، من نشأته الدينية ، وفطرته النقية ، التى عبَّدتْ الطريق أمامه ، للاطلاع على أمهات كتب التصوف وغيرها ، وحرصه على تتبع سير كبار المتصوفة ، فى مجاهداتهم ، وأذواقهم ، ومواجيدهم .. ووقف طويلا عند :

فريد الدين العطار ، وجلال الدين الرومى فى القدامى ، والدكتور محمد إقبال ، فى المعاصرين .. وهكذا : لا يعرف الشوق إلا مَن يكابده ولا الصبابة إلا .. مَنْ يُعانيها .

● ● ●

والنزعة الصوفية المعتدلة ، لدى الدكتور عزام ، تبدو ـ أوْضح ما تكون ـ فى إحدى خواطر كتابه : (الشوارد) ، تحت عنوان : (صُوفى فى حلة مُذَهَّبة)[1] يقول فيها :

« قلت لنفسي ـ وقد ليست حلة رسمية ، مُوشَّاة مُحلاة مزركشة ـ : ما أبْعد هذا مما تَدَّعين من التصوف !

أين من التصوف هذه الزينة ، وهذه الأبَّهة ، وهذه الخُيلاء ؟

قالت (أى نفسُه) : ـ إنها زينة ، ومن حَرَّم زينة الله التى أخرج لعباده ؟ ، وليست خيلاء .. فما أخْتَلتُ بها ، ولا زُهِيت ، ولا داخَلَنِى العُجْب » .

إلى أن يستطرد مُبْدِيًا رأيه فى الصوفى الحق ، وتعريفه له ، بأنه هو :

« مَنْ ينل من الدنيا مالًا وجاهاً وسلطاناً ، فيصرف ما نال بالعدل والحق والإحسان ، لا يَبْطَر ولا يَطغَى ، ولا يبْغى ، ولا يختال ولا يغْترّ ، يمْلك الدنيا .. ولا تمْلكه ، وتصرفها يدُه ، ولا تنصرف هى .. فى قلبه . »

وينتهى الدكتور عزام ـ بيان تعريفه للصوفى ـ إلى قوله :

« إنما الصوفى الحق ، الذى يتصوف فى المُعْتَرَك ، بين الفتن والأهواء ، لا مَنْ يقْبع فى صومعته ، لا يمتحن قلبه ولا يده ، بمال أو سلطان ، ولا يُفْتن بمجاملة الناس ، ولا تُحيط به الشهوات » .

ويعود فى خاطرة أخرى ، بذات الكتاب ، لإعطاء المزيد من تأملاته ، حول هذا الموضوع ، بقوله :

« كم قرأنا فى كتب الصوفية عن الذكر والدُّعاء ، بالصباح والمساء ، وعن إخلاص العبادة لله ، والتوجّه إليه وَحْدَه ، لا يريد العابد إلا وَجْهَه .. وعن دَأب السَّالك وصبْره ، ومُضيِّه على الطريق ، لا تشغله الشواغل ، ولا تفتنه الفتن ، ولا تحيد به الشهوات .. » إلى أنْ يقول : « وقد قرأنا القرآن الكريم وحَفظْناه ، وعرفنا مِن آياته وعظاته .. ولكننا لم نسْبر غوْره ، ولم ندرك قراره ، ولم نُعْطه حقّه من التأمل والتدبر ، فبدا لنا بعضُه ، وخفِى أكثره .. وسمعتُ قارئا يقرأ من سورة الكهف ، الآية :

---

(١) وقد طاف عزام ـ كما قدمنا ، بعدد سابق من مجلة (الأزهر) ـ بالشرق والغرب ، طواف باحث سواء أيام تلقيه للعلم فى لندن (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) أو فى العالم العربى والإسلامى ، والهند والباكستان حتى وُصف بأنه (أدريس) العصر الحديث . ويقول فى وصف رحلاته : « أتاحت لى الأسفار رؤية كثير من البلاد التى قرأت عنها ، ومكنتنى من التوسع فى درس اللغات والآداب التى عرفتها من قبل ، أنظر كتاب (الكتاب المعاصرون) للأستاذ أنور الجندى .

(١) ص ١٩٩ .

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

سورة الكهف

فتأملت ، فإذا هى جُماع ما قرأنا فى التصوف وَوَعيْنا ، وإذا هى ملاك ما سمعنا عن الصوفية وأدْركنا » .

●●●

ويستْهل الدكتور عزام ، بعد ذلك ، كتابه عن (فريد الدين العطار) ، بمقدمة متأنيّة ، عن نشأة التصوف الإسلامى ، ينْفى فيها تأثره أو أخْذه من أمم أخرى ـ كالهند أو الفرس أو فلاسفة اليونان ، ـ يقول :

« والذى يراه المدقق فى تاريخ الصوفية ، أن تصوف المسلمين وَجَد مبادئه فى (الكتاب والسُنّة) ، ومن منابعه الأولى : من تصوُّف الحسن البصرى ، وسُفْيان الثورى ، ورابعة العدوية ، وبشْر الحافى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد ، وأبى يزيد البسطامى ، وغيرهم .

وللعقاد ، فى هذا المجال ، رأى سديد ، أبْداه فى مَعْرض حديثه عن (تصوُّف إقبال) ، مفنّدا زَعْمَ المستشرقين أنَّ التصوف غريب عن طبيعة الإسلام ، لأن سليقة العربى لا تقبل التصوف : « لأنه ـ كما يقولون ـ نشأ فى بلاد صحراوية ، تحت سماء صافية ، بين مناظر مكشوفة ، لا تُخْفِى شيئا .. ولا تُغريه بالغوص على سِرٍّ من الأسرار .. وهذا بعكس الأمم التى تنشأ بين الغابات المتشابكة ، والأغوار السَحيقة ، والجبال السامقة ، فى جوٍّ غائم ، قَلّما يتكَشَّف عما فوقه من الكواكب والنجوم ، حتى : الشمس والقمر ! » .

وينفى العقاد هذا الزعم ، بعد ذلك ، لخلْط المستشرقين ، بين الطبيعة العربية ، وطبيعة الإسلام .. « فالإسلام بمعزل عن هذا كله ، فهو الذى يُشَكل الطبائع ، وليس العكس ؛ لأنه من لدن الخلّاق العظيم ، وليس كالأثر الأدبى ، مثلا .. الذى يتكون فى ظروف معينة ، يتأثر بها .. (أنظر كتابه مذاهب أدبية واجتماعية ص ١٩١) وينتهى العقاد ـ كما انتهى عزام ـ إلى أن التصوف ليس بغريب عن طبيعة الإسلام ، وأن المسلم يستطيع أن يستمد أصوله من آيات القرآن الكريم ، قبل أن يلتفت إلى مصادر التعليم من الكتب الإسلامية الأخرى ، أو من الكتب الأجنبية .. وهو يرى ـ أى العقاد ـ أنَّ من الآيات القرآنية الشريفة ، التى تجمع التصوف فى أصوله ، قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

الإسراء : ٤٤

وقوله ـ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ سورة النور

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾

ق : ١٦

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾

البقرة : ١١٥

وقوله ـ تعالى :

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الحديد : ٣

وقوله ـ تعالى :

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

الذاريات : ٥٠

ثم يسوق العقاد قصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ مبينا أنها هى خلاصة القول ، فى علم الظاهر وعلم الباطن « وفى إعداد المؤمن المجتهد ، لفهْم أسرار الأمور ، قبل الحكم على ظواهر الحياة » .

وينتهى العقاد ، فى بحثه الفذ ، إلى مقطع الرأى فى تمييز التصوف : بنوع من نوعيْة المعروفيْن ، وهما : « التصوف الذى يرفض الحياة ، والتصوف الذى يقبل الحياة .. أو ، هو ـ على الأقل ـ لا يحسب رفضها شرطا لازما ، من شروط الخلاص والنجاة » .

● ● ●

ويمضى الدكتور عزام فى كتابه ، متأبِّطا ساعد قارئه ، للتعريف بالعطار ، فيقول : مهَّد هؤلاء[٢] الطريق للشاعر العميق الفياض ، شاعر الحب الإلهى ، الذى كانت أقواله تسمى : « سوط السالكين »[٣] ، وأن اسمه هو : أبو طالب ـ أو أبو حامد : محمد بن إبراهيم ، واشتهر باسم

(٢) يعنى المتصوفة الكبار : ابو سعيد بن أبى الخير (٣٥٧ ـ ٤٤٠ هـ) وعبد الله الأنصارى (٣٩٦ ـ ٤٨١ هـ) ومجد الدين سنائى الغزنوى المتوفى سنة ٥٤٥ هـ » أنظر كتاب (قصة الأدب فى العالم) للدكتورين : أحمد أمين وزكى نجيب محمود جـ ١ ط سنة ١٩٥٥ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ وقد ذكر المصنفان فى مقدمة كتابهما هذا ، أنهما عرضا الأدب الفارسى القديم على الدكتور عزام ، فزاد فيه ، وكتب فصل (الأدب الفارسى فى العصور الوسطى) أنظر ص ٤٣٨ .

(٣) بمعنى أنه : يدفعهم دفعا فى (الطريق) ، ويحثهم على تغذية السيْر قُدُما فى مراحله المختلفة ، كما كان الجامى يُسَمِّى (العطار) : بـ (سيد الطائفة) .

(العطار) ، لوراثته مهنة العطارة عن والده ، فى حانوت له (بنيسابور) ، وقد ولد سنة ٥١٣ هـ فى قرية تسمى (كدكن) قرب نيسابور فى العصر السلجوق ، وحفظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وتبحَّر فى دراسة الأدب والفقه والتاريخ ، ثم انصرف للتبحر فى علوم التصوف ، وعرف للصوفى ، بأنه :

« مَنْ إذا نطق ، كان كلامه عين حاله ، فهو لا ينطق بشىء .. إلا إذا كان هو : ذلك الشىء » .

وقد نظم العطار زهاء أربعين منظومة ، طويلة وقصيرة ، أُشْيَرُها ـ كما يقول الدكتور عزام : (بَنْدنامه) ـ أى كتاب النصائح ـ و (منطق الطير) .. والكتاب الأخير هو الذى ضمن للعطار الصيت والخلود .. والمنظومة فيه تتألف من أربعة آلاف وستمائة بيت ، من بحر (الرَّمل) ، والقافية المزدوجة : (المثنوى) .. لها مقدمة فى التحميد والصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومدح الخلفاء الراشدين ، تستغرق ستمائة بيت ، ثم يقص الشاعر قصته فى خمس وأربعين مقالة وخاتمة(٤) .

وقد أثر عن العطار ، قوله : « كُنْ كالبحر ، واخْبأ جواهرك فى نفسك » .

وقوله : « عالمك وعالمى .. وراء الإدراك » وهذا يذكرنا بقول ابن سهل التسترى :

قلـــوب العـــارفين لها عيـــون ترى ما لا يراه الناظرونــــــــــا(٥)

وقوله : « أيتها الروح ! جئت من العالم الذى لا يُحدُّ ، فريدة فى جمالك ، ولبثت فى حجاب المادة .. فلا قرار لك حتى ترجعى .. أيتها الروح ! كيف أنت .. مسلوبة كل عظمتك وجمالك ؟

ويخلص الدكتور عزام فى نهاية كتابه ـ بعد ذكر الكثير من أحاديث كبار المتصوفة وأقوالهم ، فى شتى مناحى المعرفة ، وموازنتها بآراء العطار ـ إلى حقيقة واضحة ، مؤداها : أن العطار فى عامة قوله : **« سُنِّى متشدِّد ، يلحُّ فى تبين الاتفاق بين الشريعة والتصوف ، ويُوصى باتباع الشرع فى كل شىء ، ويتكلم كثيراً عن الاتصال بين الشريعة والحقيقة ، ويرى ـ كما يرى غيره من الصوفية ـ أنَّ الرسول صلوات الله عليه ، هو المثل الأعلى : لصاحب الشرع ، وللصوفى .. معا .**

(يتبع)

---

(٤) وهى منظومة رمزية ، تتناول بحث الطيور عن الطائر المعروف باسم (العنقاء) ، أو كما يُسمِّيه الفرس (سيمرغ) ، والطيور هنا : ترمز للسالكين من أهل التصوف ، وأما (العنقاء) فهى ترمز لغاية الوصول والمجاهدة ، للقربى لذات الله العليَّة .. وتقطع الطيور فى سبيل الوصول إلى غايتها : وديانا سبعة ـ كما قسمها العطار ، وهى ما اتفق أغلب رجال الصوفية على تسميتها بالمقامات أو الأحوال ـ تحت زعامة (الهدهد) ، الذى أجمعت الطيور على مبايعته زعيما وقائدا ومرشدا ، لأنه رسول سليمان ، الذى جاء من سبأ بنبأ يقين . (انظر مجلة (الإخاء) .. عدد ٧ ابريل سنة ١٩٧٧ ص ١٥ ، من مقال للأستاذ محمد عبده الحجاجى عن العطار وتصوفه .

(٥) وينسب هذا البيت أيضا إلى السيدة (ميمونة) زوج إبراهيم بن أدهم .

نظرات في كتاب

شيخ أدباء مصر سيد بن على المرصفى

للأستاذ. سيف النصر الطلخاوى

بقلم / ثريا محمد مصطفى

اطلعنا ـ فى حينه ـ على مقالات « الأزهر : والمراصفة والأدب » ، التى خطَّها الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، فى أعداد متوالية ، من « مجلة الأزهر » ووقفنا على المعلومات القيمة ، التى قدَّمتها لنا هذه الدراسة لقرية (مرصفى) ، وما قدمته هذ القرية من رجالات أفذاذ ، فى حقل الأدب العربى الحديث ، استأثرت أسماؤهم بها ..

وقد طالعت ، حديثا ، كتابا للأستاذ سيف النصر الطلخاوى ، يحمل عنوان مقالنا هذا ، قدَّم فيه المزيد من المعلومات والطرائف ، عن شيخ أدباء مصر : (« سيد بن على المرصفى » ، بتفصيل وافٍ عن : حياته ، ومنهجه فى دراسة النص الأدبى ، ونقده ؛ ونعرض فيما يلى طرفا منه ، لتمام الفائدة :

أولا : بالنسبة لمحاولة تحديد تاريخ ميلاد الشيخ سيد المرصفى ، ذكر المؤلف أنه يستطيع أن يصل إلى معرفته بإحدى طريقتين وكلتاهما تُعَرفنا ذلك بحساب تقريبى ، لا تحديدى ..

فالطريقة الأولى : توصَّلنا حينما نُدرك بما ثبت لدينا أن (الشيخ سيد) قد نال شهادة الإجازة ، على شيخه (الشيخ الشربينى) سنة ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢ م . وإذا عرفنا أن طالب العلم بالجامع الأزهر ، كان يقضى فيه ـ ليستطيع أن يحصل على مثل هذه الشهادة ـ خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن قانون (الرُّوَاق) ، وتسجيل الأسماء فيه ، لم يكن يسمح لأقل من خمسة عشر عاما ، يقْضيها الطالب فى حفظ القرآن الكريم وتجويده ، وحفظ المتون .. يعنى ذلك ، أن السن المعتبرة والمعتادة للحصول على الإجازة ، تصل إلى ثلاثين عاما ، وقد تزيد قليلا ، أو كثيرا ، وفقا للظروف التى يمرُّ بها الطالب ..

فإذا اعتبرنا أن « سيد بن على » قد نال الإجازة ، بعد ثلاثين سنة من مولده ، فإن عام ولادته ـ على هذا ـ يكون هو عام ١٢٨٠ هـ الذى يوافق ١٨٦٢م . ويُقوِّى هذا أن « سيد بن على » قد اشترك فى الثورة العرابية ، وهو فى سن العشرين ، وهى سِنٌ يتدفق فيها الشباب : ثورة وحيوية ..

والطريقة الثانية : ترتكز على ما ذكره المؤرخون من أن المرصفى تولَّى تدريس الأدب فى الأزهر ، إلى أن نالت منه الشيخوخة ، وكُسرتْ ساقهُ .. يقول المؤلف بعد ذلك (فإذا كانت وفاة (سيد بن على) سنة ١٩٣١م ، فإن مولده يكون على هذا الاعتبار عام ١٨٥١م .

والطريقة الثانية : تفارق الأولى بعشر سنوات ، فيمكن أن نقول : إن مولده كان بين عامى ١٨٥١م ، و١٨٦٢م ، أى فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. ولعل فى هذا البيان ـ محاولة لتحديد تاريخ ميلاده ـ بما يفى بالغرض ، ويَقَرّ الأستاذ أحمد مصطفى عيْنًا ، حين تساءل فى مقاله بالأزهر عن ميلاد سيد المرصفى : ..وإننا لنعجب لأن أحدا من تلاميذه العديدين ، لم يفكر فى سؤاله ، عن تاريخ ميلاده : يوما وسنة ..

* * *

وبالنسبة لقصيدة (سيد المرصفى) التى مَدَحَ بها أستاذه الشيخ الشربينى بمناسبة تعيينه شيخا للأزهر . وسمَّاها المرصفى (ثامنة المعلقات) ، معارضا بها معلقة طرفه بن العبد ، فإن الأستاذ الطلخاوى ذكر استهلالها الذى يقول فيه سيد المرصفى :

أبت عزمتى أن آخـذ الحمـدَ هَيِّنـا … بغير سنــــان ، أو لسان محددَّ

ومن شعره فى وصف تقلبات الأصدقاء :

عَاشِرِ صديـقك واحـذرْ من تقلبـهِ … ولا يروقك منـــه بَرْقُ خُلّبـــهِ

ولا تكـنْ واثقـاً من صفْـوِ مَشْربـهِ … أعـــدى عدُوك أدْنى من وثـــقت بهِ

ومن شعره فى وصف ليلة عرس :

لله ليلـــــة أُنس فى ملاحتها … وحُسْن بهجتها أقصى مُنـــى نفسى

يريك منظرهـا من لطـف رونقهـا … روْضا تنـوَّر زَهْـرًا طيبَّ الغـرس

أقارن البـدر فيها ـ وهـو مكتمـل .. … فى دارة العـز والإينـاس ـ بالشمس

* * *

وهناك جانب هام عرض المؤلف له فى الفصل الرابع من كتابه عن : (القصيدة العربية والمرصفى) « ص١٧٣ » أوْضح فيه أن (سيد بن على) فى دراسته للنص الأدبى ونقده ، أخذ يهتم بضرورة (وحدة القصيدة) العربية ، باعتبارها بناءً متماسك اللبنات والقُوَى ، تتحَّد أبياتها وعباراتها لإبراز مُراد الشاعر .

يقول المؤلف « إن وحدة القصيدة حَدَتْه إلى أن يُكمل ما نقص من أجزائها ، ويأتى بها فى صورة متكاملة .. ثم يدرسها بعد ذلك ألفاظا ، وعبارات متصلة بأصولها ، لا منقطعة عنها ، فَتَتَّضح معانى العبارات ، من خلال الرؤية النافذة لمعناها العام .

ثم يلاحظ المؤلف أن المرصفى فى شروحه على (الحماسة) لأبى تمام (والكامل) للمبرد كان يأتى بما نقص من النصوص ، كقوله فى دراسته لقول الشاعر :

يرجون عثرة جَّدنا ..

إن الضمير عائد على الحُسَّاد ، فى بيت أسقطه أبو تمام ، هو :

ساء الأقارب يومَ ذاك ، وأصبحوا بمهانة .. سُرَّتْ بها الحساد

فقد أوضح المرصفى ، من خلال إيتائه بما سقط من أبيات ، أن القصيدة متصلة الأجزاء ، مرتبطة المعانى والأفكار ، تتضح معانى عباراتها، بإكمال الناقص منها ..

ويستطرد المؤلف الفاضل فى إيضاح هذا الاتجاه الهام من دراسة المرصفى للقصائد التى يعرض لها ، فيقول : « .. وإذا كان المرصفى يأتى بما نقص فى أولها ، وبما سقط فى أثنائها .. فإنه كذلك يأتى بما يُكمْلها ، فكثيرا ما رأيناه ــ إذا ذكر أبو العباس المبرد شاهدا من كلام العرب ، أتى ــ أى المرصفى ــ بالقصيدة متكاملة ، ثم يتْبعه بالدراسة والتحليل .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، فى كتابه : « رغبة الآمل من كتاب الكامل » . و« كذلك يهتم المرصفى ، بنفى مازاد على أبيات القصيدة ، ممَّا ليس منها ، سواء كانت هذه الزيادة فى كلمة ، أو عبارة ، أو بيت من الشعر .

كما يهتم المرصفى بالانتقالات فى القصيدة العربية ، إذ يجب أن تكون ــ من وجهة نظره ــ مناسبة لما قبلها ، مرتبطة ببعضها .. وينقد الشعراء إذا خرجت عباراتهم عن المعنى الكلىِّ المطلوب للقصيدة ، أو جاء بعضهم ببيت لا يتصل بسابقه ، ولا يرتبط به ..

والمرصفى فى ترتيبه للأبيات ، يراعى المعانى الذهنية ، وتداعيها فى الخواطر ، إذ يجب أن تأخذ المعانى بحجز بعضها البعض ، فإذا تقدمت أبيات ، أو تأخرت ، وَهَتْ المعانى ، واختلَّت الأفكار ، وتَهَلْهَلَ النسج ، وصارتْ بحاجة إلى مَنْ يُصلح شأنها ، ويُسدُّ فرجتها ، كما يقول مؤلف الكتاب .

ونكتفى بهذا القدر ، عن وحدة القصيدة ، فقد وفىَّ الأستاذ أحمد حافظ هذا الموضوع حقه من الشرح والبيان ، فى فى العديد من المقالات التى نشرها تباعاً « بمجلة الأزهر » طوال العام الماضى ، بعنوان : (الوحدة الموضوعية فى الشعر العربى) .. والمعلومة الأخيرة التى أحرص على إضافتها ــ فى ختام هذا المقال ــ هى تكريم الدولة لسيد المرصفى ، بعد رحيله .. بمنحه جائزة الدولة التقديرية فى أبريل سنة ١٩٨٣ ، أثناء الاحتفال بالعيد الألْفِى للأزهر .

تغمده الله برحمته ، فما عنده ،سبحانه، خير وأبقى

ثقافة المجتمع السواحيلى

بقلم د. / عادل رفاعى خفاجة

يذهب البعض إلى أن « السواحيلى » ـ عرقا وثقافة ـ ينتمى إلى العنصرين الإفريقى والعربى ، ومن بين الكتاب الغربيين أمثال Jan Knappert « جان كنابرت » من يغالى فى وصف الجانب العربى الإسلامى فى الثقافة السواحيلية ؛ بصورة تثير حفيظة بعض السواحيليين ، فيذهب إلى أنها ثقافة عربية إسلامية أساسا وأنه يصعب تحديد أى عناصر إفريقية خالصة لا نزاع عليها فى هذه الثقافة .

وهناك من بين الكتاب الأفارقة المعاصرين من يبالغ فى الاتجاه الآخر فينكر الأثر العربى جملة ، مثال الباحث « ف . مادوشى » F. Madoshi الذى يحاول أن يبرهن على أن كلمة « سواحيلى » ـ التى تصف اللغة والثقافة السواحيلية ـ لاترجع إلى الكلمة العربية « سواحل » جمع (ساحل)[1] كما يذكر : أنه فى الوضع الحالى ـ المفتقر للدراسات اللغوية الجادة ـ لايوجد مايقطع بصورة جازمة إلى أن كلمة سواحيلى وغيرها من الكلمات المستلفة لاتأتى أصلا من لغة البانتو[2]

(١) فى هذا المفرد لهذا الجمع نظر .. مجلة الأزهر

(٢) د./ سيد حامد حريز : المؤثرات العربية فى الثقافة السواحيلية فى شرق أفريقيا ، ص ٤٠ ، ٤١ ، دار الجيل بيروت .

ومن هنا ، فقد قدمنا مقالات عدة[٣] ناقشنا فيها جوانب شتى تتعلق بالثقافة السواحيلية ، تمثلت فى : نشأة المجتمع السواحيلى ، ونشأة اللغة السواحيلية ، وبعض قضايا أدب هذه اللغة ، ظهر منها : أن الثقافة السواحيلية ثقافة إفريقية ارتوت من أصول (بانتوية) واحتضنتها البيئة الإفريقية الحانية وأنها تأثرت بشكل كبير بالإسلام وتعاليمه ؛ بحكم نشأتها باحتكاك المسلمين بأهل الساحل الشرق لإفريقيا . ومن الساحل انطلقت تلك الثقافة تحملها اللغة السواحلية إلى البلدان المجاورة ، ثم داخل القارة حتى شملت بلدان : تنزانيا وكينيا وأوغندا وبوروندى ورواندا وجزيرة مدغشقر ، وجنوب الصومال وغيرها ، فغطت المنطقة الواقعة بين « خط عرض ٥٤° شمالًا حتى خط عرض ١٠° جنوباً ، كما تمتد بين خطى الطول ٣٠° و٤٠° شرقا أى لمسافة (١٢٢٠) كم من الشرق إلى الغرب »[٤] .

وفى هذا المقال نتكلم عن بعض العادات والتقاليد التى تعتبر الوعاء الأمين والمرآة الصادقة المعبرة عن المجتمع ، وثقافته اللصيقة به .

القرية :

تعتبر القرية أكثر الوحدات أهمية فى المجتمع السواحيلى ، وهى تتميز بملامح عامة ، مثل : المسجد ، ساحة السوق ، المحلات التجارية الصغيرة ، ساحة الرقص ، المقهى ، منزل شيخ القرية الذى كثيرا ما يميزه علم أحمر .

والسواحيليون متحضرون ، وسمات الحضارة تبدو واضحة عليهم بصفة عامة ؛ بسبب تأثير استغلال البحر والإقبال على الوسائل الحضرية ؛ واكتساب الخبرات الفنية وممارسة التجارة .

إن نظرة على الأدوات التى استخدمها السواحيلى القديم لتفصح لنا عن مدى مهارة هؤلاء القوم ، ففى « المتحف الوطنى بكينيا » مايزيد على أربعمائة أداة جمعت من جزيرة بما Pemba والجزر المجاورة لها ، كانت تستخدم فى أغراض الصيد والزراعة .

بالإضافة إلى ستة وخمسين نوعا من الأوانى الفخارية للأغراض المنزلية المختلفة من إعداد الطعام وتخزين المياه والغلال ... الخ »[٥] .

هذا ، بالإضافة إلى المصنوعات الجلدية والخشبية والأدوات الموسيقية المختلفة المصنوعة من جذوع الأشجار .

وتبدو أخلاق القرية ـ بشكل واضح ـ بين السواحيلين ؛ فإذا وجد شيخ فى حاجة إلى مساعدة يتسابق إليه الشباب ، ويهرعون لتقديم المساعدة . وسلطة الرجل ورئاسته للأسرة حق مستقر لا نزاع فيه ، وله ـ أيضاً ـ الحق فى الزواج بأكثر من زوجة ، وتقر الزوجة له بهذا الحق الذى شرعه الله سبحانه وتعالى له . ويتميز المجتمع السواحيلى بقوة الروابط الاجتماعية بين أفراده ، ويتمثل ذلك فى كثرة التزاور بين الأصدقاء والجيران ، وكرم الضيافة من المظاهر الواضحة فى المجتمع السواحيلى .

---

(٣) راجع مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ ومابعدها .

(٤) د. محمد عبدالغنى سعودى : إفريقيا ـ دراسة فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم ص ٣٠٥ مكتبة الأنجلو المصرية .

(٥) Irere Mabaabu: New horizons in Kiswahili, Nairobi, Kenya.

وهم يستخدمون التقويم العربى ـ بالإضافة إلى التقويم الميلادى ـ وإن كان يلحقه بعض التغيير ؛ فالسنة عندهم تبدأ بـ Mfunguo moja وتعنى الشهر الأول ثم يليه Mfunguo Pili وتعنى الشهر الثانى وهكذا حتى الشهر التاسع ثم يأتى رجب (Rajabu) يليه شعبان Shaabani ثم الأخير رمضان Ramadani وبنهاية شهر الصوم يستطلع هلال الشهر الأول من السنة ؛ للاحتفال بعيد الفطر وبداية السنة الجديدة . فى حين يحتفل السنيون والشيعة ببداية السنة فى شهر «المحرم»[(٦)] .

العادات والتقاليد :

أما عن العادات والتقاليد فنحن نتصور ما فيها من فضائل فى ضوء ملاحظاتنا التالية :

ففى حالة انتظار العائلة لمولود جديد نجد جميع أفرادها يحرصون على راحة السيدة الحامل ، وتغذيتها تغذية جيدة ، وتكتب لها (تميمة) Hirizi لحمايتها من الحسد والغيرة ، وهى عبارة عن قطعة من الجلد تكتب عليها بعض الآيات القرآنية . وبعد الولادة ، تدهن الأم بالزيت ، وترتدى الـ Mkaja[(٧)] وتنام وسط البخور ؛ لمنع الأرواح الشريرة ، وفى اليوم الثامن يقام «احتفال العقيقة» فتذبح ذبيحة إذا كان المولود أنثى ، أو ذبيحتان إذا كان المولود ذكرا ، وتقدم لحوم الذبائح للحاضرين مع عسل النحل ، وتدفن العظام لاعتقادهم أنها ستتحول إلى جمل يحمل الطفل إلى الجنة ، فإذا لم تتم تلك الإجراءات فإن الطفل يؤديها عندما يكبر ونلاحظ هنا اختلاط السنة الشريفة بعادات غير إسلامية . نرجو أن يتخلص منها المجتمع السواحيلى .

تسمية الأطفال :

أما عن تسمية الأطفال فلا تتم تسميتهم بعد الولادة مباشرة ، وإنما تسبق أسماءهم الدائمة أسماء تدليل فقط مثل : Babu أى الجد ، أو Mwataabu أى المتعب أو المتعبة ـ لمن يولد أثناء المطر مثلا ـ أو Panya أى الفأر الصغير ، يحمل الأطفال أسماء الولادة هذه لمدة أسبوع ، ثم تحل أسماء الطفولة كمرحلة ثانية فى التسمية ، فتظل حتى أربعين يوماً ، ثم يُسمَّوْن بالأسماء الدائمة وهذه الأخيرة تكون فى الغالب أسماء إسلامية ، ويحتفظ الأبناء ـ عادة ـ باسم الطفولة مع بداية الاسم الدائم [(٨)]

التعليم :

أما عن التعليم ، فـ (للكتاتيب) دور هام فى إرساء أصوله ؛ إذ يرسل الأطفال إليها فيبدأون المرحلة الأولى وتسمى «لم يكن» ، فإذا أتموه انتقلوا إلى مرحلة «إقرأ باسم ربك» ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى «والسماء ذات البروج» ، ومن خلال تلك المراحل يتعلم الأطفال : القراءة والكتابة ، والصلاة والصيام والتعاليم الإسلامية المناسبة لكل مرحلة ، ويدرسون بعض القصائد مثل : «مولد البرزنجى» وهى قصيدة فى مدح رسول الله ـ ﷺ ـ .

(٦) راجع : سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق إفريقيا ص ١٦٨

(٧) عبارة عن قماش تلفه حول بطنها .

(٨) د. عبدالله نجيب محمد : دراسات فى الأدب السواحيلى ص ٩٣ ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٧م .

(٩) Ireri Mabaabu: New Horizons in Kiswahili P. 18

بالإضافة إلى كل مايراه المعلم مناسباً ؛ حيث لاتعترف الكتاتيب بمقررات دراسية ؛ فالعلم لا حدود له .

وفى أوقات الزراعة ، يقوم الأولاد بمساعدة المعلم فى الزراعة ، وتقوم الفتيات بمساعدة زوجة المعلم فى الأعمال المنزلية ، وفى نهاية كل مرحلة يعد الآباء احتفالا بنهايتها ، واستقبال المرحلة الجديدة ، ويشترك فيه الأولاد ، فيرقصون رقصة الـ Kirumbizi وهى تشبه التحطيب(٩) .

ونظراً لتحول الكتاتيب إلى حضانات ومدارس حديثة ؛ فإن الآباء يحرصون على التأكد من أن الذين يديرون هذه الحضانات والمدارس مسلمون ؛ خوفا من تنصير أبنائهم .

ويقول سبنسر ترمنجهام :

«ومن المعالم الإسلامية فى شرق إفريقيا كذلك (الحلقات الدراسية) التى تلقى فيها المحاضرات وتسمى Darasa ويقصد بها تدريس اللغة العربية ، وتفسير القرآن ، والفقه لعامة الناس ، وتتم هذه الحلقات بواسطة الشيوخ بعد صلاة المغرب سواء فى المساجد أو فى المنازل»(١٠) .

فإذا عدنا إلى وصف Ireri Mababu للحياة السواحلية نجده يقول :

من عادات السواحليين أنه إذا بلغت الفتاة سن الرشد ، فلا يحق لها الخروج ، ولايسمح لها بالذهاب إلى زميلاتها من الجيران إلا بإذن ، ثم تؤخذ إلى سيدة من أهل الثقة تدعى Kungwi ؛ لتبصرها ببعض الأمور التى تتعلق بهذه المرحلة ، ومايجب عليها من احترام لزوجها إذا تزوجت ، وتستمر عند هذه السيدة لمدة ثلاثة أيام تعود بعدها للبيت لمدة غير طويلة ، ثم ترجع إليها مرة أخرى لمدة سبعة أيام ، بعدها تحجب فى البيت ، ولايسمح لها بالخروج إلا فى الاحتفالات ـ عند البدء فى قراءة «المولد» ـ ولكن يجب أن تخرج مرتدية الـ Buibui وهى عباءة تغطى كامل الجسم ، كما يسمح للنساء ـ عامة ـ فى شهر رمضان أن يحضرن صلاة التراويح ، ولكن عليهن أن يعدن سريعا بعد الصلاة ، لإعداد الـ daku أى : السحور(١١) .

عادات الزواج :

تتضح هذه العادات عندما يريد أحد الشباب الزواج ، فيطلب من أحد الأقارب أن يلقى والد الفتاة وأن يقوم بعرض رغبته فى الزواج من ابنته وعادة تكون العروس بنت عم أو بنت عمة ، فإذا تمت الموافقة يذهب أهل العريس للاتفاق على المهر ، ثم تقام «احتفالات القهوة» فى بيت العروس ، وكذلك فى بيت العريس لعدة أيام ، وكلمة (قهوة) مجرد تسمية للاحتفالات فقط وإلا فإن مايقدم فى تلك الاحتفالات يعم مختلف الأطعمة والمشروبات ، ويتبع ذلك احتفالات المسجد ، وتكون بقراءة «المولد» ، ثم يعقد القران . ويقوم القاضى بتوثيق العقد الرسمى ، يلى ذلك العودة إلى بيت والد العريس ؛ لتناول طعام العرس ، وعلى العريس قبل الدخول أن يقدم بعض

(١٠) سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق افريقيا ص ١٦١

(١١) Ireri Mababu : New Horizons

الهدايا أو المال لإخوة العـــروس وكـــذلك لـ (الماشطة) وبذلك تنتهى احتفـالات الـزواج وتنتقل العروس إلى بيت الزوجية لاتبرحه لمدة سبعة أيام ، يقوم فيها الأقارب بتقـديم الطعـام لهما[١٢] .

الاحتفالات الدينية :

(ا) **الاحتفال بالعيد :**

وهى احتفالات لاتختلف فى جوهرها عن الاحتفالات بالأعياد فى مناطق العالم الإسلامى المختلفة ، فتبدأ بصلاة العيد ، يتبعها تبادل التهانى والزيارات ، وتقديم الـولائم ، مع الحرص على ارتداء ملابس جديدة .

(ب) **الاحتفال بالمولد النبوى :**

والاحتفال بالمولد النبوى يبدأ بإنشاد «مولد» البرزنجى فتقرأ الفقرات التى تتحدث عن النور الإلهى ، ثم بدء الخلق ، ثم الحوادث الرئيسية فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ وهى أكثر أجزاء الإنشاد مهابة .. فعندما يقول المنشدون (ولد نبينا) ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن الجميع يقفون قائلين : (يانبى .. السلام عليك) .وفى نهاية الاحتفال يلقى كبار الحاضرين بعض كلمـات فى مدح الرسول ﷺ .

الاحتفال بالإسراء والمعراج :

وفى الاحتفال بالإسراء والمعراج تنشد قصيدة Miiraji «المعـــراج»بـــدلا من «المولـــد» .

ويصاحب تلك الاحتفـالات بعض الـرقصات الشعبية مثل الـ Goma «جوما» وهـى رقصة يؤديها الرجال من كبار السن ، يحملون العصى ويؤدون بها ضربات متزامنة مع دقات الطبول ، وكذلك رقصة الـ Uta أوتا ، الـ Kirumbizi «الكيرومبيزى» وهى تماثل التحطيب كما أسلفنا .

وهكذا نجد أن الحياة السواحلية ذات ثقافة إفريقية خالصة أخذت الطابع الإسلامى فى كثير من أوجه الحياة[١٣] .

ونلمح هناك بعض خلافات تتعلق بمسائل دق الطبول فى الأذكار ، ويثير البعض شبهات حول شرعية أكل لحم فرس النهر ؛ إذ يرى أن التحاليل أثبتت مشابهته لحم الخنزير . ثم الخلاف حول رؤية هلال رمضان ، وهو أمر يثور حوله الجدل كل عام ، فبينما يرى البعـض اتبـاع الحساب الفلكى ، يصر البعض الآخر على الأخذ بالرؤية البصرية ، وهى الغالبة ، إلى حد أن (تنجانيقا) ترسل طائرة عمودية فى محاولة استطلاع الهلال الجديد[١٤] .

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفقنا إلى إيضاح أن الثقافة السواحلية ليست منبتة الصلة بالثقافة العربية الإسلامية ، ولاهى عربية لاتعرف لها منبعا إفريقيا كما يذهب المغالون هنا وهناك . وإنما هى ثقافة إفريقية خالصة تشربت روح الإسلام وتعاليمه عن حب واعتقاد فأظهرت منه الكثير .

«والحمد لله رب العالمين»

(١٢) سبنسر ترمنجهام : مرجع سابق ص ٢٣٩ : ٢٤٤ .

(١٣) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ص ١٧٠ .

(١٤) د/ عبدالله نجيب محمد : مرجع سابق .

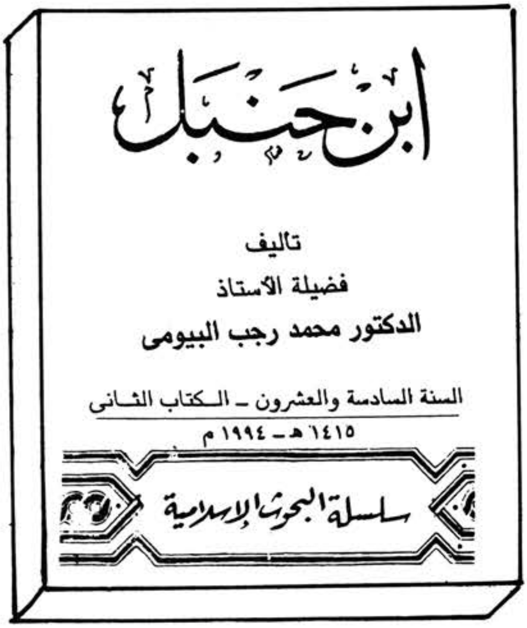

عرض الأستاذ

عبد السلام ناصف

هذا هو الكتاب الثانى من سلسلة كتب البحوث الإسلامية فى سنتها السادسة والعشرين لمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى أحد العلماء الباحثين المدققين وهو يتميز بأسلوبه المترسل وبحثه الوثيق وكتاباته الواقعية ـ وقد قدم له فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى مقدمة موجزة موضحا فيها : أهمية الكتاب الذى يصور حياة الإمام بصورة واقعية تنبض بالحركة ليكون عبرة وعظة وقدوة يقتدى بها .

أما المؤلف فقد أوضح فى مقدمته أسباب اهتمامه بمسيرة الإمام والكتابة عنه رغم كثرة ما كتب عنه بتسليط الضوء عليه من نافذة التحليل والنقد ليكشف عن مشاعره وخلجاته وأفكاره ومذهبه .

والكتاب من القطع المتوسط ويقع فى خمس وثمانين ومائتى صفحة يسرد فيها قصة حياة الإمام الجليل ونشأته وتلمذته وآرائه وخلافاته فى الرأى مع من عادوه ، وتعرضه للنقد والتجريح والتعذيب والسجن والتشريد وتحديد اثاره العلمية وبيان كتبه ومخطوطاته التى سوف تبقى ذخرا للمسلمين تحت عناوين متنوعة تناسب المقال .

وقد بدأ المؤلف كتابه القيم بفصل عنوانه : « عطر يفوح » فى هذا الفصل عرف بالإمام الجليل الذى ولد ببغداد فى ربيع الأول عام ١٦٤ هـ لأسرة عربية خالصة من شيبان ذات تاريخ مجيد ـ وقد مات عنه أبوه ، وكان جده المثنى بن حارثة الشيبانى بتاريخه وفتوحاته

وانتصاراته ـ المثل الأعلى له .

ولقد حفظ القرآن الكريم ونهل من حديث رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ إلى جانب قواعد اللغة العربية وآدابها ـ ولقد سلك فى حياته مسلكا صارما عرف عنه فى شبابه وكهولته وشيخوخته ـ إذ كان التحصيل هو هدفه الوحيد ـ وكان مبدؤه : « عليكم بالسنة وإياكم والجدل » .

اختلف مع المعتزلة برغم ما قدموه للإسلام وقتئذ ، ولم يهتد معهم إلى صواب .

وفى فصل (سلطان يتحكم) عرض المؤلف بإقتدار صورة حية لما كان عليه عصر المأمون ثم فى عصر المعتصم ثم فى عصر الواثق بالله وأخيراً فى عصر المتوكل حيث كان الجو مهيئاً للجدل والمناقشة التى اتسع نطاقها حتى انقلبت إلى فوضى وصراعات سمحت بما عرف بمحنة (خلق القرآن الكريم) وما دار حولها من مناقشات وانقسم العلماء بين مؤيد ومعارض لها ـ وكان الإمام ـ رضى الله عنه ـ ممن أصر على أن القرآن الكريم كلام الله ـ تعالى ـ وليس مخلوقا ـ وانشغلت عقول الناس بهذا الجدل وانصرفوا إلى المطاحنات التى ورثت الإرهاب والضغائن ـ وكاد أحمد بن دؤاد للإمام عند الخليفة المعتصم بالله حتى أدخله السجن وعذب وضرب وأوذى حتى أشرف على الموت ـ وعاش بعد ذلك عليلا من جراء هذا التعذيب حتى وافته منيته .

كان الإمام ـ رحمه الله ـ قوى الذاكرة والاستيعاب ـ فاهتم بالإسناد اهتمامه بالمتن فكانا عنده سواء ، أما منهاجه فينحصر فى أنه كان إمام أهل السنة ، واشتهر بالصلاح والتقوى فى الفقه والرواية والمسلك ـ وكان لا يتكلم عن هوى بل إن ميزان الترجيح عنده كان هو الكتاب والسنة ـ فقوله كان قول الشرع ـ وقد حفظ آلاف الأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كان يخلط الحفظ بوجدانه ويمزج به ، مشاعره وأحاسيسه ـ فإذا قال فعن هديه وإذا فعل ففى ضوئه .

ومن ثم فقد كان يتدبر الأثر ويتأمله ويرى طاعته واجبة بل مقدرة لا تجوز الحيدة عنه .

وكان يرى فى مخالفة السنة خطب جلل وحادث خطير ـ وكان ـ رحمه الله ـ يحب الوحدة ويركن إليها ليجمع خواطره ويرصد تأملاته وكان مبدؤه « ترك ما تهوى لما تخشى » أى الانتصار على الأهواء والنزوات إذ كان يصلى أكثر من ثلثمائة ركعة فى اليوم الواحد .

فلقد كان إمام أهل السنة الذى حفظها وحافظ عليها ونهض بتعاليمها وكان له فى صاحبها القدوة الحسنة ـ مما حدا بالمسلمين أن يجلوه ويعظموه ويصفونه (بالإمام) .

وتحت عنوان : (مصبـــاح يضىء) يرى المؤلف أن من يقرأ مسند الإمام أحمد يعلم أنه قد عكف على الكتاب والسنة وآثار السلف ينهل منه ويغترف .

ثم انتقل المؤلف إلى عنوان (أمواج) الذى يصف فيه مدى انتشار الفـوضى والفتـن والاضطرابات التى كانت نتيجة حتمية لظهور مدارس الجدل والفلسفة بين المذاهب المتضاربة ـ لكنه كان يلجأ إلى النصوص القرآنية ليضحض مهاترات ومغالطات من خالفوه من المعتزلة والخوارج حتى أصبح أحمد المحدّث فقيها وإماما

صاحب منهج ـ أما سلوكه فكان مسلك الأئمة والفقهاء فى الثبات على الحق ومجابهة الباطل .

ثم ينتقل المؤلف إلى عنوان جديد هو : (جبهة عالية) يوضح فيه أن المحنة التى التهمت مئات العلماء والأئمة ، والفقهاء قد قضى عليها المتوكل فقد أبطل الكلام فى « خلق القرآن » ثم رغبة منه **فى إرضاء الإمام قدم له الهدايا والمنح التى قبلها مرغما ووزعها على المحتاجين .**

أما عنوان : (الكنز الثمين) الذى يرمز به المؤلف إلى « مسند أحمد » ، الذى يمكن اعتباره أعظم مدونة جامعة بعد أن هيأ الله له مَنْ فَهْرَسَهُ ورقمه ؛ ليصبح مرجعا يشتمل على أكثر من أربعين ألف حديث متنا وإسنادا ـ فقد انفق كل عمره فى جمعه ـ وقدمه للناس ؛ ليقول : هذا هو ما صح فى رأيى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل ما دونه مختلق موضوع ، فقد كان ينظر إلى الحديث متنا وإسنادا ثم يحكم عليه فى ضوء ما علم من الكتاب والسنة فإذا وجد تعارضا رفضه ، وإذا لم يجد تعارضا قبله على ضعفه ، إذا لم يخالف أصلا متبعا ـ مع دقته المتناهية فى معرفة أهواء الرواة قبل النقل عنهم ـ ولذا فقد سلم مسنده من تجزئة الحديث وإن كان البحث عنه تبعا لمن رواه شاقا وصعبا ـ وهو ما يؤخذ عليه .

وللإمام كتب أخرى غير مسنده الشهير ككتاب « العلل » وكتاب « الفرائض » وكتاب « التعبير » وكتاب « الناسخ والمنسوخ » وكتاب « الزهد » وكتاب « الإيمان » وكتاب « الأشربة » وكتاب « الفضائل » وكتاب « طاعة الرسول » وكتاب « المناسك » وكتاب « الرد على الجهمية » .

وهى كلها ثروة لا تنفد ـ وحسبه كتاب « المسند » الذى جمعه ولده عبدالله وبوبه وأخرجه

وتحت عنوان « حقل يزرع » يرى المؤلف أن ثروة الإمام الفقهية لا تنفصل عن الحديث فى شىء ؛ فكانت إجابته عن أى مسألة عن حكم شرعى إنما تكون بحديث شريف ـ ولقد تكفل تلاميذه من بعده من تدوين ما قال وما أفتى ـ فقد كان فى فتاويه فقيها أصيلا استنباطاً وتعليلا وتدليلا ، حيث كان فقهه يعتمد على الحديث

فإذا اختلط فقهه بالحديث فهو اختلاط الشىء بأصله ، والتقاء الحكم بدليله ـ فلقد اتجه إلى البذور الصحيحة من السنة فغرسها وتعهدها حتى أثمرت ما عرف « بالفقه الأثرى » ولقد ظلمه البعض حين اتهموه بالجمود والتشدد ـ فهم بذلك يخلطون بين حياته وبين فقهه ـ فهو لم يلزم أحداً بما ألزم به نفسه ـ وقد أفتى بما اتسع له الكتاب والأثر من تسامح وسعة خلافا لما كانت عليه حياته من زهد وتقشف ، ولقد شهد له العلماء والفقهاء بأن فقهه لا يفترض الفروض العقلية ولا يجعل الأقيسة ضوابط ملزمة فهو الفقه المرن الخصيب ، وفتح على الفقه أبوابا متسعة إذ جعل الأصل فى الأشياء فى باب المعاملات الإباحة ـ فكان بذلك أوسع المذاهب فى إطلاق حرية التعاقد .

ولقد خلفه وسلك سبيله أئمة أجلاء درسوا منهجه وساروا على هديه وتابعوا مسيرته وكل جاهد فى موطنه ؛ لتخليص الدين مما لحق به من بدع وخرافات ، والالتزام بما جاء فى الكتاب والسنة فسلكوا سبيل التنزيه وابتعدوا عن التأويل ـ متتبعين منهجه وسائرين على خطاه .

فأضافوا إلى الفقه الحنبلى باب التجديد وعدم التقيد بأقوال الفقهاء المقلدين . وكان لهم الفضل فى انقاذ المجتمع الإسلامى مما كان يعانى منه من فوضى وفتن واضطراب ، بل وخصومة وسلب ونهب وتقتيل فى بعض العهود نتيجة للفتن الطائفية والعقائدية والاختلافات الجافة ، والعكوف على النصوص الجامدة دون اجتهاد أو تجديد ، وهو ما أطلق عليه المؤلف « ثمر ناضج » .

ويختم المؤلف كتابه بعمل مقارنة بينه وبين الإمام أبى حنيفة الذى اكتسب من حياته التجارية خبرة بنفوس الناس وشئون معيشتهم ، فقد حذق أساليب الاستدلال العقلى ـ فجاءت رسالة استنباطية قياسية ، تقرن المجهول بالمعلوم وتلبى حاجة العصر .

أما الإمام مالك ـ فقد نشأ بالمدينة وحفظ أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ يفتى بما يعرض عليه من المسائل بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لا يلجأ إلى الاجتهاد بحكم ضيق الحضارة فى المدنية فى عصره ـ فحافظ ـ رضى الله عنه ـ على تراث النصوص النبوية .

أما الإمام الشافعى فقد درس ثقافة عصره دراسة تخصصية إلى جانب إلمامه بالطب وولعه بالرماية والفروسية ـ فقد اهتدى إلى وضع قانون كلى لأحكام الفقه هو ما نسميه بـ « علم الأصول » فأضبحت الأمور الجزئية تندرج فى أحكام كلية ، كما كشف عن وسائل الاستنباط ، وعلل الترجيح ،ومسائل القياس ، وأوجه الرد ؛ فصار للفقه فلسفته وأصبح علما يستند إلى قواعد ثابتة .

أما إمامنا فقد نشط لجمع الأحاديث النبوية من مختلف البقاع ، ليقدم لطلاب الفقه مسنده للرجوع إليه فى التشريع ـ ويصدر أحكاما مشبعة بروح الحديث ، فيخلف ثروة فقهية لها دعامتها الثابتة .

وبذا قرب الإمام أحمد من الإمام مالك أكثر من قربه من الإمام الشافعى ، ولما سئل ممن يأخد ؟ قال : حديث ورأى مالك .

ومما لا شك فيه أن كثرة النصوص توسع مجال الاستنباط والقياس ـ وتعدد روافد التعليل والتشريع وكأنه قد فتح ميدان القياس ؛ فرسالته إذن امتداد لرسالة مالك .

وهكذا يتضح للناس رسالة كل من الأئمة الأربعة الذين نفعوا التشريع الإسلامى متفقين ومختلفين ـ فهم قد اتفقوا على ما لا يقبل النقض واختلفوا على ما أوسعوا فيه المجال لرواد البحث الفقهى . فكان تنافسا شريفا يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وأخيرا وتحت عنـــوان (غروب) يوضح المؤلف فى هذا الفصل رغبة الإمام فى العزوف عن الدنيا ومباهجهاوكيف أنه كان يتمنى أن يعيش فى شِعب بمكة لا يعرفه به أحد ـ لكن الوفود من كل صوب كانت تتجه إلى داره فتغص بهم الطرقات والدروب ـ وكان حين يمشى تتوقف عجلة الحياة تماما لملاحقته حيث أصبح مهوى الأفئدة ومراد النفوس فزاعت شهرته وانجذب الناس إليه وازداد انخراطا فى العبادة حتى وهنت صحته وكان يقوم الليل ويصوم النهار وقد لا يفطر بعد ثلاثة أيام فخارت قواه وتهالك جسمه وأصبح قاب قوسين من لقاء الله .. تعالى .

وفى أول ربيع الأول عام ٢٤١ هـ مرض بالحمى وضيق التنفس ـ وتجمهر الناس على باب داره مما حدا بحاكم بغداد أن يقيم الحراس على باب بيته وأن يمنع الدخول إلا للأطباء ـ وكان الإمام لا يئن ولا يتألم ولا يتوقف عن الصلاة ؛ ولم يسمح لأمير بغداد بزيارته ـ حتى حانت الساعة الرهيبة فجلل بغداد أسف كئيب وهرع الناس إلى المساجد والطرقات واجمين ذاهلين ـ ولم يبد الموت عظيما فى نفوس الناس كما بدا يوم أحمد ـ لقد كان للقضاء معنى مؤثر قاهر ـ إذ عصف بطود أشم أصله ثابت وذروته فى السماء .

ولما جاء أمير بغداد لتجهيزه وتكفينه ـ خالت وصية الإمام دون ذلك ـ فاكتفى بالصلاة عليه ـ وقد سار طوفان الجنازة يتدافع ويتراكب حتى غمر الأرض وغص الفضاء وفتحت أبواب المنازل لمن يتوضأ للصلاة عليه ـ وقد ظل الناس فى تدافعهم وتزاحمهم نحو القبر بصورة لا يمكن تصديق وصفها .

وبعد فقد سجله التاريخ فى سجل الخالدين على أنه إمام عُذِّبَ فصبر ، ومحدث روى فصدق ، وفقيه غرس فأثمر ، وزاهد عاف الحياة فدانت له الحياة .

ثم جاءه اليقين فضجت عليه الأرض وائتلقت به السماء .

ـ رحمه الله ـ

وبعد :

فلنا ملاحظات عدة ، مع الكاتب المحب للإمام أحمد :

أولها : كتب الدكتور المؤلف صفحة ١٨٨ نصا بلسان الإمام أحمد نفسه لابنه عبدالله وفى هذا النص يبين مااختاره فى المسند من حديث مشهور وغيره ، كنا نود ـ علميا ـ أن نعرف منهج الإمام أحمد الذى على ضوئه اختار ـ ولا سيما اختياره فى « الصحيح » وترك المؤلف هذا الجانب يوحى بتسرب الشك فى ذهن القارىء ـ لا سيما إذا كان دارسا ـ إلى « ضعف » وربما « وضع » بعض أحاديث « المسند » للإمام أحمد ـ ولو أن المؤلف وضع بيانا علميا يحدد اختيار الإمام لنفع الدارس والقارىء على سواء ، ولأطاح بالشك أن يلم بالقارىء .

ثانيها : قول المؤلف ـ ولا عليه ـ أى الإمام ـ إن كانت بعض آرائه تتناقض مع بعضها فلم يسلم من ذلك إمام من الأئمة ـ أقول له ـ مجادلا : للأستاذ الكاتب بنفس الطريقة العامة : لا ، ليس هناك تناقض فى آراء الإمام .

أليس كان الأجدر ـ بعيدا عن الطروحات العامة ـ أن نضع مثالا أو مثالين لهذا التناقض ـ فينتهى الإشكال .

ثالثها : ما أقوله ـ بشأن التناقض أقوله بشأن صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ رضى الله عنهم ـ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنزلهم منزلتهم التى لا يجوز لنا بعدها أن نتناولهم بهذه الطريقة التى تناولهم بها فضيلة الأستاذ الكاتب

رابعها : ان المؤلف لم يكتب عام وفاة الإمام ـ .

ولقد أثبتناه من طبقات الشعرانى الكبرى ص ٥٦ ، وفيها أنه توفى عام ٢٤١ هـ بعد أن استكمل سبعا وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

هل نحن اليوم أمة ! ! ؟

حين خاطب القرآن الكريم أتباعه ؛ ربط ـ فى آيتين ـ بين الأمة والوحدة ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ الأنبياء ٩٢

وقال أيضاً : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ المؤمنون ٥٢

وفى ذلك من التلازم بين الأمة والوحدة مالايخفى ، وكأن الأمة لاتنهض بصفة «الأمة» إلا فى إطار الوحدة .

وباستقراء التاريخ الإسلامى نعلم كيف استوفى عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين موجبات هذه الوحدة ، فكان الراعى والرعية على قلب رجل واحد ، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ، وبذلك سادوا العالم ـ فى وقت قصير ـ وحققوا وحدة الأمة .

ثم ماكانت قوى البغى والعدوان لتدع المسلمين يتفيئون ظلال وحدتهم ويجنون ثمار قوتهم ؛ فعملوا على اختراق عالمهم وبثوا الفتن ، حتى نشأت الخلافات ، فالمشكلات ، وكشفت القوى الاستعمارية عن وجهها الكالح فشاعت عوامل التجزئة والتمزيق ، وبالرغم من هذا الأثر السيء إلا أنه لازال للمسلمين إسهامهم الحضارى وصوتهم المسموع وقدرتهم على تلبية وسائل العيش فى كرامة بين الأمم ، ومن ثم يكون لزاما على مسلمى اليوم استقراء أوضاعهم لتمحيص عناصر القوة والضعف ، فيزيدوا جوانب القوة ، ويزيلوا ما اعتراهم من ضعف .

حول معنى الأمة الواحدة وموقعنا منها ، تلقى الباب إسهامات ثلاثة ، كذلك تلقى كلمات أخرى من قرائه تجد صداها منشورا على صفحات هذا الباب ، إلى جانب زاوية الإبداعات للشعر والردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات .

المحرر

كتب الأستاذ يحيى السيد النجار ـ دمياط ـ فى هذا الموضوع :

الذى يوحد الصفوف ـ بين المسلمين ـ كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة الرسول ـ ﷺ ـ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة ق

والأخذ بالعلوم سمة من سمات الإسلام تحقق به الأمة دورها الحضارى والريادى ، وبخاصة ، والنظم الوضعية تتهاوى ، وما على المسلمين إلا أن يلتزموا بمنهجهم القرآنى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ سورة محمد ﷺ ـ ٢٤ ، وسنة نبيهم ﷺ ، ويستعيدوا الأسباب المفقودة التى تهيئوهم ليكونوا « خير أمة أخرجت للناس » .

* * *

وكتب السيد/ محمد على البلجيبى ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ الدقهلية ـ فى نفس الإطار يقول :

إن الدين الإسلامى جعل المسلمين أمة واحدة ، وجعل منهم دولة واحدة ، فإلههم إله واحد ، وهو المعبود الواحد رب كل شىء ومليكه ولهم كتاب واحد ، لقد أقام الإسلام الوخدة على دعائم إيمانية ثابتة ودائمة حتى لايتغلغل إليها الخلل ماداموا متمسكين بمبادىء دينهم وأصوله .

كما أوصى الإسلام المسلمين بالوحدة وعدم التفرقة والالتفاف حول راية واحدة .

* * *

وكتب فضيلة الشيخ خيرى محمد أبو الروس . خطيب مسجد بكفر الجرايدة يقول :

إن الإسلام هو صانع الوحدة حيث جاء بجمع القوى المتناثرة فى ظل وحدة قوية سكت معها صوت الثارات القبلية ، وتلاشت أمامها الأحقاد الموروثة ، فتجمع الصف المسلم تحت لواء الوحدة والترابط والتراحم والتآخى معتصما بحبل الله مستجيبا لأمره ـ عز وجل ـ قال ـ تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

آل عمران ١٠٣

إن على الأمة أن تجرب العيش فى ظلال الوحدة بعد أن ذاقت مرارة التفرقة وذل الانقسام ، عليها أن تعتصم بحبل الله وتلبى دعوة الإسلام إلى التضامن والتراحم والتلاحم .

ومما يؤسف له حقا أن الدولة الأوروبية تسعى جاهدة فى إنجاز وحدة سياسية داخلية وخارجية يحكمها نظام اجتماعى واحد ، وذلك فى مرحلة تنتهى بإعلان أوروبا عن إتمام هذه الوحدة ؛ فكيف لاتأخذ أمتنا طريقها إلى وحدة عربية إسلامية ؟ والتاريخ خير شاهد على إمكان ذلك .

* * *

ذكر الله شفاء

وكتب الأستاذ/ نجاح عبدالقادر سرور المدرس الثانوى بكفر بولين ـ كوم حمادة ـ البحيرة ـ هذه الكلمة القيمة عن وجه أفضلية ذكر الله ـ عز وجل :

ذكر الله شفاء من كل داء .. ذلك لأن الشفاء من الأدواء لايتحقق إلا بارادة الله تعالى .

فمن شاء أن يشفيه الله .. فعليه بذكر الله .. يقول سبحانه :

﴿فاذكرونى أذكركم﴾

البقرة ١٥٢

وفى الحديث القدسى الصحيح : «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه» .. إن ذكر الله هو الأفضل بين الأعمال .. لأنه يدخل فى كل عمل صالح .

روى البخارى قوله صلى الله عليه وسلم . «ألا أخبركم بأفضل أعمالكم وأرفعها فى درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون رقابهم ويضربون رقابكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : ذكر الله عز وجل» .. إن الصلاة ذكر .. والحج ذكر .. والصوم ذكر .. والزكاة ذكر .. والثناء على الله تعالى ذكر .. وتلاوة القرآن ذكر .. وكل عمل صالح ذكر لله ـ عز وجل ـ لأنه لايتم إلا باستحضار اسم الله العظيم .

ولهذا كان طبيعيا أن تطمئن قلوب المؤمنين بذكر الله :

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾

الرعد ٢٨

كان رسول الله ﷺ إذ حزبه أمر فزع إلى الصلاة ـ وهى ذكر لله ـ وقال : أرحنا بها يابلال .

من عظمة الإسلام

كتب الأستاذ/ **محمد سعدى المقدم ـ المحاسب القانونى ـ عابدين ـ القاهرة ـ هذه الجزئية للدلالة على جانب من جوانب عظمة الإسلام تذكرة لمن كان له قلب :**

«أتشرف بأن أرسل لسيادتكم ما يأتى فقد تجدون فى نشره إفادة للبشرية ، وحتى يعلم العالم ماهو الإسلام .

جاء فى كتاب «المغازى» للواقدى (محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) تحقيق الدكتور مارسدن جونس الجزء الثانى عند الكلام عن غزوة الغابة ص ٥٤٧ مايأتى :ـ

«ولما انتهى رسول الله ـ ﷺ ـ إلى بئرهم قالوا : يارسول الله ألا تَسُمَّ بئرهمّ ؟ فقال النبى ـ ﷺ ـ لا ، ولكن يشتريها بعضكم فيتصدق بها . فاشتراها طلحة ابن عُبيد الله فتصدق بها» .

وهكذا رفض رسول الله ﷺ منذ خمسة عشر قرنا أن يُسمّ البئر على عدوه ، فليس أغلى من الماء فى الصحراء ، ثم بخاصة فى ميدان القتال ، ويأبى رسول الله ﷺ أن يحصل على النصر الرخيص .

ولنا أن نقارن بين هذا الموقف العظيم وبين موقف أمريكا مثلا فى القرن العشرين حينما توصلت إلى القنبلة الذرية فألــقت بها على (هيروشيما ونجازاكى) لتحصل على النصر الرخيص!!!

حقا إنك تستحق يارسول الله أن يصفك الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم بقوله :

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ القلم ٤

صدق الله العظيم

من إبداعات القراء

« هَوْلُ الرَّدى » للشاعر أشرف السيد الصعيدى

مَالِي عَصِيّ الدمع فى هَوْل الردى وَجُمُودُ دَمْعِي هَلْ لَهُ مِنْ بَلْسمِ
سَهْمُ المَنِيَّة إنْ أصَابَ فلا تَرَى لِلْسَهْمِ عَيْنًا آهِ مِنْ سَهْمٍ عَمِ
المرء كَالطَيْر المُحَلِّقِ بالمدَى لَابُدَّ يَوْماً أنْ يَحُطَّ وَيَرتمى
والبدرُ يُمْسِى بِالضَّياء مُفَاخِراً فَيغيب ضوؤه بالصَّباح المُقْدِم
عمْرِى لَئِنْ طَالَ الزّمان بِمَنْ وعى لَا بُدَّ أنْ يَأوِى لِجُبٍّ مُعْتـمِ

****

ردود وتعليقات

● **القارىء/ مهندس عادل طه ـ الزهراء ـ القاهرة :**

نشكركم على إعجابكم بالمجلة ومايطرأ عليها من تجديد وتطوير ، وبإذن الله ـ تعالى يستمر اعجابكم بما ينشر ببابها الثابت اللغة والأدب والنقد .

● **القارىء/ محمد فوزى الخولى ـ بكالوريوس طب ـ طنطا :**

ليتكم تستقرءون التاريخ وتخرجون لنا بدارسة ترون فيها الرد على تجاوزات هذا المسلسل .

● **القارىء/ عماد ميزار عبدالعظيم جاد ـ الفيوم ـ قرية الاعلام :**

رجاء الاهتمام بتخريج الأحاديث التى تستندون إليها .

● **القارىء/ مصطفى كمال عيسى مصطفى ـ كلية التربية ـ جامعة أسيوط :**

ليس فى الإمكان تزويدكم بمافاتكم من المجلة أو هداياها ، ففى الغالب يتم توزيعها بدون مرتجعات ، أما عن « بيان للناس » فهو يباع بثمانية جنيهات بإدارة توريدات الأزهر ـ خلف مدينة البعوث ـ جوار مصنع تاكى ـ القاهرة .

● **القارىء : م حلمى صلاح بيومى ـ أنشاص الرمل ـ بلبيس ـ شرقية :**

سنعمل بمشيئة الله ـ تعالى ـ على زيادة المساحة المخصصة للفتاوى ، ولكن بالنسبة لخطب الجمعة فإن كثيرا من الموضوعات التى تنشرها المجلة يصلح لهذا الغرض بعد إضافة المقدمة اللازمة .

● **القارىء : محمد يوسف الزقزوق ـ مقيم شعائر بدمياط :**

لعلك تجد فى « مؤمن آل فرعون » وتفويضه الأمر إلى الله ما يكون فيه درس نافع لكل إنسان تعترضه عوائق الحياة بشىء .

● القارىء : عاطف كريم عبداللاه ـ خلف نادى الصيد ـ القاهرة :

يمكنكم مراجعة مكتب المجلة بالأزهر ـ ميدان الإمام الحسين بالقاهرة . فنزودكم به كهدية متى تيسر ذلك .

● القارىء : أحمد عبدالستار طه ـ من مناوهله ـ الباجور ـ منوفية :

نعم .. أجدر بالعاقل وقد علم أن الدنيا حفت بالشهوات وتزينت بالمكاره أن يتقى شرها ولا يأمن مكرها ، ويحرص على ألا يكون من أبنائها .

● القارىء : محمد حامد مصطفى حامد ـ أبشواى العجمين ـ الفيوم :

نتفق معكم فى ارتباط العلم بالإيمان ، على اعتبار أنه الأداة الهادية إليه والدالة عليه ، وتكريما للعلم جعل الله العلماء أخشى الناس له تعالى ، فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، بل إننا نستطيع أن نقول فى ارتباط العلم بالإيمان : إن كل علم لا يدل فى نهايته على الله ـ عز وجل ـ فلا بركة فيه ولا ثمرة منه .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/
عمر البسطويسي
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح كلية ازهرية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ـ يرافقه أ.د. عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والمستشار عبدالرحيم نافع محافظ دمياط ، وأ.د. جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ، وأ.د. أحمد البساطى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط ، وعدد من أساتذة الجامعة والقيادات التنفيذية والشعبية ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة دمياط ، بلغت تكاليف الكلية حوالى خمسة ملايين جنيه ، كذلك تم وضع حجر الأساس لبناء كلية للبنات الإسلامية ومعهد دينى أزهرى بدمياط الجديدة .

وفى حفل الافتتاح ألقى الإمام الأكبر كلمة قدَّم فيها الشكر على حفاوة اللقاء ، كما توجه بالشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وللدولة حكومة وشعبا على الاهتمام بالتعليم الدينى والتوسعة فيه ، حتى امتدت معاهد الأزهر فى قرى ونجوع مصر ، وأصبح للأزهر معاهده وكلياته حتى فى خارج مصر بإشراف الأزهر ، وبذلك يكون الأزهر هو منبع العلوم العربية والإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى ، بفضل الله ـ تعالى .

وتناولت كلمة الإمام الأكبر تذكير الأساتذة والمدرسين وطلاب الأزهر برسالتهم الإسلامية ومسئوليتهم فى طلب العلم والإخلاص فى تحصيله وبذله ونشر الأحكام الصحيحة وعدم الإفتاء بغير علم حتى يتسنى الاحتفاظ بموقع الريادة فى هذه العلوم التى تبناها الأزهر منذ أكثر من ألف عام ، ذلك لأن خدمة الإسلام ورفع رايته هى مهمة علماء الأزهر .

كذلك تحدث الدكتور عبدالفتاح الشيخ عن المشروعات الجديدة لمنشآت الأزهر عن رسالة الأزهر ودوره فى خدمة المسلمين ، مبينا أنه ليس وقفا على أبناء مصر فقط ، فقد بلغ تجاوز عدد الدارسين فيه من أبناء العالم الإسلامى تسعة آلاف طالب وطالبة من أربع وثمانين دولة ، وما هذا الإقبال إلا نتيجةٌ لرسالة الأزهر التى تنبنى أساسا على حرية الرأى والفكر وعدم التعصب لمذهب معين .

وتحدث كذلك السيد المستشار محافظ دمياط محيياً فضيلة الإمام الأكبر ، ومشيدا برسالته ورسالة علماء الأزهر فى خدمة الإسلام ، ومؤكداً استعداده لدعم رسالة فرع الأزهر الشريف فى دمياط خدمة للعلوم العربية والشرعية التى يضطلع بها ، وتحدث عميد الكلية المفتتحة عن دور فضيلة الإمام الأكبر فى خدمة المسلمين فى داخل مصر وخارجها ، وعن هذا الحدث التاريخى فى تاريخ دمياط ، ذلك الحدث الذى يترجم تعاون أهل المحافظة مع الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى «استراليا»

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ تاج الدين الهلالى مفتى « استراليا » صباح السبت الموافق ٢٧ من ذى الحجة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧ من مايو ١٩٩٥ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد تناول اللقاء تقديم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على عنايته ورعايته الدائمة لمسلمى « استراليا » وعلى بعثات الدعوة التى يرسلها الأزهر فى رمضان من كل عام .

هذا وقد وجه سماحة المفتى الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة « استراليا » وتفقد أحوال المسلمين هناك .

الإمام الأكبر ينتقد وثيقة الزواج الجديدة

انتقد فضيلة الإمام الأكبر – شيخ الأزهر – مشروع وثيقة الزواج الجديدة مؤكدا على أن المسلمين ليسوا فى حاجة إلى مثل هذا المشروع ، بل يجب أن يعدم ويغلق ملفه من الآن إلى الأبد .

وأعلن فضيلته أن ما نشر بالصحف حول الوثيقة يحمل فى طياته دعوة لكساد سوق الزواج فى حين يقول الله – تعالى – :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

سورة الروم

وأضاف فضيلته أن عقد الزواج ليس عقد بيع ولا تجارة وليس عقد شركة مالية حتى نحيطه بهذه الشروط والقوانين التى تنفر الشباب من الزواج .

إن الزواج عقد له طبيعته الخاصة ، وهو : عقد ينعقد على وجه التأبيد رغم قدرة أصحابه على الانفصال لو تعذرت الحياة .

أدلى فضيلته بتلك التصريحات أثناء زيارة فضيلته لمحافظة « دمياط » لافتتاح بعض المنشآت الجديدة لمعاهد الأزهر وجامعته .

الإمام الأكبر يستقبل وزير «الأرجنتين» بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد السفير / دومنجو كولين بمناسبة توليه منصبه كسفير لجمهورية « الأرجنتين » بالقاهرة .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير إلى فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتقدير رئيس « جمهورية الأرجنتين » وحكومته ، على ما يقدمه الأزهر وجامعته لخدمة الشعوب الإسلامية فى العالم أجمع .

وقد أشاد السيد السفير ببيان فضيلة الإمام الأكبر الصادر مؤخرا بشأن « القدس » والأوضاع المتردية فى عالم اليوم

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير وتمنى له إقامة طيبة فى القاهرة سفيرا لبلاده لدى مصر ، كما تمنى له التوفيق فى دعم العلاقات الوطيدة والتعاون المشترك بين مصر والأرجنتين .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاح الدورة «٢٩» للأئمة والدعاة من العالم الإسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

السادة الضيوف ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرحب بكم أيها الاخوة والأبناء من العلماء العاملين فى مجال الدعوة والإرشاد وأنتم فى هذا المجال مكلفون بإبلاغ رسالة الإسلام .

والأزهر الشريف إذ يرحب بكم فى هذه الدورات إنما يرحب بعلماء يقومون بإبلاغ الدعوة ، يفدون إلى الأزهر ليعرفوا على ما غاب عنهم من علم ومعلومات يبلغونها للناس ، فإن العلماء ورثة الأنبياء ، يقدمون للناس علما صحيحا مصفى ، يتلون كتاب الله ويبينونه للناس ، ويصححون عباداتهم ومعاملاتهم ، فهى مهمة شاقة ومهمة مأجورة من الله ــ تعالى ــ لأن إبلاغ الدين والرسالة أمر يتوقف عليه صحة العبادة والديانة ، وأن يكون الناس فى دين الله اخوة متعاونين .

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ سورة المائدة : آية ٢

ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله ، وسنتى) أما مذاهبنا الفقهية فهى : مذاهب تعلمنا ونتعلم منها كيف تستنبط الأحكام ، فعلينا ألا نفتى الناس بغير علم ، فمن أفتى الناس بغير علم كان إثمه عظيما ، ومهمة الفتوى مهمة عظيمة القدر جليلة الشأن .

فإن هذه الأمانة العلمية ، أمانة فى الدين ، والفتوى الخاطئة يترتب عليها عمل خاطىء ؛ وأنت يا من أصدرت الفتوى مسئول أمام الله عما تفتى به .

ومسئوليتنا نحن الدعاة : أن نرشد الناس إلى الحق وبالحق فلا نميل إلى الهوى ولا نتحايل ، بل نقول الحق والله يهدى إلى الحق .

نسأل الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يفتح لنا أبواب فضله ورحمته وأن يعلمنا من لدنه علما ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

كما أسأله ــ عز وجل ــ أن يوفقكم فى ظل العلم ومعكم الأساتذة يوضحون لكم ما غمض أو غاب عنكم حتى تعودوا إلى أوطانكم بعلم نافع تؤدونه للناس .

وفقكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإمـام الأكبـر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

ترأس فضيلة الإمـام الأكبر اجتماع « المجلس الأعلى للأبـاء والمعلـمين » الـذى عقـد بقاعـة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف حيث ناقش خطة قطاع المعاهد الأزهرية وكان من أهمها :

● اعتماد خطة الأنشطة والخدمات الطلابية للعام المالى الجديـــد ١٩٩٥/٧/١ وحتـــى ١٩٩٦/٦/٣٠ .

● الموافقة على زيـادة مكافـآت تكـريم أوائـل الشهادات الأزهرية .

● الموافقة على تكثيف دورات التـدريب على « الحاسب الآلى » لدورتين متتاليتين .

● مطالبة وزارة الإعلام (تليفزيون – إذاعـة) باتاحة الفرصة أمام طلاب المعاهد الأزهرية لنيل قسط وافر من المواد الثقافية سواء المرئية أو المسموعة حتى يكون هناك مساواة بين طلاب الأزهر ، والتربية والتعليم فى هذا الجانب .

● بحث استخدام أبنية المعاهد الأزهرية لتحفيظ القرآن الكريم للجمهور بما لا يتعـارض وأوقـات الدراسة مع وضع الضوابط اللازمة لهذا الاقتراح بمعرفة قطاع المعاهد الأزهرية .

● استكمال النقص من مدرسى التربية البدنية من الجنسين حيث تم تخريج أول دفعة من « كليـة التربية » جامعة الأزهر هذا العام .

تبـادل ثقـافى بيــن الأزهــر والجامعـة الإسـلامية «بماليزيا»

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق – شيخ الأزهر الشريف – بمكتب فضيلته الأستاذ الدكتور / عبدالحميـد أبوسليمـان رئيس الجامعة الإسلامية « بماليزيا » .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقـات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف « وماليزيا » من حيث إيفاد مدرسين من الأزهر الشريف وزيادة المنح الدراسية لطلاب « ماليزيا » وإمداد « ماليزيا » بالمناهج والكتب المدرسية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر – شيخ الأزهر – ببحث كافة الاحتياجات التى تقدم بها السيد رئيس الجامعة والعمل على تلبيتها فى أقرب وقت ممكن

الأزهر يشارك فى «مؤتمر الإسلام والتفاهـم بين الأديان بموسكو»

وافق فضيلة الإمام الأكبر على إيفاد السيـد الدكتور / على جمعة محمـد عبدالوهـاب الأستـاذ المساعد « بكلية الدراسات الإسلامية والعربية » – جامعة الأزهر إلى « موسكو » نائبا عن فضيلته للمشاركة فى مؤتمر الإسلام والتفاهم بين الأديان والشعوب فى العالم المتغير .. الذى عقد فى مدينة « موسكو » عاصمة روسيا الاتحادية فى المدة من ٢٥ – ١٩٩٥/٥/٣٠ .

وقد ألقى الدكتور / على جمعة كلمة فضيلـة الإمـام الأكبر شيـخ الأزهـر أمـام المؤتمر وكانت بعنوان : (يا أهل الكتـاب تعالـوا إلى كلمـة سواء) .

أعضاء جدد للجنة «الفتوى بالأزهر الشريف»

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بضم أعضاء جدد للجنة « الفتوى » بالجامع الأزهر الشريف وهم : –

فضيلة الشيخ / محمد يوسف عفيفي – الأمين العام المساعد للدعوة بمجمع البحوث الإسلامية سابقا .

فضيلة الدكتور / على جمعة محمد عبدالوهاب – أستاذ أصول الفقه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية .

فضيلة الشيخ / محمد طه أبوالفرح – مدير عام التعليم النوعى بقطاع المعاهد الأزهرية سابقا .

فضيلة الشيخ / سيف النصر عبدالعزيز المجلى – مستشار مادة لقطاع المعاهد سابقا .

فضيلة الشيخ / على الشيخ الخولى – مدير عام شئون القرآن سابقا .

فضيلة الشيخ / محمود أحمد فرج – مفتش مادة بقطاع المعاهد سابقا .

فضيلة الشيخ / معوض عوض إبراهيم – مفتش الوعظ بالأزهر سابقا .

فضيلة الشيخ / فهمى عبداللاه سيد على – مدير مكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سابقا .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الأوقاف الكويتى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه معالى الدكتور على الزميع – وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت – ، والوفد المرافق لسيادته .

أكد الوزير على دعم التعاون بين الأزهر والكويت بصفة عامة ، وبين الأزهر ووزارة الأوقاف بالكويت بصفة خاصة – لا سيما – بالنسبة للمشروع الخاص بالطلبة الممتازين ، وإقامة مشروعات مبانى عشرة معاهد أزهرية أضيرت فى الزلزال :

وأضاف أنه قد بدأ فعلا فى إصلاح هذه المعاهد ، وستسلم فى أغسطس القادم استعدادا للعام الدراسى المقبل . – ان شاء الله – .

كما جرى التشاور فى المشروعات الإنشائية لمؤسسات الأوقاف بالكويت والتى ماتزال تحت الدراسة ، حيث تم عرض بعض هذه المشروعات لدراستها .

الأزهر يفتتح مسجدا بروما

أوفد فضيلة الإمام الأكبر – شيخ الأزهر الشريف – الأستاذ الدكتور محمد محمد أبوليلة الأستاذ المساعد بكلية « اللغات والترجمة » جامعة الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور على جمعة محمد عبدالوهاب الأستاذ المساعد بكلية « الدراسات العربية » بجامعة الأزهر الشريف إلى « إيطاليا » لتمثيل الأزهر الشريف فى احتفالات افتتاح مبنى المسجد الكبير والمركز الإسلامى بالعاصمة الإيطالية (روما) .

كما يشاركان فى الندوة الدولية لبحث « حقوق المرأة فى الإسلام » ، والتى تشارك فيها عدة جهات عالمية استعدادا لبحث هذا الموضوع فى « المؤتمر الدولى للمرأة » المقرر عقده فى العاصمة الصينية (بكين) فى سبتمبر ١٩٩٥ م .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

جامعـــة الأزهـــر

أعلن رئيس جامعة الأزهر أن الرئيس حسنى مبارك يولى اهتماما خاصا لكليات جامعة الأزهر التى بلغ عددها ٥٤ كلية بعد أن كانت لا تزيد عن ١٥ كلية فقط عام ١٩٨١م وأضاف سيادته أن الدولة خصصت لجامعة الأزهر كل الاعتمادات المالية التى طلبتها لتأدية رسالتها فى خدمة المجتمع الإسلامى .

البوســنة والهرســك

قال على عزت بيجوفتش « رئيس جمهورية البوسنة والهرسك الإسلاميـــة » : إن القـــوات الحكومية المسلمة لن توقف حملتها ضد صرب البوسنة المحاصرين « لسرايفو » ما لم يرفعوا حصارهم عن العاصمة ، جاء ذلك فى رده على رسالة من الإتحاد الأوربى يدعو فيها إلى ما أسماه ضبط النفس ، وذلك بعد يومين من القتال الضارى حول (سراييفو) وقال سيادته : إن على الصرب سحب أسلحتهم الثقيلة والسماح بفتح الطرق أمام مواد الإغاثة وقبول المشروع الدولى لتحقيق السلام فى البوسنة وهـــو ما يرفضه الصرب .

تقـــرير هـــام

أكدت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا) فى تقرير لها من « جوهانسبرج » أن أنشطة الدعوة الإسلامية تشهد نشاطا كبيرا فى جمهورية جنوب افريقيا التى يبلغ عدد المسلمين فيها نحو المليون نسمة ، وفيها نحو ستين (٦٠) مدرسة ومعهدا إسلاميا ، بالإضافة إلى مئات المساجد التى يرعاها مجلس القضاء الإسلامى المكون من نخبة من علماء المسلمين الذين يدافعون عن قضايا المسلمين هناك .

وأكد الرئيس أنه لن يقبل شتاء رابعاً على جمهوريته فى ظل الحصار المفروض عليها منذ ثلاث سنوات بعد أن تأكد للمسلمين عدم اكتراث المجتمع الدولى بقضيتهم .

الأرجنتـــين

يجرى حاليا الإعداد لإنشاء أكبر مسجد بقارة أمريكا الجنوبية فى (بيونس أيرس) (بالارجنتين) بتمويل من الدول العربية . أعلن ذلك السفير

السعودى بالأرجنتين وقال : إن الاتصالات جارية مع سفراء الدول الإسلامية المعتمدين هناك لإنشاء ذلك الصرح الإسلامى الذى وافق على إنشائه الرئيس الأرجنتينى « كارلوس منعم » .

أسبانيا

قام « المركز الإسلامى » فى مدريد بأسبانيا بتنظيم مؤتمر للحوار الإسلامى وذلك بالمشاركة مع « رابطة العالم الإسلامى » وأقيم على هامش المؤتمر مسابقة لحفظ القرآن الكريم بين مسلمى آوربا لحثهم على حفظ الكتاب العزيز والالتزام بتعاليمه .

مشروعات إسلامية

اعتمد البنك الإسلامى للتنمية بجدة ٤٥٨ ألف دولار للنهوض بالمجتمعات الإسلامية . وذلك لبناء مدرسة إسلامية بمدينة (هرارى) عاصمة (زيمبابوى) ومدرسة ثانوية بـ (تنزانيا) ومركز للتدريب المهنى لخدمة الطلبة المسلمين بولاية (كيرلا) الهندية .

الشيشان

أمرت السلطات الروسية بإيقاف كل العمليات الحربية والشروع فى المفاوضات فى العاصمة « جروزنى » لتسوية سائر القضايا المعلقة بين الجانبين . يأتى ذلك بعد فشل القوات الروسية مرتين فى اقتحام المستشفى المحاصر .

الكويت

عقدت بالكويت فى الفترة من الاثنين ٢٢ من ذى الحجة لمدة ثلاثة أيام الندوة الفقهية الثامنة التى نظمتها المنظمة الإسلامية الطبية العالمية وتم فيها مناقشة عدد من الأبحاث التى تناولت رؤية الإسلام لبعض المشاكل الصحية ، وشارك فيها من علماء مصر الدكتور/ عبد الله النجار الأستاذ بجامعة الأزهر ، حيث ألقى كلمة شيخ الأزهر فى الندوة وقدم بحثاً فى موضوع بنوك الأعضاء البشرية وحكم الإسلام فيها .

اليابان

أقيم مؤخراً فى طوكيو العاصمة اليابانية مخيم لتدريب الدعاة ، شاركت فيه ١٤ منظمة وجمعية إسلامية باليابان حيث نوقش عدد من القضايا التى كان من أهمها دحض المفتريات البوذية والرد على مايسمى بجماعة الحقيقة السامية المزعومة التى ادعت العلم بيوم نهاية العالم ، حيث أكد الباحثون المتخصصون فى التراث الإسلامى أن يوم القيامة من الأسرار الغيبية التى لايعلمها إلا الله ، والمعروف أن الطائفة المذكورة قد تم القبض على رئيسها ، وهى المسئولة عن الحوادث الأخيرة فى محطات مترو الأنفاق اليابانى التى راح ضحيتها الكثير .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى مؤتمر التحديات المعاصرة للاقتصاد المصرى من المنظور الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمود عبدالجواد الفشنى

● **الاقتصاد من منظور إسلامى : « كان موضوع المؤتمر الذى عقد « بكلية البنات جامعة الأزهر » فى غرة المحرم ١٤١٦ هـ**

● **شارك فى المؤتمر لفيف من علماء الفكر الاقتصادى ، والعاملين بنفس المجال فى مصر وتحدث فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاحه بكلمة موجزة عن الاقتصاد الإسلامى .**

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ـ أيضاً ـ بإيجاز عن قواعد الاقتصاد فى الإسلام .

● **نوقشت ـ فى المؤتمر ـ مجموعة أبحاث اقتصادية ذات أهمية فى تحسين الاقتصاد المصرى ، والأوضاع الاقتصادية عامة .**

● **دعا المؤتمر إلى تجربة اقتصادية تستقى محاورها من أسس الاقتصاد الإسلامى .**

● **تناول المؤتمر دور الزكاة فى تضييق الفوارق بين طبقات المجتمع .**

كلمة الإمام الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة والسلام على سيدنا محمـد خاتم المرسـلين ، وعلى آله وصـحبه أجمعين . وبعد :

فإن هذا المؤتمر ينبغى أن يقوم بدراسة الإصلاح الاقتصادى من منظور إسلامى ، ونحن فى عصر تتلاحق فيه الأحداث وتتصارع فيه الأفكار والشرائع حتى إننا نُغزى فى فكرنا الإسلامى بكل أنواع الأسلحة ، وليس بغريب علينا بما تطالعنا به الصحف والإذاعات من هجوم دائم على الإسلام والمسلمين ، ورمينا بالتخلف والرجعية .

نريد أن نبرز علمنا وأصولنا وقواعدنا .

إن لكل أمة قواعد وشعارات ، ونحن أمة قد يصل تعدادها إلى نحو خمس سكان العالم ـ على الأقل ـ فلابد أن نحتفظ بوجودنا وأصولنا وما استقيناه من إسلامنا .

لا ندعى أن لدينا قانونا ممهداً لمواد محددة ، وإنما جاء الإسلام بقواعد حقيقية لم يعرض تفصيلا لها إلا لمسائل محدودة تتعلق بالأسرة والميراث والوصية . لكنه ـ فى شئون الحياة ـ وضح قواعد عامة ؛ فمثلاً جاء فى الاقتصاد قوله ـ تعالى ـ :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾

سورة النساء ـ آية : ٢٩

وهذه الآية تتسع لأكثر من واقعة فى صورة التعامل الجارية كذلك أورد الكتاب الكريم قاعدة احترام التعامل بالعقود بأركانها وشروطها قال ـ تعالى ـ :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ سورة المائدة ـ آية : ١

وفى القرآن الكريم حديث عن عقد البيع ، وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ **سورة البقرة ـ آية : ٢٧٥**

وشدّد ـ سبحانه وتعالى ـ فى تحريم الربا ؛ وأنذر بأنه إذا لم يمتنع الناس عن التعامل بالربا فإنهم سيعيشون فى ضنك وغلاء ، وعبر القرآن عن ذلك بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

سورة البقرة ـ اية : ٢٧٩

هذه القواعد العامة التى جاء بها القران والسنة إنما هى مبادىء تشير إلى الحلال والحرام فى المعاملات . ولقد استمرأ الناس التعامل بالربا ، واختزنوا الأموال فى البنوك نظير فوائد محددة سلفا ناسين أن تحريك الأموال للاستثمار الفعلى فى المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها مما استحدث فى هذا العصر ـ فيه عائد يفوق الفوائد المحددة سلفا ، ويفتح أبواب العمل للمتعطلين وبهذا تنمو الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ويجد الناس أرزاقهم مفتحة الأبواب تستوعب المتعطلين وغيرهم .

● **القواعد العامة يجب أن ندرسها لصالح الأمة .**

لقد أكدت الدراسات على هذا ، وما ينبغى أن نحافظ عليه هو تطابق العدالة وسريانها إلى التوزيع .

ولقد علمنا من التاريخ أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ومعه أصحابه الفقراء الذين حرموا أموالهم وفقدوا أعمالهم آخى ﷺ بينهم وبين الأنصار ، ووجدنا من بين المهاجرين من يقول لأخيه الأنصارى :

« استبق مالك وأهلك ودلنى على السوق » أى ليعمل ولم يرض أن يعيش عالة على أخيه .

نحن نريد أن نأخذ حظنا فى هذه الحياة ، والعصر عصر العلم وعصر العمل ؛ بكل أسف لدينا العلم وينقصنا العمل وأقصد بالعلم : العلم التجريبى القابل دائماً للتغيير والتقويم ـ فلا نقتصر بأن نتلقى عن الآخرين : (الترف) .

لدينا أموال فى البنوك ولدينا عمالة ـ ولكن ... أين المشروعات الاستثمارية التى توجد عملاً وتأتى بنتيجة ؟ .

نحن نعيش ظروفا صنعناها بأنفسنا مع أن لدينا أراضى واسعة ، وصلاتنا بالعالم مفتوحة ، ومركز مصر الجغرافى يمكنها أن تكون كمركز مرموق .

أنتم ـ يا علماء الاقتصاد ـ : عليكم أن تفكروا وتدبروا حلولاً لهذه المشكلات لنجد حلّا لكل ما نحن فيه .

يجب أن يعلم الناس أن هناك اقتصاداً إسلامياً .

آمل أن نعود إلى الترات فى الفقه الإسلامى وسوف نجد حلولًا كثيرة وعلماً ثابتا له قواعده وليس مجرد نظريات إنما هى قواعد وحقائق تنفى الأباطيل .

أدعوكم إلى البحث عن حقائق علم « الاقتصاد الإسلامى » بدءًا من القرآن والسنة إلى علومها الوفيرة التى بين أيدينا ، ولا نقف عند العناوين التى تلقيتموها فى الدراسة أو التى تدرسونها للطلاب .

إنه قيل : لا مشاحة فى الاصطلاح ـ فلكل علم مصطلحاته .

(وفى الختام) دعا فضيلته إلى عقد هذا المؤتمر سنويا للتوصل إلى حلول ومعالجات موضوعات الساعة ، وإصلاح شئون الأمة والعمل على رفعتها ومصالحها الاقتصادية .

وتحدث الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ ـ رئيس جامعة الأزهر ـ فقال :

أود أن نتمكن من نقل تراثنا الإسلامى بنظرياته وأفكاره إلى كل بقاع العالم بكل السبل والوسائل بعد دراسة لغاته وثقافاته ـ حتى يمكن نشر مبادىء ديننا الحنيف ؛ وقواعده فى الاقتصاد قد بنيت على أن المال هو عصب الحياة ؛ ولذا فقد دعت الشريعة إلى تحصينه ورسمت مناهجها مشروعية تحصيله وتنميته فقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾

سورة الجمعة ـ الآية : ١٠

كما أمر الإسلام بالمحافظة عليه وعدم تبذيره ونهى عن استغلال حاجة المعدم إليه ـ وجعل فيه حقا معلوماً للفقير والمسكين والمصلحة العامة حيث يقول :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ سورة الإسراء ـ الآية : ٢٦

ونادى الإسلام بالوسطية حتى لا يضار الفقراء من التقتير ـ ولا يفسد المجتمع بالإسراف ـ فلو تأصل « الترف » فى أمة قضى على أخضرها ويابسها قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة سبأ

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾

سورة المؤمنون ـ اية : ٦٤

فقد حرم الإسلام الترف حتى لا ينقسم المجتمع إلى مترف وحاقد ـ حرم الشح حتى يجد الفقير مورداً يحقق له العيش الكريم .

وحرم الإسلام الاحتكار : (من احتكر الطعام أربعين يوما برىء من الله وبرىء الله منه) .

— Un autre point à remarquer c'est que à chaque fois l'on trouve les fruits mentionnés, nous sommes devant une description du paradis. Donc, ces fruits aimés sont un moyen par lequel Allah incite les hommes à faire le bien qui leur fera mériter ce Paradis où se trouve la félicité.

— D'après les versets où est mentionné l'ensemble de la flore, on déduit qu'il y a une emphase sur l'eau dans le Coran puisqu'elle a été mentionnée dix fois.

— L'eau est essentielle pour la vie des plantes mais elle a aussi d'autres rôles: elle sert comme boisson pour les hommes et les animaux. Allah le Tout Puissant dit: "C'est lui qui a fait descendre du ciel l'eau qui vous sert de boisson et qui fait croître les plantes dans vous nourrissez vos troupeaux". (le sens du verset 10, sourate El Naml).

— Donc, l'eau est aussi l'un des bienfaits d'Allah puisqu'elle est l'élément essentiel dans la croissance des plantes qui servent à leur tour comme nourriture principale pour l'homme. Allah le Tout Puissant dit : "Il y a sur la terre des parcelles voisines les unes des autres, des jardins plantés de vigne, de céréales et de palmiers disposés en touffes ou bien dispersés, ils sont tous arrosés avec la même eau".

— Donc, le Coran accorde à l'eau la même importance qu'elle avait chez les Arabes qui vivaient dans un désert où était la source de vie. Les points d'eau étaient les places où se trouvaient les bedouins.

— D'après tout ce qui a précédé, on peut conclure que les plantes mentionnés dans le Coran, le sont en fonction de leur utilité pour l'homme. Donc, l'allusion est faite seulement à leur utilité, ni à leurs formes ni à leurs couleurs.

— De même, il y a des plantes qui ont été signalées dans un récit comme le palmier dattier qui est mentionné dans l'histoire de Marie. Allah le Tout Puissant dit : "Les douleurs la surprirent auprès du tronc du palmier. Elle dit "Malheur à moi! que me suis déjà morte, totalement oubliée! "Le sens du verset 23, sourate Mariame). Il y a aussi des plantes qu'Allah a présentées dans la description du Paradis qui est la récompense réservée aux croyants qui obéissent les ordres de leur créateur. Allah le Tout Puissant dit : "Vous y trouverez des fruits abondant et vous en managerez". Le sens du verset 73, sourate Al Zokrof).

— Donc, les plantes occupent une place importante dans l'ensemble du Coran; elles ont été mentionnées soixante fois dans trente sept Sourate. Dans ces 37 Sourates il y a dix genres de plantes mentionnées à savoir la figue, l'olive, le grenade, le raisin, le palmier dattier, les fruits les cultures et les arbres.

— D'après cette énumération, on peut dire que les deux catégories fréquemment mentionnées sont: les fruits et les graines.

— On peut remarquer aussi que ces genres de plantes n'occupent pas la même place mais plutôt il y a une différence entre elles du point de vue importance accordée à chacun de ces genres. Cette importance varie d'une catégorie à l'autre.

— A la tête des fruits apparaît le palmier dattier qui est un fruit principal chez les arabes et d'une grande valeur nutritive. De même, les raisins qui occupent la deuxième place parmi les fruits, poussent dans les pays chauds, ainsi que d'autres fruits connus dans les pays chauds tels que les figues et les grenades.

— Donc, Allah a choisi les variétés de plantes qui conviennent à l'environnement où vivaient les Arabes à qui le Coran a été envoyé en premier lieu. Ces Arabes vivaient dans un lieu désertique, c'est pour cela qu'Allah leur a donné en exemple les variétés de plantes qu'ils connaissent afin que le Coran leur soit accessible à leur raison.

« Les plantes dans le Coran »

par GHADA ABDALLAH

— Le Coran est le message d'Allah pour l'être humain. Il contient toutes les instructions que doit suivre le croyant. En plus de ces instructions, Allah a mentionné la récompense donnée aux croyants dans la vie future. Par contre, il a également nommé la punition réservée aux incrédules qui n'obéissent pas à Ses ordres.

— Pour tous les hommes, Allah a donné dans le Coran beaucoup de leçons qui servent à leur montrer les bienfaits qu'Allah leur a octroyés. Mais ces bienfaits sont également donnés aux croyants ainsi qu'aux incrédules, mais la récompense de la vie future est reservée pour les croyants uniquement.

— Parmi ces bienfaits, il y a l'ensemble de la fréquemment mentıonné dans le Coran dans plusieurs occasions.

— L'ensemble de la flore n'est pas le seul bienfait d'Allah, mais il sera le sujet de notre étude.

— Bien que l'ensemble de la flore soit un des bienfaits d'Allah, il n'est pas mentionné seulement comme signe de ces bienfaits.

— En fait, les plantes ont été mentionnées. Comme on l'avait signalé dans de plusieurs occasions. Quelques une ont été mentionnée comme signe de la toute puissance divine. Allah, le Tout Puissant dit: "N'est ce pas lui qui a créé les cieux et la terre et qui pour vous, a fait descendre des cieux une eau grâce à laquelle nous faisons croître des jardins remplis de beautés dont vous ne sauriez faire pousser les arbres (le sens du verset 60) sourate Al Nahl. D'autre ont été avancées dans le Coran comme parabole donnée à l'homme afin que celui-ci puisse en tirer des leçons. Allah le Tout Puissant dit :
"Propose - leur la parabole de la vie de ce monde: elle est semblable à une eau, Nous l'avons fait descendre du ciel pour qu'elle se mélange à la végétation terrestre mais celle-ci devient un herbage desséché que le vent disperge" (le sens du verset 45, sourate Al Kahf).

pour les combattre mais pour empêcher une effusion de sang entre les musulmans (1). Quand il aperçut Talha et Az-Zoubaïr, les deux apôtres du Messager d'Allah (b.s.) parmi les rangs de l'armée, il les appela. Lorsque Az-Zoubaïr fut tout près de lui, il lui dit: "Ô Zoubaïr, je te conjure par Allah, te rappelles-tu du jour où le Messager d'Allah (b.s.) a ri et tu as ri en disant que Ali n'abandonne jamais son orgueil; et qu'il t'a répondu, il n'est pas orgueilleux? Ô Zoubaïr par Allah, tu me combattras en commettant une grande injustice!" Az-Zoubaïr répondit: "oui, je me rappelle maintenant, mais j'avais oublié je ne te combattrai plus". Il refusa de participer à la guerre civile et rebroussa chemin vers Médine. Durant son voyage, il s'arrêta pour accomplir sa prière c'est alors qu'un lâche nommé Ibn Garmouz le tua pendant qu'il priait. Le meurtrier se présenta devant l'Imam Ali croyant qu'il lui portait la bonne nouvelle du meurtre d'Az-Zoubaïr en lui présentant l'épée qu'il lui a prise après avoir excuté son crime. Mais lorsque Ali sut que le meurtrier d'Az-Zoubaïr était à sa porte, il dit: "annonce au meurtrier du fils de Safia qu'il ira en enfer. Lorsqu'on lui apporta l'épée d'Az-Zoubaïr, l'Iman Ali la baisa et pleura abondamment et dit: "Par Allah! le propriétaire de cette épée l'a tant utilisée pour dissiper la peine du Messager d'Allah".

Az-Zoubaïr, ce chevalier vaillant, à l'âge de 65 ans fut tué lâchement de son dos car personne n'osait confronter le brave conquérent.

Il jouissait des meilleures vertus et d'un noble caractère. Son courage et sa générosité se valaient car il dirigeait un commerce fructueux et sa fortune était abondante, mais il dépensa tous ses biens pour l'Islam et mourut endetté. Au moment où il rendait l'âme, il demanda à son fils Abdallah de payer ses dettes, en lui disant: "Si tu n'arrives pas à payer une dette aie recours à mon Seigneur". Abdallah lui demanda: "De quel Seigneur parles-tu? Il répondit "Allah le meilleur maître et le meilleur défenseur" Abdallah dit plus tard: "Par Allah chaque fois que je souffrais d'une dette, je disais: "Ô maître d'Az-Zoubaïr acquitte ma dette et elle était acquittée". Salut à Az-Zoubaïr dans sa mort, salut à l'homme généreux et vaillant à l'homme qui fut tué injustement car Allah lui réservait la dignité du martyr.

---

(1) Cette bataille fut nommée la bataille du chameau car la mère des croyants Aïcha (a.s.e.) était portée dans son palanquin sur le dos du chameau.

Mohammad. Je donnerai donc à mes enfants les noms des martyres afin qu'ils meurent en martyrs à leur tour".

Ainsi, il appela son garçon Abdallah comme le compagnon du Prophète mort en martyr "Abdallah Ibn Gahch". Il appela un autre fils "Almounzer", comme martyr "Almounzer Ibn 'Amr'. Il appela les autres: Hamza", "Ga'afar" Mouss'ab", "Khaled" souhaitant qu'à leur tour, le jour de leur mort, ils seront des martyrs. Az-Zoubaïr n'était pas seulement le cousin du Prophète (fils de sa tante paternelle), ni l'époux d'Asma la fille d'Abou Bakr, mais il était en plus le chevalier renommé, le fort fidèle, celui qui a sacrifié sa vie et son argent pour la cause d'Allah, le Seigneur des mondes. Il n'accepta jamais de prendre le commandement, ni "aucune charge. Sinon celle de combattre pour la cause d'Allah.

On raconte que le jour d'Al Yarmouk, Az-Zoubaïr était à lui seul aussi vaillant qu'une armée de combattants. Quand il a vu la plupart des guerriers qu'il commandait se replier devant les byzantins qui déferlaient comme des vagues, il lança son cri "Allah est grand" et s'élança seul dans les troupes ennemis, frappant de son épée et tuant avec son épée à droite et à gauche.

Les jours s'écoulèrent, le calife Othman fut tué et les musulmans prêtèrent acte d'allégeance à Aly Ibn Abou Taleb. Médine était encore pleine de comploteurs qui faisaient régner la zizanie entre les musulmans et poussaient les gens à demander vengeance pour l'assassinat du calife Othman.

A côté de ceux-là, il y avait des musulmans sincères affectés par la mort de Othman et qui demandèrent la permission de quitter Médine et partir vers Bassorah pour se rejoindre à ceux qui demandaient justice pour le sang de Othman en vue de tuer les assassins.

Parmi ces personnes figuraient les deux compagnons du Prophète: Talha et Az-Zoubaïr (Qu'Allah soit satisfait d'eux) ainsi que la mère des croyants:. Aïcha (a.s.e.) Ali consulta ses compagnons, ils lui dirent qu'il devait intervenir dans cette crise pour mettre à ce désordre de peur que le peuple d'Al Châm (qui ne voulait pas reconnaître l'autorité de Ali) ne les rejoigne et se révolte contre lui. Alors Ali se rendit vers eux, non

fer. Il lui disait en le torturant "Nie le Dieu de Mohammad et je l'épargne cette torture". Az-Zoubaïr qui était en ce temps là un jeune garçon aux os encore délicats, répondait avec fierté: Non, par Allah, je me reviendrai jamais à l'incroyance". Az-Zoubaïr émigra en Ethiopie la première fois puis il retourna pour participer aux combats et expéditions avec le Messager d'Allah (b.s.) sans rater aucun des combats. Un de ses compagnons qui l'avait accompagné durant le grand pélerinage a dit: "Je jure par Allah que lorsque je vis son corps, il était tailladé par les épées et, sur sa poitrine, il y avait des cicatrices - comme des yeux enfoncés - causées par les coups d'épées et de lances". Je lui dis alors: "Par Allah, j'ai vu sur ton corps ce que je n'ai jamais vu sur personne". Il me répondit: "Je les ai toutes reçues ces blessures, alors que j'accompagnai le Messager d'Allah (b.s.) en combattant pour la cause d'Allah".

Lorsque les juifs de Banou Qouraiza rompirent leur pacte avec les Musulmans, le Prophète (b.s.) reçut l'ordre de son Seigneur de les combattre. L'Etat de siège dura longtemps et la tribu de Banou Qouraiza refusa de se rendre. Alors le Prophète (b.s.) envoya Al Zobaïr avec Ali Ibn Abou Taleb; ils se présentèrent devant la forteresse et répétèrent: "Par Allah, nous sommes prêts à subir le même sort que Hamza, ou bien nous aurons leur forteresse". Puis tous les deux foncèrent et avec une force inouie et ouvrirent les portes aux musulmans. Il jouissait de l'amitié et de l'estime du Messager d'Allah (b.s.) qui dit un jour: "Chaque Prophète a ses apôtres; le mien est Az-Zoubaïr Ibn Al A'wam".

Lorsque le Messager d'Allah (b.s.) fraternisait entre ses compagnons à la Mecque avant l'émigration, il fraternisa entre Talha et Az-Zoubaïr.

Le Messager d'Allah (b.s.) avait mentionnait souvent leur nom en disant: "Talha et Az-Zoubaïr seront mes deux voisins au paradis". Tous les deux (Talha et Az-Zoubaïr) subirent presque les mêmes épreuves et eurent le même train. Tous les deux étaient parmi les premiers musulmans qui faisaient partie des dix hommes à qui le Prophète a annoncé le Paradis Tous deux étaient parmi les membres du conseil auquel Omar avait confié la charge de choisir son successeur. Même leur sort fut identique. Az-Zoubaïr disait: "Talha Ibn Oubaïdallah donne à ses enfants les noms des Prophètes en sachant qu'il n'y aura plus de Prophète après

«Az-Zoubaïr Ibn Al-A'wam» 'L'apôtre du Messager d'Allah'

par Hoda Hussein Chaäraoui

— Az-Zoubaïr Ibn Al A'wam est l'un des dix promis pour le Paradis. Il se convertit à l'Islam à l'âge de 15 ans et reçut ainsi très tôt la bonne direction, la lumière et le bien. Vaillant chevalier malgré sa jeunesse il posséda la première épée brandie pour la cause de l'Islam. Mais comment cet évènement eut-il lieu, bien que les musulmans n'avaient pas envore reçu l'ordre de combattre

— A l'aube de l'Islam, les musulmans étaient peu nombreux et ils se cachaient dans la maison d'Al Arquam. Un jour, une rumeur circula, disant que le Messager (b.s.) était tué. Az-Zoubaïr, malgré son jeune âge, prit son épée et s'élança dans les rues de la Mecque comme un ouragan. Il partit en premier lieu s'assurer de la nouvelle, avec l'intention que si la mort du Messager (b.s.) s'avérait vraie, il allait combattre toute la tribu de Qoraïch jusqu'à les exterminer tous ou jusqu'à sa propre mort. Sur les hauteurs de la Mecque, il rencontra le Messager d'Allah (b.s.) qui lui demanda ce qu'il avait? Alors Az-Zoubaïr lui raconta la nouvelle, c'est alors (b.s.) que le Prophète (b.s.) invoqua le Seigneur afin qu'il lui accorde le plus grande bien.

— Cet homme moble avait de biens de parenté avec le Messager. Sa mère Safia était la tante paternelle du Messager (b.s.) que son père, Al A'wam Ibn Khouwaïlid, était le frère de Khadiga l'épouse vénérée du Messager d'Allah (b.s.)

Malgré la noblesse de son rang parmi son peuple, il endura la torture et la persécution de Qoraïch. Son oncle paternel le roulait dans une natte de paille, allumait du feu et lui en envoyait la fumée pour l'étouf-

REVUE
AL-AZHAR

Vol. 68 Part II

Safar 1416 Hijrah, July 1995

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Pickthall (812) :

"1. By the fig and the 'Olive'.
2. By Mount Sinai,
3. And by this land made safe;"

Notice that Pickthall has inserted the coordinator 'and' only before the last conjoined element, whereas the second 'and' in verse 2, is replaced by a comma. Therefore, his translation of the three verses is considered a good one.

Regarding Coordination in example (b), the four translators in question should have dispensed with the coordinator 'and' inserted before the word 'tongue'. Their versions are represented as follows :

Khatib (808) :

"Have we not assigned to him two eyes, and a tongue, and two lips".

Y. Ali (1651) :

8- Have we not made
For him a pair of eyes?-

9- And a tongue,
And a pair of lips?-

Pickthall (807)

"8- Did We not assign into him two eyes
9- And a tongue and two lips,"

Arberry (645) :

Have we not appointed to him two eyes.
and a tongue, and two lips,

The suggested version of the above verses is, therefore, believed to be as follows :

Suggested Version :

Have we not assigned to him two eyes, a tongue and two lips.

These are only few examples illustrating the syntactic mismatches which the translators have faced in translating the /wäw/.

To Be Continued

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩

/ʔa lam najcal la-hu cayn-ayn-i wa lisän-an wa safat-ayn-i/.

According to Ibn Khalaweih (1989 : 144-45), Sura 95 in example (a) starts with several conjoined oaths : by the two plants, figs and olives which are useful to man, by Mount 'Tur' in Sinai and by Mecca. These four symbols in Syndetic Coordination refer to Allah's Revelation which offers Man the highest destiny if he will follow His way.

Khatib, in his version, transfers both meanings of oath and coordination by using the sequence 'and by' to link the conjoined elements together.

Khatib (813) :

"By the fig and the olive, and by Mount Tür of Sinai, and by this safe land,"

However, Khatib should have dispensed with the two particles 'and' and 'by' in the second verse in order to avoid repetition.

Arberry and Y. Ali, similar to Khatib's attitude, resort to the repetition of 'and' in the second verse, in addition to ignoring the oath particle 'by' in the last conjoined element.

Arberry (650) :

"By the fig and the olive
and the Mount Sinai
and this land secure!"

Y. Ali (1669) :

1 By the Fig
And the Olive.
2. And the Mount
Of Sinai,
3. And this City
Of Security -

Pickthall is the only one who succeeds in translating the three verses. He maintains both meanings of oath and the coordination in the three verses.

Pickthall (786) :

6. Have We not made the earth an expanse.
7. And the high hills bulwarks ?
8. And We have created you in pairs.
9. And have appointed your sleep for repose.
10. And have appointed the night as a cloak.
11. And have appointed the day for livelihood.
12. And We have built above you seven strong (heavens).
13. And have appointed a dazzling lamp.
14. And have sent down from the rainy clouds abundant water.

Perhaps the use of the capital 'And' in the above verses gives the feeling that the /wäw/ used in Arabic is that of inception, not of coordination.

The suggested version is, therefore, believed to be as follows :

Suggested version :

Have we not made the earth spread out and the mountains as pegs ? Have we not created you in pairs, made you sleep for repose, made the night an enwrapping, assigning the day for living, building above you seven strong heavens, assigning an incandescent lamp and sent down from the clouds plentiful water ?

Where the number of coordinators is reduced from eight, as mentioned in the above translation, to two and the others are replaced by commas.

In addition to the above example, there are more illustrations of translating the /wäw/ in 'Amma' Part which reveal the mismatches made by translators. In particular, their literal use of the coordinator 'and' whenever they find the additive /wäw/ in Arabic, no matter what the English rules say, can be illustrated as follows :

2- Sura 95, verses 1-3 : وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

/wa-t-tïn-i wa-z-zaytün-i wa ṭür-i sïnïn-a wa häza-l-balad-i-l-?amïn-i/.

b- Sura 90, Verses 8-10 :

Notice from the above versions that the number of 'and', used by Khatib and Y. Ali to link one verse with another, is eight, coresponding to the exact number of /wäw/ in Arabic.

The excessive use of 'and' is also adopted by Arberry and Pickthall in their versions;

Arberry (626) :

Have We not made the earth as a cradle
and the mountains as pegs ?
And We created you in pairs,
and We appointed your sleep for a rest;
and We appointed night for a garment,
and We appointed day for a livelihood.
And We have built above you seven strong ones,
and We appointed a blazing lamp
and have sent down out of the rain-clouds water cascading.

Moreover, notice the inconsistency of Arberry in his use of 'and', sometimes with a small letter 'a' and other times, with a capital 'A'. This mainly depends on the inconsistency in the use of punctuation marks, at the end of verses, commas as in verses 3, 5 and 7, semi-colons, as in verse 9 and stops, as in verse 11. However, he does not use punctuation marks at all in verses, 6, 13 & 14. Although punctuation marks play a major role and have a great effect in the process of Coordination in English, yet they do not exist in the Qur'an. Had they been there, there would be less confusion amongst translators in rendering conjoined structures. However, due to their absence, the translator may replace a comma by a semi-colon or by a stop when linking two sentences together.

Although Pickthall, on the other hand, sticks to the use of commas except for verse 11 in order to separate one verse from another, yet the 'and' following these commas is usually written with a capital 'A', as illustrated from his version as follows :

1.

/?a lam najcal-i-l-?ard-a mihäd-an wa-l-jibäl-a ?awtäd-an wa xalaq-nä-kum ?azwäj-an wa jacal-nä nawm-a-kum subät-an wa jacal-na-l-lay-l-a libäs-an wajacal-nan-nahär-a macäš-an wa banay-nä fawq-a-kum sab-c-an šidäd-an wajacal-nä siräj-an wahhäj-an wa-?anzal-nä min-al-mucsir-ät-i- mä?-an Θajjäj-an/.

In the above group of verses, we may notice that the /wäw/ is the only coordinator which links one verse with another; yet the method adopted to use this coordinator as regards frequency, differs from one translator to another. Both Khatib and Y. Ali are criticized for the excessive use of 'and' as equivalent to the /wäw/ in Arabic. This means that whenever they find any /wäw/ of coordination in the original, they render it as 'and', despite the ungrammaticality this repetition may be in English.

Khatib (787) :

Have We not made the **earth** spread out and the mountains as pegs? And We created you in pairs. And We made your sleep for repose. And We made the night an enwrapping. And We assigned the day for living. And We have built above you seven strong (heavens). And We assigned an incandescent lamp. and We sent down from the clouds plentiful water.

Y. Ali (1585-86) :

6. Have we not made
The earth as a wide
Expanse,
7. And the mountains as pegs ?
8. And (have We not) created
you in pairs.
9. And made your sleep
For rest,
10. And made the night
As a covering.
11. And made the day
As a means of subsistence ?
12. And (have We not)
Built over you
The seven firmaments.
13. And placed (therein)
A Light of Splendour?
14. And do We not send down
From the clouds water
In abundance.

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part II

By Dr. Maha Y. El Tagouri

In the previous edition, the discussion of the evaluation of translating coordination started to deal with the syntactic aspect. In this edition the discussion is carried on with respect to the syntactic aspect of repetition and deletion of the /wäw/.

Syntactic Mismatches with the /wäw/ :

Repetition and Deletion :

Perhaps one of the commonest mismatches which, as realized through our quality assessment, lies in the path of translators and always waits to trap them, is the repetition of coordinators; that is to say, the excessive use of coordinators when not necessary. 'And', for instance, as a coordinator, may be resorted to by many translators whenever they find the /wäw/ in the original text. In order to solve the problem of translating a series of conjoined elements into English, Huddleston (1988 : 196) suggests that this series is usually written with a comma following each element, except the last when it is preceded by only 'and' or 'or', connecting the final two elements. A further approach is that instead of just listing one element after another by repeating the coordinator used, Daiker, Kerek & Morenberg (1979 : 143) suggest that they can be grouped into pairs. However, translators, in some cases, may ignore the above English rule and resort to the excessive use of 'and', or they may completely delete it in their versions. Examples of repetitions and deletions are illustrated as follows :

Sura 78, Verses 6-14 :

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

preparation and planning. In other words, we can say that the Muslims fought against their enemies according to both correct and scientific principles. Another lesson, is that right has to be supported by might and fierceness can only be confronted with fierceness. Moreover, if war breaks out, no one should retreat before achieving victory or die in the sake of his cause.

Another lesson, also, is that the decision for or against the battle was the result of an open debate among the Muslims and this confirms the democracy of the Islamic society. We have seen how the superme commander of war; i.e. the prophet (P.B.U.H), has consulted his soliders in every matter regarding the war and every decision was taken by unanimous agreement.

The extraordinary bravery which was shown by Muslim believers, is another important lesson which should not escape our attention. These believers had a strong faith which was much greater to them than their family relations. Muslims were fighting for the justification of Allah and the victory of his religion. Thus we have seen a lot of Muslims killing their close relatives who were pagans, at 'Badr' such as Abu Obaida Bin Al Jarrah who killed his father.

After this battle, the idolaters began to take into consideration the strength of the Muslims, in addition a lot of the idolaters accepted the new religion after they had seen how such a small group of Muslims was able to defeat a much greater group of the idolaters, even though they were better armed than the Muslims.

The faith of the Muslims became stronger after they had achieved the victory at 'Badr'', also their love of their prophet became much stronger. Moreover, the Muslims after 'Badr' were ready to fight, struggle and die for the sake of their religion. In this respect, the Glorious Qur'an says :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ سورة آل عمران

"Allah had already given you the victory at Badr, when ye were contemptible. So observe your duty to Allah in order that ye may be thankful". (Aali Imran : 123)

It seems more reasonable, regarding this controversial issue, to say that the angelic support meant good tidings for the Muslims. We all know that the angels are spirits who could, by the means of inspiration strengthen the determination of the Muslims but, more, they could throw fear into the hearts of the idolaters. We can say that this interpretation is based on Allah's saying :

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ

"When thy Lord inspired the angels, (saying): I am with you. So make those who believe stand firm. It will throw fear into the hearts of those who disbelieve". (Spoils of war : 12)

Now if come to analyse the battle of 'Badr', it is quite obvious that the Muslims victory against the idolaters was extraordinary, because the Muslims only counted one third of the number of idolaters whereas, Quraish counted between 900-1000 fighters. However, the battle did not last more than half of that day and the Muslims were able to kill many of the prominent leaders of Quraish such as Abu Jahl, Otba, Nawafal Bin Al Harith, Hanzala Bin Abi Sufian and many others.

If we look deep into the battle, we will find that the great victory achieved by Muslims, which some believe that it was unexpected victory, is, in fact, an expected one. It goes without saying that all the Muslims who took part in this battle, were faithful believers who not only fought against their enemy armed with their weapons; but were also armed with a strong faith which made them certain of Allah's support.

The battle of 'Badr' was a turning point in which the truth had overcome falshood. It also represented the never ending and continuous lessons which will always enlighten the lives of Muslims in their endless struggle against their enemies who are also the enemies of Allah.

From the strategic and tactic point of view, it can be easily said that the battle of 'Badr' has its great military significance and from it many military lessons can be derived. One of these lessons is that Islam has introduced a new method of war characterized with good

After achieving a great and an overwhelming victory, the prophet (P.B.U.H) sent Zaid Bin Haritha and Abdullah Bin Rawaha to Medina to inform the people there of the Muslim great victory. The believers were very happy to hear the glad tidings. Then the prophet (P.B.U.H) consulted his companions regarding the future of the idolaters who had been captured on the battlefield. In this respect, many suggestions were made, but the one which the prophet (P.B.U.H) appreciated was that of Abu Bakr. Abu Bakr was of the opinion to exchange the captives for ransoms to strengthen Islam and disgrace the idolaters. In fact, the prophet (P.B.U.H) approved Abu Bakr's suggestion not only for his mere appreciation but because it gained the agreement of the majority. In addition, he said that no prisoner would be freed without a ransom and those who could not afford to pay the ransom and knew how to read and write would be called upon to teach ten Muslim children to read and write.

In this context, i.e. when talking about the battle of 'Badr", one important fact should not be ignored; namely that Muslims were supported by angels. In this respect, the Glorious Qur'an says :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ سُورَةُ الأنفَال

"When ye sought help of your Lord and He answered you (saying): I will help you with thousand of the angles, rank on rank". (Spoils of war : 9)

A lot of research has been made concerning this angelic support, some of which considers that this support was perceived, which means that the angels really descended and participated in the fighting. Other researches say that the angelic support was directed only at strengthening the morale of the Muslims, in this respect the Glorious Qur'an says :

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

"Allah appointed it only as good tidings, and that your hearts thereby might be at rest. Victory cometh only by the help of Allah. Lo! Allah is mighty, wise". (Spoils of war : 10)

capture them. In other words, the two parties wanted to fight each other. In this respect the Glorious Qur'an says:

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ سورة الأنفال

"And when He made you (Muslims), when ye met (them), see them with your eyes as few, and lessened you in their eyes, (it was) that Allah might conclude a thing that must be done. Unto Allah all things are brought back". (Spoils of war: 44).

On Thursday morning, Ramadan 17, the second year of Hijra, the Quraish proceeded arrogantly with its large force armed with their shields and spears. The fighting started with due lists from both sides confronting each other. The prophet (P.B.U.H) stood among the ranks of his followers urging them to remain steady and advising them not to launch a comprehensive attack until they were ordered to do so. He told them to shoot their arrows when the enemies start to rush against them and not to raise their swords unless they come too close to them.

Moreover, the prophet (P.B.U.H) urged his followers to be patient and fight bravely in this decisive battle, assuring them that whoever was going to be killed while he was fighting was going to be raised to paradise by Allah.

The two armies clashed together. It was not too long, before the idolaters found that there was a surprise awaiting them, namely, the prophet (P.B.U.H) had organized his followers to fight according to a style of ranks which was unfamiliar to the Arabs before this battle. The Arabs used to follow a style of attacking and then retreating. Because of the steadfastness shown by the Muslims, their skill in shooting at the idolater's horses and heads with their arrows, made it possible for the Muslims to win the battle. It did not take the Muslims more than half that day to kill 70 idolaters and capture another 70 in a battle which was considered the first military duel between the two sides during that battle, the lands of 'Badr' witnessed the death of many pagan idolaters from the swords of a unified poor people.

It did not take long before the news reached the Muslims informing them that the caravan would arrive at 'Badr'(1) the next day or the day after. At that time, further news reached the Muslims confirming that Quraish was on its way to protect its trade, so the prophet (P.B.U.H) hurriedly summoned his companions to discuss with them the matter in order to decide what to do. After some debate all the believers agreed to fight against the idolaters.

Abu Sufian and his caravan did not follow the usual route but, instead they followed the road along the seashore, there by successfully avoiding the danger from the Muslims. In the meantime, Abu Sufian sent a message to the leaders of Quraish asking them to return to Mecca, but they refused. Thus, the pagan army marched on until it reached the seashore of the valley 'Badr', where the road was smooth and easy and they camped behing a sandhill. Meanwhile, the Muslims camped on the opposite side of the seashore along the valley, where the land was dusty and full of clay.

Someone might ask why the prophet (P.B.U.H) had chosen this particular spot, i.e. the valley of 'Badr', to camp in. Has Allah guided him to this place? or have he chosen this place due to war tactics? Certainly, the prophet (P.B.U.H) has chosen this place due to the strategy of war. He knew well that water was plentiful in this place and so the Muslims built a reservoir and filled it with water, then they destroyed all the unestablished wells. By doing this, the prophet provided the Muslims with drinking water and prevented the idolaters from doing so, because the other wells were situated beyond the well they were going to use.

Before, fighting broke out, the Quraish sent Omair Bin Wahab Al-Jomahi to reconnoiter the Muslim camp. When he returned to his fellows he told that the Muslims counted around 300 men. After Quraish heard what he had said, some of its leaders thought of returning without necessairly launching a war against the Muslims, but Abu Jahl insisted on war. Many idolaters were, like Abu Jahl, tempted by the small number of the Muslims and they believed that they would crush them easily. On the other hand, Allah Almighty had lessened the number of the idolaters in the eyes of the Muslims, so that they could

(1) 'Badr' is a place between Mecca and Medina known for its numerous wells.

themselves to encounter them in the battlefield. Otherwise, they would expose themselves and their new religion to defeat. Moreover, when Muslims resorted to wage wars against the idolaters they were adhering to the teaching of the Glorious Qur'an which ordains believers to meet hostility with hostility. It also urges them to fight against tyranny whenever they meet it and strive off the necks of the oppressors, in order to prevent them from distrubing the peace of others. In this respect Allah Almighty says :

وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ

"And whose defendeth himself after he hath suffered wrong - for such, there is no way (of blame) against them". (Counsel : 41)

The tribe of Quraish used to carry on its trade through Medina, carrying supplies and great riches, escorted by a strong guard and experts in buying and selling. Quraish, as one of the greatest tribes at that time, was too proud to think that the Muslims could attack its caravans, considering that the Muslims were too weak to launch attacks against its trade and to confront challenge with challenge. But, Muslims with the power of their belief, began to launch attacks against the caravans of Quraish. The first force to attack these caravans, was that led by Hamza Bin Abd El-Muttaleb, followed by another force led by Ubaida Bin Al-Hareth and another led by Sa'd Bin Abi-Waqqas. Later, the prophet came to hear that Quraish organized its largest caravan to be sent to Damascus and that it was led by Abu Sufian Bin Harb one of Makkah's most wealthy tyrants and a great enemy of Islam at that time. Henceforth, the prophet decided to attack the caravan and capture it on its way back from Damascus. He prepared his troops which consisted of 317 men who only had two horses and 70 camels between them. He ordered his troops to camp outside Medina. Abu Sufian knew that The prophet (P.B.U.H) was on his way to attack the caravan, so he sent one of his men to warn Quraish. After Quraish had received the message, they organized an army which included 950 men, 100 horses with 100 shields and 700 camels. In fact, the prophet (P.B.U.H) was not informed of the idolaters preparation.

The Great Battles of Islam
The Battle of 'Badr'

by Nahed Mohamed Wasfi, Ph.D.

The First important Fact for all people, Muslims and non Muslims, to understand is that Islam is the religion of peace and that it is neither imposed nor forced on anyone. We all know that history does not record one episode in which the prophet (P.B.U.H) compelled any single human being to convert to Islam. But, instead the prophet (P.B.U.H) accepted people as they were, considering that their hidden feelings were the concern of Allah Almighty. In fact, nobody, dares to say that people who became Muslims were subject to pressure or that they were compelled to believe in Islam. On the contrary, the prophet (P.B.U.H) continued steadily during the years of prophecy, to urge people to believe in Allah Almighty, and to lead them gradually to truth by using wisdom and spiritual councils, in order to enable humanity to regain its innate character and dignity.

This peaceful attitude of Islam is quite evident in that Muslims were ordered not to fight unless they were attacked for as Allah says :

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

"Fight in the cause of Allah those who fight you but do not transgress limits, for Allah loveth not transgressor". (Al Baqarah 190)

It is clear from this verse that there is neither compulsion nor transgression in Islam except against the oppressors who harass and fight the Muslims. In other words Muslims are ordered to fight, to defend themselves but they should not be transgressors for transgressors are hated by Allah.

Thus, when talking about the great battles of Islam, we should look deep into them in the light of this fact; namely that Muslims were not transgressors but they only fought against oppressors.

It is a well known fact that the battle of 'Badr' is the decisive battle that took place between Muslims and idolaters. When Quraish continued to escalate its enmity against Muslims, it became necessary for the Muslims to use the same language as their enemies and prepare

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

Safa1416 – July 1995

Vol. 68 Part II

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al Aʿraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

الفهرس

• الافتتاحية : حضارة التعلم فى هذا الدين القيم ـ ٢ ـ
لفضيلة د / على أحمد الخطيب ١٤٥

مع الإمام الأكبر :
• سياسة وأدب العقاب فى التشريع الإسلامى ١٤٨
• فتوى ببيان أولى الأمر : واجبهم نحو الرعية وواجب الرعية نحوهم ١٥٥
• وثيقة الزواج الجديدة ١٦٤
• الإيمان والعمل بالتشريع ١٦٧
• مع سورة الفاتحة :
أ.د. إبراهيم الدسوقى خميس ١٧٣
• قواعد السلوك الاجتماعى فى سورة الحجرات
بقلم الفريق / يحيى عبدالله المعلمى .. ١٧٧
• حرمة المساجد وصيانتها
أ.د. محمود سالم الخطيب ١٨١
• حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه
أ.د. عبدالله مبروك النجار ١٨٣
• المنهاج الإسلامى فى صنع واتخاذ القرار
بقلم لواء أ.ح. / فوزى محمد طايل . ١٩٢
• محمد الأمين الكانمى زعيم «برنو» المجاهد
د. عبد الله نجيب محمد ١٩٨
• الفتاوى :
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ٢٠١
• طرائف ومواقف :
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم .. ٢٠٤
• من أعلام الأزهر : الدكتور محمد فرغلى
د. محمد عبد الحكيم محمد ٢٠٧

• الشعر والشعراء :
تقديم الأستاذ / رشاد يوسف ٢١٣
• الحسن بن أحمد الهمدانى
أ.د. أحمد فؤاد باشا ٢١٩
• برامج الحاسوب فى مجال الشريعة ..
للأستاذ نبيل صلاح محمود العربى ... ٢٢٤
• من أمراض الطفولة « أنيميا الدم »
د. / جيهان أحمد مصطفى ٢٢٩
• الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. / نجوى السيد أحمد ٢٣٣
• مع الدكتور عبدالوهاب عزام
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٢٣٦
• نظرات فى كتاب شيخ أدباء مصر
بقلم / ثريا محمد مصطفى ٢٤١
• ثقافة المجتمع السواحيلى
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٢٤٤
• ابن جنبل :
عرض الأستاذ / عبدالسلام ناصف . ٢٤٩
• بين المجلة والقارىء :
إعدادو تقديم د. / محمد عبدالحكيم محمد ٢٥٤
• أنباء مكتب الإمام الأكبر :
إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ٢٥٩
• أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى بشير ٢٦٤
• كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى مؤتمر التحديات
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ٢٦٦
• القسم الفرنسى ٢٧٧
• القسم الإنجليزى ٢٩١

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل غفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الأزهر والثقافة الجنسية

طلب الأستاذ الزميل سمير عبد القادر كلمة فى هذا الموضوع ، وقد أجبته شاكراً له اهتمامه بنشرها كاملة فى الأخبار ، كما أهتم الأهرام المسائى بنشر مقدمتها فى ١٩ من المحرم ١٤١٦ هـ ، ونثبت الكلمة هنا - بمجلة الأزهر حجة لنا أو علينا ، راجياً توفيق المولى - عز وجل - إذ كان ثمة اتجاه إلى تدريس هذه الثقافة أن تكون فى هذا الإطار الإسلامى الذى يجده القارىء بين يديه ، والذى يمارسه الأزهرُ بين طلبته من البنين والبنات كل فى معهده .

إن هدف التعليم هو إيصال حقيقة علمية ، أو نظرية بواقعها إلى ذهن الطالب فى وضوح . وهدف التربية إحاطة المعلومة بسلوك خلقى رفيع يمارسه الطالب عن قناعة .

وقد استعاذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من علم لا ينفع » ونصح المسلمين بقوله : « **سلوا الله علمانافعا** »

فى هذا الإطار كان تدريس الجنس فى الأزهر ، وذلك بإعطاء كل شيء عن «حقيقته» فى إطار « أحكامه الشرعية » . سواء فى ذلك الطالب والطالبة . بداية من سن الأولى الإعدادية .

ونقدم هنا جانبا مختصرا للغاية عن بعض هذه الدراسة .

أولا : لكى يتعرف الطالب والطالبة .. بدقة على الوضوء ، ينبغى أن يعلما : ـ أولا ـ نواقض الوضوء عند الرجل والمرأة على سواء ، وبالتالى يتعرفان على كل ما يخرج من « السبيلين » لديهما مما ينقض الوضوء .. فيعرفان ألوان الماء الخارج من الرجل ، ومكان خروجه صراحة ، ويتعرفان على خصيصة هذا الماء من : بول ، ومَذى ، وودى ومنى ، ووقت خروج كل من هذه الثلاثة الأخيرة ، وسبب خروجه ، ثم كيفية الطهارة منه ، ومتى يكون خروج أى من الأربعة ناقضا للوضوء ، أو موجبا للغسل ، ومتى لا يوجب وضوءًا ولا غسلاً ..؟

وتقتضى دراسة خروج المنى معرفة أسبابه ، وما كان منها حلالا ، أو حراما ، أو مكروها ، وأحوال كُلّ .. وما يقتضيه خروج المنى شرعا من وجوب الغسل ! ويتعرفان .. كل من الطالب والطالبة على ألوان الخارج من قبل المرأة صراحة ماء أو دماءً : وأسبابها ، ومتى تمنع هذه الدماء مباشرة الرجل لزوجته ، ومتى لا تمنع مع وجودها ، ويعتبر الطالب الأزهرى ، ومثله الطالبة ، على علم دقيق بالتفريق بين دم الحيض والنفاس ، ودم الاستحاضة ، ودرجات هذه الدماء كثافة ورقة ، وماء المرأة الذى يعقب الحيض تماما ، وهذا الأخير لا تعلمه أكثر النساء ، ثم هما : الطالب والطالبة ـ أيضاً ـ على علم فى هذا المقام ـ بحال من ابتدأت الحيض ، ومن اعتادته ، وما ينبغى لكل منهما ـ حيال هذا الخارج منها .

ثانيا : وإذا درسا الغسل كان عليهما أن يدرسا موجباته الخمس ، وفى مقدمتها المباشرة الزوجية ، وكيف تتم ، فيدرس كل منهما أمرها ، وواجب المرأة حيالها ، وواجب الرجلَ أيضاً ، وآداب هذه المواصلة حتى لا يقع الرجل على زوجته كما تقع البهيمة على أنثاها .. الخ .

وبعد .. هذه لمحة سريعة لبعض ما يدرسه الطالب الأزهرى والطالبة فى معهديهما ، فيتثقفان ثقافة جنسية فى إطار الأحكام الشرعية لكل حالة من حالات كثيرة جداً تنير لهما سبل المعرفة مع دين صحيح سليم .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

في

ذكرى ميلاد الرسول

صلى الله عليه وسلم

كان فى آدم سـر وجـود الإنسانية

وكان فى محمـد سـر كمالهـا

بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

فى شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة كان استهلال وليد عربى فى مكة ؛ ليس ككل الولدان الذين تواثبت به أرحام الأمهات فى هذا البلد الآمن ولا فى غيره .

لقد طلع كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجِّر النهار المنير .

لقد ولد النبى فكان بولادته نور البصيرة ؛ ألا وهو الدين .

وما النهار إلا يقظة الحياة تدب سعياً إلى آمالها وابتغاء لأعمالها ، وما الدين ـ كذلك ـ إلا يقظة النفس ، وفطنة القلب تطلعاً إلى نوال الفضائل .

وهذه الشمس أودعها الله ـ سبحانه ـ طابعاً به تتحول المادة وتتغير ، وهذا النبى « الذى ولد » يرسله الله بالدين الذى به تترقى الأرواح وتتهذب وتسمو .

هذا النبى والنبوة إشراق إلهى على الإنسانية ، يتقوم به السلوك وتنهض به الأخلاق ، ويوجهها إلى الكمال فى ترابط ونظام لا يختل إذا ما استكانت إلى وحى الله واستشعرت خيره .

ومن هنا كانت مهمة النبى الأولى : إخلاص العقيدة ، وتطهير القلوب ، وتصفية النفوس مماران عليها من أدران دورات هذه الحياة .

لقد كانت ولادة النبى محمد ﷺ والعالم الإنسانى يكابد فى هيكله عوامل البلى .

وكانت الولاية على الدنيا فى ذلك الحين لأخلاط من الروم أوهنهم الترف والفسوق ، وأخلاف من الفرس هزمتهم الخيانة والطمع .

وكان بين هؤلاء وأولئك شعب أبى نبيل اعتصم بالصحراء فلم يتبع أياً منهما ، فنجا من ذلك الفساد الشامل ، ولم يعبث بضميره سلطان ، وما مس خلقه أحد من أولئك الطغاة ، وكأنما كانت جفوة الصحراء وشدتها منعة وسياجاً له من أن تفسد لغته أو يختلط نسبه .

وإنما كانت هذه الأمة العربية القابعة فى جزيرتها تتلاحق بالغزو المتواصل بين قبائلها ، فأودى هذا بالضعيف مبقياً على القوى صاحب السيف الصارم والفارس الشجاع ، فانبثق منها أمة وسطاً تحمل مع قوة الحيوية وكمال الرجولة وصفاء الحس ونباهة الذكر المثل الأعلى للإنسان .

تلك هى الأمة العربية التى انبعث منها هذا الوليد محمد ﷺ صاحب الذكرى ، وهى التى اختارها الله لقيادة الشعوب المغلوبة على أمرها واختصها الله بهذا الرسول ورسالته الأخيرة الخاتمة .

ولد الرسول محمد ﷺ وبعث بالرسالة والعرب أشتات دون رابط ، وأحياء من غير هدف ولا غرض ، حمل رسالة الله إلى هؤلاء لا يسانده سلطان ولا يناصره جيش ولا يغريهم أو يستميلهم بمال ، فقابلوه بالعناد وآذوا رسول الله ﷺ فى نفسه وأهله وصحبه ، فما وهن عزمه وإنما قابل الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم .

ذلك لأن ذات هذا الرسول محمد ﷺ تحمل فى مجموعها جماع ما حملت به الأنفس الإنسانية من كمال وجمال ، ولو اجتمعت فضائل أهل الحكمة والعلم جميعاً منذ كانت الحياة وجعلت فى إنسان واحد ما بلغت مثل نفسه ﷺ ، وكأنما هذه النفس الزكية بخلق الله قد تفردت حتى صارت هى النفس الإنسانية الكبرى ، ولا يعرف التاريخ غير محمد ﷺ رجلا كمله ربه وجمله ، وأدبه ، فإذا الإنسانية به تتحول وتنمو ، وكما قيل :

« كان فى آدم سر وجود الإنسانية وكان فى محمد سر كمالها » .

وكان دين هذا النبى ﷺ الإسلام : لأنه إسلام النفس إلى واجبها ، فهى إذا أسلمت كانت فى سلام مع الله ، وفى سلام مع ذاتها وفى سلام مع مجتمعها الإنسانى ، بل ومع العالم وما فيه من خلائق .

وكأن المسلم بهذا ينكر ذاته فيسلمها إلى الإنسانية ، تصرفها فى كمالها وعلوها ، فلاحظ للمسلم فى نفسه ولكن للإنسانية السهم الأحظ من حياته ، وذلك بعد الإيثار الذى امتدحه الله فى صحابة محمد ﷺ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر / ٩ .

فلينظر أتباع هذا النبى ـ اليوم ـ ماذا فى نفوسهم من هذا الدين « الإسلام » وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى أيديهم من تراثه ، فإن وجدوا أن هذا الإسلام قد أصبح رسماً فى نفوس الخاصة وأثراً شائهاً مضمحلا فى نفوس العامة ، وأن أخلاقهم قد افتقدت يوم أن تخلوا عن خصائصهم التى أقامهم عليها القرآن وأكدتها سنن صاحب الذكرى رسول الله ﷺ ، إن كان هذا فلا يلومون إلا أنفسهم .

ألا فلينظر أتباع هذا الوليد الرسول ﷺ لم غابت شمسهم وغامت سماؤهم وطال ليلهم ، مع أن الإشراق الإلهى على الإنسانية ، كان بولادة هذا النبى الذى اصطفاه الله من بينهم .

لقد ولد يتيماً لم ير أباه ، ولكن الله هو الذى أواه ورباه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ سورة الضحى

لقد سعى إلى اكتساب رزقه بالعمل المشروع فرعى الغنم ، وقد كان هذا تمهيداً لرعى الأمم ، واشتغل بالتجارة فخالط الناس وأقام الوزن بالقسط ، فكانت المثابرة والمصابرة فى إبلاغ الرسالة .

ألا فليذكر المسلمون كيف تفرقت بهم السبل ، وصاروا غثاء كغثاء السيل ؟ ، ذلك أنهم أخضعوا عقيدة الإسلام للحياة ، مع أن الأساس فى الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة ، فتصبح العقيدة أقوى من الحاجة ، وبهذا يكون الفقير المسلم متعففاً ، والغنى المسلم متصدقاً ، والبخيل الشره كريماً سمحاً .

رسالة هذا الوليد الذى تحتفى أمته بذكرى ولادته ؛ قادت السلف إلى القوة والعزة فى غير بطش ولا جبروت ولا ظلم ، وإنما نشروا العدل والعلم ، إذ اعتصموا بما جاءهم به من قرآن وسنة ؛ فكانوا فى الصلاة صفاً واحداً إلى قبلة واحدة يتلون آيات محددة من كتاب الله ، وكانوا فى الصوم على ميعاد واحد ، وهكذا جمعهم الإسلام فى كل عبادة وكل عمل للدين وللدنيا .

فما بال هذه الأمة قد انفرط عقدها وطال ليلها وتوزعتها الأهواء واجتاحتها المحن وهى مع هذا فى يأس وقنوط ، بأسهم بينهم شديد وقلوبهم شتى ، مع أن معهم كتاب الله : القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ الذى قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » ألا إن الأمر جلل والخطب عظيم ولا منجاة مما وقعت فيه الأمة إلا إذا صار أمرها إلى وحدة الكلمة والصف ، وإلى التخلى عن كل ما أدى إلى هذا التفكك والتشرذم والعودة إلى دين الله ، ففيه الدواء وبه الشفاء .

فلتفق شعوب الأمة من النوم ، ولتكف عن اللوم ، فإن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة ؛ ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ومن عاند الحياة ، فقتل فى نفسه الطموح ، وقعد حيث تركته النوائب ، توالت عليه مواكب المصائب ، وصار كالأثر فى المتحف يشير إلى ملك قد باد ، وشعب انقرض ، يتحسر على المجد المفقود ، ويتعلل بكواذب الأمانى .

ألا إن الرقاد قد طال، والعالم من حول أمة هذا الوليد صاحب الذكرى يتكامل ويتوحد ويتواصل ، وهذه الأمة تتلاعن وتتدابر تتذاكر الأخطاء وتؤصل الأحقاد ، ولا تتلاقى على كبح جماح الباغى وردع الظالم ، والأخذ بأسباب تجاوز المحنة .

هل لهذه الأمة أن تعتبر بالحوادث المعاصرة ، وتوقن أن يد الله مع الجماعة فتسعى إلى الوفاق متجردة من النفاق ، وتتعاون على البر والتقوى وتتباعد عن الإثم والعدوان .

وإلى هذه الأقلام التى باغتت الرأى العام المسلم ، ببغيها على كتاب الله : القرآن الكريم ، وعلى سنة رسول الله ﷺ بالإنكار والافتيات .

إلى تلك الأقلام التى حادَّت الله ورسوله فسطرت بهتاناً وكذباً ، وغاض الحياء من وجوه حملتها ، فأومأت إلى القرآن بغير اسمه ، وأضفت عليه ما لم يسمه به الله الذى أنزله ، وافترت على رسوله الكذب ؛ حين دعت إلى التخلى عما جاء به من رشد فى الدين والدنيا ، وعلا صوتها النكير بالإثم الكبير المحاط بالضجيج الشبيه بالطبل الأجوف ، وغفلوا عن أنهم سيلقون ربهم ، ويومئذ لا تسمع أصواتهم إلا همساً من فرط ما رأوا من صدق ما توعد الله به المكذبين بآياته المحادِّين لأوامره .

فهل لهؤلاء الذين مردوا على النفاق والشقاق وابتعاث الفتن من مرقدها تحت الكلمة البراقة (حرية التعبير) ؛ أن يكفوا عما أقدموا عليه واستغرقوا فى الإلحاح على عرضه على الناس وهم له كارهون ؛ بل وناقمون لتضييع الوقت والجهد فى صرفهم عن دين الله ، ولاجترائهم على ازدراء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتحريف الكلم من كلٍّ عن مواضعه . ومحاولة التضليل للناس وصرفهم عن عقيدتهم وكتاب ربهم : القرآن ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .
سورة النور : ١٥

ألم يأن لهؤلاء الذين اجترأوا على الخوض فى القرآن والسنة بغير علم أن يتوبوا ، وأن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يحترموا ــ على الأقل ــ الأمة التى يخاطبونها بما يأفكون ، ويرفعوا عنها هذه الأضرار التى يعدونها أمراً هيناً لأنها فكرهم وغفلوا عن أن هذا وزر عند الله عظيم .

وإذا كان الله قد صان القرآن عن ألا يمسه إلا متطهر فقال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛
سورة الواقعة : ٧٩
فكيف بهم يخوضون فيه ويتناولونه بغير علم ..

ألا إن هذه الذكرى ، ذكر مولد الرسول ﷺ وقد انبثق نورها أولى ، ثم أولى أن يستثمروها لإعلان كلمة حق يمحون بها ما صدر بغير حق .

ذلك أن حياة صاحب الذكرى محمد ﷺ قانون إلهى خالد ، وكتابه مازال بحول الله وقوته يُتلى ، وفيه صلاح الدين والدنيا ، وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله فى كتابه ، ونطيع الرسول ﷺ فى سنته وآدابه ، فهل مع هذا النبع الإلهى الصادق يظل المسلمون فى مراغة الخمول ويقنعون بالدون ، ويتخلون عن مكان الصدارة فى هذا الوجود ؛ بل إنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب (القرآن) ليحسبه الناس من الكتاب ، وما هو من الكتاب فى شيء ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .
سورة آل عمران : ٧٨

أما لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجاً ، ومن كلام رسولهم علاجاً ، ومن حياة وسيرة الأولين من رجالهم قوة ، وقدرة ، وتجربة ، وعتاداً ــ لو فعلوا هذا ــ لرفع الله عنهم هذا الإصر وأنعم عليهم بما لا يقع من النعم تحت الحصر ، ومن أصدق من الله قيلا :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ الأعراف : ٩٦

فى ذكرى ولادة الرسول ﷺ الذى جمع العرب من شتات ، وأيقظ بدينه العالم من سبات ، وأقام للسماء دينا فى الأرض ، وأسس لأهل الأرض حياة فى الآخرة فى السماء يراها الناس ويدخلها أهلها يوم الجزاء .

فى هذه الذكرى أدعو كل النفوس الذاكرة الشاكرة الحرة ؛ أن تخشع إجلالا لذكرى رسول الوحدة والتوحيد ، وأدعو زعماء العالم الإسلامى إلى : محاولة جادة لتوحيد الأمة من جديد ، وأن يتخذوا منهاج هذا الوليد سبيلا إلى هذا العمل المجيد ..

وأهنىء الأمة الإسلامية شعوباً ، وحكومات ، وملوكاً ، وأمراء ، ورؤساء ، بهذه الذكرى المشرفة .

وأسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يجمع القلوب ، ويؤيد المخلصين ويهدى الضالين ، وبالله التوفيق ومنه التأييد .

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران : ١٢٦

فتـــوى للإمـــام الأكـــبر

فى ثبوت إسلام المتوفى بإقراره قبل وفاته فى ورقـــة رســـمية وآثـــاره

بقلم فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب المواطنة / ف ـ أ ـ م وقد جاء به :

أنــــه بموجب عقـــد عرفى تزوجت بالسيد / ك .. ت بعد اعتناقه الإسلام والذى تسمى باسم / و .. عبدالله ، وقد تم الزواج على يد فضيلة العالم / م . أ المدرس بكلية أصول الدين ، وقد استوفى الزواج أركانه الشرعية ، ووقع والدى المرحوم / أ ـ م ـ ى على العقد بالموافقة وكشاهد ، وخلال الحياة الزوجية تبطأ الزوج فى إسباغ الرسمية على عقد الزواج ، الأمر الذى حدا بى إلى إقامة الدعوى رقم ... أحوال شخصية « كلى أجـــانب الجيزة » ، وقد أقر الزوج أمام هذه المحكمة بجلسة .. باعتناقه الإسلام وبالزواج . وقد رزقت منه على فراش الزوجيـــة بالطفـــل ه . و . عبدالله البالغ من العمر أحد عشر عاما .

وبتـــاريخ ... توفى إلى ـ رحمة الله ـ زوجى .. و . عبدالله وعندما تقدمت بطلب تعيينى وصيًا على القاصر طلبت النيابة تقديم شهادة من الأزهر الشريف بإسلام زوجى المرحوم رغم تقديم صورة طبق الأصل من حكم محكمة الجيزة الابتدائية دائرة الأحـــوال الشخصية .

لذلك

حرصا على القاصر والزواج الشرعى الذى تم بينى وبين المرحوم / و . عبدالله ، والذى كان يسمى قبل اعتناقه الإسلام ك .. ت ـ القبرصى الجنسية نلتمس من سيادتكم التكرم باعتماد حكم محكمة الجيزة الابتدائية بشأن إشهار إسلام المذكور ، ومرفق طيه المستندات الدالة على صحة ما ورد بهذا الطلب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمته لسيادتكم

ف . أ . م

وقدمت صورة مصورة من محضر جلسة القضية رقم ... لسنة ١٩٨١ محكمة الجيزة الابتدائية أجانب المرفوعة من ف . أ . م يونس ضد و .. عبدالله .

وقد جاء بهذا المحضر أن طرفى هذه الدعوى قد حضرا ، وقرر المدعى عليه أنه مسلم الديانة ، ونطق الشهادة أمام المحكمة قائلا : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» ، وتصادق الطرفان على الزوجية بينهما وأنها استوفت عاجل صداقها ؛ وقررا بترك الخصومة .

كما أرفقت بأوراقها صورة مصورة لحافظة مستنداتها وفيها أن من مستنداتها عقد الزواج العرفى المحرر بينهما فى ... على يد الشهود وبمعرفة المرحوم فضيلة الشيخ م . أ. الذى كان أستاذا بكلية أصول الدين .

(والجواب)

أنه لما كانت صاحبة الشأن هذه قد التمست فى ختام خطابها اعتماد ما جاء بالمحضر فى القضية المرقومة من إقرار زوجها المذكور أنه مسلم ، وكان الثابت بصورة ذلك المحضر أن الزوجين حضرا بالجلسة أمام المحكمة ، وقرر المدعى عليه أنه قد أسلم وأنه مسلم الديانة ، ونطق بالشهادتين ، وتصادق مع الزوجة ـ المدعية ـ على زواجهما ، والدخول بها ، والمعاشرة ، وأنها استوفت عاجل صداقها ، وكان هذا الإقرار من طرفى الدعوى فى محضر جلسة المحكمة ، وفى القضية المرقومة التى هما طرفاها صريح فى ثبوت زواجهما بعد اعتناقه الإسلام على ما تشير إليه بيانات حافظة أوراقها ، وأكد هذا بالنطق فى ذات الجلسة ـ على ما هو ثابت بصورة المحضر المرافق ـ بالشهادتين ، وهما كلمة الإسلام التى يدخل بها غير المسلم دين الإسلام ، ويعتبر بها فى عداد المسلمين ، ما لم يصدر منه ـ حال حياته ـ ما يعتبر به مرتدا عن اعتناق الإسلام دينا .

ولما كان محضر جلسة المحكمة من الأوراق الرسمية وفقا للمادة العاشرة من قانون الإثبات فى المواد المدنية والتجارية رقم ... لسنة ١٩٦٨ التى جرى نصها بأن :

المحررات الرسمية هى التى يثبت فيها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة ما تم على يديه ، أو ما تلقاه من ذوى الشأن ، وذلك طبقا للأوضاع القانونية ، وفى حدود سلطته واختصاصه .

وأضافت المادة الحادية عشرة من ذات القانون أن :

المحررات الرسمية حجة على الناس كافة بما دون فيها من أمور قام بها محررها فى حدود مهمته ، أو وقعت من ذوى الشأن فى حضوره ما لم يتبين تزويرها بالطرق المقررة قانونا .

ونصت المادة الثانية عشر من هذا القانون على أنه :

إذا كان أصل المحرر الرسمى موجودا ، فإن صورته الرسمية خطية كانت أو (فوتوغرافية) تكون حجة بالقدر الذى تكون فيه مطابقة للأصل .

وتعتبر الصورة مطابقة للأصل ما لم ينازع فى ذلك أحد الطرفين وفى هذه الحالة تراجع الصورة على الأصل .

وإذ كان هذا : وكانت صورة محضر القضية رقم .. لسنة ١٩٨١ كلى أجانب فى ... قد حوت إقرار طرفيها أمام المحكمة بزواجهما ، وبالدخول وبالمعاشرة ، وبقبض معجل الصداق ، وبأن الزوج مسلم ، وأنه نطق بكلمة الإسلام ــ أى الشهادتين ــ أمام المحكة .

وكان محضر جلسة القضية ورقة رسمية وحجة فيما دون به على هذا الوجه كان حجة ــ كذلك ــ فى إثبات إسلام الزوج المرحوم / و .. عبدالله الذى كان يسمى قبل اعتناقه الإسلام ــ ك .. ت ــ قبرصى الجنسية ــ وتجرى عليه من بعد وفاته أحكام الإسلام .

وهذا إذا كان الحال كما ورد فى هذه الأوراق .. والله سبحانه وتعالى أعلم ..

بيان

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بشأن صيانة المقدسات الإسلامية من العبث

لقد جاء الإسلام محرراً للإنسان من كل لون من ألوان العبودية إلا لله وحده . ودعا الناس إلى التفكير واستخدام عقولهم من أجل خير البشرية وعمارة الكون مادياً ومعنوياً ، وجعل القرآن الكريم الكون كله مجالًا للتفكير البشرى ، كما جاء فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

وعاب القرآن على هؤلاء الذين يعطلون قواهم العقلية والحسية عن أداء وظيفتها حين قال :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وهكذا فتح الإسلام الباب على مصراعيه أمام الإنسان لاستخدام كل قدراته الإدراكية من أجل خير الإنسان وبناء الحضارة الإنسانية . فلا حجر على عقل ، ولا مصادرة لفكر يبغى خير الإنسان ، أنى كان وأينما كان .

وقد كفلت الشريعة الإسلامية صيانة عقل الإنسان من محاولة الاعتداء عليه أو إفساده أو الانحراف به بأى شكل من الأشكال ، وجعلت من ذلك أحد المقاصد الشريفة للشريعة الإسلامية التى تشمل : حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل .

ومن المعلوم أن لكل أمة مقدسات تعتز بها ، وعقائد تسرى فى كيانها ، وقيماً تلتف حولها . والعقل السليم والمنطق الرشيد يجعل هذه المقدسات والعقائد والقيم فى أرق منزلة ؛ وبخاصة إذا كانت هذه المقدسات نصوصاً موحى بها من عند الله لفظاً ومعنى ؛ كالقرآن الكريم ، أو بالمعنى فقط دون اللفظ كما فى السنة النبوية الصحيحة .

وإذا كانت مساحة حرية التفكير والتعبير التى كفلها الإسلام ، تشمل الكون كله فإن دائرة المقدسات الدينية ينبغى أن تصان من كل عبث ، وتنأى عن كل تجريح ، فالمقدسات الدينية تمثل شرف الأمة وعرضها ودينها وعقيدتها . وينبغى احترام شعور جموع الناس الذين يعتزون بها ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال التجرؤ عليها أو العبث بها بأى شكل من الأشكال . وإلا أصبحت حرية الفكر والتعبير لوناً من ألوان الفوضى ، وسبيلًا للهدم لا للبناء ، وللتدمير لا للتعمير .

إن الاجتهاد فى أمور الدين حق مكفول لكل عالم مسلم متى توافرت له شروط الاجتهاد ؛ ولكن هذا الاجتهاد – كما هو معروف – مقصور على دائرة الفروع . وحرية البحث العلمى لا تعنى بأى حال من الأحوال التجرؤ على الأصول الدينية فى محاولة لتغييرها ، أو تبديلها أو إلغاء العمل بها . فهذا من شأنه – ليس فقط – الاعتداء على مقدسات الأمة ، بل يعد محاولة لطمس هوية الأمة وتذويب كيانها وإلغاء شخصيتها لمصلحة تيارات فكرية معينة أو أيديولوجيات غربية .

والأزهر – الذى ظل يسهر على حماية مقدسات الأمة طوال أكثر من ألف عام – يناشد المفكرين والعلماء والأدباء ؛ وكل صاحب قلم أن يتقوا الله فى دينهم وأمتهم وأن يكونوا لها – لا عليها – حراساً أمناء فى الحفاظ على مقدسات أمتهم ، وحمايتها من محاولات تذويب معالمها ، وطمس هويتها ، وضياع شخصيتها فالمتربصون بالأمة الإسلامية كثيرون وجراح الأمة كثيرة ، والفترة التى تمر بها اليوم فترة عصيبة ، تعد من أحرج الفترات التى مرت بها فى تاريخها . ومن هنا فهى فى أشد الحاجة إلى كل جهد يبذل فى سبيل الخروج بها من محنتها ، والأخذ بيدها إلى بر الأمان . والأمل معقود على أبنائها العقلاء فى حمايتها من عبث العابثين وتضليل المضللين ، والله يقول الحق ويهدى السبيل .

مجـــلة في جنـــوب افريقيـــا

إعداد الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

الأزهر

SHUKRUL MUBEEN:
LANSDOWNE: CAPE TOWN
Tel: 762-1237, 737-380, 761-2350, 732-485
P.O. Box 24549 Lansdown

READERS ARE REQUESTED TO OBSERVE THE FOLLOWING VERY CAREFULLY:

1. This magazine contains the Qur'anic verses and prophetic sayings of our beloved Muhammad S.A.W. Do not put in places not worthy of the Holy Qur'aan.
2. Do not go into the toilet with this magazine or use it as waste paper.
3. Most articles will be in serial format and it will be easy to refer back to articles. To facilitate this, articles may be filed

دأب الأزهر على إرسال مبعوثيه فى شهر رمضان المبارك إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى ؛ مشاركة منه فى إحياء ليالى الشهر الفضيل بالذكر وتلاوة القرآن الكريم ، استجابةً إلى ما يهدى إليه هذا الشهر من رحمة ومغفرة ، ولما يدخل على قلوب المسلمين من البهجة والسرور ، تبوءا لمكانةٍ هو أهل لها .

ولقد وفق الله ــ تعالى ــ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ؛ فأوفد فى شهر رمضان عام ١٤١٤ هـ مبعوثين إلى جنوب إفريقيا للوعظ والإرشاد ؛ فبدأت أنوار الهدى تشع فى أقصى الجنوب من « كيب تاون » .

ولعله يحسن بنا أن نبدأ الحديث بشىء عن جمهورية جنوب إفريقيا ، نتبعه بحديث عن النشاط الإسلامى فى هذه البقعة الفريدة :

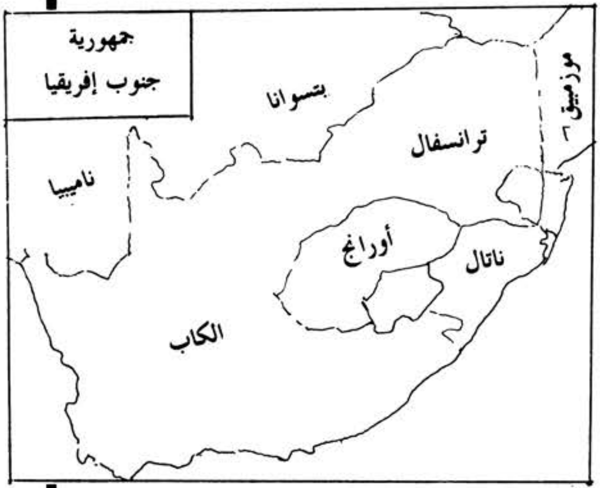

الموقع الجغرافى لجمهورية جنوب إفريقيا :

تقع جمهورية جنوب إفريقيا فى أقصى جنوب القارة يحدها من الشمال (بتسوانا) ومن الشمال الشرقى (موزمبيق) ومن الشمال الغربى (ناميبيا) ، ويحيط بها المحيط الهندى من الجنوب الشرقى حتى الجنوب الغربى .

المساحة :

تبلغ مساحة البلاد حوالى ١,٢٢١,٠٠٠كم^2 ، وتعداد السكان : ٢٨,٥٣٣,٠٠٠ نسمة (حسب تعداد ١٩٨٠)[١] ، فإذا اعتبرنا قاعدة الزيادة السكانية فإن العدد سيفوق الـ(٣٤) مليون نسمة .

لمحة تاريخية عن جنوب إفريقيا :

يعتبر قيام (دولة الزولو) بزعامة (شاكا Shaka) أكثر الحوادث أهمية فى تاريخ جنوب أفريقيا فى القرن التاسع عشر ؛ فقد كانت قبائل « الزولو » و « الناتال » تنتظمها مجتمعات صغيرة حيث كانت هذه المجتمعات لا تزيد عن كونها عشيرة وكان كثير منها لا يقوى على الدفاع عن نفسه ضد جيرانه الأقوياء ، إلا أنه كان هناك أكثر من مائة وحدة سياسية واجتماعية مستقلة برغم ضعفها العسكرى وكان يحكم كلا منها زعيم يساعده نائب له ، ومستشارون، ولعل وفرة الأرض هى التى ساعدت على ذلك .

وفى حوالى القرن التاسع عشر زاد عدد السكان فى بلاد (الزولو ، والناتال) مما أدى إلى حدوث نزاعات بقصد الاستحواذ على الأرض اللازمة للتوسع ، مما أدى إلى غياب الأمن وشيوع الحروب ، وأدى ذلك بالتالى إلى ضرورة وجود مؤسسات سياسية وعسكرية أفضل ، وكانت الوحدة السياسية الرئيسية بين هذه الوحدات هى « المثيثوا » (Methethwa) أو « الأباتتوا » (Abatetwa) التى كان على رأسها « دنجسوايو » (Dingeswayo) تتأتى بعدها « الندواندوى » (Ndwandwe) وعلى رأسها « زويدى » (Zwide) و « النجوين » (Ngwane) برئاسة سوبهوزا (Sobhuza) .

كل هذه الوحدات السياسية ظهرت تدعّم وجودها بالوسائل العسكرية ، واستطاع

(١) ا.د. محمد عبدالغنى سعودى : إفريقية دراسة فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم ص ٤٤٤ مكتبة الأنجلو .

« شاكا » ـ أخيراً ـ إعادة تنظيم كل رئاسات الزولو لتصبح إمبراطورية موحدة قوية[٢] .

فى سنة ١٧٩٥م هاجمت القوات البريطانية مستعمرة الكيب ، غير أن الاستعمار البريطانى للكيب لم يستمر لأبعد من عام ١٨٠٢م . ثم استولت بريطانيا على الكيب مرة أخرى سنة ١٨٠٦ هـ .

الوحدات السياسية[٣] :

فى سنة ١٨٥٧ كان فى جنوب إفريقيا ثمان وحدات سياسية يحكمها الأوروبيون ، ومن بين هذه الوحدات خمس جمهوريات (للبوير) وهى : دولة الأورانج الحرة ، وجمهورية جنوب أفريقيا ، وليـدنبرج Lydenburg ، وزتبـانسبرج Zoutpansberg ، وأوترخت Utrecht ، أما بقية الوحدات السياسية فكانت مستعمرات بريطانية ، كمستعمرة : الكيب ، والناتال ، وكفراريا البريطانية British of Kaffraria وهى ولاية الأميرة أديلادى السابقة Province of Queen Adelaide .

فى عام ١٨٥٨ تم اتحاد جمهوريتى : ليدنبرج وأوتــرخت وقبــلت زوتبـانسبرج (Zoutpansberg) دستــور جمهورية جنوب افريقيا (الترنسفال) وأعقب هذا اتحاد الجمهوريات الصغيرة مع جمهورية جنوب إفريقيا سنة ١٨٦٠ .

وفى مايو ١٩١٠ أصبحت جنوب افريقيا كياناً واحداً تحت حكومة مركزية واحدة لها برلمان واحد وعلم واحد .

السكان : يشكل الأفريقيون الأصليون أو زنوج « البانتو » أغلبية السكان ، وهم ينتمون إلى الشعبة الجنوبية للبانتو ، ثم العناصر البيضاء ، وغالبيتهم من الهولنديين والأفريكانــرز ، ثم الملونون : وهم العناصر التى نتجت عن اختلاط الأوروبيين بنساء الهوتنتوت ، ثم الآسيويون وأغلبهم من الهند .

انظر الجدول التالى للمقارنة بين نسب كل مجموعة وتطورها بين عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠[٤] .

نشاط السكان : ويتناول :

١ ـ **الزراعة** حيث تجود بالبلاد زراعة قصب السكر والذرة العريضة والقمح والشوفان والبطاطس والكروم والزيتون والقطن .

٢ ـ **الرعى** : حيث يصلح بالبلاد أكثر من إقليم لرعى الأغنام والماشية مثل : إقليم المرتفعات الشرقية ، والسهل الساحلى الجنوبى وإقليم (الكارو) الذى كان يشتهر بتربية النعام .

السنة	البيض	الملونون	الآسيويون	البانتو	المجموع
١٩٦٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٥٤٦,٠٠٠	١٦٦,٠٠٠	٤,٧٠٠,٠٠٠	٦,٩٠٠,٠٠٠
١٩٦١	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٤٧٧,٠٠٠	١١,٩٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠,٠٠٠
١٩٧٠	٣,٧٥٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	٦١٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٥٠٠,٠٠٠

(٢) ا.د. جديون. س. وير : تاريخ جنوب افريقيا ترجمة د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ ص ١٠١ ، ص ١٠٣ (بتصرف) دار المريخ ـ الرياض ١٩٨٦ م .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ا.د. محمد عبدالغنى سعودى : مرجع سابق .

٣ ـ التعدين : حبا الله ـ جل شأنه ـ هذه البلاد بالعديد من المعان التى فى مقدمتها : الذهب والماس ثم القصدير والكروم والحديد والنحاس والمنجنيز . بالاضافة إلى كميات كبيرة من الفحم مما جعلها أغنى دول القارة ، ففى حين نجد أن متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى أفريقيا ١٦٠ دولار فى العام ، نجده فى جمهورية جنوب أفريقيا يبلغ ٧١٧ دولار(٥) .

٤ ـ الصناعة : تتمتع الجمهورية بنهضة صناعية كبرى فيها صناعة الحديد والصلب والمنسوجات ويكفى أن نقول إنها نقدم ٤٠ ٪ من الإنتاج الصناعى لإفريقيا .

الأزهر فى جنوب أفريقيا :

ويشاء الله ـ عز وجل ـ أن يطأ أرض هذا البلد الذى حباه الله بهذا الخير شيخان أزهريان ؛ للوعظ والإرشاد والتعليم بين صفوف المسلمين ، وهناك زارا عدداً من المساجد والمستشفيات فى (Cape Town) « كيب تاون » ، وقد أوضح أحدهما وهو د. على فرج(*) ـ بتوفيق من الله ـ لفضيلة الإمام الأكبر رغبة المسلمين هناك فى أن يكون لأبنائهم معهد أزهرى لتدريس الدين واللغة العربية . وبعد لقاء تم بين فضيلة الإمام وبين المسلمين من جنوب أفريقيا شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يتم إنشاء (معهد كيب تاون الأزهرى) فى السابع عشر من يناير ١٩٩٥م ،

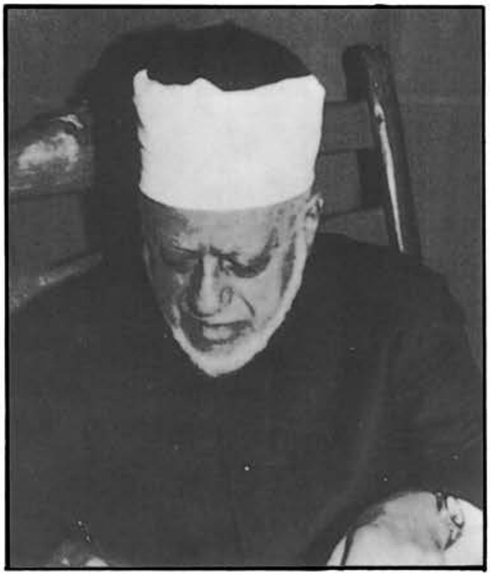

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

الذى ضم فى البداية سبعين طالبا وطالبة ، ازدادوا إلى مائة وستة عشر طالبا وطالبة .

مع ميلاد هذا المعهد الأزهرى ولدت ـ أيضاً ـ مجلة الأزهر ـ فى (كيب تاون) تحمل نفس الاسم الذى تحمله هذه المجلة ، ويعد هذا المقال احتفاء بميلادها . وقد وددنا أن يطلع قراء « مجلة الأزهر » الأم على هذه المجلة التى تخطو خطواتها الوليدة فى عددها الأول .

صدرت مجلة « الأزهر » فى كيب تاون تحمل نفس صورة غلاف « مجلة الأزهر » التى تصدر بالقاهرة ؛ لتؤكد هذه الصلة الطيبة ، وبها مقالات

(*) الدكتور على محمد حسن فرج من مواليد عام ١٩٥٧ حصل على الثانوية الأزهرية محتلا المركز الأول على مستوى الجمهورية وتخرج فى كلية طب الأزهر سنة ١٩٨١ بتقدير جيد جدا وحصل على الماجستير سنة ١٩٨٧ والدكتوراه سنة ١٩٩٣ ، كما حصل على ليسانس الدعوة مما أهله للحصول على الماجستير من كلية أصول الدين .

(٥) المرجع السابق ص ٣٨٢ .

فضيلة الإمام الأكبر يوقع عقد إنشاء المعهد الأزهرى ـ فرع ـ كيب تاون من اليسار إلى اليمين : الشيخ شديد عيسوى ، والشيخ جاميت جابر من الـ (إم. جى. سى) وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ثم الدكتور علي فرج مسئول المعهد الأزهرى بكيب تاون .

Sheikh Al-Azhar Gadul Haq Aly Gadul Haq signing the contract of Al-Azhar branch Cape Town. From left to right: Sheikh Shaheed Esau, Sheikh Gamiet Gabier (M.J.C.), Sheikh Fawzy Fadel (General Secretary - Al-Azhar), Dr Ali Farag (Principal of Al-Azhar Institute Cape Town)

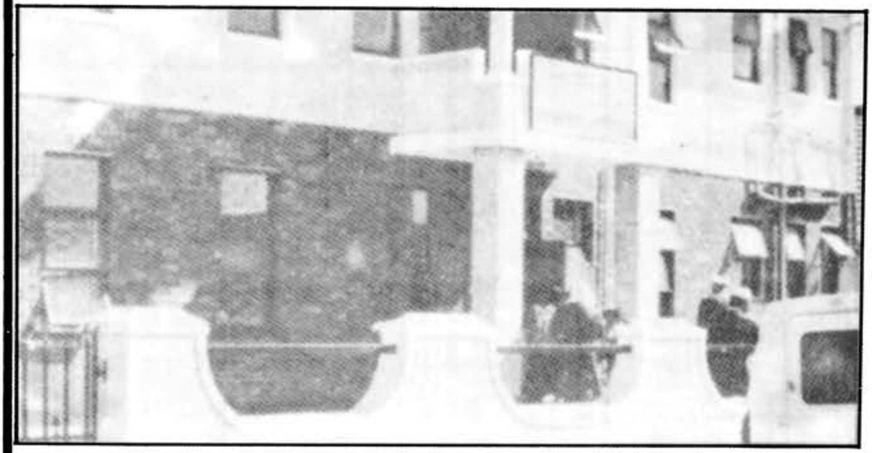

المعهد الأزهـرى فى لانس دون ـ كيب تاون .

The Al-Azhar Institute, Lansdowne, Cape Town.

عدة ، فتحمل افتتاحية العدد عنوان The Illustrious Azhar « الأزهر الشريف » ، متناولة تاريخ إنشائه ، وسبب تسميته (الجامع الأزهر) ونسبة التسمية إلى السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله تعالى عنها ـ ابنة رسول الله محمد ﷺ ، ثم حديثا عن نظام الدراسة فى الأزهر قديماً ، وحلقات التعليم ، وعنه حديثاً وما يضمه من كليات مختلفة تخصصت فى العلوم الشرعية والعربية ، وأخرى لتدريس علوم الطب والزراعة والهندسة واللغات .. الخ .

وإن هذه الكليات تمنح الدرجات العلمية المختلفة : البكالوريوس والماجستير والدكتوراه .

ثم عرج المقال إلى المعاهد الأزهرية التى تنتشر فى قرى مصر والتى بلغ عددها ٥,٧٠٠ معهد

منـاقشة مشروع كيب تاون الأزهـــرى بالقاهرة .

Discussing Al-Azhar Cape Town Project in Cairo.

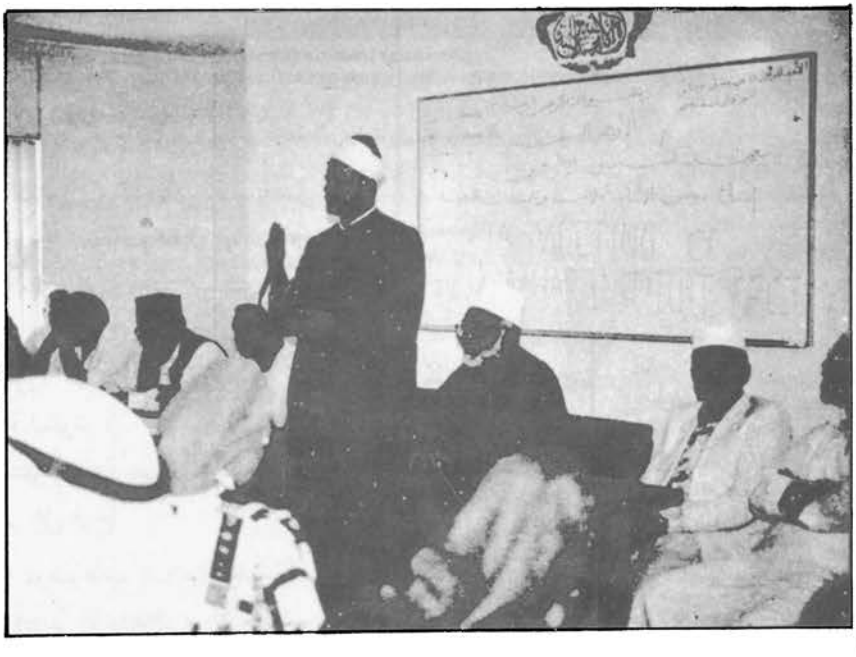

د / على فرج يلقى كلمته فى اجتمـــاع الآباء والمدرسين .

Dr Ali Farag (Egyptian) addressing the Parent - Teacher Meeting at M.J.C. offices.

يدرس فيها الطلاب العلوم الشرعية والعربية . وأوضح المقال أن الأزهر يخصص معاهـد للفتيات . كما يخصص معاهد للوافدين من الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وتناول المقال التعريف بمجمع البحوث الإسلامية والإدارات التابعة له .

ثم تناول المقال الثانى فى الحديث عن معهد « كيب تاون الأزهرى » الحاجة الداعية إليه

(Knowledge from early age).
Dr Ali Farag conducting an Arabic lesson to the first group of Al-Azhar pupils.

د/ على فرج يشرح درساً فى اللغة العربية لأول مجموعة من تلاميذ الأزهر .

والظروف التى أدت إلى مولد هذا المعهد بفضل الله وحده ـ عز وجل ـ واختتم المقال بحديث عن الطموحات والآمال المقبلة حتى يتمكن فرع الأزهر فى (كيب تاون) من خدمة أبناء المسلمين فى البلاد المجاورة مثل : « زيمبابوى » ، و « زامبيا » و « ليسوتو » .

وقد أشاد المسئولون عن إصدار المجلة بالجهد الواضح للدكتور على فرج .

حفلت المجلة بموضوعات إسلامية عدة كان منها كلمة عن آداب الاستئذان ص٣ ، بقلم السيدة ميمونة سولومون . خريجة كلية الشريعة ، جامعة الأزهر ـ بالقاهرة ـ تناولت فيها قول الله ـ تعالى ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧ ﴾ بالشرح مستشهدة بحديث نبوى شريف عن

By
SHEIKAH MAIMONA SOLOMON (Hon B.A.)

الشيخة ميمونة سولومون .

الاستئذان وأتبعته بتعريف عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ راوى الحديث .

ثم مقال عيد الأضحى المبارك وأحكام الأضحية ص ٣ .

وأشاد الشيخ إمام حسن موسى ص (٤) بالإنجاز لهذا المعهد الذى يعد النواة التى تنطلق منه

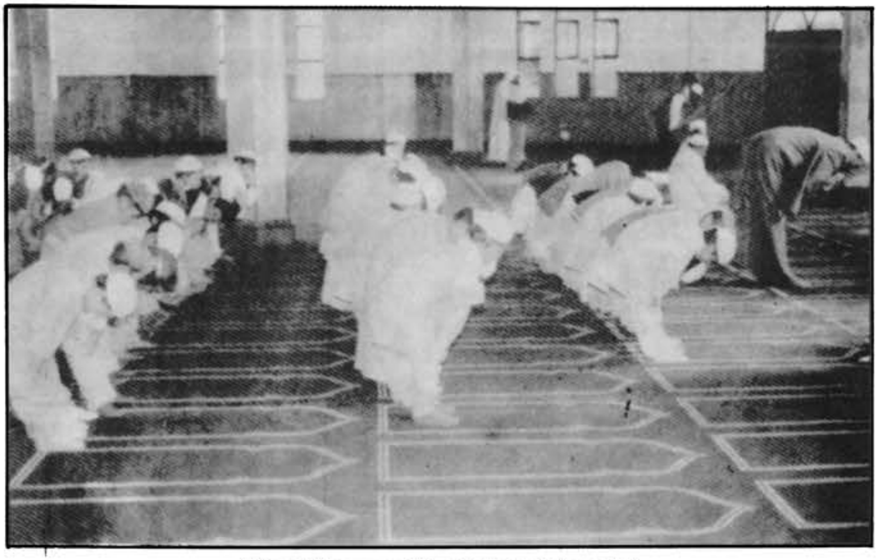

(The children practising the Islamic Aqeedah)
Al-Azhar pupils making Thoer salaah led by principal Dr Ali Farag in Shukrul Mubeen Masjid.

د / على فرج يؤم التلاميذ فى مسجد « شكر المبين »

الدعوة الإسلامية بإذن الله ـ تعالى ـ فى هذا القطر .

كذلك حوى العدد مقالًا بعنوان « مصر بلد الأزهر الشريف » تناول فيه كاتبه تعريفاً بموقع مصر الجغرافى وعدد سكانها والأماكن الأثرية بها عبر عصورها المختلفة ، وأشاد بذكر مصر الوارد أكثر من مرة فى القرآن الكريم ، والأنبياء الذين كان لهم وجود فى مصر ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

ومقال عن «أهمية المعرفة فى حياة المسلم» ساق عدداً من الآيات استشهاداً على رفعة أولى العلم ، وحث المسلمين على طلب العلم .

ويعتبر مقال « المعجزات العلمية فى القرآن » ص ٥ من أمتع المقالات التى تناول فيها الكاتب ـ بشىء من التفصيل ـ شرح مكونات (الخلية الجنسية) لكل من الذكر والأنثى وما تحمل من (كروموسومات) .

ويحيل القارىء إلى قول الله ـ عز وجل ـ

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ القيامة

ثم نطالع مقالًا : عن تاريخ « القرآن الكريم » تكلم عن جمع القرآن وفضله ، وأنه معجزة الله الخالدة التى لم تتبدل ولم تتغير .

أما درس تعليم اللغة العربية .

فقد اقتصر على التعرف على الأبجدية العربية .

وفى صفحة ٧ حوت المجلة . ترجمة عن الفصل الأول من كتاب للدكتور مصطفى محمود .

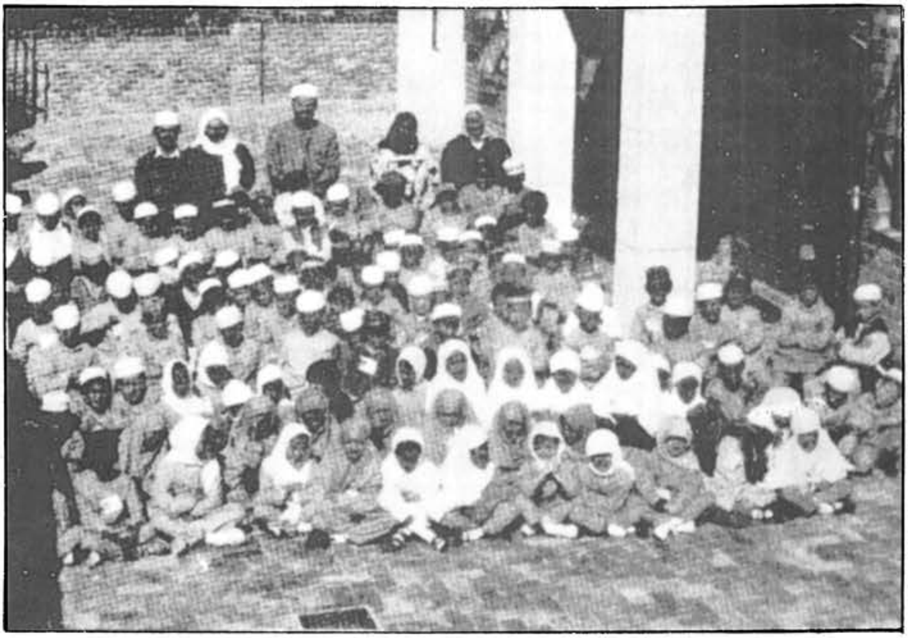

Historical photo of the first pupils, principal and teachers of Al-Azhar Cape Town
(one of the International Islamic activities of Sheikh Al-Azhar)

صورة تذكارية للمجموعة الأولى من الطلاب مع المدرسين والدكتور على فرج بمعهد كيب تاون الأزهرى (أحد النشاطات العالمية لفضيلة الإمام الأكبر) .

وتختتم المجلة موضوعاتها على غلافها الأخير بحديث عن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق . وبعض الفتاوى التى يجيب عنها فضيلته .

ومن أجمل ما اهتمت به المجلة فى صدر صفحتها الأولى تنبيه رقيق للقراء يلفت أنظارهم إلى محتويات المجلة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مما يجب معه عدم الدخول بها إلى أماكن الخلاء والحمامات .. أو استخدامها كورق مهمل.. وإرشادهم إلى المقالات التى تتتابع أجزاؤها ويمكن وضعها فى النهاية من كل عام مثلا ــ فى ملف ليسهل الرجوع إليها .

وبعد :

فتلك بداية نسأل الله ــ سبحانه ــ أن يؤيدها قوة ودواما لتؤتى ثمارها الطيبة ــ بإذن الله تعالى .

مع سورة « يس »

للأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى محمد خميس

زمن نزولها ومكانه

نزلت بمكة قبل الهجرة ، قيل : إلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فمدنية ، نزلت فى (بنى سلمة) . كانت بيوتهم بعيدة عن مسجد الرسول ﷺ فأرادوا أن ينتقلوا قريباً منه ؛ فمنعهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ذلك وقال : « إن أثاركم تكتب » ونزلت الآية .

والصحيح أن هذه الآية مكية وحادثة بنى سلمة لا تدل على مدنيتها ، ولكن استشهد بها النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على عظيم ثواب كثرة الخُطَا إلى المساجد .

سورة « يس » هى : الحادية والأربعون فى ترتيب النزول ، نزلت بعد « قل أوحى » ، وقبل سورة « الفرقان » ، وهى ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة ، وثلاثة آلاف حرف .

مناسبتها لما قبلها :

لصلة هذه السورة بما قبلها مناسبات كثيرة تظهر للمتأمل أذكر منها :

أولا : جاء فى سورة « فاطر » قوله ـ تعالى ـ : « وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ » ٣٧ وقوله ـ تعالى ـ : « وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ » ٤٣ .

وفى سورة « يس » بيان ذلك النذير ـ وهو محمد ﷺ ، وبيان إعراضهم عنه وتكذيبهم له ، وقد افتتحت السورة بالقسم على صحة رسالته ، وأنه على صراط مستقيم ، وأنه أرسل لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم .

ثانياً : كلتا السورتين ذكرت بعض أدلة القدرة الإلهية الكونية ، وإن اختلفتا فى عرضها بما يناسب السياق .

أسماء السورة :

مما ينبغى التنبيه إليه أن أسماء السور توقيفية بَلَّغَها جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ للنبى ﷺ ، وأن السورة تسمى بأغرب شىء فيها ، والاسم الذى اشتهرت به هذه السورة « يس » ، وسيق لها أسماء أُخَر بأدلة واهية ، إن لم تكن موضوعة ، منها (المعمة) ، و (الدافعة) و (القاضية) . وكلها لا تثبت .

فضل سورة « يس » :

لهذه السورة وقع متميز فى نفوس المسلمين ورث الخلف عن السلف . فكثير منهم يقرؤها فى الصباح والمساء ، وتقرأ على المريض للشفاء وعلى المحتضر لتيسير خروج الروح ، والقائلون بهذا يستدلون على زعمهم بأحاديث لم ترق إلى درجة الصحة ، ولكن كثرتها تجعلها من قبيل الحسن ، وإليك بعض هذه الأحاديث :

روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل شىء قلباً وقلب القرآن « يس » ».

وعنه أيضاً عن النبى ﷺ « من قرأ « يس » فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة » وإسناده فى صحيح ابن حبان هكذا .

وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : «يس» قلب القرآن ، لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها على موتاكم .. » أى عند الاحتضار .

وعن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ فى سورة « يس » « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى »..

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من داوم على قراءة « يس » كل ليلة ثم مات مات شهيداً » .

وعن ابن عباس قال : من قرأ « يس » ـ حين يصبح ـ أعطى يسر يومه حتى يمسى ، ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح .

وأرى أنه لا مانع من الأخذ بهذه الأحاديث ؛ لأن المسلم إذا قرأ القرآن كان ذلك أرجى أن يستجاب له .

الموضوع الرئيسى لسورة « يس » :

موضوع هذه السورة كغيرها من السور المكية ، وهو : بناء العقيدة بعناصرها الثلاث : وحدانية الله ، وإثبات رسالة الرسل ، وحقيقة اليوم الآخر .

وقضايا العقيدة ـ وإن تكررت فى السور المكية كلها ـ إلا أنها تُعَرض فى كل سورة من زاوية معينة تحت ضوء معيَن مصحوبة بمؤثرات تناسب جوها وتتناسق مع إيقاعها وصورها .

« وللفيروز بادى » كلام جيد فيما احتوته السورة من موضوعات يحسن ذكره هنا ، قال ـ رحمه الله ـ :

معظم مقصود سورة « يس » تأكيد أمر القرآن والرسالة وإلزام الحجة على أهل الضلالة . وضرب المثل بأهل (قرية أنطاكية) فى قوله ـ تعالى : « وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ » ، وذكر قصة (حبيب النجار) الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ، وبيان البراهين المختلفة فى إحياء الأرض الميتة ، وإبداء الليل والنهار ، وسير الكواكب ودوران الأفلاك ،

وجرى الجوارى المنشآت فى البحار ، وذلة الكفار عند الموت ، وحيرتهم ساعة البعث وسعادة المؤمنين المطيعين ، وشغلهم فى الجنة ، وتمييز المؤمن من الكافر فى القيامة ، وشهادة الجوارح على أهل المعاصى بمعاصيهم ، والمنة على الرسول ﷺ بصيانته من الشعر ونظمه ، وإقامة البرهان على البعث ، ونفاذ أمر الحق فى (كن فيكون) ، وكمال ملك ذى الجلال على كل حال فى قوله ـ سبحانه : « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

بصائر ذوى التمييز جـ١/٣١٠ بتصرف .

التفسير :

يقول الله ـ تعالى ـ : « **يس . والقرآن الحكيم** » .

أقوال العلماء فى المراد من الأحرف المقطعة فى أوائل بعض سور القرآن الكريم . السور التى بدئت بالأحرف المقطعة هى :

البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن . وكلها مكية إلا سورتى : البقرة ، وآل عمران فمدنيتان ، وقد اختلف المفسرون فى المراد من هذه الأحرف اختلافاً كبيراً ، وقد ألفت فى هذا الشأن كتب مستقلة ، وهذه الأقوال على كثرتها ترجع إلى أمرين هما : هل هذة الأحرف من المتشابه أو من المحكم ؟

يرى سلف هذه الأمة أنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه ، ولم يُطلِع عليه أحداً من خلقه ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلا ، وينسب هذا القول إلى الخلفاء الأربعة .

وقال عامر الشعبى وسفيان الثورى وجماعة من المحدثين هى : سر الله فى القرآن . ولله فى كل كتاب من كتبه سر . فهى من المتشابه الذى انفرد الله ـ تعالى ـ بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها . ويستفاد من هذا أن محروفاً من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم اختباراً من الله ـ عز وجل ـ وامتحاناً ؛ فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم وبعد .

وقال الخلف : إن هذه الأحرف من المحكم الذى يمكن الوصول إلى علم معناها .

وقد اختلفوا فى ذلك على أقوال عديدة نقدم منها الخلاصة فى قول : أكثر العلماء وعلى رأسهم « الزمخشرى » فى « كشافه » يرون أن هذه الأحرف تنبيه إلى التحدى والإعجاز وإثبات أن هذا القرآن من عند الله ـ تعالى ـ لا من عند محمد ﷺ .

قال « قطرب » و« الفراء » ، وغيرهما هى : إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هى التى فيها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم .

وقال « قطرب » : كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما سمعوا «الم» و «المص» استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن

المؤتلف ليثبته فى أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم .

القرطبى جـ١ ص١٧٣ .

وهذا القول أجدر بالقبول ؛ لأنه ما من سورة بدئت بهذه الأحرف إلا ويأتى بعدها الحديث عن القرآن ، ومن الأقوال التى ذكرت فى المراد من هذه الأحرف أنها : أسماء للسور .

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هى أسماء للسور المبتدأة بها .

وقال مجاهد : إن هذه الأحرف فواتح افتتح الله بها القرآن ، وهذا القول مردود ؛ لأن من شأن العلم أن يعين مسماه وهو غير حاصل ، لأن ذكر هذه الأحرف لا يعين مسمى السورة .

وجاء عن ابن عباس فى معنى : «الم» أنا ؛ الله أعلم ، وهذا مردود ـ أيضاً ـ لأنه يؤدى إلى أن فى القرآن ألغازاً وأحاجى ، وليس من أهداف نزول القرآن أن يكون كذلك بل هو قرآن بين .

قال ـ تعالى ـ : « **حم . والكتاب المبين** » وقال ـ تعالى ـ : « **ولقد يسرنا القرآن للذكر** » ، ومن الأقوال المردودة أن هذه الأحرف بيان لعمر النبى ﷺ ومن قال بهذا أبعد النجعة .

ويرى بعض العلماء أن معنى : « يس » يا إنسان فى لغة طىء ، وأصله يا أنيسين فاقتصر على شطر لكثرة النداء به وهو مردود كذلك ؛ لأن هذا يؤدى إلى اشتمال القرآن على الأحاجى والألغاز ، وقد أبطلنا ذلك فيما سبق .

وقال آخرون : إن «يس» اسم من أسماء النبى ﷺ ويستدل صاحب هذا القول بحديث : « إن الله سمانى فى القرآن بسبعة أسماء : محمد ، وأحمد ، وطه ، ويس ، والمزمل ، والمدثر ، وعبدالله » . وهذا باطل ـ أيضاً ـ لأنه يؤدى إلى تصغير اسم النبى والأسماء المعظمة لا تصغر .

هذا والحديث الذى استدل به على هذا القول ضعيف بل قال :

ابن العربى فى «أحكام القرآن» عن ابن عباس هذا الحديث لا يصح .

ومهما يكن من شىء فما ذكرته فى المراد من الأحرف المقطعة قليل من كثير .

(يتبـع)

إنمـا الحَـلِف حنث أو ندم

للأستاذ الدكتور : محمود سالم الخطيب

ينابيع الهدى :

روى ابن ماجه ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

« حدثنا على بن محمد .. حدثنا أبومعاوية ، عن بَشَار بن كِدَام ، عن محمد بن زيد ، عن ابن عُمَر قال .. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنما الْحَلِف حِنْثٌ أو نَدم » .

ورواه ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ فى صحيحه فقال : « أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو الشعثاء هو على بن الحسين الواسطى قال : حدثنا أبو معاوية » .. إلى تمام السند فالحديث الشريف بنصه .

وجاء فى « شرح الجامع الصغير فى حديث البشير النذير » للعلامة العزيزى فى المبدوء بـ « إنما » نصه .. قال شارحه : قال الشيخ : حديث صحيح .[1]

عبدالله بن عُمَر ـ رضى الله عنه ـ :

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ولد سنة ثلاث من المبعث النبوى ، من السابقين فى الإسلام ، شهد مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزوة الخندق وما بعدها ولم يقبل فى (بدر) ولا فى (أحد) صغر سنه إذ ذاك ، وكان من زهاد الصحابة وعبادهم وأعلامهم وأجوادهم وعقلائهم ، ومن المكثرين فى رواية الحديث ، أخذ بفقهه أهل المدينة ، وتفرع عنه مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ وتوفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٧٣ هـ ، وكانت سنه ٨٧ سنة .

اللغـة :

الْحَلِفُ : هو اليمين ، حَلَفَ يحلِف حَلِفاً وحَلْفاً ومَحْلُوفاً ، و (محلوفا) بزنة المفعول مصدر هنا ، فهو أَحَدُ ما جاء من المصادر على (مفعول) مثل : المجلود والمعقول والمعسور والميسور .

والمراد : اليمين ذات العقد بالعزم والنية ، إذ اليمين غير المصحوبة بالعزم والنية لغو ، لا شىء فيها قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾

سورة المائدة ـ آية : ٨٩

(١) سنن ابن ماجه ١/٦٨٠ ط عيسى الحلبى ١٣٧٢/ ١٩٥٢ ، ولابن بلبان الفارسى : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦/٢٧٧ ـ دار الكتب العلمية ط أولى ١٤٠٧/١٩٨٧ . هذا وبشار بن كدام ضعفه أبوزرعة فقط ، وليس هو من الوضاعين ، وقبل غيره حديثه واعتبروه صحيحا .

حَنَثَ : الحِنْثُ فى اليمين نقضها والنكث فيها ، يقال : حَنِث فى يمينه : إذا لم يفعل المحلوف عليه ، وكأنـه من الحنث : الإثم والمعصية .

ندم : ندم يندم ، كتعب يتعب : أسف لما فعله(٢) .

وبعد :

فإن هذا الحديث يتعلق باليمين التى يعزم عليه المسلم أو المسلمة قاصدا مضمونها بنية أن يفعل شيئا ، أو لا يفعله ، وهى اليمين المنعقدة المقابلة ليمين اللغو التى سبقت الإشارة إليها .

كذلك غنى عن البيان الحديث عن اليمين الفاجرة التى يحلف فيها المرء بالله ـ تعالى ـ على أمر ، وهو يعلم أن الحق خلافه ، وهى اليمين الغموس التى تغمس صاحبها فى النار بسبب ما تؤدى إليه من أذى جسيم للناس فى أموالها وأملاكها فتـذر الديـار بلاقـع ـ أى خراب ـ بما فيها من زور وبهتان .

روى البخارى ـ من حديث ابن عمر :

جاء أعرابى إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله : ما الكبائر ؟ فذكر الحديث ، وفيه : « اليمين الغموس » وفيه : قلت ـ : ما اليمين الغموس ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الذى يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها كاذب .. الحديث .

والحديث الشريف الذى معنا هو ـ والله أعلم ـ يتناول فيما يتناول اليمين المنعقدة التى ذكرها المولى ـ سبحانه ـ فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

سورة المائدة

فى الحق أن اليمين المنعقدة لا تصدر عن مسلم أو مسلمة ، وهما على حال سَوِيَّة ، إنما تصدر فى حال انفعالٍ ما .. انفعال قد يملك المرء معه زمام نفسه ، أو تنفلت منه السيطرة عليها ، فهو انفعال متفاوت الدرجات ، بما يحمله من غضب وسخط أو رضا وغبطة ، وربما تجاوز أمره إلى إحداث أثر مادى قد يكون ضارا كمن يضرب زوجه ، أو يثور فتمتد يده إلى تخريب أداة منزلية ، وقد يكون سارًا كأن يحمل يَمينهُ وعدا بأداء هدية أو مكافأة .. الخ .

كل ذلك يصدر من الحالف فيلزم نفسه ـ مقسما ـ بالله سبحانه ـ بعمل شىء أو الامتناع عن شىء ، وهو على حاله هذه يسير عليه جدا أن يقسم بالامتناع عن خير ، وما أكثر الأزواج الذين يحلفون على زوجاتهم بالامتناع عن زيارة آبائهن وذوى أرحامهن ، أو يحلف نفس اليمين بألا يزور أخاه أو أخته وما إلى ذلك فإن أمضى يمينه أثِم ، لما فى ذلك من قطيعة رحم ، أو تخالف زوجه مقتضى يمينه فتزور أهلها ، ويقع الطلاق .

وقد يكون آخر طلقة لا تجد لها حلا ، ويعقبها ما يعقبها من أذى بليغ للأبناء يلازمهم العُمرَ كله ،

(٢) راجع فى اللغويات المواد بـ : بالنهاية لغريب الحديث ، والقاموس المحيط ، والمصباح والوسيط .

ويمتد أثره النفسى إلى حياتهم من بعد ، وكم فى ذلك من ندم مرير .

كذلك لن يمر إلزام الحالف نفسه بعمل ما من ضيق وألم وندم حين يعسر عليه أداء ما حلف عليه ، وإذا الحالف ــ فى النهاية ــ حانث إن فعل ما حلف ألا يفعله ، أو نادم إن أصر على ألا يفعل ما أقسم ألا يفعل من خير .

قال العلامة العزيزى فى شرحه للحديث :

الظاهر أن المراد : حِنْثُ إن فعلت ، أو ندم إن لم تفعل .

ولا شك أن بعض الأيمان خير للحالف بها ــ رجلا أو امرأة ــ إن أراد الخير أن يفعله ما حلف على تركه ويكفر عن يمينه ــ قال الله ــ تعالى :

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ٢٢٤

وفى الحديث الشريف المتفق عليه قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« والله لأنْ يَلَجَّ أحَدَكُمْ بيمينه ــ فى أهله ــ آثَمُ له عند الله مَنْ أن يُعطِى كفارته التى افترض الله عليه » رواه أحمد عن أبى هريرة .

تعنى الآية الكريمة : « لا تجعلوا الله حاجزا ــ لأجل حَلِفِكم به ــ عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، وكذلك يعنى الحديث الشريف ، إذ معنى « يَلَجُ بيمينه » أى يصر على تنفيذها ، وفى ذلك ما فيه من ضر أو قطيعة رحم ففى إصراره إثم ، ولئن فعل ما حلف ، على تركه وكَفَّر عن يمينه لكان خيرا له .

وقال رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ :

« إذا حلفت على يمين ، فرأيت غيرها خيرا منها فَأْنت الذى هو خير ، وكَفِّرْ عن يمينك ــ عن عبد الرحمن بن سمرة ، رواه النسائى وأبوداود .

* * *

ولا يخلو الحلف من خطر ؛ وخير للمسلم والمسلمة ألا يحلف إلا مضطرا ، وهو وَاعٍ محتاط لما يقول ، مستثن فى يمينه ، فيخرج سليما من كل مأزق ، وأيضا فإن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرشد من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد رسولا ونبيا أن لا يحلف بغير الله .

قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه ابن عمر .. « سمع عمر يحلف بأبيه فقال : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حَالفا فليحلف بالله أو يصمت » . رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة قال رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : (لا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون) رواه النسائى .

وعن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله) رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

(من حلف بغير الله فقد كفر) أخرجه أبوداود والترمذى والحاكم .

وبعد أن علم المسلم بهذه الأحاديث التى تحذره الكذب فى يمينه ، أو الحنث فيها ، أو ما يترتب عليها معصية الله ، أو ندم على فعله ، فإن عليه أن ينزجر عن الحلف وكثرة الأيمان جزافا احتياطا لدينه ، وتقوى لله فى ايمانه .

وفق الله المسلمين الأخذ بكتاب ربهم والسير على نهج سنة نبيهم ــ عليه الصلاة والسلام.

قبــس
من أنوار
النبــوة

كيف نشكر الله على نعمائه ؟

لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : « ذلك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت فيه ، أو يوم أنزل علىَّ فيه »
رواه مسلم . .

إن لله ـ عز وجل ـ نعماً كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولا يحيط بها العد ولا الحصر ؛ فالله ـ سبحانه :

له منـــن لا منتهى لكبارهـــا ومنَّتُـهُ الصغـرى أجـل من الدهـر

وقد أوجب الله على العباد أن يشكروه بأفضل القربات ، وأنواع الطاعات ، لكن الإنسان كثيرا ما ينحرف عن الفطرة السوية ، يقابل النعمة بالكفران والجحود ، فتراه عندما يُعطى نعمة من نعم الله عليه ؛ يقيم الأفراح التى تدق فيها الطبول ، وتحتسى فيها الخمور ـ كما فعل أبو جهل عندما طلب إليه الرجوع إلى مكة بعد نجاة قافلة أبى سفيان فقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر الجزور ، ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان .. »

كثير من الناس يقابلون نعم الله عليهم ـ بمنطق الجاهلية الأولى كما جاء فى الحديث القدسى ـ الذى رواه الشيخ الشنقيطى فى كتابه : « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » من قول الله ـ تعالى ـ : إنى والجن والإنس فى نبأٍ عظيم ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى ، خيرى إلى العباد نازل ، وشرهم إلى صاعد ،

أتحبب إليهم بنعمتى ، وأنا الغنى عنهم ، ويتبغضون إلىّ بالمعاصى ــ وهم أحوج شىء إلىَّ .. »

كثير من الناس ينسى أو يتناسى شكر من خلق ورزق ، وأعطى ومنح ؛ فيفعل الخير رياء ومظهرة . أو لهوى فى النفس ، أو غيرهما مما يضيع ثواب الأعمال الصالحة .

وما أروع قول سليمان ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى دعائه : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ سورة النمل ١٩ .

فليس كل عمل صالح مقبول ، إنما للقبول أسبابه ودواعيه .

روى الطبرانى عنن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ . قال : « إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصا .

وفرقة يعبدون الله رياء .

وفرقة يعبدون ليستأكلوا به الناس . فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال ــ للذى يستأكل الناس : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل به الناس .

قال : لم ينفعك ما جمعت ، انطلقوا به إلى النار .

ثم يقول ــ للذى كان يعبد رياء : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟

قال : بعزتك وجلالك رياء الناس . قال : لم يصعد إلىَّ منه شىء . انطلقوا به إلى النار . ثم يقول للذى كان يعبده خالصا : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به . أردت به ذكرك ووجهك . قال : صدق عبدى انطلقوا به إلى الجنة .

إن رسول الله ــ ﷺ فى حديث المقال ــ يعلم أمته كيف يكون شكر الله على نعمه ، وأن كل نعمة من نعم الله ــ سبحانه وتعالى ــ لها شكرها من نوعها .

ومن هذه النعم : يومان هما من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان عامة ، وعلى الأمة الإسلامية خاصة . حيث سعد الوجود بسيد الوجود ﷺ ، وحيث أرسله الله رحمة للعالمين .

إن يوم الاثنين حدثت فيه نعم جليلة جعلت له منزلة رفيعة ميزته على غيره من سائر الأيام ، فكان صيامه تكريما وتمجيدا لما ارتبط به من الذكريات الغالية ، وقياما بمزيد من الطاعة فيه شكراً لله على نعمه وسابغ فضله . روى عن طريق عائشة ــ أم المؤمنين ــ وأبى هريرة ، وأسامة بن زيد : أن النبى ﷺ : كان يتحرى صيام يوم الاثنين ، ولما سئل عن ذلك قال : ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علىّ فيه النبوة .

كما كان ﷺ يصوم الاثنين والخميس . ولما سئل عن ذلك « قال ــ فيما رواه الترمذى ــ عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه : « عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ؛ فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم » .

كذلك كان ﷺ يرغب فى صيام الأيام الفاضلة التى تجدد فيها النعم ، روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ : قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء ، فقال لهم : ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ فقالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ؛ فصامه موسى

شكرا ، فنحن نصومه . فقال ﷺ : نحن أحق وأولى بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه .

ومثل هذا ترغيبه ﷺ فى صيام شعبان وما تيسر منه ، فقد سأله أسامة بن زيد ــ رضى الله عنه ــ فقال : قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ، ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه النسائى .

نعم الله على عباده

إن الرسول ــ عليـــه الصلاة والسلام ــ يعلمنا : أن أجل نعم الله على عباده نعمة الإسلام ، فهى نعمة التوحيد ، روى ابن أبى الدنيا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، قال : « لا إله إلا الله » فهى نعمة ظاهرة وباطنة ؛ لأنها اعتقاد بالقلب ونطق باللسان . ومن وفق إلى الإيمان الصحيح فقد حاز أجل النعم . ولقد كان هدى رسول الله واضحا جليا . فى : « أن لكل نعمة ولكل جارحة شكرا » .

قال رجل لأبى حازم ــ فيما رواه ابن أبى الدنيا ــ ما شكر العينين ؟ قال : إن رأيت بهما خيرا أعلنته ، وإن رأيت بهما شرا سترته .

قال : فما شكر اليدين ؟ قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقا لله هو فيهما .

قال : فما شكر الأذنين ؟ قال : إن سمعت بهما خيرا وعيته ، وإن سمعت بهما شرا دفنته .

قال : فما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعاما وأعلاه علما .

قال فما شكر الفروج . قال : كما قال الله ــ عز وجل ــ ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾

سورة المؤمنون

قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن رأيت حياً غبطته ــ أى وجدت له عملا صالحا أحببت أن يكون لك مثله ــ وإن رأيت ميتا مقته ــ أى أبغضت أعمالا سيئة يقوم بها ــ وأنت شاكر لله ــ عز وجل .

فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه . فمثله كمثل رجل له كساء ، فأخذ بطرفه ولم يلبسه . فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد .

عن المغيرة بن شعبة ــ رضى الله عنه ــ قال : فيما رواه ابن أبى الدنيا : قام النبى ﷺ حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : يا نبى الله تُكلف هذا وقد غفر لك ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا .

اللهـم أعنا على ذكـرك وشكـرك وحسن عبـادتك . واجعلنـا من عبـادك الذاكريـن الشاكرين .

الخطبة الجامعة فى حجة الوداع

لفضيلة الشيخ / محمد زين العابدين العزازى

فى السنة العاشرة للهجرة ولخمس ليال بقين من شهر ذى القعدة أخذ رسول الله ﷺ فى التجهز للحج ، وأذن فى الناس بذلك ، فصادفت الدعوة هوى فى نفوس المسلمين ، وجاء الناس من كل فج وصوب من القرى والبوادى ، والوديان والصحارى ، مشاة وركبانا ؛ تدفعهم الرغبة الصادقة فى حج بيت الله ، مهوى القلوب ومثابة الناس ، والحرص على أن يحظى كل منهم بشرف مصاحبة سيدنا رسول الله ﷺ ، والنظر إليه ، والسماع عنه ، جاءوا جميعا ، وقد وحد الإسلام بينهم ، بعد أن كانوا متفرقين ، أعداء متنابذين .

وفى هذه الألوف المؤلفة سار الرسول ﷺ ، والمسلمون معه وهم يلبون، ويكبرون ، يهللون ، لا ينفكون عن ذلك ، كلما علوا شرفا ــ مكاناً عالياً ــ ، أو هبطوا وادياً ، وقد شهدت الصحراء هذا المشهد الرائع الذى دوت أصوات المسلمين فيه بالتهليل والتكبير والتوحيد لله ــ عز وجل ــ ، ثم دخلت هذه الوفود ، وتلك الحشود مكة نهاراً جهاراً ، فلما رأى الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ البيت قال :

« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً ، وتعظيماً ، وتكريماً ، ومهابة وبراً ، وزد من حجه ، أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً » رواه البيهقى .

ثم طاف بالبيت ، وهو راكب ناقته يستلم الحجر الأسود بمحجن[1] فى يده ، كى يراه الناس فيقتدوا به ، ويسألوه ، وطاف المسلمون بطوافه ، فلما انتهى من الطواف اتى مقام إبراهيم وهو يتلو قول الله ــ تعالى :

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ سورة البقرة ١٢٥

فصلى ركعتين ثم خرج إلى الصفا وهو يقرأ قوله ــ تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ سورة البقرة ــ اية ١٥٨

(١) المحجن: عصا معقوفة من آخرها .

أبدأ بما بدأ الله به ، فصعد عليه حتى رأى البيت فاستقبله قائلًا : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ، أنجز وعده ، وصدق عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

ثم نزل إلى المروة ، حتى أتم سبعة أشواط .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة ، خرج النبى وأصحابه إلى منى ، فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

وبعد شروق الشمس فى اليوم التاسع ، خرج - عليه الصلاة والسلام - إلى عرفات ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فلما دنت الشمس ركب ناقته القصواء حتى أتى بطن الوادى ، وهناك خطب خطبته الجامعة ، والتى جمعت ما فى كتاب الله وبيَّنت للناس أحكام دينهم وأوضحت لهم التعاليم القويمة التى تأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم ، وحثتهم على تقوى الله ، والتمسك بخصال الخير ، والبعد عما يؤدى إلى الزلل ، والتى أعلن الرسول الكريم فيها مبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، وبين للناس ما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات

وهذه الخطبة الجامعة تواكب كتاب الله العزيز ، فقد جاء فى الكتاب الكريم :

(أ) الأمر بتقوى الله - سبحانه - فى أكثر من موضع ، منها قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة : ١١٩] .. وغير ذلك كثير ؛ فقد وردت التقوى فى القرآن الكريم فى أكثر من (٢٤٢) آية .

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته : بعد أن حمد الله - تعالى - وأثنى عليه :

- **أوصيكم بتقوى الله .**
- **أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .**

(ب) وفى حرمة الدماء قال تعالى :

- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] .
- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ [النساء : ٩٢] .
- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]
- ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ .... ﴾ الآية [المائدة : ٤٥] .
- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١] .
- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

وفى خطبة رسول الله ﷺ حرمة الدماء . قال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس : اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا

بهذا الوقت أبداً ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، فمن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب .

والعمد قود ، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

وللمال حرمة ، وهى حرمة عظيمة ؛ ماكان منه لله ـ تعالى ـ له حرمته ، وماكان منه للعباد له حرمته : سواء كان هذا الأخير قرضاً ، أم أمانة ، أو غيرهما ، ثم ماينبغى أن يكون عليه كسبه من عمل حلال يشتغل فيه الناس ، وليس من ربا ، وأياً كان موقعه فله حرمته .

يقول الله ـ تعالى :

● ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء : ٦] .

● ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر : ٢٠] .

● ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾
سورة البقرة

● ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] .

● ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم : ٣] .

● ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

● ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥] .

وجاء فى خطبة رسول الله ﷺ وقد قرن ـ عليه الصلاة والسلام ـ المال بالدماء ـ كما تقدم فقال صلوات الله وسلامه عليه :

● **« أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت . اللهم فاشهد .. وجاء فيها :**

● **أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه .**

● **ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع وربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب .**

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية .

● وقال رسول الله ﷺ فى الحث على الأمانة :
فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

(د) وفى القرآن المجيد قول الله ـ سبحانه وتعالى:

● ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [**البقرة : ١٤٣**] .

● ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء : ٥٣]

● ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
[فاطر : ٦] .

● **وقد تلتقى هذه المعانى بقول رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع :**

« أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحقرون من أعمالكم » .

(هـ) فى حرمة الأعراض قال الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وفى رواية البخارى ـ باب العلم ـ من هذه الخطبة :

فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .

(و) وعُنِىَ الإسلام بضبط الوقت بدقـــة ، وللإسلام ـ وحده ـ فضل الإعلان عن ضبط الزمن بعد الذى لحقه مِن تغيير فى العصر الجاهلى بسبب التقديم والتأخير فى الشهور الحرام بين الحُمْس تارة ، والحِلّ أخرى ، فبينا الأولين يجعلون الشهور الحرم أربعة ، يجعلها الحِلُّ ثمانية ، كما أدخلت القبائل اليهودية على العرب الزيادة فى الشهور ، وكان من هذا الاضطراب زحف النسىء إلى الشهور العربية ، مما أفسد التوقيت تماماً .

قال تعالى :

● ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

● ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى خطبته :

● **أيها الناس ، إن النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله .**

● **وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعـــة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .**

(ز) وفى الوصاه بالنساء وحقوقهن قال ـ تعالى :

● ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾
[النساء : ٤]

● ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

﴿ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
[النساء : ١٩] .

● ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾
[النساء : ٣٢] .

وغيره ذلك كثير .

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته :

● **أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهن ، وتهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .**

● **واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن ، عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ؛ واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .**

(ح) فى الميراث أورد الكتاب العزيز حقوق المستحقين : رجالًا ونساء ، أصولًا وفروعاً ، قال الله ــ تعالى :

● ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ الآية [النساء : ٧] .

● ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ .. ﴾ الآية [النساء : ١١] .

وآيات ذلك كثيرة .

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته :

● **أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، وإنه لا وصية لوارث ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث .**

● **« والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا ؛ وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس : اللهم اشهد، اللهم اشهد ــ اللهم اشهد ، والسلام عليكم ورحمة الله » .**

وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من هذه الخطبة الجامعة أذن بلال ثم أقام فصلى بالناس الظهر ، ثم أقام فصلى العصر جامعا بينهما جمع تقديم ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب ناقته القصواء حتى جاء الصخرات التى فى أسفل جبل الرحمة ، فوقف عندها مستقبلا القبلة ، حتى غربت الشمس ، وقال : « وقفت ههنا ، وعرفات كلها مواقف » ، وأكثر من الدعاء لأمته فى هذا اليوم العظيم الذى تسكب فيه العبرات ، وتستجاب الدعوات ، ذلك الموقف الرائع الذى يقف فيه الحجاج عراة الرؤوس ، ولباسهم إزار ورداء فى صحراء قاحلة ، خلت من مظاهر الترف والرفاهية خاشعين خاضعين متضرعين متجهين بقلوبهم نحو رب الأرباب مالك الرقاب ، مالك الملك والملكوت ، صاحب القوة والجبروت ــ ملبين قائلين :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

هناك تنخلع القلوب هيبة وإكبارا ، وتتضاءل الرؤوس ذلة وانكساراً ، هناك يتفضل الحق ـ تبارك وتعالى ـ برحمته وفضله وكرمه وإحسانه على عباده بالعفو والغفران ويتجلى الله فيه على عباده فيباهــى بهم الملائكــة ويقــول : « يا ملائكتى ، هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا ؛ يرجون رحمتى ، ويخافون عذابى ولم يرونى ، فكيف لو رأونى ، أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه » .

فكانت حجة الــوداع هذه هى الأولى والأخيرة ، وكانت خطبة الوداع أو البلاغ جامعة رائعة ، أبرأ فيها رسول الله ﷺ ذمته ، ولذلك كان يشهد الناس فى كل فقرة على أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأشهد الله على الناس ، ولم يسأله أحد إلا أجابة » .

وفى هذا اليوم العظيم نزل عليه قوله ـ تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

وفى الحقيقة نقول :

إن هذه الخطبة فى عرفة جمعت كل شىء فى كتاب الله من الأحكام الدينية والمبادىء الإنسانية التى تعد نبراسا مضيئا ومنهجا قويما فى تاريخ البشرية جمعاء ، وستظل وثيقة أبدية لحقوق الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

وبعد ، فهذه ذكريات كريمة تهفو إليها النفوس وتحن إليها الأفئدة ، تتجدد بتجدد شهر ذى الحجة فما أحوجنا إلى أن ننتفع بها ونتخذ منها العبرة والعظة !

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يجعلنــا من المتمسكين بكتابة الكريم وبسنة نبيه ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم .

ولاية عقد النكاح في الشريعة الإسلامية

للأستاذ/ أحمد مصطفى عبد الحميد(*)

اتفق الفقهاء على أن عقد النكاح كأى عقد من العقود، لا يصح إلا إذا توفرت له مقوماته الشرعية وهى : أركانه وشروط صحته .

وقد أجمع الفقهاء على أن عقد النكاح إذا خلا من الصيغة أو العاقد أو المعقود عليه يكون باطلًا لا وجود له ولا يتعلق به أى أثر شرعى .

وأنه إذا خلا من الشهود يكون فاسداً والفاسد كالباطل ــ عند جمهور الفقهاء ــ سواء كان ذلك فى العبادات أو المعاملات .

أما عند الحنفية فالأمر يختلف فى العبادات عن المعاملات، ففى العبادات الباطل والفاسد سواء ، أما فى المعاملات فالباطل ما لم يشرع بأصله ولا بوضعه، وذلك يتعلق بفقد ركن العقد ، أما الفاسد : فهو ما شُرِع بأصله دون وصفه ، وذلك يتعلق بشروط صحة العقد[1] فإذا تخلف الركن كان العقد باطلًا أمّا إذا تخلف الشرط كان العقد فاسداً والباطل لا يمكن تصحيحه بحال ولا يترتب عليه أثرٌ شرعىٌ، والفاسد يمكن تصحيحه ويترتب عليه بعض الأثر ، وعلى ذلك فالعقد الذى خلا عن الشهود فى النكاح إذا تم الدخول به يثبت المهر والنسب ويمكن تصحيحه بالإشهاد عليه قبل الدخول[2] .

ــ من هو الولى فى النكاح ؟

اختلف الفقهاء فى الولى فى النكاح من هو ؟

فقال جمهور الفقهاء الولى فى النكاح هو العصبة أى عصبة المرأة التى تنسب إليهم ويعصبونها من جهة النسب وهم الرجال . وعلى ذلك فولى المرأة فى النكاح هو الأقرب من عصبتها دون ذوى أرحامها فليس للخال ولا والد الأم (الجد لأم) ولا الأخوة لأم وما ماثلهم ولاية فى النكاح، وذلك لما رُوِىَ عن علي أنه قال : الإنكاح إلى العصبات .

وإلى هذا ذهب الإمام مالك والشافعى والثورى والليث بن سعد وغيرهم .

وأما الحنفية : فإن ولاية النكاح تثبت عندهم لعصبة المرأة الذكور كما تثبت لذوى الأرحام ؛ لأنهم يعدون من الأولياء للمرأة فى النكاح، ولكن عند عدم العصبة فإذا لم يوجد أحد

(*) مدرس مساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق ــ جامعة الأزهر .

(1) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ــ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٤م ــ ص ٧٦ .

(2) المرجع السابق .

من العصبة كان لذوى الأرحام من الرجال ولاية عقد النكاح .

وليس العصبة كلهم سواء فى ولاية النكاح، بل أقربهم عصبة هو الأحق بها ، فإذا تولاها الأبعد بدون إذن الأقرب فتعتبر ولاية غير صحيحة عند الجمهور، لأن الحق للأولى فلا يغتاب عليه فى حقه .

ـ هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟
للفقهاء فى اشتراط الكفاءة رأيان :

ـ الرأى الأول : رأى بعض الفقهاء كأبى الحسن الكرخى والجصاص من الحنفية ، وسفيـــان الثورى ، والحسن البصرى .

وهؤلاء لم يشترطوا الكفاءة أصلًا ، لا شرط صحة ولا شرط لزوم ، وأدلتهم :

١ ـ قول الله تعالى :

﴿ أن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٣].

٢ ـ قوله تعالى :

﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا ﴾[٤].

فهذه أدلة على المساواة المطلقة بين الناس ..

٣ ـ إن الرسول ﷺ قد أمر « بنى بياضة » أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً فقال النبى ﷺ : « يا بنى بياضة انكحوا أبا هند وأنكحوا إليه » .

٤ ـ (إن بلالًا ـ رضى الله عنه ـ خطب إلى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجوه فقال له رسول الله ﷺ : قل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى) .

وهنا أمرهم النبى ﷺ بالتزويج مع عدم الكفاءة، ولو كانت معتبرة ماأمره؛ لأن التزويج من غير كفء غير مأمور به .

٥ ـ كما استشهدوا بأحكام الجنايات ؛ لأن الدماء متساوية فيقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل ، فيقاس عليه عدم الكفاءة فى النكاح ، فإذا كانت الكفاءة غير معتبرة فى الجنايات ففى النكاح من باب أولى .

الرأى الثانى : اشترطوا الكفاءة فى النكاح : وهم جمهور الفقهاء ، على خلافٍ بينهم فمنهم من اعتبرها شرط للزوم النكاح ، ومنهم من اعتبرها شرط لصحة النكاح ، لكن الحنابلة ـ الرواية الصحيحة عندهم ـ أنها لا تشترط ، وأدلة أصحاب هذا الرأى فى شرط الكفاءة :

١ ـ ما رُوِىَ عن أحمد بن حنبل بإسناده عند الخلال أنه قال : فى الرجل يشرب الشراب المحرم ماهو بكفء لزوجته يفرق بينهما[٥].

(٣) سورة الحجرات ـ الآية : ١٣ .

(٤) سورة الفرقان ـ الآية : ٥٤ .

(٥) المغنى لابن قدامة ٤٨٠/٦ .

وقال : لو كان المتزوج حائكاً فرقت بينهما لقول عمر ـ رضى الله عنه ـ لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء »[٦].

كما استدلوا ـ أيضاً ـ بما رواه إسحاق الهمدانى قال : « خرج سلمان وجرير فى سفر فأقيمت الصلاة فقال جرير : تقدم أنت ، قال سلمان : بل أنت تقدم فإنكم معشر العرب لا يتقدم عليكم فى صلاتكم ، ولا تنكح نساؤكم ، إن الله فضلكم علينا بمحمد ﷺ وجعله فيكم »[٧].

كما استدلوا من جهة العقل : بأن التزويج مع فقد الكفاءة تصرف فى حق من يحدث من الأولياء بغير إذنه فلم يصح عقد النكاح مع انعدام الكفاءة ، كما لم يصح إذا زوَّجها الولى بغير إذنها وكانت بالغة عاقلة[٨].

تقول الدكتورة / فاطمة عمر نصيف : كما استدلوا بالمعقول فقالوا : « إن انتظام المصالح بين الزوجين يكون عادة بين المتكافئين، لأن الشريفة تأبى أن تكون فراشاً للدنىء » وكذلك أولياء المرأة يأنفون من مصاهرة مَنْ لا يناسبهم فى جاههم ونسبهم فيعيرون به فتختل روابط المصاهرة أو تضعف ، ولأن الزوج لا يتأثر بعدم الكفاءة عادة ، وللعادة والعرف سلطان أقوى وتأثير أكبر على الزوجة[٩].

كما استدلوا بما رُوِى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء ولا تزوجوهن إلا من الأولياء »[١٠].

ـ والذى نميلُ إليه فى الترجيح ـ والله أعلم ـ ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن الكفاءة ليست بشرط لصحة عقد النكاح وذلك لقوة أدلتهم »[١١].

وتقول الدكتورة / فاطمة عمر نصيف : « أما استدلالهم بالمعقول فيعتمد على العرف، ولكن متى يكون العرف معتبراً أو غير معتبر ؟ ومتى يكون للعرف سلطة التشريع ؟ من المعلوم فى أصول الفقه أن العرف إذا كان موافقاً للشرع أخذنا به وإذا كان مخالفاً لأصول الدين ومبادئه فلا يجوز اعتباره . فقد جاء فى كتب الأصول « فالعرف الصحيح هو ما تعارفه الناس ولا يخالف دليلًا شرعياً ولا يحل محرماً ولا يبطل واجباً . أما العرف الفاسد فهو ما تعارفه الناس ولكنه يخالفُ الشرع ويحل المحرم أو يبطل الواجب[١٢].

---

(٦) المرجع السابق .

(٧) المرجع السابق .

(٨) المغنى ٤٠٨/٦ .

(٩) مجلة الأزهر ـ رمضان ١٤١٣ هـ / مارس ١٩٩٣ م ص ١٣٧٧ .

(١٠) رواه الدارقطنى وقال فيه ابن عبدالبر : ضعيف ولا أصل له ولا يحتج بمثله .

(١١) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ص ١٤٣ .

(١٢) مجلة الأزهر ـ رمضان ١٤١٣ هـ مارس ١٩٩٣ م ص ١٣٧٨ .

صيغة الأخرس فى عقد النكاح :

والأخرس إذا تولى عقد النكاح بنفسه فصيغته إن كان يعرف الكتابة تكون بالكتابة أمام العاقد الثانى والشهود مع إشارته المُفْهِمة أى التى يعرفها العامة والخاصة ؛ لأن الإشارة المفهمة فى حقه كالنطق فى حق المتكلم، وأما الكتابة فهى لزيادة التأكيد والتوضيح لإشارته، أما إشارته غير المُفْهِمة فتعتبر فى حقه صيغة غير صريحة ولا يصح بها عقد النكاح، لأنها كناية فى حقه، والنكاح لا ينعقد بالكناية لأن الشهود لا يطلعون على ما فى الباطن بل يشهدون على الظاهر . والإشارة غير المفهمة لا يعرفها إلا الخواص وعليه أن يوكل باشارته غير المفهمة هذه من يعقد له عقد النكاح من المتكلمين . وإذا أضيفت كتابة الأخرس إلى هذه الإشارة غير المفهمة يمكن اعتبارها صيغة صريحة إذا كانت الكتابة أمام الشهود والعاقد الثانى وبشرط ألا تكون له إشارة مفهمة وأن يتعذر عليه توكيل من ينوب عنه لعقد النكاح .

فإذا لم يعرف الأخرس الكتابة فلا يصح عقده إلا بإشارته المفهمة التى يعرفها العامة والخاصة وبشرط أن يفهمها العاقد الثانى والشهود جميعا لأن الشهادة لابد منها فى عقد النكاح وهى لا تحصل إلا إذا كان الشاهد فاهماً ومدركاً لما يشاهده[13] .

ويقول الشيخ السيد سابق « ويصح زواج الأخرس بإشارته إن فهمت كما يصح بيعه ؛ لأن الإشارة معنى مفهم ، وإن لم تفهم إشارته لا يصح منه ، لأن العقد بين شخصين . ولابد من فهم كل واحد منهما ما يصدر من صاحبه »[14] .

رأى الفقهاء فى الولى الذى يصح منه عقد النكاح :

ومذهب جمهور الفقهاء أنه لا يصح عقد النكاح إلا من جائز التصرف، وهو المكلف البالغ العاقل الذكر، وذلك لأن النكاح عقد معاوضة وعقد المعاوضة يترتب عليه التزام ، والصبى والمجنون ليسا من أهله لرفع التكليف عنهما بحديث « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستقيظ » ولأن فاقد الشيء لا يعطيه[15] .

كما لا يصح عقد النكاح من المحجور عليه لسفهٍ إلا بإذن الولى، لأن النكاح عقد مستحق به المال والسفيه ممنوع من التصرف إلا بإذن فإن أذن صَحَّ النكاح، لأن الولى لا يأذن إلا فيما يرى أنه مصلحة له[16] .

---

(١٣) ٤٣٠/٧ ، والاقناع للمقدسى ١٦٨/٣ ، ونهاية المحتاج ١٦٣/٥ وحاشية القليوبى على شرح جلال الدين المحلى على المنهاج ٢٣١/٣ .

(١٤) فقه السنة للشيخ السيد سابق ص ١٢٨ المجلد الثانى ـ الطبعة العاشرة والشرعية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م .

(١٥) المهذب ٣٣/٢ .

(١٦) المرجع السابق نقلا من مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ص ٧٧ .

مكونات عقد النكاح وشروطه عند الفقهاء :

عقد النكاح كأى عقد من العقود الشرعية لا يتم ولا يظهر له أثر شرعى من الناحية العملية إلا إذا توفرت له مكونات وجوده الرئيسية صحيحة معتبرة فى نظر الشارع .

ويتكون العقد من عناصره الأساسية التى تكوِّن جميع أجزائه وهذه العناصر هى التى يعبر عنها عند الفقهاء « بالأركان » لأن العقد فى نظرهم مثله كأى كائن مادى يتكون من عدة عناصر أو أجزاء ، أما الأصناف طبقاً لنظريتهم فى العقود الشرعية فإن العقد عندهم يتكون من عنصر واحد وهو الصيغة .

أما الجمهور من الفقهاء فيتفقون على أن أركان عقد النكاح ثلاثة وهى :

العاقدان ، والمعقود عليه ، والصيغة .

وأما الشافعية فيرون النكاح يتكون من خمسة أركان رئيسية وهى :

الصيغة ، والزوجة ، والولى ، والزوج ، والشاهدان .

ويمكن اعتبارها عندهم أربعة باعتبار الولى والزوج يكونان ركناً واحداً يعبر عنه « بالعاقدين » وبذلك تكون هذه الأركان الأربعة هى : المعقود عليه وهو الزوجة والعاقدان وهما الزوج والولى والشاهدان والصيغة وبهذا يكون الزوج والولى شركاء فى صحة الصيغة وهذا ما ذهب إليه الإمام « الغزالى » من الشافعية(١٧) وإن كان يتفق مع علماء المذهب فى حد الولى والزوج ضمن أركان العقد ولكنه يعتبرهما ركناً واحداً يتحقق فى العاقدين، وبذلك يكون الخلاف بين « الغزالى » وبين علماء المذهب شكلياً فقط وليس جوهرياً أى الخلاف فى العدد دون المضمون(١٨) .

وذهب بعض المالكية إلى أن أركان عقد النكاح هى :

الولى ، الصداق ، والزوج ، والزوجة ، والصيغة .

وبذلك تكون الأركان عند هذا البعض خمسة كالشافعية، ولكن الخلاف بينهما ظاهر وحقيقى حيث لم يعتبر الشافعية الصداق ركناً من الأركان ، مع أن المالكية اعتبروه ركناً لا يتحقق العقد بدونه ، وبينما اعتبر فقهاء الشافعية الاشهاد على النكاح ركناً فيه ولا يتصور تحققه شرعا بدونه مهما يعتبره هذا البعض من المالكية بل يعتبرونه شرطاً فى صحته مطلقاً عند تمام العقد أو بعده ولو قبل الدخول ، وهم يتفقون على ضرورة أن يكون الزوج والزوجة والولى والصيغة من الأركان .

ولكن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، فمع اختلاف الفقهاء فى عدد أركان النكاح إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على أن عقد النكاح لا يعتبر صحيحاً فى نظر المُشرِّع إلا إذا وجدت : صيغته عقده ، والعاقدين ، والزوج ، والزوجة ، والشهود .

---

(١٧) الوجيز ٣/٢ .

(١٨) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ص ٥٢ .

محبة الله ورسوله سبيل المؤمنين الصادقين

لفضيلة الشيخ / محمد فتحي عبد الصادق*

يقول الله ــ سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

روى أن رسول الله ــ صلوات الله ، وسلامه عليه ــ وقف على المشركين ، وهم فى المسجد الحرام يسجدون للأصنام ، فأنكر عليهم ذلك ، وقال لهم : لقد خالفتم ملة إبراهيم ، فقالوا : إنما نعبدها حبا لله ، فنزلت الآية الكريمة للرد عليهم .

وروى أن اليهود كانوا يقولون : « نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ » فنزلت الآية(٢) .

وروى أن نصارى نجران قالوا : إننا نعظم الأصنام حبا للمسيح، فنزلت(٣) .

وأيا كان من نزلت فى شأنهم ، فهى تدل فى وضوح على أن محبة الله تستلزم محبة رسوله ، واتباعه فى كل قول وفعل ، وإلا كان عاصيا لله وليس محبا له .

تعصى الإلــه وأنت تظهــــر حُبّـــــه ... هذا لعمـــرى فى القيـــاس بديــــع
لو كان حبُّك صادقـــا لأطعتـــه ... إن المحبّ لمن يحب مطيـــــــــع

معنى محبة العبد لله : الاعتقاد بوحدانيته ، والاعتماد عليه، والثقة به ومراقبته فى السر والعلن، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان، والرضا بما قسم الله والقناعة بما أعطى، ومحبة رسوله، واتباعه فى كل ما جاء به والاقتداء به فى جميع أحواله .

وعلى من يحب الله ورسوله أن يقدمهما على كل عزيز حتى على نفسه ، يقول ــ سبحانه ــ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(٤)

نزلت هذه الآية الكريمة فى قوم أسلموا ، ولم

* مدير تعليم بالتربية والتعليم (سابقا) .

(١) آل عمران ــ ٣١ ــ .

(٢) سورة المائدة ــ ١٨ ــ .

(٣) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى .

(٤) سورة التوبة ــ ٢٤ ــ .

يهاجروا من مكة ؛ خوفا على ذويهم من أذى المشركين، فآثروا البقاء معهم على تنفيذ أمر الله وأمر رسوله بالهجرة، فجاءت الآية تهدّدهم بعذاب أليم .

٢ ـ معنى محبّة الله للعبد ـ أن يرضى عنه ، وأن يوفقه إلى فعل الخير ، ويرشده إلى بذل المعروف ، ويحببه فى صفات البر والفضل .

٣ ـ تفاوت المحُبّبين فيها ، ليس المسلمون على درجة واحدة فى هذه المحبة ؛ لأنها تكتسب بقدر صلة المرء بربه، فمنهم من يحب الله ورسوله ؛ طمعا فى حسن ثوابه ونعيمه وخوفا من عقابه وناره، ومنهم من ارتقى فى هذه المحبة، ووصل إلى درجة أسمى وأعلى ، وهم الذين لا يرجون من طاعتهم جنة ولا يخشون عذابا، وإلا اعتبروه أنفسهم كالأجراء إن أعطوا رضوا وإن لم يعطوا سخطوا، يقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يخاطب رب العزة : « كفى بى فخرا أن أكون لك عبدا، وكفى بى شرفا أن تكون لى ربا، اللهم إنى قد وجدتك إلها كما أردت فاجعلنى عبدا كما أردت » .

ورائدة هذا المذهب صاحبة العشق الإلهى السيدة رابعة العدوية التى كانت تقول :

إلهى إن كنت أعبدك طمعا فى جنتك فحرّمْها علىّ .

وإن كنت أعبدك خوفا من نارك فاحرقنى بها

كلهم يعبدوك من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ
لست أبغى عن الحب بديلا

٤ ـ ثمَرَة هذه المحبة :

(أ) إذا صدق العبد فى محبته منحه الله فيْضا من علمه ، فيعلم ما لم يقرأه فى كتاب ولم يتعلمه على يد معلم ، وهذا هو نبى الله وكليمه موسى عليه وعلى نبينا ، وجميع الأنبياء الصلاة والسلام يطلب من ربه أن يرحل إلى الرجل الصالح الخضر ؛ ليتعلم منه ومعه فتاه :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة الكهف

(ب) **إنه سبحانه يمدّه قوة من قوته** ، فلا يرهب أحدا سواه، ولا يخشى أحدا إلا هو سبحانه ، لأنه يوقن أن كل ما سواه عاجز ضعيف ، وهل أتاك نبأ ذلك الفارس الملثّم الذى كان يصول ويجول فى غزوة حنين، وقد فرّ المسلمون من المعركة حين اغترّوا بكثرتهم، ولم يبق مع رسول الله سوى نفر قليل كان منهم ذلك الفارس الملثم، الذى أظهر شجاعة وبطولة نادرة ، ويسأل عنه رسول الله فلم يعرفه أحد ، وانتهت المعركة بنصر المسلمين ، وعاد ذلك الفارس إلى رسول الله وكشف عن وجهه ، فإذا به امرأة ، وإذا هى أم سليم ـ رضى الله عنها ـ ، ويعجب زوجها فيقول : والله يارسول الله لقد تركتها فى دارى وهى تحمل جنينا فى أحشائها .

(جـ) **إنه ـ سبحانه ـ يشرح صدره، وينير قلبه** ، فيرى ما وراء الحجب والأستار، وتنكشف له الأمور الخفية على حقيقتها، يدخل رجل على الخليفة عثمان ، فيفاجئه بقوله : أما يستحيى الرجل أن يدخل علينا وأثر الزنا بين عينيه ؟ فيقول الرجل متعجبا : أوحى بعد رسول

الله ؟ فيقول له : لا ، ولكنه فراسة المؤمن ، وقد سمعت رسول الله يقول : اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

(د) إن المحب يجد لذة فى الطاعة ، ومتعة فى العبادة ، وسعادة لا يشعر بها أحد سواه ، حتى قال أحد المتصوفين : « لو يعلم الملوك ما نحن فيه من السعادة لقاتلونا عليه بالسيوف » ، تراه لا يشعر بالمحن التى تنزل به مهما جلّت ، بل يفرح بها وإن عظمت .

جاء فى البخارى : أن أنسا ــ رضى الله عنه ــ قال : غاب عمى أنس بن النضر عن أول قتال حدث بين المسلمين والمشركين، فلما كانت غزوة أحد ، ورأى المسلمين قد انهزموا لمخالفتهم أمر رسول الله ، حتى جُرح ، وشجّ وجهه ، قال أنس : اللهـم إنى أبـرأ إليك مما صنع هؤلاء ــ المشركين ــ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ــ المسلمين ، وأسرع إلى ملاقاة الأعداء ، غير عابىء بسيوفهم وضرباتهم ، ويقابلـه سعـد بن معـاذ منهزما ، فيفاجئه أنس بحقيقة رآها وأحس بها تكشف عن حقيقة إيمانه وقوة يقينه، فيقول له : ياسعد الجنه ورب النضر إنى لا أجد ريحها من دون أحد ، يقول سعد لرسول الله حين رأى انسا يصول ويجول وسط المعركة ، فوالله ما استطعت أن أصنع ما صنع يارسول الله ، وقد وُجد بعد انتهاء المعركة أن المشركين قد مثّلوا بجسمه شر تمثيل حتى لم يعرفه أحد سوى أخته عرفته بأطراف أصابعه ، وفيه وفى أمثاله نزل قول الله :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(٥)

فالسعادة الحقيقية إنما تكون بالعمل بكل مايرضى الحق ، وإن أغضب الخلق ، إنما تكون بالسير فى طريق الله المستقيم وإن كشّرت له الأيام والليالى عن أنيابها ورضى الله عن السيدة رابعة العدوية فقد قالت :

فليتك تحلـو والحيـاة مريـرة
وليتك تصفـو والأنـام غضاب
وليت الـذى بينى وبينك عامر
وبينـى وبين العـالمين خراب
إذا صح منك الودّ فالكـل هيّـن
وكل الـذى فوق الـتراب تراب

(٥) الأحزاب ــ ٢٣ ــ .

خُلُق المسلم

في ضوء الكتاب والسنة

(٣)

الفصل الثالث القيم الخلقية لبناء المجتمع المسلم

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف

تابع ما نشر بالفصل الثانى

قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٩٠)

هذه الآية تحدد خطة الإسلام والمسلمين فى الجهاد ، فقتال المسلمين مبنى على خلقين عظيمين لازالت المدنيات الحديثة فى حاجة إليهم .

الأول : العدل

فالقتال مقصور على المقاتلين ، فلا تقتل النساء ولا الأطفال ولا الرهبان لأنهم لم يقاتلوا ولم يعتدوا فكان من توجيهاته ﷺ لأمير الجيش (اغزو باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)(٩١) .

هذا هو القتال المحاط بسياج من الأخلاق الإنسانية والمبادىء والمثل العليا ، فلا يباح للمقاتل المسلم أن يغدر أو يخون أو يخدع ، ولا يتعرض للمسالم من الأعداء ولا يسمح له بأى حال من الأحوال أن يمثل حين يقتل ، ولا أن يتجرد من إنسانيته فيترك للنفس هواها من حب للإنتقام ، أو من رغبة فى التشفى حتى ولو كان ذلك الإنسان عدواً . وهذا يمثل القمة الأخلاقية السامقة التى تحلم بها البشرية حتى اليوم .

الثانى : الإحسان فى القتل :

فلا يكون تعقباً ولا تمثيلا ، بل يجهز عليه دون أن يعذبه أو يتعرض لخلقة الله بالتشويه والتمثيل – فإنما سمح له بقتل العدو لأنه عدو الله وللحق – فأمر بالإحسان فى قتله . قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله قد كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٩٢) .

لقد اخترع إنسان حضارة اليوم ما يبيد المدن ويدمر القرى ويهلك الحرث والنسل ويقضى على الخير فى هذه الأرض ؛ بل ويحولها إلى حلبة

(*) أمام ضغط المادة المقالية وقلة المساحة اضطرت إدارة التحرير إلى حذف بعض الفقرات اختصاراً للبحث – فى غير خلل بخطة البحث وتقسيمه – وذلك حتى يتسنى للمجلة نشر بقية مباحثه على طولها .. « مجلة الأزهر »

(٩٠) سورة البقرة/١٩٠ .

(٩١) صحيح مسلم بشرح النووى ح ١٢ ص ٣٧.

(٩٢) المرجع السابق ح ١٣ ص ١٠٦ .

مصارعة وساحة قتال ؛ بل غابة يأكل فيها القوى الضعيف .

إن الاعتداءات السافرة على المدنيين الآمنين العزل بلغت من الفظاعة ما تقشعر من هوله الأبدان . فأين الأخلاق التى يدعيها دعاة الحضارة والمدنية اليوم ؟!

إن حضارة اليوم نستطيع أن نسميها الحضارة الهمجية أو الحضارة المتوحشة والعدو الأول للإنسان فأين هى من أخلاق الإسلام ؟!

ثالثاً ـ المعاملات :

إن من أعظم مميزات النظام الإسلامى أنه نظام أخلاق تقوم تشريعاته وتنظيماته وكل معاملاته على أساس خلقى متين ، فلا يوجد عمل واحد فى الإسلام صغر أو كبر خارج عن نطاق الأخلاق ، أو قائم على غير ذاك الأساس الأخلاقى الشامل الذى يشمل كل تصرفات الإنسان ويجعلها علاقة بين الإنسان وربه قبل أن تكون علاقة بين فرد وفرد .

فالباحث فى فقه المعاملات يرى بوضوح أن الخلق القويم والنهج المستقيم هو الأصل وأن العدل والإحسان هو القاعدة . وهذا ما سأوضحه عند استعراضى لأنواع من المعاملات :

(أ) النظام الاقتصادى :

يقوم أصلا على قاعدة خلقية كبيرة وهى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ (٩٣) ، فلا ربا ولا استغلال ، ولا احتكار ولا غبن ولا غرر ولا غش ولا خبث فى الاقتصاد الإسلامى ، بل تجارة قائمة على تبادل المنافع ، وعلى التراضى . قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ ﴾ (٩٤)

(ب) نظام الأسرة :

إن من أبرز العلاقات الاجتماعية التشريعات الخاصة بالأسرة فالعلاقة الزوجية بين الزوجين فى شريعة الإسلام تقوم على ثلاث أسس خلقية عظيمة . (٥)

١ ـ المعروف والإحسان :

فوصف الله عز وجل التعامل بين الزوجين على أنه تعامل بالمعروف لأن السمة الأصلية الثابتة لكل المعاملات هى أن تكون بالمعروف ، وقد تكرر ذلك فى القرآن الكريم .

٢ ـ العدل :

بتحقيق المساواة وهى المعاملة بالمثل قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (٩٥) .

٣ ـ الشورى :

فالإسلام يجعل العلاقة بين الزوجين قائمة على مبدأ الشورى ، فلا تحكم ولا تسلط فالتفاهم على أمر من الأمور يتعلق بهما ؛ يجب أن يتم بالتشاور قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ (٩٦)

(جـ) القانون الدولى :

وهو ما يسمى العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الأمم ، إن هذا القانون قد

(٩٣) سورة البقرة/٢٧٥ .

(٩٤) سورة النساء/٢٩ .

(٩٥) سورة البقرة/٢٢٨ .

(٩٦) سورة البقرة/٢٢٣ .

(٥) إن الضوابط الأخلاقية التى وضعها الشارع للطلاق كثيرة ، جاء تفصيل معظمها فى سورتى « البقرة والطلاق » حماية لحقوق النساء ، فليرجع إلى ذلك من أراد الاستزادة .

حدد هذه العلاقات تحديداً حاسماً ، يعالج علاقاتها مع الدول والمجتمعات الأخرى بكل أشكالها فى حالتى السلم والحرب ، وهو فى مجموعه يعطينا صوراً مضيئة للأخلاق الإنسانية والمبادىء السامية ، ومن ذلك الوفاء بالمواثيق ، فلقد كان الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم ما تمسك به المسلمون ، بينما نجد الأمم قديماً وحديثاً تبرم المواثيق والعهود ، حين تراها صفقة رابحة ، أو حين تضطر مقهورة إلى إبرامها ، ثم تنقضها كلما رأت فى نقضها مصلحتها .

(د) القضاء :

إن أهم ما يميز القضاء فى ظل الشريعة العدل والمساواة أمام القانون ، ولأهمية الناحية الخلقية فى منصب القضاء نهى الشارع الحكيم أن يحكم القاضى وهو غضبان أو متأثر بمرض أو جوع أو عطش أو حر أو برد أو سآمة أو كسل ، فقد ورد فى الحديث عن عبدالرحمن بن أبى بكرة قال : كتب أبى وكتبت له إلى عبيد الله بن أبى بكرة وهو قاضى السجستان أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان)(٩٧) .

لقد التزم القضاة بآداب الإسلام وأخلاق الشرع فى الرعيل الأول ، وسطر لنا التاريخ القصص العجيبة التى كانت أغرب من الخيال ، كقصة على - رضى الله عنه - والدرع واليهودى ، وقصة عمر بن الخطاب وابن القبطى ، وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية قد طبقت العدل فى عالم الواقع ولم ترفعها شعارات خاوية ، ولم تنادى بها كمثل عليا .

(هـ) الرقيق والخدم :

لقد حظى الرقيق والخدم فى ظل الشريعة الإسلامية برعاية فائقة ومعاملة فريدة من نوعها ، فقد أمر الله عز وجل المسلم أن يعامل خدمه ورقيقه معاملة خاصة تقوم على العدل والرفق ،

وكان من توجيهاته ﷺ للإحسان فى معاملتهم أن يشاركوهم فى مأكلهم وملبسهم وأن يساعدوهم فيما شق عليهم من عمل ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : (للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق)(٩٨) .

وكان من وصيته ﷺ فى الإحسان إلى الخدم أنه قال (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) والخول هم : الخدم سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أى يصلحونها(٩٩) .

بل إن الإسلام ارتقى فى معاملة الخدم إلى مرتبة عليا فلم يسمح للمسلم أن يحقر رقيقه أو خدمه أو حتى يجرح مشاعرهم ، بل حافظ على كرامتهم ، فقال - عليه الصلاة والسلام : (ولا يقل أحدكم عبدى ، أمتى ، وليقل فتاى ، فتاتى ، غلامى)(١٠٠) .

(٩٧) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٢ ص ١٥

(٩٨) ابن حجر ، فتح البارى ج ٥ ص ١٧٣

(٩٩) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(١٠٠) المصدر السابق ج ٥ ص ٥٨١ .

وهكـذا ضمـن الإسلام للرقيـق حقوقـــه الإنسانية ، وعامله كفرد داخل الأسرة المؤمنة لا كطبقة ثانية مكلفة بالخدمة مهضومة الحقوق كما هو الحال فى المدنيات القديمة والحديثة .

كما أن نظام المكاتبة خير شاهد على كرامة الرقيق فى ظل الشريعة الإسلامية .

القيم الخلقية الأساسية لبناء المجتمع المسلم :

إن القيم الأساسية لبناء المجتمع كما جاءت فى الكتاب ، والسنة هى قيم ثابتة منبثقة عن عقيدة صحيحة وتستند على أساس متين هو الإيمان بالله ، الذى جعل اعتناقها دينا يثاب فاعلها ويعاقب تاركها ، لتجعل من الفرد المسلم الملتزم بتلك القيم نموذجا للفرد الفذ والإنسان الاجتماعى التقى النقى الخلوق المهذب ، ولتبنى مجتمعا إسلاميا فريدا من نوعه .

ومن أهم هذه القيم الثابتة التى لا تتبدل باختلاف الزمان والمكان ما يلى :

١ ـ العـدل :

إن موضوع العدل فى الإسلام من المواضيع الأساسية التى لا يمكن التهاون فيها فالآيات الكثيرة التى أمر الله فيها بالعدل تتسم بالجدية والحزم ، فيأمر الله ــ عز وجل ــ عباده المؤمنين بإقامة العدل فيقول ــ عز وجـل ــ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ **النحل/٩٠**

والعدل أن تعطى الآخر حقه كاملا غير منقوص ، فالحكم بين الناس يحتاج إلى عدل والتعامل مع الناس يحتاج إلى الإحسان ، ولذا فإن الله ــ عز وجل ــ أمر بالعدل والإحسان

وبمقدار التطبيق الحقيقى للعدل يقاس رقى المجتمعات وتخلفها وصلاحها وفسادها ، فالعدل أخطر قيم المجتمع على الإطلاق .

والعدل فى الإسلام معناه العدل مع الجميع مع الصغير ، والكبير ، والعدو ، والصديق ، والغنى والفقير والمسلم ، وغير المسلم . العدل حتى مع الكراهية والبغض وهو قمة العدل قال تعالى :

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ المائدة/٨

أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل مع كل أحد صديقا كان أو عدوا[١٠١] .

ومما وعاه التاريخ وقفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ بجانب خصمه اليهودى الذى سرق درعه أمام القاضى الذى لم يمنعه إكباره وإجلاله لأمير المؤمنين أن يطلب منه البينة على سرقة اليهودى درعه ، ولما لم يجد أمير المؤمنين البينة حكم القاضى لليهودى على أمير المؤمنين[١٠٢] .

والتاريخ الإسلامى حافل بأمثال هذه الأخبار الدالة على سيادة الحق والعدل فى المجتمع الإسلامى وحرية القضاء واستقلاله فى المحكمة الإسلامية .

ويدخل تحت العدل استخدام قاعدة التحكيم بين المتنازعين وهى إجراءات عملية وضعها القرآن الكريم لمواجهة ما يقع فى المجتمع من خلاف وفتن وقلاقل تخلخل كيانه لو تركت بغير علاج . قال ــ تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ الحجرات/٩

(١٠١) ابن كثير ج ٣ ص ٣٠ .

(١٠٢) وكيع محمد ابن خلف بن حيان ، أخبار القضاة ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، عالم الكتب ــ بيروت .

٢ ـ المســاواة :

من القيم الكبرى التى جاء بها الإسلام وقررها القرآن المساواة وهى مبدأ أصيل من مبادىء هذا الدين العظيم ، مبدأ منبثق من وحدة الأصل والمنشأ ــ قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء/١

فالإسلام ينظر إلى الناس بمختلف أجناسهم وشعوبهم ولغاتهم بنظرة الوحدة الإنسانية المنبثقة من وحدة الأصل والمنشأ ، فما خلق الله ـ تعالى ـ هذه الألوان والأجناس لكى يتدابروا ويتقاطعوا بل لكى يتعارفوا ويتعاونوا قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات

فالآية تؤكد حقيقة عظمى لو استقرت فى النفوس لزالت كل الحزازات والعصبيات القبلية والعنصريات البغيضة والتمايز الطبقى .

فإن مزية الإسلام الجوهرية هى الدعوة إلى المساواة فهذا الدين يقوم على التوحيد والوحدة فهما صنوان لا يفترقان (فأبناء هذه الأمة : المسلمون كما قال ﷺ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم)(١٠٣)

وكان من توجيهاته ﷺ المستمرة فى هذا الباب لتصحيح مفاهيم الصحابة من موروثات الجاهلية وتصحيح الموازين التى يقيم بها الناس بعضهم بعضا ما رواه البخارى بسنده : (عن سهل بن سعد الساعدى قال : مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا ، قالوا : حرى إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع ، قال ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا قالوا : حرى إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع ــ فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)(١٠٤) .

وهكذا استطاع ــ عليه الصلاة والسلام ــ بتلك التوجيهات أن يرسم للإنسانية معالم المدينة الفاضلة ويقضى على النعرات والعصبيات .

فحقق المسلمون معنى المساواة على حقيقته حين جلس بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى جنبا إلى جنب مع أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فى القمة من العرب ومع العباس وعلى فى القمة من قريش .

٣ ـ الإخـــاء :

يتميز المجتمع الإسلامى بسيادة شعور المحبة والإخاء فيه ذلك أن رابطة الأخوة فى الله تقوم على عقيدة إيمانية راسخة ــ قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات/١٠

فالأخوة فى الله من أوثق روابط النفوس وأمتن عرى القلوب وأسمى صلات العقول والأرواح ، لأن الأخوة الإيمانية جزء لا يتجزأ من العقيدة التى تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم .

قال تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

(١٠٣) الآبادى ، محمد شمس الحق . عون المعبود ، شرح سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٦٠ ، المكتبة السلفية ط ٢ المدينة المنورة

(١٠٤) ابن حجر ــ فتح البارى ج ٩ ، ١١٠ ــ ١١١

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ آل عمران/١٠٢

لقد تحولت هذه المعانى إلى حقائق ذهنية استوعبها الذهن والقلب فصدر عنه سلوك عملى من صحابة رسول الله ﷺ حينما بلغوا هذه الدرجة من المحبة الأخوية ، وهى درجة الإيثار فامتدحهم بقوله :

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ سورة الحشر

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، اختار منها هذا الحديث الذى يوضح قيمة هذا الحب الأخوى فى الله .

الحديث الذى رواه مسلم : (قال رسول الله ﷺ إن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها قال : لا غير أنى أحبه فى الله ـ عز وجل قال : فإنى رسول الله إليك أبشرك أن الله قد أحبك كما أحببته)(١٠٠) .

فالمجتمع الإسلامى الذى أسس على المحبة والأخوة فى الله مجتمع سعيد قوى غنى لأن المحبة هى أنجع وسيلة إلى تهذيب الأخلاق وتكميل النفوس وهى سر الله المخزون الذى تشفى به الأدواء والرياق الذى تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية وهى أنجح وسيلة لاقتلاع شجرة الشر من النفوس ، وإبادة أنواع الفتن من العالم ، وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء وسارت بهم أسرع ما تكون فى طريق الارتقاء .

كما ورد فى التحذير من التشاحن والتفرق وكل ما يؤدى إلى قطع هذه الصلة الأخوية أو إفسادها أو إضعافها ما لا يحصى من الآيات والأحاديث الصريحة الصحيحة ، وكأنها مرمى الدين الذى لا يريد غيره .

فقد جاءت سورة الحجرات بقواعد الأدب النفسى الذى يحكم المسلمين فى المجتمع ، قواعد قائمة على المحبة والاحترام والمحافظة على حقوق الآخرين فالمجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس .

بعد ذلك يأتى النهى عن الغيبة ، وهى ذكر الإنسان أخاه المسلم فى غيبته بما يكره سواء كان الذكر صراحة أو كناية أو إشارة أو رمزاً وسواء كان ما يذكره متعلقا بدينه أو دنياه وبخلقه أو خلقه .

البذل والإنفـاق :

من الحقائق الثابتة فى الإسلام أن الأخوة الإيمانية ليست شعارات ترفع إنما هى رابطة مقدسة لها التزاماتها وتكاليفها وحقوقها ومنها البذل والإنفاق (الواجب والمستحب) الذى لا يستغنى عنه المجتمع المسلم وذلك لتحقيق التكافل والتضامن والتعاون بين أفراده فقد جاءت الآيات التى تتحدث فى هذا الموضوع فى مواضع شتى من القرآن الكريم ولكن يجدها القارىء كوحدة موضوعية فى أربعة عشر آية متتابعة فى سورة البقرة لتعطينا تصورا كاملا عن هذه القيمة الاخلاقية الهامة فى بناء المجتمع المسلم الفاضل ممثلة فى الزكاة والصدقات .

(يتبع)

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد : م . ع . ح

١ ـ ما معنى هذه العبارات التى ترد فى آخر كل حديث وهى :

رواه الخمسة ـ رواه الجماعة ـ أخرجاه ـ متفق عليه ـ وهذا رأى الجمهور .

٢ ـ بعض الناس وخاصة المؤذنين يتغنون فى الأذان واللحن بحيث تؤدى إلى تغير كلمات الأذان ، أو خروجها عن معناها مثل :

أكبار ـ أجبر ـ أشهدو ، فهل هذه حرام أم مباح ، أم حلال ؟

٣ ـ ما معنى هذا الحديث : ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل من إذا قطعت رَحِمُهُ وصلها ؟ أفيدونا أفادكم الله .

جـ ١ : المقصود من عبارة رواه الخمسة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

ورواه الجماعة : جل رواة الحديث الشريف .

وأخرجاه : يعنى الشيخان البخارى ومسلم .

متفق عليه : يعنى رواه الإمامان البخارى ومسلم .

وهذا رأى الجمهور : معظم الفقهاء أو المحدثين .

جـ ٢ : إذا ترتب على التغنى بالصوت فى الأذان تحريف : (مثل ـ أكبار ، أجبر ـ أشهدو) فهذا من المكروهات ، وينبغى على من يفعل ذلك أن يلتزم بالصحيح .

جـ ٣ : المعنى الإجمالى لحديث : ليس الواصل بالكافىء ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمة وصلها .

هذا الحديث يحث الناس على صلة الرحم ، وأن المرء إذا أراد أن يكافىء أحدا أو أن يصله ببره فإن أولى الناس بذلك هم رحمه وذووا قرباه ، وقد وردت فى ذلك عدة أحاديث شريفة ، وعلى المسلم التخلق بالخلق الإسلامى السامى لا ينتظر على صلته هذه أن يكافأ بمثل فعله ، فهو واصل دوما لرحمه وذوى قرباه ، وَصَلُوهُ أم لم يصلوه والأرحام هم الأقارب الذين يرتبطون مع الإنسان بنسب سواء كانوا يرثونه أم لا يرثونه حتى يصل أرحامه ، ولو كانوا غير مسلمين .

السؤال من السيد ع.ح.ب من أدفو أسوان :

ما حكم استقبال أهل البيت للمعزين أثناء قراءة القرآن كلما دخل داخل .

وهل المقصود بآية « فاستمعوا له وأنصتوا » العموم ، أم أثناء الصلاة فحسب ؟

وهل من يستقبل ضيوفه أثناء القراءة يكون حاله كحال الكافرين الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت ٢٦

أفيدونا أفادكم الله .

جـ : حكم استقبال أهل البيت للمعزين أثناء قراءة القرآن الكريم كلما دخل داخل مكروهة ؛ لأن من المواضع التى يكره فيها إلقاء السلام إذا دخل الإنسان إلى مجلس علم أو قراءة . والمقصود بآية « فاستمعوا له وأنصتوا » العموم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما من يستقبل ضيوفه أثناء القراءة فلا يقاس ذلك على حال الكافرين كما ذكرت فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد : ع.م.م

رجل له ولد وأربعة بنات ، تزوجوا جميعا فى حياته ، الأولى توفيت فى حياة أبيها وأنجبت ولدا وبنتا ، توفى الولد بعد أمه وفى حياة جده ، بعد وفاة البنت تزوج زوجها أختها الصغرى ، وبعد وفاة الأب فوجئنا بالزوج يطالب بإرث زوجتيه الأولى المتوفاة وولدها قبل أبيها ، والأخرى التى (على) ذمته ، وصعد الخلاف حتى وصل إلى طلاق الزوجة ، ثم ردها إلى عصمته مرة أخرى . والسؤال هل ترث هذه المتوفاة فى حياة أبيها ؟ أم لا .

علما بأن التركة المتنازع عليها مساحتها ستة قراريط وربع القيراط ، وكم نصيب كل من الأخ واخوته البنات الثلاث الباقيات على قيد الحياة ورابعتهم المتوفاة وابنها فى حياة أبيها ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت البنت المتوفاة قبل والدها ، بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م . وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاهم شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلهم . فتقسم التركة ستة أجزاء ؛ جزء منها وصية واجبة لبنت البنت والباقى وهو : خمسة أجزاء هو الميراث للابن والبنات الثلاث الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله ـ تعالى ـ أعلم .

حوار مع :

نائب رئيس جامعة الأزهر

الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام

اعداد الأستاذ نظيم سلامة

الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام على .. هو نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الطلاب والتعليم ، وهو يعد واحداً من أعلام القانون الدولى العام ؛ فقد اختير ضمن أحسن سبعة أساتذة فى القانون الدولى العام فى العالم ، وقد أتيح لى إجراء حوار مع سيادته عن : علاقة القانون الدولى بالتشريع الإسلامى ، وظاهرة الإرهاب الدولى ، والقضية الفلسطينية ، والعلاقات العربية الإسرائيلية ، والمؤتمرات العلمية التى حضرها فى الداخل والخارج ، كما أتسع الحوار ليشمل أنشطة مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بوصفه مديراً له .

ولنبدأ بإلقاء الضوء على نشاطاته ومؤهلاته العلمية ، وتدرجه الوظيفى .

المؤهلات العلمية :

- ليسانس حقوق ـ جامعة القاهرة ١٩٦٢م .
- دبلوم القانون العام ـ جامعة القاهرة ١٩٦٣م .
- دبلوم العلوم الإدارية ـ جامعة القاهرة ١٩٦٤م .
- دبلوم « أكاديمية لاهاى » للقانون الدولى (هولندا) ١٩٧١م .
- دكتوراه فى القانون الدولى العام ـ جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

التدرج الوظيفى :

- معيد بكلية الحقوق جامعة القاهرة لعدة أيام ١٩٦٢م .
- وكيل نيابة عامة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧م .
- عضو بعثة من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠م .
- مدرس بقسم القانون العام / كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥م .
- أستاذ مساعد من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠م .
- أستاذ من ١٩٨١م حتى الآن .

● رئيس قسم القانون العام بكلية الشريعة والقانون ١٩٨١ ـ ١٩٩٣م .

● نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب من ١٩٩٣ حتى الآن .

● مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى التابع لجامعة الأزهر من عام ١٩٩٠ حتى الآن .

● مقرر لجنة « ترقية أستاذ القانون العام » بكلية الشريعة من ١٩٨٢ حتى الآن .

وهناك أعمال هامة مسندة إليه بحكم وظيفته ؛ فهو :

● رائد شباب الجامعة ، يساعد رؤساء لجانها فى مختلف الاستشارات القانونية ، والتحقيقات ، وكل ماله صلة خارجية للجامعة مع الجامعات الأخرى .

● يعتبر تجميع كل رسائل جامعة الأزهر على وسيط « ميكروفيلم » أعظم أعماله التى أشرف عليها ، لما لهذا العمل من أهمية علمية قصوى ويتصل ـ بهذا العمل ـ مشروعه لوضع الرسائل على قاعدة بيانات يمكن تداولها فى كل مراكز المعلومات فى العالم .

مع مشيخة الأزهر الشريف :

● شرفه فضيلة الإمام الأكبر بتمثيله فى العديد من المؤتمرات واللقاءات العلمية فى مصر وخارجها .

● كذلك شرفه بعضوية اللجنة الاقتصادية المنبثقة من لجنة الفقه الإسلامى ، وكلفته اللجنة بإعداد الكثير من الأوراق العلمية حول شهادات الاستثمار والتأمين .

● كذلك هو عضو لجنة تعيين القيادات الإدارية والفنية بالأزهر الشريف ، وعضو المجلس الأعلى للأزهر بحكم وظيفته .

● تشرف بعضوية الوفد الذى سافر إلى الاتحاد السوفيتى سابقاً ، والوفد الذى سافر إلى السنغال برياسة فضيلة الإمام الأكبر فى إبريل من العام ١٩٩٥م .

عضوية المؤسسات والجمعيات العلمية :

● انتخب أميناً عاماً لرابطة الجامعات الإسلامية فى شهر أبريل الماضى بالإجماع من ممثلى ثمانين جامعة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وانتخب عضواً بمجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى منذ عام ١٩٦٩م ، وعضواً بمجلس إدارة الجمعية المصرية للأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٣م ، وعضواً بجمعية الحقوقيين الدوليين ، والجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع ، والجمعية الأفريقية ، وعضواً بمركز التحكيم التجارى الدولى بـ (أبو ظبى) .

● واختير ضمن موسوعة أبرز الشخصيات المصرية التى أصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات ـ الإصدار الأول .

أهم المؤلفات :

١ ـ دروس فى الجنسية ومراكز الأجانب ـ كلية الشريعة عام ٦٩/١٩٧٠م .

٢ ـ المنظمات الدولية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧١م .

٣ ـ الوجيز فى القانون الدولى العام ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٣م .

٤ ـ الوسيط فى القانون الدولى العام ـ

جزءان ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة عام ١٩٧٥م .

٥ ـ النظم الدبلوماسية والقنصلية . دار النهضة العربية ـ القاهرة عام ١٩٧٥م .

٦ ـ قضية فلسطين أمام القانون الدولى ـ مركز البحوث والتنمية جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ١٩٧٦م .

٧ ـ النظام الإدارى السعودى ـ الدار السابقة بالقاهرة عام ١٩٧٧م .

٨ ـ الإطار القانونى للنظام الاقتصادى الدولى الجديد ـ جدة عام ١٩٧٧م .

٩ ـ المدخل لدراسة التشريع السعـــودى بالاشتراك مع ا . د . عبد الناصر العطار ، ا . د. محمد عمر مدنى القاهرة ١٩٧٨م .

١٠ ـ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية على ضوء أحكام القانون الدولى ـ دار النهضة المصرية ـ القاهرة عام ١٩٨٠م .

١١ ـ قواعد العلاقات الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية . مكتبة السلام العالمية القاهرة عام ١٩٨١م .

١٢ ـ قانون العلاقات الدولية ـ دار الكتاب الجامعى ـ القاهرة ١٩٨٣م .

١٣ ـ الإطار القانونى للنشاط الإعلامى ـ دار النهضة ١٩٨٨م .

١٤ ـ القانون الدولى لحقـــوق الإنسان ، والقانون الدولى الإنسانى مقارنة بالشريعة الإسلامية ـ دار النهضة ١٩٨٨م .

١٥ ـ من أوراق القضية الفلسطينية ـ دار النهضة ١٩٩١م .

فضلًا عن البحوث العلمية التى قدمها فى العديد من المؤتمرات التى شارك فيها .

ونبدأ حوارنا مع فضيلته :

● **ا . د . جعفر عبد السلام . هل نجحت فى تقريب المسافة بين القانون الدولى العام والتشريع الإسلامى ؟**

● ● فى الحقيقة أن جمعاً كبيراً من فقهاء القانون الدولى يرون أن كثيراً من فقراته مصادرها الشريعة الإسلامية الغراء ، والحقيقة كذلك أن كل الموجود فى تفسير المعاهدات حينما تقرؤه تشعر كما لو كنت تقرأ فى أصول الفقه الإسلامى .

وعندما تقرأ . كتاب (فانيل ـ ١٨٩٩) أحد فقهاء القانون تحس كأنك تقرأ فى تفسير قواعد الفقه ، فمن فقرات القانون الدولى مثلًا : (إعمال النص خير من إهماله ـ عند الشك خذ بالأقل ـ استخدام المعنى العادى الشائع بين الناس فى التفسير) .

وأعتقد أن (سِيَرائِر) ومدرسته الأسبانية فى القانون الدولى تأثرت بالدراسات فى الأندلس الإسلامية ، كما أعتقد أن هناك صلة بين هذه المدرسة والمدارس الفقهية القديمة ، فكلها تأثرت بالدراسات الإسلامية ، وإننا إذا أردنا أن نفهم القواعد القانونية كمبدأ فعلينا أن ندرس تأثير هذه القواعد الثلاثة على تطوير القانون الدولى وهى (الدين ـ العلم ـ الاقتصاد) .

● **كنت أحد المفاوضين فى قضية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل بعد حرب ٧٣ ، فما حقيقة شعورك وأنت تشارك فى إنهاء قضية من أهم القضايا العربية فى العصر الحديث ؟**

● ● القضية الفلسطينية والعلاقات العربية الإسرائيلية . هى قضية كل مصرى مفكر وقد ركزت كل اهتمامى بهذه القضية ، وقدمت العديد من الدراسات ، منها : كتاب (معاهدة السلام المصرية الاسرئيلية) _ كتاب (من أوراق القضية الفلسطينية) _ وكتاب (فلسطين أمام القانون الدولى) _ وكتاب (الأساس القانونى لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى) .

كنت أشعر أثناء التفاوض أننى أمام تَحَدٍّ حضارى ، وعدو قوى تؤازره القوى الكبرى فى العالم ، متظاهراً بأنه يعمل فى واحة للديمقراطية والحرية بينما هو يجاهد حتى فى (كلمة) تكتب ، أو يتم التفاوض بشأنها لكى يحصل على مزايا ومكاسب عديدة .

لذلك كان عندى إحساس بالتحدى وبالرغبة فى الحصول على مزايا لوطنى ، ومصارعة هذا العدو كما صارع هو أبناء مصر والإسلام والعرب فى ميادين القتال ، وهذا الإحساس وتلك الرغبة هما فى الحقيقة ما ينبغى أن يُتَسَلَّح به فى أى حديث أو عمل تجاه إسرائيل .

● اختارتك أعلى هيئة قضائية فرنسية ضمن أحسن سبعة أساتذة فى القانون الدولى العام فى العالم . فما تلك الهيئات العالمية ، وما أهم المؤتمرات التى شاركت فيها ؟

● ● كان من حظى أن أذهب إلى « لاهاى » وأشترك فى برامج بحثية ، وأن أذهب كذلك إلى مجمع القانون الدولى فى بلجيكا ، وأن أقدم أبحاثاً للجمعية الأمريكية للقانون الدولى .

أما عن المؤتمرات ؛ فقد حضرت فى الشهر الماضى مؤتمراً عن (ديون العالم الثالث) فى إيطاليا ، حيث قدمت دراسة موسعة عن مدى شرعية هذه الديون على ضوء أحكام الشريعة والقانون الدولى .

وفى هذا العام حضرت مؤتمراً فى ألمانيا كنت أمثل فيه الأزهر ودار حول وثيقة (إنشاء الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة) .

كما حضرنا مؤتمراً فى بلجيكا _ العام الماضى عن : (السلام والعلاقات الدولية) .

وهناك العديد من المؤتمرات التى ننظمها _ ليس فقط التى نحضرها _ داخل جامعة الأزهر . إلى جانب عشرات الندوات والمحاضرات فى كل شئون العالم العربى والإسلامى . والقانون الدولى داخل الجامعة .

● قضية الاعتداء على شخصية الرئيس مبارك . يتعلق بها الكثير من القوانين الدولية التى تحافظ على حياة الرؤساء والملوك فهل لنا أن نطَّلع على دورها ..؟

● ● رئيس الدولة ذو مركز ينظمه القانون الدولى ، وله صلاحيات واسعة بحكم أنه يمثل الدولة ، وأنه المتحدث باسمها أمام العالم الخارجى .

وهناك ضمانات واسعة نص عليها القانون الدولى لرئيس أية دولة ، ابتداء من طريقة مخاطبته بالتبجيل والاحترام لشخصه مثل : (سيادة الرئيس _ أو فخامة الرئيس _ أو جلالة الملك _ إذا كانت الدولة مملكة) . إلى جانب الحماية الكاملة التى تنص عليها هذه الضمانات مثل : الحصانة الشخصية ، والحصانة القضائية ، وحصانة المسكن ، وحصانة السيارة .. إلخ .

وكلها تقتضى فرض حراسة مشدَّدة على شخصية رئيس الدولة ومنع أى منفذ للاعتداء عليه ، والعقوبة المشدَّدة على من يحاول ذلك .

لقد كان من تكريم الرئيس أو الملك عندما ينتقل إلى دولة أخرى أن ويعتبر كأنه على أرض من امتداد دولته ، حتى سُمى هذا الوضع بـ« عدم التواجد الإقليمى »وإمعاناً فى تطبيق هذا المبدأ لا يخاطب بقوانين الدولة المضيفة ، ولا يخضع لأنظمتها ، ولا لقضائها .

لذلك فى تصورى القانونى أن إثيوبيا لم تحافظ على حياة « الرئيس مبارك » بما يمكن أن يعتبر تطبيقاً لقواعد القانون الدولى .

أما العدوان الذى تعرض له الرئيس نفسه فهو (جريمة وطنية) فى القانون الأثيوبى و(جريمة دولية) تمثل جريمة إرهاب بحكم أن كل عدوان على رئيس الدولة لايقصد به شخص الرئيس فقط ، وإنما هو أيضاً عدوان بالدرجة الأولى على الدولة التى يمثلها .

● فى عام ١٩٣٧م اغتيل « الكسندر الثانى » ملك يوجوسلافيا ، وكان فى زيارة لدولة مجاورة ، وسرعان ما تكاتفت الدول لعقد مؤتمر « دولى » فى فرنسا للتصدى لظاهرة الإرهاب ، وكان من أهم توصيات هذا المؤتمر :

● عدم حق اللجوء السياسى لمرتكبى هذه الجرائم .

● ثم وجوب تتبع الجناة وتسليمهم لجهة الاختصاص لمحاكمتهم .

فهل هذا الإجراء يكفى للقضاء على ظاهرة خطيرة كهذه الظاهرة .؟!

● ● إن ظاهرة الإرهاب وضعت فى جداول المؤتمرات الدولية منذ عام ١٩٣٦م ، وأضيف إليها غيرها من الجرائم والأسباب التى تجعل الأشخاص يضحون بحياتهم من أجل قضايا معينة ، والإرهاب جريمة ، ذات قصد خاص ليس منه السلب والنهب ، لذا كان الإرهابى مجرماً عير عادى بل مجرم له قضية تتصل بتغيير نظام الحكم ، وتلبية لبعض المطالب التى ينادى بها ، ومن ثَمَّ يرتكب جريمته .

هذا ثم إنها جريمة موجهة إلى مسئول ، ففئة الحكام هى المستهدفة لهذا اللون من الجرائم ، ظناً من أصحابها أن هذا هو طريق الاستجابة لمطالبهم عن طريق : (ارهب عدوك وانشر قضيتك ، أو استخدام أقل قدر من التعب للوصول إلى نشر قضية والإعلام بها فى كل وسائل الإعلام وهى أيضاً قضية ضد النظام السياسى .

وهناك جوانب أخرى لهذه الظاهرة منها القضية الاقتصادية ؛ لأن الإرهابى يستغل أوضاعاً اقتصادية معينة لكى يلعب على أوتار الجماعة .

وقضية مثل هذه لا تعالج كقضية عادية ، وإنما يجب أن توجد تدابير عسكرية شديدة للقضاء عليها ، ولابد من دراسة الظروف التى تدفع لارتكاب هذه الجريمة كما ذكرت الأمم المتحدة ، ولابد أن تشارك الدول بكافة هيئاتها فى إصلاح الأحوال الاجتماعية والسياسية حتى لا يستغل ــ الطرف الإرهابى ــ سوء الظروف السائدة فى بعض الدول ، فتكون مرتعاً خصباً للعمل الإرهابى.

● سيادتكم ــ باعتباركم علماً من أعلام القانون الدولى العام فى مصر والعالم ــ ماذا

ترون فى القضية الفلسطينية ، وقضية لبنان ، وقضية البوسنة ، والشيشان ؟

● ● أولاً : القضية الفلسطينية :

القضية الفلسطينية هى قضية صراع حضارى بين العرب والمسلمين واليهود ، وفى تصورى لم تهزم حضارتنا أبداً ، ولن نهزم ـ إن شاء الله ـ فى الجولة الفاصلة . مع أن إسرائيل ستكون أقوى لفترة ، إلا أن الاسترداد للعرب والإسلام سيأتى من غير معادلة ، وسيكون لنا ـ إن شاء الله ـ الغلبة . ولن يكون عنصر التفوق المادى حاسماً لصالح إسرائيل فى المرحلة المقبلة .

ثانياً لبنان :

لبنان جزء من العالم العربى الإسلامى .. وقد حرص لبنان على أن ينهى كافة التناقضات العربية . وهو فى طريقه إلى الإصلاح . وإن كان صراع العالم العربى لازال باقياً فى داخله ولكنه سينتهى فى الأيام القادمة ـ إن شاء الله ـ وسيظل لبنان داخل الصف العربى و الإسلامى فى السنوات القادمة .

ثالثاً البوسنة :

صراع دموى حضارى بكل المقاييس وبسبب البوسنة تأججت نار الحرب العالمية الأولى فقد قتل صربى متعصب من البوسنة ولى عهد النمسا ، وكان ذلك من أسباب قيام الحرب العالمية الأولى .

والبوسنة هى البلقان ، وهى المسألة الشرقية التى أثيرت منذ سنوات عدة ، وستظل تحدياً ومحكاً لقضية رئيسية .

فهل سينجح المسلمون والعرب فى إدامة الوجود الإسلامى فى القارة الأوربية ، أم أن التعصب العرق الأوربى سينجح فى القضاء على فكرة قيام دولة إسلامية فى قلب أوربا ؟

إنها مسألة أثيرت فى بداية وأواخر القرن الحالى بعد أن ضعف الرجل المريض (الدولة العثمانية) وتجدد الصراع فى إطار دموى رهيب وإن كانت المقاومة الإسلامية ، والحركة الإسلامية يعتبران أيضاً فى إطار هذا الصراع .

رابعاً الشيشان وروسيا :

هى دول شمال القوقاز وهى تمثل الفردوس المفقود فى هذه المنطقة الهامة من العالم ؛ فهى من أجود مناطق العالم زراعياً ، وأهلها الذين أقاموا فى ستة أقاليم استقلوا بالحكم الذاتى وهم مسلمون .

ولقد قاد (شامل) صراعاً دموياً رهيباً غير متكافىء من شمال القوقاز استمر حوالى ١٠٠ مائة عام تحت راية الإسلام ثمّ انتصرت روسيا على هذا التجمع الاسلامى ونكّلت بالمسلمين لذلك صار عددهم الآن نحو ستة ملايين بعد أن كانوا مائة (١٠٠) مليون ، وهكذا يبدو الصراع غير متكافىء وغير طبيعى بين مسلمى الشيشان وبين روسيا وترسانة قوية من الأسلحة والعتاد . ولكن المسلمون هنا يبدون مقاومة فريدة ، ولا يجعلون الصراع يخضع لحساب القوة والضعف .

ثم انتقل الحديث إلى محيط الجامعة :

● وماذا قدمتم لطالب جامعة الأزهر من أجل إعادته على ما كان عليه من مكانة علمية وأدبية ؟

● ● إننى دائماً فى اتجاهاتى للدراسات المتخصصة والأبحاث ـ أحيط أولادى علماً بموقف الشريعة الإسلامية ، هذا سبيلى فى عملى الجديد كى يتفوق طالب الأزهر ، ويكون على دراية بمصادر الشريعة حتى نعيد للأزهر مكانته العريقة .

ثم ـ باعتبارى نائباً لرئيس الجامعة لشئون الطلاب والتعليم ـ أبذل قصارى جهدى فى تطوير كل مناهج الدراسة لكى تحقق أصالة العلم الدينى من ناحية ، ثم ما تم دراسته ، من ناحية أخرى بحيث يكون الطالب متفقهاً وعالماً بما يدور حوله فى العالم من تغيير .

كذلك أريد أن تكون الدراسة ذات هدف ذاتى يتمثل فى إحساس الطالب بأنه يمثل حضارة إسلامية ومدنية ، وعلينا دائماً أن نسهل امتداد الحضارة حتى تبقى فى ضمير الطالب وحياته ، وتتحول إلى سلوك لينال أفضل المناصب فى حياته ، ويقوم بالأعمال التى يتطلبها دينه وعقيدته ، وذلك إعمالًا لقول الحق ـ سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

● ما أنشطة المركز الاقتصادى الإسلامى فى الجامعة باعتبار سيادتكم مديراً له ؟

● ● هذا المركز يعتبر منارة للعلم والتطور فى الجامعة . ليس فقط بما يعقد فيه من مؤتمرات وندوات وأبحاث علمية كل يوم ، وإنما أيضاً باعتباره مركزاً للبحوث والدراسات والمجلات العلمية .

وسلسلة الدراسات والبحوث التى تصدر عنه متعرضة لكل مشاكل المسلمين ، والمشاكل المصرية فيما يتصل بالزوايا الاقتصادية والاجتماعية .

مركز دراسة السنة النبوية الذى يقوم على جمع كل الأحاديث من ستة وثلاثين مسنداً ومصنفا ، ويحققها عن طريق علماء السنة فى الجامعة مستهدفاً فى النهاية ـ عمل موسوعة للسنة المطهرة مصدرها ليس فقط الكتب الستة ، وإنما حوالى ستة وثلاثين مسنداً محققة جيداً حيث قد درس كل راوٍ بتاريخه وعلاقة الأحاديث بالعلوم الدينية ، فضلًا عن المصنفات المعروفة فى كتب السنة .

وقد استخدمنا أحدث مخترعات العصر الحديث (الحاسوب الآلى) فى مجال هام فى الشريعة (المصدر الثانى للتشريع) أعنى السنة النبوية ونأمل أن ينتهى مشروعنا فى أعوام قليلة .

وقد تم تسجيل الرسائل الجامعية على « الميكروفيلم » خلال الثلاث سنوات الماضية وإن شاء الله سنوجد (مكتبة ميكروفيلمية) يستطيع الباحث من خلالها الحصول على كل المعلومات التى يريدها بسهولة ويسر .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقــا »

للشاعر الصحابى الجليل حسان بن ثابت :

تالله ما حملت أنثـــى ولا وضعت
مثـل الرسول نبى الأمـة الهادى
ولا بَرَى الله خلقــا من بريتــه
أوفى بذمـــة جار أو بميعـــادِ
من الـذى كان فينـا يستضاءُ به
مبـارك الأمــر ذا عدل وإرشاد

« بين المهدى ورجل »

تقدم رجل للمهدى وقال له : لك عندى نصيحة يا أمير المؤمنين ؛ فقال له المهدى : وهل نصيحتك هذه لنـا ، أم لعامـة المسلـمين ، أم لنفسك ؟

قال الرجل وهو مأخوذ : إنما هى نصيحة لك خالصة يا أمير المؤمنين ؛ فأجاب المهدى :

إعلم يا هذا بأن الساعى ليس بأعظم عورَة ، ولا أحرج موقفا ممن قبل السعاية ، فأنت لا تخلو من أن تكونِ حاسد نعمة ؛ فلا نشفى غيظك ، أو عدوا ؛ فلا نعاقب لك عدو ، ولا ينصحُ لنا ناصح إلا بما فيه لله رضا وللمسلمين صلاح ، فالظاهر لنا والباطن ليس لنا ، ومن استتر عنا لا نكشفه ، ومن بادأنا طلبنا توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته ، فإنى أر أن التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبـة ، والسلامـة مع العفـو أكثر منها مع المعاجلة ، والقلوب لا تبقى لوال لا يتعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم ، فأين أنت مما سمعت ؟

« حين علينا تقدمون »

قيل لبعض المجانين ، وقد أقبل من المقبرة ، من أين جئت ؟ فقال : من هذه القافلة النازلة ، قيل : ماذا قلت لهم ؟ قال : قلت لهم : متى ترحلون ؟ فقالوا : حين علينا تقدمون .

« حق النعمـة »

أن تحسن لباسها ، وتنسبها إلى وليها ، وتذكر ما تناسى عندك منها .

« أعلى قميصك .. تبكى ؟ »

يروى أن عبد الله بن العباس – رضى الله عنهما – ، وكان من الأجواد ، أمر لسائل سأله بعشرة آلاف درهم ، فصبّت فى حجره ، فتخرق ثوبه فبكى .

فقال له : أعلى قميصك تبكى ؟ فقال : لا ، ولكن على ما يأكل التراب منك !

فقال : شكرك أحسن من صنيعتنا ، يا غلام : أعطه مثلها .

« كيـــف »

نريـد بأن تكـون الخلـــد مأوى
لنـــا ونكـون أصحـــاب اليمين
ونعلـــم أن ما نصبـــو إليـــه
يكـــون بصدق إيمان وديـــن
ونحن فلا نطيـــع ولا نبـــالى
ونــــعصى ربنـــا فى كل حين
فكيـــف إذن تتم لنـــا الأمـــانى
ونحن نغـــوص فى وحـــل وطين

« السـرف »

قيل للحسن بن سهل : وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس فى السرف خير ، فقال : ليس فى الخير سرف .

« يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة »

دخل أعرابى قرية لأول مرة ، فهاجمته كلابها ، وكادت أن تنال منه ، فانحنى ليأخذ حجرا من الأرض ، يدافع به عن نفسه ، فاستعصى عليه الحجر من شدة البرد .

فقال : لعن الله أهل هذه القرية ، يطلقون كلابهم ويربطون الحجارة .

احذروا الشيطان

حدَّث عون بن موسى ، قال : سمعت بكر بن عبد الله المزنى يقول : « ينزل بالعبد الأمر – أى المصيبة – فيدعو الله – عز وجل – فيصرفه عنه ، فيأتيه الشيطان فيُضعف شكره فيقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه .

قال : أو لا يقول العبد : كان الأمر بأشد مما أذهب إليه ، ولكن الله صرفه عنى .

« حقيقـة »

قال الحسن – رضى الله عنه – : إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون .

« دعـــاء »

يا رب اجعل لى رزقا واسعا ، واجعلنى به قانعا ، وهب لى من غناك ما لا يقدر عليه سواك ، وأعِذْنى من بَطر الغنى ، ومذلة الفقر .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشـاد يوسـف

ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم

للشاعرة
نجاة
شاور
ربيع

كان الظـــلام مخيمـــا يجتـــاح أركان الجزيـــره ...
والنـــفس غرقى فى ظلام الكفـــر خاسئـــة حسيره
والنـــاس يغترفـــون من لذاتهم غصصا مريـــره
ساد التـــعصب بينهم يتخبطـــون بلا بصيره
وأد البنـــات شريعـــة من غير ذنب أو جريـــره
الـــلات والعـــزى وغيرهما تماثيـــل ... حقيره
تأتى لها الأقـــوام ضارعـــة إليها .. مستـــجيره
ترجـو الـرضا عنها وتـلك عمايـة النـفس الضريـره
إنّ الجمـــاد إلهكـــم يا قوم لا يدرى مصيره

***

يا رب أيـن النـور إنّ القـوم قد ضلـوا الطريـق
ابـعث إليهم مرشدا بالنـور فى الليـل السحيـق
أرسل رسولا هاديـا بالنـور بالخير الوريـق
ليثـبت الإيمان فى كل القلـوب لكـى تفيـق
فـترى الحقيقـة تنـجلى وتـعبّ من طيب الرحيـق

***

كسرى غدا فى عرشه يقضى الحيـــاة تخوفـــا
من بعـد تأويـل المنـام غدا كئيبـا متلفـا
والنـــار أخمد صوتها ولهيبها العـــالى انطفـــا
وإذا السمـــاء ازيـــنت وأتى الضيـــاء مرفرفـــا
فى بيت آمنـــة أتاهـــا الدهـــر يسعـــى منصفـــا
بدر الهدايـــة (أحمد) رمـــز السعـــادة والوفـــا
بشرى لآمنـــة بخير العـــالمين المصطفـــى

يا رحمـ

شعر : رشاد محمد يوسف

سعـدت بك الدنيـا وزاد سناهـا ... لما حملت إلى القلـوب هداهـا
وزهت أساريـر الحيـاة محبـة ... وتخفـفت من شجوهـا وشجاهـا
واخضر قلب الأرض حين تنسمت ... آى الهدى وتشربت تقواهـا
البيـد والفلـوات أشرق وجههـا ... والشمس سبـح ضوؤهـا وضحاهـا
عَانَـقَتْ أنسام الحيـاة مُدَثَّـرًا ... بحنـان « آمنـة » وظـل رضاهـا
حتـى إذا رحـلت بريعـان الصبـا ... والنـفس يثقلهـا عميـق أساهـا

***

واجـهْت أعبـاء الحيـاة مجهـزاً ... بأجـل ما تسمـو به دنياهـا
نفس مطهـرة تفـيض وضاءة ... سبحانـه من بجلالـه زكاهـا
قلب بحب الخير ينـبض والتقـى ... ضم القلـوب بحبـه ورعاهـا
خطـو على النهج القـويم مسدد ... ما حاد عن درب الهدى أو تاهـا
صدق إذا اختلـف الـرواة فأنت فى ... صدق الروايـة واليـقين فتاهـا
عزم وإصرار ورأى صائب ... وطويـة بيضاء ما أنقاهـا
حقـقت أحـلام العشيرة كلهـا ... مترفعـا عمـا يشين خطاهـا
ما خنت عهـدا أو نقضت وثيقـة ... أو قلت فحشا أو جفـوت هواهـا

ـة الرحمن

زكاك ربك بالفضائل كلها لعظيم فضلك لا نرى أشباها
قد حكموك غداة طال خلافهم والحرب توشك أن تدور رحاها
فجمعت أبناء العمومة وحدة وحقنت بالرأى السديد دِماها
فى كل عام خلوة تلقى بها هول الصحارى فى هجير لظاها
يظما لأنوار الهداية رملها يشتاق لمزيد الغزير حصاها
ويحار فكرك فى الوجود وما به من أبدع الأكوان من سوّاها
من رب هذا الكون من ملكوته هذى الحياة بأرضها وسماها
هذى الحياة بنجمها وفضاها هذى الحياة بعمقها ومداها
حتى إذا شاء الكريم تدفقت آيات ربك فى بديع لغاها
وأضاء قلبَ الغار فيضُ هداية غمرت مشارف مكةٍ ورباها
جبريل ضمك ضمة فتشربت بالنور نفسُك واستنار حجاها
« إقرأ » وفاض النور يغسل قلبها ويزيل عنها غيمها ودجاها
« إقرأ » فإنك قد بعثت معلما لتلقن الدنيا صحيح هداها
يا رحمة الرحمن أى بلية نزلت بنا أرزاؤها وأذاها
كنا هداة العالمين تقدما نحتل من قمم الحياة ذراها
واليوم تنكرنا السفوح مهانة ويفج من عثراتنا أدناها
أعداؤنا ملكوا زمام أمورنا ملكوا النفوس وخيرها وقواها
رخص الدم الغالى وهانت أمة أحْكَمْتَ بالنهج القويم عراها
ياسيدى المختار هل من نفحة نصحو على أضوائها وسناها
ونعيد للإسلام سابق مجده ونعيد للدنيا بديع رؤاها

القطــة الواعظــة

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

قِطـــة عجفـــــاء مــــاءتْ .·. فى رجـــاء عنـــد بابـــى
كل إنســــان رحيـــم القلـــب يسخـــو للثـــواب
لكــــن الإلحــــاح منهــــا .·. كــــاد يُــودِى بصـــوابى
ففتحـــت البــــاب مرفـــوعَ العصـــا قَصــد العقــــاب

• • •

حينمـــا شــامت عصــا قــد .·. هددتهـــا فى بشـاعــــه
حدجتنـــــى بعيــــون .·. ناطقـــــات بالضــراعـــــه[٢]
عنــــد أقــدامـــى تــــرامت .·. فى انزعـــاج والتياعـــــه
فـــوق طفـــل من بنيهـــا .·. فى بواكيـــر الرضـاعـــه
يا لـــه من منظـــر قـــد .·. هـــز وجــدانى وراعـــه

• • •

إنهـــا أمٌّ ، وقلـــب الأم فيـــض من حنـــانِ
عن بنيهـــا لا تبـــالى .·. أن تضحـــى بالكيـــان

لا جميـــــــلا ترتجـــــــى جـــــــدواه فى عقبـــــــى الزمـــــــان
وانتظـــــــاراً لجـــــــزاءٍ .·. غامـــــــر عمـــــــا تعانـــــــى
إنـــــــه الإيثـــــــار عنـــــــد الضيـــــــق فى أسمى المعـــــــانى

● ● ●

مشهـــــــد قد ظل محفـــــــورا بأعمـــــــاق الفـــــــؤادِ
لم يـــــــبارح خاطـــــــرى مُذ كان حتـــــــى فى الرقـــــــاد
حيـــــــوان أعْجـــــــمٌ من غير فكـــــــر أو مُراد
فيـــــــه إحساس ونـــــــبض .·. فوق فهمـــــــى واعتقـــــــادى
حكمـــــــة البـــــــارى تجلت .·. فى بعيـــــــد عن رشاد

● ● ●

أيها الإنسان أبْصِرْ .·. لست فوق الأرض وحْـــــــدَكْ
لاتجاوز ــ فى غرور .·. ياضئيـــــــل العلـــــــم ــ حدك
أحقـــــــر الأحيـــــــاء خلـــــــقٌ .·. عنـــــــده ما ليس عنـــــــدك
تقتفيـــــــه فى سلـــــــوك .·. بَزَّ فى الإتقـــــــان جهـــــــدك
لست عنـــــــه فى غنـــــــاء .·. حين لايحتـــــــاج رفـــــــدك

● ● ●

صار أهـــــــل البـــــــيت خدَمًا لتـــــــلك النُـــــــفساءِ
تلك تأتى بطعـــــــام .·. ذاك يأتيهـــــــا بمـــــــاء
بعـــــــد حين لم يجدهـــــــا .·. حيث كانت فى رفـــــــاء
آثـــــــرت أن تنتحـــــــى .·. ركنـــــــا قصيـــــــا فى انـــــــزواء
كل حى فيـــــــه طبـــــــع .·. هو أولى بالـــــــولاء

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

ذكرى المولد النبوى

للأستاذ محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

ستظل ذكرى ميلاد سيد الأنام محمد ﷺ باقية فى نفوس المؤمنين ما بقيت الحياة ؛ تذكرهم بالعزة والكرامة ، وتحثهم ـ دوماً ـ على الأخذ بأسباب الرقى الإنسانى ، وتعطيهم من الزاد ما يعنيهم على العطاء المتواصل ، فضلا عن استلهام العبرة والعظة من سيرته ﷺ ولعل فى قدوم هذه الذكرى كل عام ما يوقظ منا النُّوام ، وينبه فينا الغفلان ، وينشط كل متواكل كسلان ، حتى نكون ـ بحق ـ خير أمة أخرجت للناس . فيها ومنها الخير . ولها تكون القيادة ومنها تكون الريادة ، وإليها يرجع طلاب الحق والحقيقة ، قال الأستاذ ـ رحمه الله :

فى مثل هذا الشهر من كل عام يحتفل المسلمون فى جميع أقطار الأرض بمولد النبى ﷺ ، قياماً بحقه فى هدايتهم ، واعترافاً بفضله فى بناء جماعتهم ، وتحقيق سعادتهم .

تقوم فى العالم الإنسانى ذكريات كثيرة لرجالات يرى الناس أنهم مدينون لهم بعقيدة دينية ، أو بقاعدة فلسفية ، أو بحقيقة علمية ، أو بخطة سياسية ، أو برابطة اجتماعية ، أو بإصلاح فى مذهب ، أو بتجديد فى أمر من الأمور ، وقَلَّ أن تجد رجلا واحداً منهم جمع بين شأنين أو ثلاثة من هذه الشئون الإنسانية ، إلا محمداً ﷺ فقد جمع بينها جميعاً ، فهو مؤسس الديانة العامة التى تسع الخلق كافة ، ومقوِّم الحكمة ، وواضع أكمل أساليب العلم ، وأعدل طرق السياسة ، وأرق ربط الاجتماع ، ومصلح جميع المذاهب ، ومجدد كل الأمور التى تهم الإنسانية . فالأمة التى تحتفل بذكرى ميلاده اليوم مدينة له بوجودها ، وبعقيدتها ، وفلسفتها ، وعلمها ، وسياستها ،

وروابطها ، ومذاهبها ، وكل أمر من أمورها وعشر معشار هذه المزايا كلها فى الأمم السابقة كانت تحملها على تأليه مصلحيها ، ولكن لم يفت محمداً هذه النزعة البشرية ، فاحتاط لها أيما احتياط بأقواله وأعماله ، حتى حمى أمته من أن تلتاث بهذه الخرافة ، فكان ذلك مما يضاف إلى مناقبه ، ويزاد على مآثره ، ويستنزل التعجب من بُعد نظره ، وثقوب فكره .

كان بعض من أُرسل محمد إليهم يطلبون إليه أن يحدث لهم الآيات ، وقد غاب عنهم أنه هو نفسه أكبر آية لله فى خلقه فكل آية بعده قليلة الخطر ، تخفى فى جانبه كما تخفى الكواكب بجانب القمر .

لقد عاشت على سطح الأرض أمم ، ونبغ فيها رجال من كل صنف ، وحُفظت عنهم ذكريات لا تزال الأمم تعترف بحقهم عليها ، فهل تصادف واحداً منهم يمكن أن توازن مناقبه مناقب محمد ، أو تقارن أعماله بأعماله ؟ اللهم لا ، ولا كرامة !

لندع الأنبياء والمرسلين ، فقد أُمرنا أن نؤمن بهم ، وأن لا نفرق بينهم ، وهات لى المصلحين المقدّمين ، والعباقرة المعدودين ، ممن سبقوا محمداً وأتوا بعده إلى يومنا هذا . واعرض أمثْلَهم طريقة ، وأعبدهم صيتاً ، ووازن بين عمله وعمل خاتم النبيين لتدرك أنك لا تستطيع إلى ذلك سبيلا . وهل يوازن الدرهم بالقنطار ، أو البحر بالجدول ؟

استعرض أولا كبار الفلاسفة والمتشرعين عند اليونانيين الأقدمين ، واختر من انتهت إليهما الحكمة والزعامة منهم: (أفلاطون وأرسطو)، فأنا لا أريد أن أذكر لك سقوط فلسفتيهما ، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور الأثرية فى تاريخ العقلية الإنسانية ، ولكنى أريد أن أذكرك بأن هذين العبقريين كانا يقرران فى شريعتيهما أن العمال والصناع والموالى يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية ، لانحطاط ما يمارسونه من الأعمال اليدوية ، فقارن بين هذا الأصل المبنى على قاعدة بعيدة القرار فى الإحجاف ، وبين الديموقراطية الإسلامية التى جعلت التمايز بالمزايا لا بالمال ولا بطبيعة الأعمال ، وساوت بين الكافة فى الحقوق بصرف النظر عن الألوان والأجناس واللغات ، حتى ارتفع تحت ظلها إلى منصات الزعامة ؛ العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف ، ومن كانوا لا يملكون بيت ليلة : « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح » الحديث .

وهات من العباقرة الغربيين (ديكارت)، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته من النقد ، ولكنى أذكر لك من مقرراته أنه كان يعد الحيوان آلة محضة ، مقودا بالفطرة الطبيعية ، وأنه مجرد من كل تعقل وإدراك . قابل هذا بما ورد فى الإسلام عن الحيوان قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الأنعام

وفى الحديث الشريف : « **عاتبوا الخيل فإنها تعتب** » . فأين الحكم بأنها آلات لا تعقل من الحكم بأنها أمم أمثال الأمم الإنسانية ، وأن لها عقلا تعقل به العتاب وتتجنب بسببه ما أوجبه ؟

وأما ما بقى قائماً إلى اليوم من مذهب (ديكارت)، وهو تقديم الشك أمام كل بحث، فقد

سبقه الإسلام إليه ، فإنه حرم التقليد وحث على البحث وتعقل الأمور ، وجعل عمادها الدليل ، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا بتقديم الشك قبل الحكم على شيء .

ومن العباقرة المحدثين (بيكون) واضع الأسلوب العلمى ، فقد اشتهر بتفرقته بين ما هو علم وما هو رأى ، وقرر بأن المعلوم لا يجوز رفعه إلى درجة العلم الحق إلا إذا قام عليه دليل محسوس ، وما عدا ذلك فهو رأى . والرأى يُتمسك به حتى يقوم الدليل المحسوس على صحته فيضاف إلى المقررات ، أو على فساده فيقذف به إلى عالم الأوهام والظنون .

وقد سبقه الإسلام إلى وضع هذا الأسلوب العلمى : فقرر أولا أن أكثر ما عليه الناس أكاذيب وظنون ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٢) . فكل ظن لا يسمى فى الإسلام علماً ، لأن العلم فى اصطلاحه هو ما يكون دليله الحس أو ما تتصل مقدماته بالحس .

ومن كبار المجددين فى العهـــد الحديث (أجوست كونت) مؤسس الفلسفة الوضعية ، وواضع علم الاجتماع . فأما الفلسفة الوضعية فقد سبقه إلى أصولها علماء كثيرون تقدموه من أول أرسطو إلى (بيكون) فليس له فيها من فضل إلا صبها فى قالب مذهب . وأما علم الاجتماع فكسابقه ـ أيضاً ـ درس موضوعاته علماء كثيرون كان من أمثلهم : ابن خلدون من مؤرخى المسلمين فى القرن السابع الهجرى حتى عد أنه واضع لهذا العلم . ولكن الواضع الأول لعلم الاجتماع البشرى الحق هو محمد ﷺ بوحى من ربه . وهذا العلم يقوم على أساس أن جميع الحوادث البشرية تابعة لنواميس طبيعية مقررة لا تتخلف . وقد سبق الكتاب الكريم الناس كافة إلى تقرير هذا الأساس الذى بنى عليه علم الاجتماع ، فقال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٤)

وقد عيب على (أجوست كونت) وضعه حداً لما يمكن أن يصل إليه الإنسان من المعارف الكونية ، وعد مما لا يستطيع الإنسان أن يبلغه إدراك نوع المادة التى تتألف منها الكواكب ، فلم يمض على وفاته خمس سنين حتى اخترعت آلة « السبكترسكوت » وهى آلة تحليل الأشعة التى تصل إلينا من الأجسام المختلفة ، والاستدلال بها على المواد التى تنعكس علينا تلك الأشعة منها ، وبتطبيقها على الأشعة التى تصل إلينا من الكواكب عرف أنها مؤلفة من مواد لا تختلف فى شيء عن المواد الأرضية ، ففيها حديد ونحاس وقصدير إلخ ، فكان فى هذا الاكتشاف دحض للأصل الذى وضعه (أجوست كونت) . ولكن الإسلام لم يضع للمعلومات التى قد يكشفها الله للإنسان حداً ، فإذا سئل مسلم عما يمكن أن ينتهى

(١) الأنعام
(٢) يونس آية ٣٦.
(٣) الإسراء آية ٧٧ .
(٤) فاطر آية ٤٣ .

إليه علم الإنسان وما لا يمكن ، لم يستطع أن يضع لذلك حداً لقوله تعالى :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥)

هذا قصور أكبر العباقرة حيال التعاليم غير المحدودة التى أفيضت على قلب محمد ﷺ نسوق مقتضياته على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لو عنينا بالأمر الثانى لما كفانا فيه مجلد ضخم .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى الذكريات التى يحتفل بها لتمجيد كبار العقول وأصحاب العبقريات ، لوجدناها نشراً لصفحات مطوية من التاريخ ، لا دخل لها فى الحياة الراهنة . فهم أصحاب آراء ومذاهب اعتبرت فى زمانها طريفة ، وكانت مقدمة لآراء ومذاهب أرجح منها ، فعاشت هذه وذهبت تلك ، فينوه بالأولى وبأصحابها باعتبار أنهم أول من أتى بمبادئها أو بمقدماتها ، لا على أنها حقائق مطلقة تبقى على الدهر ولا يبليها الزمان .

فمحمد هو الإنسان الوحيد الذى يحتفل بذكراه على أن ماجاء به « حق مطلق » لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن تعاليمه هى التى تقود حركات الجماعات البشرية ، وتكيف كيانها على النحو الذى كان يدعوه إليه ويقرره . فإن فى الأرض أربعمائة مليون مسلم(٦) يرون حياتهم فى العمل بالتعاليم المحمدية ، وليس فى العالم أمة ترى مثل هذا الرأى فى مصلح بينها وبينه أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

ومن خصوصياته ﷺ أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير فى أن تؤخذ تعاليمه بغير تعديل ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال إلى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قيمتها ويطمس من لألائها . وهذه مكانة لم تسم إليها أية تعاليم فى الأرض . فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به ، ودرجة علمه فى العهد الذى كان عائشاً فيه ، مما يجعل تعاليمه تستدعى الإصلاح والتهذيب إلى حدود بعيدة . لهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الإصلاحية ، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة ، وتعاليم من طراز حديث يلائم ما وصل إليه الكافة من الثقافة العلمية ، إلا التعاليم المحمدية ، فإنها لا تزال جديدة كأنها صيغت فى هذا العصر ، بل يُرَى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به ، وإن كانت تدرك أنه سام السمو كله ، فمن من الأمم المتمدنة اليوم نستطيع أن تسوى بين الأبيض والأسود ، وبين المواطن الصميم والأجنبى الأعجم ، وأن تبتعد عن العدوان فى الحرب على غير المحاربين ؟ وأنت تراها تعد العدد لإهلاك النساء والولدان والهرمى والمرضى بالغازات السامة ؟ إن كنت تعجب من الفرق بين هذين المذهبين ، فأزيدك عجباً فى هذا الموطن بأن الإسلام يحرِّم على الغزاة أن يقتلوا خدمة أعدائهم فى ساحة الوغى . أترى أبعد من هذا مدى فى احترام الحياة الإنسانية ، وأرقى مذهباً فى حصر نار الحرب فى أضيق الحدود حتى لا ينقلب الأمر إلى جاهلية جهلاء ، تنكر فيها المبادىء الأدبية ، وتهدر الكرامة البشرية ؟

ومن خصوصيات سيدنا محمد ﷺ أن يرى أجانب عن هذا الدين فى القرن العشرين ، وهم من

(٥) سورة النحل آية ٨ .

الرجال الآخذين بأوفى حظ من العلوم الاجتماعية أن العالم كله لا ينتعش من كبوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية ، وأنه لابد منتهٍ إلى هذه النتيجة فى نحو قرنين من الزمان . قال بذلك كثير ، منهم : (برناردشو) الفيلسوف الانجليزى ، وقد دوناه فى مقالة سابقة هنا . فهل رأيت فى كل مارأيت مثل هذه الخصوصية لواحد من أصحاب المذاهب الإصلاحية ؟ .

هذا عجيب كل العجب ، وأعجب منه أن يوحى إلى محمد ﷺ وهو فى صحراوات بلاد العرب بأن التعاليم التى جاء بها ستزداد ظهوراً على مر الأجيال ، بتوالى الآيات الدالة على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وعلى بلوغها أقصى غايات الكمال ، فقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٦) .

أو ليس من العجب العاجب أن يطلب طالب بعد هذه الآيات البينات كلها دليلًا على نبوة سيدنا محمد ﷺ ؟ فأى دليل يبلغ فى القوة والإقناع مبلغ هذا الدليل : رجل نهض فى بقعة قاصية من الأرض لا عهد لأهلها بإصلاح اجتماعى ، ولا بكتاب سماوى ، فأخذ يدعوهم إلى دين وصفه بأنه دين الإنسانية كلها ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إنه خاتم الأنبياء وما جاء به آخر ما يتفضل به الله على الناس من الوحى . فاستهزأ به قومه وسخروا منه ، فلم يأبه باستهزائهم ، فاشتدوا عليه واضطهدوه ، فلم يقم لاضطهادهم وزناً ، فهددوه بالقتل فلم تلن له قناة ، ولم تنثن لهم عزيمة ، واتبعه نفر من قومه فلقوا من ممالأتهم له ما يلقى أهل الحق من شيعة الباطل ثم هاجر إلى قوم آخرين وهاجر معه من آمن به ، فتألب عليه خصومه واستشاروا معهم من استشاروه من أحلافهم ، وتقصدوا القضاء عليه وعلى من معه دفعات متوالية ، فنصره الله عليهم ، ﴿ **سيُهزم الجمعُ ويُولون الدُّبُر** ﴾ القمر آية ٤٥ .

ثم ماهى إلا سنون معدودة حتى عمت دعوته جزيرة العرب كلها ، فلم يستهوه التفرد بالسلطان ، ولم تستغوه فواتن الملك إلى أن يغير من بساطته ، وطرز معيشته ، واستمر داعياً العالم كله إلى دينه ، مبشراً قومه بأن الله سيعطيهم خلافة الأرض ، وزعامة الأمم ، ماداموا عاملين بكتاب الله وسنته : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٧)

فما هو إلا سنون معدودة حتى تحقق هذا الوعد ، وإذا بالعرب الذين كانوا بالأمس مضرب المثل فى الجاهلية والفرقة قد أصبحوا للعالم سادة ، ولشعوبه وأممه قادة ، فنظر الناس إلى الدين الذى أبلغ أهله هذه المرتبة فإذا : به مطمأن النفوس ، وسكن الأرواح ، وبلسم القلوب ، ونور العقول ، فدخلو فيه أفواجاً أفواجاً ، بل ملايين وملايين ، فلم يمض عليه جيل واحد حتى كان

(٦) فصلت : آية ٥٣ .

(٧) النور : آية ٢٤ .

المؤذن فى مسجد المدينة يقول : حى على الفلاح ، فيتابعه زميله عند أسوار الصين بمثلها .

ثم تمادى الزمان ، وتطاولت الأيام ، وإذا بالأمم الإسلامية التى بليت بالفتور أجيالًا ، تهب مذعورة على أبواق المدنية الأوروبية وطبولها ، ففتحت أعينها فإذا هى حيال علوم ، وفلسفات مغرية ، وآلات محيرة ، ومخترعات مدهشة ، فوجمت برهة ، ثم أخذت تلقى بنظرها على ما تركته وراء ظهرها من تراث الآباء ، فإذا ماحيرها الساعة وأضاع رشدها ، وليد ما خلفه أولئك الآباء وثمرة جهودهم ، فإن زيد عليه شىء فما اقتضاه الفرق بين العصرين ، والتباين بين العهدين ، فأصبحت لديهم العقيدة التى كادت تتزعزع ، يقيناً لا يعتريه شك ، فى أن الفتور الذى كانوا فيه هو نتيجة لتعاميهم عن التعاليم التى أورثوها ، فأقبلوا عليها أيما إقبال ، ورأوا نجاتهم فى العود إليها على كل حال . وشجعهم الأجانب على هذه العقيدة بما كتبوه من تاريخ أسلافهم ، وما تبينوه من دراسة ديانتهم .

أيريد الطالب دليلًا أسطع من هذا على النبوة ؟

ألا سقياً ورعياً (لكارلايل) المؤرخ الفيلسوف الإنجليزى الكبير ، فلقد قال فى كتابه الأبطال وديانة الأبطال : « أتريد دليلًا ممن يدعى لك أنه بناء أقوى من أن يبنى لك داراً تسع الملايين الكثيرة من الناس وتدوم قروناً طويلة ، لا يعتريها تصدع ، ولايعتورها أقل تداع ؟ كذلك هل يطلب طالب إلى مدى النبوة دليلًا أقوى من أن ينشر ديناً بين ملايين من البشر يستمرون عليه قروناً طويلة ويتحمسون له تحمساً كبيراً ؟ فمحمد قال بأنه رسول من عند الله وبرهن على صدق قوله بدين نشره فى الناس ، أخذ به مائتان من الملايين ومضى عليهم فيه اثنا عشر قرناً[٨] ، وهم يحبون دينهم هذا ويتحمسون له أكبر تحمس ، فماذا يراد من الأدلة على نبوته بعد ذلك ؟

« ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق البنك نوت ، فالحقيقة منها تتداول بين الناس ولا تثير أقل شبهة ، والزائفة منها تخدع بعض الناس مرة أو مرتين ثم يفتضح أمرها وتعرف أنها زائفة فتمزق كل ممزق » . انتهى .

هذا حق ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد فريد وجدى

المجلد السادس

١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م

(٨) يزيد الآن على مليار ومائتى مسلم - مجلة الأزهر .

العلوم الكونية

الحسن بن أحمد الهمدانى

٢

عالم موسوعى لم ينصفه المؤرخون

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا*

مآثره العلمية :

عاش أبو محمد الحسن بن أحمد الهَمْدانى(١) جُلَّ عمره فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى بلغت فيه النهضة العلمية أوْج ازدهارها فى عصر الحضارة الإسلامية ، وأسهم بنصيب وافر فى مختلف فروع المعرفة بتمكّن واقتدار .

ويشهد على تعدد مشاربه وغنى معارفه وأثر إسهامه فى إثراء التراث العربى الإسلامى ، بما يرفعه إلى مصاف علماء المسلمين البارزين ، قول محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى لأحد مريديه : « ... سألت ـ أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ـ أن أوضّح شيئاً من أنساب حمْير وأخبارها وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتما بما ذكره الشيخ الفاضل المؤتمن ، لسان اليمن وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ـ رحمه الله ـ مما صحّحه من علمه الجليل وحققه فى كتابه المعروف بالإكليل . وكان ـ رحمه الله ـ بمنزلة فى العلم والفضل ومعرفة بالفروع والأصل لا ينكرها إلا مكابر جاهل متعاط ما ليس له بأهل ، فتصنيفه فيه وفى سائر مصنفاته كتاب الأيام ونحوه ـ يدل على غزير علم وقوة فهم وشدة فحص على أخبار الأمم ومعرفة باهرة بأخبار العرب والعجم . وتصنيفه فى كتاب صفة جزيرة العرب كذلك ، ونحوه فى كتاب المسالك والممالك دليل على علمه الجم بأخبار العرب والعجم وإحاطته بأنساب الكافة وأخبارها ومعرفة أوطانها وديارها ومسافة طرقها ومسايل أوديتها وأنهارها ... وتصانيفه فى علم الطب والنجوم شاهده له

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) أخبر الهمدانى نفسه بنسبة وسلسله إلى قبيلة همْدان ـ بفتح الهاء وسكون الميم ـ التى لها بقية حتى اليوم . وقد لاحظنا أن البعض يخلط فى التسمية والنسب بين قبيلة همدان اليمنية وبين مدينة همذان الفارسية (أنظر على سبيل المثال : د. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الأول ، الطبعة التاسعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٥٩٦) . ولذا لزم التنويه .

فى العلم بالحظ العظيم الذى فاق به علماء الطب والمنجمين ، وبرّز فيه على علماء الكفار والمسلمين مع ما كان فيه من شدة الورع والفضل المشهور فى عصره لا يتمارى أحد فى أمره »[٢] .

وسوف نعرض فيما يلى بإيجاز لأهم مآثر الهمدانى فى بعض مجالات العلوم الكونية .

(أ) العلوم الفيزيائية :

سبق الهمدانى إلى تقديم أساس مقبول لتفسير السقوط الحرّ للأجسام على أساس الجاذبية الأرضية ، فقد أكد حركة الأرض ودورانها حول نفسها ، وردَ على المعتقدين بأن الأرض لو دارت لطارت من فوق سطحها الأحجار واقتلعت الأشجار ، فأوضح لهم أن الأرض تجذب ما فوقها نحو مركزها ،وذلك بنص قوله : « فمن كان تحتها ـ أى الأرض ـ فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها ، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى ، وكثبات قدمه عليه ، فهى ـ أى الأرض ـ بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب ، فأما ما كان فوقه فإن قوته وقوة الأرض يجتمعان على جذبه وما دار به فالأرض أغلب بالجذب »[٣] .

ويتضح جليا من هذا النص أن الهمدانى قد ربط لأول مرة ظاهرة الجاذبية بالأرض التى تجذب الأجسام فى كل جهاتها ، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركّزة فى الأرض وتظهر آثارها فى مجال فعّال حول الأرض أشبه بذلك المجال الذى يتمتع به « حجر » المغناطيس ، ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين فى تطاير كل ما على سطحها . وبهذا المفهوم يكون الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية ، وهى ما يعرف حاليا باسم « طاقة الموضع » أو « طاقة الكمون » الناتجة أصلاً عن ارتفاع الأجسام عن الأرض . وأضاف البيرونى والخازنى والبغدادى وغيرهم من علماء الحضارة الإسلامية ـ تباعاً ـ حقائق أخرى جزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية ، وبلورة مفاهيم فيزيائية جديدة ساعدت علماء النهضة الأوروبية بعد ذلك على صياغة النظريات والقوانين العلمية لحركة الأجسام على الأرض ، أو حركة الأرض والكواكب والنجوم فى الفضاء الكونى .

(ب) علوم الفلك والرياضات :

اهتم الهمدانى بمختلف القضايا والمسائل العلمية المتداولة فى عصره ، وتضمنت مؤلفاته مناقشة الكثير منها ، فقد تحدث ـ على سبيل المثال ـ عن زاوية الميل الأعظم بين المستوى المار بخط الاستواء الأرضى والمستوى المار بمدار الأرض حول الشمس ، وظهرت أثناء ذلك درايته الفائقة بهيئة الكرة السماوية ودوائرها . كذلك ناقش الهمدانى أنواع الأخطاء التى تقع بين علماء الفلك فى

(٢) راجع « المقالة العاشرة من سرائر الحكمة » للهمدانى ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، بدون تاريخ للنشر .

(٣) د. أحمد فؤاد باشا ، العلوم الفيزيائية فى التراث الإسلامى ، دراسة تحليلية فى الموضوع والمنهج ، أعمال ندوة « التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية » طرابلس ليبيا ، ١٧ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠م .

أرصادهم ، وتناول التقاويم المختلفة عن العرب والروم والفرس والقبط ، وبحث فى تصحيح الفرق بين مسارات الكواكب وحركاتها الظاهرية المنتظمة وبين حركاتها الحقيقية التى تختلف من موضع لآخر فى المدار . ومن المعروف أن فهم هذه المسائل الفلكية يتطلب مهارة عالية فى استخدام علوم الرياضيات ، وخاصة بعض نظريات حساب المثلثات الكروية(٤) .

كذلك يحتاج الفلكيون إلى معرفة جيدة بأجهزة الرصد والقياس ، فقد ذكر الهمدانى مختلف أسماء « الأسطرلاب » الذى يستخدم لرصد أوضاع الأجرام السماوية وقياس ارتفاعاتها ، ويعتبر « زيج الهمدانى » من أهم مؤلفاته الفلكية ، وكان عليه اعتماد أهل اليمن(٥) .

(جـ) علوم الأرض : الجغرافيا والجيولوجيا :

يعتبر الهمدانى من أهم الذين أثروا التراث الإسلامى بمؤلفات جغرافيّة تمثل مرحلة النضج والاستقلال فى تاريخ البحث الجغرافى . فقد تجلت رؤيته النقدية فى كتابه « صفة جزيرة العرب » عندما تعرض لنظرية الفصول وقال رأيا مخالفاً لبطليموس عن لون جلد سكان المناطق الاستوائية وعن تقسيم العالم إلى أكثر من سبعة أقاليم . واعتمد الهمدانى فى تقريراته على ملاحظاته الشخصية مع اعتبار آراء السابقين ونقدها بموضوعية ، وكانت الرحلة الميدانية فى أنحاء الجزيرة العربية مصدراً رئيسياً لجمع البيانات التى استخدمها لتصوير الواقع الجغرافى تصويراً مقبولاً فى ذلك الوقت المبكر الذى عرف لأول مرة أهمية تسجيل الحقيقة الجغرافية .

وفى مجال الجيولوجيا يعتبر « كتاب الجوهرتين العتيقتين » للهمدانى دليلا لتاريخ علم المعادن والتعدين دونته يد مؤرخ وعالم له دراية أكيدة بالتطبيقات العملية ، فقد سرد فيه مناجم الذهب والفضة المعروفة فى جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة ، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد . كذلك عرض الهمدانى فى هذا الكتاب لتفسير بعض الظواهر الكونية تفسيراً علمياً مقبولاً ، فقد ذكر فى تفسير حدوث الزلازل والبراكين ، وما يصحبها أحيانا من خسف Taphrogenesis على هيئة حركات رأسية إلى أسفل يصاحبها تصدع كبير الزاوية على نطاق واسع ، ما نصّه : « ويكون مما بطن من الأرض من تلك البخارات الجواهر المعدنية ... بعد أن يظهر ما تلطف حتى يصير إلى أجزاء سطح الأرض ، فإن لم يجد ما تلطف وما غلظ من تلك البخارات العميقة مخرجاً ولا منفساً اضطربت الأرض وتحركت لذلك فكان منها الزلزلة فى جانبها الذى وقع فيه التأثير ، كالرطوبة الغليظة التى تولد فى عضو من البدن فيحدث فى ذلك العضو الاختلاج والارتعاش ، وكقراقر المعدة التى يضطرب لها البدن دون حركة الإنسان ، وإن كانت تلك

(٤) المثلث الكروى هو مثلث مرسوم على سطح كرة بحيث تكون أضلاعه على شكل أقواس من دوائر عظمى ، ويعبّر عن طول ضلع المثلث الكروى بقيمة الزاوية المقابلة له عند مركز الكرة .

(٥) الزيج ـ وتجمع على أزياج ـ يعنى فى اللغة : خيط البنّاء ، وهو المطمر (أنظر لسان العرب) ، واللفظ معرّب من اللغة البهلوية (أى الفارسية القديمة) ويعنى السدى الذى ينسج فيه لُحمة النسيج ، ثم أطلقته الفرس على الجداول الرياضية المشابهة خطوطها الرئيسية لخيوط السدى .

الرياح وتلك البخارات المحتقنة المحتبسة فى بطون الأرض غليظة كثيرة بقيت الزلزلة أياما كثيرة ، وإن كانت قليلة رقيقة تحللت سريعاً وسكنت الزلزلة . وربما جلجلت الأرض فوقع الخسوف ، وربما خرج من موضع الخسف رماد كما ذكر أرسطو وذلك على قدر ما فى تلك الأرض من النارية الملتهبة والكبريتية القابلة لتلك النار الملتهبة »[٦] .

(د) العلوم الكيميائية :

ظهر عبر التاريخ القديم نوع من الكيمياء الخرافية سيطرت على المشتغلين بها فكرة إمكانية تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص والقصدير إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، وحلم المهتمون بهذه الصفة باكتشاف إكسير الحياة الذى يطيل العمر ويعيد الشباب ، وسرى تيار هذه الصنعة الفاشلة إلى بعض علماء العرب فى العصور الوسطى وبعض الأوربيين فيما بعد ، وتاجر بها المحتالون والمشعوذون ، مستغلين ضعف العامة وأنصاف المتعلمين أمام إغراءات الثراء والسعادة والصحة وطول العمر .

لكن الهمدانى لم يفكر أبداً فى تحضير الإكسير أو حجر الفلاسفة ، وخصص من كتاب الجوهرتين جزءًا كبيراً لمعالجة عمليات استخراج الذهب والفضة وتنقيتهما من الشوائب ، وشرح خطوات هذه العملية نظريا وتقنيا ، ابتداء من الحصول على المادة الخام من مناجمها وانتهاء بصبّ قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين ، وإيضاح استخدامها فى صناعة الحلى وأغراض الطلاء وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم .

كذلك قدم الهمدانى وصفاً تفصيلياً لعمليات كيميائية من قبيل الطبخ والتملغم بالزئبق والتصعيد والتقطير وغيرها ، واستخدام الميزان فى التقديرات الكمية ، وامتدّ اهتمامه فى مجال الكيمياء والتعدين إلى صناعة السبائك ومعالجة معادن أخرى غير الذهب والفضة ، مثل معالجة الحديد الخام والحصول على الفولاذ اللازم لصناعة السيوف وبعض أنواع الأسلحة .

وهكذا كان الهمدانى عالما موسوعيا مُلِمًّا بالعديد من فروع المعرفة المعروفة فى عصره ، ونحن ندعو إلى تكثيف الجهود للبحث عن مؤلفاته المفقودة ، فإن فى الحصول عليها خيراً كثيراً .

---

(٦) كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء : للحسن بن أحمد الهمدانى تحقيق محمد محمد الشعيبى ، بدون تاريخ للنشر .

مشكاة السنة النبوية

بين أصابعك

بقلم / نبيل صلاح محمود العربى*

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد رسول الله خاتم المرسلين ـ عليه الصلاة والسلام وبعد .

فلقد عنى المسلمون بحفظ السنة النبوية المشرفة على مر العصور ، وذلك لكونها الأصل الثانى لدين الإسلام بعد القرآن الكريم ، وقد أخذت هذه العناية اتجاهين :

تمثل الاتجاه الأول فى حفظ الأحاديث والآثار فى الصدور؛ لتنقل بدقة وأمانة من السابقين إلى اللاحقين ، ثم تتابع العلماء على تدوين ما سمعوا وترتيبه وتبويبه ، فكُتب الموطأ والمصنفات والجوامع والسنن والمسانيد وغيرها ، ثم تتابعت الأعصر فجَّد ما يعُرف بالمستخرجات والمستدركات ، ثم ظهر فى عصر تال محاولات متعددة لجمع وترتيب السنن بدأت بظهور كتب الأطراف والزوائد ، ثم تأسست الصورة الأولى للموسوعات الحديثية من خلال بعض المصنفات كالجامع الصغير وجمع الجوامع وغيرهما .

أما الاتجاه الآخر فظهر فى استنباط الضوابط والمعايير لتمحيص الآثار ، وتمييز ما يصح نسبته إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما ليس كذلك ، فظهرت مباحث الجرح والتعديل ، وألفت كتب عديدة فى معرفة الصحابة مثل : أسد الغابة ؛ وكتب الطبقات مثل : الطبقات الكبرى لابن سعد ، وكتب فى رواة الحديث بصفة عامة مثل «التاريخ الكبير» للبخارى . هذا وقد لقى رجال الكتب الستة عناية خاصة فاشتهر كتاب «الكمال فى أسماء الرجال» وتهذيباته ومختصراته .

---

* ماجستير فى اقتصاديات تقنية المعلومات . مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الأسكندرية .

وظهرت مصنفات فى (الثقات) فقط وأخرى فى (الضعفاء) بخاصة . وهكذا يتضح مدى عناية السلف الصالح بالنسبة للسنة النبوية وضبط طرق الرواية وتمييز الرجال ، فماذا بقى للمتأخرين ؟

لقد توجهت عناية أغلب الباحثين المعاصرين فى العلوم الشرعية عامة إلى تحقيق المخطوطات ، وعزو المقالات ، وشرح المتون . وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات إلا أنها ليست كل شيء .

فمع انتشار « الحاسوب **Computer** » وبروز إمكاناته الهائلة فى حفظ المعلومات وسرعة استرجاعها كان على الباحثين أن يهتموا بتوظيف القدرات الهائلة لهذه الأداة ، وتمثل هذا الاهتمام فى ظهور عدد من المشروعات البحثية .

بعض المشروعات أخذ الاتجاه الأول وهو حفظ الأحاديث والآثار ـ أو بالأحرى تحويل مصنفات السنن والآثار المخطوطة والمطبوعة إلى (مصنفات إلكترونية) ـ بينما أخذت مشروعات أخرى الاتجاه الآخر وهو الخاص بمباحث (الجرح والتعديل وتمييز الرجال) وهناك مشروعات قليلة أخذت على عاتقها المساهمة فى الاتجاهين معا ، من بينها المشروع الذى نعرض له هنا ، وهو :

مشكاة السنة النبوية :

مشكاة السنة النبوية نظام متكامل يغطى جل أبواب علوم الحديث الشريف . ويقوم على إعداد المادة العلمية للنظام عدد من الباحثين فى العلوم الحديثية[1] ، وقد بدأ العمل فى هذا المشروع منذ مايو ١٩٩٣ م وظهر حتى الآن العديد من الإصدارات التجريبية ، ويرجى أن يظهر الإصدار الرسمى الأول قريبا ، علما بأن القائمين على المشروع يعتزمون توزيعه مجانا (بتكلفة قرص التخزين فقط) .

المواصفات الفنية لبرنامج مشكاة السنة

Technical Specilications

١ ـ يرتكز البرنامج على نظام التشغيل (دوس *DOS*) وينفذ على مستوى نظام التشغيل مباشرة ، مما يعنى السرعة العالية فى التفيذ ، والكفاءة فى استغلال الذاكرة الداخلية ، ووحدة التخزين الخارجية .

٢ ـ ينطوى البرنامج على نظام تعريب داخلى أصلى خاص به يتميز بعرض النص على الشاشة بأربعة خطوط مختلفة ، مع دعم مختلف الطابعات النقطية وطابعات (الليزر) وهذا فضلاً عن توفر إمكانية استخدام نظام تعريب خارجى مثل : مساعد العربى ، وصخر ، ونوافذ حسب رغبة مستخدم البرنامج .

٣ ـ السهولة التامة فى التشغيل هى واحدة من أبرز سمات النظام حيث يتم تنفيذ كافة العمليات من خلال قوائم أنيقة بتحريك المؤشر بواسطة مفاتيح الأسهم ثم ضغط مفتاح الادخال ***Enter*** عند الاختيار المطلوب أو يمكن ضغط الحرف المميز مباشرة كما يمكن الخروج من أى موقف باستخدام ***Esc*** .

٤ ـ يمكن استخدام المفاتيح المباشرة ***Shortcut Keys*** لاستدعاء بعض العمليات دون الحاجة للتحرك داخل القوائم على الإطلاق ، وهذه الخاصية تناسب المستخدمين المحترفين .

(١) مدير المشروع والمشرف العلمى هو الدكتور أحمد حطية إمام وخطيب مسجد نور الإسلام بباكوس .

٥ ـ توجد وظائف عديدة تتاح فقط من سطر الأوامـــر *Command Line* ، وللتعـــرف على الخدمات المتاحة من سطر الأوامر نكتب الأمر التالى على مستوى نظام الدوس ? *Sonna* .

٦ ـ أثناء تشغيل البرنامج نلاحظ أن السطر الأخير من الشاشة يبين المفاتيح التى يمكن استخدامها للعمليات المختلفة ، كما أن هناك عداداً يظهر مثل الشريط المضىء ؛ ليبين ما تم انجازه فى العمليات التى تستغرق وقتاً . هذا فضلا عن ظهور رسائل تقريرية فى نهاية معظم العمليات تنبه المستخدم إلى اتمام العملية المطلوبة .

٧ ـ توجد مساعدات فورية يمكن طلبها بضغط *(F1)* وذلك فى عديد من المهام التى قد تحتاج إلى شرح .

٨ ـ عند إدخال أو تعديل البيانات يتابع البرنامج عملية الإدخال حيث يقدم قوائم فورية *Look Up Menus* لمعظم حقـول البيانـات مما يوفـــر على المستخدم مجهود كتابة البيانات ، كما أن مفاتيح الوظائف توفر مجموعة كبيرة من العبارات كثيرة الاستخدام مثل لفظ : « النبى صلى الله عليه وسلم » .

٩ ـ الطباعة منسقة تماماً بصورة أوتوماتيكية ، ولا تبدأ أى عملية طباعة إلا بعد أن يتأكد البرنامج أن الطابعـة على اتصال بالحاسوب وجاهـــزة للعمل ، وإلا فإنه يعطى رسالة للمستخدم ليجهز الطابعة ويستأنف العمل .

ويمكن إلغاء هذه العملية بضغط *(Esc)* حتى بعد بدء عملية الطباعة ، هذا فضلاً عن إمكانية الطباعة فى ملف ، وبالتالى إمكانية إعادة تنسيق الملف بمعالج كلمات خارجى .

١٠ ـ تتميز عمليات البحث بالمرونة التامة حيث توجد عدة طرق للبحث :

أ ـ البحث الفورى :

نظام خاص للبحث فى متون الأحاديث يتميز بالسرعة الفائقة ويكون على مستـوى الكلمـة بلواصقها ، أو بدون لواصق ، أو على مستوى الجذر .

ب ـ البحث بالفهرس :

نظـام سريـع للبـحـث باستخـدام بدايـات الحقول .

ج ـ البحث فى ملف :

نظام للبحث عن أى جزء من كلمة أو جملة فى أى حقل بأى ترتيب ولكنه بطىء نسبياً .

د ـ الاستفسار :

نظام مركب للبحث عن عدد من المعلومات بأى (تَوالُفِ)[٢] من التركيبات المنطقية ويمكن حفظ فئة البحث واسترجاعها فيما بعد .

١١ ـ الانفتاح الكامل : حيث يمكن تصدير أى مجموعة (سجلات بيانات) إلى ملف خارجى للتعامل معه بواسطة أى برنامج آخر ، ومن جهة أخرى يمكن استيراد الملفات النصيـة *Text Files* (المكتوبة بالكود *CP711*) ودمجها فى المذكرات سواء فى بيانات الرواة ، أو الحديث ، أو اللغة ، أو بيانات مصنفات علم الحديث . كما يمكن تصدير محتويات المذكرات إلى ملفات خارجية للاستفادة منها فى أى غرض آخر .

---

(٢) فى الأصل (توليفة) بمعنى تجميع أشياء عدة بعضها إلى بعض لتكوين شىء متناسق . ولفظ (توالُف) مصدر للفعل (توالف) الشىء : ائتلف . بعضه إلى بعض .

١٢ ـ نظام الحماية : هذا النظام يستفاد منه فى حالة استخدام البرنامج من قبل عدد من الأفراد ويراد لبعضهم أن يتاح لهم الاستفادة من خدمات البحث والعرض والطبع دون إمكانية تعديل ، أو حذف البيانات بينما يتاح للبعض الآخر «المؤهلين» أن يعدلوا البيانات بالإضافة والحذف .

ولهذا الغرض يخصص لكل فرد (أو مجموعة أفراد) رقم هوية *User ID* وكلمة مرور *Password* تطلب دائماً فى بداية التعامل مع البرنامج ، وبعد الإدخال تتاح الصلاحيات المناسبة لهذا الفرد (أو مجموعة الأفراد) ويكون تحديد أسماء الأفراد وصلاحيتهم من مسئولية رئيس مجموعة العمل .

١٣ ـ يوجد نظام متابعة يعمل تلقائيا بمجرد الدخول إلى البرنامج ويسجل فى ملف دائم أسماء الأفراد الذين يتعاملون مع البرنامج ، وتاريخ وساعة دخولهم وخروجهم ، والعمليات التى قاموا بها فيما بين ذلك ، ويمكن الاطلاع على هذا الملف ومعرفة الأعمال التى تمت .

المحتوى العلمى لبرنامج مشكاة السنة النبوية

يحتوى البرنامج على خمسة أقسام :

١ ـ المصنفات فى علم الحديث :

٢ ـ رواة الحديث (علم الرجال) .

٣ ـ الحديث الشريف .

٤ ـ دراسات .

٥ ـ خدمات مساعدة .

أولاً : قسم المصنفات :

يتضمن معلومات تفصيلية عن كافة الكتب والمراجع الحديثية التى تم اعتمادها فى إعداد المادة العلمية للبرنامج ، فضلاً عن الكتب الأخرى ذات الأهمية الخاصة للمشتغلين بعلوم الحديث . ويتضمن هذا القسم ـ أيضاً ـ جمعاً وافياً لأنواع الكتب المصنفة فى علم الحديث مع التعريف بكل نوع بالإضافة إلى بعض الفوائد الأخرى المتعلقة به . وإلى جانب ذلك توجد معلومات عن أشهر المصنفين فى علم الحديث بما فى ذلك أعيان شيوخ المصنف وتلاميذه وبعض المعلمات الأخرى .

ثانيا : قسم الرواة :

يتضمن بيانات تفصيلية وافية عن رواة الحديث النبوى الشريف مستقاة من أشهر وأهم ما صنف فى هذا الباب . وتشمل هذه البيانات : رقم الرواى الخاص ببرنامج مشكاة السنة ، واسم الرواى ونسبه وكنيته ولقبه ، وبعض المعلومات المتعلقة به ، ويعد بمثابة تعريف مختصر للراوى . ثم تاريخ المولد ومكانه وأماكن الإقامة وتاريخ الوفاة ومكانها وطبقة الراوى وفق ما نص عليه ابن حجر فى (تقريبه) فيما يتعلق بالرواة المذكورين فى «التهذيب» . ويحتوى البرنامج على تعريف لهذه الطبقات . فضلا عن هذا تجد بيانات مفصلة عن شيوخ الراوى وتلاميذه ورتبه الراوى عند كل من ابن حجر والذهبى ومعلومات أخرى .

ويهتم البرنامج بوضع تعريفات دقيقة لكل المفاهيم والمصطلحات وتجد هذا فى كافة أقسام البرنامج .

وتنوّه هنا ببيان أن قسم الرواة ينطوى على وظيفة خاصة بدراسة وتحليل الأسانيد بحيث يمكن إدخال أى إسناد من أى مصدر ويقوم البرنامج بدراسة وتمييز الرجال ، ونظرا للأهمية الكبرى لهذه الوظيفة نعد بشرحها فى مقال مستقل إن شاء الله .

ثالثا : قسم الحديث الشريف :

يتضمن هذا القسم بيانات وافية عن (جُلّ) ما يخص الأحاديث الواردة ببرنامج مشكاة السنة النبوية . وتشمل هذه البيانات : رقم الحديث ، والمصنَّف والكتاب ، والباب ، والسند ، والمتن ، ودرجة الحديث ، وأقوال العلماء فيه ، وتصنيف الحديث بمعايير مختلفة ، ومعلومات أخرى منفصلة تنتهى بالفوائد الأصولية والفقهية واللغوية للحديث .

ونشير هنا إلى وظيفة البحث الفورى فى متون الأحاديث وهى وظيفة مبتكرة فى هذا البرنامج تسمح بالوصول إلى الأحاديث بمعرفة أى كلمة بلواصقها ، أو على مستوى الجذر فى أجزاء من (الثانية) .

رابعاً : قسم الدارسات :

ويشمل : غريب الحديث ، وإحصائيات الرواة ، وإحصائيات الحديث . فضلا عن جزء خاص بالطب النبوى .

خامساً : الخدمات المساعدة :

هذا القسم يتضمن وظائف فنية خاصة بـ : أغراض صيانة الملفات ، فهرستها ، وتوصيف أماكن وجودها على القرص ، وإعداد الملفات المؤقتة وغيرها ، بالإضافة إلى بعض الوظائف الأخرى كعرض الملفات النصية الموجودة على القرص ، والبحث خلالها عن كلمات أو عبارات معينة ، وكذلك نظام للمتابعة خاص بالمستخدمين للبرنامج ، ومفكرة شخصية ومعلومات حول البرنامج .

لقد كان هذا عرضا سريعا لأبرز جوانب العمل الكبير «مشكاة السنة النبوية» ولكن الأمر يستحق التوقف عند بعض النقاط ، وهذا ما نأمل أن نفعله فى مقالات أخرى .

* تم اعتماد قسم المصنفات التالية : تهذيب الكمال للمزى والكاشف الذهبى وتهذيب التهذيب وتقريب اللتهذيب وتعجيل المنفعة لابن حجر .

٣ ـ أنيميا الخلايا المنجلية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا فى المقالين السابقين عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقد قمنا بإلقاء الضوء على مرض « أنيميا الفول » وأنيميا زيادة الخلايا الكروية فى الدم ، واليوم نستأنف الحديث عن هذا النوع من فقر الدم بإلقاء الضوء على مرض أنيميا الخلايا المنجلية .

● **ماهية مرض أنيميا الخلايا المنجلية Sickle cell anemia :**

هو فقر دم وراثى ، ناجم عن خلل فى تكوين البروتين (الجلوبين) ، المكون (للهيموجلوبين) **حيث يستبدل بالحامض** الأمينى « جلوتامين » Glutamine حامض أمينى آخر وهو « الفالين » Valine ، ويحدث هذا فى المكان السادس من نهاية سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » B-chain ، المكونة للهيموجلوبين ، ويسمى هذا الهيموجلوبين المصاب بخلل فى تكوينه : بالهيموجلوبين « إس » Hemoglobin S وهو يتميز بقلة الذوبان ، قياساً بالهيموجلوبين صحيح التكوين : (هيموجلوبين أ) Hemoglobin A ، وفى حالة قلة نسبة الأوكسجين فى دم الطفل ، يترسب هذا اليهموجلوبين المختل التكوين ، فى كرات الدم الحمراء ، وتصبح « منجلية الشكل Cresent or Sickle Shaped » أى أشبه بمنجل الحصاد ، ويؤدى هذا إلى انسداد الأوعية الدموية ، خصوصاً الصغيرة ، مع قلة كمية الدم ، التى تصل للأنسجة ، التى تغذيها تلك الأوعية الدموية . وقد تصاب هذه الأنسجة بجلطة Infaraction ، وأيضاً يتم فقدان جزء من الغشاء الخلوى ، وتصبح الخلايا كروية الشكل ، سهلة التحلل ، فى طحال الطفل . داخل أوعيته الدموية أيضاً .

* * *

صور المرض :

إذا كان أحد الجينين الخاصين بتكوين سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » للهيموجلـــوبين ، مصاباً ، والآخر صحيحاً .. فإن الطفل يكون حاملا للمرض Sickle cell trait ، ويكـون لديه نسبة قليلة من الهيموجلوبين « إس » (حوالى ٣٥٪ ـ ٤٥٪) ولا يعانى هذا الشخص من حدوث فقر دم ، أو تحلل فى كرات دمه الحمراء ، إلا فى حالات التعرض لقلة الأوكسجين . أما إذا كان الجينان مصابين ؛ فإن الشخص يكون مصاباً بمرض أنيميا الخلايا المنجلية : Sickle cell disease ، وتتجلى عليه أعراض المرض بوضوح فى خلال النصف الثانى من العام الأول من عمر الطفل وتشمل الآتى :

(أ) أعراض ناجمة عن تحلل كرات الدم الحمراء وهى :

* شحوب الطفل مع شعوره بالتـــعب والصداع والخفقان عند بذل أدنى مجهود .

* اصفرار العين والجلد والأغشية المخاطية للطفل ، وقد يصاب بحصوات مرارية متكررة : Gall stone .

* تضخم الطحال ، ولكن نظراً لإصابة الطحال بجلطات متكررة Repeated Splenic infaractions ، يحدث ضمور للطحال عند سن (٥) إلى (٦) سنوات ، وكأن جسم الطفل قد قام باستـــئصال الطحـــال ذاتيـــاً autosplenectomy ، ونتيجة لهذا ، فإن مادة « الأوبسونين Opsonins » التـــى يكـــونها الطحال ، تقل فى الكمية ، وحيث إنها تساعد فى عملية التهام (البكتيريا) ذات المحفظة المحاطة بها Capsule ، فيؤدى هذا إلى إصابة الطفـــل بالالتهابات الشديدة الوطأة ، خاصة التهاب غشاء المخ ، والتسمم الدموى بـ (البكتيريا) المكورة الرئوية Pneumoco ccal meningitis and septicemia وأيضاً الالتهاب العظمى البكتيرى بالسالمونيلــــــــــــــــــــــــــلا Salmonella Osteomyelitis .

● قُصُور وظائف الكلى المطرد ، نتيجة تحلل أنسجتها glomerulo tubular necrosis وأيضاً قد يصاب الطفل بـ (أوديما) كلوية Nephrotic Syndrome .

★ ★ ★

(ب) إصابة الطفل بنوبات حادة acute crisis وتشمل :

١ ـ نوبـــة انسداد الأوعيـــة الدمويـــة : Vaso-occlusive crisis

وقد تحدث تلقائياً بدون سبب مباشر ، أو نتيجة لإصابة الطفل بأحد الالتهابات ، وقد يؤدى هذا إلى :

● إلتهاب عظام اليد والقـــدم hand foot syndrome ويؤدى هذا إلى حدوث تُورم مع ألم شديد فى يدى الطفل وقدميه ، وقد يحدث التهاب مع تورم وألم شديد فى أحد المفاصل الكبيرة : Sickle cell arthritis .

● ألم شديد فى البطن ، وقد تحدث جلطات فى أحشاء الطفل .

● قد يحدث خلل فى جهاز الطفل العصبى ، نتيجة انسداد أحد الأوعية الدموية المغذية لمخ الطفل .

● ألم شديد فى الصدر نتيجة حدوث جلطة فى رئة الطفل أو قلبه .

٢ ـ نوبة تجمع كميات كبيرة من الدم فى طحال الطفل : **Sequestration crisis**

ويصبح الطحال متضخما ومؤلماً ، مع قلة كمية الدم فى الأوعية الدموية ، وقد يؤدى هذا إلى وفاة الطفل .

* * *

٣ ـ النوبة اللّاتكوينية : **Aplastic crisis**

حيث يصاب النخاع العظمى فجأة بعدم القدرة على تصنيع كرات الدم الحمراء ، نتيجة للإصابة بأحد الفيروسات : **human parvo virus** ويؤدى هذا إلى حدوث فقر دم شديد ، مع قلة نسبة الصفراء فى الدم وعدد الخلايا الشبكية .

٤ ـ نوبة الزيادة المفاجئة فى تحلل الكرات الحمراء : **Acute Hemolytic and hyperhemolytic**

ويحدث هذا نتيجة لإصابة الطفل بأحد الالتهابات ، أو إذا كان مصاباً بأنيميا الفول ، علاوة على إصابته بهذا المرض ، ونتيجة لهذا ، يصاب الطفل بالشحوب الشديد ، مع احمرار لون البول ، وزيارة نسبة مادة الصفراء فى الدم ، مع زيادة عدد الخلايا الشبكبة

* * *

● **طرق تشخيص المرض :**

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة ويتجلى فيها :

قلة نسبتى الهيموجلوبين ، وعدد كرات الدم الحمراء ، مع زيادة نسبة الخلايا الشبكية ، وقد تظهر الخلايا الحمراء المنجلية الشكل .

٢ ـ زيادة نسبة الصفراء فى دم الطفل .

٣ ـ القيام بإجراء اختبارات خاصة لتشخيص المرض :

(١) اختبار التحليل الكهربائى لهيموجلوبين الطفل : **Hb electrophoresis**

وهو أدق اختبار لتشخيص المرض ، ومعرفة نوع الهيموجلوبين ، حيث يشكّل (الهيموجلوبين إس) المختل التكوين ، حوالى ٩٠٪ من هيموجلوبين المريض ، وحوالى (٣٥٪ ـ ٤٥٪) من هيموجلوبين الطفل الحامل للمرض .

(٢) إجراء الاختبار لقياس الميل لتكوين الخلايا المنجلية فى دم الطفل **Sickling tcst** .

ويؤدى هذا الاختبار ، بإضافة مادة ميتابيسلفات الصوديوم : **Na metabisulfite** إلى دم الطفل ، وهى مادة مختزلة للأوكسجين ، فإذا كان الطفل مصاباً بالمرض فإن جميع خلايا الدم الحمراء ، تصبح بسرعة منجلية الشكل ، أما إذا كان الشخص حاملا للمرض ، فإن جميع خلايا الدم الحمراء أيضاً تصبح منجلية الشكل ، ولكن ببطء .

(٣) الاختبار المحدد لمدى قابلية الهيموجلوبين للذوبان : **Hb Solubility test**

حيث ان هيموجلوبين المريض (إس) يكون غير قابل للذوبان ، فى مادة الفوسفات ، فيحدث تعكُّر به .

* * *

● علاج المرض :

ويتم هذا فقط ، أثناء إصابة الطفل بإحدى النوبات ، ويفضل تجنب حدوثها ، بالعلاج الأمثل السريع للالتهابات ، التى تصيب الطفل ، وتمنع إصابة الطفل بالجفاف ـ أما إذا حدثت هذه النوبات ؛ فإن علاجها يتم كالآتى :

● **نوبة انسداد الأوعية الدموية :**

* يتم إعطاء الطفل سوائل بكميات كبيرة عن طريق الحقن .

* وإعطائه مُسكنات للألم : Analgesics .

* تجمل وتجب المسارعة بغير تقاعس بعلاج الالتهابات الحادة الطارئة إذا أصيب بها الطفل .

* قد يحتاج الطفل لنقل الدم أو تغيير جزئى للـــدم Partial exchange transfusion حتى نقل نسبة (الهيموجلوبين إس) ، عن ٤٠٪ لانتهاء تلك النوبة .

● **نوبة زيادة تحلل الدم ، أو قلة تكوين كرات الدم الحمراء ، أو نوبة احتجاز الدم فى طحال الطفل :**

وتعالج تلك النوبات بنقل دم للطفل المريض ، ومن الجدير بالذكر أن استئصال الطحال قد يتم فى حالة زيادة نشاط الطحال ، مع تكسير خلايا الدم ، أو إصابة الطفل بنوبات احتجاز الدم فى الطحال المتكررة .

وسوف نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى .

«وَيخلق مَا لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السّيد أحمد (*)

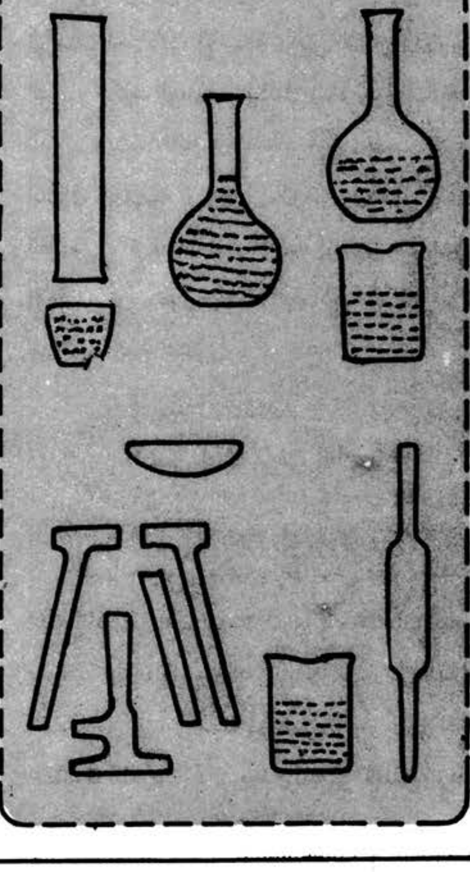

● خط اليد لتحديد الشخصية

نشرت إحدى الصحف البريطانية تقريراً عن تمييز خط يد كل إنسان بثلاثمائة ملمح ينفرد بها عن غيره من بنى الإنسان ، ويمكن لخبير علم الخط من خلال فحصها التوصل عملياً إلى معلومات مفصلة حول جميع جوانب شخصية الإنسان وقدراته العقلية ، فإذا ما قدم لخبير الخط خطاب لا يزيد عدد سطوره عن خمسة عشر سطراً مكتوبة بخط اليد يمكنه معرفة : مدى أمانة الشخص وسلامة ذهنه ، وتوفر خصال القيادة فى شخصه ودرجة ولائه واستعداده للتعلم ، وقدرته على الإبداع والابتكار ، وتستخدم هذه الطريقة لتحديد صلاحية الشخص من عدمه لشغل بعض الوظائف فى الشركات البريطانية .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

الهندسة الوراثية لعلاج مرض السرطان

يقوم الباحثون الفرنسيون بإجراء التجارب على نوع جديد من العلاج لمرضى السرطان باستخدام تقنية الهندسة الوراثية ونقل « الجينات » ، فقد قاموا بتصميم ما يمكن وصفه « بالمركبة » التى يمكنها حمل ونقل هذه الجينات التى تم إعدادها بأحد مراكز الأبحاث فى باريس إلى قلب الخلايا المريضة ، حيث تقوم هذه الجينات بالقضاء تماما على الخلايا السرطانية . وهذه « المركبة » عبارة عن نوع معين من « الفيروسات » يمكن ترويضه والتحكم فيه وتجريده من أية عوامل ضارة .

أسلاك الكهرباء تسبب سرطان الدم

اكتشف الباحثون فى السويد أن حالات الإصابة بمرض « اللوكيميا » أى : « سرطان الدم » قد زادت بين الأطفال الذين يتعرضون للمجالات المغناطيسيةالتى تولدها خطوط القوة الكهربائية ، حيث ثبت أن أسلاك الكهرباء سواء داخل المنزل أو مقر العمل أو عند خطوط الإرسال يمكن أن تسبب كافة أنواع السرطان ، وخاصة سرطان الدم ، وكلما زاد التعرض لهذه الأسلاك كلما زاد خطر الإصابة .

دم صناعى جديد يحافظ على معدل الأكسوجين فى المخ

توصل الباحثون فى جامعة « تكساس » بالولايات المتحدة إلى إنتاج دم صناعى جديد ؛ لاستخدامه فى عمليات نقل الدم بدلا من الدم الطبيعى ، وأعلن الباحثون أن الدم الصناعى يجنب الإنسان احتمالات الإصابة بمرض الإيدز وفيروس التهاب الكبد الوبائى ، وذلك أثناء عمليات نقل الدم . ويتميز الدم الجديد بأنه لا يتطلب شرط انطباق الفصيلة والتماثل اللازمين فى نقل الدم الطبيعى . كما تمتد مدة صلاحيته إلى ١٢ شهراً على الأقل ، أى أطول بنسبة عشر مرات من فترة صلاحية الدم البشرى .

التنفس يحدد مرض الطفل :

أكد باحثون بريطانيون أن قياس معدل تنفس الطفل المريض يعتبر عاملا ضروريا وحاسماً لتحديد ما إذا كان الطفل مصاباً بالتهاب قوى فى جهازه التنفسى ، أم أنه مصاب بأمراض أخرى أقل خطورة كالبرد ؛ لأن معدل تنفس الطفل يزداد عندما يكون مصاباً بالالتهاب الرئوى ، ويوصف بالتنفس السريع .

● اكتشاف طبيعة فيروس « الأنفلونزا »

أعلن أساتذة جامعة « نورث إيسيترن » بشيكاغو - فى دراسة علمية نشرت مؤخراً - توصلهم لاكتشاف طبيعة فيروس الإنفلونزا ، وطريقة اقتحامه لخلايا جسم الإنسان مما يعد كشفاً خطيراً سوف يؤدى إلى تطوير الأدوية التى تستخدم فى علاج الإنفلونزا ، كما أنهم توصلوا إلى اكتشاف جميع مراحل إصابة الفيروس لخلايا الجسم وتكاثرها ، حيث تبين أن الفيروس يشكل قناة داخل الخلية تسمح له بالتحرك بسهولة ، ثم التكاثر إلى عدة فيروسات تصيب باقى الخلايا ؛ مما يؤدى فى النهاية إلى إصابة الإنسان بالمرض .

● تخزين الكتب فى حاسوب الجيب :

تقوم إحدى الشركات اليابانية للصناعات الإلكترونية بتصنيع حاسوب صغير فى حجم الجيب ، يمكنه تخزين ما يعادل من ٣ آلاف صفحة من الكتابة فى قرص بلاستيك قطره ٧ سنتيمترات .

يتكون الجهاز من شاشة صغيرة ومجموعة مفاتيح يمكن استخدامها لاختيار أى صفحة أو معلومة معينة فتظهر على الشاشة ، ويتميز هذا الحاسوب بسهولة حمله فى أى مكان وتوفير المعلومة للقارىء بسهولة .

● حاسب آلى يعمل بالضوء :

أجرت إحدى الشركات الأمريكية للالكترونيات تجربة ناجحة لاستخدام الضوء بدلا من الإشارات الإلكترونية فى تشغيل الحاسب الآلى باستخدام منشورات زجاجية وعدسات وأشعة الليزر وترانزستورات ضوئية . ويؤكد علماء الشركة أن استخدام الضوء بدلا من الإشارات الإلكترونية يجعل الأجهزة أسرع بحوالى ١٠ آلاف مرة فى إجراء العمليات المطلوبة .

اللغة والأدب والنقد

غاية شوط

بقلم الفريق/ يحيى عبدالله المعلمى

غايــةُ الشــوط بِحصــنِ الخالديــنْ
معقــلِ الإبــداع والفــن الرصيــنْ

بعــد كــدٍّ وكفــاح لا يليــنْ
تبلــغ الــذروةَ آمــالُ السنيــنْ

عِشْقُنــا الفصحــى بوجــد الواهيــنْ
قــد رعيناهــا بشــوق وحنيــنْ

وعـذارى الشعــر حينــاً بعــد حيــنْ
تتــراءى كطيــوفٍ للعيــونْ

كفراشــات بأعمــاق السكــونْ
حائمــات عن يســار ويميــنْ

تيَّمتْنــى .. صيَّرتْنــى فى شجــونْ
كى أنــالَ القــربَ .. قُربَ العاشقيــنْ

وتــأبَّتْ بــدلال وفُتُــونْ
تنشــد الإغــداق رقــراق المعيــنْ

مهرهــا الديبــاج والخــز الثميــنْ
لِمعَــانٍ .. تنشــر اللفــظ المبيــنْ

بوشــاح بُحتــرىٍّ (الياسميــنْ)
وقــد ازدان بوشْــىِ الملهَميــنْ

ببلــوغ الأوج مَن ذا يستهيــنْ ؟
بحِمــاكم صِــرْتُ وضــاء الجبيــنْ

● ● ●

كم تجافَــى الجنبُ فى المهــد الوثيــرْ
فى ليالى السعــد والعهــد النضيــرْ

كانــت (الأسفــار) كالكنــز الأثيــرْ
تُتــرعِ الوجــدان بالعلــم الغزيــرْ

كل سفــر بشهيــق وزفيــرْ
كان دنيــاى ومصباحــى المنيــرْ

أشهــد الأفــلاك ما بين السطــورْ
فى ائتــلاف منــذ أعمــاق العصــورْ

أى صــعب هو فى عزمــى يسيــرْ
«والأمانــى حيثمــا سِرتُ.. تسيــرْ»

وعشــقت الشعر فى سَمْتٍ غضيــرْ
لا يعــانى من (زِحــاف) أو كســورْ

وجفــوت (التَّبْــطَ) أُمِّيًّــا فطيــرْ
يرمــق الفصحــى بصــمت لا يحيــرْ

أين لفظ دارج المبنى حسيرْ   من فصيح اللفظ ذى المعنى الغزيرْ
لغة القرآن للفذ البصيرْ   نبع إثراء إلى يوم النشورْ

● ● ●

بين أقلامى وأوراقى عهودْ   كنت فيها عن سُمُوٍّ لا أحيدْ
أنشد التوفيق بالجهد الجهيدْ   كان نبلُ القصد لى بيتَ القصيدْ
وكتاب الله لى نعم المفيدْ   كان مشكاتى إلى الرأى السديدْ
وحديث المصطفى حبل الوريدْ   صار زادى فى صدور ، وورودْ
وشؤون الأمن فى الإسلام بيدْ   صرتُ فيها صاحب الشأْوِ البعيدْ
بعد تصنيفىَ للجَمِّ العديدْ   كان إقْدامى بإخلاص شديدْ
ما قصدت الزَّهْوَ والفخر المديدْ   بل كجُنْدىٍّ مشى بين الجنودْ
لابْتغاء الأجر من رب مجيدْ   كان كَدْحى .. لا لسَبْقِ أو صعودْ
سدَّد الخطو إلى مَنْحَى يُشيدْ   برجالاتٍ هم نهج رشيدْ
تذكر (الأعلام) منهم بالمزيدْ   من دراسات تشوق المستزيدْ

● ● ●

إيهِ يا نخبة أقطاب البيانْ   أوَ حقاً ما يراه الناظرانْ
ما بدا فى الحفل من رأى العيانْ   أشخوص أم (عقود من جُمَانْ)
كنت قبلًا فى بعاد وافتتانْ   وحَدَا بى للطموح الحَرَمانْ
(مَجْمَعُ الضاد) دواماً فى الجَنَانْ   واختيارى فيه لى عزٌّ وشانْ
كنتُ بالأمس بسيفٍ وسِنانْ   وأنا اليوم يَراعٌ ولسانْ
كنت طوداً فى نزال وطعانْ   ويداى اليوم كم ترتجفانْ
فأعينونى بتدعيم الكِيانْ   أنا فى البدء جدير باحتضانْ
لغة الضاد ستبقى فى أمانْ   لا اعْتِلَالٌ يعتريها أو هوانْ
بل شموخٌ بابتكاراتِ (اللجانْ)   أنتم الحُرَّاس فى هذا الزمانْ
أتقِنوا التنقيب فى شَتَّى المظانْ   لازْدِهَارٍ فى زمان أو مكانْ

● ● ●

الشــواهد النحويــة بــين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبيــة

٣

للشيخ عبدالحفيــظ فرغلــى القــرنى

حول اسم المصطفى ﷺ :

استشهد النحاة بقول حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فى مدح النبى ﷺ :

وشَــقَّ له من اســـمه ليُجلَّــه   فذو العــرش محمــودٌ وهــذا محمـــد

وعلة استشهادهم بهذا الشاهد أنه يجوز لمح الوصف مع العلمية ، أى يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذى كان قبلها ـ بالنسبة للعلم المنقول من صفة .

والوصف فى هذا العلم (محمد) واضح ، وقد وضع ـ كما يقول العلامة الرضىُّ فى شرح الكافية علماً لنبينا ﷺ بملاحظة معناه فى اللغة ، كما قال صاحب العباب[(١)] وغيره : الذى كثرت خصاله المحموده ـ كما قال الأعشى فى مدح النعمان المنذر :

إليك ـ أبـيت اللعــن ـ كان كلالها   إلى الماجـد الفــرع الجــواد المحمَّـــد

وبعد أن صار علماً يجوز أن يلحظ معناه اللغوى كما لحظه حسان بن ثابت فى بيت الشاهد .

اشتقاق اسمى محمد وأحمد :

وتعليقاً على تعليق البغدادى فى « خزانة الأدب » نذكر ما قاله السهيلى فى كتابه « الروض الأنف »[(٢)] حول هذا الاسم :

قال : إن اسم (محمد) منقول من الصفة ، فالمحمَّد فى اللغة هو الذى يُحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّل مثل مُضَرَّب ومُمَدَّح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

---

(١) اللباب الزاخر فى اللغة ـ للإمام حسن محمد الصغانى ت ٦٥٠هـ .

(٢) الروض الأنف : للفقيه المحدث أبى القاسم عبدالرحمن السهيلى ت ٥٨١ ـ شرح فيه سيرة ابن هشام .

وأما أحمد فهو اسمه ﷺ الذى سمى به على لسان عيسى وموسى ـ عليهما السلام ـ وإنه منقول أيضاً من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى (أحمد) أى أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى ؛ لأنه تفتح له فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ، ولذلك يُعقد له لواء الحمد .

سبب تسميته بهذين الاسمين :

قال السهيلى : أما محمد فمنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى .

المبالغة والتكرار ، فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ سماه به قبل أن يولد ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛ إذ كان اسمه صادقاً عليه ـ فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ محمود فى الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخر بالشفاعة ؛ فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ..

ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد ؛ حمد ربه فنبّأه وشرفه ، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد ، فذكره عيسى ـ عليه السلام ـ فقال فيما يحكيه القرآن : « إسمه أحمد » الصف(٦) .

وذكره موسى ـ عليه السلام ـ فيما ورد فى الأخبار حين قال له ربه : « تلك أمة أحمد » فقال : « اللهم اجعلنى من أمة أحمد » .

فبأحمد ذكر ﷺ قبل أن يذكر بمحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وُجد وبعث كان محمداً بالفعل .

حمد الشفاعة :

قال السهيلى : وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يشفع فيحمد على شفاعته . ومن هنا تظهر الحكمة الإلهية فى تخصيصه بهذين الإسمين ، وقد أنزلت عِليه سورة « الحمد » وخُصَّ بها دون سائر الأنبياء ، كما خُصَّ بلواء الحمد ، وخُصَّ بالمقام المحمود .

وانظر كيف شُرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور : « **الحمد لله رب العالمين** » قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ـ الزمر ٧٥ ـ وقال تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس ١٠ . تنبيهاً على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور .

وقد سنَّ النبى ﷺ لنا الحمد بعد الأكل والشرب ومختلف الأعمال المشروعة ، وقد قال عند انقضاء السفر : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » جامع الأحاديث للسيوطى جـ ١ ص ٢٧ .

ثم انظر لكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فكانت بعثته مؤذنة بانقضاء الرسالة وارتفاع الوحى ونذيراً بقرب الساعة ــ مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ــ تجد معنى اسميه جميعاً وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلًا لمعناه مطابقاً لصفته ، وفى ذلك برهان عظيم وعَلم واضح على نُبُوته وتخصيص من الله ــ تعالى ــ بكرامته ، وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تكرمة له ، وتصديقاً لأمره ﷺ وشرفاً وكرماً .

تعليق البغدادى على بيت الشاهد :

قال البغدادى : وهذا البيت أول أبيات ثمانية مدح بها حسان بن ثابت النبى ﷺ وهذه الأبيات هى :

وشـــق لـــه من اســـمه ليجلَّـــه ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـــد
نبـــى آتانـــا بعـــد يـــأس وفتـــرة ... من الرسل ، والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجـــاً مستـــنيرا وهاديـــا ... يلـــوح كما لاح الصقيـــل المهنـــد
وأنذرنـــــا نارا وبشر جنــــــة ... وعلمنـــا الإســــلام فالله نحمـــد
وأنت إلـه العـــرش ربـــى وخالقـــى ... بذلك ما عُمِّـرتُ فى النـاس أشهــد
تعاليت ربَّ النـاس عن قـول من دعـا ... ســـواك إلهـــا أنت أعلى وأمجـــد
لك الخلـق والنعمـاء والأمـــر كلـــه ... فإيـــاك نستهدى وإيــــاك نعبـــد
لأن ثـــواب اللــــه كل موحـــد ... جنـــان من الفـــردوس فيهـــا يخلـــد

رواية أخرى فى بعض الأبيات :

وهذا هو المثبت فى ديوان حسان برواية أبى سعيد السكرى ، ولكن جاء فى المواهب اللدنية للقسطلانى(٣) : ثم إن فى اسمه ﷺ خصائص منها أنه ــ تعالى ــ شقة من اسمه المحمود كما قال حسان :

أغـــر عليـــه للنبـــوة خاتـــم ... من اللـه من نـور يلـــوح ويشهـــد
وضـم الإلـه اسـم النبى إلى اسمـــه ... إذا قـــال فى الخمس المؤذن أشهـــد
وشـــق له من اســـمه ليجلـــه ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـــد

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فى السيرة النبوية للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد القسطلانى المصرى ت ٩٢٣هـ .

وعلى هذه الرواية فالواو فى (وشق) للعطف على ما قبله ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى (له) راجع للنبى - ﷺ -:

ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى « تاريخه الصغير » من طريق على بن زيد قال : كان أبو طالب يقول : وشق من اسمه ليجله .. البيت .

نقول : والمعروف أن أبا طالب مات قبل إسلام حسان بن ثابت ، فعلى هذا يكون البيت المذكور سبق به أبو طالب حسان بن ثابت :

من سمى النبى - ﷺ - بهذا الإسم ؟

قال البغدادى : وقد سماه الله - تعالى - بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألف عام كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نعيم فى مناجاة موسى .

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : « إن الله أنزل عل آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ، ثم أقبل آدم على ابنه شيث فقال : أى بنى أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه محمداً ، فإنى رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوباً عليها ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طوبى ، وعلى ورق سدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة ، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها » .

رؤيا عبدالمطلب :

ويستطرد البغدادى فى خزائنه فيشير إلى سبب اهتداء عبدالمطلب وتوفيقه فى اختيار هذا الاسم الذى سمى به حفيده ﷺ فيقول :

قيل لعبد المطلب : كيف سميته بهذا الإسم وهو ليس لأحد من آبائك وقومك ؟

فقال : لأنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها « على القيراونى العابر » فى كتاب « البستان » قال : كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء ، وطرف فى المشرق ، وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كلهم يتعلقون بها . فقصها ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ، ويحمده أهل السماء

والأرض ، فلذلك سماه محمداً ، مع ما حدثته به أمه آمنة ، حين قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعته فسميه محمداً .

ومن أسمائه محمود :

وقال البغدادى : ومن أسماء النبى – ﷺ – « محمود » ذكر ذلك صاحب المواهب اللدنية ؛ قال : اعلم أن من أسماء الله تعالى – الحميد ، ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه ، وحمده عباده ، وقد سمى الرسول – ﷺ – بمحمود ، وكذا وقع اسمه فى زبور داود – عليه السلام – .

وقال الشامى[4] فى سيرته : ومن أسمائه – ﷺ – المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة ، قال حسان بن ثابت – رضى الله عنه – :

فأصبح محمودا إلى الله راجعا ... يبكيه حق المرسلات ويحمد

وهو من أسمائه – تعالى – كما قال حسان :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وعليه فهو اسم مشترك بين الله – تعالى – وبين نبيه – ﷺ – قال البغدادى : ولم أر من صرح بهذا غير الشامى .

هل أحمد أفعل تفضيل ؟

قال السخاوى فى سفر السعادة[5] : أحمد مأخوذ من الحمد كما أخذ أحمر من الحمرة ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمَّر ومُصَفَّر ، لأن الوصف فى أحمر وأصفر ألزم .
وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل تفضيل كأكرم ، ومن هذا : الله أكبر .

بركة هذا الإسم :

واسم محمد وأحمد له بركة تصاحب المسمى به ، وعلى المسمى به أن يحترم هذا الاسم ، فيتحلى بالأخلاق الفاضلة التى كان يتحلى بها محمد ﷺ الذى امتدحه ربه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم / ٤) .

---

(٤) الشامى هو محمد بن على بن يوسف الشامى الشافعى ت ٦٠٠ له كتاب فى سيرة النبى – ﷺ – .
(٥) سفر السعادة وسفير الإفادة فى شرح المفصل للإمام أبى الحسن على بن محمد بن عبدالصمد السخاوى ، نسبة إلى سخا – قرية من أعمال الغربية (كفر الشيخ الآن) بمصر – ت ٦٤٣هـ ، والمفصل كتاب فى النحو للزمخشرى .

ولعله من قبيل هذه البركة ما حدث به على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فيما يرويه القرطبى فى تفسيره ـ « ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد ، فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم » تفسير القرطبى حـ ٣ ص ١٤٩٣ دار الشعب ـ تفسير الآية رقم ١٥٩ من آل عمران .

من صاحب الشاهد ؟

وصاحب الشاهد الذى دار حوله الحديث هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار ، أخوال عبدالمطلب جد النبى ﷺ .

وأمه الفريعة بنت خنس من بنى الخزرج . قال ابن قتيبة فى « طبقات الشعراء » : هو جاهلى إسلامى ، متقدم الإسلام ، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده ، ولكنه جاهد معه بشعره ، كان النبى ﷺ يقول له : « قل وروح القدس تؤيدك » وكان ينصب له منبر فى المسجد لينشد من فوقه .

وهو من الشعراء المعمرين ، عاش مائة وعشرين عاماً ، نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الإسلام ، ومات زمن معاوية بعد أن كُفَّ بصره فى آخر عمره .

جزى الله البغدادى عن خزانته خيراً ، فكم فيها من معارف ، وكم جمعت من فوائد ، وبالله التوفيق ..

مع الدكتور عبد الوهاب عزام ﷺ

فى كتابه: الأوابد

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الأوابد ــ لُغةً ــ جمع آبدة : وهى الأمر العجيب يستغرب له ، وأوابد الكلام : غرائبه وعجائبه . ويقال : فرسٌ قيْد الأوابد ، أى يُقَيِّد طريدته ، لسرعته ، فلا تفلت منه .. وقد أبى تواضع الدكتور عزام عليه ، أن يَعْنى بها ــ كعنوان لكتابه هذا ــ ما عَنَاه الزمخشرى ، حين وصف ، بدوره ، أوابد الكلم : بأنها هى التى لا تُشاكل جودة .. فيقول ــ الدكتور عزام ــ فى مقدمة الطبعة الأولى لكتابه : « .. وقد سميته « الأوابد » ، لحسبانى هذه الأفانين من الكتابة ، غريبة فى موضوعها وأسلوبها ؛ ولأنها لبثت حقبة مهملة شتيتة فى أوراق ، فكانت فى هذين الوصفين ، كالأوابد من الحيوان ، التى تعزُب عن البشرِ ، وتنفر من الحضر ، وتعيش متأبِّدة فى الفيافى .. » إلى أن يختتم مقدمة الكتاب ، بقوله : « وبعد ، فلا أقول شيئا فى طرائق هذه المقالات ومزاياها ، ولكن أدع للقارىء رأيه حرا ، وحسبى أنها بيان صادق عن عقلى وقلبى ، وأنى أردت بها الحق والخير ، وابتغيت وجه الله ، وهو حسبى ، وكفى ... » .

٭ ٭ ٭

وبعد جولاتنا السابقة ، مع مؤلفات الدكتور عزام ، والوقوف على صلاته العميقة ومشاركاته الوجدانية لصفوة من كبار الشعراء والأدباء فى الشرق والغرب ، نخلص إلى أنه كان لابد لقريحته الوقَّادة الملهمة ، من إبداع نتاج أدبى ذاتى خالص ، خاص بها .. هذا بالإضافة إلى حرصه الدائب على تدوين سبحات فكره ، وخطرات نفسه ، أولا بأول ، يوميا ، أثناء رحلاته المتعددة إلى الخارج ، وكما يقول عن كتابه

(الشوارد) إنه : (خطرات سنة كاملة ، بدأتها فى الحجاز ، وختمتُها فى باكستان ، خمس وستون وثلاثمائة خاطرة ، كل واحدة فى صفحة على حدة ، وقَصَدْتُ فيها إلى مقاصد ، منها : دعوة النشء إلى الحياة الكريمة الطاهرة الأبية ، وتبْصيرهم بالفضائل العالية ، وَحَضِّهم على الاستمساك بالنظام والطاعَة ، ورفْعهم على مستوى العيش الذليل ، إلى مستوى الحياة العزيزة ، والسُّمُوّ بهم إلى كل مقصد روحى عال » .

° ° °

وتظهر براعة وفطانة الدكتور عبدالوهاب عزام ، فى انتقائه للموضوعات الهامة ، فى تاريخنا الإسلامى المجيد ، وعرْضها بأصالة واقتدار ، ليبرز ما فيها من عظمة وروعة ، وعمق تأثير .. بتعبيره الحىّ المتدفق ، ليربط الماضى بالحاضر ، ويخرج منها بالدروس المستفادة .

ومن ذلك ما ذكره تحت عنوان : « أربع صفحات متتابعات » فى سيرة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيصف (فتح مكة) بقوله : « هذا يوم العشرين من رمضان ، سنةِ ثمان من الهجرة ، وقد أخذت مكة صوْلةُ الجيش الإسلامى ، ودَهمها جُندُ التوحيد من أعْلاها وأسفلها ، (خالد بن الوليد) قائد الميمنة يدخل من (الليْط) أسفل مكة ، يقود جموعا من غفار وأسْلم ومُزينة ، وغيرها .. و (الزبير بن العوام) قائد الميسرة ، يدخل من (كُدَى) أعلى مكة ، و (أبوعبيدة بن الجراح) فى صف من المسلمين ، يدخل من (أذاخر) بين يدى رسول الله .. » ياله من مشهد جليل ، ذلك الذى يصوره بعد ذلك، بقوله: «ورسول الله على راحلته» مطأطئاً رأسه ، كأنه ساجد على الرَّحْل، تواضعا وشكرا .. قد غضّ بصره عن هذا الجيش الكثيف ، وهذا الجُنْد المطيع ، وهذه السطوة المحيطة ، ليفتحه على الحق الذى يدعو إليه ، والعَدل الذى يقوم به ، والسلام الذى يبغيه ، والألفة التى يريدها .. »[1] .

° ° °

وبعد أن تم نصر الله والفتح ، يسوق (عبدالوهاب عزام) واقعة بعيدة المغزى ، لموقف عظيم ذى صلة وثيقة بجهاد النفس ، أو الجهاد الأكبر ، .. ويقدم الدكتور عزام هذه الواقعة ، أو المشهد الحىّ الخالد ، الذى جعل الدموع تنبجس من مقلتىَّ ، بحرارة وغزارة .

يقول الدكتور عزام : « وقسّم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغنائم على أصحابها ، وزاد فأجْزل العطية ، لجماعة من رؤساء العرب : قرشيين ؛ وغير قرشيين ، ليتألّف قلوبهم ، ولم يُعْطِ أحدا من الأنصار .. فعجبَ الأنصار ، وتكلموا فيما بينهم ،وجاء سعد بن عبادة ـ سيد الخزرج ـ فقال : ـ يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدُوا عليك فى أنفسهم ، لِمَا صنعتَ فى هذا

(١) الأوابد ص ١٣

الفيء الذى أصَبْتَ .. قَسَّمْتَ فى قومك ، وأعطيت عطايا عِظاما فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحىّ من الأنصار شىء ..

● فأين أنت من ذلك يا سعد ؟! .

- يارسولَ الله ما أنا إلا من قومى ! ..

● فاجْمعْ لى قومك فى الحظيرة ..

يقول الدكتور عزام مستطراداً : «اجتمع الأنصار فى الحظيرة، وهم عماد هذا الإسلام وجنده، اجتمعوا عاتبين على قائدهم العظيم ، يرون أنه آثر عليهم جماعة من رؤساء العرب ، ليس لهم فى الإسلام سابقة ، ولا فى نصرته بلاء .. فليت شعرى ماذا يقول هذا القائد الكريم ، وكيف يُرضى خُلَّصَ جنوده العاتبين ؟!

استمع :

● يا معشر الأنصار ! ما « قَالَةٌ » بلغتْنى عنكم ، وموجدة وَجَدْتُموها فى أنفسكم ؟ ألَمْ آتكم ضُلَّالًا ، فهداكم الله ، وعالةً فأغْناكُم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ .

- بلَى ! لله ورسوله المن والفضل ..

● ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ .

- وبماذا نُجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل ..

● أما والله لو شئتم لقُلتُم ، فلصَدَقتم ثم لصَدَقتمْ : أتيتنا مُكَذَّبا .. فصدَّقناك .. ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسَيْناك .. » وَجَدْتُمْ فى أنفسكم .. يا معشر الأنصار - فى لُعاعة من الدنيا، تألفتُ بها قوماً، ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم .. أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشَّاءِ والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده ، لولا الهجرة لكنتُ امرءً من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْبا ، وسلَكتُ الأنصار شعبا ، لسلكتُ شعب الأنصار .. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال الأنصار - والدموع تبل لِحاهم - وقد غسلت كلماتُ الرسول عَتْبَهم ، وأيقظت قلوبَهم ، وزادتهم حبا للرسول وطاعة ، وأصابوا فيها ما يحقر كلَّ ما أخذ الناس من مال ، وما يأخذون - قالوا والدموع تبل لحاهم :

- رَضيْنا برسول الله قسْمًا وحظًّا(٢) ..

* * *

ويمضى الدكتور عزام ، رحمه الله ، فى إبداعات أوابده ، فيصف الكعبة المشرفة ، بهذه العبارات الوضَّاءة : « إن كل مغناطيس على الأرض ، يتجه إلى القطب أبدا ، إنْ أدَرْته عنه ، دار إليه ، وإنْ

(٢) المصدر السابق ص ١٧ ، ١٨

صرفته جهد طاقتك ، لم ينصرف عنه ، وإنْ أحَطْتَه بآلاف الحُجُب فهو موصول به ، نازع إليه .. فما أشبه قلوب المسلمين ، فى توجّهها إلى الكعبة ، بالإبر المغناطيسية ، التى تتجه إلى قطبها ليل نهار ، على بُعد الأقطار[٣] واختلاف الأمصار .. وشتان بين القلوب النابضة ، والإبر الجامدة » .

° ° °

ثم يقدم لنا (وِرْد الصباح) ، بعبارات بليغة ، يقول فيها : « تنفس الصبح فى غَسق الليل ، ولاحت غرته فى هدوء السحر ، والنور يسيل من رُبا المشرق قليلا قليلا ، وَيُولد اليوم الجديد .. ربِّ فأضِيء عقلى بالهدى ، ورغب نفسى فى الحق والخير ، واملأ قلبى بالأمل ، وقَوِّ يدى على العمل ، اشرح صدرى ، واشْدُدْ أزرِى ، وأشْحِذْ عزمى لليوم الجديد ، ربِّ قد طُويت من عمرى صفحات ونشرتْ اليوم صفحة ، فاجْعلْ صفحتى هذه أوْعَى للخير ، وأخْلَى من الشر ، وَزَيِّنْها بالحق ، وبرِّئْها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها : الإخلاص لك ، والعمل لوجهك ..»[٤] .

ويتحدث عن (الربيع) ، حيث : الفراش قَلِقٌ بين النَّوَّار ، هائم بين الأزهار ، لا يقرّ له قرار ، كأن كل فراشة زهرة طائرة ، أو نغمة فى جمال الروض سائرة : .

« جاء الربيع ، فليت فى كل قلب من صفائه قطرة ، وفى كل نفس من جماله زهرة ، وفى كل خُلق من عبيره نفحة .. لتعمر النفوس بمعانى الحياة ، وتستنير بأشعة الجمال ، ويسكن الناس إلى السعادة حينا ، وينسوا أساليب العداوة والبغضاء زمنا .. » .

« ليتهم اجتمعوا على وِرْد الحياة متصافين ، كما ترف على جداول الربيع الرياحين . »[٥] .

° ° °

ثم يعزف الدكتور عزام على قيثارة الشعر ، فى فصل آخر من كتابه ، لينهج نهجاً جديداً ، فالعربية مَوْئل للمعانى السامية ، التى يتناولها الشعر إذا أطلق من عقاله ، وحُرِّر من الموضوعات الضيقة ، التى اعتادها جمهور الشعراء ، ولا سيما ــ كما يقول ــ المعانى التى تكثر فى أشعار الصوفية العظام .. وقد اتخذ ، فى نظم قصيدته ، مثالا للقافية المزدوجة ، التى قَصَرَها شعراءُ العربية على الرَّجز المشطور ، كما قَصَرُوا الرجز على نظْم العلوم ، كالألفية ، والجوهر المكنون ، والتاريخ .. كمنظومة ابن عبدربه فى أمراء بنى أمية . و (الصادح والباغم) .

يقول الدكتور عزام : « وينبغى أن يسرى هذا الضرب من التَّقْنية إلى أبحر الشعر الأخرى ، حين تعالج الموضوعات الواسعة ، فهذا هو الذى سَنَّى لشعراء الفارسية وغيرهم ، أن ينظموا عشرات الآلاف من الأبيات ، فى قصة واحدة ، أو كتاب واحد » إلى أن يختتم تمهيده لمنظومته ، بقوله :

---

(٣) المصدر السابق ص٥٣

(٤) المصدر السابق ص ٦٦

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

« وإنى أدعو أدباء العربية ، إلى العناية بهذا المثال الذى أُقدِّمه فى المعانى والقوافى ، ليقبلوه على بينة ، أو يردُّوه بالحجة ، والله ولى التيسير . »[٦] .

ونختار ، فيما يلى ، بعض أبيات هذه المنظومة ، للتذوق الأدبى ، وكمثال تطبيقى لما يدعو إليه .

يقول :

أيها الليـــل ، إلـــيك المفـــزعُ كم حَنَتْ منك علينـــا أضلـــعُ
كم خفينـــا فى غيابـــات الدجـــى وملأنـــا الليـــل هَمـــا وشجـــا
خِلتنـــى فى الليـــل جمرا سُعِّـــرا ونجوم الليـــل ، منـــه شررا
فى ضميرى .. كل معنـــى مُنبهمْ حِرْتُ فى الإعـــراب عنـــه .. بالكلـــم
إن عزْم الحر بحر مُزْبـــدُ ضلَّ فيـــه المقتـــدى والمرشد
حدَّثتـــه الأرض عن أخبارهـــا وحَبتـــه الزهـــر من أسرارهـــا
هو بالأمس خبير بغـــدِ وهـــو اليـــوم نجىُّ الأبـــدِ
عرف الشرق وراد المغربـــا فانجلى السرُّ له ما كذِبـــا
فرأى العلـــمَ سبيـــلا لِلـــرَّدى إذ رأى القـــلبَ خَلِيّـــا من هُدى

° ° °

وفى قصيدته (عمر المختار وأصحابه) التى تطْفر بالقوة والروعة ، فى السَّبْك والمعنى ، تُظْهر بجلاء ووضوح شدة انتمائه لعروبته وإسْلامه ، حين يقول :

فى كل فج عزمهـــم سيَّـــارُ
إلى الـــردى تهافتـــوا وطـــاروا
فى حومـــة الموت لهم أوْطـــارُ
جماعـــة ليس لهم ديـــار
إلا ظهـــور الخيـــل والغبـــار
يصول فيهم بطـــل مغـــوار
شيـــخ المنايـــا : عمـــر المختـــار

تأبَـــى لهم كرامـــةُ الإسلام يأبى إبـــاءُ العـــرب الكـــرام
إنْ يُسْلمـــوا الأوطـــان دون الهام مُنْيَتُهُـــمْ مشارع الحِمـــام

إلى أن يقول مناجيا بنى وطنه :

يا قومنـــا .. وكم مضت لكـــم عِبَـــر
يعـــرف فيها أمـــره مَنْ اعْـــتبر

(٦) المرجع السابق ص ١١٩ : ١٢٠ .

العـــــربى عندهـــــــم دم هدر
إسْلامـــــه .. جنايـــــةٌ .. لا تُغتفـــــر
شهـادة (الفـــاروق) نِلْتَ يا عمـــر
للحُـــرِّ موت واحـــد فيـــه الظَّفَـــرْ
والـــــذل موت ، كل يوم ، مُدَّخـــــر

ثم يحفز بنى وطنه لمواصلة الكفاح والنضال ، دون يأس أو كلل ، بقوله :

لا تيـــــأسوا فمـــــا يدوم الضرُّ
ليـــــل من الخطـــــوب يكفهـــــرُّ
والصبـــــح فى أعْقابِـــــهِ يفتـــــرُّ
معتـــــرك أرجـــــاؤه تغبـــــرُّ
والـــــنصر من ورائـــــه يخضرُّ
هيـــــا إلى العليـــــاء لا تفـــــروا
العـــــيش عَبْـــــدٌ والحمـــــام حُرُّ

رحم الله عزاما ، الذى يبدو فى أبياته وكتاباته ، حَيّا يبث روح التضحية ، والفداء والكفاح فى النفوس .

(البحث موصول) .

مع أدب الكاتب لابن قتيبة

للأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى

فى العشر الأواخر من رمضان تاقت نفسى أن تتصفح كتابا من كتب الأدب واللغة فهممت إلى تفرس جناح مكتبتى الخاص باللغة والأدب وكانت تهفو نفسى إلى قراءة كتاب : « الكامل » للمبرد غير أن عينى وقعتا على كتب ابن قتيبة فاخترت منها كتاب : « أدب الكاتب » الذى وقف على طبعه محب الدين الخطيب كما ساهم فى ضبطه كما أشار إلى ذلك فى المقدمة الأستاذ محب الدين الخطيب ، الأستاذ محمود شاكر ثم الأستاذ عبد السلام هارون ونشرها : الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٦هـ .

وقبل عرض الكتاب أقدم لصاحبه بالتعريف :

وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة مفخرة من مفاخر الإسلام ، وطود من أطواد العلم فى الدور العباسى جمع – إلى صفية – العلم بالتاريخ رسوخ المعرفة بعلوم العربية ، وإلى التبحر فى علوم القرآن التثبت فيما يحكيه من فقه السنة .

قال عنه ابن تيمية – وهو يوازن بينه وبين ابن الأنبارى :

« وليس ابن الأنبارى بأعلم بمعانى القرآن والحديث ، وأتبع للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفقه فى ذلك ، وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة » .

عناية علماء اللغة والأدب به :

لما كان كتاب « أدب الكاتب » من الكتب التى تعتبر حجة فى بابه عنى به علماء اللغة والأدب ، وقد قام على شرحه كبار العلماء والمؤلفين ، فشرحه : أبو منصور الجواليقى وتوجد نسخة من شرحه فى « دار الكتب المصرية » (رقم ٤٤٢٦ أدب) ، وشرحه ابن السيد البطليوس وهو مطبوع وشرحه سليمان بن محمد الزهراوى ، وأبو على الحسن بن محمد

البطليوسى ، وأحمد بن داود الجزامى ، وإسحق بن إبراهيم الفارابى ، ويضيف الأستاذ محب الدين الخطيب : أن الكتاب كان محل عناية من المستشرقين الفاضلين : الأستاذ / (سيرول) الذى طبعه فى ليبسيك ١٨٧٧ والأستاذ / (ماكس غرونوت) الذى أعاد طبعه بمطبعة تريل فى ليدن ١٩٠١ .

عرض المقدمة :

راعنى فى الكتاب مقدمته الطويلة حسبتها فى بادىء الأمر نوعا من السجع المتكلف المشحون بالصيغ الإنشائية الفضفاضة التى يذهب صاحبها فيها مذهب المادحين على أبواب السلاطين ، ويدور فيها مدار العابثين بشرف الكلمة وعظمة رسالتها : فأخذت أقدم رجلا وأؤخر أخرى بين الإقبال على قراءتها أو الإدبار عنها إلى موضوع الكتاب ، فأخذت فى تصفحها تصفح العجلان ، وأنا على قناعة ورضى بأنه لاغناء من وراء قراءتها وخاصة أن بعض علماء اللغة الأقدمين قد عابها وانتقصها فعاب طولها وزعم أن الكتاب « خطبه بلا كتاب » .

لكنى حين أخذت فى مطالعتها منذ السطر الأول تبددت تلك الخواطر التى كادت تحول بينى وبين مطالعتها ، وأخذت أتنقل من سطر إلى سطر ، ومن صفحة إلى صفحة ، ومن فكرة إلى فكرة حتى أتيت عليها جميعها ، ثم عاودت قراءتها مرة بعد مرة لسمو أدبها وجمال أسلوبها ونضج ما فيها من أفكار حتى ظننت ابن قتيبة يعيش بيننا ، ويكتب بلغتنا ، وبأسلوبنا ، ويعيش مشاكل الفكر والثقافة التى نعانيها ، ونعيش مرارتها ، وذلك ليس بمستغرب على مثل ابن قتيبة فهو أديب رائد فى بابه وناقد فذ له ميزانه .

فرأيت أن أعرض له تلك المقدمة شاهدا على أن من واجب كل من يتصدى للنظر والفكر والثقافة والأدب أن يجيد فى الوقت نفسه آداب الأقدمين ولغاتهم ، ويتعمق دراسة ما لديهم من فكر وثقافة ، وأن ما يعتقده البعض من العزوف عن التراث والصد عنه جرم فى حق الثقافة والأدب .

ولا أظنك تقف معارضا لما أذهب إليه من أن ما صوره ابن قتيبة فى مقدمته من مشاكل وقضايا تكاد تكون عين المشاكل والقضايا التى تنجم حولنا ، ونذهب فى علاجها مذاهب حتى تفرقت بنا السبل ، وكأننا أمام داء عضال يستعصى استئصال شأفته ، بينما ابن قتيبة نراه فى مقدمة يشق علينا ما زعمناه ووقر فى ذهننا بأن ما نصادفه فى عصرنا هو أدْواء العصر الحديث ، ولا نظير له فى سوق الأدب واللغة لكن ابن قتيبة شق علينا هذا الزعم ، وأوقفنا على أن مشاكل الأدب واللغة تكاد تكون واحدة يفرق بينها اختلاف العصور واختلاف الثقافات . أما عن الإنسان فهو الإنسان زاعم لنفسه ما ليس له ، مغرور برأيه وهو لا يفهمه ، ومعجب بفكره وهو يجهل ذاته ، وعالم مغمور بين هؤلاء جميعا صوته مع الحق ، والحق ضائع بين أهله فسحقه تيار الضياع .

من هنا أقبلت على مقدمته زادا ثقافيا جليلا ، ــ ولاسيما ــ أن ابن قتيبة ركز فى مقدمة « أدب الكاتب » على المفهومين معا :

ــ مفهوم أدب .
ــ مفهوم الكاتب .

من حيث ما ينبغى أن يكون عليه الكاتب من الأخلاق والسلوك والعلم والثقافة والفهم ، وأن

مهنة الكاتب يجب أن تتحلى بصفات الأمانة والدقة وسعة الثقافة والفرق بين الأديب والمتآدب والناشىء ..الخ .

فنرى أن ابن قتيبة قد وسع مفهوم (أدب الكاتب) ليشمل أدب البيان وأدب الأخلاق ، وأدب السلوك ، وأدب الانتماء لتاريخه الثقافى . فهذه الآداب مجتمعة هى التى تحدد فى نظر ابن قتيبة مفهوم (أدب الكاتب) وخصص لشرحها مقدمته الطويلة .

١ ـ أصنافهم وأدب بيانهم :

ولقد لفتت نظر كثير من فقهاء اللغة والأدب ، فقام بشرحها مبارك بن فاخر النحوى وأبو القاسم الزجاجى ، وكانت المشكلة التى أرقت ابن قتيبة فى عصره ـ هى أيضا ما نقاسيها اليوم ويعانيها الأدبـــاء فى عصر ، عبر عنها ابن قتيبة فى مقدمته بقوله : « فإنى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ـ مالوا عن طريقه ـ ومن اسمه متطيرين ، ولأهله كارهين » ثم أخذ يعدد أصناف هؤلاء الناكبين عن سبيل الأدب وهم كثير :

ـ الناشىء منهم : راغب عن التعليم .

ـ والشادى ـ وهو الذى نال حظا قليلا من الأدب ـ تارك للازدياد .

ـ والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين .

ـ الأدباء المشهود لهم بالكفاءة والثراء فى الفكر .

وكان من شيوع تلك الأصناف المزيفة فى سوق الأدب أن انقلبت المعايير وخوى نجم الخير ، وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على شهوات النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق ـ الشىء البالى ... ومعاطاة الندمان ، وجهـــل قدر المعروف ، وماتت الخواطر وسقـــطت همم النفوس ، وزهد فى لسان الصدق .

٢ ـ أدب أخلاقهم وانتمائهم الثقافى :

يقول ابن قتيبة فى وصف أدب أخلاقهم : وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا ـ أديبنا ـ أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شىء من الفضاء ، وحد المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معنـــــــاه ، وعلى حديث رسول الله ﷺ بالتكذيب ، وهو لايدرى من نقله ، قد رضى عوضا من الله ومما عنده بأن يقال : فلان لطيف ـ أديب ـ وهو يستعمله ابن قتيبة للسخرية ـ وفلان دقيق النظر يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه من جملة الناس ، وبلغ به علم ما جهلوه ، فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر .

يعلق ابن قتيبة فيقول : وهو ـ لعمر الله ـ بهذه الصفات أولى وهو به أليق ؛ لأنه جهل وظن أن قد علم فهاتان جهالتان ، ولأن هولاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون ، ولو أن هذا المعجب بنفسه الزارى على الإسلام برأيه ، نظر من جهة النظر ـ النظر لذاته ـ لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ـ ولكنه طال عليه ـ شق ـ أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى أخبار الرسول ﷺ وصحابته فى علـــوم العـــرب، ولغـــاتها وآدابها فنصب ـ فتصدى ـ لذلك وعاداه وانحرف عنه .

ثم قال ولو أن مؤلف (حد المنطق) بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو يعد نفسه من التكلم ، أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكم وفصل الخطاب ، ومن الملاحظ فى نص ابن قتيبة أن الذين أصابوا حظا من فلسفة ومنطق يعادون الإسلام وتعاليمه بالطعن فى كتاب الله ، وهو لا يعرف معناه ويعترض على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكذب ، وهو لا يدرى من نقله يعلق عليه ابن قتيبة فيقول : ولو أن المعجب بنفسه الزارى على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر ـ النظر لذاته ـ لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين .

ويبدو لنا أن مسألة الخروج على الدين له صلة قديمة بتعلم المنطق والفلسفة وكان ذلك مثار دهشة غريبة لدى ابن قتيبة مما شدد نكيره عليهم بقوله : ولو أن مؤلف المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين .. لعد نفسه من الكلم ، والحقيقة أنه لا تعارض بينهما إنما هى ـ فى غالب الأحوال والأزمان ـ بدعة ثقافية .

٣ ـ أدب السلوك الثقافى :

وأما عن السلوك الثقافى الذى يسلكه هؤلاء الأصناف المنتمون إلى طبقة الأدباء فيصفه ابن قتيبة بأنه : جهل فاضح وانحطاط فى الثقافة والفكر فيقول : فإنى رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطئوا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر ، حين الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آله . ولعمرى كان ذلك فأين همة النفس وأين الأنفة من مجانسة البهائم وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره ، فقرأ عليه يوما كتابا ، وفى الكتاب « ومطرنا مطرا كثر عنه الكلأ » فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ ؟ فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدرى . فقال سل عنه . وسئل أحدهم : كم فى فم الإنسان من سن ؟ فلم يعرف حتى أدخل سبابته فى فيه يعد بها عوارضه فسال لعابه . فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على رعيته وأمواله ورضى بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه .. ؟ وهل هو فى ذلك إلا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ؟

لهذا المفهوم الواسع لمعنى (أدب) الكاتب قال ابن قتيبة : فلما أن رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان .. جعلت له حظا من عنايتى وجزءا من تأليفى .. وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب ، ثم أخذ يعدد ألوانا من الثقافات ينبغى للكاتب أن يأخذ منها بحظ وافر ليدخلها فى تصانيف سطوره متمثلا إذا كتب ويصل بها كلامه إذا حاور .

ويقول : ونحن نستحب لمن قبل عنا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب . هذا منتهى القول .

فمن تكاملت له هذه الأدوات أمده الله بآداب النفس : من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح .

وللحديث بقية ..

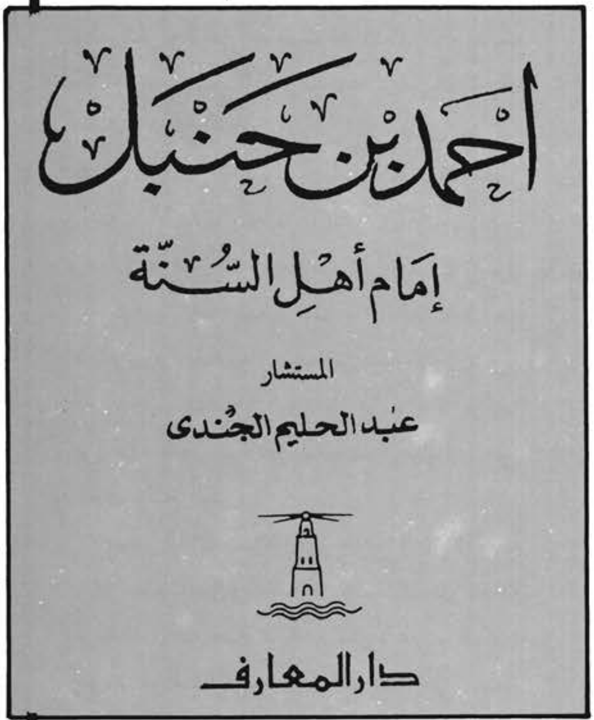

عرض الأستاذ

عبد السلام ناصف

يعتبر كتاب الإمام أحمد بن حنبل .. إمام أهل السنة ورابع الأئمة الكبار واحداً من أعظم الكتب التى تتحدث عن ابن حنبل صاحب المذهب الحنبلى ، وصاحب المسند من حيث مولده ونشأته وتعليمه ، وفكره ومنهجه وحصيلته العلمية ومواقفه وصموده أمام أشد فتن عصره حتى شيخوخته وثم مماته ، والكتاب لواحد من الباحثين المدققين الملتزمين المتخصصين بسير هؤلاء العظماء وهو الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى عضو مجمع البحوث الإسلامية الذى كتب عن الأئمة الأربعة إلى جانب مؤلفاته القيمة .

والكتاب من القطع الكبير ، يقع فى خمسمائة صفحة وخمس صفحات ، ويحتوى على ستة أبواب ، يشمل كل باب منه : فصلين إضافة إلى المقدمة التى يُعرّف فيها ـ الكاتب بـ « ابن حنبل » إمام أهل السنة ، وإمام المسلمين الذى اجاءت به السماء إلى عاصمة الخلافة فى بغداد فى وقت حاق فيه الخطر بالأمة الإسلامية من الدول المعادية والنحل المتصارعة فكانت نظراته وتطبيقاته حلولا حاسمة لمشاكلها .

وكان المسلمون يخلعون عليه من الصفات

ويرفعونه درجات كلما حل مشاكلهم فرأوه إماما لأهل السنة يعرف الداء ويصف الدواء بما جمع من نصوص السنة إلى جانب أكثر من ستين ألف مسألة فقهية ، فأسس مذهبه على المحبة والحرية والسماحة والمعاصرة ، وكان منهجه الإستقرائى الذى نقل عنه من أهم أسس النهضة الأوربية الحديثة التى نقلها عنه (بيكون) .

ونحن ـ فى الواقع ـ إزاء موسوعة ـ سأحاول أن أقتطف من أبوابها وفصولها ما أقدمه عن هذا الإمام الجليل ؛ إذ أن مساحة المقال قد تحول بينى وبين البسط الذى يستحقه هذا السفر المبارك .

ففى الفصل الأول من الباب الأول يتغنى ـ الكاتب ـ بمولد رابع الأئمة فى ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ الموافق سنة ٧٨٠ م حينما أرادت السماء أن تمن على بغداد بأغلى هدية تتمثل فى مولد أحمد بن حنبل بعد وفاة والده وكان تاريخ العراق قد اقترن بأمجاد أجداده من قبيلة بنى شيبان الذين علا نجمهم وارتفع نتيجة لما حققوه من انتصارات وفتوحات .

ولقد كانت أمه تلقنه مآثر ماضيهم ، وتدفعه إلى مسايرتهم ، وتبث فيه حب العلم والتحصيل ليلحق بركبهم ويسمو سموهم فجاهدت ليحفظ القرآن الكريم باعتباره باباً لكل العلوم ـ واهتدى الفتى الناشىء بعظمائهم بفطرته فحفظ القرآن إلى جانب تعلم اللغة العربية وآدابها ، وفتح له القرآن أبواب المعرفة فى آداب الدين والدنيا والنفس ، وكان الترحال سمة من سمات تحصيله ، ولقد آثر فاقة العلماء .

ولم يجر قلمه بمنكر إذ كان يتقى الله فى التعبير كأنما ولد كبيراً ـ وازداد قدرا كلما زاد عمراً ، وقد جمع بين الزهد : الانكباب على التحصيل والتحق بحلقة الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فنهل من بحر علمه ، وجلس إلى أبى يوسف وأخذ عنه أهمية السنن للفقه ـ فخطا بذلك أول خطوة فى تطبيق الحديث فى الأحكام الفقهية ـ وجلس إلى غيرهما وارتحل يجوب الآفاق سفرة وراء سفرة لا يدع عظيما فى العلم إلا وعى منه ومن علمه أملا فى الوصول إلى القمة ؛ فقد كان يؤمن أن العلم عبادة ومن ثم وهبه كل حياته ، ولكم تورع وهو يتعلم فى مكة وفى اليمن وفى الحجاز .

وقد برع فى اللغة العربية إلا أن إمامته فى السيرة لا تدانيها فقد درس على مشايخها بدءاً من الشافعى الذى قال عنه « خرجت من بغداد ولم أخلف بها من هو أعلم ولا أفقه ولا أنقى من أحمد بن حنبل ولقد جلس للدرس بعد أن رحل الشافعى حيث كانت الحياة مليئة بالفساد وبالجدل والمهاترات عندما عظم أمر المعتزلة وساء سلوكهم وتحول الجدل إلى معارك .

ولقد أهتم بفقه السُنّة ـ وسلك مسلكه فأخذ نفسه بالاتباع وزهد وصدق فى عمله ، فالتصق الناس به وصدقوه واتبعوا مذهبه .

وفى الباب الثانى يصف الكاتب ابن حنبل فيورد انه كان قصير القامة ، أسمر اللون ، يأتزر ويعتم فوق القلنسوه وكان زاهدا يستقى الماء لوضوئه ويصلى أكثر من ثلثمائة ركعة فى اليوم ويصوم أكثر أيامه ، واستطاع الحج خمس مرات ، منها ثلاث ماشيا . وكان يؤثر العزلة ولم يكن بالحقود ولا النفور ، ولم يكن ينطق إلا بالذكر فى وقار وسكينة ولفظ حسن ، وكان يعود المرضى ويستجيب للدعوة ولا يجأر بالشكوى ولا يجهر

بسوء القول ويتورع عن الصغائر ، ولا يتخطى الرقاب ، ويستأذن فى الجلوس ولا يمد رجله فيه ، وكان خفيض الجناح ورع العبارة ولا يعرف التعصب وكان حيّيا ـ يهاب المزاح .

وابن حنبل هو الذى حمل شعار : (السنة تفسر الكتاب وتبينه) وكان لا يقبل الحديث إلا بإسناد ـ ولقد عاش بفكره وفعله فى عالم الحب النبوى ومن ثم أجمع الفقهاء على صلاحه فملك افئدة الناس بزهدُه وعمله وتوكله .

وحين يتعرض المؤلف لفقهه فإنه يركز على تعففه من جراية الخليفة ، إذ كان يقول : « ورزق ربك خير وأبقى » . كما لم يقبل أى عمل يلهيه عن التحصيل وكان يتحرج من الميراث الحلال ـ وقيل إنه كان يذرع داره ليدفع عنها زكاة لأنها فى (ملك السواد) وكان يعمل ويوقن أن العمل هو سبيل الرزق الحلال ؛ ولذا عملت زوجاته بالغزل وكان يبيع نسجهن ، وكان يرى فى الزهد ترك الحرام ، وترك الفضول من الحلال وترك ما يشغل عن الله ـ وكان حين يُهْدَى إليه يجزى عنها أو يردها ـ فتبادل الصلات رحمة وسمة من سمات البنيان الاجتماعى ، وكان يعطى عن سخاء رغم ضيق ذات اليد ـ وفقهه فقه مكارم الأخلاق ـ ولقد تزوج فى الأربعين وكان ورعا فى وعظه يميل إلى سرد القصص التى تؤيد قوله ـ بلا مزايدة أو تلون ، وكان لا يوافق على قراءة القرآن ملحنا بل يعجبه السهل منها ، وكان لا يؤمن برفع مستوى القبور ، ولا يرى داعيا لزيارتها ، وكان يأخذ نفسه بالشدة فى الالتزام بالواجب .

وفى الباب الثالث يرسم ـ الكاتب ـ صورة جلية لتأخر تدوين نصوص السنة حتى جمعها ابن حنبل فى كتاب وأجاد تطبيقها فى الفقه وفى شئون الحياة ، واستنبط قول الصحابة باعتباره عملا بالسنة ، ثم اعتمد على الاجماع ثم على القياس ـ فقد جمع الحديث فى (المسند) وكأنه وحى إلهى فى شكل سنة بأن جمع فيه نحو ثلاثين ألف حديث بعدما سمع أكثر من سبعمائة ألف أو أكثر ثم حققها وصححها ، ليصبح مسعده المرجع الأول لمن يدرس السنن ـ ولقد تتلمذ عليه أصحاب الصحاح بكتبهم الستة الشهيرة .

منهجه فى الحديث الشريف

وقد استدعى ذلك منه جهدا يفوق الوصف إلي جانب شكه وتحوّطه فى الأخذ لكثرة الوضاعين ، ودعاة المبتدعة ، ومتعصبى المذاهب ، وتفاقم الكذب والافتراء ولعله قد أكمل مسيرة من سبقوه فى جمع الأحاديث الصحيحة ـ وأن كان قد فاقهم بمسنده الضخم الشامل الجامع المانع ، فهو لم يرو إلا عن ثقة وعن موصول بالنبى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كما يحرص على سماعه من عدة وجوه لضبطه ـ بل يقال : إن الحديث الواحد كان يتعدد بأكثر من مائة وجه ـ ليكون مرجعا عند الاختلاف .

ولقد بدأ أحمد بن حنبل فى جمعه وهو فى السادسة والثلاثين وظل يحقق ويصحح فى أحاديثه طوال أربعين عاماً حتى اكتملت ثقته فيه : ومنه يتضح منهجه فيه إذ يقول : « وقصدت فى المسند المشهور من الحديث ، ولو أردت أن أقصد ما صح عندى ، لم أورد منه إلا اليسير فلست أخالف ما ضعف منه ـ إذا لم يكن فى الباب ما يدفعه » . فلقد دفعه ورعه على ألا يقول حديثاً

محتمل الصحة ثم يضعه بين أيدى المسلمين ليتدارسه بعده العلماء والفقهاء فيتحرون عنه كلّ بطريقه وأسلوبه وعلمه ــ فقد كان مبدؤه ألا يُضيّع حديثاً ــ فالمصلحة فى تدوين الحديث أقوى من أى مبرر لعدم تدوينه .. إذ أن احتمال صحته أقوى من احتمال عدم صحته = وزيادة فى التحوط كان لا يعتبر مسنده مرجعاً نهائياً .

وكان لا يروى إلا عن رواة ثقات ، ويروى إذا وافق الكتاب والسنة ــ وكذلك إذا كان متداولًا مشهوراً ــ وكان يتساهل فى الإسناد للترغيب أو الترهيب .

ولقد قسّم ولده عبدالله الحديث إلى : ضعيف متروك ، وضعيف ، وقوى .. فالأول لا يوجد بالمسند ، والضعيف الموجود بالمسند يكون حسناً ــ برأى أحمد ــ ولقد تأخر الانتفاع بالمسند لطوله وضخامته وتعذر حمله وصعوبة استخراج الأحكام منه لعدم ترتيبه على أساس العبادات والمعاملات فى الفقه ؛ وإنما رتب وفق رواته ، وإليه يعود الفضل فى ظهور علم (الجرح والتعديل) .. على يد من تتلمذوا عليه إذا اهتموا بدراسة دقة الرواة وإتقانهم وعدالتهم ، ولقد اعتبر الإمام الصحابة كلهم عدولًا لا يُجَرَّحُون ، ثم وضع ميزاناً لقياس المعدلين والمُجَرَّحين ــ وكان يؤثر الحفظة أصحاب الدراية ــ ثم كان التدوين لحفظ التراث دون الارتجال .

أما فى الفصل الثانى ــ فيتحدث المؤلف ــ عن ابن حنبل باعتباره رابع الأئمة خاصة ، وأنه نهل من فيض الشافعى وأبى حنيفة ومن مذهبيهما ، وأنه استفاد من أئمة الطرق ومدارسه التى كانت تعج بالمحدثين ، ومن زعماء الفرق ، ومن فطاحل المتكلمين ، ومن رجال الجدل ، ومن المتطرفين ، ومن الأئمة الزاهدين . فقد أثّروا فى فكره ــ كما استفاد مما كان يثار فى قصور الخلافة من مناظرات وندوات ومناقشات فدخل إلى ميدان الفقه من باب الحديث .

وكان القرآن الكريم والسنة المطهرة متوناً لفقه ــ وما عدا ذلك فهو حاشية ــ فقضى على الخلافات وحينما جلس للتدريس عند الأربعين اعتمد على ذخيرته من العلم فى القضاء على الفتن والقلاقل التى كانت تملأ بغداد معتمدا على النص القرآنى والسنة والأحاديث .. وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم .. ثم بالإجماع ثم بالقياس وفق نص .

وهو بهذا قد نهج منهجاً علمياً فريداً .. فقد كان منهجه فى الأصول تتبع القرآن الكريم والسنة التى تطلق على فعل الرسول ﷺ وقوله وإقراره للغير أو إنكاره عليه كما نطلق على عمل الصحابة باعتبارهم متتبعين لسنته عليه الصلاة والسلام .

والسنة تفصيل المجمل وتقييد المطلق وتفسير النص .. وقد جاءت بالكثير من الأحكام فيما ليس فيه نص فهو لم يهتم بخلافات الخلفاء الراشدين إعتمادا على حديث عائشة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ ولم يلتفت لقول معاوية أو معاذ فى توريث المسلم من الكافر حيث اعتمد على حديث الإرث .

وقد يغير رأيه فى مسألة حين يتبين له فهم أصح أو نص أوضح ــ إذ السنة لا غالب لها والنص النبوى أهدى تسبيلًا ، وكان من مبادئه : « أن الضعيف من الحديث خير من الرأى » ولذا كان

يأخذ بالإسناد حتى الرسول ـ ﷺ ـ وكان لا يعترف بالحديث الشاذ[1] .

أما الصحابة فهم الأصل الثانى بعد قول رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يرى الإمام أنهم : (كانوا أعلم الناس بما أراده الله من كتابه ؛ فكانوا المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ـ ﷺ) .

ومن ثم قضى عمره فى دراسة سيرهم والأخذ عنهم فكم فوضهم الرسول ـ ﷺ ـ فى المهام الجسام ـ ولهم مدارك للرأى فقد كانوا أئمة ـ ولا يصلح دين المسلم إذا لم يتأس بهم .

أما الإجماع فهو اتفاق المجتهدين على حكم شرعى ـ وكان أحمد يتحوط بالأخذ به إلا فى إجماع الكبار .

والقياس عند الضرورة ـ وقد أباحه حين التشابه ، ولم يأخذ به فى حال الإختلاف ، وقد شمل القياس الإستحسان والمصلحة ، وسد الذرائع وبإقرار مبدأى : المصلحة والإباحة إلى جوار النص والقياس بلغ فقه أحمد مبالغه .

ولقد كانت طريقة أحمد فى الفقه وطريقة فى الحياة العملية توأمان متشابهان فقد كان إماماً للفقه ولا يفتى بغير دليل ولا يميل إلى التقليد ـ وكان يكره تدوين فتاويه ـ لكنه ألزم تلاميذه بجمع النصوص التى كان يعتبرها مصدر الفقه ـ وإن كان تلاميذه قد جمعوا من فقهه أكثر من ستين ألف مسألة .

أما فى الباب الرابع ـ فيتحدث الكاتب عن فقه الحريات التى كان أحمد فى الطليعة علماً بأصولها الثابتة ـ وواكب تلاميذه من بعده أى نقدم فاعتلى الجيلانى مدرسة الزهد وابن تمية مدرسة الجهاد والإجتهاد وابن عبدالوهاب فى الإلتزام بالسنة .

كما سبق أحمد غيره فى تقرير الحرية القانونية حيث تبرم العقود بمجرد تلاقى الإرادتين ، وللناس أن يتشارطوا فى حدود النصوص الشرعية ، والإباحة أصل والشروط المسكوت عنها مباحة ، وللمتعاقدين أن يرتبا ما يشاءان من الحقوق فى إطار شرع الله .. فهو القائل : (كل ما احتاج إليه الإنسان فى معيشته لا يحرم عليه إذا كان لا يضر بالآخرين ، وفى حدود الشرع المباح) .

وأحمد يدعو إلى الحلال فى التعاقد ، ويؤكد على النية الخالصة ـ أما المعيبة فلا يوافق عليها كزواج المحلل والبيع يخفى ربا ، والهدايا إلى القاضى وهو من أكثر المذاهب عداء للحيل خاصة ما تحلل حراماً أو تحرم حلالاً .

أما حين يتحدث عن المسئولية فإنه يعتبرها جزاء مخالفة القانون ، وأحكامها تضبط النشاط القانون ، ثم يتناول الحديث عن المسئولية العقدية ، ثم المسئولية من غير عقد ، ثم المسئولية عن استعمال الحق ، ثم ينتهى إلى مسئولية المفتى .. مبيناً رأى الإمام إزاء كل منها مع مقارنة دقيقة تبين بعد نظر الإمام وتفوقه حتى على ما وصلت إليه النظريات الحديثة فى القانون موضحا ذلك بأمثلة متعددة .

ومسئولية المفتى عنده تنحصر فى خمس خصال الورع والعلم والحلم والوقار والسكينة والمجتهد من يرى مصلحة للناس لا يحرمها الشرع .. وهو يرى الإلتزام بحدود الله فى العبادات .

وفى الفصل الثانى من الباب الرابع يتحدث المؤلف عن تلاميذ الإمام فيوضح أن الناس

يحتاجون إلى العلم كالخبز والماء ـ ولذا اشترط فى المتعلم أن يكون كفئا كما اشترط أن يمارس الالتزام والدقة والإخلاص .

جلس الإمام يدرس أربعة عشر عاماً قبل المحنة ثم عاود الجلوس سبع سنوات أخرى بعد المحنة ـ وكان مهيباً يستمع إليه المئات ، وكان لا يتكلم إلا إذا سئل ، ويهش لكتبة الحديث لكنه كان يكره كتابة فتاويه .. ولم تنشر إلا فى الجيل الثانى .

أما « مسنده » فقد خرج للناس مبوباً ومفهرساً من عمل ولده عبدالله إضافة إلى الكتب التالية : (جوابات القرآن) و (المقدم والمؤخر فى القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (الزهد) و (الصلاة) و (الأشربة) و (المناسك) و (الورع) و (العلم) و (الرد على الزنادقة الجهمية) و (العلل) و (صحبة الرسول ﷺ) و (أصول السنة وفضائل الصحبة) .

أما تلاميذه فهم كثروا بدءاً من آل بيته وولده وأهل داره فأبو بكر الرازى ، وأبو بكر الأشرم وإسحاق بن منصور وإبراهيم بن هانى ومهنا بن يحيى وإبراهيم الحربى والحسين بن عبدالله الخرق إلى جانب جيل تال لا يحصى .

أما المجاهدون من تلاميذه فأولهم الناصر صلاح الدين والجيلانى وعز الدين بن عبدالسلام وغيرهم كثير .

أما الباب الخامس فقد أفرده الكاتب لما أسماه « الإمتحان » ويعنى المحنة القاسية التى تعرض لها الإمام حين دفع إلى خوض المعركة التى يفيض فيها المعتزلة حول ما كان يعرف « بخلق القرآن » وقدم الدليل من روحه وجسده على صحة موقفه إذ كان لا يقول إلا بما فى كتاب الله متحديا سياط الجلادين التى تنهش جسده غير عابىء بدمه السائل أمام أعدائه من المعتزله ـ لكنه فى النهاية خرج منها عليل الجسم قدوة لإيمان الناس بدفاعه عن السنة التى اعتبرته أشهر أئمتها .

وفى عرض يسير نوضح هذه المعركة فقد كان المأمون فيلسوفا ذا مزاج متقلب بين الحلم والغضب برع فى فقه أبى حنيفة وله فيه مؤلفات ورسائل وكان حريصا على حرية التفكير وحسن التعبير ، وإن كان يميل للتشيع لعلى دون شطط ، وهو القائل : « غلبة الحجة أحب إلى من غلبة القوة » وكان عفوه مضرب الأمثال ـ وكان غضبه على العلماء والفقهاء من أهل السنة عجبا لربما لأزمة الثقة بينه وبينهم .. وبعد موت ولده بالسم زاد حنقه على العباسيين والتصق به المعتزلة ، فنادى فى الناس بكراهية معاوية (وبخلق القرآن) وغيرهما كزواج المتعة ، والتكبير بعد صلاة الجمعة ، بل وبعد الصلاة عموماً .

وعلا نجم المعتزلة بعدما اعتنق المأمون نفسه آراءها فى القضاء والقدر والقدح فى الصحابة وكان الإمام أحمد يقاوم بدعة الكلام فى صفات الله ـ ونبه الناس على عدم التشبيه والتجسيد وأمثالها من الجسمية والمكانية .

فالمتكلمون يخالفون المحدثين فى الطريقة إذ أوّلوا آيات القرآن والأحاديث لرأيهم ومنها النصوص الجسمية والمكانية . والمعتزلة مدرسة من المتكلمين وبعد ارتباطها بالمأمون نادت بـ (خلق القرآن) فكانت المحنة إذا اعتبر غير قديم ومن ثم يكون مخلوقا ـ والعياذ بالله ـ وهى فكرة يهودية فهم يرون أن وحدة الذات والصفات تقضى أن كلام الله تعالى ليس قديما قدم الذات بل هو صادر

عنها - فهو يشير إلى وقائع حدثت فى الدنيا ويتحدث عن رسل تعاقبوا فهو ليس قديما ، وإنما هو محدث أحدثه الله فى اللوح فهو « مخلوق » ثم توسع علماء الكلام فى مسائل نظرية وأوّلوا الأحاديث ، وأطلقوا ألسنتهم فى الصحابة .

وكان أهل السنة يؤمنون بالقدر لكن للعبد اختياره بإرادته ، ولا يتمارون فى صفات الله ، وينزهون الذات العلية عن المشابهة .. ويفسرون القرآن بالقرآن ، أو الحديث وترك التأويل دون تشبيه أو تجسيم - فالقرآن عندهم غير مخلوق والتعبير عن قدرة الخالق جدير بالاحتياط والتعبير عن القرآن بأنه مخلوق تعبيير مريب ينزله ، منزلة المخلوقات .. ولم يأذن الإمام بجدال فى ذلك .. بل صرح بأن القائل بـ (خلق القرآن) كافر . لكن المعتزلة (تتنادر) بخلق القرآن ، وينطوى تحت لوائها المأمون بعد عودته إلى العراق سنة ٢٠٤هـ وهو المتهم من كل من حوله حتى من نفسه فيوافقهم على آرائهم لكنه لا يعلن ذلك خشية أن تكون فتنة - لكنه كان (قديراً) فى الخلافة يسبح بسفينها فى زوبغة ومعه الذئب والحمل ، وقد يقذف بالحمل أى العرب فى اليم ، ويترك الذئب أى العجم الذى قد يأكله أو يأكل من يأتى بعده - وكان يتخير الوقت لإعلان ذلك ولقد انتشر فى عهده فكر أسوأ العلماء أمثال (أحمد بن أبى دؤاد) وثماقة بن أشرس ، وإبراهيم النظام الذى عاب على الدنيا وعلمائها الأجلاء .. وبهم فتح ميدان الجدل وهم من لا تقبل لهم كلمة فى القرآن .

وتتابعت الأحداث والمخاطر على المأمون من الداخل والخارج فى مصر وسوريا والامبراطورية الرومانية .. فعين ابن أبى دؤاد قاضيا - وجعل من مسألة (خلق القرآن) قضية وموضوعا للامتحان نأرسل إلى ولاته بالأقاليم يمتحنهم فيما يعتقدون فى هذه المسألة وكان امتحاناً ومحنة وكارثة بعدما أجاب بعض علماء بغداد بخلق القرآن فيما كان دور أحمد وهو الورع التقى الصالح الذى لا ينال من جراية الخليفة زهدا وسمو نفس وحُمِلَ مع ابن نوح على بعير واحد مقيدين - وكان العالم كله ينتظر النتيجة . وكانت وفاة المأمون بلا سيف - ومن عجب أن ابن نوح قد توفى فى رحلة العودة وبقى أحمد يستقبل السجن .

وقد أوصى المأمون أخاه بالسير على نهجه فى « خلق القرآن » وأن يكون ابن أبى دؤاد شريكا له فى المشورة فأصبح قاضيا للقضاة ، وأصبح المعتصم أداة طيعة فى يد ابن أبى دؤاد فحولوا الإمام أحمد إلى سجن خاص للإنفراد به ، ولكنه لا يجيبهم إلى طلبهم ، فيحمل إلى بيت ليس فيه سراج فى بغداد ثم يحمل مكبلا إلى المعتصم فيحاوره ويرجوه أن يجيبه ، ثم توعده دون جدوى فأعاده إلى السجن يأسا بينما ظل ابن أبى دؤاد يكيد له عند الخليفة فيأمر بجلده ، يتعاقب عليه الجلادون يمزقون جسده بسياطهم وظل يعانى آثار ذلك حتى مات .

وبعد موت المعتصم خلفه ابنه الواثق وقد أمسى القول بخلق القرآن أُسبوبة تساب بها الناس - وعاش الإمام مرفوع الرأس حتى خلف المتوكل أباه الواثق بعد موته ودعاهفابطل المحنة إلى القصر فلبى قياماً بواجب الطاعة لولى الأمر ولكنه أبى أن يلتحق بالحاشية - وعاد لمسنده يراجعه ويعكف على تعليمه للناس ويطلب الخليفة رأيه فى ابن أبى دؤاد وهو مسجون أشل فيعفو عنه ويصفح ولو

خضع الإمام لرأى المأمون لا نقسم المسلمون وتذابحوا لكن الله قيضه لحماية المسلمين ـ والله بالغ أمره .

ولما كان الملوك أحوج إلى العلماء أكثر من احتياج العلماء إلى الملوك ـ فقد أبطل المتوكل محنة (خلق القرآن) وبعث إلى أحمد ليحمل إليه مكرماً .. فأهداه وإن كان قد تصدق بما قبل منه ورآه الناس يمشى منكس الرأس متواضعاً لله فى مقام الانتصار ورغب الخليفة فى مجالسته ، وعرض عليه أعلى الوظائف ـ لكنه أبى وكان يداوم الصوم حتى هزل جسمه ـ وقد تعفف عن سبعين ألفا عرضت عليه .

وكان يسعى إلى مسجد بعيد رغبة فى بذل المزيد من المشقة للأجر وظل الخليفة على صلة به يستشيره ويسأله الدعاء وكان يبعث إليه أموالًا لتوزيعها على المحتاجين وكان يقول : إن أحمد وصحبه من سادة أهل محمد ـ وقد عرف الله لأحمد صبره وبلاءه فرفع علمه ـ وأظن أن الله يعطيه ثواب الصديقين .

وقد انتقم الله من أعدائه فتلاحقت المحن على ابن أبى دؤاد من مرض إلى غضب الخليفة عليه إلى حبس ابنه محمد إلى بيع ضياعهما إلى جانب حسرة على موت ولده .

ويختم الكاتب مؤلفه بالحديث عن بيت أحمد أو أسرته وعن نسائه اللائى تعاقبن على حياته وكن زاهدات مثله وصابرات مثله وقانعات مثله عملن بالطرز لتستوفى النفقة ـ أما هو فقد وهب كل يومه لله من الصلاة إلى التدريس ـ ولقد بورك له فى حياته ـ والزوابع لاتزلزل من كان الله معه .

وقد عاش مع أم صالح ثلاثين عاماً ما اختلفا ، وتزوج بأم عبدالله وبعد وفاتها بنى بأم الحسن ومحمد وزينب وسعيد ـ ولم يجمع بين زوجتين وكان سعيدا مع الجميع وكان الإمام يولم ويعيش حياة نظيفة ملؤها الذوق والاعتدال والسخاء .

ولقد جلس أحمد فى أخريات أيامه بداره حتى عبر الخامسة والسبعين ، ثم بدأت الأوجاع تلازمه من أثر التعذيب ـ والأمة كلها تحس أنه موضع القسطاس من الأرض يمنع ميلها .

وفى الأيام الأولى من ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ ألم به المرض فسارع يؤدى ما عليه من دين وأوصى ولده بسداد باقى دينه ـ وتقاطر الناس على البيت ووكل السلطان الشرطة بباب الدار وباب الزقاق وسد الناس الشارع وتعطلت حركة البيع والشراء .

وكان الخليفة يسأل عن أحواله ومرضه وبكاه بنو هاشم ممن زاروه ، وكان يكره الأنين ـ لكن لم يفتر عن أداء الصلاة على أية هيئة وفى صباح يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول عام ٢٤١هـ .. قبض الإمام ، وغُسِّل فى بيته ، وصلى عليه أمير بغداد ومشى فى جنازته ألف ألف نفس أو يزيد ـ وقد جذب أبصار الجماهير إلى أعلى هذا الشهاب الذى اختفى تاركا أضواءه فى الأفق .. وقد سارت الجموع وراء إمامها وكأنها لا تريد أن تتركه .

رحمه الله

وبعد :

فإن المؤلف ـ بحق ـ استطاع أن يقدم لنا أطرافا للحوادث غابت عن الكثير حتى أمكن نظم الحوادث نظما منطقيا فى ذهن كل من يقرأ هذا الكتاب . كما عنى المؤلف ببسط تناول الحديث الشريف عند أحمد ـ رضى الله عنه .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

الدعـــاة ومنهـــج الدعـــوة

لا يختلف أحد فى أن الداعية إلى الله صاحب رسالة ، وعليه أن ينشر ما علمه الله ـ تعالى ـ وأن يجتهد فى ذلك؛ لأن مقام العلما فى هذه الحياة هو : مقام الرسل ، فهم ورثتهم ، ومن ثم فهم نوابهم ، كما يجب عليهم ـ وهم يؤدون رسالتهم ـ أن يبدأوا بأسهل الطرق وأقربها : الحكمة والموعظة الحسنة ، قال ـ تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وفى الجانب الآخر يجب على الناس سماع العلم والأخذ منه والعمل به ، وتلقيه بسعة الصدر وعدم السآمة منه ، أو من قائليه ، إذ أن مدار الحياة على العلم ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أوجب طلبه ، والنبى ﷺ حث عليه فى نصوص كثيرة .

وكفى « الدعوة إلى الله » شرفاً أنها : سبيل الأنبياء وسبيل المؤمنين ممن اتبعوهم ، قال ـ تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

حول هذه الرسالة الشريفة : رسالة « الدعوة إلى الله » تلقت المجلة كلمة عن أهم الصفات التى يتحلى بها الداعى أو الداعية حتى يكون مؤهلًا لحملها ، كما يضم هذا الباب كلمات عدة بأقلام القراء تجد عرضاً لها فيما يلى من صفحات ، بالإضافة إلى زاوية إبداعات الشعر ، وركن الردود والتعليقات ، والإجابة عن الاستفسارات .

المحرر

الداعى إلى الله

تلقى الباب هذه الكلمة من الأستاذ/ كمال عبد المنعم محمد خليل ـ بنى سويف ـ الكوم الأحمر ـ حول الصفات التى تؤهل « الداعية إلى الله » لأداء رسالته :

١ ـ العلم والفقه : فلابد أن يكون « الداعى إلى الله» على علم وبصيرة بما يدعو الناس إليه حتى لا يدعو إلى ضلالة قال ـ سبحانه :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ « يوسف : ١٠٨] .
وقال ـ سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

٢ ـ الفقه بأحكام الإسلام :

قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » رواه البخارى ومسلم .

٣ ـ الحكمة والمجادلة بالحسنى ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، ولا يكثر الداعى إلى الله من الجدال وخاصة فى الأمور التى فيها سعة بين الفقهاء ، وإن جادل فيكون بالحسنى .

٤ ـ استخدام الحوار سبيلًا للإقناع : فلا يفرض الرأى بالقوة ولا يتبع هواه بل يحاول تبسيط الأمر حتى يصل إلى المطلوب ، والقرآن الكريم ملىء بأمثله للحوار الذى يصل إلى الإقناع .. راجع : البقرة ٢٥٨ ، والقصص ٣٨ .

٥ ـ اللين فى الدعوة : قال ـ تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه » .

٦ ـ الترغيب قبل الترهيب ، قال ربنا ـ عز وجل : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] .

٧ ـ لا يفتى بغير علم ، قال رسول الله ﷺ : « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » أخرجه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة .

ظاهرة القزع فى رؤوس الشباب

كتب هذه الكلمة القارىء / حاتم ابراهيم محمد سلامه .. معهد منوف الدينـــى – بالمنوفيـة – ليرد بها بعض الشباب المتأثرين بعادات الغرب – فى حلْق جانب من رءوسهم وترك الجانب الآخر – إلى تعاليم دينهم وقيمه :

« إن هذه الظاهرة منهى عنها شرعاً ، وهى من الأمور الدخيلة على مجتمعنا المسلم ، ومن الأولى لكل من يُقَلد الأوربى أو الأمريكى أن يتبع تعاليم دينه فهى أحق بالاتباع ، وهذه بعض الأحاديث النبوية :

١ – عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : نهى رسول الله ﷺ عن القزع . (متفق عليه) .

٢ – وعنه – أيضاً – قال : رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه ، فنهاه عن ذلك وقال :

« احلقوه كله أو اتركوه كله » .

(رواه أبو داود ، قال النووى : اسناده صحيح على شرط البخارى ومسلم) .

٣ – عن عبد الله بن جعفر – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً ، ثم أتاهم ، فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ثم قال : ادعوا لى بنى أخى ، فجىء بنا كأننا أفرخ ؛ فقال ادعوا لى الحلاق ؛ فأمره فحلق رؤوسنا (رواه أبو داود) بإسناد صحيح كما قال النووى ، وقال النووى فى شرحه لذلك فى صحيح مسلم : إن القذع من أفعال اليهود ، وقيل : من الشيطنة .

نعمـــة الأخــــوة فى اللـه

وكتب القارىء/ عماد ميزار عبد العظيم – قرية الأعلام – محافظة الفيوم – هذه الكلمة :

ولعل مما ينبثق منه روح الانماء هو الإخاء أو الأخوة بين المسلمين ، وكأن المتحابين فى الله – عز وجل – روح واحدة حلت فى جسدين . ولا شك أن هذه الأخوة تفرض على صاحبها حقوقاً ؛ منها : أن يحب مسرة صاحبه ، ويدفع عنه المضرَّة .

ولله – تعالى – حق فى هذه الأخوة ؛ وهو ذكر هذه النعمة وشكره عليها ، يقول ؛ تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

[آل عمران : ١٠٣]

وإن مما ندين فيه بالفضل ؛ تلك الأخوة الأولى بين المهاجرين والأنصار ، والتى كانت من أولى أعمال الرسول ﷺ فى المدينة المنورة ، فعليها قامت دولة الإسلام وارتفعت رايته .

كلمة عن القلب

كتب القارىء/ إبراهيم محمد سلامه ـ بمعهد منوف الأزهرى . هذه الكلمة عن القلب وتقلبه ، مستهدياً فيها بكتاب الفوائد لابن القيم :

يقول الشاعر :

ما سمى القلب إلا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلب وتحويل

والقلوب هى موطن الإيمان .. قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] ، ولا يكون القلب مسكناً لشيئين متناقضين ، كالإيمان والكفر ، أو حب الدنيا والآخرة معاً .

فمن وجد نفسه فى حاله من الفتور والقسوة فلينظر إلى قلبه وليتفقد أحواله ، ولهذا يرشدنا سيدنا عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فيقول : « **اطلب قلبك فى ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة ، فإن لم تجده فى هذه المواطن ؛ فسل الله أن يمن عليك بقلب ؛ فإنه لا قلب لك** » .

فهذه الثلاث تجعل القلوب عامرة بالإيمان ويؤكد هذا قول ابن القيم : « للقلب ستة مواطن يجول فيها . ثلاثة سافلة وثلاثة عالية ، فالسافلة : دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له ، وثلاثة عالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، والقلوب جواله فى هذه المواطن » ، وإلى أيهما تنتمى يكون مرضها أو سلامتها .

محمد أسد

كتب القارىء/ طه حامد اسماعيل ـ من قلما بقليوب ـ تلك الكلمة عن الكاتب الإسلامى « محمد أسد » :

ولد محمد أسد عام ١٩٠٠ فى « ليفاو » بالنمسا ، وبعد مرحلةالتحصيل العلمى ترك بلاده عام ١٩٢٢ ليعمل مراسلًا لبعض الصحف الأوربية الألمانية ، تنقل كثيرا بين معظم دول أفريقيا وآسيا مما هيأ له فرص الاحتكاك بالإسلام وتعاليمه السمحة ، وقادته روحه التواقة للبحث والتطلع إلى التعمق فى دراسة الإسلام ، وانكب على البحث عدة سنوات ، توصل فى نهايتها إلى الاقتناع الكامل بصدق الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان .

اعتنق الإسلام رسمياً (١٩٢٦) وتخلى عن اسمه القديم (ليوبولدفايس) وبعد تأسيس دولة باكستان انتقل إليها ليعمل فى مركز البحوث الإسلامية فى غرب البنجاب ، ثم استعد ليشارك فى إعداد الدستور الإسلامى للبلاد ، وتقديراً لجهوده العلمية والسياسية تم اختياره مندوباً لباكستان لدى الأمم المتحدة ، وقد ظل متفرغاً للبحث والتأليف إلى أن وافته المنية عام ١٩٩٢ وهو عاكف على إعداد ترجمة شاملة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية صدّرها بقوله ـ تعالى : ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ [الجاثية : ١٣] ، ومن أبرز أعماله « الإسلام على مفترق الطرق ، رحلة إلى مكة ، نظام الحكم فى الإسلام » .

من إبداعات القراء

تحيــة للإمــام

من قصيدة ألقاها الأستاذ/ عبد اللطيف عبد المنعم بركات احتفاءً بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ؛ فى الاحتفال الذى أقيم بمحافظة دمياط بمناسبة افتتاح فضيلته ـ والوفد المرافق له ـ لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بها ، وذلك يوم الاثنين الموافق ٥ يونيه ١٩٩٥ .

حضر الحفل محافظ دمياط السيد المستشار محمد عبد الرحيم نافع ، والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

مالى أرى فى ذا المكــــان جلالا ... هل شمس أنسٍ فى السمــا تتــلالا
أم بدر تم قد تكامـــل ضوءه ... لما حضرتم سادتى إجـــلالا
أم أن جاد الحق جاء ونــــوره ... قد زان أزهرنــا فَجــلَّ منــالا
أم ذاك نور للمحافـــظ نافـــع ... عبـــد الـــرحيم يزيدنـــا أفضالا
يا أرض افرحـــى ويـــاسماء تزينـــى ... ويـــا دميـــاط تيهى فرحـــة ودلالا
ذاك جاد الحق جاء معمـــــرا ... يهديك صرحـــاً عاليـــاً فعـــالا
يا من حضرتم صحبـــة فى ركبـــه ... حققتموا من سنـــة المصطفـــى ماقـــالا

ردود وتعليقات

● القـــارىء/ حسام عبـــد الله محمـــد ـ السنبلاوين ـ دقهلية .

نحييك على تحيتك الرقيقة لمجلة الأزهر ، ونجتهد دائماً فى أن تكون عند ظن قرائها ، أما عن قصيدتكم « المعجزة » فيمكن تقوية وزنها بالالتزام العروضى .

● القارىء/ سيد حسين صالح ـ موشا ـ ش البكرية ـ أسيوط .

مرحباً بك صديقاً للمجلة ، وإنى أود من أصحاب التجارب الشعرية أن يتوجهوا إلى الكتابة النثرية إلى أن يكتسبوا فنون الوزن والقافية من علم العروض .

● **القارىء/ حسن عبد الخالق محمد ـ كفر الدوار ـ البحيرة .**

بإذن الله ـ تعالى ـ ترون مبلغ اهتمامنا بالمجلة ـ إخراجاً وتحريراً ـ وهو يتزايد دائماً ، مع خالص تقديرنا لاهتمامكم .

● **القارىء/ أحمد عبد الرحيم أحمد ـ الطالب بالثانوية الأزهرية .**

قرأت انتقادكم لبعض الكتب التى أعيد طبعها ـ لدى بعض الجهات المعنية بالثقافة ـ على ماهى عليه من سيء الأفكار ، وكم كنا نتمنى معك أن يكون اهتمام الناشرين باختيار ما يصحح الفكر المعوج ويحث على الفضيلة ، وغير ذلك مما ينفع الناس ، فهذا هو الأبقى ، يقول ـ تعالى : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

وتبقى لنا ملاحظة عن تجريحكم لمؤلف « مأساة الحلاج » لأنه أنصف « الحلاج » و « الحلاج » عندكم متهم ، فالحق أن التجريح ليس من النقد الموضوعى فى شيء ، ثم مالنا ورجال أفضوا إلى ماقدموا ؟ ويعلم الله على أية حالة قبضهم .

● **القارىء/ تمام محمد سيد عبد الرحيم ـ موشا ـ بحرى البلد ـ اسيوط .**

تجاربك الشعرية تحتاج إلى مزيد من الصقل .. وفقك الله .

● **القارىء/ شحاته أحمد أبو بكر ـ بنى سويف ـ ببا .**

نحمد الله على نعمة الإسلام ، فهى نعمة لاتعدلها نعمة ، وكل مسلم يعلم أنه ليس بعد الكفر ذنب ، بدليل قول الله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ . [النساء]

فالتوحيد هو أصل الإيمان وأساس دين الإسلام ، ولله الحمد والمنة على أن عافانا مما ابتلى به غيرنا .

● **القارىء/ سالم مهنى عبد العظيم محمد ـ بالثانوية الأزهرية ـ البحيرة .**

فى قصيدتكم « الله أكبر » ترجمتم ما آل إليه وضع البوسنة تحت سمع وبصر المجتمع الدولى ، ولعلكم قرأتم فى وسائل الاعلام مؤخراً تحت عنوان « بيجو فيتش يستغيث » ٦٠ ألف مسلم تحاصرهم دبابات الصرب فى « سبرنيتشا » وتمنع عنهم الطعام والمياه ، على الرغم من أن هذه المنطقة سبق أن نزعت الأمم المتحدة سلاحها وأعلنتها ضمن المناطق الآمنة ، فالله أكبر من كيدهم ومكرهم .

● **القارىء/ محمود عبد العزيز عبد المجيد ـ بدار البلدية ـ كفر الشيخ .**

قصيدتكم « طيب رسول الله ﷺ » ذات معان طيبة ، ولكن قلَّ حظها من التروى فى ضبط الوزن .

● **القارىء/ محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط .**

أحلت كلمتكم « مختارات » و « تراثيات » لفضيلة الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ، لأنها أقرب ماتكون إلى باب « طرائف ومواقف » .

● القارىء/ محروس عبد الفتاح يس محمد - ليسانس عقيدة وفلسفة من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

قرأت رسالتكم اللطيفة عن الفلسفة ، وقد أعجبنى خروجكم من دراستها بما خرج به أسلافنا - رضوان الله عليهم - من رفض ما تعارض منها مع صريح النصوص الشرعية ، فالفلسفة فى الأصل تقوم على الشك ؛ بينما يقوم الوحى على اليقين ، ومن الناس من يستبدل الخبيث بالطيب .

ولعلكم قد اطلعتم على رسالة المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر السابق - فى الفلسفة ، والتى نشرت مؤخراً ، وانتهى فيها فضيلته إلى عدم حاجتنا إلى استيراد فكر يهدينا وعندنا منهج الاتباع الاسلامى المتمثل فى الكتاب والسنة ، ذلك المنهج الذى إذا سلكه المسلم أو المجتمع يسر الله - تعالى - له التوفيق والحماية والنصر ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صرط مستقيم** ﴾ .

● القارىء/ اسماعيل نصر - بسهواج - أشمون - منوفية .

نود الإحاطة بأهمية الإسناد العلمى فيما ترون نشره بمجلة الأزهر .

● القارىء/ هانى مهنى عبد العليم طه - إدكو - بحيرة .

كلمتكم عن « إفشاء السلام » طيبة على إيجازها ، غير أنه قد سبق معالجة هذا الموضوع ، وفى انتظار رسائلكم .

● القارىء/ أبو الحسن محمد رمضان - القرايا - إسنا - قنا .

لا شك فى أن المشى بين الناس بالنميمة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ، ومن ثم حرَّمها الحق - عز وجل - لما يترتب عليها من تمزيق صلات المودة والتآلف بين الناس ، فهل نعتبر ؟

● القارىء/ عبد العزيز فرج اسماعيل - زهراء عين شمس - القاهرة .

نأمل معك أن تتطهر مجتمعاتنا من المحتكرين الذين يحبسون أقوات الناس بغية الغلاء ، والربح الفاحش ، أعتقد أنه إذا لم يرد فى المحتكر ذم غير حديث رسول الله ﷺ « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » الذى رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ؛ لكان ذلك كافياً فى سرعة التوبة من هذا الإثم .

● القارىء/ الشيخ حسن أحمد مكرم - معهد إعداد الدعاة - أسيوط .

لقد أصبتم فى ربط « أصل الغضب » بالشيطان الرجيم ، وأهمية الاستعاذة منه - عند الغضب - كعلاج ناجح لذهاب أثره ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● القارىء/ أشرف صفوت أمين - بنى سويف - القاهرة .

تلقيت كلمتكم الطيبة عن دليل البعث والحساب .. وفى انتظار إبداعات أخرى .

● **بمشيئة الله - تعالى - يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

خطاب الرئيس مبارك فى ٢٣ يوليو ١٩٩٥ بالاسكندرية

حضر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى ألقاه سيادته بمدينة الإسكندرية وأشاد فيه بدور المساجد فى القضاء على الإرهاب بمصر .

فإن المساجد رافد من روافد التوجيه الإسلامى لإرساء التعاليم الإسلامية الصحيحة .

الإمام الأكبر يستقبل الرئيس الجزائرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الرئيس الجزائرى الأمين زروال صباح السابع والعشرين من المحرم ١٤١٦هـ .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف معرباً عن سعادته بزيارة الرئيس زروال للأزهر الشريف كما أعرب فضيلته عن أمله فى نجاح الرئيس زروال فى مسيرة الاستقرار والأمن والأمان فى الجزائر ، وجمع كلمة الشعب الجزائرى ؛ حتى يعود لهذا الشعب الشقيق الهدوء والاستقرار ، وأشار فضيلته إلى العلاقات الوطيدة التى تربط الشعبين : المصرى والجزائرى فى كافة المجالات . وقد أعرب الرئيس زروال عن سعادته بزيارة مصر والأزهر الشريف مشيداً بالدور الذى يضطلع به الأزهر فى نشر العلم والمعرفة والدعوة الإسلامية ، وصحيح الدين ؛ مشيراً إلى البعثات التعليمية التى تفد إليه من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، بل من شتى أنحاء العالم لتلقى علوم الدين الحنيف عائدين إلى بلادهم حاملين رسالة الإسلام السامية .

أكد الرئيس زروال أن الجزائر فى طريقها إلى الهدوء والاستقرار بفضل تكامل جهود الحكومة والشعب فى المجالات الثقافية والاجتماعية .

شهد اللقاء : فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وقيادات الدعوة والتعليم بالأزهر الشريف .

ندوة للدفاع عن عروبة القدس بالقاهرة

عقدت منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية فى الثامن والعشرين من المحرم ؛ ندوة مهمة عن عروبة القدس ، شارك فيها جمع كبير من المهتمين بقضية القدس ، وحضرها نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ؛ حيث ألقى سيادته كلمة فضيلة الإمام الأكبر أمام المؤتمر التى أكد فيها على أن : قضية القدس تستحق بذل غاية الجهد بعد أن تعرضت لمجالات التهويد المستمرة ؛ التى خالفت بها إسرائيل جميع المواثيق والأعراف الدولية كما أكد فضيلته على ضرورة ممارسة الضغط على إسرائيل بكل الطرق والوسائل لإجبارها على احترام المواثيق والعهود الدولية وإعادةالحقوق المسلوبة فى القدس الشريف .

شارك فى مناقشات الندوة : عدد كبير من المثقفين والسياسيين المهتمين بقضية القدس .

الإمام الأكبر يستقبل وفد ولاية ترنجانو الماليزية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح الثالث من صفر ١٤١٦هـ وفد ولاية (ترنجانو) الماليزية برئاسة السيد الوزير / د. محمد يوسف نور وزير الشئون الدينية للولاية .

فى بداية اللقاء قدم السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تهنئة الوفد وحكومة وشعب ماليزيا للشعب المصرى ؛ لنجاة الرئيس محمد حسنى مبارك من الاعتداء الأثيم الذى تعرض له سيادته فى (اديس ابابا) ، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الوفد على هذا الشعور الطيب .

تم خلال اللقاء : بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وماليزيا فى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية الدينية ؛ حيث تم بحث إنشاء معاهد دينية تعمل تحت إشراف الأزهر الشريف .

وقد أعرب الوفد عن تقدير بلاده ـ حكومة وشعباً ـ للدور الكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض .

الإمام الأكبر يتسقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير كريم حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر صباح الرابع من صفر ١٤١٦هـ .

فى بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن : تقدير بلاده ـ حكومة وشعباً ـ للدور الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى أنحاء العالم .

تم خلال اللقاء : بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وبنجلاديش فى كافة المجالات التعليمية والثقافية والدينية .

قدم السيد السفير دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة بنجلاديش حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب ، وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحيات فضيلته لحكومة وشعب بنجلاديش .

الإمام الأكبر فى شمال سيناء

قام فضيلة الإمام الأكبر فى الخامس من صفر ١٤١٦هـ بزيارة لمحافظة شمال سيناء ، حيث قام فضيلته بافتتاح المخيم الإسلامى الدولى الأول لشباب العالم الإسلامى الذى أقيم بمدينة العريش بتعاون بين منظمة الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى ، والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وصندوق التضامن الإسلامى ، وقد شارك فى المخيم خمسون دولة وحضره الدكتور وزير الأوقاف ، والدكتور مانع الجهيفى رئيس الندوة العالمية للشباب والسيد الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وقيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة فى حفل الافتتاح أكد فيها : على أهمية دور الشباب فى العالم الإسلامى فى مواجهة التحديات والفتن المعاصرة التى تعصف بالأمة الإسلامية وتعرقل سيرتها نحو التقدم والبناء والتنمية فى شتى مجالات الحياة .

وركز فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة النهوض بالجوانب العلمية والتربوية وتقوية الروابط بين الشباب فى كل مكان ، مشيراً إلى أن الإسلام حث على الارتقاء بالتعليم كعنصر فعّال فى بناء الأمة .

وفى ختام كلمته ناشد فضيلته الشباب فى مصر والعالم الإسلامى : القيام بدور فعال فى حل المشكلات التى تعترضهم وحثهم على العمل بقوة فى مشروعات التنمية فى بلادهم .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء زيارته لمحافظة شمال سيناء على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية وأصول الدين وخمسة عشر معهداً ازهرياً ابتدائياً جديداً فى شمال سيناء .

الإمام الأكبر يستقبل وفد قضاة زنزبار

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح السابع من صفر ١٤١٦هـ وفد قضاة زنزبار الذين جاءوا إلى مصر ضيوفاً على الأزهر الشريف ؛ لحضور دورة الدراسات القضائية بالمركز القومى للدراسات القضائية التابع لوزارة العدل .

وقد تم خلال المقابلة بحث نظام القضاء فى زنزبار ، والتعرف عليه ودرجات المحاكم هناك .

وقد قام رئيس الوفد بتقديم خالص الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على الاستقبال وكرم الوفادة ، كما قدم الشكر على مايقوم به الأزهر الشريف من دعم للمسلمين فى كافة أنحاء العالم .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى القدس الشريف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبة صباح العاشر من صفر ١٤١٦هـ سماحة الشيخ / عكرمة صبرى مفتى القدس الشريف ، تم خلال اللقاء بحث الأوضاع الجارية فى القدس والأراضى المحتلة ، وتعثر المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بسبب التعنت الإسرائيلى ، كما تم بحث التحرش المستمر الذى تمارسه إسرائيل مع القائمين على أمر المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية وغيرها .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على الحقوق الإسلامية والفلسطينية فى القدس ، وضرورة مواجهة الممارسات الإسرائيلية بكل حزم وحسم ، كذلك دعا فضيلته إلى ضرورة بحث ماأحدثته إسرائيل من تغيير فى المقدسات الإسلامية ، خلال المفاوضات التى ستجرى حول القدس الشريف .

وأكد فضيلته على أحقية الأمة العربية والإسلامية فى المتابعة والمشاركة فيما سيتم من مباحثات فى هذا الشأن وذلك من خلال جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

وأكد فضيلته فى ختام اللقاء : على سلامة الموقف الفلسطينى ، ومساندة الأزهر الشريف لهذا الموقف حتى الوصول إلى هذه الحقوق وإقرارها على ماكانت عليه قبل العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧م .

صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك

دعا فضيلة الإمام الأكبر إلى أداء صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك .

وأدى فضيلته صلاة الغائب بالجامع الأزهر الشريف عقب صلاة الجمعة الموافق ٢٣ من

صفر ١٤١٦هـ الماضى ، وأدى الصلاة مع فضيلته : سفير البوسنة والهرسك بالقاهرة ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

وتناول الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام وخطيب الجامع الأزهر فى خطبته : فضل الاعتصام والوحدة بين المسلمين ، وأثر ذلك فى مواجهة الأعداء .

كذلك أدت جموع المصلين فى مختلف مساجد مصر ـ عقب صلاة الجمعة ـ صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك .

قرار الإمام الأكبر بإعادة تشكيل لجان الفتوى بالمحافظات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بإعادة تشكيل لجان الفتوى بالمناطق الأزهرية بمختلف محافظات مصر ؛ للقيام بمهمة الإفتاء وتبصير الناس بأمور الدين الحنيف .

وقد نص القرار على : أن يتولى مدير عام المنطقة التعليمية الأزهرية مسئولية رئاسة اللجنة ، كما نص القرار على أن يتولى السادة أمناء اللجان القيام بالأعمال الفنية والإدارية للجنة .

نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتائج امتحانات الشهادات الأزهرية ؛ حيث جاءت نسب النجاح على النحو التالى : الشهادة الإبتدائية ٥٠,٧٣٪ والشهادة الإعدادية ٣٥,١٪ وجاءت نتائج الشهادة الثانوية الأزهرية بشعبها الثلاث على النحو التالى : القسم الأدبى ٣٨,٢٪ والقسم العلمى شعبة العلوم ٥٧,١٪ والقسم العلمى شعبة الرياضيات ٥٩٪ .

كذلك اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الشهادة الإعدادية للبعوث الإسلامية ، وجاءت نسبة النجاح ٣٠,٦٪ ، كما اعتمد ـ أيضاً ـ نتيجة امتحان ثانوية البعوث الإسلامية وكانت نسبة النجاح بها ٤٤,١٪ .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

البحث العلمى ودوره فى خدمة قضايا التنمية والبيئة

عقد بمركز (صالح كامل) للاقتصاد الإسلامى ـ بجامعة القاهرة ـ فى الفترة من ١٩ إلى ٢٢ صفر ١٤١٦ هـ ، مؤتمر البحث العلمى فى الجامعات المصرية ودوره فى خدمة قضايا التنمية والبيئة ، وذلك برعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك . ألقى فضيلة شيخ الأزهر كلمة فى افتتاح المؤتمر الذى شارك فيه علماء من المراكز العلمية المصرية والعربية والأجنبية بأبحاث حول أهمية البحث العلمى فى تحقيق التنمية ، وحل المشكلات البحثية فى قطاعات الإنتاج .

هذا وقد ألقى رئيس جامعة الأزهر ورئيس المؤتمر كلمة فى هذا المجال بين فيها؛ موقف الإسلام من البحث العلمى ، شارك فى المؤتمر أكثر من ٥٠٠ عالم من الشرق والغرب .

الولايات المتحدة

قررت جامعة هارفارد الأمريكية إعداد دراسة لتطوير أدوات الاستثمار الإسلامى لطرحها فى الأسواق المالية ، تناولت وصفا للإمكانيات المستقبلية لأسواق المال الإسلامية استرشادا بالأدوات المالية التى استنبطها البنك الإسلامى للتنمية بجدة ، وقام وفد من الجامعة بزيارة لجدة بدعوة من (أسامة جعفر) رئيس البنك الإسلامى للتنمية .

السعودية

افتتح مؤخرا فى السعودية (معرض الابتكارات العلمية الإسلامية) بمركز جدة للعلوم والتكنولوجيا ، وضم المعرض أشهر مخترعات المسلمين الأوائل صرح بذلك المشرف على المركز والذى نظم هذا المعرض .

وأكد سيادته أن المركز يستقبل أيضا أصحاب الابتكارات والميول العلمية من أنحاء العالم الإسلامى .

البوسنة والهرسك

قال مسئولو الإغاثة فى البوسنة أنهم يشعرون بقلق متزايد من مصير آلاف اللاجئين المفقودين ، ومعظمهم من الرجال القادرين على القتال الذين فقدوا بمنطقة (سربرينتشا) إحدى المناطق الآمنة التى استولى عليها الصرب يوم الثلاثاء ١٣ صفر الماضى ، وقالت منسقة الإغاثة الإنسانية التابعة للاتحاد الأوربى : إن حوالى ١٥٠٠ شخص مفقودين . وقال ممثلو وكالات اللاجئين بالأمم المتحدة : إن عدداً كبيراً من النساء والأطفال لم يعثر عليهم ، وأن ركاب حافلتين منهم لم يصلوا إلى الجهة التى انطلقوا إليها من المدينة التى تم الاستيلاء عليها من قوات الأمم المتحدة . وفى مناورة مفضوحة دعا وزير الدفاع الفرنسى إلى تشكيل قوة دولية للدفاع عن جوراذدى وسراييفو وقال : إن فرنسا مستعدة لوضع الجنود الذين ساهمت بهم فى قوة الردع السريع تحت تصرف القـــوة المزعومة ، دعا كلا من أمريكا وبريطانيا وألمانيا إلى تشكيل القوة المقترحة .

هذا وقد عبر أصحاب الأقلام وكتاب الأعمدة عما يحسون به من خيبة أمل شديدة من الموقف السلبى للأمم المتحدة معتبريـــن أن سقـــوط «سربرينتشا» إلى جانب أمور أخرى لا مجال لذكرها هى المسمار الأخير الذى يدق فى نعش المنظمة الدولية الفاشلة التى أصبحت أداة تلعب بها الدول الكبرى وتتخذ من أحكامها التى تكيل بمعيارين ـ وتغرق فى المحاباة ـ مطية إلى تحقيق أهدافها الشريرة التى مافتأت تكيد للمسلمين ما استطاعت لذلك سبيلا وقالت Sunday Mirror الصحيفة البريطانية فى تعليق على مآسى البوسنة : لقد فات وقت التردد والتلكؤ ، مما يعنى اتخاذ إجراء عسكرى منسق لإدماء أنف الصرب وتلقينهم درسا لا ينسونه ؛ لأن العالم يكترث فعلا لما يحدث فى البوسنة .

وقالت صحيفة «الأوبزرفر» Opsorver إن القتلة ومغتصبى النساء الأوباش الصرب ينتهجون استراتيجية ثابتة أوضحت عقم الأمم المتحدة وكان فى استطاعة هذه القوات أن ترسم خطا فاصلا فى الرمل كما فعلت فى حرب الخليج ونفذت تهديدها للرئيس العراقى بكل حزم واندفاع .

القاهـــــــــــــرة

أنهى الرئيس اليمنى زيارة لمصر دامت يومين ، وقال سيادته : لقد عرضت على الرئيس مبارك اتفاقا أمنيا ، كما صرح فى لقاء مع الأهرام الدولى يوم الأحد ١٨ صفر ١٤١٦ هـ أنه والرئيس مبارك يؤكدان أهمية تنقية الأجواء ، وعودة التضامن وتقوية دور الجامعة العربية ضمن سياسة المصارحة والمصالحة ، فأكد أن علاقات مصر والسودان لا تحتاج إلى وساطة ، وأن أية مخالفات ينبغى أن تبحث ثنائيا بغية حل عادل .

وأكد أنه ليس هناك محور «عراق يمنى سودانى» كما يقال ، وأن مرد هذه الشائعات الإعلام المعادى ، وأن مباحثاته مع الرئيس مبارك ناجحة وإيجابية هدفها : تطوير التعاون الثنائى .

واختتم تصريحاته بقوله : إنه لا يجوز أن نتحاور مع إسرائيل ونرفض الحوار مع بعضنا كأشقاء لتحقيق المصالح العربية .

ماليــزيا

أفادت المؤسسة الإسلامية بكلنتان الماليزية بنتائج امتحان الشهادة الثانوية الدينية لديها لعام ١٩٩٤م ـ وهى الشهادة المعادلة لثانوية الأزهر التى يمنحها معهد البعوث الإسلامية بالقاهرة ، وفقاً لقرار رقم (١٩) من لجنة المعادلات الدراسية بالأزهر الصادر بتاريخ ١٩٩٤/٧/١١م ـ وذلك على النحو التالى :

١ ـ كان عدد المسجلين لعـــام ١٩٩٤م (١٩٩٣) طالبا وطالبة ، وحضر الامتحان منهم (١٩٤٢) طالبا وطالبة ، وهم من (١٦) معهدا تابعا للمؤسسة الإسلامية بكلنتان ، ومن المجلس الإسلامى بجمهورية سنغافورة ، ومن (٣) معاهد بولاية جبور الماليزية ، ومن معهد بولاية صباح الماليزية ، ومن المنازل .

٢ ـ نجح منهم بتقدير (ممتاز) ٥٧٦ طالبا وطالبة ، وبتقدير (جيد) ٤١٥ طالبا وطالبة ، وبتقدير (مقبول) ٥٠٩ طالبا وطالبة ، إجمالى الناجحين ١٥٠٠ طالب وطالبة (بنسبة مئوية : ٧٧,٢٤٪) .

٣ ـ المعاهد المتفوقة : أصبح المعهد المحمدى فى « باسيربيكان » بمحافظة تومبات من ولايـة « كلنتان » فى مقدمة المعاهد من حيث التفوق ، إذ بلغت نسبة النجاح : ٩٢,١١٪ ، جلس فيه من طلبته (٣٨) طالبا وطالبة .

وفى المكان الثانى : مدرسة تومبات الدينية الثانوية ، بنسبة النجاح المئويـة : ٩١,٥١٪ : عدد الجالسين : (١٠٦) ، وفى المكان الثالث : معهد الدراسات الإسلامية بكوتاباهارو ، بنسبة النجـاح المئويـة : ٩٠,٢٢٪ عدد الجالسين : (٩٢) .

كما جاء بالمذكـرة بيـان بالمعاهـد والمدارس الأخرى وإحرازاتها بنسب مئوية فى النتيجة مع عدد الحاضرين فى كل منها .

وصرح فضيلـة الشيـخ محمـــــد حسين بن يوسف .. أمين هيئة الامتحانات بأنه : تم امتحان هؤلاء الطلبة فى أواخر العام الماضى (١٩٩٤م) فى ١٢ مادة دراسية من العلوم العربية والدينية ، وهى قائمة على مناهج معهد البعوث الإسلامية لجامعة الأزهر . فتكون شهـادة الثانويـة من المؤسسة الإسلامية بكلنتان معادلة لشهادة الثانوية من معهد البعوث الإسلامية بالأزهر . كما فى قرار رقم ١٩ من لجنة المعادلات الدراسيـة بالأزهـر وتـاريخ ١٩٩٤/٧/١١م .

وذكـر أن طموحـاتهم تتجه إلى مواصلـة الـدراسات العاليـة الجامعيـة فى الأزهـر ، وفى الجامعات الإسلامية الأخرى فى مختلف الدول العربية ، بجانب عدة جامعات فى ماليزيا ، وفى الباكستان ، والهند ، وأندونيسيا . وأضاف أن بعضهم يتمكنـون من الحصول على الوظائـف الدينية فى ولاياتهم بهذه الشهادة ؛ شريطة أن يكون لديهم شهادة الثانوية الماليزية العامة .

ورد فى كشف بنتائج هذا الامتحان صدر من الهيئة أن عدد الناجحين فى ١٩٩٣ : (١٣٢٣) طالبا وطالبة ، وفى عام ١٩٩٢ : (١٠١٨) طالبا وطالبـة ، وفى عام ١٩٩١ : (٩١٠)طالبـــا وطالبة . وتكون زيادة هذه الأرقام دليل إقبال من المسلمين على التعليم الأزهرى .

viers et les grenadiers, semblables ou dissemblables; Mangez de leurs fruits quand ils en produisent)(8).

Dans ces deux versets, Allah annonce qu'Il a créé sur la terre des lieux agréables le mot "Paradis" apparait également dans le Coran dans certains récits de prophètes comme Adam. Allah-tout puissant-dit dans la sourate "Al-Bakara" verset 35;

"Ô; Adam, habite avec ton épouse dans le Paradis; Mangez de ses fruits comme vous le voudrez, mais ne vous approchez pas de cet arbre, sinon vous seriez au nombre des injustes)(9).

Donc, le Paradis, a été mentionné dans le Coran, comme Paradis éternel des croyants, jardins magnifiques indiquant les bienfaits d'Allah sur la terre et comme jardin mentionné dans des récits.

Ce qui nous intéresse du Paradis ce n'est point qu'il est qualifié comme jardin, mais comme récompense pour ceux qui craignent Allah.

On peut dire donc, que la loi principale de deux mondes, c'est la logique qui permet la punition pour celui qui commet le mal et la récompense pour celui qui fait le Bien. Les croyants et les incroyants; c'est différent.

Ainsi, la punition des incroyants c'est l'Enfer avec tous ses supplices et la récompense des croyants c'est le Paradis avec toutes ses jouissances.

---

(٨) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ
مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ .... ﴾ سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٩) ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
سورة البقرة آية ٣٥ .

Egalement, tout le Bien, la charité, l'honnêteté et la foi sont le prix du Paradis éternel, qu'Allah a promis aux pieux qui le méritent.

A ce Paradis éternel, Allah-gloire à Lui a donne le nom de "Paradis d'Eden" qui signifie de la félicite éternelle; Allah dit dans la sourate "Çad" (versets 49-51)

(Voici un rappel; un beau lieu de retour est destiné à ceux qui craignent Allah; les jardins d'Eden dont les portes leur seront ouvertes. Accoudés en ce lieu, ils demanderont des fruits abondants et des boissons.(6)

— Chaque fois qu'Allah mentionne le Paradis, Il insiste sur le fait que ce Paradis est réservé exclusivement aux croyants; (... A ceux qui craignent Allah).

(Dont les portes leur seront ouvertes), c'est-à-dire, que ce beau lieu, n'importe qui a la possibilité d' y entrer, à condition d'avoir obéi aux ordres d'Allah.

Si Allah a mentionné "le Paradis" dans le Coran comme étant un séjour éternel des bien heureux après la mort, Il le décrit ainsi comme jardin magnifique semblable ce à qu'Il a crées dans notre monde, les jardins dans lesquels il y a des arbres fruitiers, des ruisseaux abondants, des fleurs de toutes les couleurs et de tous genres, Allah, gloire à Lui, dit dans la sourate "Yassin" — verset 34(7).

"Nous y avons fait placé des jardins de palmiers et de vignes; Nous y avons fait jaillir des sources".

Egalement, dans la sourate "Al-Anam" (verset 141) Allah, qu'Il soit glorifié dit; (C'est lui, qui a fait croitre des jardins en treilles ou non en treilles, les palmiers et les céréales comme nourritures variées, les oli-

---

(٦) ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة ص

(٧) ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة يس

Dans ce verset, Allah, — tout Puissant, — annonce que, dans le Paradis, il y aura toutes sortes de jouisances matérielles; arbres fruitiers, jeunes pucelles, boissons dans des coupes pleines à déborder; en effet toutes ces jouissances existent dans notre monde actuel, quand même, elles auront dans le Paradis des qualités dont on ignore la nature et la vérité, en plus dans le Paradis les croyants-biens heureux selon le Coran; Ils n'entendront là ni paroles futiles ni mensonges) aucune chose futile des préoccupations terrestres ne les distraira.

En outre, il y aura les sources d'eau, les différents genres de fruits, Allah-qu'Il soit glorifié-dit dans les verset 20 et 32 dans la sourate "Al-Waqi'a"(3)

(des fruits de leur choix).

(.... des fruits abondants)(4)

De même, on trouve dans la sourate 'Al-Morsalat" (Versets 41 et 42)

(Oui ceux qui craignent Allah seront au milieu des ombrages des sources et des fruits qu'ils désiront; Mangez et buvez en paix, pour prix de vos oeuvres; c'est ainsi que Nous récompensons ceux qui font le Bien)(5).

Dans ces trois versets, Allah nous indique que le Paradis sera à la disposition des croyants puisque leur patience sera enfin récompensée par cette vie dont le luxe sera d'un extrême raffinement. Il s' y trouve des sources d'eaux, des fruits délicieux y compris les raisins, les grenades, les olives, les palmiers ... etc... dont l'aspect et le goût sont différents de ceux que nous connaissons.

"(en paix)" c'est-à-dire, en repos, en tranquillité, alors que rien ne vient les troubler. (pour prix de vos oeuvres) puisque vous "les croyants" avez exécuté tous les ordres d'Allah, comme la prière, le jeûne, les aumônes, la lutte pour la cause d'Allah et le pélerinage.

---

(٣) ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ سورة الواقعة آية ٢٠ .

(٤) ﴿ ...... وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ سورة الواقعة آية ٣٢ .

(٥) ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة المرسلات

LES DESCRIPTIONS DU PARADIS DANS LE CORAN

Par Amina Soliman

Le Coran, adressé à l'ensemble de l'humanité, est le livre sacré des musulmans, révélé à Mohammed, le messager d'Allah, à lui bénédiction et salut.

Il comporte 114 sourates, on y trouve tout ce qui concerne les deux mondes; soit la vie humaine sur la terre soit la vie future dans l'au-de-là, et comme Allah, tout Puissant, dit dans la sourate de "Al-Omran" dans le verset 190(1); (dans la création des cieux et de la terre, dans la succession de la nuit et du jour, il y a vraiment des signes pour ceux qui sont doués d'intelligence).

Allah, gloire à Lui, a envoyé le messager Mohamed, à lui bénédiction et salut, comme avertisseur et annonciateur de la bonne nouvelle. Avertisseur de l'Enfer pour les incroyants et annonciateur du Paradis pour les croyants.

Abordant la vie future dans le Coran, Allah a présenté le Paradis, en le décrivant comme un jardin magnifique et immense qui sera le séjour des bienheureux, les croyants, après leur mort ils y coulent des rivières et on y voit des femmes d'une parfaite pureté, dépourvues de tout défaut, qui seront destinées aux croyants vertueux; Allah qu'il soit glorifié dit dans la sourate d'Al-naba au verset 31;(2)

Tel sera le succès pour ceux qui craignent Allah; des vierges, des adolescentes d'une égale jeunesse, des coupes débordantes, ils n'entendront là ni paroles futiles ni mensonges).

---

(١) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾
سورة آل عمران

(٢) ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ ﴾
سورة النبأ

2- Les cycles de la vie

Il existe une relation entre les créatures vivantes, qu'elles soient animales ou végétales, et la matière intere -solide, liquide ou gazeuse - dans des cycles de vie où sans cesse les atomes et les molécules de la matière inerte se transforment en êtres vivants et où ce qui est vivant meurt, et cela d'une manière continue. Citons en examples.

1- Le cycle du renouvellement des cellules vivantes

2- Le cycle du carbone entre les cellules animales et végétales, d'une part, et le bioxyde de carbone dans l'atmosphère, d'autre part.

3- Le cycle du nitrogène impliquant les cellules vivantes, d'une part, et le nitrogène de l'atmosphère et des fertilisateurs du sol, d'autre part.

Tout ceci n'est qu'une explication de ce que nous apportent les versets suivants :

[Tu fais sortir le vivant du mort et Tu fais sortir le mort du vivant]

Sour. "Al 'Imran" (La Famille de Imran) v27.

[Il foit sortir le vivant du mort et Il fait sortir le mort du vivant]

Sour. "Al An'am" (Le bétail) v95.

[Qui fait sortir le vivant du mort et le mort du vivant?]

Sour. "Yûnus" (Jonas) v31.

[Il fait sortir le vivant du mort et Il fait sortir le mort du vivant]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v19.

Voici certaines de ces preuves dont chacune séparément témoigne de la véracité du Coran révélé de la part du Seigneur des mondes à Son serviteur et messager, le plus parfait des humains, Mohammad -à lui bénédiction et salut-.

Les Preuves

1- Les lois scientifiques

Tout dans cet univers est soumis à des calculs et à des mesures très précises où rien n'est laissé au hasard. Or, cela est le fondement même de la science moderne. Le Coran dit à ce propos :

[Nous avons créé toute chose avec mesure]

Sour. "Al Qamar" (La lune), v49.

[Celui qui a créé toute chose et a fixé son destin avec mesure]

Sour. "Al Forqân" (La loi) v2.

[Le soleil et la lune se meuvent selon un calcul minutieux]

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) v5.

[Il a élevé le ciel et Il a établi (sur terre) la balance]

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) v7.

[Toute chose est mesurée par lui avec soin]

Sour. "Al Ra'd' (Le Tonnerre) v8.

[Nous avons fait descendre l'eau du ciel, avec mesure]

Sour. "Al Mu'minûm" (Les Croyants), v18.

[Et Il a fait descendre du ciel l'eau avec mesure]

Sour. "Al Zukhrof" (L'ornement) v11.

[Nous ne le faisons descendre que selon des proportions déterminées]

Sour. "Al Hidjr", v21.

[Nous y avons fait pousser toutes sortes de choses d'une manière équilibrée]

Sour. "Al Hidjr", v19.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage

Traduit par
Dr. Rokeya Gabr

Préface

Qu'est - ce qui amène la raison à accepter de croire que le Coran est une Révélation de la part d'Allah - le Très - Haut - à Son serviteur et messager Mohammed (à lui bénédiction et salut), et que le rôle du Messager s'est limité à transmettre fidèlement, clairement et en détails la Révélation qui lui fut faite? Dans cette étude succinte, nous prouverons - scientifiquement et historiquement - qu'il est impossible que le Saint Coran soit le discours du Prophète ni d'aucun autre être humain vivant à l'époque où il fut révélé. En voici les preuves que nous donnons dans un langage clair où il n'y a aucune ambiguïté, avec une précision scientifique en rapport avec la logiaque scientifique et linguistique correcte de manière à ne laisser place à aucune faille ni à aucune contradiction:

[Ne méditent - ils pas sur le Coran? S'il provenait d'un autre dieu qu'Allah, ils y trouveraient de nombreuses contradictions].

Sourate Al Nisâ : (Les Femmes) les sens du verset 82.

Ceci confirme que le Coran est sans conteste l'oeuvre de Celui dont le Savoir parfait est supérieur à toutes les connaissance humaines, de Celui qui est trop transcendant: au-dessus de toute erreur, de tout manque et de tout mensonge. Or, l'admirable Créateur de cet univers est le seul à posséder cette perfection absolue: c'est Allah - qu'Il soit glorifié -.

REVUE AL-AZHAR

VOL. 68 PART III

RABI-EL AWAL — 1416 HIGRAH.

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Arberry (641) :

"We shall make thee recite, to forget not

....

We shall ease thee unto the Easing."

However, notice that Arberry (out of the four translators) ignores the existence of the coordinator /wäw/ in verse 8 and has, therefore, not rendered it. By this instance of 'and' deletion made by Arberry, in addition to the other instances discussed before, we may conclude that Arberry's translation is sometimes defective on the formal levels. To a certain extent, he sometimes sacrifices the communicative value and textual effect at the expense of the semantic adequacy and style.

In addition to the change of word order in conjoined structures, other pitfalls may also be related to the change of the original structure from passive into active and vice verse, as will be discussed in sections to follow in coming editions.

To Be Continued

Y. Ali (1636-37)

6. By degrees shall We
   Teach thee to declare
   ....

8. And We will make it
   Easy for thee (to follow)
   The simple (Path).

Notice that in Y.Ali's version the modal verb 'shall' precedes the personal pronoun 'We' in "shall We Teach" which, of course, is ungrammatical in English. Syntactically speaking, such order occurs only in interrogative sentences. Perhaps, Y.Ali thinks that this inversion would help to emphasize the fact that the Qur'an is intended to be revealed only to Muhammad and that he is the one to declare the message of Allah. However, the second conjoined element. "We will make it Easy for thee (to follow) the simple (Path)", unlike the first, sustains the WA of the original sentence /nuyassir-u-ka li-l-yusrä/. This means that 'and' in the above example does not fulfill the syntactic criterion of conjoining syntactically equivalent or identical categories.

As for the other three translators, Khatib, Pickthall and Arberry, they keep the WA of the original structure. Their versions are represented as follows :

Khatib (803-804) :

"We shall make you recite; so forget not, ... And We shall ease you to (the path) of easing."

Pickthall (802) :

"6. We shall make thee read (O, Muhammad) so that thou shall not forget

....

8. And We shall ease thy way unto the state of ease."

Khatib (825) :

"Perish the hands of Abu Lahab; and perish he."

Despite the use of imperative sentences, followed by exclamation marks or semicolons in Y.Ali's, yet Arberry's and Khatib's version may somewhat change the meaning of the original. According to Al-Sabuni (1976: Vol.3, 618) and Al-Alusi (1270: 264), the first conjoined sentence /tabb-at yad-ä ?ab-ï lahab/ implies wish, whereas the second /tabb-a(huwa)/ is a declarative statement. However, these slight changes give the original meaning more emphasis rather than just using declarative statements and commas, as in the case of Pickthall's version :

Pickthall (824) :

"1. The Power of Abû Lahab will perish, and he will perish".

In addition to the above repetitions and deletions of 'and', there are still other syntactic pitfalls, which may result from the change of the word order or the form of conjoined elements, as will be discussed in the following sections.

A- Change in the word order of conjoined structures with the /wäw/ :

Consider the following examples :

Sura 87, Verses 6-8 :

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ... وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ سُورَةُ الأعلى

/sanuqri?-u-ka fa lä tansä ... wa nuyassir-u-ka li-l-yusrä/.

Perhaps the only error Y.Ali has made, when translating the above verse, is the change of the WA of the first conjoined sentence for no clear reason :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part III

By Dr. Maha Y. El Tagouri

This is another syntactic mismatch with the /wäw/ which translators have to face.

Change in the Conjoined Structure :

Consider the following example :

Sura 111, Verse 1 :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١

/tabb-at yad-ä ?ab-ï-lahab-in wa tabb-a/.

In translating this verse, Y. Ali is the only one who ignores the existence of the coordinator /wäw/ in the SL text, and has not rendered it in his version :

Y. Ali (1712) :

"1. Perish the hands
Of the Father of Flame !
Perish he !"

On the other hand, Arberry and Khatib, in addition to rendering the /wäw/ as 'and' in their version, they have, to some extent, given the appropriate formal and communicative equivalent of the original structure. They use an imperative sentence, the same as Y.Ali's attitude, implying that 'Abü Lahab' himself deserves to be perished, rather than just having his hands or power perished.

Arberry (666) :

Perish the hands of Abu Lahab, and perish he !

mutilated his body by opening his stomach and extracting his liver. It was said that the pagans had mutilated the bodies of many of the Muslim martyrs by cutting off their noses and ears. The prophet (PBUH) prayed for all the martyrs and ordered that they should be burried at Uhud.

Reviewing the consequences of the battle of Uhud, it can be said that the Muslims lost this battle for two main reasons : firstly they had stopped pursuing their enemy and secondly the bowmen ignored the prophet's order and left their positions. Yet, it should be noted that this battle was not a complet victory for either of the two parties, the pagans and the muslims, but at the same time the Muslims' defeat at Uhud was beneficial to them. This defeat had taught them to first destroy their enemies before the enemy could destroy them. It taught them, also, to fight bravely like their prophet (PBUH) and never give up until they achieve a complete victory. It taught team, as well, to purge themselves from weakness, cowardness and submissiveness, and that they should not lose faith in the victory of Allah.

The battle of Uhud is best illustrated in the Holy Qur'an as Al-Mighty says :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ سورة آل عمران

"Allah did indeed fulfil His promise to you When ye with His permission were about to annihilate your enemy — until ye flinched and fell to disputing about the order, and disobeyed it after He brought you in sight (of the Booty) which ye covet.

Among you are some that hanker after this world and some that desire the hereafter. Then did He divert you from your foes in order to test you.

But He forgave you : for Allah is full of grace to those who believe."

(Surah : Āli Imran, 152) (Yousuf Ali, P. 166)

a terrible mistake in that they thought that they had totally, defeated the idolaters and many of them left their positions thinking that the war had come to an end. The Muslim bowmen were not an exception because they forgot the prophet's command and they left their positions at the top of the hill and hurried down the hill to take their shares from the spoils. Thus the Muslim ranks became scattered and the idolaters took advantage of this terrible mistake. Henceforth two of the pagan leaders Khaled Bin Al Waleed and Ekrema Bin Abi Jahl decided to take advantage of the Muslims' scattered ranks and they swiftly launched an attack with their men against the Muslim bowmen and killed most of them. They, in fact, took the Muslim by surprise from behind and killed many of them. When the Muslims, who were still under the influence of their victory realised that they had been taken by surprise, it was too late for them to reorganize their ranks. In the meantime, the defeated idolaters returned to the battlefield and the Muslims found themselves in a very difficult situation.

The idolaters, at that time, succeeded in making their way toward the prophet (PBUH) and made their best to kill him. It was said that Otba Bin Abi Waqqas succeeded in throwing a stone at the Prophet and wounded his face and lower lip. In this critical time a rumour was made that the prophet (PBUH) had been killed. This, in fact, had a very bad effect on the morale of the Muslim fighters. Some of them were astonished, others thought of retreating to Medina. In the meantime, a group of fighters encircled the prophet (PBUH) doing their utmost to defend him with all the strength they had. The Muslim fighters continued to protect the prophet (PBUH) until they were able to reach the mountain. At this moment, when the Muslims recognized the prophet (PBUH), they were full of happiness and they restored their high morale and began to fight more fiercely.

The idolaters realised that they had not completely destroyed the Muslims who had been able to reorganize their ranks and redeploy themselves for another battle. On seeing the Muslims readiness to fight again, Abu Sufian decided to withdraw with his army.

After the battle, the prophet (PBUH) surveyed the condition of the martyrs, and he felt mosk sad for Hamza whom Hind Bint Otba had

for this reason he refused the support of the Jews. In fact, Allah had willed to prevent the hypocrites from fighting. Therefore, the believers stood firmly with their leader and fought bravely with them.

When the Muslim army reached the battle field the prophet (PBUH) surveyed it. He discovered that the mountain of Uhud had many valleys and looked like a big bow facing towards the plains which had been raided by the Qureish. There were, as well, some hills which were not connected to the mountain. Thus, the prophet (PBUH) led his army along the valley slope, their backs protected by the mountain behind them, whilst in front they faced Medina. Meanwhile, the prophet (PBUH) was afraid of being attacked from one of those hills, especailly that the pagans outnumbered the Muslim regarding the horsemen and infantry. For this reason, the prophet (PBUH) had set a military plan taking into consideration the existing conditions of the battlefield.

The first thing the prophet (PBUH) did that he appointed fifty bowmen under the leadership of Abdullah Bin Jubair and ordered them to keep up positions along the nearest hills. The prophet (PBUH) was of the opinion that in this way the Muslims would be able to shoot their arrow and spears against the pagans horsemen when they advanced towards the Muslim army. The prophet (PBUH) ordered them, as well, to keep their positions and warned them not to neglect their job of preventing the pagans from attacking the Muslims.

The battle commenced and the Muslim believers were very enthusiastic in fighting against the pagans. Many Muslims had set an immortal example of extraordinary heroism such as Hamza Bin Abd Al-Muttalib, the prophet's uncle. He was an outstanding fighter and was, for this, named the lion. He was fighting with two swords and continued to fight like a lion until a coward slave killed him by throwing his spear at him.

The Muslims were in command of the battlefield and they were almost at the point of achieving a complete victory against the pagans. At this stage of the battle, the pagans began to flee from the battlefield. When the Muslims saw that the idolaters had fled, they stopped pursuing them as they were lured away by the spoils which had been left behind by the idolaters. But in fact by doing so, the Muslims committed

The idolaters prepared their army and moved towards Medina. This army was organized in such a way that Khaled Bin Al-Waleed was made responsible for the right flank, and Ekrema Bin Abi Jahl was made responsible for the left Flank, while Talha Bin Abi Talha was responsible for carrying the flag and Abu Suffian was the over all leader of the army. The Qureish army continued its march until it reached the northern side of Medina at the Mountain of Uhud.

The Prophet knew from his uncle Al-Abbas Bin Abd Al Muttalib about the pagan army from the time it started its move from Mecca. As usual, the Prophet (PBUH) gathered together the Muslims and told them the news and discussed with them the matter. Though the Prophet (PBUH) was of the opinion that the Muslims should stay in Medina and defend themselves by using their houses and roads, yet it was eventually decided that the Muslims should fight against the pagans outside Medina. The Prophet (PBUH) agreed to the majority's decision and began in preparing the Muslim army. He selected Musaa'b Bin Omair to be responsible for leading the Emigrants, Al-Habbab Bin Al-Monzir the Khazraj and Osaid Bin Hodair the Aws. After that one thousand Muslims prepared themselves to make their way out of Medina to where the pagans were waiting for them.

In the maentime, the Prophet (BPUH) observed a big military force and when he asked about it, he was told that these were the Jewish allies from Abdullah Bin Abi Salul. The Prophet (PBUH) refused to accept their support and ordered that they should be prevented from participating in the battle because they were too treacherous.

The army started to move towards the Mountain of Uhud. On their way, a group of three hundred men under the leadership of the hypocrite Abdullah Bin Ubai deserted the Muslim army and returned to Medina under the pretext that the Prophet (PBUH) did not consult him regarding the army remaining in Medina.

It is believed that there had been a secret plot between the hypocrites and the Jews, whereby both of them had agreed to withdraw at a suitable moment, or they would withdraw gradually one group after the other in order to weaken the morale of the Muslims and disunite them. But the Prophet (PBUH) was able to foresee what was going to happen,

lims in this battle. In order to protect the Muslims from the Jews' treachery during their long struggle against the pagans from Mecca, the Prophet (PBUH) was obliged to drive them out of Medina. The Prophet (PBUH) had taken this measure so as to ensure the safety of the Muslims and the safety of the new religion and to safeguard this newly born religion against their conspiracy.

As a matter of fact, the Prophet's (PBUH) deep insight regarding the Jews' treachery had become a reality. After his defeat at 'Badr,' Abu Sufian Bin Harb became very stubborn and sowre to crush Muhammad and his army. Thus when he was near to Medina, he decided to meet the Jews of 'Bani Annadyr'' in order to arouse them and gain their support against the Muslims. When the Prophet (PBUH) learned about this conspiracy and this alliance, he had no alternative except resorting to attack being the best means of defense. Henceforth, he took the Jews by surprise and upset their plans especially those of "Bani Saleem", "Bani Ghatafan and "Bani Qaynoqaa' and he was able to overcome them.

In the meantime, the Prophet was determined to continue his divine struggle against the pagans even if this cost him his life. Thus, when he learned that Qureish had decided to send their carvans to Damascus along the road to Iraq, he moved swiftly to close this road and the Muslims under the leadership of Zaid Bin Haritha, were able to capture a big caravan and brought it to Medina. Qureish had become very aggresive especially that the Prophet (PBUH) had succeed in preventing it from continuing to trade with Damascus. In other words, Qureish could not bear the fact that its leaders were killed by the swords of Muslims, its dignity and pride were deeply injured and its trade was compeletly paralysed. For this reason it began to give much thought to finding away to gain revenge.

Full with the desire to revenge, Qureish immediately began to recruit soliders and prepare their arms, and were able to gather together 3000 men. Qureish was also supported by Abu Amer Al-Rabih Al-Awssi who left Medina after he had declared his resistance against the Prophet (PBUH) and was followed by a number of his men who hated the Muslims.

THE GREAT BATTLES OF ISLAM

2 — THE BATTLE OF UHUD

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

After the outstanding defeat at 'Badr', the Qureish army returned to Mecca boiling with rage because its dignity had been wounded by the Muslims and it had been inflicted with heavy losses and a lot of damage. Meanwhile, the Muslims, who returned to Medina victorious, had become respected by all the surrounding tribes and the new religion succeeded in gaining new followers who converted to Islam after the victory at 'Badr'.

However, the Muslims' victory at 'Badr' had aroused the envey of the Jews and discomforted them especially the Jews of 'Bani Qaynoqa'a who were the Muslims' neighbours in Medina and who were resentful of their success. In fact, when the Prophet (PBUH) emigrated to Medina, the first thing he did was negociating a peace treaty with the Jews. This treaty stipulated a peaceful existence between both parties, i.e. the Muslims and the Jews. In other words, it stipulated that both parties should not fight each other and the Jews should not support anybody against the Muslims and should support the Muslims against any enemies who tried to attack Medina. According to their agreement the Prophet (PBUH) had been tolerant with them regarding this freedom to practice their own religious duties but, nontheless, the Jews never respected their agreements.

After the victory at 'Badr', the Jews became openly antagonistic and aggressive towards the Muslims in Medina because they were anticipating the death of the Prophet (PBUH) and the defeat of the Mus-

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Rabi-l-Aw'wal 1416

Vol. 68 Part III

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

**"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."**

(Al Aʿraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد

● الافتتاحية : الأزهر والثقافة الجنسية :
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ٢٩٣

● مع الإمام الأكبر ●

ـ فى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ ٢٩٦
ـ فتوى فى ثبوت إسلام المتوفى ٣٠١
● بيان مجمع البحوث الإسلامية ٣٠٤
● « الأزهر » مجلة فى جنوب إفريقيا
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٣٠٦
● مع سورة يس
للأستاذ الدكتور : إبراهيم الدسوقى خميس ٣١٥
● إنما الحلف حنث أو ندم
للأستاذ الدكتور محمود سالم الخطيب ٣١٩
● قبس من أنوار النبوة : كيف نشكر الله على نعمائه
لفضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم ... ٣٢٢
● الخطبة الجامعة فى حجة الوداع
لفضيلة الشيخ محمد العزازى ٣٢٥
● ولاية عقد النكاح فى الشريعة الإسلامية
للأستاذ أحمد مصطفى عبد الحميد ٣٣٠
● محبة الله ورسوله سبيل المؤمنين الصادقين
لفضيلة الشيخ محمد فتحى عبد الصادق .. ٣٣٦
● خلق المسلم (٣)
للدكتورة فاطمة عمر نصيف ٣٣٩
● الفتـــاوى
إعداد : الأستاذ عبد المنعم فودة ٣٤٥
● حوار مع نائب رئيس جامعة الأزهر
إعداد الأستاذ فطيم سلامة ٣٤٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٥٤

● الشـعر والشـعراء ●

ـ ميلاد النبى ﷺ ٣٥٧
ـ يا رحمة الرحمن ٣٥٨
ـ القطة الواعظة ٣٦٠

● من روائع الماضى (ذكرى المولدالنبوى الشريف)
إعداد الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات.. ٣٦٢

● العلـوم الكونيـة ●

● الحسن بن أحمد الهمدانى (٢)
أ. د. أحمد فؤاد باشا ٣٦٨
● مشكاة السنة النبوية
للأستاذ نبيل صلاح محمود العربى ٣٧٢
● من أمراض الطفولة
د. جيهان أحمد مصطفى ٣٧٧
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ٣٨١

● اللغة والأدب والنقد ●

● غاية شوط
بقلم الفريق يحيى عبد الله المعلمى ٣٨٤
● الشواهد النحوية (٣)
للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٣٨٦
● مع الدكتور عبد الوهاب عزام
بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٣٩٢
● مع أدب الكاتب لابن قتيبة
أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ٣٩٨
● أحمد بن حنبل إمام أهل السنة
عرض الأستاذ عبد السلام ناصف ٤٠٢
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبد الحكيم محمد ٤١٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ... ٤١٧
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ٤٢٢
● القسم الفرنسى ٤٣٢
● القسم الإنجليزى ٤٤٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاعى خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

النبوة والبشر

النبوة صفوة الحكمة ، والأنبياء صفوة البشر ، فهم الحنان ، وهم الرحمة ، وبهم السلامة ، وفيهم الكمال .. والقدوة .. والإمامة .

وُلِدُوا مُمتَّعِين بأنبل الصفات ، وأجمل العواطف ، سالمين - كل السلامة - من نزغات الشياطين ماعاشوا ، سالمين من هول القبر ، إذا ما ماتوا ، سالمين يوم البعث من كُرُبات القيامة .

ونصيب سيدنا محمد رسول الله ، خاتم النبيين ﷺ من هذه الصفات وتلك العواطف أجل نصيب وأوسعه ، وقد ذكر له القرآن الكريم أُمَّهَاتِهَا ؛ ففى الكتاب العزيز :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة

وهى صفات لم تنشأ وقت النبوة ، وإنما هى صفات أصيلة بذاته من يوم وُلِدَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ نعرفها جلية جداً من ميلاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وميلاد الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وحسبنا أن الآية الكريمة هذه تسجل لرسول الله ﷺ : أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ (عزيز عليه) أى شاق على نفسه ومؤلم لها ما يشق على المؤمنين من الأمور ، فقد كان ﷺ يحب اليسر ، ويتخير اليسر ، (حريص عليكم) راغبٌ ـ بشدة ـ فى هدايتكم وإيصال الخير إليكم ، فإنه لم يبق شىء يُقَرِّبُ المسلمين من الجنة ، ويباعدهم عن النار إلا ذكره لهم ورغبهم فيه حتى لايكون المؤمن كالفراش يَهْوَى الضَّوْء ـ إذ هو نار ـ فيتهافت إليه فيحترق فيه (بالمؤمنين رءوف رحيم) رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين(1) . أليس رسول الله ﷺ هو صاحب هذا الوسام العُلْوى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة القلم : ٤] .

والحبُّ كل الحب فى أى من مواقعه الإنسانية النبيلة ، وأين رفرفت أجنحته بين الناس ـ بَثَّهُ ـ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى المسلمين ، ورأى أن الإيمان لايتم إلا به فقال ﷺ :

« والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ..؟ أفشوا السلام بينكم » رواه الترمذى ومسلم وأبو داود وغيرهم .

هكذا : السلام .. والحب، ويالهما من نعمة هى مطمح البشر ..

وإذا ما تحدثنا عن رسول الله ﷺ فخذ ما شئت من أوسع معانى الخير التى كانت فى الأنبياء ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ ثم تجمعت بكمالها وجلالها فى رسول الله ﷺ ليستمتع بها المؤمنون فى الدنيا والآخرة ، فهو ﷺ بنص القرآن الكريم :

« رحمة للعالمين » .. « الرءوف الرحيم » .. « السراج المنير » .. « البشير النذير » .. « الأمين » .. إلى صفات أُخَرَ يصعب ـ فيها ـ الحصر ، وقد تدل أسماؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(1) انظر الآيات بتفسير الخازن وابن كثير .

على شيء منها . فهو المبعوث تتمة لمكارم الأخلاق ، وهو ﷺ إمام المتقين ، الهادى إلى الصراط المستقيم ، شفيع الناس يوم الدين .

تلقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[٢] ، وهى آية صدَّرها المولى ـ عز وجل ـ بـ (لام) القسم : (ولسوف) ، والله ـ عز وجل ـ هو المقسم ، فعطاؤه[٣] كائن لا محالة ، فقال رسول الله ﷺ : « إذاً لا أرضى قطُّ وأحَد من أمتى فى النار » وصدق الله العظيم إذ سماه : الرءوف الرحيم .

والسعيد السعيد من استمسك من صفاته ﷺ بطرف ، ومارس بأخلاقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حياته ، وفى حديثه الشريف الذى رواه الإمام أحمد يخاطب ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه فيقول : أتدرون أكثر ما يُدْخِل الجنة ..؟ تقوى الله وحُسْنُ الْخُلُق .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « لا تُنْزَعُ الرحمة إلا من شقى » . رواه أحمد .

ثم هناك ـ بعدُ ـ الجزاء الأوفى لأولئك السعداء الممتعين بحسن الخلق ، فإنهم أقرب الناس مجلساً من رسول الله ﷺ فى مقامه من الفردوس الأعلى بالدار الآخرة ، جمع المولى ـ عز وجل ـ لهم الْحُسْنَيَيْن : رؤيته ـ سبحانه وتعالى ـ وصحبة النبى محمد ﷺ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. على أحمد الخطيب

---

(٢) الضحى ـ ٥

(٣) انظر تفسير الآية بالنسفى .

كلمة الرئيس فى احتفال مصر

بالمولد النبوى الشريف

وجه الرئيس حسنى مبارك رئيس الجمهورية كلمة إلى الأمة الإسلامية والعالم فى الاحتفال الذى أقامته وزارة الأوقاف فى الثانى عشر من ربيع الأول ١٤١٦ هـ الموافق ٩ من أغسطس ١٩٩٥م، بمناسبة مولد الرسول الكريم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس :

ألإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأفاضل ، ضيوف مصر الأعزاء ، الأخوة والأخوات .

إنها لسعادة غامرة ، أن نجتمع اليوم فى هذا الملتقى الأخوى الروحى ، الذى تتوجون به أعمال مؤتمركم العلمى الحضارى ، وقد أبرزتم من خلاله ما قدمته الأديان من عطاء وهداية لبنى الإنسان . وهى سعادة غامرة ومضاعفة لأننا نحتفل بذكرى مولد رسول الإنسانية ومعلم البشرية ، وسيد الأنام ، محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

ولا يسعنى ابتداء إلا أن أحيى هذا المؤتمر وأشكر كل المشاركين فى أعماله ، فهو إنجاز يستحق كل تقدير وتحية ، لما تجلى فيه من أخوة بين الديانات السماوية ، التى تشرق جميعاً من نور الله ، وتدعو كلها إلى الحق والخير ، وإلى كل ما فيه سعادة الانسانية .

ويضاعف من جلال هذا المؤتمر ، ختامه بالاحتفال بذكرى مولد الرسول العظيم ، الذى جاءت رسالته تتويجاً لرسالات أنبياء الله السابقين ، كما جاء هو خاتماً لهم ورسولًا إلى الناس أجمعين .

مصر حامية الرسالات

وليس غريباً أن يتم هذا اللقاء الإيمانى على أرض التوحيد والديانات وموئل الأنبياء ، وحامية الرسالات ، وممثلة هذه الوحدة الإيمانية التى هى سمة من أعز سماتها وأنصع معالمها ، ورمز من أقدس رموزها وخصائصها الحضارية .

فعلى أرض مصر الطيبة ولد ونشأ موسى ودعا إلى دين الله ، وإليها لجأ واحتمى عيسى وانتصر له الحواريون وافتداه الشهداء ، ومنها صاهر وأنجب سيدنا محمد رسول الهدى والنور ، واصطفى من شعبها خير أجناد الأرض ، على أنبياء الله ورسله جميعاً أعظم الصلاة وأكرم السلام .

على أرض مصر الطيبة تعايشت الأديان السماوية فى سماحة وإخاء ، وتجاورت دور العبادة ترفع اسم الله الواحد الأحد .

وفى عاصمتها قام الأزهر الشريف ، حامياً للإسلام خاتم الأديان ومتمم رسالات السماء .

ومن ربوعها خرجت جنود الله تذود عن راية الحق والعدل ، وتدفع الأخطار عن ديار الإسلام ضد الطغاة والغاصبين .

وبعد تحية مؤتمركم الإيمانى وشكر كل المشاركين فيه ، يطيب لى أن أهنئكم جميعاً وأهنىء أمتنا الإسلامية جمعاء بهذه المناسبة الكريمة ، مناسبة ذكرى مولد الرسول محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذى مثل ميلاده فجراً جديداً للناس أجمعين ، سوف يظل نوره متألقاً فى عيون التاريخ إلى يوم الدين .

الإســلام دين الســلام

كان ميلاده صلوات الله وسلامه عليه ، ميلاد صاحب أكمل رسالة ، أوجده الله من أجل إبلاغها ، وهيأه لتحمل أعبائها ، ثم بعثه بقيمها الحضارية الرفيعة ، التى سبق الإسلام بها كل حضارة ، لينشر نور العلم واليقين ، ويبدد ظلمات الجهل والجاهلين .

يكفى أن نذكر أن رسالة محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ قد أهدت إلى الإنسانية قيم الحرية والمساواة وحكم الشورى ، وأصول الديمقراطية ومبادىء العدالة ، والتكافل ودعـوة الأمـن والسلام .

وإذا تأملنا من بين كل هذه القيم قيمة السلام ، وتتبعنا كيف أكد عليها الاسلام ، فأعلى من شأنها ، وحث على التمسك بها والعمل على تحقيقها ، لأمكن أن نقول دون أية مبالغة : « إن الإسلام هو بكل الحق دين السلام » .

فالإسلام قد اهتم بسلام الإنسان فى أعمق معانيه ، وبأدق تفصيلاته ، ودعا إلى أن يتحقق هذا السلام للإنسان فى كل ما يحيط به أو يتجه إليه فى علاقاته بذاته أولًا ، ثم علاقاته بمجتمعه الصغير أو الكبير من حوله ثانياً ، أو بعلاقاته مع إخوانه فى المجتمع الإسلامى الأكبر فى نهاية المطاف .

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع نفسه ، فدعاه إلى أن يتجنب الصراع النفسى المعذب ، والقلق الروحى المعوق ، وعلمه أن يحقق سلامه النفسى بالإيمان بالله والتسليم بإرادته ، والتيقن من أن كل ما

يجرى عليه قدر مرسوم وقضاء محتوم ، فعلى الإنسان أن يسعى ، وواجبه أن يكد ويكدح ، ولكن دون بكاء أو فجيعة على ما فات ، أو قلق محموم تلهفاً على ما هو آت .

وبهذا الإيمان يربح الإنسان السلام مع ذاته وتتحقق له « النفس المطمئنة » التى يمضى بها المرء فى حياته عاملًا منتجاً ومبدعاً ، ويعيش راضياً سعيداً موفقاً ، ويرتبط بقومه متعاوناً متوافقاً ، فتتحقق له الشخصية السوية والعقلية الناضجة الواعية ، والسلوك المتوازن والأداء النافع المستقر .

السلام مع الأهل

أولًا :

اهتم الاسلام بسلام الإنسان مع أهله ، فجعل العلاقة الأسرية علاقة مودة ورحمة ، وجعل الصلة بين الآباء والأبناء قوامها طاعة ورحمة من الأبناء ، وجوهرها محبة ورعاية من الآباء .

جعل المساواة أساس العلاقة بين بنى الإنسان فى التكاليف الشرعية والمعاملات الدنيوية دون فارق أو تمييز بسبب الجنس أو المكانة أو اللون ، ولا صدام بين الكبار والصغار بسبب تفاوت الأعمار أو تباين الأجيال .

بهذا يتحقق السلام ويشيع الوئام فى الأسرة التى هى الخلية الأولى للمجتمع الإسلامى ، وبهذا السلام والوئام الأسرى ، يتحقق للمجتمع الإسلامى تماسكه وترابطه ، ويندفع فى أداء ما عليه من واجبات متحداً قوياً متماسكاً بل متحاباً متآلفاً متجانساً .

السـلام مع الجـار

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع جاره فجعل للجار حقوقاً تقرب من حقوق الأهل ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « مازال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .

وأخبر صلوات الله وسلامه عليه ، أنه « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره شروره » .

وواضح أن الجار قد يكون فرداً فى مسكن أو عمل ، كما قد يكون جماعة فى منطقة من المناطق أو بلد من البلاد ، كما قد يكون مجتمعاً فى دولة ، أو نظاماً فى حكومة .

كل هذه ألوان من الجوار تنظمها العلاقات والأسس التى وضعها الدين الحنيف للجوار ، ويجرى عليها ما شرعه الإسلام من مبدأ السلام بين الجار والجار ، برعاية الحقوق التى تقرب من حقوق الأهل والأسرة والعشيرة .

وإذا ما تحقق السلام بين الجار والجار ابتعد شبح الصراع الذى يفسد على الناس حياتهم ويبدد

جهودهم ويعطل تقدمهم ويوقف نمو مجتمعاتهم ، بل أحياناً ما يكون سبباً فى إراقة دماء طاهرة وإزهاق أرواح بريئة ، وتفجير العداوة ، يرثها الأبناء عن الآباء وتشقى بها أجيال بعد أجيال .

ثالثاً :

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع غيره من أبناء مجتمعه ، جعل العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامى علاقة أخوة وتضامن ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، بل إن الإسلام جعل المجتمع الإسلامى كله يتوحد ويتكتل فى جسد واحد ،وجعل جميع أبناء المجتمع يمثلون أعضاء هذا الجسد الواحد المتضامن المتكامل والمترابط .

وفى هذا المعنى النبيل ، وهذه القيمة الاجتماعية السامية يقول الرسول العظيم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وإذا كان المسلمون أخوة ، تجمعهم صلات المودة والرحمة ويشملهم رباط التكافل والتضامن ، فمن أوضح البديهيات ألا يكون بين هؤلاء الأخوة قتال ولا صراع ، وإلا انتفت قيم التضامن وانهارت معانى التكافل والترابط ، وتداعت وحدة الأمة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس .

ومن باب أولى فإذا كان المسلمون يمثلون فى مجتمعهم جسداً واحداً هم أعضاؤه ، فلا يستسيغ عقل أو يقبل منطق أن يتقاتل الجسد والكيان الواحد ، أو أن ينشأ صراع بين أعضائه وعناصره ، أو أن تتحلل أجزاؤه وتنفرط لبناته ومكوناته .

بهذا التصور الإسلامى الحضارى الرفيع ، دعا الإسلام إلى تحقيق السلام فى مجتمع المسلمين ، ونفرهم بشكل حاسم من كل ما قد تدفع إليه المطامع الدنيا وصراعات لا تجلب إلا التعاسة والأحزان والشقاء .

نفـــس الحقـــوق

رابعاً :

لم يقتصر اهتمام الإسلام بالسلام الاجتماعى بل اتسع هذا الاهتمام ليشمل سلام غير المسلمين من كل المواطنين الذين يعايشون المسلمين .

فالإسلام قد جعل لهؤلاء المواطنين من الحقوق مثل ما للمسلمين ، وجعل عليهم من الواجبات مثل التى عليهم .

ذلك كله بالاضافة إلى أن لهم كل الحق فى ممارسة شعائرهم ، وصون معابدهم ، ومزاولة كل شئون حياتهم وفق تعاليم دينهم ، ليعيشوا فى المجتمع الإسلامى أحراراً آمنين ، متمتعين بالسلام والأمان مثل مواطنيهم المسلمين .

خامساً :

والاسلام قدى أرسى دعائم السلام بين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات ، مادام الآخرون فى تلك المجتمعات مسالمين للمسلمين وغير معتدين .

أساس هذا المبدأ الاسمى القويم قول الله فى محكم كتابه : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ وهو مانسميه اليوم باسم « السلام العادل الشامل » الذى من حق الجميع أن ينعم به ويسعى إلى تحقيقه .

فالبديل للسلام هو الحرب ، والحرب إزهاق للأرواح وسفك للدماء ، وتخريب للعمار ، وتعطيل لمسيرة الحياة .

للـــدفاع والحـــرية

والحرب لذلك شر لا يلجأ إليه إلا لدفع ما هو أكثر شراً وأفدح خطراً .. وهى من الأمور المحظورة التى لا تقترف إلا لضرورة .. أباحها الإسلام للدفاع عن النفس وحماية السلام من أعداء السلام .

كأن تسير الجيوش الإسلامية بقصد فك قيود الرق عن المستعبدين ، وتنحية نير العبودية عن المقهورين ، الذى استذلتهم قوى البغى وحالت بينهم وبين رؤية نور الحقيقة .

بهذا المعنى والهدف كانت الحروب التحريرية ، التى لم يقصد بها المسلمون إراقة دماء ولا إزهاق أرواح ، أو تخريب عمار أو ترويع آمن ، وإنما قصدوا إزالة الغشاوة والظلمات عن عيون المعصوبين ليروا الحقيقة ، وفك القيود عن المقهورين لينعموا بالحرية .

كانت سياسة المسلمين بعد أن يفتحوا بلداً أو يحرروا شعباً ، أن يتركوا لهم الخيار فى أن يعتنقوا الإسلام عن اقتناع أو أن يظلوا على ديانتهم ، وأساس هذا قول الله فى محكم كتابه : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

ديـــن الحـــــرية

فالإسلام دين الحرية وهو دين الاختيار تحقيقاً للمسئولية .

هكذا لم يحارب الرسول ولا حارب أصحابه من أجل فرض العقيدة لإسلامية على الآخرين ، ولم يلجأ صلوات الله عليه ولا لجأ أصحابه إلى حمل السلاح إلا دفاعاً عن النفس ضد عدوان أثيم ، أو

تحريراً لشعب مكبل فى أغلال الظلم والقهر ، التى تحول بينه وبين اختيار العقيدة التى يريد ، والإيمان بالدين الذى يهدى إلى سواء السبيل .

فما من بلد دخله المسلمون أيام الفتوحات ، إلا أمنوا أهله ، وعاهدوهم عهد الأمن والأمان ، حدث هذا فى فارس والعراق ، وفى مصر والشام ، وفى المغرب والأندلس ، وفى كل البلاد التى حررها المسلمون من العبودية ، واحتضنتها أركان الدولة الإسلامية الحرة المسالمة الحضارية .

ومما يؤكد هذه المعانى السامية النبيلة ، أن اشتقاق اسم الإسلام جاء من كلمة « السلام » وأن الله سبحانه قد جعل من أسمائه الحسنى اسم « السلام » وأن الجنة التى وعد الله بها عباده المؤمنين قد سماها « دار السلام » وأن التحية الإسلامية الخالدة هى كلمة « السلام » .

إن السلام من أهم مبادىء الإسلام وأجلها قيمة ، ولذلك ألح فى الدعوة إليه ، وأكد فى الحث عليه ، وعمل بكل الوسائل على تحقيقه ، من أجل صالح الإنسان : فرداً وأسرة ، وجماعة ودولة ، ومجتمعاً وأمة .

نداء الإسلام

ذلك هو نداء الإسلام منذ فجر الرسالة المحمدية إلى بنى البشر أجمعين : نداء لا يفرق بين أبيض وأسود ، بين عربى وأعجمى ، بين مسلم وغير مسلم ، حيث ظلت دعوة ديننا الحنيف للإنسانية كلها هى السلام ، وظل خطابه الحضارى هو التعاون على البر والتقوى فى ظل الحرية والمساواة عملاً بقول الله – عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات/ ١٣

والمسلمون اليوم وهم فى أركان متفرقة من العالم ، يتوقعون ، بل ويثقون فى أن الشعوب المتحضرة التى قد لاتشاركنا ديننا أو حضارتنا الإسلامية ، سوف تنهج نهجاً ، وسوف تستلهم كما نستلهم نحن جوهر ما بشرت به الأديان السماوية والقيم الحضارية من مبادىء التسامح والتعايش من نبذ العصبية العرقية المقيتة ، وممارسات التعصب الدينى الرعناء ، التى تعربد مظاهرها فى وحشية غير مسبوقة فى بعض المناطق التى تضم شعوباً ودولاً إسلامية مثل البوسنة والهرسك .

هذه الممارسات اللاحضارية إذا كانت قد استثارت مشاعر الإدانة والاستنكار من الجميع مسلمين وغير مسلمين ، فقد آن لها أن تتوقف ، وآن للمجتمع الدولى أن يجمع كلمته وإرادته لإعادة الأمن والسلام إلى هذه الشعوب قبل أن ينجرف العالم إلى هاوية التعصب المجنون الذى يدمر كل ما عرفته الإنسانية من قيم وحضارة .

مفهــــوم الأمـــن

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأجلاء ، الأخوة والأخوات .

من هنا كان عجيباً وغريباً عن طبيعة الإسلام ومبادئه وقيمه ، هذا الذى يحدث فى السنوات الأخيرة ومانراه اليوم من صراع بين بلد وآخر من بلاد الإسلام .

وأعجب منه وأشد غرابة ما يحدث بين فريق وآخر فى بلد واحد من بلاد المسلمين ، وأشد إثارة للعجب والحيرة ، بل للدهشة والصدمة ، هذا الإرهاب الذى تقوم به جماعات ضد بعض أبناء الأمة ، وخاصة ضد من يعملون لصالحها ، ويسعون جاهدين لخيرها ، ويسهرون لحماية مقدراتها .

هذا الإرهاب مناقض تماماً لقيمة الأمن ، معاد أساساً لمبدأ السلام الذى أرسى دعائمه الإسلام .

إن التآمر والإرهاب المنظم عمل إجرامى خالص ، من المتصور أن تقوم به عصابات منظمة مأجورة ، لا ترعى ديناً ولا خلقاً ، ولا تحترم مبدأ إلا مبدأ المكاسب المادية الباغية ، ولا تحقق هدفاً إلا الأهداف الإجرامية العادية .

كذلك يمكن أن نتصور أن تقوم بالتآمر والإرهاب عصابات إنتاج المخدرات وتهريبها أو الترويج لها ، والتى تنشر السموم الفتاكة بين الناس وتحمى انتشارها بتآمر خفى وإرهاب وحشى .

لكن الذى لا يمكن أن يتصور ، أن تقوم بالتآمر الإجرامى والإرهاب العداونى جماعات بل دول وحكومات تتخفى وراء أقنعة الدين ، وتتستر بأردية المصلحين .. مع أنه لا يوجد دين أى دين يبيح سفك الدماء البريئة أو ترويع القلوب الآمنة ، فضلًا عن إزاق الأرواح التى لا يملك قبضها إلا الله جل علاه .

إن كل الأديان قد شددت على حرمة حياة الإنسان ، وأحاطت تلك الحياة بكل الضمانات التى تصون سلامتها وتحقق أمنها وسلامها .

بل لقد حرم الإسلام اعتداء الإنسان على حياة نفسه ، وجعل من الكفر إقدام المرء على إزهاق روحه بيده ، لأن الإنسان خلق الله وروحه قبس من روح الله ولا يملك أحد العدوان على خلق إلا بحق الله كما فى القصاص الذى فيه للناس حياة ، ولا يملك أحد نزع الروح إلا واهب هذه الروح .

حـــرمة النفـــس

إن قتل النفس الإنسانية أو الشروع فى قتلها لا يكون فى الإسلام وبإجماع الأئمة إلا بحق ، والحقوق التى تسوغ قتل الإنسان محددة تحديداً حاسماً وجازماً ، فى شرعة الله وفى النصوص القرآنية المنزلة وليس منها على الإطلاق ، قصد الانتقام ، أو العمل على تغيير النظام ، أو إشاعة الفوضى وزعزعة الاستقرار ، أو التمهيد للوصول إلى السلطة أو الوثوب على الحكم عبر الأشلاء والدماء .

نعرف أن هذا الداء الذى استشرى مؤخراً وهو داء الإرهاب داء عالمى لاتنفرد به بعض الجماعات الضالة فى أمتنا .

لكن الذى تنفرد به تلك الجماعات بل وبعض الدول والحكومات ، أنها تقدم على الإرهاب باسم الدين ، وترفع زوراً وكذباً وبهتاناً راية الإسلام الناصعة لتخفى جرائمها وآثامها بينما يقترف الآخرون الإرهاب وهم معروفون بأنهم مأجورون ، أو مجرمون من محترفى العدوان ، أو عملاء ممن تحالفوا مع الشيطان من أرباب الشر ودعاة الفتنة وخفافيش الظلام .

الإرهــــاب جــريمة

ومن هنا كان هؤلاء الارهابيون المتسترون برداء الإسلام ، أصحاب جريمة أبشع من كل جرائم الإرهابيين الآخرين ، لأن هؤلاء المتسترين برداء الدين يضيفون إلى إجرامهم وعدوانهم على الآخرين بغير حق ، إجراماً أفدح فى حق الدين الذى زورا إليه ينتسبون وزيفاً به يتمسحون .

من المغالطات المفضوحة ، أن هؤلاء الإرهابيين المتسترين زيفاً برداء الدين ، يبررون مسلكهم بأن يسموا أنفسهم مجاهدين وفدائيين وهم فى هذا التبرير مخادعون مضللون فالمجاهدون والفدائيون يحاربون أعداء لأوطانهم ويضحون فى سبيل تنحية من يحتلون أرضهم .

أما هؤلاء الإرهابيون فيدبرون تآمرهم ويوجهون أسلحتهم إلى أناس من أبناء أمتهم ومن تراب أرضهم ، أو إلى أبرياء من أمم أخرى لم يسيئوا إليهم ولم يدبروا لهم المؤامرات والمكائد .

مثل هذا التآمر أو الإرهاب لايكون جهاداً ولا فدائية ، بل عدواناً غاشماً وجريمة نكراء تقتضى العقاب والقصاص حقاً وعدلًا عملًا بقوله ـ تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

فأى جهاد هذا الذى يمارسه من يقتل أو يشرع فى قتل سياسى أو وطنى له رأيه وفكره ومذهبه وأسلوبه ، أو مفكر له رؤيته ونظرته ، أو رجل أمن عليه واجبه ومهمته ؟

أية فدائية تلك التى يقدم عليها من يفجر سيارة أو يلقى قنبلة ، تمزق أجساد الأبرياء وتسيل دماء الأطفال وتصيب من لادور لهم فى سياسية ولاعلاقة لهم بقرار أو حكم ؟!

إن الذين حرفوا وشوهوا دعوة الجهاد الحق من أجل غايات باطلة فاسدة ، إنما يحرفون كلام الله ويزيفون شرعة الإسلام ، ويزورون الفكر الإسلامى القويم ، فكانوا شراً ووبالًا على أمة الإسلام والمسلمين .

دعــوة العــــدل

وكانت الدعوة إلى الحق والعدل إلى الأخوة والرحمة فى المجتمع الإسلامى هى الأجدر بالنشر والذيوع ، فى مجتمع يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقيم الشعائر ويحيا وفق

شريعة الله فى إقامة العدل وتحقيق المساواة والعمل بالشورى ، ورعاية مصالح العباد بمنأى عن النقل الجاهل والتحريف الضال للدعوة إلى الحق وإلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبعيداً عن تزييف الحقائق وتحريف الأصول وهدم القواعد .

فالحوار المتحضر أساسه قول الله ـ سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

والأسلوب الذى يتم به الإصلاح ويتفق مع روح الإسلام ، أسلوب أكثر وضوحا وأدق تحديداً ، وهو يقوم على العمل العلنى المشارك فى تحسين أوضاع الناس وتمكينهم من حياة أفضل .

هذا هو الأسلوب لكسب الأنصار ، وتأسيس القواعد الشعبية التى تؤازر من يريدون الإصلاح الحق ويقصدون إلى التغيير البناء الذى يراد به فعلًا وجه الله وصالح الأمة ، ولايؤدى إلى إثارة أو يسلم إلى فتنة ، « فالفيتنة أشد من القتل كما أخبر كتابنا الكريم ، وخير الناس أنفعهم للناس كما علمنا نبينا العظيم .

محـــاربة الإرهـــاب

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأجلاء ، ضيوف مصر الأعزاء .

لعلكم توافقوننى على أن واجب الجميع ألا يهادنوا هذه العصابات التآمرية ـ الارهابية أفراداً كانت أم حكومات ـ وأن يتعاونوا على محاصرتها ومقاومتها والعمل على استئصالها من جذورها .

وأن علماء الإسلام الواعين ، ورجال الدعوة والمفكرين ، يأتون فى الصدارة من جيش المقاومة الباسل ، الذى ينعقد عليه الأمل فى التصدى لهذا الإرهاب المتآمر ، الذى يهدد الأمن والسلام ويقترف من ألوان العدوان والإجرام ما يسىء أكبر الإساءة إلى مبادىء الإسلام .

بل إن كل رجالات الديانات السماوية ، وجميع المفكرين الغيورين على القيم الإنسانية ، مطالبون بأن يوجهوا جهودهم إلى محاربة ظاهرة الإرهاب العالمية ، التى تسىء كل الإساءة إلى الحضارة البشرية .

وإننى أنتهز فرصة الاحتفال بذكرى مولد محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لكى أتوجه بهذه الدعوة إلى أمتنا على امتداد أراضيها وتعدد دولها ، وإلى كل الأمم المحبة للسلام لكى يحرص الجميع على هذا السلام ، وأن يهبوا للدفاع عن حقيقة الاسلام وجوهره ودحض أباطيل خصومه ممن ينتسبون زوراً إلى الإسلام ...

ولنحيى فى هذا اليوم الخالد العظيم ، نبينا محمداً بأفضل الصلاة وأتم التسليم ، فهو الذى أضاء للبشرية طرق الحق والخير ومهد للإنسانية سبيل الأخوة والحب ، وقاد العالم إلى جنة الأمن والأمان ، وأرسى بالإسلام أقوى دعائم السلام وكل عام وأنتم جميعاً وكل أمتنا بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع

الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر في الاحتفال

بالمولد النبوى الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ..

الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذه ذكرى ميلاد الرسول ﷺ . هذا النبى العظيم ، لقد كرمه ربه واحتفى به ، وذكره فى القرآن الكريم بالتكريم والتعظيم ؛ بل إن اسمه ﷺ والشهادة برسالته جزء من كلمة التوحيد ، « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » ، ولعل هذا ـ والله أعلم ـ مما يشمله افتتاح سورة الشرح :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾

فأى رفع لذكر الرسول ﷺ أعظم من أن يكون اسمه تالياً لاسم الله ـ سبحانه ـ وجزءاً من كلمة التوحيد التى يدخل بها الإنسان الإسلام .

حضرات السادة إن تقدير رسول الله ﷺ وتعظيمه أمر حتمى على المسلمين خاصة ، والناس عامة ؛ لأنه جاء رسولًا خاتماً للرسالات وللإنسانية جميعاً ، ولذلك لم يخاطبه ربه كما خاطب الأنبياء السابقين بأسمائهم المجردة ؛ بل جاء القرآن يخاطبه بالنبوة والرسالة ، وهذا اختصاص تكريمى لم يوجه إلى نبى من الأنبياء السابقين مع أنهم مكرمون جميعاً ، فما بالنا يتحدث الإنسان عن رسول الله ﷺ مُجَرّدًا له من لقب الرسالة ألا نكون مهتدين بالقرآن ، أفلا تحتفظ للرسول ﷺ بهذا التكريم ، إن هذا بلاغ للناس أن يكرموا رسول الله ، كما كرمه ربه ، فلا نذكر اسمه مجرداً عن الرسالة أو النبوة .

وقد كرم الله نبيه ﷺ فرفع العذاب عن أمته فى حياته ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ورفع العذاب عن أمته بعد مماته ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يا أمة الإسلام هذا ضمان للمغفرة والرحمة فهلا أقبلتم على دينكم ، والتزمتم كتاب ربكم وسنة نبيكم فخرجتم من أحزانكم ، ومن هذه الآلام التى تنتاب الأمة فى كل مكان ، ألا خرجتم من كل ذلك بالرجوع إلى دين الله ، إلى القرآن والسنة إلى أن تكونوا .. (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) إن أمة الإسلام تطارد فى كل مكان ، وتهاجم فى كل مكان ، وهم كثير ولكنهم كغثاء السيل .. فهل لهذه الأمة التى مجد الله نبيها أن ترتفع إلى قدر نبيها ، وإلى مكانته عند الله بالاقتداء به وباتباع سنته ، وبأن تكون كما مثلها .. (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى*) .

أعلم أن الرئيس مبارك يسعى إلى ضم الصفوف وتضميد الجراح ولكننى من هذا المنبر أدعو الأمة شعوباً وحكاماً ومحكومين أن يكونوا على قدر هذه المسئولية وأن يتضامنوا مع السيد الرئيس فى جمع الصفوف ، وفى التعالى على هذه الجراح التى تصيب الأمة لتنجو الأمة مما يراد بها ، إن رسول الله ﷺ كما قلت يذكر فى الصلوات مقروناً باسم الله ـ عز وجل ـ فليس فى حاجة لأن نقيم الموائد والموالد ؛ بل فى حاجة لأن نعمل بسنته وبكتاب ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ حتى تكون أمتنا خير أمة أخرجت للناس .

السيد الرئيس

كل عام وأنتم وأمتنا فى أحسن حال ـ إن شاء الله ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* حديث صحيح ورد بروايات

فتوى للإمام الأكبر

فى

بيان

حكم بث الفرقة بين الجاليات الإسلامية وأمر الشيعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد فى مجلة أكتوبر بالعدد رقم ٤٦٠١ الصادر بتاريخ ٢٥ من أغسطس ١٩٨٥م تحت عنوان « الأزهر ملاذهم الدينى الأول » للسيد/ عبدالعزيز صادق رسالة موجة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وخلاصتها كما يلى :ـ

فى هذا الأسبوع وصلتنى رسالة من بعض من يعملون بالمركز الإسلامى بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة ، مضمونها أن بعض أعداء الإسلام يعملون على بث الفرقة بين الأقليات المسلمة فى أفريقيا وآسيا ، وأمريكا ، يحاولون صبغ الخلافات ـ أيا كان نوعها ـ بالصبغة الطائفية ، ويكفرون الشيعة على اختلاف فرقها ، وهى هجمة شرسة تستهدف التفرقة بين المسلمين . وأن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم ـ لكى تقع عباداته ومعاملاته صحيحة ـ أن يقلد أحد المذاهب الأربعة فقط .

فهل توافقون يا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا الرأى على إطلاقه ؟.

ثم إن بعض الناس قد أخذوا يكفرون الشيعة ، ويرون إن الإسلام منهم براء ، ترى ماهو رد فضيلتكم على هذا القول ؟ وهل يجوز لمسلم أن يكفر غيره من المسلمين ؟

ونفيد بالآتى :

أولا : عن حكم التقليد ، وهل يلزم تقليد مذهب معين ؟

وبيان ذلك كمايلى :ـ

ذهب جمهور الأصوليين إلى أن العامى وهو الذى ليس له أهلية الاجتهاد فى الأحكام وإن كان محصلا لبعض العلوم يجب عليه اتباع قول المجتهد والأخذ بفتواه استنادا إلى قوله تعالى :

﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

وهى عامة لكل المخاطبين الذين لم تتوافر لهم وسائل العلم بالأحكام ، ولأن العامة فى زمن

(١) من الآية ٧ من سورة الأنساء .

الصحابة والتابعين كانوا يتسفتون المجتهدين منهم ويتبعونهم فيما بينوه لهم من الأحكام ، وكان المجتهدون يبادرون إلى افتائهم والكشف لهم عما جهلوا ولم ينكروا عليهم استفتاءهم إياهم فكان ذلك إجماعا على مشروعية التقليد فى الفروع ، غير أن العامى فى الاستفتاء مقيد باستفتاء من عرف بالعلم والعدالة وأهلية النظر فيما يستفتى فيه ـ احتياطا فى أمر الدين .

كما ذهب جمهور العلماء إلى أنه لايجب على العامى التمذهب بمذهب مجتهد معين والتزام جميع عزائمه ورخصه ـ بحيث لايجوز له الخروج عنه ـ بل له أن يعمل فى مسألة بقول مجتهد ، وفى أخرى بقول مجتهد آخر ، وعلى ذلك استقر عمل المفتين فى كل عصر من زمن الصحابة ومن بعدهم وقد اختار ذلك من علماء الأصول (الآمدى) ، (ابن الحاجب) و (الكمال) فى تحريره و (الرافعى) وغيره ؛ لأن التزام مذهب معين فى كل المسائل غير ملزم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب رجل معين من الأئمة فيقلده فى دينه ، يأخذ كل ماقال فيه ويذر غيره .

وقد قال ابن أمير حاج من علماء الأصول ـ « لايصح للعامى مذهب : لو تمذهب به ؛ لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال وبصر بالمذاهب على حسبه أو لمن قرأ كتبا فى فروع ذلك المذهب ـ وعرف فتاوى إمامه وأقواله . وأما من لم يتأهل لذلك البتة ، بل قال : أنا حنفى ، أو شافعى ، أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول » .

ومما تقدم يعلم أنه لايجب تقليد مجتهد معين ، وأن التلفيق بمعنى العمل بقول مجتهد فى مسألة ، وبقول أخر فى أخرى لضرورة ولغيرها فى العبادات والمعاملات جائز تخفيفا ورحمة بالأمة ، بل ذهب الجمهور إلى جواز تتبع رخص المذاهب فى المسائل المختلفة ، لأن للمكلف أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل بأن لم يكن قد عمل بقول مجتهد آخر فى ذات المسألة التى يريد التقليد فيها .

والخلاصة أن التقليد واجب على غير المجتهد المطلق لضرورة العمل ، وأنه لايجب على المقلد التزام مذهب معين ، وأنه يجوز له العمل بما يخالف ما عمله على مذهبه مقلداً غير إمامه وأن مذهب العامى فتوى مفتية المعروف بالعلم والعدالة وأن التلفيق بمعنى العمل فى كل حادثة بمذهب جائز .

ثانياً : حكم التكفير ، وهل يجوز للمسلم أن يكفر غيره من المسلمين ؟

وللإجابة على هذا نذكر أولًا بيان حقيقة الإيمان والإسلام ، وبيان معنى الكفر . وذلك كما يلى :

(أ) الإيمان وحقيقته :

الإيمان لغة : هو التصديق مطلقاً .

وفى الشرع : هو التصديق بالله وبرسله وبكتبه وبملائكته وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر .

قال تعالى :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾(٢) .

(٢) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

والإيمان بهذا تصديق قلبى بما وجب الإيمان به ، وهو عقيدة تملأ النفس بمعرفة الله وطاعته فى دينه ويؤيد هذا دعاء الرسول ﷺ : « اللهم ثبت قلبى على دينك » وقوله لأسامة وقد قتل من قال : لا إله إلا الله (هلا شققت قلبه)[٣] .

(ب) الإسلام وحقيقته :

يقال فى اللغة أسلم : دخل فى دين الإسلام .

وفى الشرع : كما جاء فى الحديث الشريف : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»[٤] .

فالإسلام هو العمل بالقيام بفرائض الله من النطق بالشهادتين وأداء الفروض والانتهاء عما حرم الله سبحانه ورسوله .

فالإيمان تصديق قلبى ، فمن أنكر وجحد شيئاً مما وجب الإيمان به فقد خرج من الإسلام قال تعالى :

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٥] .

أما الإسلام فهو العمل والقول ، عمل بالجوارح ونطق باللسان ، ويدل على المغايرة بينهما قول الله ـ سبحانه :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٦] .

(د) متى يكون الإنسان مسلماً ؟

حدد هذا رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى فى قوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله) .

هذا هو المسلم ، فمتى يخرج عن إسلامه ؟ وهل ارتكاب معصية بفعل أمر محرم أو ترك فرض من الفروض ينزع عنه وصف الإسلام وحقوقه ؟

قال ـ سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٧] .

(هـ) ما هو الكفر ؟

الكفر لغة : كفر الشىء : غطاه وستره

وشرعاً : أن يجحد الإنسان شيئاً مما أوجب الله الإيمان به بعد إبلاغه إليه ، وقيام الحجة عليه .

وقد شاع الكفر فى مقابلة الإيمان ، لأن الكفر فيه ستر الحق ، بمعنى إخفائه ، وطمس معالمه ، ويأتى هذا اللفظ بمعنى كفر النعمة ، وأعظم الكفر جحود وحدانية الله باتخاذ شريك له ، وجحد نبوة رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وشريعته .

والكافر متعارف فيمن يجحد كل ذلك .

وإذا كان ذلك هو معنى الإيمان والإسلام والكفر مستفاداً من نصوص القرآن والسنة : كان المسلم الذى ارتكب ذنباً وهو يعلم أنه مذنب

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) من الآية ١٣٦ من سورة النساء .

(٦) من الآية ١٤ من سورة الحجرات .

(٧) من الآية ١١٦ من سورة النساء .

عاصياً لله ــ سبحانه وتعالى ــ معرضاً نفسه لغضبه وعقابه ، لكنه لم يخرج بما ارتكب عن ربقة الإيمان وحقيقته ولم يزل عنه وصف الإسلام وحقيقته وحقوقه .

وأياً كانت هذه الذنوب التى يقترفها المسلم خطأ وخطيئة ، كبائر أو صغائر فإنه لا يخرج بها عن الإسلام ولا من عداد المؤمنين ، ذلك مصداقه قول الله سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

(و) هل يجوز تكفير المسلم بذنب ارتكبه ؟ أو تكفير المؤمن الذى استقر الإيمان فى قلبه ؟ ومن له الحكم فى ذلك إن كان له وجه شرعى ؟

قال الله سبحانه :

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾(٨) .

وفى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث من أصل الإيمان : وعُد منها : الكف عمن قال « لا إله إلا الله » ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل) .

وما رواه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : (لا يرمى رجل رجلا بالفسق ، أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) .

ومن هذه النصوص يتضح أنه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه سواء كان الذنب ترك واجب مفروض ، أو فعل محرم منهى عنه ، وأن من يكفّر مسلماً أو يصفه بالفسوق ، يرتد عليه هذا الوصف إن لم يكن صاحبه على ما وصف .

(ز) من له الحكم بالكفر أو الفسق .

قال الله ــ تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٩) .

وقال سبحانه :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾(١٠) .

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١١)

وفى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « سمع النبى ﷺ قوماً يتمارون فى القرآن (يعنى يتجادلون فى بعض آياته) فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ، فما علمتم منه فقولوا : وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » .

هذا هو القرآن ، وهذه هى السنة ، كلاهما أمر بأن النزاع فى أمر من أمور الدين يجب أن يرد إلى الله ورسوله ، وأن من يتولى الفصل وبيان الحكم هم العلماء بالكتاب وبالسنة ، فليس لمسلم أن

(٨) من الآية ٩٤ من سورة النساء .
(٩) من الآية ٥٩ من سورة النساء .
(١٠) من الآية ١٢٢ من سورة التوبة .
(١١) من الآية ٧ من سورة الأنبياء .

يحكم بالكفر أو الفسق على مسلم ، وهو لا يعلم ما هو الكفر ولا ما يصير به المسلم مرتداً كافراً بالإسلام ، أو عاصياً مفارقاً لأوامر الله . إذ الإسلام عقيدة وشريعة له علماؤه الذين تخصصوا في علومه تنفيذاً لأمر الله ورسوله فالتدين للمسلمين جميعاً ، ولكن الدين وبيان أحكامه وحلاله وحرامه لأهل الاختصاص به وهم العلماء قضاء من الله ورسوله .

هذا : ولا ينبغى اتخاذ المذاهب الفقهية الإسلامية وسيلة لكسب سياسى أو تأييداً لدولة ، أو فئة من الناس ، وأولى بالمسلم بدل أن يدعو أخاه المسلم إلى مذهبه ـ والمذاهب الصحيحة كلها من رسول الله ﷺ ملتمسة ـ أن ينشر الإسلام وفضائله ، عقيدة وشريعة بين غير المسلمين .

والأزهر ينكر على هؤلاء ـ الذين يجاهدون فى غير عدو ـ صفتهم . فليس للمسلم الشيعى أن يطلب إلى المسلم السنى ترك مذهبه الشافعى أو الحنفى أو المالكى أو الحنبلى ، ليتابعه على المذهب الشيعى ، وليس للسنى ـ أيضاً ـ ذلك الصنيع ، ومادام الكل من المسلمين فعليهم أن يكونوا أخوة وأن يعملوا على نشر الإسلام بين غير المسلمين ، ويكفوا عن توسيع شقة الخلاف والفرقة بين صفوف الأمة وعن اتخاذ المذاهب الإسلامية الفقهية ، مذاهب سياسية للدول ، فإن المسلمين الأوائل لم يفعلوا ذلك ، لأنه يتناقض مع قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾

سورة المؤمنون

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولى الرابع المعنى بالمرأة فى بكين

تعقد الأمم المتحدة فى بكين خلال شهر سبتمبر من العام الحالى ، مؤتمرها الدولى الرابع المعنى بالمرأة بهدف إتمام الموافقة على برنامج عمل أعد من قبل ، لتلزم به الحكومات نفسها[1] وقد ضيقت فى المساحات القابلة للمناقشة ، بدعوى أنه قد تم حسم نقاط الخلاف فى اللجان التى أعدت هذا البرنامج ، وآخرها اللجنة التاسعة والثلاثون التى انعقدت فى نيويورك فى الفترة من ١٤ شوال إلى ١٤ من ذى القعدة ١٤١٥ هـ / ١٥ مارس إلى ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٤م .

هـــدف مؤتمـــر بكـــين :

ومؤتمر بكين ـ هذا ـ يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة ، ترمى إلى ابتداع نمط جديد من الحياة ، يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة ، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هى التى حمت شعوباً ودولًا كثيرة من التردى فى هوة الفساد الجنسى ، والسقوط فى حومة الاضطراب النفسى ، ومستنقع الانحلال الخلقى .

علاقـــة مؤتمـــر بكـــين بمؤتمـــر القاهـــرة للسكان

وقد هدف واضعوا البرنامج من ورائه إلى تدارك ما فاتهم إقراره فى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، الذى انعقد خلال الفترة من ٢٨ ربيع الأول إلى ٧ ربيع الآخر ١٤١٥هـ/٥ ـ ١٣ من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٤م ، وذلك فإنهم يلحُون على القضايا التى خذلهم فيها المجتمع الدولى ، والتى كانت تدور فى شق منها : حول مفهوم الأسرة وبنائها ، وتربية النشىء ، والعلاقات الجنسية ، والإجهاض .

برنامـــج بكـــين يتلاعـــب بالألفـــاظ :

وقد بلغت الجرأة بواضعى برنامج عمل مؤتمر بكين ، أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا فى غيهم ، وزادوا من لجاجتهم ، موغلين فى اللعب بالألفاظ ، وفى تحريف الكلم عن معناه

---

(١) أنظر ما تشير إليه البنود ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٩

إلى المعنى الذى يتطلعون إليه ؛ كاستخدامهم كلمةُ نوع GENDER عشرات المرات بمعان محرفة ترمى إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة الهدف .

البرنامج يعتبر المفهوم الدينى للأسرة مفهوم عقيم :

وفى خضم سعيهم إلى (تدمير الأسرة) ، لم يقنع واضعوا البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك فى اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين عن غير طريق الزواج ، واعتبار هذا النشاط أمراً شخصياً لا يحق لأى منهما أن يتدخل فيه(٢) ، ولكنهم نادوا فى جرأة فاحشة : بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذى يقره الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً ؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط ، وفى داخل الإطار الشرعى ؛ ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم فى تكوين أسر من بينهم ، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية ، معتبرين أنها مجرد أدوار اعتادها الناس فيما درجوا عليه ، ويجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط(٣) .

بل إن واضعى هذا البرنامج ساروا فى غيهم إلى أبعد من ذلك ؛ فطالبوا بالتغيير الجذرى فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما فى ذلك حق الرجال فى أجازة « وَالِدية » كالنساء ؛ والمساواة بينهما فى الميراث مع تغيير القانون الذى يقف دون ذلك أيا كان مصدره(٤) .

انحـــــراف واضــــعى البرنامـــج :

ولاريب أن ما انحرف إليه واضعو البرنامج يناقض تماماً ما يفرضه الإسلام ويحرص عليه : من جعل الأسرة هى مصدر السكينة والمودة والرحمة ، وإعدادها لتكون موئلا حصيناً وخصباً لتنشئة الأجيال على الإيمان بالله والثقة فى حكمة وحكمته ، فى ظل رعاية والدين تحكمهما قواعد حاسمة ، تهذب ما طبعت عليه النفس البشرية من غرائز ، وترعى ما جبلت عليه ميول غير مصطنعة ، أو وليدة ظروف طارئة ، مع الحرص على أن تتبوأ المرأة مكانها المرموق ، ويتحمل الرجل عبء القوامة بحكم مسؤليته عن الأسرة وأفرادها ومتطلباتها(٥) .

مشكلة المرأة إفراز حضارة غربية وليست من الإسلام :

إن الإسلام لا يعرف ما يسمى بمشكلة المرأة ، فهى من إفراز حضارة غربية عنه ، تقوم على

(٢) أنظر ما يشير إليه البند ٢٦٧ والبنود من ٩١ إلى ١٠٠ والبند ١٠٧ والبند ٢٨١ وانظر كذلك ما كانت تحمله المادة السابعة من مشروع برنامج عمل مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية وعلى الأخص الفقرات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٤٣ ، ٤٥ والمادة الثامنة فقرة ٢٠ .

(٣) أنظر بند ٨٥ أ ، ب ، ١٠٧ (ر.ط.ل.م) ١٨١ ج ، ١٨٢ ب .

(٤) أنظر البنود ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٨ .

(٥) أنظر الآيات الكريمة رقم (١) من سورة النساء ، رقم (٢١) من سورة الروم ، رقم (٤٥) من سورة النجم .

الاستغلال والتفرقة ، ولا تتوافق مع ما يعلنه من خَلْق الرجل والمرأة من نفس واحدة مع المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات .

أما فى مجال العلاقات الجنسية .

فإن واضعى البرنامج لم يقنعوا بإطلاق الحرية الجنسية بين المراهقين ، ذكوراً وإناثاً ، ولكن نادوا فى ابتذال ممجوج بما مقتضاه أن يكون من حق المرأة المراهقة أن تحدد الدور الذى تريد أن تتعامل على أساسه : ذكراً أو أنثى أو دون ذلك ، وأن تمارس علاقتها الجنسية مع من تريد ، رجلاً كان أو امرأة ، وأن على الدول والمؤسسات الحكومية أن تسمح بذلك ؛ فالدعارة ليست خطأ إلا فى حالة فرضها على المرأة(٦) .

تناقض واضعى البرنامج مع الشرائع السماوية

وبذلك يكشف واضعوا البرنامج عن تناقضهم الفاضح مع ما جاءت به الأديان السماوية كلها بما فى ذلك الإسلام الذى لا يقر أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى بين رجل وامرأة ؛ فهو يحرم الزنى واللواط والسحاق وما يفضى إليها من اختلاط فاجر ، ويساوى بين الذكر والأنثى دون خلط بينهما ، أو افتئات على طبيعة كل منهما .

البرنامج يغتال حق الشعوب بوصياته المنبوذة على الدول :

على أن المتأمل فى البرنامج يدرك فيه اغتيالاً أبشع لحقوق الشعوب ، ووصاية منبوذة على الدول ، وذلك يتمثل بشكل أوضح فيما يراه واضعوه من الحد من اعتبار الدين عائقاً فى سبيل المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، أو عقبة فى طريق تنفيذ أى شق فى برنامجهم المقيت ، وفيما يلزمون به الدول من تنظيم برامج لحث الشباب على تحمل المسئولية الجنسية وفقاً لمفهومهم ـ هم ـ ، وفيما يفرضونه من تخفيض النفقات العسكرية ، وتحويل المبالغ التى تنفق على شراء السلاح إلى تنفيذ برنامجهم ، وفيما يكفلون به الدول من تقديم تقارير إلزامية دورية عن الأسلحة التى يحوزونها سواء كانت ذرية أو كيماوية أو ميكروبية ، مع التهديد بقطع المعونات التى تقدمها الدول الغنية وتوجيهها إلى تنفيذ هذا البرنامج ، وحث صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ، والعديد من المؤسسات المالية الأخرى على القيام بدور فعال فى هذا الشأن ، ومنح المنظمات غير الحكومية بما فى ذلك المنظمات النسائية وذات الميول الشاذة والمنظمات الدولية سلطات خطيرة فى الرقابة ، وفى مراجعة ما قد تبديه الدول من تحفظات على البرنامج تمهيداً لإلغائها أيا كان مصدرها(٧) .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أداءاً لواجبه قبل المسلمين فى مصر وفى العالم الإسلامى ليعلن (تمسكه بما فصله فى بيانه الذى أصدره بمناسبة مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية) ،

(٦) أنظر البنود ٢٧ ، ٤٨ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٩٤هـ ، ٢٣٢ أ .

(٧) أنظر البنود ١٨ ، ٣١ ، ٤٨ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٢ .

و (يتحفظ) ، ويطالب الدول والشعوب بإعلان التحفظ ، على ما ورد فى برنامج بكين مما يخالف الشريعة الإسلامية وسائر الأديان السماوية ، أو يتناقض مع القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة ، لاسيما ما يتعلق بشكل ونظام الأسرة فى هذه الأديان ، وإطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به ، أو إباحة الإجهاض إلا فى حالة الحفاظ على حياة الأم .

إن مجمع البحوث الإسلامية لينبه من جديد إلى خطورة الدعوى التى ينطوى عليها برنامج عمل بكين ، ومناقضته للإسلام ولسائر الأديان السماوية ، وإلى استهدافه تحطيم القيم الدينية والاجتماعية والخلقية التى عصمت البلاد والعباد من أن تتردى فى حضيض الرذيلة ، أو تتلوث بالأمراض الجنسية الخطيرة التى برزت فى هذا العصر ، ويدعو المجتمع إلى الحفاظ على مقتضى خَلْق الله للإنسان ذكراً أو أنثى ، وإلى الإيمان بأن تحدى الأحكام التى أنزلها الله لتحكم العلاقات الإنسانية بالتحريض على هدم القيم يورث الفساد ، وإن إشاعة الفاحشة لا يرجى من ورائها تنمية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو صحية أو غيرها ، وإنما توقيع المجتمع الإنسانى عامة والإسلامى خاصة فى المحظورات التى حرمها الله فى القرآن الكريم ، وفيما جاء فى سنة رسول الله ﷺ .

ما يجب على الدول الإسلامية

إن مجمع البحوث الإسلامية ليطالب الدول الإسلامية والشعوب التى تبتغى الحياة النقية ، كما تبتغى الفضل والفضيلة ، أن تستمر على الاحتفاظ بنقائها فى السلوك والأخلاق ، مع الحرص على كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة ، حفاظاً على المجتمع الإنسانى من السقوط فى الهاوية التى تفضى إليها تلك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقف بالمرصاد ضد دعاوى التخريب والهدم الذى يسعى إليه واضعو برنامج بكين ، وأن يحولوا بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبل .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة فى بكين إلى ما سبق أن دعا إليه دول مؤتمر القاهرة من تعديل صياغة مشروع البرنامج المعروض فى المؤتمر العالمى الرابع المعنىّ بالمرأة والمنتظر عقده فى بكين خلال شهر ربيع الثانى ١٤١٦ هـ / سبتمبر ١٩٩٥ م وضبط عباراته حتى لا تمتد ـ ولو فى مغزاها ـ إلى ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية الأخرى ، وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ، ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تلزم الأمة الإسلامية بشىء منه .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية
« جاد الحق على جاد الحق »

بيان

اللجنة الفرعية لمجلس مجمع البحوث الإسلامية

عن بعض الأوراق المعدة لمؤتمر بكين للمرأة

عقدت اللجنة المشكلة لدراسة الأوراق الخاصة بمشروع برنامج عمل المؤتمر الرابع للمرأة المنتظر عقده فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥ ، اجتماعات متوالية وعرض عليها جزء من الأوراق المعدة لتقديمها فى مؤتمر بكين ، وكان من بين هذه الأوراق ما يأتى :

أولا : تقرير مصر :

استعرضت اللجنة التقرير المقدم بعنوان (المرأة فى مصر والمدون به أنه) :

« تقرير مصر مقدم للمؤتمر العالمى الرابع للمرأة » وقد انتهت اللجنة من قراءة هذا التقرير إلى ما يأتى * :

١ ـ أن مقدمة التقرير مؤرخة فى مارس ١٩٩٤ وهو تاريخ سابق على (مؤتمر بكين) بأكثر من سنة .

وقد اشتملت المقدمة على معلومات مفيدة ولم تحو ما يعد خروجا على الخط الإسلامى أو التقاليد المصرية ، بل على العكس أوضح التقرير تمسك مصر بالشريعة الإسلامية وبالدستور المصرى ، وأعلن أنه ليس للمرأة معركة تخوضها فى مصر عن تقرير حقوق دستورية أو قانونية غير مقررة لها .

٢ ـ أن التقرير فى جملته عبارة عن إحصاءات مردودة إلى مصادرها .

٣ ـ يعيب التقرير أنه يندد بنظم الجوازات فى مصر التى تتطلب موافقة الزوج على سفر زوجته ، وهو أمر لا يحق التنديد به لاتفاقه فى الجملة مع أحكام الشريعة وأدلتها ، ومنها ما رواه الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنه ، مرفوعاً ، بما يفيد حظر سفر المرأة بغير إذن زوجها (نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢٩٢/٤ طبعة دار التراث) .

كما يندد التقرير بسيادة القيم التقليدية فى الريف المصرى بزعم أنها هى أهم التحديات التى أبطأت بمسيرة المرأة نحو الاندماج فى مسار التنمية ، وفى ذلك إشارة إلى انتقاد القيم المصرية ، بغير حق ، لصالح (برنامج السكان) ومشروع (برنامج بكين) .

كما أشار التقرير إلى تدعيم (التنوير) دون إيضاح لمدلول هذا التعبير مع أن له مردودات غريبة لا تتفق والقيم الدينية ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن تبنى التقرير لاصطلاح الأسر التى ترأسها المرأة ، والإيهام بأنها تعنى الأسر التى تقوم على رابطة الزوجية ، وغاب ـ أو انفصل ـ عنها الزوج لأى سبب كان ، مع أن المعنى المراد فى برنامج مؤتمر السكان والتنمية ومشروع برنامج بكين له مدلول آخر .

وكذلك الأمر بالنسبة لذكر التقرير لمشروع الوالدية دون إيضاح أن برنامج مؤتمر السكان ومشروع برنامج بكين يوهمان فى استعمال ذلك المصطلح معنى آخر يتعلق بمفهوم وقضية النوع .

ثانيا : الورقة المقدمة من أ.د سامية الجندى :

وهى أستاذ بجامعة الأزهر ، والورقة عبارة عن بحثين : أحدهما : بعنوان (المرأة المصرية والعملية التعليمية) والآخر بعنوان : (دور المرأة فى الوعى البيئى وترشيد استهلاك الموارد البيئية) ويغلب على الجزء الخاص بالتعليم السرد التاريخى والإحصائى الذى **لا علاقة له بما يرمى إليه مشروع برنامج بكين من استخدام التعليم وسيلة لتحديد النسل .**

أما الجزء الخاص بالبيئة فقد تعرض لما رآه أهم المشكلات البيئية فى مصر وأثرها على الأسرة والمرأة والطفل ، وانتهى إلى توصيات بعضها عام والآخر قال : إنه يهدف إلى تعزيز دور المرأة فى الوعى البيئى ، وترشيد استهلاك الموارد البيئية ، ودور الطلاب والطالبات ، وكذلك الإعلام فى حماية البيئة والوعى البيئى ، ويلاحظ على البحث أنه يستخدم نفس عبارات ومفاهيم برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية ، ومشروع برنامج بكين مما أوقعه فى حومة تبنى نظرتها فى التشخيص والعلاج ، وباعد بينها وبين وجهة النظر الإسلامية ، وما تأمر به التقاليد التليدة ، ودفعه إلى تجاهل ما يتصل بالواقع المصرى الحقيقى لبعض المشكلات كمشكلة توزيع السكان فى مصر وعلى الأخص فى الوادى الجديد وسيناء .

ثالثاً : الورقة المقدمة من أ.د.تيسير محمد مندور :

الأستاذ بكلية الطب بنات جامعة الأزهر ، وهى بعنوان (الطريق إلى بكين .. فى إطار الشريعة الإسلامية رؤية دينية لتعزيز مكانة المرأة ومفهوم النوع) .

وقد اشتمل البحث على أربع نقاط أعطيت لها العناوين التالية :

١ ـ لماذا قضايا المرأة بالذات ؟

٢ ـ لماذا ربط قضايا المرأة بالتنمية المستديمة ؟

٣ ــ لماذا قضايا المرأة فى إطار الشريعة الإسلامية ؟

٤ ــ لماذا المساواة والإنصاف مع التنشئة بين الصبيان والبنات ؟

وقد اتجه البحث كما هو مشار إليه فى عنوانه إلى تبنى نفس الأفكار التى رددها مشروع برنامج مؤتمر بكين خاصة مع ما ينطوى عليه من مجافاة لمبادىء التشريع الإسلامى ، وسائر التشريعات السماوية ، وأكد المعنى الذى يراد فهمه من كلمة (نوع) (صفحات ٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣) مرتكزا على ذات الأفكار التى يشيعها المشروع عن الأسرة ، ومن الاستدلال على ما يدعم هذا المشروع بأحاديث ضعيفة لا تؤدى إلى ما سيقت له ، وهو فضلا عن الأخطاء فى الآيات القرآنية ، فإنه نسب أثراً إلى الرسول ﷺ (ص ٤) فى ذات الوقت الذى نسبه نفسه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه (ص ١٣) .

رابعـــاً :

الورقة المقدمة من الأستاذة منى ذو الفقار المحامية ، ورئيس اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية . وقد اشتملت الورقة على أربعة أجزاء .

أحدها : (عن الطريق من القاهرة إلى بكين) تتحدث فيها عن تجربة مؤتمر السكان والتنمية الذى انعقد فى القاهرة عام ٩٤ ، وعن كيفية الإعداد له ، وإسناد المسئولية الإدارية لإحدى الشركات الخاصة ، ثم علاقة المنظمات غير الحكومية بالحكومة ، ونبذة تاريخية عن هذه المنظمات ، وعن دورها فى متابعة تنفيذ برنامج العمل الصادر عن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية .

ثانيها : عن متابعة تنفيذ برنامج العمل الصادر عن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية فى سبتمبر ٩٤ ، وعن العلاقة التبادلية بين السكان والنمو الاقتصادى والتنمية المتواصلة ، ثم العدالة والمساواة وتعزيز مكانة المرأة فى المجتمع كهدف وشرط أساسى للتنمية المتواصلة ، ثم حقوق ودور الأسرة : تكوينها وتنظيمها لنمو التركيب السكانى ، الحقوق والصحة الإنجابية ، والتنمية ، ثم خطة العمل القومية والتعاون الدولى .

ثالثها : عن المرأة وصنع القرار ، المرأة وقضايا التنمية البنيان القانونى والتشريعات ، برنامج التدريب للمرأة المرشحة ، ثم دور المرأة فى الجمعيات الأهلية بمصر ، ونبذة تاريخية عنها .

رابعها : يتناول صورة المرأة فى الإعلام ، والنماذج النمطية للمرأة ، المرأة والسينما ، التنميط ، التقويض الأخلاقى ، التواطؤ ، الإبقاء على وضع المرأة كتابع للرجل ، ثم صورة المرأة فى التليفزيون . وينتهى البحث باستطلاع رأى المشاهدين ، ثم عرض لوثيقة الزواج الجديدة ، **والبحث يتناول فى كل هذه الموضوعات تبنى عبارات ومفاهيم وثيقتى مؤتمر السكان والتنمية ، ومؤتمر المرأة دون أية مراعاة للجانب الدينى أو لتعاليم الإسلام خاصة فى مطالبتها بتعميم مفاهيم الصحة الجنسية والتعليم**

الجنسى ، والمساواة فى الميراث (الجزء الثانى ص ٣) وإجازة الإجهاض مادام آمنا (الجزء الثانى ص ٤) .

خامساً : ورد للجنة اليوم عدة أوراق بيانها كالآتى :ـ

١ ـ (الفقر والنساء المعيلات لأسر ، الإبعاد وسبل المواجهة) إعداد : الأستاذة الدكتورة نادية حليم سليمان .

٢ ـ صحة المرأة المصرية من نيروبى إلى بكين ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥م .
للدكتورة سلمى جلال .

٣ ـ (عدالة تعليم الفتيات . قضاء على الفقر ومكافحة الأمية ، وكذلك (التعليم الأساسى للفتيات ومحو أمية المرأة فى مصر ، تصور أولى) كلاهما للدكتورة / ناهد رمزى .

٤ ـ (مجموعة عمل المنظمات غير الحكومية إعداد الأستاذة نازلى الشربينى) .

٥ ـ (ورقة عمل حول تعزيز المشاركة السياسية للمرأة) للدكتورة سلوى شعراوى جمعة .

٦ ـ (صورة المرأة فى وسائل الإعلام) للأستاذة هدى الصده .

٧ ـ (ورقة عمل لمناقشة إطار فكرى لقضايا المرأة) للدكتورة / هدى بدران .

٨ ـ (بعض آثار الإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى على المرأة فى مصر) للدكتور / أحمد حسن إبراهيم .

ومجمل هذه الأوراق يسير فى اتجاه وثيقة مؤتمر المرأة فى بكين وتغفل ما ورد بالوثيقة من جوانب النقص الخطيرة مثل الجانب الأخلاق ، وجانب التدخل فى شئون الدول ، وإهمال الجانب الدينى ؛ بل تنظر إلى الدين على أنه عائق ضد تحقيق ما ترمى إليه تلك الأوراق .

وتدعو بعض تلك الأوراق إلى تبنى فكرة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، والمطالبة بعمل المرأة بالجيش والشرطة فى إطار تلك المساواة التامة التى ينادى بها مما يجدر معه التنبيه إلى ضرورة مراعاة مبادىء الشريعة الإسلامية ، والتحفظ على جميع ما يخالفها فى نصه أو مفهومه ، باعتبارها المعيار الذى نقيس به الأمور ، ونقوم به الأفكار ، وهو الأساس الرئيسى فى مقومات المجتمع المصرى وسائر المجتمعات الإسلامية .

وقد خلصت اللجنة إلى أن الأوراق المقدمة ـ باستثناء تقرير مصر ـ لا تعبر عن روح مصر الإسلامية ، ولا عن تقاليدها الراسخة وهى بعيدة عن الدين .

تحريرا فى ١٤١٦/٣/٢٢هـ ـ ١٩٩٥/٨/١٩م .

عتاب ونداء من الأزهر الشريف

أين حقوق الإنسان يا بني الإنسان؟

توالت الأنباء بسقوط جيب (سيرينستا) ومنطقة « جيبا » فى البوسنة والذى كان فى حماية الأمم المتحدة ، وأن القوات الصربية تقوم بأكبر عملية تطهير عرق شملت نحو أربعمائة ألف إنسان مسلم ، فتدفع بالأطفال والنساء والعجائز إلى خط النار وتجبرهم على السير على الأقدام لمسافات طويلة تزيد على عشرة كيلو مترات باتجاه المناطق التى تسيطر عليها القوات المسلمة .

وأضافت الأنباء أن منظمات الإغاثة الدولية شهدت الصرب وهم يحتجزون الرجال والنساء المسلمين ، وعلى نحو ما أذيع ونشر فى الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز من سوء التعامل .

ولقد سارعت مصر إلى الدعوة إلى تدخل دولى لوقف التطهير العرقى الذى يجريه الصرب ، وإنه لمن المؤسف حقاً هذا السلوك الذى تلوذ به بعض الدول ، الأمر الذى أسقط كل هيبة لها لدى تلك العصابات الصربية ، وهذا واقع فطالما تحدثت تلك الدول ، كل عن نفسه ، كما تحدث اتحادها وبرلمانها عن التدخل ولم تقدم عليه ، بل لاذت بالصمت ، وكأن هذا الإهدار لكل مقومات دولة عضو فى الأمم المتحدة ، وشعبها والاستهانة بالمقومات الإنسانية وحقوق الإنسان ، كأنَّ هذا لا يعنى تلك الدول العظمى ذات الحول والطول ، فقد صمت آذانها عن أن تسمع دوى المدافع بجوارها وصراخ النساء والأطفال لتلهى بها أولئك الذين صدَّقوا أن هذا العالم اليوم إنسانى يسعى للسلم والسلام واحترام حقوق الإنسان ، وغفل هؤلاء عن تلك المؤسسات المعاصرة التى قامت ليفرض الكبار سلطانهم على الضعفاء من الشعوب الإنسانية ، مع الإصرار على الإعلان الدائم على أن حقوق الإنسان مرعية فيما يتعلق ببعض الشعوب ومحرمة على غيرها .

لقد صدق (وقليلاً ما يصدق ويقول الحق أحد الأقوياء) ذلك المقال الخطير الذى نشره عالم الاجتماع الفرنسى « جان بودريار » فى جريدة ليبراسيون الفرنسية فى ١٩٩٥/٧/٣م ونوهت عنه الأهرام المصرية فى عددها الصادر فى ١٩٩٥/٧/١١م ، حيث قال هذا الكاتب الفرنسى : عارضاً ومقرراً وجهة نظر تختلف كثيراً مع كل ما يكتب فى الغرب عن العلاقة مع الإسلام ، إذ قال : « إن المثقفين فى فرنسا وأوروبا يعترفون بأن الصرب هم الجانب المعتدى وأنه ما زال فى الغرب من يملك

شجاعة الإفصاح بكلمة منمقة تُخفى حقيقة لا جدال فيها وهى العداء للإسلام فى أوروبا ورفضهم إياه ، اتباعاً لتيارات تاريخية وثقافية ودينية ، وإن التيارات الغالبة فى أوروبا الآن ؛ هى بسط تجربة الغرب الحضارية وإلزام كافة الشعوب بها ، وفى كافة مناطق العالم ، وإن هذا الهدف قد أصبح مسيطراً على عقول كبار ساسة الغرب » .

فهل استمع الغربيون لهذا الكاتب وأنصفوا حقوق الإنسان المسلم من أنفسهم ؟

أو إنهم لم يصدقوا ، بل لم يعدلوا ، فقد أمدوا الصرب بالأسلحة الثقيلة القاتلة والمخربة وحرموا البوسنيين من إمدادات الأسلحة ليدافعوا بها عن أنفسهم ، فهل مع هذا يرجى من هؤلاء أنصاف ؟

أرأيتهم أيها الناس فى كل مكان ، كيف شهد من أهل الغرب ـ شاهد من أهلها ـ وأفصح عن تلك النوايا ، لقد جاء فى مقاله : « أن الغرب يلقى على الصرب بعض قنابل الدخان ولكنه لم يتدخل بصورة حاسمة ضدهم نظراً لأنهم يقومون بالعمل الذى يقوم به الغرب ، وأضاف أنه لو حصل تدخل فسيكون ضد المسلمين ، وأن فكرة التدخل السريع لو أنشئت فستكون فى غاية الفعالية لمواجهة أى تحرك من جانب مسلمى البوسنة . وأضاف أنه لولا هذا التحالف بين الغرب والجانب الصربى لانتهت الحرب فى يوغوسلافيا السابقة منذ زمن طويل . وأضاف أن الغرب يواجه الصرب بليونة لم يفعلها مع صدام حسين خلال حرب الخليج ، أو الحرب الإيرانية العراقية ، لأن واقع الأمر أن الغرب يناهض أى ثقافة تتعارض مع نظام دولى يريدون فرضه على الجميع .

أرأيتم أيها المستضعفون فى الأرض ، أيتها الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتى لم يسبق لها أن فرطت فى أرضها وعرضها وكرامتها .

أرأيتم أنهم باعوا لكم السلاح لتتقاتلوا وتنشغلوا بالانفجارات الداخلية فيما بينكم ، وبتأليب الفئات التى لا تعرف قيمة الوطن على شعوبها وحكوماتها ، بدلاً من السعى إلى الإعمار والإنتاج واستثمار موارد أوطانكم لصالح شعوبكم .

أرأيتم أن العالم المتحضر لا يرى الإنسانية إلا فى شعوبه وعلى أرضه وأن ممثلى شعوب العالم الثالث ليسوا إلا تكثيراً للعدد فى الأمم المتحدة ، وليلتزموا بقرارات الكبار المسيطرين التى تصدر فى مواجهة المستضعفين المساكين .

أين المؤسسات الدولية لهذا العالم الثالث ؟ وأين أولئك الذين لهم فى سياسات العالم شأن وكيان ، أين الصين الصديقة ؟ وأين اليابان ؟ وأين كل النمور فى الشرق ؟ أين هؤلاء ليقيموا موازين العدل حتى تستقيم ؟

إن الأزهر الشريف ليأسف ويأسى أشد الأسى لما حدث ويحدث فى البوسنة من الصرب ، ويأسف لما يحدث فى بلاد الشرق ، وفى البلاد الإسلامية من انفجارات داخلية ، ومن سعى بعض الحكومات لشغل جيرانها بقضايا خاسرة لا تفيدها ، بل تؤول عليها بالخسران .

ويدعو الأزهر الشريف تلك المؤسسات الدولية أن تتخذ الإجراءات الفورية لوقف هذا العدوان على البوسنة ، وخروج القوات المعتدية من الأراضى التى احتلتها ، وعودة المطرودين إلى ديارهم ، ودعم المغلوبين على أمرهم والمجاهدين للحفاظ على أرضهم (شعب البوسنة) وضرورة رفع حظر وصول السلاح إليهم ، وإتاحة هذا لهم لممارسة حقهم المشروع فى الدفاع عن أنفسهم .

ويقترح دعوة الجمعية العمومية للأمم المتحدة لدورة خاصة لهذا الأمر .

ويتلوا الأزهر الشريف قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَان

وبهذا الأمر يكون عليهم أن يثبتوا على أرضهم مهما كانت الصعاب والخسائر ، فخير للمجاهدين الموت على أرضهم من أن يصيروا بلا وطن ، ولا أرض ، ولا عرض ، والإسلام حرم الفرار من الميدان على المقاتلين المسلمين إلا للتحيز إلى فئة مؤمنة مجاهدة .

مرة أخرى يوجه الأزهر نداءه إلى المؤسسات الدولية التى تعلن أنها تلتزم بفرض السلم والسلام فى العالم ، ويقول لهذه المؤسسات ، انقضوا على هذه العصابات الصربية أو انفضوا ، ليعلم المستضعفين فى الأرض أنهم فى العراء لا حماية لهم إلا أنفسهم ، مرة أخرى انقضوا على الظالم فإن بالإسلام قولاً حكيماً يقول : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ، قال : تمنعه عن الظلم** » ، أما هذا الموقف المتخاذل من تلك المؤسسات والدول ذات القدرات فإنه ناطق بتأييد تلك العصابات وإتاحة المجال أمامها للقضاء على أهل البوسنة لا لأمر سوى أنهم مسلمون ، كما أشار الكاتب الغربى فى المقال المشار إليه .

فهل لمجلس الأمن أن يدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ موقف دولى ناجز لوقف هذه المذابح وحتى لا يسجل التاريخ صليبية أخرى فى عصر التنادى بحقوق الإنسان .

هذا ما ينادى به الأزهر أصحاب الاختصاص فى هذا .

ثم نداء إلى الأمة الإسلامية فى كافة مواقعها ورجاء ، أن يقيموا صلاة الغائب فى المساجد عقب صلاة الجمعة القادمة ، عسى الله أن يرحم الشهداء ، ويؤيد المجاهدين ، ويمدهم بالعزم والحزم والقوة ، ويرد كيد هذه العصابات بمدده وحوله وقوته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف الآية ٢١

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

قواعد السلوك الاجتماعي في سورة الحجرات

بقلم الفريق/ يحيى عبد الله المعلمي *

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾

يؤكد القرآن الكريم أخوة المؤمنين ووجوب التعاون بينهم على البر والتقوى ، ويدعو إلى المبادرة إلى الإصلاح بين الاخوة فيما قد يقع بينهم من خلاف قبل أن يستفحل ويتحول إلى نزاع وقتال ، ويجعل الإصلاح بين الناس من مظاهر التقوى ، ومن أسباب توقع رحمة الله ـ سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾

يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين ـ نساء ورجالا ـ إلى أن لايسخر بعضهم من بعض فقد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر لشدة تقوى المسخور وأدبه وفضله وحسن خلقه .

ونهى القرآن الكريم المؤمنين عن أن يلمزوا أنفسهم أو يعيبوها وقد يتساءل أحد : كيف يلمز الإنسان نفسه أو يعيبها أو يطلق على نفسه اسما سيئا ، ولكن من يلمز غيره أو يعيبه أو يدعوه باسم سيء ؛ ينبغي أن يتوقع أن يلمزه غيره فيكون قد سعى إلى لمز نفسه لأنه تسبب فى أن يلمزه غيره .

ونهى القرآن الكريم المسلمين عن التنابز بالألقاب ، وأن يدعو المؤمن أخاه المؤمن باسم لايرضاه لنفسه حتى ولو كان دالا على صفة أو عاهة فيه ، فلا يقال لذى العين الواحدة : يا أعور ، أو يوصف بأنه أعور مع أنه فى الحقيقة كذلك ، ولكن وصفه بذلك قد يسوؤه فمن الخير أن لايدعى بها ؛ بل يحسن أن يدعى الإنسان بأحب الأسماء إليه أو بكنيته أو لقبه مالم يكن فيه ما يشينه .

وشرح مايوصف به الإنسان أن يُلمز بعيب فى دينه أو خلقه أو خَلْقة ، وأشده وصف المؤمن بالفسوق والفجور أو الكفر والإلحاد أو ماشاكل

* عضو مجمع اللغة العربية

ذلك مما يسوؤه ، فمن فعل شيئا من ذلك فعليه أن يتوب إلى الله وأن يعتذر إلى من لمزه أو دعاه باسم يكرهه ، فإن لم يتمكن من الاعتذار إليه مواجهة فليعتذر إلى الله من فعله : أما الإصرار على الذنب فهو ظلم للنفس وتعرض لغضب الله وعذابه .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾

ونهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن التجسس على الناس وتتبع عوراتهم . كذلك نهى ـ سبحانه ـ عن الغيبة ، وهى ذكر الإنسان بما يكره ، أو عيبه ، أو وصفه بالسيىء من الأوصاف ، وقد يقال : إنه إذا كان الإنسان متصفا بسوء فعلا ؛ فذكر سيئاته ليس غيبة له ، ولكن النبى ﷺ بين أن ذكر مساوىء الإنسان يعد غيبة ولو كان متصفاً بها فعلا ، أما إذا لم يكن متصفا بها فالذنب أكبر لأنه يكون بهتانا وظلما .

أخرج ابو داود عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قيل : يارسول الله ما الغيبة ؟ فقال ﷺ : « ذكرك أخاك بمايكره » قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ فقال ـ ﷺ ـ : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهتّه .

وقد شبه القرآن الغيبة بأكل لحم الميتة ، وبالغ القرآن فى التنفير منها فقال : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ؟

فالإنسان يتقزز من لحم الميتة من الحيوان فكيف بأكل جسد إنسان ميت ! وكيف يكون الأمر إذا كان هذا الميت أخاه ؟ لا شك أنها صورة مقززة تنفر منها النفوس وتأباها الطباع .

ويحث القرآن الكريم المؤمنين على التوبة ويطمعهم فى قبول المولى ـ عز وجل ـ لها وشموله التائب برحمته ، ولذلك فعلى من ارتكب الغيبة أن يتوب إلى الله ويعقد العزم على أن لايعود إلى ذلك ، ويمكن أن يعوض عن غيبته بأن يذكر محاسن من سبق له اغتيابه فى المجالس التى اغتابه فيها وذكر فيها مساوئه .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ .

فى هذه الآية الكريمة يوجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخطاب إلى الناس كافة لايخص المؤمنين أو المسلمين أو العرب بها ، وإنما يوجهه إلى الناس جميعا على اختلاف أديانهم ومللهم وجنسياتهم وشعوبهم وأحجامهم .

ويذكر الله الناس بأنه خلقهم من ذكر واحد وهو آدم ـ عليه السلام ـ أبو البشر جميعا ، ومن أنثى واحدة هى : حواء أم البشر ، فهم بذلك ينتمون إلى أصل واحد ، ثم يذكر أنه قد قسمهم إلى شعوب وقبائل لا ليفخر بعضهم على بعض فليس لأحد فضل فى اختيار نسبه ، وإنما جعل الله الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، أما التفاضل بينهم فله مقياس آخر ليس هو الأصل والنسب ؛ وإنما هو تقوى الله والالتزام بالفضائل واتقاء المساوى :

ويؤكد المولى ـ عز وجل ـ علمه بالناس وأحولهم وأنسابهم وأنه خبير بأعمالهم وسرهم وعلانيتهم .

قال تعالى :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الحجرات / ١٤

يتحدث القرآن الكريم عن قوم من الأعراب أعلنوا الإسلام وظنوا أنهم بمجرد إعلانهم الإسلام قد أصبحوا فى منزلة من سبقوهم إلى الإسلام وصاروا مؤمنين وجاهدوا فى الله بأرواحهم وأموالهم . وهاجروا إلى الله فأثبتوا بذلك تغلغل الإيمان فى قلوبهم والاتصاف بأنهم مؤمنون حقا .

يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهؤلاء الأعراب إنهم مسلمون تشملهم : أخوة الإسلام ، ولكن للإيمان أركانا وقواعد لم تكتمل لديهم ولم تتمكن من قلوبهم ، فالإيمان ليس مجرد كلمة تقال أو دعوى تعلن وإنما هو ـ كما قال العلماء ـ إقرار باللسان وتصديق بالجنان (أى القلب) وعمل بالجوارح (أى اعضاء الجسم) ، وللإيمان ستة أركان هى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله ، وهذه الأركان والقواعد تحتاج إلى شىء من الوقت ليستشعرها الإنسان فى قلبه ويصرح بها بلسانه ويعمل بها بجوارحه ، ولكن الله مع ذلك لايظلم من دخل فى الإسلام وأقبل على الإيمان ولا ينقصه من أجره شيئا .

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾

الحجرات / ١٥

يبين الله حقيقة المؤمنين وهم الذين آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان وجاهدوا فى سبيل الله وبذلوا أموالهم وأرواحهم بصدق وإيمان .

قال تعالى :

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الحجرات / ١٦

وقد يكون بدا من الأعراب الذين استمعوا إلى الآية السابقة شىء من الاستغراب لوصفهم بأنهم لم يصبحوا بعد مؤمنين ، وهم ليسوا منافقين ، وإنما هم مسلمون مخلصون ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم أحوالهم ويعلم حسن إسلامهم وصدق توجههم ، فهو العليم بما فى السماوات والأرض بل هو العليم بكل شىء فهو يعرف حالهم وسيشملهم برحمته ويدخلهم فى زمرة عباده المؤمنين بفضله ورحمته .

قال تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾

الحجرات / ١٧

روى الحافظ البزار عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن قوماً من الأعراب من بنى أسد جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا : يارسول الله أسلمنا وقاتلك

الناس ولم نقاتلك ، فقال عنهم ـ عليه الصلاة والسلام : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق بألسنتهم . فنزلت هذه الآية فيهم .

وقد أساء هؤلاء الأعراب فى خطابهم للنبى ﷺ بعدم مراعاتهم لقواعد الحديث معه ﷺ فمنوا عليه بإسلامهم وعدم قتالهم ؛ فأوضح الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المنة ـ عليهم ـ لله ؛ لأنه هداهم إلى الإسلام ووجههم إلى الإيمان إن صدقوا فى توجههم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾

الحجرات / ١٨

وفى ختام هذه السورة المباركة يؤكد ـ سبحانه وتعالى ـ علمه بكل شىء فى السماء والأرض وعلمه بكل مايفعله الإنسان أو يضمره فى نفسه فهو ـ سبحانه ـ العليم البصير .

الخلاصة

فيما عرضناه من شرح هذه الآيات الكريمة من سورة الحجرات نستطيع أن نلخص ما استفدناه من قواعد السلوك الاجتماعى فى النقاط التالية :

١ ـ وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ بعدم رفع الصوت حول قبره الشريف احتراما له حيا وفى قبره .

٢ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم بدئهم بحديث إلا إذا بدأوا فيه أو الاستفسار عن شىء منه .

٣ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم التصدى بحضورهم للفتوى فى أمور الدين ، أو إبداء الرأى فى أمر من الأمور دون أن يطلب منهم إبداء الرأى ودون أن يكون لهم علم بما يتحدثون فيه .

٤ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم رفع الصوت فى حضورهم أو التحدث معهم جهرا فيما يهمسون به من حديث لأن ذلك دليل الطيش والحماقة .

٥ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم مناداتهم بأسمائهم المجردة دون اقتران بمايدل على الاحترام من لقب أو كنية أو صفة ، بل ينبغى أن ينادى الابن أباه بقوله (ياأبت) مثلا ، وأخاه بقوله : ياأخى ، وغير ذلك من ألفاظ التودد والتحبب .

٦ ـ وجوب التثبت من الأخبار ، وعدم تصديق الإشاعات دون التأكد من حقيقتها ، ووجوب عدم التصرف بناءً على الإشاعة أو الخبر الكاذب فقد يؤدى ذلك إلى الخطأ ثم الندم .

٧ ـ وجوب المبادرة إلى الوساطة بين الأخوة المتنازعين ، وحل مايبدو بينهم من خلاف وحل المشكلات بالعدل وتصفية النفوس بإحقاق الحق .

٨ ـ وجوب السعى فى الصلح بين الأخوة المتنازعين وإزالة إسباب الخلاف حتى لايتحول إلى نزاع وقتال

٩ ـ وجوب الأخذ على يد الباغى والمعتدى والظالم ، أو الذى لايقبل الصلح أو ينقضه بعد قبوله ، ولو أدى ذلك إلى قتاله لإجباره على قبول الصلح .

١٠ ـ النهى عن السخرية والاستهزاء من بعض الناس ببعض رجالًا أو نساء .

١١ ـ النهى عن الهمز والفخر وتبادل السباب والاتهامات بما يخل بالدين أو الشرف والمروءة .

١٢ ـ النهى عن التنابز بالألقاب وتسمية الإنسان باسم لايحبه أو باسم يدل على صفة غير محببة فيه ، أو على عاهة ابتلى بها ، حتى لو كانت الصفة أو العاهة منطبقة عليه .

١٣ ـ النهى عن إساءة الظن واتخاذ ذلك قاعدة مطلقة ، فبعض الظن أثم وبعضه قد يكون ضروريا لاتقاء الشر أو الابتعاد عنه .

١٤ ـ النهى عن الغيبة وذكر الإنسان بما يكره ولو كان ذلك فيه فإن لم يكن فيه ؛ فإن ذكره بما يكره يكون بهتانا وظلما .

١٥ ـ النهى عن التفاخر بالأنساب فليس للإنسان فضل فى نسبه وإنما فضله فى عمله الصالح ، وهذا النهى موجه إلى الناس كافة : المسلم والكافر والعربى والأعجمى .

١٦ ـ وجوب التريث فى إعلان الإنصاف بصفة قبل أن تتحقق شرائطها ومميزاتها فلا يسمى طالب الطب أو الصيدلة (دكتورا) ولا طالب الهندسة (مهندسا) قبل أن يكمل تعليمه وينال الشهادة التى تخوله الإتصاف بهذه الصفة ..

١٧ ـ الإيمان التام بأن الله يعلم كل شيىء من أحوال الناس وأمورهم ماخفى منها ومابطن وأنه العليم بنياتهم وسرائرهم .

وبعد :

فهذه رسالة وجيزة لما ظهر لى من فوائد سلوكية فى سورة الحجرات أقدمها إلى القارىء راجيا أن ينفع الله بها والله الموفق .

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن

بقلم أ.د محمود سالم الخطيب

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال :

قام رسول الله ﷺ بالخَيْفِ من منى فقال :

نضَّر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل ، والنصيحة لولى الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائهم ، ومن كانت الدنيا همه نزع الله الغنى من قلبه ، وجعل فقره بين عينيه ، وشتت الله عليه ضيعته ، ولم يأته من الدنيا ألا ما رزق .

وفى رواية أخرى :

إلا ماكتب له ، ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى فى قلبه ونزع فقره من بين عينيه ، وكف عليه ضيعته ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

معانى المفردات

[نضَّر] قال الخطابى فى (معالم السنين)[1] : يقال بتخفيف الضاد وتثقيلها ، وأجودها التخفيف وكذلك قال بهذا ابن العربى فى شرحه لجامع الترمذى[2] وابن الأثير فى (جامع الأصول)[3] .

فالفعل يأتى مشدداً ومخففاً ، واختلف اللغويون فى أيهما أكثر ، وأما معنى النضرة كما قال فى القاموس[4] : النضرة أى النعمة والعيش والغنى والحسن ، وقال الرامهرمزى فى كتاب (المحدث الفاضل) : يحتمل المعنى وجهين .

أحدهما : يكون فى معنى ألبسه الله النضرة ، وهى الحسن ؛ فيكون معناه جمله الله وزينه .

والثانى : أن يكون بمعنى أوصله الله إلى نضرة الجنة ، وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ـ المطففين ٢٤ ـ وكما قال : ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ

(١) ١٨٧/٤

(٢) ١٢٤/١٠

(٣) ١١٨/٩

(٤) ١٤٣/٢

نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ ـ الإنسان ١١ ، وقال أبو بكر ابن العربى : هذا دعاء من النبى ﷺ لحامل علمه من نيل فضل الله وبركته .

وعلى هذا فيكون أهل الحديث أحسن الناس هيئة فى الدنيا وحالًا فى الآخرة ؛ بسبب إبلاغهم للناس الحديث ، ودعوة النبى ﷺ لهم بالنعمة والنعيم فى الدنيا ورفعة القدر فى الآخرة .

وقوله [امرءًا] المراد بهذا اللفظ الإنسان فيشمل الرجل والمرأة ، فالمرأة داخله فى هذا الفضل إذا بلغت النساء ما تعرفه من حديث رسول الله ﷺ وحسبنا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ والتعبير بالرجال فى بعض المأمورات أو المنهيات جرىٌ على الغالب ؛ فهو ـ أى التعبير ـ شامل للرجال والنساء ولا يخصصن ألا بقرينه وقوله [مقالتى] يشمل سماعها منه ﷺ مباشرة كالذى حصل للصحابة الكرام ـ رضى الله عنهم ـ ويشمل سماعها من غيره كالذى حصل لمن بعدهم ؛ فإن هذه الدعوة النبوية الميمونة تشمل الصنفين معا ، وقد ورد فى بعض الطرق [سمع منى حديثاً] وفى بعضهما [سمع منا حديثا] ، وقد ورد فى بعض الروايات [سمع منا شيئا] وهو شامل لأقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته .

والمعنى : سمع منى أو أصحابى أو ممن جاء بعدهم حديثاً من حديثى .

وقوله [ووعاها] فى القاموس(٥) : وعاه بعيه حفظه وجمعه .

وفى جامع الأصول(٦) وعيت الشيء أعيه : إذا حفظته وفهمته ، وفى النهاية لابن الأثير قوله [رب مبلغ أوعى من سامع] .. قال : و(رب) حرف جر ، أو غير جر ، خلاف بين النحويين كما فى (مغنى اللبيب)(٧) وهل هى للتقليل أو للتكثير ؟ يحتمل الوجهين ؛ فإذا لاحظنا أن عدد الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث من رسول الله ﷺ فهم قلة بالنسبة لباقى المسلمين إلى آخر الزمان ، وإذا لاحظنا دقة الصحابة فى حفظهم الحديث عن رسول الله ﷺ وتبليغهم كما سمعوه من غير نقص ولا زيادة فهى للكثرة ، وهى محتملة للمبلغين كما ذكره الحافظ ابن حجر بتصرف(٨) .

وقوله [مُبَلَّغ] بفتح اللام . اسم مفعول وهو الذى أُدِّىَ إليه ، وأُوصِلَ إليه وقوله [وأوعى له] أى احفظ للحديث وأفهم وأضبط وأتقن له .

وقوله [من سامع] أى ممن سمعه أولا ، ثم أبلغه إلى غيره .

وقوله [« فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه] المراد بحمل الفقه : العلم به .

والمراد بالفقه : فهم الحديث كما فى هذا الحديث .

قال الحافظ بن حجر(٩) : يقال فقه بضم القاف : إذا سار الفقه سجية له ، وبفتح القاف إذا سبق غيره للفهم وفقه بكسر القاف إذا فهم من الفتح ، وقال ابن الأثير فى (جامع الأصول)(١٠) الفقه : العلم والدراية فى الأصل ، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة وخاصة بعلم الفروع ، فإذا قيل : فقيه ، علم أنه العالم بعلوم

(٥) ٤٠٠/٤
(٦) ١١٨/٩
(٧) ١١٨/١
(٨) فتح البارى ٥٧٦/٣
(٩) ١٦٤/١
(١٠) ١١٦/٩

الشرع ، وإن كان كل عالم بعلـــــم فقيها . [بتصرف] .

وقوله : (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم) بكسر الغين وضم الياء وفتحها :

فعلى ضم الياء هو من الإغلال الذى هو من الخيانة .

وعلى فتح الياء هو الحقد .

ومعنى هذه الجملة : (لا يغل) ـ كما قال التوربشتى : لا يخون فى هذه الأشياء الثلاثة ولا يدخله ضِغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك ،

وقال الزمخشرى[11] إن هذه الخلال الثلاثة الآتية يستصلح بها القلوب ؛ فمن تمسك بها طَهُرَ قلبه من الغل والفساد والخيانة والشر .

وقوله : (إخلاص العمل لله) معناه ـ قال صاحب القامـــوس[12] : وأخـــلص لله : ترك الرياء ، وإخلاص العمل لله أن يفعل المسلم العمل خالصا لوجه الله وهو أحد الركنين الذين انبنى عليهما الدين الإسلامى .

والركن الثانى : تجريد المتابعة للرسول ﷺ .

(والنصح لأئمة المسلـــمين) وفى بعض الطرق : (والنصح للمسلمين) وهذا يبين ما يجب على المسلم للمسلمين عامهم وخاصهم وقد جمع ﷺ بينهما فى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى رقية تميم بن أوس الدارى ـ رضى الله عنه ـ حيث قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ـ عز وجل ـ ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم » وقال ابن حجر[13] قال المازرى : النصيحة مشتقة من نصحت العسل ـ إذا صفيته ـ يقال نصح الشىء إذا خلص ، ونصح له القول إذا أخلصه له (من الفتح بتصرف) .

وقوله (ولزوم جماعة المسلمين) أى موافقتهم فى العقيدة ، والعمـــل الصالح ، والحذر من مفارقتهم .

وقوله : (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) أى أن دعوة المسلمين تحدق بهم وتحفهم من جميع جوانبهم ، فمن لازم الجماعة كان له نصيب من دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم .

المعنى العام للحديث

لقد من الله على عباده ببعثة سيدنا محمد ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويبدل جهلهم علما ، وخوفهم أمنا ، وما ترك خيراً إلا أرشدهم إليه وأمرهم بالتمسك به ـ كما فى هذا الحديث ـ ففى مسند الإمام أحمد[14] عن أبى ذر قال : لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا أذكرنا منه علما ، وقد أمرنا ﷺ بالأخذ منه والتلقى عنه ؛ فقال [صلوا كما رأيتمونى أصلى][15] وقــال : (خذوا عنـــى مناسككم) رواه مسلم فى الحج . .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنسبة لمن يبلغ عنه : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علَىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[16] ، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال هذا الحديث ـ وهو يخطب بمنى بمسجد

(١١) الفائق للزمخشرى
(١٢) ٣٠١/٢
(١٣) فتح البارى ٦٣٨/١
(١٤) ١٥٣/٥
(١٥) البخارى
(١٦) المرجـــــــع السابـــــــق

الخَيْف ، فسمعه منه كثير من الصحابة - فيعتبر متواتر ، فهو يخبر أن من بَلَّغ أحاديثه ، وما سمعه منه ، وما علمه منه من قول وفعل أو تقرير وإبلاغه : كل من يمكن إبلاغهم من الناس فى أى زمان ، سواء كان المبلغ يعرف ما يقوله له فيزداد فهمه لما يعلمه ، أو كان المبلغ لا يفقه ؛ فيتفقه فى الدين ، ويعلم أوامره ونواهيه ، وكل ما يتعلق به فيثاب المبلغ على تبليغه ويجازى المبلغ على عمله بما أخبر به ، والنبى ﷺ يدعو لمن قام بهذا الإبلاغ بنضارة الوجه ، وعلو الجاه فى الدنيا ، وبحسن الدرجات والجنة فى الآخرة ، فلا ييأس الدعاة من نشر تعاليم الإسلام ، والتبشير بها حتى لو تحملوا المشاق فى ذلك ، وحسبهم فضلا وبركة دعاء النبى - عليه الصلاة والسلام - لهم بالخير ، وإنما دعا النبى ﷺ لمبلغى سنته بهذه الدعوة التى هى حصول النضرة جزاء لهم على إرشادهم فى هداية الخلق ، وإرشاد الناس إلى الخير الذى به تبيض وجوههم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ،

ولما كانت الدعوة تحتاج فى نشرها وتبليغها للناس ، خالية من الرياء والسمعة ، مع بذل الجهد والتضحية فى سبيلها بكل مرتخص وغال ؛ عقب النبى ﷺ هذه الجملة بالإخلاص لله - وحده - فى العمل ؛ فالواجب على كل مسلم وداعية أن يجعل عمله كله خالصا لوجه الله - تعالى

وقال - تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾(١٧)

وكما قال - صلوات الله وسلامه عليه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليـــه » رواه البخارى .

وكذلك أرشدنا - عليه الصلاة والسلام - إلى الأخذ بالنصحية ، والنصح لكل الناس : مسلمهم وغيره فينصح المسلم بما يرشده للعلم إن كان يبتغى علما ، وينصح الإمام بما فيه مصلحة الأمة - ولا يدخر فى نصحه خيرا ، وقد قال - كل من الإمام أحمد بن حنبل والفضيل بن عياض - رضى الله عنهما : (لو كانت لى دعوة مجابة لادخرتها للسلطان) زاد غيرهما : إذ بصلاحه صلاح الرعيـة

روى الشيخان عن جرير بن عبدالله البجلى - رضى الله عنه - قال : [بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم] هذا ، وتقييد النصيحة لكل مسلم جرى على الغالب ، وإلا فالنصيحة واجبة لغير المسلمين بأن يعرض عليهم محاسن دين الإسلام ويرغبهم بالدخول فيه فيقيهم من النار ، إذا قبلوا نصيحته .

وكذلك حثنا الرسول ﷺ فى هذا الحديث : على لزوم الجماعة ، وحذرنا من الفرقـــة ؛ يقول - عليه الصلاة والسلام : « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الجماعة إلا تحوذ عليهم الشيطان ؛ فعليكم بالجماعة ؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصيـة » رواه مسلم وأبو داود ومعنى : (تحوذ عليهما أى غلب حبه عليهم والعياذ بالله ، ومعنى : (القاصية) : البعيـدة

(١٧) سورة البينة آية رقم ٥

والمراد : المفارقة للجماعة ، وقال ، ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى فضل صلاة الجماعة : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ سبع وعشرون درجة » رواه البخارى ومسلم .

ومن الواضح أن الحديثين وردا فى صلاة الجماعة ، والصلاة متكررة فى اليوم ، مشتملة على العقائد والأخلاق ؛ فكلما أداها المسلم فى جماعة كان محافظا على كيان الأمة

والمعنى : أن دعوة المسلمين تحدق بهم وتحفهم من جميع جوانبهم فمن لازم الجماعة كان له نصيب فى دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم(١٨) .

وقوله : « ومن كانت الدنيا هَمَّهُ نزع الله الغنى من قلبه ، وجعل فقره بين عينيه ، وشتت الله عليه ضيعته ، ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق » .

وفى رواية « إلا ما كتب له » .

ثم أراد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يؤكد على أهمية الإخلاص فى كل الأعمال ، وهو المذكور فى الجملة الأولى ، فذكر هذه الجملة .

والمعنى : أن الإنسان الذى يعمل أى عمل ـ ومنه تبليغ الحديث وغيره ـ يجب عليه أن يمحص عمله لله ، ويجعل غايته الآخرة ، ولا يكون هدفه للدنيا ، فالذى يجعل الدنيا غايته لا يستقر على حال من القلق ولا تسكن له نفس ، ولا يطمئن له قلب ، فهو ـ وإن أجهد نفسه وأتعبها فى الحصول على الرزق ، وجعل الدنيا همه ـ لن يأتيه إلا ما قدر الله له .

وليس معنى هذا أن الإنسان يتواكل ، أو يتهاون فى العمل ، وفى التكاليف التى كلّفهُ الله بها ، ويجعل الدنيا وراء ظهره ، ويحرم على نفسه الطيبات ، ولكن المقصود : أن لا تستولى عليه الدنيا وتسيطر على أعماله . فليكن شعاره فى ذلك قول الله ـ تعالى : ـ

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(١٩)

وقوله : « شتت الله عليه ضيعته » قال فى النهاية : الضيعة فى الأصل الْمَرَّةُ من الضياع بفتح الضاد مشددة ، وضَيْعَةُ الرجل فى غير هذا ما يكون منه معاشة كالصنعة والتجارة والزراعة ـ وغير ذلك(٢٠) .

وقوله : « ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى فى قلبه ، ونزع فقره من بين عينيه ، وكف عليه ضيعته ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

ولَمَّا ذكر رسول الله ﷺ جزاء من لم يخلص فى عمله مطلقا فى الجملة السابقة ناسب أن يذكر جزاء من جعل الآخرة غاية له ، وهدفا لكل أعماله ، وهذا هو الإخلاص ؛ فمن جعل الآخرة نصب عينيه رزقه الله من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب ، وملأ قلبه بالطمأنينة ، ونفسه بالرضا ؛ فمن يراه يحسب أنه غنى لا يسأل الناس ولا يتكالب على رزقه ويرضى بما قسمه الله له فهو غنى النفس مهابٌ عند الناس ؛ لأنه عمل للباقية ولم تغره العاجلة ؛ فهو مستريح دائماً لا يكدر صفو عيشه همّ ولا غم ، ومع ذلك تأتيه الدنيا ، وهى صاغرة راغمة ، فهنيئًا له .

---

(١٨) عن كتاب نضر الله امرءا رواية ودراية ص ١٩٥ عبدالمحسن أحمد العباد .

(١٩) سورة القصص آية رقم ٧٧

(٢٠) من النهاية بتصرف جـ ٣ ص ١٠٨

الصبر على البلايا
عاقبته الجنة

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

قبـــس من أنوار النبـــوة

عن عمران أبى بكر قال : « حدثنا عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت : إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله لى . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك . فقالت : أصبر ، ثم قالت : إنى أتكشف ؛ فادع الله لى أن لا أتكشف ، فدعا لها » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

من معانى المفردات :

• الصرع : الطرح على الأرض ، وهو علة تكون فى الجهاز العصبى وتتميز بنوبات غيبوبة أو تشنجات فى العضل . وقد يصاحبها اضطراب عقلى فى مراحله الأخيرة .

***

إن الحرص على الفوز بنعيم الجنة ، والنجاة من عذاب النار . ثمنه غال ، وجهوده باهظة ، لكنه فى متناول يد الإنسان الذى ينشد السعادة فى الآخرة . وهذا شأن من امتلأت قلوبهم إيماناً ، وهانت أمام نواظرهم كل قيم الحياة وزخارفها ، ويبتغون ما عند الله . كما قال ـ سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة : ١١١ .

ولننظر إلى نماذج من هؤلاء الذين يطلبون سلعة الله الغالية ، وهى الجنة :

ها هو عمرو بن الجموح[١] ـ وهو رجل أعرج شديد العرج ـ كان له أربعة بنين ـ شباب ـ

(١) زاد المعاد الجزء الثالث ص ١٣٥ .

يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا . فلما توجه رسول الله ﷺ إلى (أحد) أراد أن يتوجه معه ؛ فقال له بنوه إن الله قد جعل لك رخصة[٢] فلو قعدت ، ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك . فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن بَنِيَّ هؤلاء يمنعونى أن أخرج معك ، والله إنى لأرجو أن استشهد فأطأ[٣] بعرجتى هذه فى الجنة ؛ فقال له رسول الله : « أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد . وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله - عز وجل - أن يرزقه الشهادة . فخرج ؛ فقتل يوم أحد شهيداً » .

كذلك جاء رجل[٤] من الأعراب إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه ؛ فلما كانت غزوة خيبر غنم النبى ﷺ شيئاً فقسمه ، وقسم للأعرابى ؛ فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم[٥] فلما جاء دفعوه إليه ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله . فأخذه ، فجاء به إلى النبى فقال : ما هذا يا رسول الله ؟.. قال : قسم قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ؛ ولكن اتبعتك على أن أُرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به النبى ﷺ وهو مقتول : فقال : أهو هو (وجدت إصابته حيث أشار) قالوا نعم . قال : صدق الله فصدقه .

وقال رسول الله ﷺ يوم بدر : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ؟ فقال عمير بن الحمام : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : نعم ، قال : بخ بخ قال : فقال رسول الله ﷺ ماحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يارسول إلا رجاء أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهم . ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه ، إنها لحياة طويلة فرمى ما معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل » رواه مسلم

● ● ●

وحديثنا يصور كيف بعث الإيمان بالله - عز وجل - فى قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة مدفوعة بالشوق إلى الآخرة ، وكأنما تجلت لهم الجنة بنعمائها يرونها رأى العين ، فطاروا إليها لا يلوون على شيء من أعراض الدنيا .

هذه امرأة - مؤمنة - أصابها الصرع . فتختار الصبر عليه حيث تكون من أهل الجنة .

ورد فى بعض روايات الحديث عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس - رضى الله عنهم - أنه قال له : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فأرانى حبشية صفراء عظيمة وقال له : هذه سعيرة الأسدية أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله - إن بى هذه - تعنى الريح - فادع الله أن يشفينى مما بى فقال : إن شئت دعوت الله أن يعافيك مما بك ويثبت لك حسناتك وسيئاتك ، وإن شئت فاصبرى ولك الجنة فاختارت الصبر والجنة ، ولم تنس هذه الصحابية الجليلة التى اختارت الصبر - ما تتعرض له حين تصيبها أدوار الصرع مما لا تملك فيه نفسها كتكشف أجزاء من جسدها - فرجت

---

(٢) عذراً .

(٣) أمشى وأدوس .

(٤) زاد المعاد جـ٣ ص١٩٠ .

(٥) أى : يحرسهم من خلفهم .

رسول الله ﷺ أن يدعو لها بالستر إذا أصيبت ، فأجابها .

أرأيت لو طرحنا هذا الموقف الجليل على المقارنة بين نهج بعض المسلمات فى وقتنا هذا ، وهن فى تمام العافية يسرن كاسيات عاريات لا يخشون دينا ، ولا يخجلن من عورة .. كيف بهن إذا أراد الله ــ تعالى ــ لهن شيئا من بلاء .. وكم من بلاء نفر به الأهل من مريضهم ؟ ماذا هن فاعلات .. لعلهن يوددن لو تسترن فى بلائهن ..؟!!

ترى : كم يخسر الإنسان .. حين يفقد الحياء من الله ــ سبحانه ؟

والصرع . كما قال ابن القيم ــ نوعان : .

صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية (الجن) .

وصرع من الأخلاط الرديئة ، وهذا الأخير يتكلم الأطباء فى سببه وعلاجه .

أما صرع الأرواح ــ مس الجن ــ فقدماء الأطباء يسمونه المرض الإلهى ، قال ــ ابن تيمية : « وجود الجن ثابت بالكتاب والسنة . واتفق سلف الأمة وأئمتها عليه ــ وكذلك ثبت دخول الجن فى بدن الإنسان باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة » .

قال الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

البقرة : ٢٧٥ .

وجاء فى الصحيح عن النبى ﷺ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » .

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد : قلت لأبى : إن قوما يقولون : إن الجن لا يدخل بدن المصروع ، فقال : يا بنى يكذبون . هذا يتكلم على لسانه

وعلاج ذلك كما فعل ﷺ فيما روى الإمام أحمد وأبو داود بسنديهما عن أم أبان بنت الوازع بن زارع العبدى عن أبيها : أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون ــ أو بابن أخت لى مجنون .. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قال جدى : إن معى ابناً لى ــ أو ابن أخت لى ــ مجنون أتيتك به تدعو الله له . قال : ائتنى به ، فانطلقت به إليه ، فقال : أدنه منى واجعل ظهره مما يلينى . قال : أخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطه ويقول أخرج عدو الله ، أخرج عدو الله . فاقبل ينظر نظر الصحيح .. ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ، ودعا له .. فلم يكن أحد فى الوفد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه .

وهكذا يمكن أن يلجأ المسلم لمن صح دينه وقوى يقينه ــ ممن يحتسب عمله عند الله ــ تعالى ــ ولا يشترط أجراً ــ لعلاج الصرع ، فيدعو له أو يقرأ من القرآن ما يدفع الجن ، أو يرقيه بما لا يخالف الإسلام من القول . ثم الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله أولا وأخيراً كأن يقرأ فى أذن المصروع قول الله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

المؤمنون ١١٥

أو بمثل قوله : بسم الله ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وفقنا الله لصالح القول والعمل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الإمام شعبة بن الحجاج بن الورد

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله الذى بعث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد ، فهذه نبذة يسيرة عن سيرة إمام من أئمة الهدى ، وفارس من فرسان الحديث النبوى الشريف ، أفنى عمره فى البحث والحفظ والعلم والعمل لخدمة حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فكان نبراسا مضيئا ، وعلما من أعلام الهدى يقتدى به ، ألا وهو : الإمام الحجة الحافظ شيخ الإسلام أبوبِسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدى العَتَكى - مولاهم - الواسطى - رضى الله تعالى عنه - نزيل البصرة ومحدثها[١] .

مولده :

قال أبوزيد الهروى : ولد سنة ثنتين وثمانين .

شيوخه :

سمع من الحسن مسائل ، وسمع من معاوية بن قرة ، وعمرو بن مرة ، والحكم ، وسلمة بن كهيل ، وأنس بن سيرين ، ويحيى بن أبى كثير ، وقتادة ، وخلق كثير[٢] - رحمهم الله - تعالى .

تلاميذه ومن روى عنه :

أيوب السختيانى ، وابن إسحق ، وهما من شيوخه[٣] ، وسفيان الثورى ، وابن المبارك ، وغندر ، وآدم ، وعفان بن مسلم ، وأبو داود الطيالسى ، وسليمان بن حرب ، وعلى بن الجعد ، وأمم لا يُحْصَوْن[٤] .

وقال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ومن جلالته قد روى مالك الإمام عن رجل عنه ، وهذا قَلَّ أن عَمِلَه مالك[٥] .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن المدينى : له نحو ألفى حديث .

وكان الثورى يقول : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١ / ١٩٣ .

(٢) راجع تهذيب الكمال للمزى فقد استوعب شيوخه وتلاميذه ١٢ / ٤٨٠ .

(٣) أى هما من شيوخه ، ورويا أيضا عنه .

(٤) راجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبى ، وسير أعلم النبلاء له ، فقد نقل من خط الحافظ أبى عبدالله بن منده تلاميذه فاستوعبهم .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠٥ .

وقال أبوحنيفة : نِعْمَ حَشْوُ المِصْرِ هو .

وقال الشافعى : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق .

وقال أحمد : شعبة أثبت فى الحكم من الأعمش ، وأعلم بحديث الحكم ، ولولا شعبة ذهب حديث الحكم ، وشعبة أحسن حديثا من الثورى ، لم يكن فى زمن شعبة مثله فى الحديث ، ولا أحسن حديثا منه ، قسم له من هذا حظ ، وروى عن ثلاثين رجلا من أهل الكوفة لم يرو عنهم سفيان .

وقال حماد بن زيد : ما أبالى من خالفنى إذا وافقنى شعبة ، فإذا خالفنى شعبة فى شئ تركته .

وقال أبوبكر البكراوى : ما رأيت أحدا أعبد لله من شعبة . لقد عَبَدَ الله حتى جف جلده على عظمه واسود .

قال حمزة بن زياد الطوسى : سمعت شعبة يقول : لو حدثتكم عن ثقة ما حدثتكم عن ثلاثة .

قال أبوقطن : ما رأيت شعبة قد ركع إلا ظننت أنه نسى ، ولا سجد إلا قلت : نسى .

وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر .

وقال يحيى القطان : كان شعبة رقيقا يعطى السائل ما أمكنه .

وقال الحاكم فى ترجمة شعبة : رأى أنس بن مالك ، وعمرو بن سلمة ، وسمع من أربعمائة من التابعين ، وحدث عنه من التابعين : سعد بن إبراهيم ، ومنصور بن المعتمر ، وأيوب ، وداود بن أبى هند .

وقال أبوقتيبة : قدمت الكوفة فقال لى سفيان : ما فعل أستاذنا شعبة ؟

وقال ابن المدينى : هؤلاء مشيخة شعبة الذين فاتوا سفيان بالكوفة : إسماعيل بن رجاء ، وعبيد بن الحسن ، والحكم ، وعدى بن ثابت ، وطلحة بن مصرف ، والمنهال بن عمرو ، وعلى بن مدرك ، وسماك الحنفى ، وسعيد بن أبى بردة ، وَسَمَّى جماعة .

منهجه وشدة تحريه فى الحديث :

لاشك أن نشأة شعبة وحبه للحديث ، وتفرغه له قد أعانه ــ كل ذلك ــ على طلب الحديث ، والتحرى فيه ، وفى رجاله ، والتفتيش عن الصحيح والجيد ، والبعد عن الضعيف والردىء ، فأبوه من علماء الحديث ، وممن روى هو عنه . كما ذكره المزى فى تهذيب الكمال(٦) ، وأمه كانت تحثه على السماع والطلب ، وأخواه قد فرغاه عن العمل ، وكفياه مئونته .

قال ابن سعد فى الطبقات(٧) أخبرنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا شعبة قال : قالت لى أمى : ههنا امرأة تحدث عن عائشة ، فاذهب فاسمع منها ، قال : فذهبت إليها فسمعت منها ، ثم قلت لها : قد سمعت منها ، قالت : لا يسألك الله .

قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل»(٨) . قال وكيع : حدثنا شعبة ، وكان مغنيا بالحديث قال : أتيت يَعْلَى بن عطاء فقال : يا هذا خذ حديثى واذهب ، فقلت : لا حتى أحفظه من فيك ، فاختلفت إليه حتى قرع رأسى . (أى ملَّ منى فضربنى بالمقرعة) .

وقال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان يجىء إلى الرجل فيقول : لاتحدث ،

---

(٦) تهذيب الكمال لأبى الحجاج المزى ١٢ / ٤٨١ .

(٧) ٧ / ٢ / ٣٨ .

(٨) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٤ / ٣٧٠ .

وإلا استعديت عليك السلطان . قلت : وهذا يدل على شدة حرصه على حديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخوفه من أن يكذب عليه الكذابون ، فكان شعبة يتهددهم بالسلطان .

وروى الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) : عن شعيب بن حرب ، سمع شعبة يقول : اختلفت إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة ، وما سمعت منه إلا مائة حديث .

وعن أبى الوليد قال : قال شعبة : كنت آتى قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثنى ، ثم يقول : أزيدك ؟ فأقول : لا ، حتى أحفظهما وأتقنهما .

قال الحافظ فى التهذيب[9] : قال ابن المدينى : سألت يحيى بن سعيد : أيما كان أحفظ للأحاديث الطوال سفيان أو شعبة ؟ فقال : كان شعبة أمر فيها .

وقيل ـ لأبى داود : هو أحسن حديثا من سفيان ؟ قال ليس فى الدنيا أحسن حديثا من شعبة ومالك ـ على قلته ـ والزهرى أحسن الناس حديثا ، وشعبة يخطىء فيما لا يضره ، ولا يعاب عليه ، يعنى فى (الأسماء) .

قال الذهبى فى (التذكرة) : قال أبوالوليد : قال لى حماد بن زيد : إذا خالفنى شعبة تبعته ، لأنه كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة ، وأنا أرضى أن اسمعه مرة .

وقال أبوزيد الهروى : سمعت شعبة يقول : لأن أقع من السماء فأنقطع أحب إلى من أن أُدَلّسِ .

وقال أحمد بن حنبل : كان شعبة أمة وحده فى هذا الشأن ، يعنى فى الرجال ، وبصره بالحديث .

وقال إبو الوليد الطيالسى : قلت ليحى بن سعيد : رأيت أحدا أحسن حديثا من شعبة قال : لا . قلت فكم صحبته ؟ قال : عشرين سنة .

وقال على بن الجعد : سمعت شعبة يقول حدثنى أبوإسحق عن الحارث بن الأزمع قال : وجد قتيل فى وداعة همدان ، فقلت لأبى إسحق : أسمعته من الحارث ؟ فقال : حدثنيه مجالد عن الشعبى .

قلت : وأبو إسحق هو السبيعى ، وأسمه عمرو ابن عبدالله ، وهو ثقة مكثر عابد روى عنه الجماعة ، واختلط بآخِرَةٍ كما قال الحافظ ابن حجر فى (التقريب) ، وذكره ابن حبان فى (كتاب الثقات) قال : وكان مدلسا ، وكذا ذكره فى المدلسين حسين الكرابيسى ، وأبو جعفر الطبرى . ولذلك استوقفه شعبة وسأله عن سماعه لهذا الحديث من الحارث بن الأزمع ، فتبين أن بينه وبين الحارث رجلين ، ولولا سؤال شعبة ما تبين ذلك ، خاصة عند من لم يثبت عنده تدليس أبى إسحق .

وذكر الحافظ فى «التهذيب» عن على بن المدينى قول شعبة : وكان أبو إسحق إذا أخبرنى عن رجل قلت له : هذا أكبر منك ، فإن قال : نعم علمت أنه لقى ، وإن قال : أنا أكبر منه تركته .

وعن عبدالرحمن بن مهدى قال : قال لى شعبة : أحفظ مائة حديث عن أبى الزبير ، قلت : ولا تذكره ؟ قال : لا أحب أن أذكره .

وذكر الذهبى هذه الرواية فى تاريخ الإسلام[10] عن أبى دواد (الطيالسى سليمان بن دواد) وفيها : قال لى شعبة : فى صدرى أربعمائة حديث لأبى الزبير والله لاحدثت عنه .

(٩) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ٤ / ٣٤٥ .

(١٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبى ٩ / ٤٢١ .

قلت : وإبوالزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس وهو صدوق إلا أنه يدلس ، روى عنه الجماعة غير أن حديثه فى البخارى مقرون بغيره . وذكر الحافظ فى (التهذيب) سبب ترك شعبة له ، فقال : قال محمد بن جعفر المدائنى ، عن ورقاء ، قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبى الزبير ؟ قال : رأيته يزن ويسترجح فى الميزان . واعترض ابن حبان فى الثقات على ذلك فقال : ولم ينصف من قدح فيه ، لأن من استرجح فى الوزن لنفسه لم يستحق الترك لأجله .

. وقال ابن عدى : روى مالك عن أبى الزبير أحاديث ، وكفى بأبى الزبير صدقا أن يحدث عنه مالك ، فإن مالكا لايروى إلا عن ثقة ، وقال : لا أعلم أحدا من الثقات تخلف عن أبى الزبير إلا وقد كتب عنه ، وهو فى نفسه ثقة إلا أنه روى عنه بعض الضعفاء ، فيكون ذلك من جهة الضعيف .

وذكر الحافظ سببا آخر لترك شعبة لأبى الزبير يدل على شدة توقى شعبة وورعه ، قال روى أحمد بن سعيد الرباطى عن إبى داود الطيالسى قال : قال شعبة : لم يكن فى الدنيا أحب إلى من رجل يقدم فأسأله عن أبى الزبير ، فقدمت مكة فسمعت منه فبينا أنا جالس إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه ، فقال له : ياأبا الزبير تفترى على رجل مسلم ؟ قال : إنه أغضبنى . قلت : ومن يغضبك تفترى عليه ! لا رويت عنك شيئا .

وفى تاريخ الإسلام أيضا : قال أبونعيم : سمعت شعبة يقول : لأن أزنى أحب إلى من أدلس .

وقال وكيع : قال شعبة : رأيت ناجية الذى يروى عنه أبو إسحق فرأيته يلعب بالشطرنج فتركته فلم أكتب عنه .

ونقل الخطيب البغدادى هذه الرواية فى الكفاية[11] عن وكيع وزاد : ثم كتبت عن رجل عنه . قال الخطيب : قلت : ألا ترى أن شعبة فى الابتداء جعل لعب الشطرنج مما يجرحه فتركه ، ثم استبان له صدقه فى الرواية وسلامته من الكبائر ، فكتب حديثه نازلا .

وساق الخطيب بإسناده عن شعبة قال : أتيت منزل المنهال بن عمرو فسمعت فيه صوت الطنبور فرجعت ، (فقلت له)[12] فهلا سألت ؟ عسى ألا يعلم هو .

وقال ابن مهدى : قال شعبة كنت أتفقد فم قتادة فإذا قال «سمعت» أو «حدثنا» حفظته وإلا تركته .

وساق الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد[13] بإسناده عن أبى داود الطيالسى قال : كنا عند شعبة بن الحجاج فى البيت وجراب معلق فالتفت فإذا هو فى السقف ، فقال ترون ذلك الجراب ؟ والله لقد كتبت فيه عن الحكم عن عبدالرحمن بن إبى ليلى عن على عن النبى – صلى الله عليه وسلم – لو حدثتكم به لرقصتم .

قلت : والحكم هو ابن عتيبة الكندى . قال ابن سعد : كان ثقة فقيها عالما رفيعا كثير الحديث ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائى والعجلى ، وقال البخارى فى التاريخ الكبير : قال القطان قال شعبة : الحكم عن مجاهد كتاب إلا ما

---

(١١) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ١٨٣ .

(١٢) زيادة من التهذيب والقائل وهب بن جرير .

(١٣) تاريخ بغداد ٩ / ٢٦٠ .

قال سمعت ، وقال ابن حبان فى الثقات : كان يدلس ، فكأن شعبة لما تشكك فى تدليسه لم يحدث بهذا الجراب ، والله أعلم .

وساق الخطيب فى الكفاية بإسناده عن هارون بن سعيد الأيلى قال : سألت أيوب بن سويد عن الذى كان شعبة يطعن به على الحسن بن عمارة ؟

فقال لى : كان يقول : إن الحكم بن عتيبة لم يحدث عن يحيى بن الجزار إلا ثلاثة أحاديث ، والحسن يحدث عن الحكم عن يحيى أحاديث كثيرة ، قال سويد : فقلت ذلك للحسن بن عمارة ، فقال : إن الحكم أعطانى حديثه عن يحيى فى كتاب لأحفظه فحفظته .

وذكر الحافظ فى (التهذيب) فى ترجمة الحكم بن عمارة أن شعبة قال : أفادنى الحسن بن عمارة سبعين حديثا عن الحكم فلم يكن لها أصل ، وقال أبوداود الطيالسى قال شعبة : ائت جرير بن حازم فقل له : لا يحل لك أن تروى عن الحسن بن عمارة فإنه يكذب . قال أبوداود فقلت ـ لشعبة : ما علامة ذلك ؟ فقال : روى عن الحكم أشياء فلم نجد لها أصلا . قلت للحكم : صلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قتلى أحد ؟ قال : لا ، وقال الحسن : حدثنى الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى عليهم ودفنهم !

قلت : وهذا يدل على شدة تحريه وتفتيشه عن حديث النبى ـ صل الله عليه وسلم ـ فإنه لما لم يطمئن للحسن سأل شيخه الحكم عن هذه الأحاديث ، فلما علم أن الحسن لم يسمعها منه حذر منه . والحسن بن عمارة قال عنه الحافظ فى (التقريب) : متروك .

وذكر الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب) فى ترجمة يحيى بن عبيد الله : قال قال على بن المدينى سألت يحيى بن سعيد عن يحيى بن عبيد الله فقال : قال شعبة : رأيته يصلى صلاة لا يقيمها فتركت حديثه .

قال الخطيب : قال حماد بن زيد : إذا خالفنا شعبة ـ كأنه قال : الصواب ما قال ـ فإنا كنا نسمع ونذهب وكان شعبة يرجع ويراجع ، ويُسْمُعُ ويُسمِّعُ . وقال سفيان الثورى : ما رأيت أحدا أروع فى الحديث من شعبة ، يشك فى الحديث الجيد فيتركه .

ومن ورعه أيضاً وتوقيه ما ذكره الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) عن حماد بن سلمة قال : جاء شعبة إلى حميد فسأله عن حديثٍ لأنس ، فحدثه به . فقال له شعبة : سمعته من أنس ؟ قال : فيما أحسب . فقال شعبة بيده هكذا ، وأشار بأصابعه : لا أريده . ثم ولَّى .

قال حميد : سمعته من أنس ؟ كذا وكذا مرة ، ولكن شدد على فأحببت أن أشدد عليه .

من أقواله :

روى الخطيب فى الكفاية عن على بن عاصم قال حدثنا شعبة قال : احذروا غيرة أصحاب الحديث بعضهم على بعض ، فلهم أشد غيرة من التيوس .

وساق الذهبى وغيره قوله لأصحاب الحديث : ويلكم الزموا السوق فإنما أنا عيال على أخويَّ . يعنى يأمرهم بالعمل والكسب لئلا يحتاجوا إلى غيرهم .

وقوله : كل شيء ليس فى الحديث «سمعت» فهو خلّ وبقل . أى لا قيمة له .

قال ابن الصلاح : وهذا محمول على المبالغة والزجر .

وكان يقول : ماشىء أخوف عندى من أن يدخلنى النار من الحديث ، ويقول : وددت أنى وقّادُ حمَّام ، وأنى لم أعرف الحديث . قال الذهبى : كل من حاقق نفسه فى صحة نيته فى طلب العلم يخاف من مثل هذا ، ويود أن ينجو كفافا .

وكان يقول : لأن أخر من السماء أحب إلى أن أقول : قال الحكم ، لشيء لم أسمعه منه . قال الذهبى : هذا ـ والله ـ الورع .

وقال عبدالرحمن بن مهدى : قلت لشعبة : من الذين تترك الرواية عنهم ؟ قال : إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يُعرف ، أو أكثر الغلط ، أو تمادى فى غلط مجتمع عليه ، ولم يَتَّهِم نفسه عند اجتماعهم على خلافة ، أو رجل متهم بكذب ، وسائر الناس ، فَارْوِ عنهم .

وقال رحمه الله : إنى لأذاكر بالحديث يفوتنى فأمرض .

وقال مظفر بن مدرك : ذكروا لشعبة حديثا لم يسمعه ، فجعل يقول : واحزاناه .

عدد ماأخرجه له أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد من أحاديث :

لشعبة فى صحيح البخارى (٧٩٣) ثلاثة وتسعون وسبعمائة حديث .

وله فى صحيح مسلم (٥٩٠) تسعون وخمسمائة حديث .

وله فى سنن أبى داود (٢٧٨) ثمانية وسبعون ومائتا حديث .

وله عند الترمذى (٢٩٩) تسعة وتسعون ومائتا حديث .

وله عند النسائى (٢٩٩) تسعة وتسعون ومائتا حديث .

وله عند ابن ماجه (٢٧٢) اثنان وسبعون ومائتا حديث .

وله فى مسند أحمد (٢٦٨١) حديث ، وذكر فيه فى (٣٢٢٣) اسناد . والله أعلم .

وفاته :

قال الذهبى فى (تاريخ الإسلام) : اتفقوا على وفاة شعبة سنة ستين ومائة بالبصرة ، ويقال إنه مات فى أول السنة .

وقيل : عاش ثمانيا وسبعين سنة .

وقال غندر : لما حضرت شعبة الوفاة لم يأذن لأحد إلا ليحيى بن سعيد ، وإنما غمض عينيه يحيى بن سعيد .

وقال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) : قال سعد بن شعبة : أوصى أبى : إذا مات أن أغسل كتبه فغسلتها .

قال الذهبى : وهذا قد فعله غير واحد : بالغسل وبالحرق وبالدفن ، خوفا من أن تقع فى يد إنسان واه يزيد فيها أو يغيرها .

رحم الله شعبة بن الحجاج الإمام الجليل القدر الذاب عن سنة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجزاه عن سنة الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

المدوّنة الكبرى

فى الفقه الإسلامى

للأستاذ د. محمود عبد المتجلى خليفة

المدوّنة هى الديوان الجامع الذى جمع أكثر مسائل الفقه المالكى ، وهى التى حصلت أصل علم المالكية ، وهى مقدمة على غيرها من الدواوين ـ بعد موطأ مالك ، قال ابن رشد الأندلسى : « ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطأ مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ولا بعد الموطأ ديوان فى الفقه أفيد من المدوّنة .

والمدوّنة عند أهل الفقه ككتاب (سيبويه) عند أهل النحو ، وككتاب (إقليدس) عند أهل الحساب ، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة تجزىء عن غيرها ولا يجزىء غيرها عنها .

والمدوّنة جمعت فقه الإمام مالك على طريقة السؤال والجواب ، وهى من أمهات الكتب فى المذهب المالكى ، وهى أصدق الكتب رواية ، وأحرى بالقبول من حيث سماعها .

جاء فى فتاوى الشيخ عليش :

إنما يفتى بقول مالك فى الموطأ ، فإن لم يجده فى النازلة ، فبقوله فى المدونة ، فإن لم يجده فبقول ابن القاسم فيها ، وإلا فبقوله فى غيرها ، وإلا فبقول الغير فى المدونة ، وإلا فأقاويل أهل المذهب .

وقال أبوالحسن الطنجى : قول مالك فى المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها ، فإنه الأعظم ، وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها ، لأنه أعلم بمذهب مالك ، وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم فى غيرها ، وذلك لصحتها :

فالمدونة فيها الرواية المعتبرة للمذهب .

أصل المدونة هى الأسدية التى دوّنها أسد ابن الفرات بالتلقى عن ابن القاسم وهو : أسد بن الفرات بن سنان أصله من خراسان ، ولد بحران من

(*) الكاتب : عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

مجلة الأزهر : جزى الله الكاتب خيرا بهذا العلم النافع ، وكم تأمل مجلة الأزهر أن يوفى الكاتب المدونة ما تستحقه من دراسة ميدانية تبويبا وفصولا .

ديار بكر ، وانتقل به أبوه إلى تونس ، فنشأته الأولى كانت بتونس ، حفظ القرآن الكريم ، ثم تعلم الفقه ، ورحل إلى المشرق فسمع من مالك مُوطَّأَهُ وغيره .

رحل أسد إلى مالك – رضى الله تعالى عنه – والتقى به ، فأخذ يلقى عليه المسائل يتعرف أحكامها حتى عرف مالك رغبته فى التفريع فقد سأله يوما فأجابه ، ثم أخرى فأجابه ، ثم أخرى فقال له : حسبك يا مغربى إن أردت الرأى فعليك بالعراق ، فرحل إلى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وأخذ منه كتبه وتعلم فقه العراقيين .

طلب أسد من مالك أن يوصيه عندما هم بمفارقة مجلسه فقال له :

أوصيك بتقوى الله العظيم ، والقرآن ، ومناصحة هذه الأمة .

وهذا الكلام يدل على إخلاص أولئك العلماء فى طلب الحقيقة ، وحسن إرشادهم لتلاميذهم ، فإن مالكا لما رأى فى أسد نزعة الفرض والتفريع وأن ذلك يحسن عند العراقيين أرشده إليه مخلصا ومحضه نصيحة المؤمن التقى .

ذهب أسد إلى العراق ولقى أبا يوسف ومحمد بن الحسن صاحبى أبى حنيفة .

ذكر القاضى عياض أن أبا يوسف أخذ عنه موطأ مالك – رضى الله تعالى عنهما – وقد جمع أسد بين فقه العراق وفقه المدينة ، وقرأ ما جمعه محمد ابن الحسن كما قرأ موطأ مالك ، وجمع مسائله منه ومن أصحابه من بعده ، وأكثر من أخذ عنهم من أصحابه من بعد موت الإمام مالك – رضى الله تعالى عنه – تلميذه عبدالرحمن بن القاسم .

لقد كانت قراءة أسد لكتب الإمام محمد وما فيها من الفروض والمسائل وحلولها حافزا لأن يبحث عن مثل هذه الحلول على وفق مذهب الإمام مالك ليجمع بين يديه حكم المذهب فى تلك المسائل .

ولم يتوافر له ذلك فى حياة الإمام مالك فالتجأ إلى أصحابه الذين لازموه : التجأ أولا إلى عبدالله بن وهب الذى لازم مالكا عشرين سنة ونشر فقهه فى مصر ، فقال أسد لابن وهب : هذه كتب أبى حنيفة ، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى ، ولأن ابن وهب كان يقصر إجابته على ما كان مرويا عن مالك ، ولم يرد عن مالك الفتاوى فى كل ما اشتملت عليه كتب العراقيين ، لأن مالكا – رضى الله تعالى عنه – لم يفتح باب الفرض والتقدير ، لأن قاعدة الإمام مالك – رضى الله تعالى عنه – أنه كان إذا سئل عن مسألة قال : أَوَقَعَتْ .. ؟ فإن قيل : نعم . أجاب عنها ، وإن قيل : لا . قال : دعوها حتى تقع .

ثم توجه أسد إلى أشهب بن عبدالعزيز القيسى العامرى الذى صحب مالكا ولازمه وتفقه عليه وكان أحد رواة فقهه ، فكان أشهب يجيب أسدا فى الفتوى بقوله هو لا بقول مالك ، وما كان يريد أن يعرف إلا آراء مالك – رضى الله تعالى عنه – .

يقول ابن رشد فى كتاب (المقدمات الممهدات لبيان ما فى المدونة من مشكلات) : لما أتى أسد أشهب بن عبدالعزيز ليسأله أن يجيب على مسائل أهل العراق بمقتضى فقه مالك سمعه يقول : أخطأ مالك فى مسألة كذا وأخطأ فى مسألة كذا ، فتنقصه من ذلك وعابه ولم يرض قوله فيه وقال : ما أشبه هذا إلا كرجل بال إلى جانب البحر .. فقال : هذا بحر آخر .

لما لم يجد أسد طلبته عند عبدالله بن وهب وأشهب بن عبدالعزيز اتجه إلى عبدالرحمن بن القاسم المصرى وهو من أصحاب الإمام مالك الذين كان لهم أثر بالغ فى تدوين مذهبه ، وقد طالت صحبته لمالك ولازمه عشرين سنة وتفقه بفقهه وإليه كان يرجع فى مسائل مالك وفتاويه فقصد أسد ابن القاسم فأجابه :

وقد كانت إجابات ابن القاسم على أربعة أنواع :

أحدها : ما علم فيه رواية عن مالك واستيقنها ؛ فهذا يذكر فيه روايته .

وثانيها : ما ترجح عنده فيه رواية عن مالك وهذا يقول فيه : أخال أو أظن أو أحسب وليس ذلك النوع قدرا قليلا .

وثالثها : مالا يحفظ فيه عن مالك قولا ، لا باليقين ولا بالرجحان ، ولكن يحفظ له مثيلا ، فيحكم بمثل ما حكم به مالك فى المثل ، ويقول : لم أسمع من مالك فيه شيئا ، ولكنى سمعته يحكم فى مسألة كذا بكذا ومسألتك مثل هذه المسألة فتأخذ حكمها .

ورابعها : ما لا يحفظ فيه عن مالك رواية ، ولم ير مثله فيقول فيه : الذى أراه فيه كذا وكذا فيذكر فيه اجتهاده على الأصول المالكية .

ومن مجموع هذه الأجوبة سماها أسد الأسدية نسبة إليه .

ثم عزم أسد على الرحيل إلى أفريقية حاملا معه كتاب (الأسدية) فسافر بها إلى (القيروان) بعد أن ترك نسخة منها بمصر ، ثم أمره ابن القاسم أن ينسخ (الأسدية) ويرسلها إليه ولما وصل أسد إلى (القيروان) أظهرها وسَمَّعَها الناس وانتشر بها مذهب مالك فى تونس .

والأسدية هى أصل مدونة سحنون ، وهو – عبدالسلام بن سعيد – التنوخى العربى ولقبه سخون وهو اسم طائر حديد البصر لقب به سحنون لحدته فى فهم المسائل ، أصله شامى ، من (حمص) وقدم أبوه سعيد فى جند حمص إلى (القيروان) بتونس ورحل فى طلب العلم ، وهو ابن ثمانية عشر عاما ، وقد أدرك مالكا ، ولم يصل إليه ، وقال : كنت عند ابن القاسم بمصر وجوابات مالك ترد عليه ، فقيل له : فما منعك من السماع من مالك ؟ قال : قلة الدراهم . وقال – مرة أخرى : لحى الله الفقر فلولاه لأدركت مالكا .

التقى سحنون بأسد بن الفرات فى (القيروان) ، وتحيل على أسد لينسخ منه (الأسدية) وبعد مشقة استطاع أن يحصل على نسخة منها ، ثم سافر سحنون إلى عبدالرحمن بن القاسم ، صاحب مالك بمصر وأراد أن يقابل عليه مسائل الأسدية ليستوثق مما كان ظنا فيها فعرضها على ابن القاسم وقال له : أريد أن أسمعها منك فاستخار ابن القاسم ربه ، وأسمع سحنون مسائلها ، وأسقط من كتابة أسد ما كان منها ظنا وما كان يشك بأى نوع من الشك فى نسبته إلى مالك ، وما لم يجد فيه نصا يثق به أفتاه على اجتهاده بمقتضى أصول مالك أو على شبيه رأى مالك فى مثله ، فرتبها سحنون وخلط بها أقوال أصحاب مالك التى هى آراء لهم وهذبها وبوبها ودونها ، وألحق فيها من خلاف أصحاب مالك ما اختار ، وذيل أبوابها بالحديث والآثار ، وبهذا يتبين أن الأصل الذى قام عليه الفقه المالكى اليوم الذى يعرفه الناس هى المدونة ، وهى أصدق الكتب بعد الموطأ رواية ، وأحرى بالقبول من حيث سماعها .

بعد انتهاء سحنون من عمله مع ابن القاسم ،

وعودته إلى (القيروان) كتب ابن القاسم إلى أحمد بن الفرات : أن قابل كتبك بكتب سحنون فإنى رجعت عن أشياء مما رويتها عنى .

لما وصل ذلك الكتاب إلى أسد شاور بعض أصحابه فأشاروا عليه بأن لا يفعل ، وكان قد هَمَّ بأن يراجع كتبه على كتب سحنون استيثاقا للنقل وتوكيدا لرواية العلم ، ولكن بعض أصحابه رَدَّهُ عن ذلك وقالوا : تصلح كتبك من كتبه وأنت سمعتها قبله ، وسحنون تلميذك ، وأنت أدركت مالكا وأصحاب أبى حنيفة ، فلم ينفذ أسد ما أمره به ابن القاسم ، وأنف من ذلك ، وأظهر مذهب أبى حنيفة فى تونس .

قال ابن خلدون : لما بلغ ابن القاسم امتناع أسد من رد مدونته إلى مدونة سحنون دعا ألّا ينتفع بها أحد ـ وكان مجاب الدعوة ـ فكان الأمر كذلك ، فترك الناس كتابه ، واتبعوا مدونة سحنون وعكف أهل (القيروان) على هذه المدونة ونفع الله بها الناس .

هذا هو أمر المدونة التى اعتبرت الأصل الثانى للفقه المالكى بعد الموطأ .

ويلاحظ فى تدوينها أمران جديران بالاعتبار والوزن ، ولأنهما يكشفان عن ابتداء تلاقى طرق الدراسات الفقهية المختلفة ، وعن مقدار انتفاع كل إقليم بفقه الآخر ، وعلى حرية التلاميذ الأولين للأئمة فى اختيارهم وأمانتهم .

أما أحد الأمرين فهو أن المدونة إنما كتبت محاكاة للمسائل التى اشتملت عليها كتب محمد ابن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة فى الفقه الحنفى العراق ، فإن أسد بن الفرات عندما أطلع على كتب العراقيين أراد أن يستخرج أجوبة مسائلها من الفقه المالكى ، وإذا كان أخص ما امتاز به الفقه العراق كثرة التفريع والفرض (أى تقدير مسائل غير واقعة ولكنها قريبة الوقوع) فإن الفقه المالكى يقتصر على الأمور الواقعة قبلا ولايفتى فى غيرها ، ومما لا شك فيه أنه قد استفاد الفقه المالكى فى عصره الأول أكبر فائدة بتلك المحاولة الناجحة التى قام بها أسد بن الفرات ؛ لأنه فتق الفقه المالكى ووسعه ، وحمل تلميذه الأول عبدالرحمن بن القاسم على التخريج عليه ، وهو مرن لم يتصلب بفعل الزمان ، وبذلك تلاقى الفقه المدنى بالعراق ، وكما استفاد العراقيون من المدنيين اطلاعا على آثار لم تكن عندهم برواية محمد بن الحسن للموطأ ، فقد استفاد الفقه المالكى من عمل أسد وَسَيْر سحنون على منهاجه : كثرة التفريع وربط المسائل بعضها ببعض .

وأما ثانى الأمرين : فإن المدونة تشمل آراء مالك المروية وآراء أصحابه ، وتخريج ابن القاسم على أصول مالك ، فهى فى الواقع قد سنت سبيل الفقه المقارن بموازنة آراء مالك بأراء أصحابه ، كما سَنَّتْ ـ أيضا ـ السبيل لتخريج المسائل على أصول مالك ونسبتها إليه على هذا الاعتبار ، وبذلك فتح ابن القاسم باب التخريج فى ذلك المذهب العظيم منذ أول عصره ، والتخريج فى المذهب سبيل نموه وأساس شمول أحكامه ، لأن الحوادث لا تتناهى ، وإذا كان الفقهاء الذين نشروا المذاهب حاولوا اتباعها فى كل ما يجد من أحداث فلابد من التخريج على أصول الأئمة ، وقد وضع ابن القاسم الأساس فبنى عليه من بعده .

هذا ، وإذا أطلق لفظ (الكتاب) فى المذهب المالكى فالمراد به (المدونة) إذ صار هذا اللفظ علما بالغلبة على (المدونة) .

وقد اشتملت المدونة على ست وثلاثين ألف مسألة .

والله تعالى

نظرات قرآنية

الدَّاعيةُ فى مَوقفِ الضِّيق

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩) ﴾ سورة غافر

يختلف موقف الداعية إلى الله باختلاف الظروف والملابسات ، فمن يدعو إلى الله بين أناس يبادلونه الشعور ، ويتحدون معه فى الميول ، ولكنه أكثر منهم خبرة ، وأوفى علما ، ويريد أن يطلعهم على ما يجهلون ؛ هذا الداعية يجد الطريق أمامه ممهدا ، فالثقة متبادلة ، والأعناق مشرئبة ، وسيبلغ القصد من مكان قريب .

وقد يتحدث الداعية مع قوم محايدين ، يستمعون إليه ليفحصوا ما يقول عن بيّنة واعية ، وبصيرة نافذة ، فهو ملزم بإتقان الحجة وإيضاح البرهان ، وسيصل إلى مبتغاه إذا اطّرد القول على نهجه الصحيح ، لأن النفوس حينئذ مستعدة إلى الإذعان للحق متى لاحت بشائره دون غموض ، وجهد الداعية فى هذا المجال أكبر من جهد داعية يتحدث مع قوم يبادلونه المشاعر والأحاسيس .

أما الجهد الجاهد ، والكفاح الدائب فهو ما يتعرض له الداعية إذا كان يتحدث مع خصوم يبادلونه العداء ، ويضيقون بكلمة الحق تقال من مخلص صادق ، لأن الحق لا يرضيهم فى شىء ، بل هو مما يفسد عليهم أساليبهم الظالمة ، ونفوذهم الباغى ، ويزداد حرج الداعية إذا كان بين هؤلاء رئيس متجبر يملك الأمر والنهى ، ويستطيع أن يعصف بصاحب القول الجرىء دون أن يخشى عاقبة ، وله أنصار وأعوان يصدرون عن رأيه دون إبطاء ، فالداعية — حينئذ — يقف على شفا جرف يوشك أن ينهار به ، وعليه أن يصطنع الصبر الطويل ، ويدبّر الحيلة المحكمة لينجو بسفينته بين

الأعاصير ، كما عليه أن يتخذ من السمات الخلقية ما يسعفه بالنجاح ، فلا يغضب ولا يعبس ، وإذا سمع ما يغضب الحق فسح صدره لكل قول ، وحاول الإقناع بابتسام المرحب ، ورجاء الأمل ، ولا أنكر أنه يتحمل من الجهد ــ حينئذ ــ ما تنوء به الكواهل القوية ، ولكنه فى صميم أمره مكافح فى حومة ، وبطل فى معركة ، فعليه أن يتحمل أعباء الانتصار !

وقد قدم لنا القرآن الكريم نموذجا رائعا لهذا الداعية الصابر المحتسب ، حين واجه أعتى الطغاة بمنطق الحق ، وحين سلك أصوب السبل لإيضاح رأيه بين قوم عتاة يضيقون بالحق ، ويمالئون الباطل. وأين كان هذا ؟ كان فى حضرة متجبر غشوم يقول لملئه : « ما علمت لكم من إله غيرى » ، ويقول فى موقف آخر : « أنا ربكم الأعلى » ، ومعه من وراء ذلك السيف والنطع ، فهو الذى يذبح الأبناء ويستحيى النساء دون أدنى حرج ، والملأ من أتباعه يعتبرون ذلك بطولة رائعة ، بدل أن تكون بغيا وعدوانا ، وهكذا استخف الرجل قومه فأطاعوه ، إنهم كانوا قوما فاسقين .

لقد ضاق فرعون بدعوة موسى إلى الحق ، ولمس قوة تأثيره فى الناس ، وقد جاءه بالمعجزات ، وبارزه على رءوس الأشهاد يوم الزينة ، وجمع السحرة لاندحاره ، فانضموا إليه وقالوا : « آمنا برب العالمين » ، وشاع فى الملأ أن الطاغية متجبر لا يذعن للحق ، وقد لاحت دلائله ، وسطعت براهينه عن عيان ، فلابد لفرعون من أن يقوم بعمل إيجابى يستأصل به هذا الخطر الماحق ، ولابد أن يهيىء الأذهان لقبول هذا الاستئصال ، فجمع قومه ليقول لهم ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله عزّ وجل .

« ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ » من الذى يجرؤ ــ إذن ــ على المواجهة فى حضرة ظالم متجبر يقول متهكما : « وليدع ربه » ! ثم يصطنع الغيرة فيقول : « إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » ؟

لقد كان من الحضور من يخالف القوم جميعا فى منحاهم الظالم ، ولن يستطيع أن يقول لفرعون أنت مخطىء متجبر ، ولو فعل لأخذه السيف دون إبطاء ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكتم كلمة الحق لأن صوت الضمير المؤمن أقوى من أن يُلجم ، ولابد من الاحتيال البصير فى هذا الموقف الحرج ، وأن يلجأ الداعية لأسلوب الشك ليُرى الملأ أنه ينظر إلى الأمر من شتى وجوهه .

إن الداعية ليجزم فى أعماقه كل الجزم بأن موسى صادق فيما يبلغه عن ربه ، ولكن هل يستطيع أن يعلن ما يجزم به فى ملأ متربص عنيد ، إنه يمهد بأن موسى قد جاء بالبينات. وهذا مالا ينكره أحد ، فله معجزاته المتتابعة منذ ألقى عصاه فإذا هى ثعبان ، ومنذ نزع يده فإذا هى بيضاء ، ومنذ هتف السحرة قائلين : « ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ » ، بعد أن ألقى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون !

البينات ــ إذن ــ واضحة لا لبس فيها ، ولكن الداعية لا يريد أن يقف عندها وحدها حيث لم تجد شيئا فى استمالة فرعون ، فهو يشير إليها فحسب ، ليذكّر من القوم من غابت عنه حقيقتها ، ثم

يلجأ إلى أسلوب المتردد بين شيئين متقابلين ليرجح ما يريده فيقول : « وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم » وهذا منطق هادىء رزين ، فهو ــ أمام هذا الفرعون ــ لا يستطيع أن يقول ما يعتقد فى أمر موسى الذى يؤمن به ولكنه يقدم احتمالين لا ثالث لهما ، فإما أن يكون موسى كاذبا ، فلا خطر حينئذ من كذبه على الناس ، إنما يقع الكذب عليه وحده ، فلندعه وشأنه .

وإما أن يكون صادقا فسنجنى ثمار دعوته، وقد عقب ذلك بقوله : « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب »، وذلك دليل جديد يضاف إلى احتمالى الصدق والكذب، فحواه أن موسى ليس بمسرف ولا كذاب، إذ لو كان كذلك ما هداه الله إلى هذه المعجزات، ولهذا الدليل مقابل آخر هو أن المسرف الكاذب لابد أن يضلّه الله، ويشقيه، هذا الأسلوب المتردد بين الشك واليقين قد ترك القوم فى حيرة، فهم لا يستطيعون مواجهة من يقلب الأمور على شتى وجوهها، وأن علائم الحيرة لتبدد فى التطلع والتلفت والإطراق فينتهز الداعية هذه الحيرة المتذبذبة ويقول : « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » لقد هتف الرجل بحقيقة يعرفها الناس جميعا وهى أن دوام الحال من المحال، وإذا لاحت علائم الاستقرار اليوم، فلا نملك أن يدوم هذا الاستقرار، لأن الله أقوى وأغلب، ولا يوجد من ينتصر من بأسه، وقول الداعية « من ينصرنا » و« إن جاءنا » يعطى انطباعا أنه منهم، وأن مستقبلهم مستقبله، فهو ليس ببعيد عن موقع الخطر إن حان ؟؟

ولاشك أن فرعون قد ضاق ذرعا بمنطق الداعية، وكان عليه أن يرد على تساؤله بالمنطق المقنع، لو كان قد جمع القوم للمشورة ولكنه لم يقصد غير التسليم المطلق بما يريد من استئصال موسى وأتباعه فأراد أن يقطع الطريق على هذا الذى يدعو إلى المسالمة، فصاح بالملأ : « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلّا سبيل الرشاد » لم يجد الداعية المؤمن فى رد فرعون مقنعا يدفعه للتسليم، وكأنه قرأ فى وجوه السامعين ما يدل على عدم الإقتناع، فواصل حديثه منتقلا إلى أحداث التاريخ يستمد منها تأكيدا لدعواه فذكر ما دارت به الأيام على الأحزاب من قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، والذين من بعدهم ؟

ولى وقفة يسيرة أمام هذا القول فقد حرص من يؤرخون للعهد الفرعونى فى مصر على أن يذكروا أن مصر كانت لا تلم بشىء من أمور التوحيد فيما قبل « أخناتون »، لأنه ــ فى رأيهم ــ أول من نادى بالتوحيد فى مصر ، وقد استندوا فى ذلك إلى تقريرات ذكرها الأثريون من الأجانب نقلا عن كتابات مبهمة بالخط الهيروغليفى !

وهاهو ذا مؤمن آل فرعون يذكر أنباء قوم نوح وثمود والذين من بعدهم، وإذن فأحداث النبوة مشتهرة والدعوة إلى التوحيد موجودة منذ نزل آدم ــ عليه السلام ــ من جنته مؤمنا موحدا، وإن جاء بعده من ارتد عن هذه الدعوة، فتلك أمور طارئة أحدثها الجهل ولا تعنى أن التوحيد لم يعرف فى

مصر قبل عهد « أخناتون »، ومما يقطع الشك باليقين، ويدل دلالة قاطعة على ذلك قول الداعية المؤمن عقب ذلك : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

ومعلوم أن يوسف ـ عليه السلام ـ قد دعا إلى التوحيد فى مصر وقال مخاطبا صاحبى السجن حين بدأ بالدعوة : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً
سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة يوسف

أقول : قد انتهز الداعية المؤمن جموح فرعون فى ردّه فذكر القوم بأنباء الأحزاب من قوم نوح وعاد وثمود، وحذرهم عاقبة أمرهم مخوفا إياهم بيوم التناد حين يولون مدبرين مالهم من الله من عاصم !

وقد شاء فرعون أن ينقل الحديث من موضوع إلى آخر عقب ما سمع لأنه لا يستطيع أن يجادل فى حقائق يعرفها السامعون جميعا ، وربما أوجد النقاش مجالا لإقناع بعض الحاضرين فينقسم المجلس انقساما لا يرتضيه وهو الذى قال من قبل : « ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

أراد فرعون أن يغلق باب الحوار نهائيا فقال لوزيره : « ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذبا » ولا شك أن السامعين قد دهشوا من اقتراح فرعون، فهم حاشيته المفكرة، ويعلمون أن بناء صرح يتصل بالسماء مما يستحيل، فإذا اقترح هذا البناء حاكم يدعى السيطرة القاهرة ، والألوهية الشامخة، فقد فقد اتزانه العقلى، وكان جديرا به أن يأتى بما يدفع منطق هذا الداعية المتئد المستدل بأحداث التاريخ، والمتخذ أرقّ أساليب الإقناع ليصل إلى ما يريد، وكأن هذا الداعية قد لمس فى ردّ فرعون تخاذلا وانهزاما، لأنه جنح بالعقول إلى مهواة لا يجب أن يرتطم فيها عاقل، فرأى الفرصة سانحة إلى أن يسترسل فى تحذيره بعد أن أخفق فرعون فى إقناع السامعين فواصل الحديث يقول فيما تحدث به القرآن الكريم :

﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

لقد لخّص الداعية فى قوله الموجز قضية الثواب والعقاب، وأوضح أن الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى مجال الفصل بين من آمن وعمل صالحا، ومن كفر بالله وارتكب السيئات .

ومن أسلوب الذكر الحكيم فى الحديث القصصى أن يعتمد على الأقوال البارزة، والمشاهد الدالة فلا يذكر كل ما كان كما كان بل يطوى ما يفهمه السامع من السياق، لأن لكل أسلوب إيحاءه الممتد وبواطنه التى يشف عنها ظاهر القول، وما جاء الإيجاز فى كتاب الله إلا ليعطى المعنى الكثير فى اللفظ القليل، يعطيه دسما قويا ، يحسّه القارىء إحساس من يراه مستورا غير معقول، ونحن حين نقرأ هذه الآيات نعرف تماما أن جدلا قد ثار حولها، وأن فى الناس من مالأ فرعون وأنكر ما قال الداعية المؤمن، بل نتأكد أن أصواتا قد علت، وأن نقاشا قد احتدم، وتلك طبيعة الأشياء التى نشهد بعضها فيما يدور فى مجالسنا حين تختلف المنازع، وتتعدد الأهواء، وقد استمع الداعية المؤمن إلى هذا الجدل صابرا متماسكا حتى إذا فاض به الكيل ووجد أن واجبه يدعوه إلى الجهر الحاسم بقضية الحق بعد أن ركب إلى التسامح والهدوء كل ركب، فلم يصل إلى إقناع جامع يميل بالمجتمعين من أمر إلى أمر حين لمس الداعية هذا الجموح الشارد عن الحق صاح بالملأ فى قوة الواثق المتمكن :

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَالِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة غافر

نأخذ من هذا النقاش ما يفيدنا أكبر إفادة فى مجال الدعوة إلى الله ،

نأخذ منه أن ندعو أولا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل بالتى هى أحسن .

ونأخذ منه ثانيا أن نتبصر مواقع أقدامنا حين نناقش، وأن نعرف الروح العام للمجتمع الذى نعلن فيه جوهر الدعوة، فنتخذ من الأدلة ما يستميل القلوب دون شغب أو لجاج !

ونأخذ منه ثالثا أن نهتبل الفرصة حين نجد مواطن الضعف فيما نواجه به من الاعتراضات فنكر عليها بالدليل الملزم، والبرهان الأكيد دون أن نتطرق إلى جزيئات تبعد عن الصميم من اللباب .

ونأخذ منه رابعا أن نعتصم بالحق فمهما امتد الحوار فلابد أن ينتهى إلى الرأى الحاسم، والمنطلق الفاصل لأن شجاعة الداعية حينئذ تأتيه وقد وقف على أرض صلبة مهد لها بالحوار المطمئن، والصدر الرحيب ، وهذا ما انتحاه الداعية المؤمن حين صاح بالملأ : « مالى أدعوكم إلى النجاة، وتدعوننى إلى النار » وحين أبطل الدعوة إلى الشرك بالله فى صراحة لا تقبل الريب، وحين ختم نقاشه الحاسم بقوله : « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله » على أن العاقبة كانت سارّة إذ وقاه الله سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وهى عاقبة توحى بالاطمئنان لمن يتمسكون بالحق ، ويصمدون أمام الأعاصير مهما كانت عاتية هوجاء !

أملاك الدولة فى صدر الإسلام

المستشار/ جمال الدين جودة اللبان(*)

حق الملكية وما يتفرع عنه :

حق الملكية هو أوسع الحقوق العينية نطاقاً ـ بل هو جماع هذه الحقوق العينية وعنه تتفرع جميعاً .

فمن له حق الملكية على شىء كان له حق استعماله وحق استغلاله وحق التصرف فيه . وبذلك يستجمع كل السلطات التى يعطيها القانون للشخص على الشىء ..

فإذا اقتصر حق الشخص على استعمال الشىء واستغلاله كان هذا حق انتفاع متفرعاً عن حق الملكية .

وإذا اقتصر حقه على استعمال الشىء لحاجاته الشخصية وحدها ، أو اقتصر حقه على السكنى دون أى وجه آخر من وجوه الاستعمال كان هذا حق استعمال أو حق سكنى وكلا الحقين متفرع عن حق الملكية .

وإذا اقتصر حقه على استعمال الشىء على وجه معين أو الحصول منه على منافع معينة ، كان هذا **حق ارتفاق** وهو أيضاً متفرع عن حق الملكية ..

وإذا اقتصر حق الشخص على التصرف فى الشىء جبراً على المالك لاستيفاء حقه متقدماً على غيره من الدائنين كان هذا **حق رهن أو حق**

* الكاتب : رئيس هيئة قضايا الدولة .

اختصاص أو حق امتياز وكلها حقوق تبعيه ؛ إذ هى تكفل الدين فهى تابعة له ، وهى أيضاً متفرعة عن حق الملكية .

فالمالك يستطيع أن يفعل فى ملكه ما يشاء إلا ماينهى عنه القانون . أما صاحب أى حق عينى آخر فلا يستطيع أن يفعل فى الشيء إلا ما نص عليه القانون ، ولا يستطيع أن يفعل أى شيء آخر[1] ..

الملكية بداية ونهاية :

وقد بدأت الملكية ملكية جماعية يشترك فيها جميع أفراد القبيلة ، ولا يستأثر بها أحد منهم ؛ فكانت الأرض والأسلحة والعدد ـ بوجه خاص ـ مملوكة ملكية جماعية للقبيلة فى الحضارة البدوية .

ولما استقرت الجماعات فى الأرض ، وتطورت الحضارة : من حضارة بدوية تقوم على الرعى إلى حضارة زراعية تقوم على زراعة الأرض تطورت الملكية مع تطور الحضارة فأصبحت ملكية عائلية .

ثم انتهت الملكية بعد تطور طويل إلى أن تكون ملكية فردية ولكن مع بقاء بعض آثار الملكية العائلية كالميراث والنصاب الذى يجب أن يستبقى للورثة دون أن تجوز الوصية فيه .

أصل الملكية فى البلاد العربية :

ويرجع أصل الملكية فى البلاد العربية إلى أحكام الشريعة الإسلامية التى ظلت الشريعة العامة للبلاد حتى صدور مجموعات القوانين الحالية .

وقد اختلف فقهاء المسلمين فى تعريف الملكية :

فقد عرفها (الكمال بن الهمام) من فقهاء الحنفية بقوله « الملك هو القدرة على التصرف ابتداء إلا لمانع »[2] .

وعرفها (ابن نجيم الحنفى) بقوله : الملك هو الاختصاص الحاجز[3] .

وعرفها (القرافى) من فقهاء المالكية بأنها : حكم شرعى مقدر وجوده فى أعين أو منفعة يقتضى تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من الانتفاع بالعين أو بالمنفعة ، أو بالاعتياض عنها ، ما لم يوجد مانع من ذلك[4] .

وعرفها فقهاء الشافعية بذات التعريف المتقدم[5] .

وعرفها آخرون بأنها : حيازة الشيء متى كان الحائز قادراً ـ وحده ـ على التصرف فيه ، والانتفاع به عند عدم المانع الشرعى[6] .

مهمة هذا البحث :

وسنقتصر فى هذا البحث على بيان أحكام ملكية الأراضى فى عهد الرسول ﷺ ثم فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

أولًا ملكية الأراضى فى عهد الرسول ﷺ :

الأراضى الزراعية فى الجزيرة العربية قليلة ، وفتح البلاد ذات الأراضى الزراعية الواسعة كبلاد : فارس والشام ومصر حدث فى عهد

(١) الأستاذ السنهورى ـ الوسيط الجزء الثامن بند ٢٩١ ص ٤٧٩ وما بعدها .

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٧٤ .

(٣) البحر الرائق لابن نجيم الجزء الخامس ص ٢٧٨ .

(٤) الفروق للقرافى الجزء الثانى ص ٢٠٨ .

(٥) الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٢٨٦ .

(٦) الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى للدكتور/ محمد يوسف موسى طبعة سنة ١٩٥٢ ص ١٦٥ .

عمر ـ رضى الله عنه ـ ولذلك لم يَجِدَّ من مسائل الأرض فى عهد رسول الله ﷺ سوى غنيمته لأرض اليهود حول المدينة .

١ ـ الرسول ﷺ قسم أرض خيبر

لما حاصر رسول الله ﷺ يهود (خيبر) وطلبوا منه أن يسمح لهم بالجلاء اعتبرت جميع أموالهم فيئاً ـ أى غنيمة ـ لرسول الله ﷺ لأن النصر عليهم تم بدون قتال ، وكان ضمن أموالهم الأرض والنخيل ، وقد قسم رسول الله ﷺ الغنيمة بما فيها الأرض أخماساً ؛ فوزع أربعة أخماس على المسلمين ، واختص نفسه بالخمس وذلك تطبيقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

[سورة الأنفال : آية ٤١] .

ولكن رسول الله ﷺ دعا بعض اليهود إلى معاملة الأرض ـ أى القيام بزراعتها ـ وذلك لأنه كان بهذه الأرض الكثير من الحدائق والمزارع والنخيل ، وكان ذلك يحتاج إلى الرعاية ومداومة العمل ، وكان المزارعون من أهل المدينة عندهم ما يكفيهم من المزارع ، ولايستطيعون القيام بما تحتاجه أراضى اليهود التى أصبحت ملكاً للمسلمين ـ كما أن النبى ﷺ كان فى حاجة إلى جيشه ، ولا يستطيع أن يترك جزءاً منه للعناية بالأرض الزراعية .

وقد روى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ دفع (خيبر) إلى اليهود مساقاة بالنصف ، وقد استمر هذا الوضع فى حياة الرسول ﷺ وحياة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ إلى أن نزعها عمر ـ رضى الله عنه ـ من أيديهم ونقلهم إلى الشام(٧) .

وكان توزيع أرض (خيبر) إلى المسلمين أول توزيع للأراضى الزراعية فى الإسلام .

٢ ـ وقف الأراضى فى عهد الرسول ﷺ :

وقد روى أن الرسول ﷺ وقف بعض ما ظهر عليه من الأرضين فلم يَقْسِمْها ، وقد قسم بعض ما ظهر عليه بمعنى أنه : قد وقف بعض الأراضى التى غنمها المسلمون لينفق ريعها على أمور المسلمين بينما قسم البعض الآخر على المستحقين من المجاهدين . كما أنه ﷺ سمح لعمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بوقف أرض له أصابها بخيبر(٨) .

٣ ـ الـــرسول ﷺ وضع أساس الملكيـــة الجماعية :

وذلك بحديثه ﷺ المشهود : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار »(٩) .

وبذلك تكون أرض المراعى ـ التى لا مالك لها ـ ملكاً عاماً للناس جميعاً لايختص بها بعض دون البعض .

---

(٧) كتاب الأحوال لأبى عبيد ص ٥٦ وما بعدها .

(٨) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٥٠ ومابعدها .

(٩) روى أبو داود عن صحابى من المهاجرين قال : غزوت مع النبى ﷺ ثلاثاً أسمعه يقول : المسلمون شركاء فى ثلاث : فى الكلأ والماء والنار سنن أبى داود ٢ /٢٤٩ ط أولى ١٣٧١ مصطفى الحلبى .

وفى سنن ابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « فى الماء والكلأ والنار ، وثمنه حرام » ٨٢٦/٢ وفى مسند أحمد ٣٦٤/٥ .

وكذلك الشأن بالنسبة لمصادر المياه الطبيعية والنار[١٠]

٤ ـ تحجير الأرض وحماية الرسول ﷺ له :

أجاز الرسول ﷺ تحجير الأرض : أى الفصل بينها بوضع علامات من الأحجار تفصل بين الملكيات المتجاورة وتحدد حدود الملكيات .

وقد فرض الرسول ﷺ حماية على هذه الحدود ولعن من يسرق المنار أى من ينقل هذه الأحجار من مكانها ليوسع ملكيته على حساب اقتطاع جزء من ملكية جاره .

ويجب ألا يفهم من نص الحديث أن الجزاء أخروى يقتصر على مجرد اللعن ؛ لأن (سرقة المنار) تشكل اعتداء على حق الجار مما يدخل فى اختصاص القاضى ، ويجب عليه الفصل فيه ورد الحق إلى صاحبه بمجرد ثبوت حقه .

والتحجير بداية لعملية استصلاح الأرض الموات التى لامالك لها ، والحماية التى فرضها الرسول للتحجير ليست حماية مؤبدة وإنما هى حماية مؤقتة مدتها ثلاث سنوات فإذا لم يقم المتحجر بإحياء الأرض الموات خلالها سقطت الحماية عنه ، ويجوز لغيره بعدها الاستيلاء على الأرض وإحيائها وذلك عملًا بحديث الرسول ﷺ : عادى الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعد ، فمن أحيا أرضاً ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين[١١] .

٥ ـ الحمى فى عهد الرسول ﷺ :

كان العرب قبل الإسلام يحمون بعض أراضى المراعى ، وكان هذا الحمى يقوم على أساس القوة والغلبة ، ولما جاء الإسلام عدل من هذه الأوضاع ، وذلك بجعل الحمى من الملكية الجماعية للناس جميعاً ، لا للأقوياء دون الضعفاء وذلك تطبيقاً لحديث الرسول ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » مسند أحمد ١/٣٨ .

وقد روى نافع عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ حمى (النقيع) لخيل المسلمين ، أى جعل أرض النقيع الواقعة بقرب المدينة حمى ترعى فيه خيول المسلمين[١٢] .

٦ ـ القواعد التى وضعها الرسول ﷺ فى الأرض والماء والزرع فى ملك الغير :

وضع الرسول ﷺ خمس قواعد فيما يتعلق بملكية الأراضى والماء ، سواء أكان للشرب أم لرى الأرض والزرع فى ملك الغير .

القاعدة الأولى :

حق تملك الأرض الميتة بمجرد إحيائها تطبيقاً لقوله ﷺ : « من أحيا أرضاً ميتة فهى له »

القاعدة الثانية :

رعى الماشية فى المراعى غير المملوكة ملكية خاصة مباح للناس جميعاً تطبيقاً لقوله ﷺ : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » .

---

(١٠) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٣٩ ومابعدها .

• راجع صحيح مسلم ـ أضاحى ٤٣ ـ ٤٥ ، وسنن النسائى ـ ضحايا ـ ٤٣ ومسند أحمد ١/ ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٥٣ .

(١١) الحديث أورده أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم فى « كتاب الخراج » ص ٧٠ ط المطبعة السلفية ، وانظر : ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٤١ وما بعدها .

(١٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٥ وما بعدها .

• انظر الخراج للقاضى أبى يوسف ص ٦٩ مرجع سابق حاشية رقم ١١ .

•• انظر الحاشية رقم ٩ .

وقد قال أبو يوسف حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه عن النبي ﷺ أنه حرم عضاة المدينة وما حولها اثنى عشر ميلا ـ أى جنبها ـ وحرم الصيد فيها أربعة أميال حولها ـ أى جنبها ـ وقد قال بعض العلماء : إن تفسير هذا إنما هو لاستبقاء العضاة ؛ لأنها مرعى المواشى من الإبل والبقر والغنم ، وإنما كان قوت القوم اللبن وكانت حاجتهم إلى القـــوت أفضل من حاجتهم إلى الحطب[13] .

القاعدة الثالثة :

توزيع الماء الجارى : فقد قضى رسول ﷺ فى (مهزور) وادى بنى قريظة أن « الماء إلى العقبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل ، ويحبسه الأسفل على الأعلى » وبذلك وضع رسول ﷺ حداً لاحتجاز الماء سواء لمن كان فى الأعلى أى من ناحية مجرى الماء ، أو من كان فى الأسفل كما روى أنه ﷺ قال : « لايمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ » رواه أحمد ٢/٢٤٤ ـ الميمنية .

« والماء لا يحل منعه والملح لايحل منعه » .

القاعدة الرابعة :

تحديد حرم البئر : قال رسول الله ﷺ : « حريم البئر أربعون ذراعاً من نواحيها كلها لاعطان الإبل والغنم ، وابن السبيل أو شارب ، ولا يمنع فضل ماء ليمنع به الكلأ » .

وفى رواية أخرى « من حفر بئراً فله أربعون ذراعاً حولها عطن لماشيته » .

ويشرح أبو يوسف هذا الحديث قائلًا : « وليس لأحد أن يدخل فى حريم بئر هذا الحافر ، ولافى حريم عينه ، ولافى قناته ، ولايحفر فيها بئراً فإن حفر لم يكن له ذلك »[14] .

القاعدة الخامسة :

من زرع فى ملك غيره بغير إذنه فليس له إلا ما أنفق وذلك لقول رسول ﷺ : « من زرع فى أرض قوم بغير إذنهم فله نفقته وليس له من الزرع شىء » .

وهكذا فمثل هذا الزارع لايستحق إلا قيمة ما أنفقه على الزراعة من بذر وغيره ، وقيمة عمله ، والمجهود الذى بذله[15] .

ثانياً : ملكية الأراضى فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه :

امتاز عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالتوسع فى فتح البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، فمن ناحية الشرق فتحت بلاد الفرس ، ومن ناحية الغرب فتحت بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية ، ولما كانت هذه البلاد كلها تمتاز بأراضيها الزراعية الخصبة ، فقد كان من أولى نتائج فتحها أن ثارت مشكلة توزيع الأراضى وملكيتها فى الأراضى المفتوحة .

لما فتح المسلمون بلاد فارس أطلقوا على الأراضى الزراعية الخصبة فيما بين دجلة والفرات « أرض السواد » وقد اختلف الصحابة الأجلاء فى أمر هذه الأرض ، فرأى بعضهم أن تقسم الأراضى كما يقسم الفىء تطبيقاً لقوله تعالى :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١٣) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٠٤ .

(١٤) انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٠١ .

(١٥) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٥٢ .

﴿ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(16)

وكان رأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وباقى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أن الأرض لا تقسم ؛ بل تبقى ملكاً لبيت مال المسلمين ينفق منها على شئونهم من كان حاضراً منهم ومن يأتى من بعد تطبيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾(17) .

ولما احتدم الخلاف احتكموا إلى عشرة من المهاجرين أقروا عمر بن الخطاب على رأيه ، وهكذا ترك عمر ـ رضى الله عنه ـ أرض السواد لملاكها على أن يدفعوا عنها الخراج لبيت مال المسلمين الذى يكفل للمسلمين جميعاً فى أى مكان كانوا على ظهر الأرض حياة حرة كريمة ، وفى ذلك قال عمر ـ رضى الله عنه ـ قولته المشهورة التى تعتبر أساساً لنظام الضمان الاجتماعى فى الإسلامى ، وهى : « قد أشرك الله الذين يأتون بعدكم فى هذا الفىء فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شىء ، ولئن بقيت ليبلغن الراعى بصنعاء نصيبه فى هذا الفىء »(18) .

ولما فتح أبو عبيدة بن الجراح الشام طلب إليه الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أن يوزع عليهم الأراضى الزراعية كما فعل الرسول ﷺ بأرض خيبر ، فأبى عليهم ذلك وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يستشيره ، وقد رد عليه عمر ـ رضى الله عنه ـ متمسكاً برأيه الذى نفذه فى أرض السواد ، وزاد فى تفسير قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ **أنهم ولد آدم الأحمر والأسود منهم .**

ثم قال : « فأقر ما أفاء الله عليك فى أيدى أهله ، واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين ، ويكونون عمار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليها »(19) .

وقد حدث نفس الأمر بعد أن فتح عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ مصر حيث قام الزبير ابن العوام ـ رضى الله عنه ـ فقال « ياعمرو أقسمها فأبى فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله خيبر » .

فكتب عمرو بن العاص إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ فرد عليه بنفس ما رد به على أبى عبيدة فيما يتعلق بأرض الشام وكان مما قاله : « أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة » أى دع الأرض فى يد أهلها من المصريين ، وافرض عليها الخراج ، يكون دخلًا لبيت مال المسلمين ، ينفق منه عليهم جميعاً ، لاعلى الحاضرين منهم فقط ، بل ومايخلفون من ذرية ، يغزو منها فى سبيل الله أولاد الأولاد . وهكذا .

يتبع

(16) سورة « الحشر » الآية 7 .

(17) سورة « الحشر » الآية 10

(18) كتاب الخراج لأبى يوسف ص 24 .

(19) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد ص 59 .

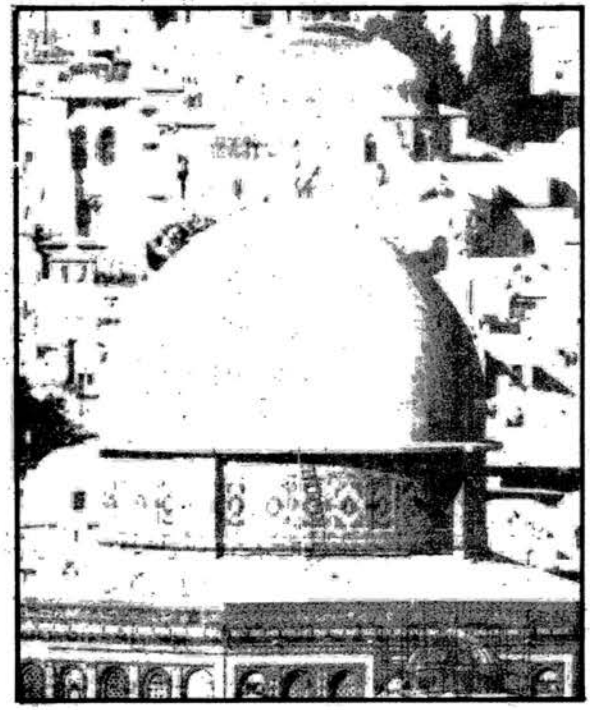

المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة

أ.د محمود حمدى زقزوق (*)

١ ـ تمهيـد :

لكل أمة مقدسات تلتف حولها ، وتحافظ عليها ، وتعتز بها ، وتضعها فى المكان الأرفع من اهتماماتها ، وتحميها ، وتدافع عنها بالأنفس والأموال ، وقد تكون هذه المقدسات ذات صبغة دينية أو وطنية أو غير ذلك ، وقد يكون لها أصل معروف ، وقد يكون هذا الأصل مجهولا تماما ، ولكن تقديسها قد توارثته الأجيال جيلا بعد جيل . فالمهم لدى الأمة ـ أى أمة ـ أن يكون لها مقدسات لا يسأل أحد عن أصلها وفصلها ، أو يشك فيها وإلا اعتبر خارجا عن الجماعة ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمقدسات دينية لها لدى أصحابها النصيب الأوفى من التقدير والإجلال . ولا توجد أمة فى هذا الكون بدون مقدسات تعرف بها وتكون علامة عليها .

والمقدسات قد تكون متمثلة فى أماكن معينة أو أزمنة مخصوصة ، أو أشياء محددة ، أو نصوصا مكتوبة .

٢ ـ المقدسات الإسلامية :

وقد اختص الله الأمة الإسلامية بالعديد من المقدسات ، وعلى رأسها « القرآن الكريم » الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و« السنة النبوية الصحيحة » ، هذا فى مجال النصوص الدينية ، يضاف إلى ذلك أماكن معينة وأزمنة مخصوصة ، فمن الأزمنة : شهر رمضان ، وليلة القدر ، ويوم الجمعة ، ومن الأماكن :

(*) الكاتب : عميد كلية أصول الدين ـ وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

مكة ، والمدينة ، والقدس ، و المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة ، والمسجد النبوى فى المدينة ، والمسجد الأقصى فى القدس الشريف .

ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بجعل الأمة الإسلامية صاحبة مقدسات تختص بها ، وتكون علامة عليها ؛ بل جعلها وارثة لمقدسات ديانات التوحيد جميعا وقد تمثل ذلك فى رحلته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من المسجد الحرأم إلى المسجد الأقصى .

فقد جعل الله هذه الرحلة تربط بين [عقائد التوحيد الكبرى] من لدن إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ إلى محمد خاتم النبيين ، وجعلها فى الوقت نفسه تربط بين الأماكن المقدسة [لديانات التوحيد] .

وكأن الله سبحانه قد أراد برحلة الإسراء والمعراج إعلان وراثة النبى الخاتم لجميع مقدسات الرسل من قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا . ومن ذلك يتضح أن هذه الرحلة ترمز إلى معان عظيمة تعلو على الزمان والمكان(١) .

والله سبحانه وتعالى هو الذى منح التقديس والتكريم للمقدسات التى تعتز بها الأمة الإسلامية ، فهو الذى قدسها وبارك فيها وحولها ، ومن هنا كانت الإشارة فى القرآن الكريم إلى الشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، و [المشعر الحرام] ، والأشهر الأربعة الحرم ، والكعبة ، البيت الحرام ، والمسجد الأقصى الذى باركه الله وبارك حوله . وهكذا كل مقدسات الإسلام ، استمدت قد استها منه ـ سبحانه وتعالى ـ فهو ـ وحده ـ القدوس ، وهو ـ وحده ـ الذى يمنح التقديس .

وليس من غرضنا هنا فى هذا الحديث القصير أن نتحدث عن كل المقدسات الإسلامية وإنما نريد فقط أن نقصر حديثنا على أحد هذه المقدسات الإسلامية وبالتحديد على المسجد الأقصى .

٣ ـ تحديد مفهوم المسجد الأقصى :

المسجد الأقصى كما هو معروف لدى جميع المسلمين هو ثالث الحرمين الشريفين ، وقبلة المسلمين الأولى ، وهو نهاية إسراء المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بداية المعراج إلى الملأ الأعلى ، وهو فوق ذلك كله المسجد الذى شرفه الله وبارك حوله ، كما جاء فى القرآن الكريم فى أول سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ .

والبركة التى عنتها هذه الآية الكريمة هى ـ كما يقول [المفسرون] ـ : بركة دينية تتمثل فى النبوة والشرائع والرسل الذين ضمهم هذا المكان المبارك ؛ فكان مُتَعَبَّدًا للأنبياء وقبلة لهم ، وبركة دنيوية تتمثل فى كثرة الزروع والثمار والأنهار(٢) .

وقد حشد الله لنبيه ليلة الإسراء فى المسجد الأقصى جميع الأنبياء والرسل فاجتمع بهم ، وتحدث إليهم وأمهم فى الصلاة ، وبذلك آلت إليه

(١) فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ـ مجلد ٤ ص ٢٢١٢ ـ دار الشروق .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن للألوسى جـ ١٥ ص ١١ دار إحياء التراث العربى .

الخلافة للرسالات جميعا ، وجعل الله القرآن الذى أنزله على محمد ﷺ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وجعل المؤمنين به شهداء على الناس .

وقد اتفق العلماء ـ كما يقول الفخر الرازى ـ على : أن المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس[٣] ، وسمى بالأقصى لأنه ـ كما يقول الزركشى ـ صاحب (إعلام الساجد بأحكام المساجد) : يعد أبعد المساجد التى تزار ، ويبتغى بها الأجر من المسجد الحرام ، وقيل : لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، وقيل : لبعده عن الأقذار والخبائث . وقد ذكر الزركشى سبعة عشر اسما للمسجد الأقصى منها : بيت المقدس ، وبيت القدس ، والبيت المقدس ، ومسجد إيلياء[٤] .

تفسير مريب مضطرب :

وهناك تفسير غريب لما يقصد بـ (المسجد الأقصى) أشارت إليه الموسوعة الإسلامية الميسرة التى كتبها المستشرقون . ويقول هذا التفسير[٥] :

لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يقصد بالمسجد الأقصى ـ فى الغالب ـ مكانا فى السماء ، ويبدو أنه ذلك المكان الذى تسبح فيه الملائكة بحمد ربهم فى أعلى السموات السبع ، والآية الأولى من سورة الإسراء تقدم لنا دليلا من النبى [صلى الله عليه وسلم] نفسه على الإسراء به ليلا إلى الأفلاك السماوية وهو دليل يكتفى بالإشارة إلى التجربة ولكنه لا يقول عنها شيئاً .

وتمهيدا لهذا التفسير الغريب تقول هذه الموسوعة : أن المقصود بالمسجد الأقصى طبقا للتفسير التقليدى هو بيت المقدس ، وتشكك الموسوعة فى ذلك قائلة : ولكن كيف أمكن لمحمد [صلى الله عليه وسلم] الذى يتحدث فى الآية الأولى من سورة الروم عن فلسطين بأنها أدنى الأرض أن يطلق اسم المسجد الأقصى على حرم واقع فى بيت المقدس ؟ أن العصر الذى ينتمى إليه هذا التفسير ليس مؤكدا تماما ولا يتعدى التفسير التقليدى للمسجد الأقصى ببيت المقدس إلى أبعد من العصر الأموى ، حيث اتجه الأمويون ـ كما تزعم الموسوعة ـ إلى تعظيم بيت المقدس على حساب أرض الإسلام المقدسة فى مكة .

والإشارة إلى مثل هذا التفسير الغريب ، إشارة لئيمة تريد أن تحول أنظار المسلمين عن تقديسهم لبيت المقدس فى فلسطين إلى مكان ما فى السموات ، وبذلك لا تكون لهم أية حقوق دينية فى بيت المقدس .

وفى مكان آخر من الموسوعة المذكورة نجد ما ينقض هذه المزاعم بطريق غير مباشر حيث يقول كاتب مادة مسجد عند حديثه عن المسجد الأقصى (ص ١٠٧٥) : « وعلى أى حال كان بيت المقدس يعتبر فى الإسلام منذ زمن مبكر جدا مكانا مقدسا ، إذ كان القبلة الأصلية التى ظلت تحتفظ بقداستها برغم الانصراف عنها كقبلة ،

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٠ مجلد ١٠ ص ١٤٧ ـ دار الفكر ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ص ٢٧٧ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥ هـ .

(٥) الموسوعة الإسلامية الميسرة جـ ٢ ص ٧٨٦ ، ١١٠٣ ـ ترجمة راشد البراوى مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥ ، مع الرجوع إلى النسخة الألمانية .

وهو ما يمكن أن نراه مثلا من حقيقة أن عمر أمر ببناء مسجد فوق موقع المعبد » .

وهكذا تتخبط هذه الموسوعة وتناقض نفسها بنفسها ، الأمر الذى يغنينا عن الاشتغال بالرد عليها .

وعلى الرغم من أن كتاب الأمان الذى أعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذا الاسم ، وقد يكون فى ذكر هذا الاسم فى وثيقة الأمان تطييب لخاطر أهل البلد وسكانها ، وخاصة أنه اسم غير مستنكر ؛ لأن معناه « بيت الله » ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان المسلمون فى حياة النبى ﷺ يعرفون تسميتها أيضاً « ببيت المقدس » . فقد روى البخارى ومسلم والإمام أحمد : أن النبى ﷺ قال :

« لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى (بيت المقدس) قمت فى الحجر ؛ فجلَّى الله لى بيت المقدس ؛ فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » .

ويشتمل صحيح البخارى على أحد الأبواب بعنوان « باب مسجد بيت المقدس »[٦] ، ومن ذلك يتضح أن تسمية بيت المقدس قديمة قدم الإسلام ذاته .

مساحة الحرم :

وتقدر مساحة الحرم القدسى الذى أطلق عليه المسجد الأقصى بحوالى ٢٦٠٦٥٠ مترا مربعا ، يضمها : سور بلغ طوله فى الناحية الشرقية ٤٢٤ مترا ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترا[٧] .

والمقصود بالمسجد الأقصى فى القرآن الكريم جميع ما أحاطه السور ، وفيه الأبواب ، ويشمل المسجد المعروف الآن : بالمسجد الأقصى ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما[٨] ، ولم يكن هناك عند نزول الآية الكريمة بناء معروف بالمسجد الأقصى ، ولا بناء آخر معروف بمسجد الصخرة المشرفة ، ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصى ، وإنما سمى فى الآية الكريمة بالمسجد لأنه مكان العبادة . ولذلك فإن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ لما جاء القدس عام الفتح فى السنة السابعة عشرة للهجرة استشار كعب الأحبار : أين يقع المسجد ؟ فقال له كعب : اجعله وراء الصخرة فقال له : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر المسجد وهو المسجد المعروف بالعمرى الآن .

وقد بنى عبدالملك بن مروان المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى .

وقد أجمع المؤرخون والعلماء على الاتفاق على إطلاق المسجد الأقصى على ما دار عليه السور وفيه الأبواب ، وهو الذى كان معروفا عند الإسراء والمعراج ، ولذلك فإن إقدام الصهاينة على الصلاة فى ساحة المسجد بحجة أنه بعيد عن المسجد الأقصى ؛ فيه اعتداء صارخ على التاريخ وعلى حرمة المسجد الأقصى المبارك ، وانتهاك لمقدسات المسلمين .

لقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يصلى

---

(٦) راجع : بيت المقدس فى الإسلام ص ٥٠ وما بعدها ــ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩ م .

(٧) راجع : مقدساتنا الإسلامية : قبة الصخرة والمسجد الأقصى للدكتور عبدالرحمن زكى ص ١١ ــ من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ١٩٦٧ .

(٨) بيت المقدس فى الإسلام ص ١١٤ / ١١٥ .

داخل كنيسة القيامة عندما أدركته الصلاة على الرغم من أن رئيس الأساقفة قد سمح له بذلك ، ولكن عمر امتنع خشية أن يدعى المسلمون بعد ذلك أن لهم حقا فى ذلك المكان بسبب صلاة عمر فيه . فأين هذا الذى فعله عمر من ذلك الذى يفعله الصهاينة اليوم فى القرن العشرين ؟[(٩)] .

٤ ـ فضل المسجد الأقصى :

وهذا المكان المبارك الذى باركه الله ، وبارك حوله ، والذى تعبد فيه الأنبياء له مكانة عظيمة ، ومنزلة كبيرة فى قلب كل مسلم . فقد جعله الإسلام أحد المزارات الإسلامية المقدسة التى لا تشد الرحال إلا إليها كما ورد فى الحديث الشريف :

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى »[(١٠)] .

وهذه الخصوصية التى اختصت بها هذه المقدسات الثلاثة تمتد أيضا لتشمل أفضلية الصلاة فيها على غيرها من المساجد . فقد روى ابن ماجه عن أنس مرفوعا أن النبى ﷺ قال :

« صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » .

وهناك روايات أخرى فى مقدار فضل الصلاة فى المسجد الأقصى . والحق أن الخلاف الواقع بين هذه الروايات لا يؤثر على جوهر الموضوع . فالمهم هو زيادة الثواب للمصلى الذى يصلى فى هذه المساجد الثلاثة التى من بينها المسجد الأقصى .

وترجع أقدمية المسجد الأقصى إلى أعماق التاريخ . وهذا ما يؤخذ من الحديث الشريف الذى رواه الشيخان عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله ، أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل »[(١١)] .

ويقول الزركشى فى كتابه « إعلام الساجد » بصدد الزمن الذى بين بناء المسجدين : « إن سليمان ـ عليه السلام ـ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديدة لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن اسحق ـ صلوات الله عليهما ـ بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر » .

وقد روى النسائى وابن ماجه فى سننهما عن رسول الله ﷺ أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأله الله ثلاثا فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة :

سأله مُلْكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطىء حكمه (وفى رواية حكما يصادف حكمك) فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت ـ يريد بيت المقدس ـ لا يريد

(٩) راجع : مكانة القدس فى الإسلام للشيخ عبدالحميد السائح ص ٣٨ وما بعدها من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩م .

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١١) راجع أيضا : المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح للشيخ عبداللطيف مشتهرى ص ٣٤ / ٣٥ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩ .

إلا الصلاة فيه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله ﷺ : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة(١٢) .

٥ ـ تحويل القبلة ودلالاته :

وقد كان المسلمون فى مكة يتجهون فى صلاتهم نحو بيت المقدس ، فقد أخرج الإمام أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان النبى ﷺ وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة كان يصلى نحو « بيت المقدس » ستة عشر شهرا ، ثم صُرِفَ إلى الكعبة .

وكان اليهود بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة وصلاته نحو بيت المقدس قد فرحوا بهذا التوجه نحو بيت المقدس ؛ ظنا منهم أنه بذلك يتبع ملتهم ؛ ولكنهم بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بدءوا فى السخرية من المسلمين بهذا التحويل . والقرآن الكريم يقول فى هذا الصدد :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾(١٣) .

سورة البقرة

ولم يكن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة تحولا عن تقديس بيت المقدس ولا نكوصا أو هجرانا . فقد ظل المسجد الأقصى أحد المزارات الثلاثة المقدسة فى الإسلام التى لا تشد الرحال إلا إليها . كما أن هذا التحول لم يكن محاولة للتخلص من التأثير اليهودى المزعوم على الإسلام كما يزعم الزاعمون ، وإنما كان إيحاء إليها باكتمال ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة ـ بيت المقدس وإقليمه والكعبة وإقليمها ـ وفى هذا الربط إيحاء روحى بالمحافظة على تلك الأماكن المقدسة وبالتضحية فى سبيل تطهيرها من عبادة غير الله ، ومن سلطان غير المسلمين(١٤) .

٦ ـ مدى اهتمام المسلمين بالمسجد الأقصى :

وقد أبدى المسلمون اهتماما عظيما بالمسجد الأقصى عبر التاريخ بوصفه أحد المقدسات الإسلامية ، ولم يكن فتح المدينة المقدسة هو أول فتح إسلامى لها . فقد فتحها رسول الله ﷺ قبل الفتح العملى لها وذلك برحلته المباركة إليها ليلة الإسراء ، وكان هذا يعد إيذانا للمسلمين بعدم التخلى عنها . وقد شهدت المدينة المقدسة منذ تم فتحها فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ شهدت عهدا جديدا من الاستقرار والسلام لم تشهد له مثيلا فى تاريخها الطويل .

ويروى الحافظ بن كثير فى (البداية والنهاية) : أن « عمر » حين دخل بيت المقدس صلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ فى الأولى بسورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه ، وفى الثانية بسورة الإسراء . وبعد ذلك جاء إلى الصخرة المشرفة ، فاستدل على مكانها من كعب الأحبار ثم نقل التراب وأزال القاذورات عن

(١٢) راجع : إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ .

(١٣) بيت المقدس فى الإسلام ص ٦٢ وما بعدها .

(١٤) من توجيهات الإسلام للشيخ شلتوت ص ٤٥١ ، طبعة الأزهر ١٩٥٩ .

الصخرة المشرفة ، وجعل يكنسها بيده ويحملها فى ردائه وجعل المسلمون يحذون حذوه ويكنسون معه[١٥] .

وقد تتبع المسلمون مساجد الأنبياء مسجدا مسجداً ؛ ابتداء من مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس ، فأعادوا بناءها وحافظوا على قدسيتها وطهروها من كل الأدناس . فمقدسات الأنبياء جميعاً هى مقدسات المسلمين . وقد غلب على المدينة بعد الفتح الإسلامى اسم بيت المقدس وهى التسمية التى يفضلها المسلمون ؛ لأنها تعنى أن تكون هذه المدينة مقدسة طاهرة خالصة لله - تعالى - يؤمها المؤمنون جميعا للعبادة والتطهير .

وقد كانت عناية المسلمين بالمدينة المقدسة عناية فائقة لعدة أسباب :

أولا : لأن الله قد اختصها بالعديد من الأنبياء ابتداء من إبراهيم إلى عيسى - صلوات الله عليهم أجمعين - وقد ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ، ما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبى أو قام فيه ملك » .

ثانيا : لأن الله - سبحانه وتعالى - قد خصها بإسراء سيدنا محمد ﷺ فكانت نهاية رحلة الإسراء وبداية رحلة المعراج .

ثالثا : لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

رابعاً : لأن المسلمين كانوا يعدون هذه المدينة الثغر الذى يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر الرسول ﷺ ، ولذلك فإنه عندما استقر بهم الأمر جعلوا نصب أعينهم حماية هذا المكان الطاهر لقداسته من جانب ؛ ولدرء الأخطار المحتملة على الأماكن المقدسة الأخرى من جانب آخر[١٦] .

٧ - خاتمة :

لقد سجل تاريخ هذه المدينة المقدسة أنها قد نعمت فى ظل الحكم الإسلامى بالاستقرار والسلام مدة ثلاثة عشر قرناً باستثناء قرن واحد تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء عليها وعلى أجزاء من فلسطين . وفى هذه الفترة الإسلامية الطويلة أطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء[١٧] .

ولن نتحدث هنا عن الإنجازات الحضارية والعمرانية التى قام بها المسلمون فى المدينة المقدسة طوال حكمهم الطويل ، ولن نتحدث عن سماحة المسلمين الرائعة فى معاملتهم لأعدائهم ؛ فهذا حديث يطول شرحه . ولكننا نود فى نهاية حديثنا أن نذكر فقط بواجب المسلمين اليوم إزاء المسجد الأقصى الذى غدا أسيرا فى يد العدو الصهيونى الغاصب .

إن الصليبيين عندما أشعلوا على مدى قرنين من الزمان نار الحرب الاستعمارية التى سموها كذبا « حربا صليبية دينية » ؛ اشترك فى الدفاع عن

البقية صـ ٥٢١

(١٥) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير جـ ٧ ص ٥٥ وما بعدها - مكتبة المعارف بيروت .

(١٦) بيت المقدس فى الإسلام ص ٩ - ١١ .

(١٧) بيت المقدس فى الإسلام ص ١١ .

الإسلام يحرر الإنسان

بقلم أ.د محمد شامة

استقر فى أذهان جميع الشعوب والأمم أنهم خلقوا من أب واحد ، هو : آدم ، وأم واحدة ، هى : حواء وكان سبب هذا الإجماع راجعاً إلى ورود قصة الخلق فى تراث كل الشعوب .

وكان من مقتضيات الاشتراك فى مصدر الخلق أن يشترك الناس جميعاً فى الصفات والعادات والتقاليد ، فتتوحد أفكارهم وميولهم ، ويتشابه سلوكهم ، فلا تنافر فى نشاطهم ، وتعارض فى نظرتهم للحياة ، بل تناغم وانسجام ، وتوافق ووئام .

لكن الواقع يناقض ذلك : فمن اختلاف فى الأشكال والهيئات ، إلى تعارض فى الأفكار والميول ، ومن تناقض فى المشارب والاتجاهات إلى تناحر فى الغرائز والملكات ... حتى أصبح من النادر جدا ـ بل يكاد يكون من المستحيل ـ أن يتفق اثنان اتفاقاً كاملا فى أى صفة من صفات الإنسان ، فضلا عن اتفاق الشعوب والجماعات ؛ فاختلاف الناس وتباينهم لازم من لوازم الحياة الإنسانية ، بل إنه كما يذهب بعض العلماء ـ ضرورى فى الأشكال والهيئات ، حتى لا تضطرب الحياة ، إذ لو خلق الناس جميعاً نسخة واحدة فى الصورة والملامح ، لأصبح التمييز بين شخص وآخر عسيرا ، فتضيع الحقوق ، وتختلط المصالح ، مما يحول الحياة إلى فوضى لا ضابط لها ، ويغرقها فى غياهب من الظلمات الحالكة ، حيث لاشعاع يحدد معالمها ، ولا وميض من نور يقود مسيرتها ، ويمكن أن تتصور ارتباك الحياة واختلاط الأمور ، لو خلق الناس جميعاً نسخة واحدة ، عندما تمعن التفكير فى الطريقة التى تمكنك فى هذه الحالة من أن تعرف زوجتك من الآخريات ، وأن

تتعرف على أصحابك وأصدقائك ومن يتعاملون معك فى جميع نواحى الحياة ... هيهات ... بل إن ذلك من المستحيل ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ... ﴾ (1)

أى خلقكم مختلفين فى الهيئة والصورة واللون ، وجعلكم متباينين فى الأعراق والأجناس ، ليعرف كلٌّ منكم الآخر ، بما تميز به فى شكله وصورته وهيئته ، وبما اختلف به عنه فى لونه وجنسه ، وشعبه .

كذلك كان الاختلاف فى الأفكار والرؤى ضروريا ؛ فلو اتفق الناس فى تصوراتهم للحياة ، وتطابقت أفكارهم فى التعامل مع الطبيعة ، واتحدت رؤاهم حول أسلوب واحد فى مجال النشاط الإنسانى ، لجمدت الحياة عند مستوى الصورة الأولى لحياة الناس على هذه الأرض ، ثم لظل - من بعد ذلك - هائماً على وجهه فى الغابات والوديان يأكل من الأشجار ، ويشرب من مجارى المياه الطبيعية ، أى يحيى على ما تجود به الطبيعة من تلقاء نفسها عليه ، فلا تغيير ولا ابتكار ، بل انكماش وتقوقع ، لأن شرارة الابتكار تنبعث من احتكاك الأفكار المختلفة ، ويأخذ التغيير طريقه فى حياة الإنسان من ثنايا التنوع فى الأفكار والرؤى ، وتُبنى الحضارات من رحم تصارع الآراء ، فلا حضارة لقوم ظنوا أن الاتفاق واجب مقدس ، أو اعتقدوا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فطفقوا يحاربون أصحاب الأفكار الجديدة ، ويتعقبون كل من ينادى بالابتكار والتغيير .

ظاهرتان أساسيتان فى انتظام حياة الإنسان وتجددها :

الأولى : تباين الناس فى أشكالهم وصورهم حتى لا يختلط الحابل بالنابل ، فيعرف كل واحد قرينه وصديقه ومن يتعامل معه ، ويميزهم عن غيرهم ، فتستوى الأمور ، وتتحدد الواجبات والالتزامات ، ويُعَرف كلٌّ بصفاته وملامحه ، فينضبط وقع الحياة ، وتنتظم نغماتها .

ثانياً : اختلاف فى القدرات الذهنية والملكات الفكرية ، حتى لا يصبح الناس صورة مكررة فى مجال الفكر والنظر ، تؤدى إلى جمود فى الحياة ، وعجز عن الابتكار والتغيير اللذين هما أساس بناء الحضارات ؛ فلو جمد الناس على صورة واحدة ، وحاربوا التغيير ، وأجهضوا كل ابتكار فكرى ما وجدت الحضارات على وجه الأرض ، ولأصبحت حياة الإنسان على هذه البسيطة شيئاً آخر ، مختلفاً كل الاختلاف عما نعيشه ونتمتع به الآن ، فالاختلاف الفكرى سنة الله فى الأرض ، وهو لازم من لوازم الحياة البشرية ، وضرورى لاستمتاع الإنسان بما خلق الله فى الكون .

ثم كان الاختلاف فى العقيدة ، إذ هى تَصوُّر لما يمكن أن يُعين الإنسان على مواجهة أخطار الطبيعة وتقلباتها ، وتخيُّل للقوة التى تساعده عند الشدائد ، وتلهمه الطريق الذى يؤدى به إلى النجاح ، ويحفظه من الفشل ، ولما كان التصور عملية فكرية - تختلف قدرتها من إنسان لآخر ،

---

(1) الحجرات : ١٣

وتتنوع عناصرها طبقاً لخصائص الشعوب الفكرية ، وأسلوبها فى الحياة ، ودرجتها على سلم الحضارة ـ اختلفت صورة هذه القوة ، بين عبادة لقوى خفية ، ترمز إليها الأشجار والأحجار ... إلى تقديس للأشخاص والأرواح ... إلخ ... إلخ ... حتى اهتدى أناس بتفكيرهم المتيز عن الآخرين ، وبملكاتهم الفكرية المتفوقة على أقرانهم إلى معبود واحد لا شريك له ؛ إذ لولا الاختلاف والتنوع فى مجال الفكر ، لظل الإنسان على عقيدة بدائية ، ولو لم يباشر الإنسان حقه فى حرية التفكير ، لظل أسيرا ، مكبلا بترهات العقلية البدائية ، وتصورات الإنسان البدائى الذى كان نشاطه مقيدا بكم كبير من الطقوس والتعاويذ ، فلا يقدم على عمل إلا باستشارة القوى الخفية ، التى كانت ـ ولازالت فى مناطق عدة من المجتمعات الإنسانية ـ مسيطرة سيطرة تامة على عواطفه ووجدانه ، فهو خاضع فى كل حركاته وسكناته للأشباح والأرواح ، توجهه فى أحلامه ورؤاه ، وتحدد له أسلوب حياته وطريقة معيشته .

يقول الأستاذ « نساو Nassau » :

عاش الإنسان فى العصور السحيقة تحت أوهام وخرافات حدت من انطلاق فكره ، وجمدت ملكاته الذهنية فى إطار نوع من التقاليد والعادات الدينية ، يعيش طبقاً لطقوسها ، ويتحرك حسبما تملى عليه من الدلائل والإشارات ، فقد انحصرت مدركاته العقلية فى استجلاء أفعال القوى الغيبية التى كان يشعر أنها تحيط به من كل جانب ، ومن طبائع هذه القوى ـ حسب اعتقاده ـ أنها لا تُرى ولا تُدرَك بالحواس ، كما أنها لا تكشف عن نفسها إلا فى ظواهر ، قد تكون واضحة قوية الدلالة ، كثيرة الورود أو قليلة ، ومن هنا تَعيَّن على البدائيين أن يعرفوا كيف يميزونها ويجمعونها ويفهمونها . ومن الظواهر التى ساعدتهم على معرفة ما يتصورونه عن هذه القوى الغيبية :

« الأحـــلام »

إذ « من المعلوم أن العالم المرئى والعالم غير المرئى يكونان فى نظر العقلية البدائية عالما واحد ، فالاتصال عندهم مستمر بين ما نسمية بالحقيقة الحسية ، وبين القوى الغيبية . ولكن هذا الاتصال لا يحصل بصورة أتم وأصرح إلا فى الأحلام ، حيث ينتقل المرء فيها من أحد العالمين إلى الآخر ذهابا وإيابا دون أن يشعر ، وهذا فى الواقع هو تصور البدائيين المعتاد للحلم : تترك الروح الجسم الذى تحل فيه مؤقتا وتذهب فى بعض الأحيان بعيدا جدا لتتحدث مع الأرواح والأموات ، وإذا ما استيقظ الشخص رجعت إليه ، وأخذت مكانها فى جسمه ، لذلك إذا منعها سحر ، أو حادث آخر من دخوله ثانية فقد يصاب صاحبها بمرض يتبعه الموت ، وفى بعض الأحيان تأتى أرواح الأموات نفسها ، أو بعض القوى الأخرى لزيارة روح الحالم أثناء نومه .

وهكذا يعمل الحلم على مد البدائيين بمعلومات لا تقل قيمتها ، بل قد تزيد على قيمة المدركات التى يحصلون عليها أثناء اليقظة ، وهم يقبلونها قبولهم للمدركات الأخرى دون أن يحتاجوا فى ذلك إلى الفلسفة الطبيعية التى يعزوها إليهم .. « تيْلر » ومدسته . ولكنهم ليسوا ضحايا خداع سيكولوجى فاضح كما يدعى البعض ، بل يعرفون جيداً كيف يميزون بين الحِلم ومدركات اليقظة ،

ويعلمون أنهم لا يحلمون إلا حين ينامون . غير أنهم يؤمنون إيمانا تاماً بأن الأحلام تضعهم في علاقة مباشرة مع القوى التى لاترى ... »[٢] »

كتب « السدن بست Elsdon Best » يقول :

قالت لى هذه السيدة العجوز ذات يوم : يمكننى الاعتقاد بكل سهولة أن الناس الذين يموتون فى سن الهرم يعودون إلى شبابهم فى « الرينجا Reinga » ، فقد ذهبت إلى « الرينجا » فى الليلة الماضية « تعنى أنها حلمت » ورأيت فيها « كير يويرا Kiriuwera » (امرأة عجوز ماتت حديثا) وكانت عليها سيماء الجمال والشباب الغض ، وإذا قال أحد الأهالى : بأنه كان فى « الرينجا » فى الليلة الماضية ، فإنه يعنى أنه رأى حلما :

حكى لى رجل مسن يقول : كنت فى « الرينجا » فى الليلة الماضية ، ورأيت فيها صديقى العجوز الذى مات منذ زمن طويل ... وقد عرفت من هيئته أن الجو سيكون صحوا فى الغد .. » وقد لاحظ « كولسيو Koleso » الملاحظة نفسها حيث يقول : « إنهم يعتقدون فى حقيقة الأحلام ، ولديهم منها أنواع كثيرة ، منها الحسن ومنها السيء ... وهم مقتنعون بأن الأحلام عبارة عن ذكريات ما رأوا فى « الرينجا » (عالم غير مرئى ، وهو مقر الأموات) حيث تذهب الروح أثناء نوم الجسم »[٣] .

بل إنهم كانوا يعتبرون ما يرونه فى أحلامهم حقائق لا يتطرق إليها شك ؛ حدث فى أفريقيا الاستوائية أن رأى أحدهم فى المنام أنه قام برحلة ، فاعتبر أنها وقعت بالفعل فى عالم الحقيقة فلبس الملابس الأوروبية وجلس على باب عشته ولما سئل عن ذلك قال : إنه حلم فى الليلة الماضية أنه زار البرتغال وانجلترا ، وبعض الأقطار الأخرى ، ولذلك لبس الملابس الأوربية بمجرد أن استيقظ من نومه ، وقال لرعاياه : إنه آت من بلاد البيض ، وكان على من يأتون لرؤيته من شيب وشبان أن يصافحوه مهنئين بسلامة العودة[٤] .

وقد سجل العلماء والباحثون كثيراً من هذه الروايات التى توضح أن الإنسان البدائى لم يكن حراً فى حياته ، بل كان مقيداً بتعاليم القوى الغيبية ، التى كانت تأتيه عن طريق الطقوس التى فرضتها عليه عادات المجتمع وتقاليده . ولم يكن أحد يستطيع الخروج عما تعارف عليه القوم ، وخاصة ما كان متعلقا بالقوى الغيبية ؛ لأنها تسيطر على حياة المجتمع ، وتوجه أفراده إلى ما تحب وترضى ، فلا حرية له فى الصيد والقنص ، بل يتبع ما تمليه عليه هذه القوى الغيبية ، ولا إرادة له فى مأكل ومشرب ، بل يتناول ما تسمح له به مما حوله ، وبما تسمح له من طريقة حركاته وسكناته ، وأسلوب اتصاله بمن حوله ، بما فيها قيامه بواجباته الزوجية فهو (مبرمج) سلقا ، أو يوجه آنيا عند الطلب من ظواهر ومدركات أملته عليه هذه القوى ، حيث سلم نفسه لإرادتها وتوجيهاتها .

ومن يطلع على ما جمعه الرحالة والباحثون عن طبيعة حياة لهذه القوى الخفية الإنسان البدائى ،

---

(٢) ليفى بريل : العقلية البدائية ص ٥٧ ــ ٥٨ .

(٣) ليفى بريل : العقلية البدائية ص ٩٩ ــ ١٠٠

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣

لا يجد لهذا الإنسان ذرة من حرية ، فلا إرادة له ، بل هو خاضع خضوعا كليا ، وليس من حقه أن يفعل ما يحب ، بل هو مضطر لتنفيذ توجيهات القوى المتسلطة عليه ، ولم يستطع أحد الفكاك من هذه القيود ، اللهم إلا بضعة أفراد ، هداهم تفكيرهم إلى إظهار نوع من التمرد على هذه المعتقدات ، وتحملوا فى سبيل ذلك ألوانا من العذاب والاضطهاد ، أشتد عليهم أحيانا حتى أزهق أرواحهم ، وسقط تحت وطأته كثير من أتباعهم . وقد ظهر على امتداد التاريخ البشرى كوكبة من المصلحين والمفكرين ، دعوا إلى تصحيح مسار الفكر الإنسانى ، وجاهدوا فى سبيل تحرير الإنسان وتنويره فكريا وعقديا ... حتى نهضت الإنسانية من سباتها وتخلصت من قيودها ، فعرفت معنى الحرية ، وذاقت لذة التفكير ، فيما حولها ومن حولها ، فأدركت أن العقل محور الوجود ، يدرك به الإنسان الظواهر ويحللها ، ويستنتج ما يساعده على التخطيط والتدبير لمسيرة الحياة ، بحيث يتمكن الإنسان من الاستمتاع بحياة على نحو يجنبه مسالك الهلاك ، ومهاوى الدمار ، ويبعده عن دروب العذاب والمعاناة ، سواء كان ذلك عاجلا أو آجلا .

كان على رأس المصلحين والمفكرين الذين قادوا مسيرة النهضة فى المجتمع الإنسانى :

« الأنبيـــاء والرســـل »

بقية ص ٥١٦

الإسلام والعروبة حينذاك المسلمون على اختلاف طوائفهم . فقد اشترك « الفاطميون والسلاجقة والأيوبيون والمماليك والعرب » فى الدفاع عن حصون الإسلام ، وظلت الحرب سجالا إلى أن قيض الله « صلاح الدين الأيوبى » للقيام بشرف تحرير بيت المقدس من الغاصبين ، وأظهر من السماحة والعفو والصفح وجميل المعاملة ما يسجله له التاريخ بحروف من نور .

والتاريخ اليوم يعيد نفسه . فالمسجد الأقصى أسير فى يد عدو غاشم لم يتورع عن إضرام النار فيه قصد إحراقه عام ١٩٦٩ . ومقدسات المسلمين هى شرفهم وعرضهم . والواجب الدينى ينادينا أن نوحد صفوفنا ، ونجمع كلمتنا ، وننسى خلافاتنا ، وننسق خططنا ، ونضاعف مساعينا ونعمل جاهدين بكل الوسائل المتاحة لنا سلما أو حربا من أجل استعادة مقدساتنا ، وتحرير بيت المقدس من ذل الأسر المهين .

ولعلنا فى هذا الصدد نتذكر قول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله ـ عز وجل ـ وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس »(١٨) .

والله نسأل أن يوفق الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وعزها ومجدها حتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها أن تكون .

وبالله التوفيق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١٨) أخرجه الإمام أحمد عن أبى أمامة الباهلى . (راجع أيضاً : المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص ٣٦) .

الإسلام والمرأة والتاريخ

بقلم/ عبير عبد الواحد

تمهيـد :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين .

وبعـد :

فإن الإسلام ليس ديناً قومياً ليكون تشريعه خاصا بمحيط قومه ، ولكنه دين عالمى للناس جميعا ، وتلك الحقيقة معروفة معلومة من العديد من آى الذكر الحكيم ، وبخاصة قوله ـ تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام ـ ١٩ ، وقوله ـ عز من قائل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ـ ١٥٨ .

من أجل ذلك كان تشريع الإسلام للناس جميعا ، فإذا كان ثمة بحث عن المرأة وعطاء الإسلام ، فينبغى ألا يقتصر الباحث على أحوال المرأة فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وما كانت من وضع تَعِسٍ بائس ؛ بل يجب أن تكون نظرة الباحث شاملة جامعة ـ عن يقين ـ لأوضاع المرأة فى العالم كله قبل الإسلام ؛ لنتبين جلال تشريع هذا الدين ووسطيته وفى ضوء هذه الأوضاع نلمس حقوق المرأة التى جعلها المولى ـ عز وجل ـ حقوقا لها فى أى مكان ـ كانت ـ وأى زمان . وهذا ما قامت بدراسته الباحثة .

المرأة فى الهند .. نظرة تاريخية

كانت المرأة الهندية ـ فى هذه العصور القديمة ـ على ما كانت عليه من جمال ـ أحط منزلة من الرجل ؛ فقد اعتبرها قومها **من جنس غير جنس الرجل** ، وهذا ما تعبر عنه إحدى الأساطير الهندية ؛ حيث تقول :

إن « تواشترى ـ المبدع الإلهى فى عقيدتهم ـ حين أراد فى البداية أن يخلق المرأة وجد أن مواد الخلق قد نفدت كلها فى صياغة الرجل ، ولم يبق لديه من العناصر الصلبة بقية ، فإزاء هذه المشكلة طفق يصوغ المرأة من القصاصات والجذاذات التى تناثرت من عمليات الخلق السابقة ، يختار قصاصة من هنا وجذاذة من هناك !!!

وجاء فى (قصة الحضارة)(*) : (لم يكن للمرأة فى الهند إلا أسوأ الحظوظ ، فترى الروح العامة فى « تشريع مانو » موجهة ضدها فى

(*) ول ديورانت ، قصة الحضارة ـ الهند وجيرانها ، ترجمة/ زكى نجيب محمود ، ص١٧٨ .

عبارات تذكرنا بمرحلة أولى من مراحل اللاهوت المسيحى)[*] .

« **إن مصدر العار هو المرأة ، ومصدر العناء فى الجهاد هو المرأة ، ومصدر الوجود الدنيوى هو المرأة** ، وإذا فإياك والمرأة » .

وفى فقرة أخرى « **إن المرأة لا تقتصر قدرتها على تضليل الأحمق** عن جادة السبيل فى هذه الحياة ، **بل هى كذلك قادرة على تضليل الحكيم** ، فهى تستطيع أن تمسك بزمامه ، وأن تخضعه لشهوته أو لغضبته » .

كذلك نص (تشريع مانو) على أن المرأة طوال حياتها ينبغى أن **تكون تحت إشراف الرجل** فأبوها أولا وزوجها ثانيا ، وابنها ثالثا .

المرأة الهندية زوجة : كانت الزوجة الهندية بمثابة **العبد لا لسيدها وإنما لإلهها ــ أى زوجها ــ** [نعوذ بالله العلىّ الأعلى]ــ فكانت تخاطبه فى خشوع قائلة له : « يامولاى » و« ياسيدى » و« ياإلهى » ..!!! وهى تمشى خلفه ــ بمسافة ــ إن مشيا على مرأى من الناس ، **ويبلغ من إذلالها أنه قلما يوجه إليها كلمة واحدة !!**

وينتظر من المرأة أن تبدى إخلاصها بخدماتها فى كل المواقف : بإعدادها للطعام ، **وبأكلها لما يتبقى بعد أكل زوجها وأولادها ، وبضمها لقدمى زوجها** إذا حانت ساعة النوم .

يقول مانو : « **إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها كما لو كان إلهاً ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه ، مهما تكن حالته ، حتى إن خلا من كل الفضائل** »[1] .

أما الزوجة التى تعصى زوجها فمآلها أن تتقمص روحها (جسد آوى) فى خلقها التالى[2] **وللشاب أن يتزوج من زوجات كثيرات** ، لكن واحدة منهن فقط تكون لها السيادة على الآخريات .

والزوجة أحد ثلاثة أشخاص لا يجوز لهم أن يملكوا شيئا .. والشخصان الآخران هما الابن والعبد ، فكل ما يكسبه هؤلاء يصبح ملكاً لسيد الأسرة على أنه **يجوز للزوجة أن تحتفظ بملكية المهر والهدايا** التى جاءتها عند زواجها ، كذلك **يجوز لأم الأمير أن تحكم البلاد فى مكان ابنها حتى يبلغ الرشد .. ومن حق الرجل أن يطلق الزوجة لخيانتها الزوجية ، لكن الزوجة لاتستطيع أن تطلق زوجها لأى سبب من الأسباب** .. وفى مقدور الزوج إذا ما شربت زوجته الخمر أو إذا مرضت أو إذا شقت عليه عصا الطاعة أو كانت مسرفة أن شكسة ، **أن يتزوج من غيرها فى أى وقت شاء (لا أن يطلقها)** .

ويروى لنا سترابو أن عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها كانت شائعة فى الهند أيام الاسكندر[3] وأن قبيلة « كاثى » ــ وهى قبيلة تسكن البنجاب ــ اتخذت من هذه العادة قانونا حتى لاتدس زوجة لزوجها السم فتقتله .. ولقد عارضها (البراهمة)[4] أول الأمر ، لكنهم عادوا فقبلوها ، وأخيرا خلعوا عليها قداسة دينية تحميها

(*) انظر فصل الخطيئة وعلاقتها بالمرأة . فيما يأتى .

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص ١٧٩ .

(٢) طبقا لعقيدة التناسخ المنتشرة فى أديان الهند .

(٣) كانوا يحرقون جسد الزوجة فى حفرة من الأرض ، أو يدفنونها حية ، كما كان يحدث بين قبيلة « تلوج » فى الجنوب .

(٤) رجال الدين الهندوسى .

من العبث ، وذلك بأن جعلوها مرتبطة بأبدية الرابطة الزوجية : فالمرأة إذا ما تزوجت رجلا كان عليها أن تظل زوجته إلى الأبد ، وستعود إلى الارتباط الزوجى به فى حيواته المقبلة(٥) ، وهذه الملكية المطلقة من الزوج لزوجته اتخذت فى « راجستان » صورة ما يسمونه « جوهور » وهى [أى جوهور] عادة تقضى على الرجل من أهل « راجبوت » إذا ما أصابه نوع معين من الهزيمة **أن يضحى بزوجاته قبل أن يتقدم هو إلى الموت فى ساحة القتال !!!**

وفى « فيجاياناجار » كان قتل الزوجة هذا يتخذ صورة جمعية ، فلا يُكتفى فيه بقتل زوجة واحدة أو عدد قليل من زوجات الأمير أو القائد بعد موته ، بل **كان لابد لكل زوجاته أن يتبعنه إلى الموت** ، ويروى لنا « كونتى » أن « الرايا » أو الملك قد تختار ثلاثة آلاف من زوجاته البالغ عددهم اثنى عشر ألفا ، ليكن مُقْربات له « على شرط أن يحرقن أنفسهن مختارات عند موته ، وإن ذلك ليعد شرفاً عظيماً لهن » .

وأخـذت « السوتى » ـ أى (عادة قتـل الزوجة بعد موت زوجها) ـ تقل شيئا فشيئا كلما ازدادت الهند اتصالا بأوروبا ، إلا أن الأرملة لاتزال تعانى صعابا كثيرة ، فمادام الزوج قد ربط المرأة بزواجه منها رباطا أبديا ، **فإن زواجها مرة ثانية بعد موت زوجها كان يُعد جريمة فادحة ، ومن نتائجه أن يحدث للزوج اضطرابا فى حيواته المقبلة [على ما يعتقدون]وعلى ذلك كان لابد للأرملة وفق القانون البرهمى أن تظل بغير زواج ، وأن تحلق شعرها** (إذا لم تؤثر لنفسها القتل فى نار زوجها) معنية بأطفالها ومشتغلة بأعمال البر والإحسان ، والرأى عند الهنود هو أن العذرية الثانية التى تصطنعها الأرملة عندهم شبيهة بامتناع الراهبات فى المسيحية عن الزواج .

وهكذا نرى أن الزوجة **عند الهنود محكوم عليها بالموت بعد زواجها** .. وإن اختلفت وسيلة الموت : **ففى العصور السابقة كانت تحرق أو تدفن حية** ، وفى العصور التالية لها يحكم عليها بإهدار كيانها الأنثوى وهى على قيد الحياة **فلا تتزوج بعد وفاة زوجها** .

المرأة الهندية والتعليم : لم يكن نساء الهند يتلقين تعليماً قبل العصر الحديث إلا إن كن من سيدات الطبقة الراقية أو من (زانيات) المعبد ، ففن القراءة كان فى عرفهم لا يليق بامرأة ، ذلك لأن سلطانها على الرجال يقوى به ، **ثم هو يؤدى إلى نقص فتنتها .. وليس من حقها أن تلم بـ (كتب الفيدا)**(٦) ، ففى الماهابهاراتا : « **إذا درست المرأة كتب الفيدا كانت هذه علامة الفساد فى المملكة** »(٧)

ـ يقول ديورانت : هذا يذكرنى بموقف رجال الدين المسيحى فى العصور الوسطى ولكراهتهم لتربية المرأة تربية عقلية ، وبقرار البرلمان الإنجليزى فى عصر الملك هنرى الثامن ملك انجلترا الذى يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد لأنها تعتبر نجسة(٨) . فالأفكار هنا متشابهة ، وكلها تهدف إلى منع المرأة تنمية قدراتها العقلية وذلك حتى تظل متخلفة وتابعة ذلول للرجل .

---

(٥) أى إذا حدث أن تناسخ أكثر من مرة على ما يؤمنون .

(٦) كتب الهند المقدسة فى عقائدهم .

(٧) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص١٧٩ .

(٨) أحمد عبد العزيز الحصين ، المرأة ومكانتها فى الإسلام ص١٨ .

حقوق للمرأة فى تشريع مانو :

ولنا أن نعجب كل العجب إذا ألقينا نظرة على هذه الحقوق فى تشريع (مانو) ثم رددنا الطرف إلى الواقع ؛ ففى (تشريع مانو) لا يجوز ضربهن « حتى بزهرة » ولا يجوز مراقبتهن مراقبة تجاوز الحدود فى صرامتها ، لأن دهاء مكرهن عندئذ يجد سبيلا للشر ، وإذا أحببن جميل الثياب فمن الحكمة أن تشبع فيهن ما أحببن « لأن الزوجة إذا حرمت أنيق الثياب فلن تثير فى صدر زوجها ميلا إليها » . ويجب أن تخلى الطريق للمرأة كما تخليه للكهول والكهنة » ، والواجب أن يطعم « الحاملات والعرائس والكواعب قبل سائر الأضياف » ، ولئن فات المرأة عندهم أن تحكم باعتبارها زوجة ، فلها أن تحكم بوصفها أماً ، وإن كانت المرأة أماً لأطفال كثير ، استحقت عند الناس أعظم العطف والتقدير . فتشريع مانو ينص على أن « الأم أولى بالتوقير من ألف والد » .

غير أن واقع الأمر فى حياة الهند لم يجعل لهذه التعليمات قيمة وفقدت الممارسة إلا قليلا فى بنات الطبقة الأولى . وإذا كانت هذه هى حياة المرأة عامة فى الهند ، فما بالنا بحياتها فى الطبقة الدنيا ــ (طبقة المنبوذين) تلك الطبقة التى حُرم رجالها من كافة حقوق الطبقة العليا ــ طبقة الكهنة ومن فى مستواهم ــ فهل يكون للمرأة أى حق فى هذه الطبقة .

نظرة شاملة :

نتبين مما مر بنا :

● أن المرأة الهندية ــ قديما ــ لم تكن تعتبر آدمية ؛ إذ ليست من جنس الرجل .

● ثم هى مصدر العار والعناء ، ولها قدرة على تضليل الحكيم والأحمق .

● عليها أن تخدم زوجها كما لو كان إلهاً ــ والعياذ بالله ــ ولو خلا من كل الفضائل ؛ فإنها تابعة ذلول ، ويبلغ من إذلالها أن زوجها قلما يوجه إليها كلمة واحدة .

● كذلك لا يجوز لها أن تملك شيئا غير مهرها ، والهدايا التى قدمت لها عند زواجها ، وبما أنها ــ عموما ــ لا تملك ؛ فليس لها ذمة مالية .

● تأكل ما تبقى من طعام زوجها وأبنائها ، وعليها أن تضم قدمى زوجها ساعة النوم .

● ليس لها حق الطلاق مما حاف بها من ظلم ، ولزوجها أن يطلقها إذا عصته أو سكرت أو مرضت . وله أن يتزوج غيرها فى أى وقت شاء ، ولا يطلقها .

● إذا استثنينا العصر الحديث ، واستثنينا كذلك سيدات الطبقة الراقية ، و(زانيات) المعبد ؛ فإن المرأة الهندية لا حق لها فى التعليم اطلاقا ؛ لأنه ينقص من فتنتها ، كما يزيد من سلطانها على الرجال ، وبالتالى فقدت القدرة على قراءة كتبهم الدينية .

● تشريع (مانو) ذو الحقوق الطيبة للمرأة كان حبرا على ورق فى حياتها .

● على ما فى تشريع (مانو) من حقوق لها ؛ فإن هذا التشريع نفسه يخضعها لاشراف رجل عليها كل حياتها .

البقية صـ ٥٥١

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

سـؤال :

أراد رجل مستطيع أن يعين شاب بمبلغ من المال قدره عشرة آلاف جنيه على أن يسترده بعد سبع سنوات بدون أن يشاركه فى مشروعه أو تجارته فأشترى الشاب بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه أشياء عينيه وبالباق ما سيتاجر به .

على من تجب الزكاة فيهما .. وهل فى الثلاثة آلاف جنيه زكاة ؟

وقد اقترح الرجل على أن يعطيه الأموال بما يوازيها ذهب وأن يسترد منه الأموال ذهب أو ما يوازيها أموال وذلك لتغيير قيمة النقود مع مرور الزمن .

الجـــواب

الأموال التى دفعها الرجل وقدرها ١٠ آلاف جنيه ليعين بها الشاب وعلى أن يسترد هذا المبلغ بعد سبع سنوات دون أن يشاركه فى مشروعه أو تجارته .

فإذا ما حان الوقت لاسترداد المبلغ المذكور وقدره ١٠ آلاف جنيه . فإن المبلغ يرد له كما هو أو قيمته ذهبا لا يزيد ولا ينقص مهما طال الزمن أو قصر لأنه أعطاه إلى الشاب على سبيل القرض لا على سبيل المشاركة فى مشروع أو تجارة . ومن ثم فلا زيادة ولا نقصان .

أما الزكاة فإنها تجب على المقرض لأنه صاحب المال وما دام المال المقترض مضموناً استرداده فإن فى الثلاثة آلاف جنيه زكاة . فإن الزكاة تجب فيما فضل عن حاجة المسلم ومن يعوله حتى بلغ هذا الفائض نصابا وهو ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب مع حولان الحول عليه وأن تكون ذمته بريئة من الديون التى للعباد . ومقدار الزكاة من النقود ٢,٥٪ وهو ربع العشر مع ملاحظة أن يكون مقداره ٨٥ جراما من الذهب عيار ٢١ بالسعر الحالى فيضرب

السؤال :

ما حكم الشرع فى زيارة مولد سيدى العالم الجليل أبى الحسن الشاذلى ... ؟

حيث أن مولده يكون فى موسم الحج ويعتقد بعض السذج أن أربع زيارات لهذا المولد متتالية تعادل حجة خاصة وأنهم يقفون يوم عرفه على جبل هناك يسمى (حميثره) .

افيدونا افادكم الله ...

قيمة الجرام فى ٨٥ ويكون الناتج هو المبلغ المسمى بالنصاب الشرعى الذى يخرج عليه الزكاة ربع العشر مع باقى الشروط المنوه عنها .

أما حكم الشرع فى زيارة أبى الحسن الشاذلى الخ ما ورد بالسؤال المنوه عنه فإنه ينطبق عليه حكم مشروعية زيارة القبور التى هى مستحبة لأنها للعظة والاعتبار وتذكر الموت وأهوال الآخرة وانتفاع الموتى بالدعاء والاستغفار لهم والترحم عليهم ، ففى « الحديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة » رواه الترمذى وصححه . وكان عليه الصلاة والسلام يزور قبور شهداء أحد كل حول مرة ويسلم عليهم ويزور قبور أهل بقيع الفرقد بالمدينة مرارا ويسلم عليهم ويدعو لهم ويقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم وأحمد وابن ماجه .

ومن آداب الزيارة أن يزورها الإنسان قائما مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم على أهل القبور ولا يمسح القبر ولا يمسه فضلا عن أن يقبله ويدعو عنده لهم قائما بما علَّم رسول الله ﷺ . وقد كان ابن عمر يجىء إلى قبر الرسول ﷺ فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى وينصرف .

وفى المغنى : ولابأس بالقراءة وقد روى عن أحمد أنه قال إذا دخلتم المقابر فاقرءوا آية الكرسى وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قولوا : اللهم إن فضله لأهل المقابر .

هذا هو بعض ما ورد بشأن زيارة القبور أما غير ذلك مما ورد بالسؤال المنوه عنه من الاعتقادات بشأن زيارة إلى الحسن الشاذلى فإنه لم يرد نص ولم يقل به أحد من الفقهاء والله يهدى إلى سواء السبيل .

السؤال من السيد ع . ع . ج

ابنة خالى رضعت معى ورضعت معها . وأخى الأكبر يرغب فى الزواج منها . وفارق السن بينهما خمس سنوات .

فما حكم الإسلام إذا تزوج أخى بها ؟ أفيدونا أفادكم الله

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأنه برضاعك مع ابنة خالك سواء كانت الرضاعة من أمها أو من أمك وكانت خمس رضعات متفرقات فإنها تحرم عليك ولا يجوز لك أن تتزوج بها وإذا كانت ابنة خالك قد رضعت من والدتك خمس رضعات متفرقات فإنها تصير بنتاً لها وتحرم على كل أبنائها فلا يجوز لأخيك أن يتزوج بها لأنها أخته ــ أيضاً ــ من الرضاعة وإذا لم ترضع الفتاة من أمك فإنها تحرم عليك ولا تحرك على أخيك لأنه لا مانع شرعاً من أن يتزوج الإنسان من أخت أخيه من الرضاعة والله أعلم .

السؤال من السيد الدكتور : عبدالله حسن حنبل

هل يجوز التفريج بين القدمين فى الصلاة وما مقداره ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :ــ

بأن من السنة تفريج القدمين حال القيام بحيث لا يقرن بينهما ولا يوسع إلا بعذر (كسمن) ونحوه وقد اختلف فى تقديره فى المذاهب .

وقد قدر الحنفية التفريج بينهما بقدر أربع أصابع فإن زاد أو نقص كره .

الشافعية قدروا التفريج بينهما بقدر شبر فيكره أن يقرن بينهما أو يوسع أكثر من ذلك كما يكره تقديم أحداهما على الأخرى .

المالكية ـ قالوا تفريج القدمين مندوب لا سنة . وقالوا المندوب هو أن يكون بحالة متوسطة بحيث لا يضمهما . ولا يوسعهما كثيرا حتى يتفاحش عرفا . وافقهم الحنابلة على هذا التقدير إلا أنه لا فرق عند الحنابلة بين تسميته مندوبا أو سنة . علما بأن المحازاة المسنونة فى الصلاة تكون بالمناكب وليست بالأقدام . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد ع .ن .أ من أسوان

امرأة ورثت الربع من زوجها بعد وفاته ، وماتت وتركت هذا الربع ، ولها أخوان شقيقان من أب وأم ، ولها أخ وأخت من أمها ، ولم تنجب .

فما نصيب كل من الأخوين الشقيقين ، والأخ والأخت من أمها . حيث إن الأخت من الأم ماتت قبلها بأربعين عاما . فهل ترث فى التركة أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله

الجـــــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد ، فنفيد بأن تركة هذه المتوفاة عبارة عن الربع الذى ورثته من زوجها زائد ما كانت تمتلكه حال حياتها يوزع على ورثتها الشرعيين وهم الأخ لأم وله السدس فرضاً لعدم من يحجبه والباقى للأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ولا شىء للأخت لأم لوفاتها قبل المورثة هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد : حمودة محمد مهدى

أعمل فى شركة ، ويطلب منى شراء بعض السلع خارج نطاق عملى فأشتيرها من مالى الخاص بسعر فيه تخفيض خاص بى ، ثم أعطيها لصاحب الشركة بعد إضافة المبلغ الذى تم تخفيضه لى .

فهل يجوز لى أخذ هذا المبلغ الذى هو فرق السعر بين شرائى أنا ، وشراء صاحب الشركة فيما لو أشترى هو بنفسه ؟ علما بأن هذا الفرق يوازى ٣٠٪ وما الحكم ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا كانت الشركة هى التى طلبت منه شراء هذه الأشياء فلا يحل له أخذ زيادة عما أشترى به ، لأنه أمين ووكيل عن الشركة فلا يحل له فرض السعر . خصوصا وأنه استغل اسم الشركة وأشترى باسمها .

أما إذا كان قد أشترى لنفسه دون طلب من الشركة أو تكليف فإن ما اشتراه يكون ملكا له وبيعه بأى سعر يشاء ويكون ربحه فى ذلك حلالًا لأن هذا يكون من باب التجارة والله تعالى أعلم ..

الشعر والشعراء
تقديم الأستاذ
رشاد يوسف

خواطر على أرض الرسول

شعر/ البسيوني قنعان

مازلت حلما فى الجفون أقاما — عامٌ يُقرِّبه ، ويُبعِد عاما !!
العين نازحة إليك ، ومهجتى — ظمأى ، وقلبى هام فيك ، وهاما ..
حتى غدوت حقيقة ، وأرى الحقا — ئق خيرها ما حقَّق الأحلاما
ولكم بكيتُ على البعاد ، فكيف بى — فى القرب أبكى حرقة وأواما
ووددت لو أشفى الفؤاد بلحظة — ما بال شوق زاد حين أقاما
كم عانقتْ عيناى من فرط الجوى — أرض الرسول ، وكم فؤادى حاما
وكم استعاد القلب سالف عهدها — والوحى ينزل ، والهوى يتسامى
ورأى رسولَ الله فى أرجائها — يبنى النفوس ، ويلهم الإلهاما

يا هذه الارض التى هى فى دمى — مذ كنت طفلا ، والهوى يتنامى
والروح طافت ألف ألف بالحمى . — بالبيت ، قبل طوافنا أجساما
وطرقت بابك بكرة ، وعشية — وبعثت قلبى يقظة ، ومناما
وشربت حبك فى الرضاع ، وجدتى — تحكى لنا عن مجدك .. الأياما
والأزهر المعمور بثك فى دمى — طفلا ، وشيخا يافعا ، وغلاما
فأنا ابن هذا الدين لا أنا حائد — عنه ، ولا عن حوضه أتحامى
وقبلتى آى الكتاب ، وأسرتى — طـه الأعز أبوة ومقاما
ومعلمى (ياسين) لا أرضى به — بدلا ، ولا أرعى سواه إماما
أنا ضيف (مائدة) الكتاب ، وربها — رب الكرام ، وخيرهم إكراما
إن تاه عقلى فى الظلام (فالبضحى) — و (الفجر) ما عاد الظلام ظلاما
أوضاع حكم فى الدجى من خاطرى — فـ (النور) تملأ خاطرى أحكاما
أو غام عرف فى الزحام فإننى — أجلو من (الأعراف) ما قد غاما
ولئن ظمئت إلى البلاغة والحجى — لشربت من (فرقانه) الإلهاما
وإذا أحاطتنى العدا بسهامها — صوَّبت من بأس (الحديد) سهاما
وإذا الخطوب علىَّ شنت حربها — ألفيت فى (الكهف) الرحيم سلاما

يا قارئي إن شئت تعرف من أنا   انا فى كتاب الله قلب هاما
أنا شارب لا يستفيق ، وظامىء   لا يرتوى ، أنا حالم ما ناما
أنا سابح فى موجه ، أنا غارق   فى بحره اللجىّ مهما عاما
أنا ذائب فى روحه ، وأنا صدى   من صوته ، أنا منه معنى حاما
أنا قبسة من هدْيه ، أنا ومضة   من نوره ، أنا منه سرٌّ داما
فصَلْت منه مذاهبى ، ولبست منه شمائلى ، وأقمت حيث أقاما
روح أنا ، منه استمدّت نورها   عقل أنا ، فيه استطار غراما
أنا من غذاه الذكر من آياته   وسقيت من فيض الحديث غماما
أنا من براه الله محض مشاعر   وحباه رب العالمين هياما
فرأيت حبى للكتاب . وربه   ورسوله حقا علىّ لزاما
فنسجت أبياتى بأرض المصطفى   وغرست شعرى حولها أعلاما

أرض الرسول وأنت أنت على المدى   أرضى . وعنك أخذت ما يتسامى
أنّى توجهنا إليك وجوهنا   كنا سجودا أو نكون قياما
ما تمّ دين ، أو تكامل مؤمن   إلا إذا صلّى عليك وقاما
ومشى عليك مكبّرا ومهلّلا   وملّبيا يلقى إليك زماما
مهوى الفؤاد إليك كل مشاعرى   وشعائرى ، والقلب فيك أقاما
يا مهبط الروح الأمين ، ومنزل   الوحى العظيم تحية ، وسلاما
يا هذه الأرض التى حملتُ إلى   كل البرية رحمة وسلاما
يا هذه الأرض التى قد خصّها   رب العباد بأن تكون حراما
يا هذه الأرض التى برسولها   أضحى العظام من الأنام عظاما
يا هذه الأرض التى هى أمنا   جئناك نهرع لائذين يتامى

أبناء أرض المصطفى حياكم   رب العباد ، وزادكم إكراما
ضيف أنا ، ولقد حللت بداركم   فوجدت أبناء الكرام كراما
هل تسمحون بأن أقدّم شاعرا   فى أرض حسّانٍ أصوغ كلاما
أنا من يبيع الماء (للسقا) ، ومن   يشرى لصناع السهام سهاما
ما كنت احسب أن دهرى جاعلى   فى أرض (طرفة) أنشد الأقواما
وأقوم فى أرض الرسول معلما   أشبالها ، ما أسعد الأعواما
فى ساحة (الدؤلى) أعرض نحوه   وأفصّل الإعراب والإبهاما
وبأرض (سحبان) أدرس خطبة   وأعلّم التنقيط والإعجاما
وأروض فى دار الخليل عروضه   وأرى الطويل ببحره قد عاما

هو الإحسان فالزم

للشاعر/ رمضان أبو غالية

إذا ماكان من قولى ، وصدق ... فإنى طالب منك السماحا !
وإن كان الذى فى الوجه .. يبدو ... على شوق له ؛ يسعى ارتياحا
فخذه .. تذكرا ؛ فلديك منه ... معان ، لست أدركها .. نجاحا
فأنت .. كما بَرَاك الله .. سر ... ولا أستطيع للسر اجتياحا
ولكنى وجدتُ ، خلاص نفسى ... ونفسك ؛ فى الذى فى القول ، فاحا
ذر الإخلاص فى مسعاك يجرى ... فيروى فى جوانبك الصلاحا
وتبسق فيك أشجار العطايا ... معطرة ، وتمتد .. انشراحا
فلا تبقى بأرض ، أنت فيها ... فسادا ، بات غيبا ، أو صراحا
وكن كالشمس ، تعطى كل حى ... يباكرها .. بإشراق .. صباحا
لأن الله سخرها ، بفضل ... لخدمتنا .. غدوا ، أو رواحا
وما عرفت رواحا ، أو غدوا ... وما سئمت .. على دأب .. كفاحا
وفى كلِّ حياة .. لست تدرى .. ... ولكنَّ الذى يدرى .. أتاحا ..
وأعطى الشمس سرا ، فى وجود ... بهذى الأرض ، يشبعها .. طماحا
وثق يا صاحبى ، أنى بهذا ... أناجى فيك .. أرجاء ، فساحا
هو الاحسان ، فالزم ، فهوْ معنى ... إذا ما نلته ؛ نلت الفلاحا !
وسل من لا يرد دعاء خير ... لنا ، فى كل ما ضاق انفساحا
فَضَيِّقُنَا .. إذا لم تلق منه ... عليه العون ؛ يقتلنا .. جراحا !
وإنى .. رغم كثرة ما ترانى ... أناجى الله .. أخشى الافتضاحا
ومن يستره ربك ؛ فهو ناج ... ولو أن الذُّنا ، ملئت .. جماحا !!

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس :

طلبنا النور فى القبر فوجدناه فى قيام الليل .

وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن .

وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

وطلبنا البركة فى الرزق فوجدناها فى صلاة الضحى .

الشمس .. والقمر

قيل لأعرابى : الشمس أحسن أم القمر ؟

فقال : القمر أحسن ، والشمس أجْهر .

فقيل : وكيف صار القمر أحسن ؟

قال : لأن العيون عليه أكثر .

رجل يسكن المقابر

روى أن أحد الملوك مر بمدينة تملكهَا سبعة ملوك هلكوا جميعاً فقال : هل بقى من نسلهم أحد ؟

قالوا : نعم ، رجل يسكن المقابر فدعاه فأتاه ، فقال : ما دعاك إلى لزوم المقابر . قال : أردت أن أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء .

قال : هل لك أن تتبعنى فأحيى شرفك ، وشرف آبائك إن كانت لك همة ، قال : همتى عظيمة ، قال : وما هى ؟ قال : حياة لاموت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى لا فقر معه ، وصحة من غير سقم ، وسرور من غير مكروه .

قال : هذا ما لاتجده عندى .

فقال : دعنى أطلبه ممن هو عنده .

فقال الملك : ما رأيت رجلاً أحكم من هذا ، وخرج وتركه ، فلم يزل فى المقابر حتى لحق بأهله .

« حقــــاً »

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

زَوّجنَاك على ما فى كتاب الله

جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز يخطب أخته ، فتكلم بكلام جاز الحفظ .

فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء – وصلى الله على خاتم الأنبياء .

أما بعد : فإن الرغبة منك دعت إلينا ، والرغبة فيك أجابت منا ، وقد زوجناك على ما فى كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » .

الاستدلال بالضمير على الضمير

كتب حكيم إلى حكيم إذا أردت معرفة مالك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك .

وقالوا : إياك ومن تبغضه قلوبكم فإن القلوب تجازى القلوب .

وقال ذو الأصبع :

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم
ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده
واستمل ما فى قلبه من قلبكا
إن كان بغضا كان عندك مثله
أو كان حبا فازَ منك بحبكا

« غنى .. النفس »

من كان ذا مال كثيرٍ ولم
يقنع ، فذاك الموسر المعسرُ

الموعظة فى ثلاث

قال ابن عباس – رضى الله عنه – : الموعظة فى ثلاث آيات من كتاب الله – تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(1) .

البقرة : ٤٤ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

سورة الصف

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾

هود : ٨٨

أعلم التابعين

قال بعض العلماء :

كان أعلم التابعين « بالطلاق » : سعيد بن المسيب ، و « بالحج » : عطاء ، و « بالحلال والحرام » : طاووس ، و « بالتفسير » : مجاهد ، وأجمعهم لذلك كله : سعيد بن جبير – رضى الله عن الجميع – .

متى يدرك إبليس حاجته ؟

قال إبليس – لعنه الله – : ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه : من استكثر علمه ، ونسى ذنبه ، وأعجب برأيه .

« دعاء »

يا رب ، يا رحيم ، يا رب يا رحيم الطف بى فى قضائك ، ولا تول أمرى أحدا سواك حتى ألقاك .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الرحمة

لصاحب الفضيلة الشيخ

يوسف الدجوى

إعداد وتقديم: د. عبد الفتاح حسين الزيات

الرحمة آصرة من أواصر الترابط الإنسانى ، ولذلك دعا الإسلام إليها ، وحث عليها ، فهى فى كل قلب تقى ، وقد خلق الله القلوب معادن فمن القلوب ، ما هى كالحجارة أو أشد قسوة ، فصاحبها شقى ، قال ـ عليه الصلاة والسلام : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى »(١)

وقال ـ عليه الصلاة السلام : « من لا يرحم لا يرحم »(٢) .

وهناك قلوب عامرة بالرحمة ، مملوءة بالعطف ، تدفع صاحبها إلى البذل والعطاء ، لا تبغى من ذلك جزاء ، ولا شكورا ، إلا رضاء الله ـ عز وجل ـ قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

الإنسان : ٨ ، ٩

ومن ثم فالرحمة عنوان الكمال الذى يجب أن يكون عليه المؤمن ، حتى ينال رضوان الله فى الدنيا والآخرة .

(١) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله .

(٢) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى .

قال الشيخ ـ رحمه الله :

أسمعناك فيما سبق شيئاً عن المحبة وأنواعها . ونريد اليوم أن نذكر لك شيئاً عن الرحمة كنتيجة للمحبة فنقول :

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ؛ وإن الله لا يحب شيئاً مثلما يحب الرحمة والتواضع ؛ ولا يكره شيئاً مثلما يكره القسوة والكبرياء .

وقد ورد فى الحديث الصحيح : « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » . وذِكْر مَن التى للعاقل ها هنا لتغليب الأشرف على غيره . وإياك أن تفهم من ذكرها أنك لست مأموراً إلا برحمة النوع الإنسانى فقط ، فإنك مأمور بالرحمة لكل ذى روح .

وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم : « **فى كل كبد رطبة صدقة** » . وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل هرة حبستها كما فى الحديث الصحيح ، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل هرة ترحمها .

وقد ورد : « **إن الله رحيم ، وإنما يرحم من عباده الرحماء** » ، ويقول الله ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : « **سبقت رحمتى غضبى** » .

وليس ذلك الحنان الذى تراه فى قلوب الآباء والأمهات فى أفراد النوع الإنسانى ، وسائر أنواع الحنان ، مما يسوقهم سوقاً اضطرارياً إلى تعهد الولد ومراعاته فى كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التى تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوماً ضعيفاً أو فقيراً بائساً ، إلا أثراً من آثار تلك الرحمة الإلهية .

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التى حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة . وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التى قامت بها السموات والأرض ، ولا محل ها هنا لتفصيل رحمته تعالى بك وفضله عليك بجرى البحار ، وتفجير الأنهار ، وتيسير الأنوار ، وخلق الليل والنهار ، وإنبات النبات ، وبقية الآيات ، وأنواع النعم المتواترات .

وقد قال ـ تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الروم : ٥٠ ، وبالجملة ففيك من الإنسانية على قدر ما فيك من الرحمة . وعلى قدر ما فيك من القسوة يكون بعدك عن الله ، وانسلاخك من الإنسانية ، فإنك لا تتكمل إلا إذا انفعلت نفسك بالكمالات ومكارم الأخلاق المرة بعد المرة ، وعلى قدر لين قلبك وسرعة تأثرك ، يكون قبولك لتلك الكمالات . وأما ذلك القلب القاسى الذى لا ينفعل ولا يتأثر ، فإنه بعيد من الكمال جدا ، حيث كان غير مستعد للانفعال ولا قابل للنقش فيه .

وإن من القلوب قلوبا ﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ البقرة : ٧٤ ،

ومن كان بهذه الصفة فهو شقى فى الدنيا والآخرة ، ممقوت لدى الله والناس .

وقد قرر الفلاسفة انه قد ينحط إلى دركات هى أسفل من كل المراتب التى فيها أنواع الحيوان ، وإذاً لا يكون إنسانا إلا فى صورته .

وقد قال بعض الحكماء : إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان . وقد أشار ـ سبحانه وتعالى ـ إلى ذلك بقوله :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ سورة التين . ويقول : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ سورة العصر

ولا يمكنك أن تصل إلى درجة الكمال إلا إذا لم تكن من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة .

والخلاصة أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين فى إنسانيتهم ، فلم يفعلوا فعل الوحوش الضارية بإخوانهم وبنى نوعهم .

لو تمت فى النفوس لما التهمت الأمم القوية الضعيفة ، ولما فعلت بهم ما لا تفعله الحيوانات بأضعفها . على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشراهته .

لو تمت الرحمة فى الأغنياء لما مقتهم الفقراء ، ولو تمت الرحمة فى القضاة لما تأخرت القضايا السنين الطوال ، ولالحق أربابها شديد النكال وعظيم الوبال . ولو تمت فيك الرحمة لدعا لك جيرانك وأثنى عليك إخوانك . ولوتمت الرحمة فيك لبذلت النصح للعامة والخاصة إخلاصا لهم وإشفاقا عليهم (والدين النصيحة) . ولوتمت فيك الرحمة لأشفقت على القريب والبعيد ، ورحمت المبتلى والمعافى ، والإنسان وغير الإنسان .

بل نقول : لوتمت فيك الرحمة لكنت من المرحومين الذين يشفقون على أنفسهم فلا يورطونها فى الهلكات ولا يجلبون عليها أعظم الآفات ، ويحرمونها من أفضل أنواع السعادات .

وإجمال القول أنه إذا استقام هذا الأصل للإنسان فى الدين ، استقام له سائره ، ففاز بخير الدنيا والآخرة . فأزل ـ يرحمك الله ـ من نفسك القسوة ، وكن رقيق الفؤاد ولاتكن من غلاظ الأكباد ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

وما أحسن قول ابن حجر المكى فى هذا الموضوع :

ارحم عباد الله يرحمك الذى
عم الخلائق جوده ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر
من رحمة الرحمن جل جلاله

وقول الحافظ ابن عساكر :

بادر إلى الخير ياذا اللب مغتنما
ولا تكن عن قليل الخير محتمشا
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم
فالشكر يتسوجب الإقبال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم
فإنما يرحم الرحمن من رحما

وقال غيره :

من يرحم الخلق فالرحمن يرحمه
ويكشف الله عنه الضر والبأسا

ففى صحيح البخارى جاء متصلا : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » ، ولا بأس أن نذكر لك كلمة وجيزة عما جاء فى السنة من الحث على الرحمة ، فنقول : روى البخارى فى الأدب المفرد وأحمد وأبو داود والترمذى وآخرون عن عبدالله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من**

فى السماء » لك أن تقرأ يرحمكم بالجزم جوابا للأمر ، والرفع على أنه جملة دعائية .

وروى الشيخان هذا الحديث عن أسامة بن زيد بلفظ « **إنما يرحم الله من عباده الرحماء** » .

ومن ذلك ما روياه عن أبى هريرة أنه ﷺ قال : **من لا يرحم لا يرحم** .

وروى أحمد عن جابر : من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له .

ومنها ما رواه الشيخان عن جرير أن رسول الله ﷺ قال : **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** ، وروى الامام أحمد وعبدبن حميد فى مستنديهما ، والطبرانى ، وغيرهم بسند جيد عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون** . وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تنزع الرحمة إلا من شقى .

وعنه أيضا قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن ابن على – رضى الله عنهما – وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : من لا يرحم لا يرحم . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينما رجل يمشى بالطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له تعالى فغفر له ، قالوا يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر . أخرجه الشيخان فى الصحيحين ومالك فى الموطأ .

وعن ابن عمر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش[3] الأرض . أخرجه الشيخان . وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ إن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ، ولا نزغ من شىء إلا شانه . أخرجه مسلم وأبو داود . عن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبى موسى (رضى الله عنه) قال : كان النبى ﷺ إذا بعث أحداً فى بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود .

هذا وقد رأينا لأبى السعود عند قوله – تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النحل : ١٨ ، وما النعمة إلا أثر من آثار الرحمة ، عبارة جليلة تروق ذوى الأفهام ، فأحببنا أن نذكرها لك فى هذا المقام ، لتعرف نعم الله عليك ورحمته بك ، فتجعل شكر تلك النعم التى لا تحصى رحمة عباد الله ، والشفقة على خلق الله ، فكما تدين تدان ؛ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ وهاك عبارة أبى السعود :

« وإن تعدوا نعمة الله » التى أنعم بها عليكم « لا تحصوها » لا تطيقوا حصرها ولو إجمالا فإنها

(٣) خشاش الأرض : هوامها وحشراتها .

غير متناهية ، كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان فى أقصى مراتب الفقر والإفلاس ، ومبتلى بأصناف البلايا وأنواع الرزايا ، فهو بحيث لو تأملته ألفيته متقلباً فى نعم لا تحد ، ومنن لا تحصى ولا تعد ، كأنه قد أعطى كل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الإمكان . وإن كنت فى ريب من ذلك فقدر أنه ملَك مِلك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم ، وأذعنت لطاعته السراة ، وخضعت لهيبته رقاب العتاه ، وفاز بكل مرام ، ونال كل منال ، وحاز جميع ما فى الدنيا من أصناف الأموال ، من غير ند يزاحمه ، ولا شريك يساهمه . بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر . قدر أنه قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم ، فى حالة بلغت منها نفسه الحلقوم . فهل يشترى وهو فى تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجية أو شربة ترويه ، أم يختار الهلاك فتذهب الأموال والأملاك بغير بدل يبقى عليه ، ولا نفع يعود إليه ؟ كلا ، بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان ، وليس فى صفقته شائبة الخسران .. فإذا تلك اللقمة والشربة خير مما فى الدنيا بألف رتبة ، مع أنهما فى طوع يديه ، ينالهما متى شاء من الليالى والأيام .

أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ، ولا خرج منه ما ولج ، والحين قد حان ، وأتاه الموت من كل مكان ، أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد ؟ بل يعطيه وهو لرأيه حامد . فإذا هو خير من أموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها ، مع أنه قد أبيح له كل آن من آنات الليالى والأيام ، حال اليقظة والمنام .

هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء . وإن رمت العثور على حقيقة الحق ، والوقوف على كل ما جل من السر ودق ، فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائعة ، بحيث لو انقطع ما بينه وبين العنايات الإلهية من العلاقات لما استقر له القرار ، ولا اطمأنت به الدار ، إلا فى مطمورة العدم والبوار ، ومهــاوى الهلاك والدمار .

لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس ـ تعالى شأنه وتقدس ـ فى كل زمان يمضى ، وكل آن يمر وينقضى ، من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ، ولا يعلم به إلا العليم الخبير . وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء ، وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول ـ عز وجل .

فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك ، لا تلاحظك العيون بأنظارها ، ولا تطالعك العقول بأفكارها ، شأنك لا يضاهــى وإحسانك لا يتناهى . ونحن فى معرفتك حائرون ، وفى إقامة مراسم شكرك قاصرون . نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك ، والتوفيق لأداء حقوق نعمتك ، لا نحصى ثناء عليك ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك » . إنتهى .

ولنقتصر على هذا ، ولعل فيه مقنعاً وكفاية لمن أراد أن يسعد نفسه وتسعد به أمته . جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنه وكرمه .

من سيرة شيخ الإسلام
مصطفى صبرى

للعالم البوسنوى فضيلة الشيخ/
توفيق إسلام يحيى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه ـ ويتبعه ـ بإحسان إلى يوم الدين .

ولد سماحة الشيخ مصطفى صبرى سنة ١٨٦٩م فى بلدة « توقاد » ، فتح عينه لأول مرة فى بيئة دينية ، وحينما بدأ يميز الأشياء لم ير فى بيئته إلا ما كان جميلًا ، ولم يسمع فيها إلا الكلم الطيب ، ولم يشاهد بين أفراد أسرته إلا ماكان طيباً نقياً من عفة وطهارة ومحبة وتعاون وأمانة ، وعبادة خالصة لله ـ تعالى .

منَّ الله ـ عز وجل ـ عليه بالقدرة على التمييز بين الأمور فى صغر سنه ، وأفاء عليه بالذكاء الخارق والعقل النير ، والذاكرة القوية ، وزوده بحاسة سادسة كان لها أثر فى مستهل حياته ، إلى أن اختاره الله ـ تعالى ـ إلى جواره .. تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره ، وكان أعظم أمانى والده أن يراه من علماء الدين . بدأ يتلقى العلوم فى أول أمره ببلده « توقاد » من (الشيخ أحمد أفندى زولبية زادة) . ولما أخذ قسطاً وافياً من العلوم فى « توقاد » انتقل إلى (القيصرية) الشهيرة بكثرة علمائها فأخذ يتلقى العلوم من العالم الذائع الصيت (الشيخ محمد أمين الدوريكى) الشهير (بداماد الحاج طرون أفندى) أستاذ أستاذه فى (توقاد) . استمر فى تلقى العلوم من أستاذه فى « القيصرية » إلى أن وصل إلى كتاب « التصورات » من شرح (الشمسية) للقطب الرازى . وهنا طلب من أستاذه أن يأذن له بالذهاب إلى الاستانة ، ليكمل الدراسة فى مسجد (السلطان محمد الفاتح) فأذن له .

وفى الآستانة تلقى بقية العلوم على أيدى عالمين فاضلين شهيرين هما : (الشيخ محمد عاطف بك الاستانبولى) ، و (الشيخ أحمد عاصم أفندى الكوملجنوى) الذى كان وكيل الدرس فى المشيخة الإسلامية . وبعد أن عين سماحة شيخ الإسلام مدرساً بمسجد الفاتح ، ولم يكن قد بلغ الثانى والعشرين من عمره زوجه أستاذه «أحمد عاصم أفندى » كريمته .

لم تكن رغبة شيخ الإسلام فى الانتقال إلى مسجد السلطان الفاتح لضعف فى أستاذه بـ « بالقيصرية » فقد كان ندا لفطاحل علماء الآستانة لكن شيخ الإسلام أراد أن يرى مسجد السلطان الفاتح وهو يموج بمئات العلماء الأفاضل وعشرات الألوف من الطلاب الذين وفدوا إلى الآستانة ليرتووا من مناهل العلم والعرفان ما يحقق أمانيهم ، ويشبع ريَّهم فى استيعاب العلوم وتوسيع المدارك ، والتعمق فى فهم خلاف العلماء فى القضايا المتشابهة .

بوصول شيخ الإسلام إلى العاصمة حقق هدفه ؛ لأنه بجانب استيعاب العلوم العربية والشرعية والعقلية يستطيع أن يتعمق فى العلوم الأدبية ــ أيضا ــ حيث ظهرت موهبته فيها بـ «القيصرية» ولم يكن يستطيع أن يحقق أمله فى « الأدب » لصغر محيط القيصرية .

فى فترة وجيزة اشتهر صيته بين العلماء والأدباء والمثقفين وأصحاب المجلات الأدبية الذين أسرعوا إلى الاتصال به ودعوته إلى مَدّ المجلات بأدبياته الرائعة .

نظام الدراسة بالفاتح :

قال لنا سماحة شيخ الإسلام ــ فى إحدى الجلسات :

إن نظام الدراسة فى مسجد السلطان محمد الفاتح لم يكن يختلف عن نظام الدراسة بالأزهر من حيث الحلقات الدراسية داخل المسجد ، يستمر الطالب فى تلقى دروس جميع المواد الشرعية واللغوية والعقلية ثم يعطيه شيخه الإجازة العلمية المسلسلة وهذه الإجازة تؤهل لتولى جميع الوظائف الدينية ماعدا التدريس بمسجد السلطان محمد الفاتح فإن التعيين فيه يتم بعد امتحان تجريه المشيخة الإسلامية .

نظام هذا الامتحان :

إذا احتاج مسجد الفاتح إلى مدرسين تفتح المشيخة الإسلامية باب تقديم طلبات العلماء الذين يجدون فى أنفسهم القدرة العلمية للنجاح فى الامتـ ـن الخاص ، وإذا انتهت مدة تقديم الطلبات يدعى أصحابها إلى الحضور إلى المشيخة وينزلون ضـ ـا عليها طوال مدة الامتحان ، والمشيخة الإسلامية تملك إمكانية إيوائهم مهما بلغ عددهم ، ـطعون عن العالم الخارجى لايزارون ولايزورون .

لما علم شقيق شيخ الإسلام بفتـ هذا الباب جاء على الفور إلى أخيه ، وطلب منه أن يتقدم بطلب ، قال له شيخ الإسلام : ـيف أتقدم أونا لم أكمل بعد بعض المواد الأخيرة .

قال له شقيقه : أنت قادر على النجاح ، وهذا الباب لايفتح إلا بعد سنوات وهى فرصتك ، إن لم تنتهزها لا أنا شقيقك ولا أنت شقيقى .

قال لنا شيخ الإسلام : فكرت ملياً فوجدت أن السقوط فى الامتحان أخف بكثير جداً جداً من قطيعة شقيقى ؛ فقدمت الأوراق اللازمة . وبعد غلق باب تقديم الطلبات كنت داخل المشيخة مع المتقدمين .

بعد غلق الباب وجدت المشيخة أن عدد المتقدمين وصل إلى (٣٠٠) ثلثمائة عالم ، وامتحانهم يحتاج إلى وقت طويل ، لأن مسجد الفاتح يحتاج إلى ثلاثين مدرساً فقط وقرروا بعد تداول الآراء عمل تصفية بامتحان شفهى ، خرج بالتصفية مائتان وأربعون عالماً . وبقى داخل المشيخة ستون عالماً منهم شيخ الإسلام .

نزلت القوائم والمواعيد . كان اسم شيخ الإسلام فى القائمة الأخيرة وهو رجل حر لايحتمل قضاء وقته بين الجدران . وفى أثناء تجواله وجد فى إحدى المكتبات عالماً يحاول أن يلتهم كل المعلومات الموجودة فى كتب التراث الإسلامى ؛ لأن اسمه فى القائمة الأولى . قال له شيخ الإسلام : هل تريد وقتاً طويلًا لتلتهم أكبر كمية من المعلومات ؟ قال : وكيف ذلك . قال : سهل . اسمى فى آخر قائمة ، نتبادل المواعيد بمعرفة المسئولين ، وقد كان .. سُرِرْتُ لخروجى قريباً « من هذا السجن .. » وهو سُرَّ ؛ لأن أمامه وقت طويل للمراجعة . انتهى الامتحان وظهرت النتيجة : نجح ثلاثون من الستين وكان ترتيب سماحة شيخ الإسلام السادس من بين الناجحين ، وعين مدرساً ولم يكمل الثانى والعشرين من عمره .

بعد قليل تزوج من كريمة أستاذه (الشيخ أحمد عاصم أفندى) وكيل المشيخة الإسلامية استقرت حياته ؛ حيث صار له سكن يجد فيه راحته وسكونه ويستجم ليبدأ فى صباح اليوم التالى نشاطه من مراجعة مقالات وكتابتها ، وإجراء نقاش وجدال مع الملاحدة .

انفتاح أبواب الحركة العلمية أمامه على مصاريعها ليضع بصماته فيها

فى اليوم الذى دخل مسجد الفاتح ليجلس مدرساً على أحد كراسيه انفتحت أمامه جميع أبواب الحركة العلمية ، ولم يأت المساء إلا وقد سمع جميع أهل العلم فى الأستانة من مدرسين وطلاب أن مدرساً صغير السن ، واسع الاطلاع ، قادراً على إيصال المعلومات بطريقة واضحة جلس اليوم على كرسى من كراسى المدرسين بمسجد الفاتح ، وفى خلال أيام ذاع صيته واشتهر . فبدأت الصحف والمجلات تطلب منه تنفيذ وعده بمدها بعلمه وأدبه . هكذا بدأ يقتحم ميادين الحركة العلمية والأدبية ، يناقش الأدباء فى الأدب ، ويجادل المنافقين والمرائين والملحدين بحجج قوية تفحمهم ، وتردهم إلى مستوى حجمهم .

ولم يكتف سماحة شيخ الإسلام بمناقشة المذكورين سابقاً فحسب ؛ بل أخذ يناقش بعض العلماء لذين بدأوا يتجهون فى بحوثهم إلى طرق ملائمة مع منهج المستشرقين ، وهو تجاوز الحدود فى ستخدام المجاز فى النصوص الدينية ، وسَمَّاهم شيخ الإسلام مصطفى صبرى : (المجددين فى الدين) . جمع مقالاته هذه فى كتاب تحت اسم « دينى مجددلر » أى : مجدديالدين ، وكان شيخ الإسلام فى نقاشه معهم أشد وأقسى مما كان مع الملحدين ، وكان يقول : نحن على حق ؛ فيجب على باحثينا التمسك فى النقاش والجدال بمعلومات حقيقية مأخوذة من معانى ألفاظ اللغة العربية التى وضعت للدلالة على تلك المعانى بقدر المستطاع .

نقاشة مع كبير علماء الدولة وواعظ الخليفة :

كان شيخ الإسلام مصطفى صبرى ينفعل انفعالًا شديداً حينما يرى عالماً يستخدم فى كتابته ألفاظاً عربية ذكرها القرآن الكريم فيما يتصل بالأحكام الشرعية .

تحدث إلينا فى إحدى الجلسات فقال : إن أولى معاركه من الجدال وقعت بينه وبين أستاذ الأساتذة فى ذلك الوقت وهو المرحوم « الشيخ اسماعيل حقى » واعظ الخليفة السلطان عبد الحميد حيث كان سماحته كتب مقالًا فى إحدى المجلات وذكر فيه لفظى : « شرع » و « تشريع » بدل « قَنَّنَ » و « تَقْنِين » فتصدى له سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى مع صغر سنه ، وحداثة تخرجه قائلًا : إن كلمة « شرع » وغيرها المذكورة فى القرآن الكريم فى حالات تختص بالأحكام الشرعية لها قداستها فلا يصح استخدامها فى حالاتنا الدنيوية ، ثم استطرد قائلًا : وبعد وصولى إلى (مصر) وجدت الكُتَّاب هنا يستخدمون هذه الألفاظ فى حالاتهم الدنيوية ، وفهمنا من لهجته أن يريد أن يقول : إن المصريين أولى منا بالحفاظ على قدسية هذه الكلمات إذا وجدت لها مرادفات .

هذا يدل على أن شيخ الإسلام مصطفى صبرى كان شديد الحرص على تقدير وتبجيل كل م كان له صلة بالدين الإسلامى ولو كان لفظاً واحداً .

ولما اشتهر ووصل صيته إلى الخليفة السلطان عبد الحميد أصدر قراراً بتعيينه أميناً لمكتبة جلالة السلطان بـ (قصر يلدز) . وهنا وجد سماحة الشيخ مصطفى صبرى ضالته ، حيث كانت هذه المكتبة زاخرة بكتب التراث الإسلامى التى توجد فى المكتبات خارج القصر ، لكن قانون حفظ التراث يمنع استعمالها خوفاً من استهلاكها .

اقتحامه ميدان العمل السياسى :

بعد عشرين سنة تقريبا قضاها وفى التدريس ومناقشة الملحدين ومن على شاكلتهم ، وفى مكتبة (قصر يلدز) أميناً لها ، اشتغل بالعمل السياسى من غير أن يطلب ذلك . قام الانقلاب فى الدولة سنة ١٩٠٨م . وصدر قرار بإجراء انتخابات لاختيار أعضاء (مجلس المبعوثان) . فوجىء سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى بأن سكان دائرة « توقاد » عن بكرة أبيهم انتخبوه نائباً عنها .

نشاط شيخ الإسلام داخل مجلس المبعوثان :

كان سماحة شيخ الإسلام فى (مجلس المبعوثان) النجم الساطع فى الخطابة المرتجلة المصوغة فى أساليب أدبية بليغة مدججة بحجج قوية مفحمة ، وكان فى أوج عظمته وأسمى حالاته فى (مجلس المبعوثان) حينما عُرض على الأعضاء مشروع الدستور الجديد لمناقشته تمهيداً لإصداره . ولما جاء دور المادة الخامسة والثلاثين فى المناقشة وهى خاصة بسلطة الخليفة .. حاول الأتراك الجدد نقل هذه السلطة إلى (مجلس المبعوثان) وتجريد الخليفة منها ، بحيث يكون مثل صور بعض الأشخاص المصنوعة من الشمع والمعروضة فى المتاحف . فهم سماحة شيخ الإسلام بخاسته السادسة ـ وقد ذكرنا أمرها فى أول هذا المقال ـ فهم أن الاتحاديين يريدون أن يتخذوا هذه المادة جسراً لتنفيذ مؤامرة كبرى فى المستقبل . ولما جاء دوره فى مناقشة المادة وقف كالأسد الهصور يدافع عن سلطة الخليفة بأسلوب وبراهين واضحة ملجمة ، استغرق دفاعه عن هذه المادة أربع جلسات . نال هذا الدفاع إعجاب كبار أدباء الأتراك وأمير شعرائهم .

والدليل على هذا ، تهنئة أمير الشعراء إلى سماحة شيخ الإسلام حينما تولى المشيخة الإسلامية بعد عشر سنوات قال فيها : أنت كنت شيخاً للإسلام فى قلبى منذ يوم دفاعك الرائع فى (مجلس المبعوثان) .

انضم فضيلة شيخ الإسلام إلى الأعضاء فى (إصدار قرار خلع السلطان) ، وبعد ستة أشهر ندم على ذلك . قال لنا ـ رحمه الله ـ فى إحدى الجلسات : أيدت قرار خلع السلطان عبد الحميد ، وبعد ستة أشهر تبين لى أن (ثقله) فى السياسية كان يساوى ثقل سياسة أعضاء المجلس جميعاً ويزيد ، ثم استطرد يقول : إن الاتحاديين نفوه بعد خلعه إلى قلعة قديمة فى « سلانيك » معزولًا لايزوره أحد ولا تصل إليه أخبار . ولما اقتربت جيوش الحكومات البلقانية من « سلانيك » خافت الحكومة من وقوع الخليفة فى أيدى الجيوش البلقانية فأصدرت قراراً بنقله إلى (الأناضول) . ولما دخل عليه قائد الحرس يخبره بذلك ، سأله : لماذا هذا الانتقال ؟ أجاب القائد : إن الجيوش البلقانية اقتربت من « سلانيك » ، والحكومة خائفة من وقوع جلالتكم فى أيديهم ، تنهد السلطان بحرارة وقال : أنا حكمت ٣٣ عاماً وكنت أؤلب الحكومات البلقانية بعضها على بعض وتبقى تركيا فى أمن وسلام . والاتحاديون الذين كانوا يزعمون أنهم سادة العالم فى السياسة لم يستطيعوا أن يحفظوا تركيا من هذه المآسى إلا ثلاث سنوات .

يتبع

العلوم الكونية

عطارد

أقرب الكواكب إلى الشمس

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا*

مقدمة :

عندما نظر القدماء إلى السماء وجدوها مرصَّعة بنقاط مضيئة أسموها « المصابيح الكونية » ، ولم يكن باستطاعتهم فى ذلك الزمن البعيد أن يميزوا بين الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية المختلفة . وبتطور المعرفة البشرية واستحداث أجهزة للرصد والقياس ، تطورت الآراء والاستنتاجات ، فعرف أبناء الحضارات القديمة أن « المصابيح الكونية » كتل نارية أو نوريَّة ، تختلف من حيث الحجم والبعد والحركة وشدة الإضاءة ، وميَّزوا لأول مرة بين نوعين من هذه المصابيح : الكواكب السيارة والنجوم الثابتة ، وعرفوا الكواكب السيارة خمسة هى : « عطارد » و « الزهرة » و « المريخ » و « زحل » و « المشترى » ، ثم درسوها وأطلقوا عليها « الكواكب المتحيرّة » لتحيرّها فى مساراتها ، فتارة تبدو لهم سائرة فى الفضاء ، وتارة واقفة ، وتارة ثالثة راجعة . أما النجوم فتبدو لهم ثابتة فى هيئاتها وصورها كمجموعات ، لكنها جميعاً تجرى فى الفضاء الكونى كمجموعة واحدة ، واستطاع علماء الحضارة الإسلامية ، باستخدام المنهج العلمى الاستقرائى ، أن يحددوا جانباً هاماً من طبيعة هذين النوعين من « النيرِّات » : فالشمس والنجوم تنير بذاتها ، بينما تكتسب الكواكب النور من الشمس . لكن الذى توصلوا إليه كان استنتاجاً عقلياً ، وليس حسياً ، فلم تكن أجهزة الرصد وأدوات القياس لديهم قادرة على حسم الجدل بشأن طبيعة الضوء الصادر عن النجوم والكواكب .

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وبعد تطور تقنية المقاريب (التلسكوبات) وأجهزة الرصد الفضائية ، اكتشف العلماء كواكب إضافية هي « أورانوس » و « نبتون » و « بلوتو » ، فأصبح عدد كواكب المجموعة الشمسية ، بما فيها الأرض ، تسعة كواكب ، وأصبح بالإمكان اليوم أن يرفع المرء رأسه إلى السماء ويقول : هذا نجم وذاك كوكب ، دون أن ينظر الحركة ، فالكوكب جسم بارد عاكس للنور الساقط عليه من الشمس ، ولذا فإن الناظر إليه يرى ضوءه مستقراً ، بينما النجم عبارة عن كتلة نارية متوهجو نتيجة اندماج نووى ؛ ولذا فإن ضوءه يُرى متلألئاً متحركاً غير مستقر .

والراصد من خلال المقراب يرى الفرق أكثر وضوحاً ، ذلك أن المقراب يحوّل النقطة على كوكب ما إلى مساحة أوسع ، فيمكن مثلاً أن نرى من خلاله حلقات كوكب زحل وأقمار المشترى وأطوار الزهرة من هلال إلى بدر إلى هلال ، مثل قمر الأرض تماماً ، بينما يبقى النجمُ نقطة صغيرة مضيئة لا يوضح المقراب شيئاً من معالم سطحها مهما بلغت قدرته على التكبير ، والسبب هو بُعد النجوم الهائل عن مجموعتنا الشمسية ، فأقرب نجم إلينا ، بعد الشمس ، وهو « الفا قنطورس » يبعدُ عنا ٤,٤ سنة ضوئية(*) .

عطارد من الكواكب الداخلية السفلية الشبيهة بالأرض :

تُصنَّف الكواكب لسهولة دراستها إلى مجموعتين : الأولى تسمى « الكواكب السفلية Inferior planets ، وهى ما كان مدارها داخل مدار الأرض ، وتشمل عطارد والزهرة ، والمجموعة الثانية تسمى « الكواكب العلوية » Superior planets ، وهى ما كان مدارها خارج مدار الأرض ، وتشمل الكواكب الستة : المريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو ، من ناحية أخرى تصنف الكواكب من : عطارد حتى المريخ إلى « كواكب داخلية » Inner planets ومن : المشترى حتى بلوتو إلى « كواكب خارجية » Outr planets ، وذلك بالنسبة لموقع المجموعتين إلى داخل النظام الشمسى Solar system أو إلى خارجه على الترتيب ، كذلك يطلق على الكواكب الداخلية اسم « الكواكب الأرضية » أو الشبيهة بالأرض Terrest rial planets ، تمييزاً لها عن باقى الكواكب الشبيهة بالمشترى Jovian planets .

وإذا كان لكل كوكب قصته الخاصة التى لا تساوى فى أهميتها قصة أى كوكب آخر ، إلا أن كل هذه القصص تصب فى الرواية الطويلة التى يرويها العلماء عن المجموعة الشمسية بأسرها .

عطارد كوكب حديدى :

نظراً لقرب عطارد من الشمس فإن مشاهدته بواسطة المنظار الأرضى كانت بالغة الصعوبة ، وأول معرفة جيدة لهذا الكوكب كانت من خلال الصور التى سجلتها له سفينة الفضاء « مارينر ــ ١٠ » عندما مرت بجانبه (على بعد ٨٠٠ كيلومتر) فى العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ . وقد

(*) السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة بسرعة ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية ، وهى تساوى ٩,٤٦١ مليون مليون كيلومتر..

أوضحت هذه الصور الفضائية التى تم إرسالها بالراديو إلى الأرض أن هناك تشابها كبيرا بين عطارد والقمر . والواقع أن عطارد مثل القمر ، يمتص أغلب ضوء الشمس الواقع عليه عاكساً – فقط – حوالى ٦٪ للفضاء الخارجى ، وهذه صفة الأجسام الصخرية التى تفتقر إلى وجود غلاف جوى . وبالمقارنة فإن أحد أقمار كوكب زحل الجليدية تعكس أكثر من ٦٠٪ من الضوء الذى يسقط فوق سطحه . وكون « القدرة العاكسة »(**) لسطحى عطارد والقمر الأرضى متساويتان تقريباً ، بالإضافة إلى تشابه الخواص الأخرى للضوء المنعكس عنهما ، فإن كل هذا يؤدى إلى استنتاج حقيقة التشابه الكبير بين عطارد وقمر الأرض .

ولدى عطارد مناطق مرتفعة ذات فوهات كثيفة مثل القمر ، ومناطق ذات تضاريس ممهدة تشبه منخفضات القمر . كذلك يحتوى عطارد على واجهات جبلية طويلة جداً تمتد عبر السهول والفوهات . ويعتقد بعض العلماء أن هذه الواجهات الجبلية قد تكونت نتيجة لقصر فى طول القشرة الكوبية حيث إنه بُرِد وتقلَّص .

على أن ما يثير الاهتمام فى كوكب عطارد بصورة خاصة ، ليس كونه بلا هواء ، ولا كوْن سطحه مشابهاً لقمر الأرض ، بل كونه متفرداً بين بقية كواكب المجموعة الشمسية بتركيب خاص . فإذا ما استثنينا تأثيرات الجاذبية التى تضغط وتكثف الكواكب الكبيرة أكثر مما تفعل بالكواكب الصغيرة ، فإن « عطارد » يعتبر أكثف كواكب المجموعة الشمسية بالرغم من حجمه الصغير . ويعتقد العلماء أنه يتألف فى ٦٠ – ٧٠ بالمائة منه من الحديد الذى يتركز أكثره فى قلب هائل الحجم يشغل نحو ثلاثة أرباع حجم الكوكب الذى يبلغ قطره حوالى ٤٨٨٠ كيلومتر . أما الصخور فمحصورة فى قشرة خارجية رقيقة نسبياً . وهذا يعنى أن عطارد يحتوى على لُبّ حديدى ربما أكبر من لُبّ الأرض .

ومن التفسيرات التى قدمها العلماء لتعليل زيادة كثافة عطارد (حوالى ٥,١ جم/سم٣ مقارنة بكثافة مادة الأرض التى تساوى حوالى ٥,٥٢ جم/سم٣ فى المتوسط) نظرية تقضى بأن التباين فى تركيب الكواكب الداخلية الأربعة (عطارد والزهرة والأرض والمريخ) يعتمد على متغير مفرد هو درجة الحرارة التى تشكلت فيها هذه الكواكب انتقالا من السحابة الأولية المؤلفة من الغبار والغاز ، التى كانت عليها المجموعة الشمسية ووصولا إلى ما هى عليه الآن . وكانت هذه الحرارة بطبيعة الحال تتحدد ببُعد الكوكب عن الشمس . ففى المواقع البعيدة عن الشمس تكثفت الغازات فى حبيبات من الغبار وبردت السحابة بما يكفى لتكثف سلسلة طويلة من المعادن ، أما فى المواقع الأقرب إلى الشمس لم تتشكل إلا المواد التى لا تتطاير أو تتبخر بسرعة ، مثل الحديد ، ولعل هذا هو السبب فى احتواء عطارد على نسبة عالية من الحديد مقارنة بما فيه من الصخور .

(**) يستعمل الفلكيون مصطلح « القدرة العاكسة » للدلالة على النسبة التى تنعكس على سطح ما من الضوء الكلى الساقط عليه . وقد وجد أن القدرة العاكسة لعطارد تساوى ٠,٠٦ والقدرة العاكسة لقمر الأرض ٠,٠٧ .

ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن الكواكب لم تنشأ من السحابة الشمسية مكتملة الشكل فجأة ، بل إنها كانت نتيجة عملية تدريجية طويلة من التنامى والتعاظم تجمعت خلالها حبيبات الغبار فى صخور صغيرة ، وشكلت الصخور الصغيرة صخوراً أكبر ، وهكذا . وافترضت النظرية أن هذه العملية تمت بلطف وانتظام فى أثناء تشكل الكواكب الأربعة الداخلية . ويستخدم العلماء - حالياً - نماذج محاكاة حاسوبية (كمبيوترية) لدراسة احتمالات تشكل كوكب عطارد وغيره من الكواكب الداخلية بطريقة الالتحام المتنامى أو المتعاظم لحبيبات الغبار والصخور الصغيرة . وربما يساعد الحصول على إحدى صخور عطارد مستقبلا فى ترجيح صحة إحدى الفرضيات المحتملة لتكوينه .

الليل والنهار على عطارد :

عطارد هو أقرب الكواكب إلى الشمس وأسرعها حركة حولها ، وكتلته تبلغ ٠,٠٥ فقط من كتلة الأرض . ويدور عطارد دورة كاملة حول الشمس فى ٨٨ يوماً أرضياً ، وظل الاعتقاد سائداً لمدة طويلة أنه يواجه الشمس بوجه واحد ، لكن الأرصاد الحديثة أوضحت أنه يدور حول محوره مرة كل ٥٩ يوماً أرضياً تقريباً . وهذا يعنى أن يوم عطارد يبلغ نحو ثلثى سنته ، ففى كل دورة حول محوره يستقبل جميع سطحه أشعة الشمس ، أى لا يظل أى وجه منه فى ظلام دائم .

وقد قيست درجة حرارة سطح عطارد ليلا ونهاراً بعدة طرق . ودلت القياسات على أن درجة حرارة الجانب المضاد بالشمس عند منتصف النهار تبلغ ٤٣٠°م . أما قياسات درجة حرارة الجانب المظلم من الكوكب ليلا فقد بينت انخفاضاً يصل إلى ١٧٣°م تحت الصفر المئوى . وتعتبر فروق درجات الحرارة على عطارد أكبر منها على أى كوكب آخر ، ومن ثم فإن فرض الحياة عليه بالصورة التى نعرفها على الأرض - حسب معرفتنا المحدودة - تعتبر معدومة .

مراجع للاستزادة :

- الكواكب والنجوم والمجرات : عبدالمنعم السيد العشرى . الهيئة المصرية العام للكتاب ، ١٩٨٣م .
- الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات بليبيا ، ١٩٨٩م .
- النجوم والكواكب ، ترجمة أ.د. أحمد فؤاد باشا ، دار سفير بمصر ، ١٩٩٤م .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناتج عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

٤ ـ أنيميا البحر المتوسط

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا فى مقالاتنا السابقة عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقد قمنا بإلقاء الضوء على بعض أنواعه وهى : أنيميا الفول ، وأنيميا ازدياد الخلايا الكروية فى الدم ، وأنيميا الخلايا المنجلية ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم ، بإلقاء الضوء على أهم أنواعه وأكثرها شيوعاً ، وهو مرض : « أنيميا البحر المتوسط » وهو مرض وراثى ناجم عن خلل فى تكوين الهيموجلوبين ، وقبل أن نبدأ الحديث عن هذا المرض ، سوف نقوم بإلقاء الضوء على مكونات الهيمو جلوبين ، وأنواعه المختلفة .

● مكونات الهيموجلوبين : تتكـــون مادة الهيموجلوبين من جزئين :

★ جزء الهيم : Haem Portion

وهو الجزء المحتوى على الحديد ، وهو ثابت التركيب ، لا يختلف فى التكوين باختلاف نوع الهيموجلوبين .

★ جزء الجلوبين : Globin Portion

وهو يتكون من أربع سلاسل متصلة من الأحماض الأمينية ، يختلف نوعها باختلاف نوع الهيموجلوبين ، وبالتالى تحدد نوعه .

● أنواع الهيمو جلوبين :

١ ـ عند البالغين Adult Haemoglobin :

وهو يشمل :

(أ)هيموجلوبين أ : Haemoglobin A

وهو يشكل حوالى ٩٥ ـ ٩٧٪ من (الهيمو جلوبين) لدى الشخص البالغ ، والسلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

* سلسلتان من نوع « ألفا » .

(*) ماجستير طب الأطفال .

* وسلسلتان من نوع « بيتا » .

أى (٢ ألفا + ٢ بيتا) .

ويشكل هذا النوع من الهيموجلوبين حوالى ٣٠٪ من الهيموجلوبين الكلى عند الولادة ، وتزداد نسبته بالتدريج بعد الشهر السادس ، حتى تصل إلى حوالى ٩٥ ـ ٩٧٪ من الهيموجلوبين الكلى فيما بين العام الأول والثانى من عمر الطفل .

(ب) هيموجلوبين أ٢ Haemoglobin A_2 :

وهو يشكل حوالى ٢ ـ ٢,٥٪ من الهيموجلوبين الكلى لدى الشخص البالغ ، أى أن نسبة الهيموجلوبين « أ٢ » إلى هيموجلوبين « أ » لا تزيد عن ١ : ٣٠ ، وتكون السلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

* سلسلتان من نوع « ألفا » .
* سلسلتان من نوع « دلتا » .

أى (٢ ألفا + ٢ دلتا) .

٢ ـ الهيموجلوبين الجنينى (بعد الشهر الثالث من الحمل وحتى الولادة) Fetal Haemoglobin هيموجلوبين « ف » : Haemoglobon

وتتكون السلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

* سلسلتان من نوع « ألفا » .
* سلسلتان من نوع « جاما » .

أى (٢ ألفا + ٢ جاما) .

وهو يشكل حوالى ٧٠٪ من الهيموجلوبين الكلى عند الولادة ، وتقل نسبته بالتدريج ، بعد الشهر السادس ، وحتى لاتزيد عن ٢٪ بعد العام الثانى من عمر الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الهيموجلوبين يتميز بقابليته الشديدة للاتحاد بالأكسوجين وعدم تركه بسهولة .

٣ ـ الهيموجلوبين قبل الشهر الثالث من الحمل Embryonic Haemoglobin

وهو يشمل :

(أ) هيموجلوبين جَوَرْ « ١ » : Gower 1 Haemoglobin

وهو يتكون من (٢ زيتا + ٢ إبسليون) .

(ب) هيموجلوبين جَوَرْ ٢ : Gouer II Haemoglobin

وهو يتكون من (٢ إبسليون + ٢ ألفا) .

(ج) هيموجلوبين بورتلاند Portlond Haemoglobon

وهو يتكون من (٢ زيتا + ٢ جاما) .

● ماهية مرض أنيميا البحر المتوسط : B-Tholassemia

وكيفية حدوثه :

هو مرض وراثى ناجم عن عدم مقدرة المريض ـ كلياً أو جزئياً ـ على تصنيع سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » المكونة للهيموجلوبين « أ » نظراً لوجود خلل فى تكوين الجين الخاص بتكوينها وكذلك يتسبب عدم وجود أو نقصان سلسلتى الأحماض الأمينية (بيتا) ، يؤدى ذلك إلى تجمع سلسلتى الأحماض الأمينية ألفا بكثرة داخل الخلايا الحمراء ، وبالتالى يتحد جزء منها مع سلسلة الأحماض الأمينية : « جاما » مكونة الهيموجلوبين الجنينى « ف » ، وبالتالى تزداد نسبته عن المعدل الطبيعى ، أما الجزء الآخر من

سلسلة الأحماض الأمينية : ألفا فإنه يترسب داخل خلايا الدم الحمرء ويؤدى هذا إلى :

* تكسُّر الخلايا الحمراء فى النخاع العظمى Intra medullary hemolysis

* وأيضاً تكسر الخلايا الحمراء فى الطحال Extramedullary hemolysis

كما يؤدى هذا إلى حدوث فقر دم ، وزيادة مادة البيلروبين وغير المباشر Indirect bilirubin فى دم الطفل وبالتالى : اصفرار لونه .

● أعراض المرض :

تبدأ الأعراض فى الظهور ، أثناء النصف الثانى من العام الأول من عمر الطفل ؛ لأنه من المفترض ـ أثناء ذلك الوقت ـ أن تزداد نسبة الهيموجلوبين « أ » وتقل نسبة الهيموجلوبين الجنينى « ف » ، وفى هذا الوقت ـ كما سبق وذكرنا ـ وفى البداية يظهر المرض فى صورة شحوب الطفل ، مع اصفرار جلده وعينيه ، وتأخر نموّه وتضخم الطحال ثم تتجلى أعراض المرض المميزة له فى صورة :

١ ـ تغيرات فى الهيكل العظمى للطفل : Skeletal Changes

وتحدث تلك التغيرات نتيجة لزيادة مساحة النخاع العظمى وانبساطه حتى يقوم بتصنيع المزيد من كرات الدم الحمراء ، ويؤدى هذا إلى الآتى .

* زيادة حجم الرَّأس .

* بروز عظمتى وجنتى الطفل ، وتكون القواطع الأمامية العلوية بارزة ومزدحمة .

Protruded, crowded upper central incisors

مع انخفاض قصبة الأنف : Nasal bridge وارتفاع جانبى العين لأعلى : Upward eye slanting وبهذا يشبه وجه الطفل : وجه الطفل المريض بمرض البله المغولى : Mongolism

● قصر وزيادة عرض قدمىْ ويدىْ الطفل .

٢ ـ تغيرات فى لون الطفل : Colour changes :

* يكون الطفل باهتاً **Pale** وأصفر اللون Jaundiced (الجلد والأغشية المخاطبة وبياض العين) .

* فى المراحل المتقدمة من المرض ـ نظراً لزيادة نسبة مادة الهيموسيدرين Hemosiderin (حديد الدم) نتيجة لتصاعده من خلايا الدم الحمراء المتكسِّرة ـ فإن هذه المادة تجعل لون الطفل مُوحِلًا أى أشبه بلون الوحل أى : بنى يميل للاخضرار (Muddy)

٣ ـ تضخم كبد الطفل وطحاله مع زيادة حجم الغُدَد الليمفاوية Hepatospleenomegaly and lymphadenopthy نتيجة للأسباب الآتية :

* تصنيع كرات الدم الحمراء بها Extra medullary hemopoiesis

* إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة .

* ترسب مادة الهيموسيدرين بها

ويؤدى هذا إلى بروز بطن الطفل للخارج .

٤ ـ حدوث نوبات مرضية **Crisis** وهى تشمل :

(أ) نوبة تكسر خلايا الدم الحمراء : Hemolytic crisis

حيث يصبح الطفل شديد الشحوب ، مع زيادة اصفرار لونه واحمرار البول ، مع حدوث ألم فى بطن الطفل ، وزيادة بشبكة الخلايا الشبكية .

(ب) نوبة عدم مقدرة النخاع العظمى على تصنيع خلايا الدم :

Aplastic crisis

نظراً لإصابة الطفل بأحد الفيروسات Human Parvo virus حيث يصير الطفل شديد الشحوب ، ولكن تقل درجة اصفراره وتقل نسبة الخلايا الشبكية ، وقد يصاحب هذا حدوث نزف نظراً لقلة الصفائح الدموية ، وأيضاً حدوث الالتهابات المتكررة ، نظراً لقلة كرات الدم البيضاء .

(ج) نوبة عدم مقدرة النخاع العظمى على تصنيع خلايا الدم ، نظراً لقلة حامض الفوليك

Megaloblastic Crisis

حيث تكون خلايا الدم الحمراء كبيرة الحجم ، ومحتوية على نسبة كبيرة من الهيمو جلوبين .

وسوف نقوم بإلقاء الضوء على مضاعفات المرض ، وطرق تشخيصه ، وعلاجه ، فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى .

بقية ص ٥٢٥

● إذا تزوجت فربما تنعم بالسيادة على الزوجات الآخريات ؛ لزوجها إذا رأى ذلك وعليها أن تعلم أنها زوجة لرجلها أثناء حياته معها ، وكذلك أثناء تقلبه فى حيوات أخرى طبقا لعقيدة التناسخ فى دينها ، وهى عقيدة تقضى بأن الإنسان لا تنتهى حياته أبدا فلايزال ينتقل من جسد إلى جسد أى من حياة إلى حياة لكنه أبدا لا يموت ، وتعتبر فى كل الأدوار زوجة ، ليس لها أن تتزوج بعد حياته الأولى معها ، فزواجها هذا جريمة فادحة تحدث للزوج اضطرابا فى حيواته المقبلة . فعليها أن تعيش أرمل وتحلق شعرها ، وإلا كانت ذميمة جدا بزواجها من بعده ، إذ هى ـ فى الواقع ـ مِلْك خالصٌ له .

● كان من الأفضل لها أن تموت بعد وفاته ، وقد يحكم عليها بالموت ، وهو ـ بعد ـ حيّ فالعادة المسماة (سوتى) وكانت منتشرة عصر الاسكندر ـ أى فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ تقضى أن تقتل الزوجة بعد موت زوجها ، بأن تحرق نفسها إلى جانب جثته ، أو تدفن حية ... الخ .

بينما كانت العادة الأخرى المسماة (جوهور) تقضى على الرجل من أهل (راجبون) ـ كما مر ـ إذا أصيب بهزيمة أن يضحى بزوجاته قبل أن يتقدم للموت .

وبعد :

فإنه ينبغى أن نحدد كل ملامح هذه المآسى لنرى ـ عن يقين ـ : ماذا فعل الإسلام لكل امرأة فى العالم ، وجدت أو ستوجد .

«وَيخلق مَا لاتعلمُونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

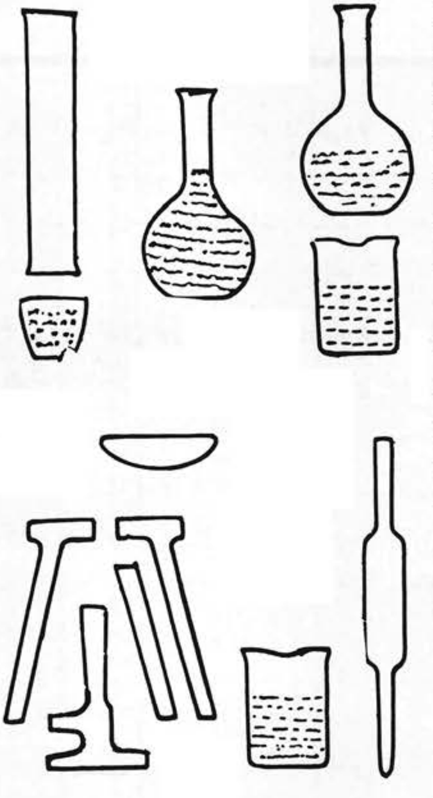

الحاسب الآلي لتعليم الصم القراءة

طور علماء ألمانيا برنامجا جديدا للحاسب الآلي لتعليم الصم القراءة عن طريق حركة الشفاة على الشاشة باستخدام تكنولوجيا أفلام الصور المتحركة ، حيث يجرى عرض حركات الوجه التى تعبر عن الأحرف والكلمات والجمل ، كما يستطيع المدرب أن يغير حركة الفم للصورة على الشاشة بحيث تتشابه مع حركة فم الشخص الذى يحدثه ، ثم يقوم الحاسب الآلى بتفسير ما يقوله ، ويتميز البرنامج الجديد بسهولة استعماله ويمكن استخدامه فى أجهزة الحاسب الآلى المعروفة .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

مكتب متنقل يَعمل بولاعة السيارة :

مع تطور عصر التكنولوجيا أصبح بإمكان رجل الأعمال أن يقوم بكل أعماله من داخل سيارته من خلال مكتب متنقل ، حيث صمم العلماء بأمريكا حقيبة تقليدية لرجال الأعمال لكنها تحتوى على أجهزة متطورة تقنيا تشمل جهاز « تليفون » يقوم باتصالات داخلية ودولية ، وجهاز « كمبيوتر » وطابعة وجهاز « للفاكس » توضع هذه الأجهزة مع رجل الأعمال فى سيارته وتستمد الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيلها عن طريق محّول متصل بولاعة السيارة .

إعادة تصنيع الورق المستعمل

فى دول أوربا وأمريكا يتم إعادة تصنيع الورق المستعمل للاستفادة منه ، لقلة تكاليف إنتاجه ، ولأن الطاقة الكهربائية اللازمة لإعادة تصنيعه أقل بكثير من الطاقة اللازمة لإنتاج الورق من أخشاب الأشجار لأول مرة ، ويوجد طريقتان لإعادة تصنيع الورق المستعمل ، تعتمد الأولى على غُسل الورق المستعمل عن طريق عجْنه فى الماء وبعض المواد الكيماوية ، ليتحول إلى لباب ، مما يؤدى إلى التخلص من قدر كبير من الحبر ، والطريقة الثانية تسمى « طريقة التعويم » ويتم فيها مزج الورق المستعمل بالماء وإضافة الصابون إلى اللباب وضخه فى مستودعات يدفع فيها الماء إلى أعلى فينفصل الحبر عن اللباب ، وهذه الطريقة أكثر كفاءة ، وتنتج ورقا من نوعية عالية الجودة .

مؤشرات التئام ثقب الأوزون ذاتيا

أوضحت الأبحاث التى قام بها العلماء البريطانيون أن ثقب طبقة الأوزون فى القارة القطبية الجنوبية يشهد اتساعا مستمرا وأن ذلك سيسبب أضراراً لنصف الكرة الجنوبى ، إلا أنهم أشاروا إلى احتمال تحسن الأمور خلال السنوات القادمة نتيجة لانخفاض الأبخرة الكيماوية الصناعية فى الغلاف الجوى ، الأمر الذى يعنى أن الثقب سيقوم من تلقاء نفسه بعملية الترميم والإصلاح والالتئام ذاتيا .

طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف .

توصل بعض العلماء الدانمركيين إلى طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف ، وذلك باستنشاق مادة الأنسولين من الأنف قبل وجبة الطعام ، وذكر هؤلاء العلماء أن هذه الطريقة تسمح بوصول الأنسولين إلى الدم بسرعة تفوق سرعة وصولها عن طريق الحقن ، ويتم ذلك باستخدام مادة كيماوية مساعدة ومأمونة تماما تضاف إلى الأنسولين فتساعد على امتصاصه فى أنسجة الأنف ووصوله إلى الدم .

موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم

أحس أسلافنا القدماء أن خير ما يُعتمد عليه فى إقامة صرح اللغة العربية : القرآن الكريم ، فلقد كان القرآن الكريم وقراءاته مددا لا ينضب للنحويين فى استخلاص قواعدهم ، ووقفوا منه موقفا مزدوجا ، تارة يحتجون به وتارة يحتجون له ، وبعضهم يخضع القراءة للقياس النحوى ، وبعضهم يخضع القاعدة للقراءة القرآنية ، وفيما يلى موقف النحاة من هذه القضية .

إعداد : صلاح موسى البربرى (*)

● موقف سيبويه :

(أ) إن سيبويه ـ شيخ النحاة ـ لم يخطِّىء قراءة بل كان يذكرها ليبين وجها من العربية وليقوى ما ورد عن العرب ، وإن كانت من القراءات المفردة لا يخطئها ولا يخطىء القارىء بها ، إنما يحاول تخريجها على إحدى لغات العرب ، لأنه يرى أن اللغة الواردة عن العرب فصيحة ، وإن قل من يتكلم بها ، ولا يرى المتكلم بها مخطئا ، فمثلا يعرض لقوله تعالى :

﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١٧١

ويعقب عليها بما معناه أن كلمة « خيرا » نصبت بإضمار فعل متروك إظهاره ، فكأننا قلنا انته ، وادخل فيما هو خير لك فكأننا نحمله على أمر آخر ، فلذلك انتصب ، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه ، ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر .

ويعرض أيضا لقوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

سورة النساء ـ آية : ١٦٢

فيقول : لو كان كله رفعا لكان جيدا ، ثم يقول ـ أيضا ـ بما معناه : إن الخليل زعم أنه منصوب على الفعل . كأنه قال : « اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمل إظهاره » .

(ب) عموماً كان سيبويه لا ينكر القراءة التى تخالف القياس ، ولم يعارض قراءة من القراءات معارضة صريحة ولا معارضة خفية ، بل قبل القراءات دون اعتراض عليها واستخلص منها الحكم دون مفاضلة ، وأما العبارات والصفات التى توهم منه ترجيحا لقراءة على قراءة أخرى مثل (أحسن القراءتين) و (الرفع أكثر) و (كان جيدا) و (هى قليلة) ، فهى لا تعنى المفاضلة بين قراءة

(*) مدرس ثانوى بإدارة بنها التعليمية .

وأخرى ، أو ترجيح قراءة على أخرى ، لأن هذا الحكم لا ينصب على القراءة من حيث قراءة ، وإنما الحكم ينصب على التركيب والأسلوب من حيث هو تركيب وأسلوب ، أو بعبارة أخرى : إن سيبويه حينما يعقب على القراءات بما يشعر بعدم موافقته إياها لا يزيد على أن يقول : (وهذه لغة ضعيفة) أو (وهى قليلة) ، فهو لا يوجه الضعف إلى القراءة مباشرة ، إنما يحمل القراءة على إحدى لغات العرب الموصوفة بالضعف أو بالقلة ، ومع ذلك فهى لغة تصح القراءة بها ، فالضعف والقلة عنده ليسا فى القراءة نفسها إنما فى اللغة التى قرأ بها القارىء .

(جـ) إن موقف سيبويه من القراءات يختلف باختلاف الموضع الذى يتحدث فيه :

١ ـ ففى بعضها يقيس على القراءة ويعتبرها الأصل ، كما فعل عند كلامه على إجراء صلة (مَن) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) ، وإذا عنيت جمعا كصلة (الذين) .

٢ ـ وحمل بعض القراءات على ما يراه أساتذة القياس فى كلام العرب ورأى أنها لغة جيدة .

٣ ـ ويحمل القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات .

٤ ـ وإذا خالفت القراءة القياس المشهور فى لغة العرب لا يردها ولا يخطئها ، أو يعيبها أو ينكرها ، إنما كان يحملها على ما ورد من عبارات وشواهد عن العرب خالفت فيه القياس ، والمشهور ، أو يشبه هذه الشواهد بالقراءة ويحملها عليها ، ويرى أنه مما يُسمع ولا يُقاس عليه .

٥ ـ وأحيانا يقيس القراءات على ما سمعه من العرب .

٦ ـ أو يقيسها على ما حدثه به مَن سمعه من العرب ممن يثق بهم من الرواة .

٧ ـ وقد ترد فى الآية الواحدة قراءتان مختلفتان يستشهد سيبويه بهما معا ولا يرجح بينهما .

٨ ـ وقد يرجح فى بعض الأحيان بين القراءتين ويصف إحداهما بأنها أجود من الأخرى وإن كانت الأخرى عربية .

٩ ـ وقد يصف إحدى القراءتين بأنها أحسن أو أكثر .

١٠ ـ وقد يبين قوة إحدى القراءتين ولا يشير إلى حكم الأخرى .

١١ ـ أو يبين وجه كل القراءات وأن لكل منهما وجها حسنا لأنه عربى جاء على لغة من لغات العرب .

١٢ ـ وإذا جاءت القراءة على غير المشهور من أوجه التعبير ، أو على الاستعمال القليل فيه ، نجده يفسرها ويؤولها أو يسأل عنها أحد شيوخه الذى يخرجها تخريجا يبعدها عن الضعف أو الشذوذ أو القلة .

والخلاصة : إن موقف سيبويه من القراءات موقف معتدل ، فقد استشهد بها واستخلص منها القواعد ، وقاس عليها كلام العرب ، أو قاسها على كلام العرب .

(د) أما موقف سيبويه من القراء أنفسهم ، فلا يختلف عن موقفه من الشعراء ، أو ممن نقل عنهم العبارات التى استشهد بها فى كتابه :

١ ـ فنص على اسم القارىء فيما ثبت عنده نسبه القراءة إليه ، وممن نص عليهم : الأعرج وعبدالله بن مسعود ، وعيسى بن عمر ، وعبدالله بن ابى إسحق ، وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم .

٢ ـ وإن لم يثبت عنده اسم القارىء نصَّ فى

بعضها على اسم البلد الذى قرأ أهله بهذه القراءة ، مثل قراءة أهل المدينة ، أو قراءة أهل مكة أو قراءة أهل الكوفة أو قراءة أهل الحجاز ، ولا يفرق فى نقله لهذه القراءات بين مدينة وأخرى إنما يذكرها ويستشهد بها ، فى الموضع الذى يريد ، ولا يرجح قراءة منها على أخرى .

٣ ـ فإن لم ينسبها إلى قراءة مدينة معينة ، وصح عنده أنها بلغة قبيلة من قبائل العرب أشار إلى ذلك عند ذكره القراءة ، فمنها ما نسبه إلى لغة : هذيل ومنها ما نسبه إلى : لغة تميم .

٤ ـ أما فى غير هذه المواضع فلم ينسب القراءات ، وإنما كان يكتفى بأن يقول (سمعنا بعض العرب قرأها) أو (قراءة بعض القراء) أو (وقد قرىء) إلى غير ذلك من العبارات التى يقدم بها للقراءة .

● موقف الأخفش :

الأخفش هو أكبر أئمة البصريين بعد سيبويه ، وفى رأى الدكتور شوقى ضيف : أنه هو الذى فتح أبواب الخلاف عليه ، بل هو الذى أعد لتنشأ فيما بعد مدرسة الكوفة ، ثم المدارس المتأخرة المختلفة ، وقد جاء الأخفش فخالف سابقيه فى بعض المسائل محتجا بالقرآن الكريم بلا تأويل أو تحمل :

١ ـ فيقرر أن (مِن) الجارة تزاد فى الإيجاب مستدلا بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ٣٤

وقوله تعالى :

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ **سورة نوح : آية : ٤**

وقوله تعالى :

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٧١

وقد تبعه الكسائى والكوفيون فى هذا الموضع .

٢ ـ وذهب إلى أن (إلا) الإستثنائية قد تأتى عاطفة بمعنى الواو ، ومنزلتها فى التشريك لفظا ومعنى ، وقد تابعه فى ذلك الفراء وأبوعبيدة ، ومن ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٥٠

أى ولا الذين ظلموا ، وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

٣ ـ كما يذهب إلى جواز إقامة غير المفعول به من الظرف والجار نائب فاعل ، مع وجود المفعول به فى الجملة لمجىء ذلك فى القرآن فى قراءة أبى جعفر :

﴿ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة الجاثية

فقد نصب (قوما) وهى مفعول وجعل الجار والمجرور نائبا عن الفاعل ، إذ الفعل مبنى للمجهول .

٤ ـ كما ذهب إلى جواز مجىء الفعل الماضى حالا بدون تقدم (قد) أو الواو مستدلا بقوله ـ تعالى : ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٩٠

وقوله ـ تعالى : ﴿ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾

سورة يوسف ـ آية : ٦٥

وقد تبعه الكوفيون .

٥ ـ وقد أجاز الأخفش العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الخافض ، مستدلا بقراءة حمزة :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١

وقد تبعه الكوفيون .

٦ ـ كما أجاز زيادة الواو فى الكلام مستدلا بقوله ـ تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾

سورة الزمر ـ آية : ٧٣

٧ ـ وأجاز أيضا زيادة الباء فى الخبر الموجب مستدلا بقوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا ﴾

سورة يونس ـ آية : ٢٧

٨ ـ وأورد بعض النصوص مؤيدة التطابق بين القراءات واللغات ، منها على سبيل المثال قوله ـ تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ .

سورة طه ـ آية : ٦٣

خفيفة فى معنى ثقيلة ، وهى لغة قوم يرفعون ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التى تكون فى معنى ما .

٩ ـ وربما ارتضى الأخفش القراءة فى غير الدفاع أو الاقتناع بها ، وذلك لمطابقتها لغة قبيحة من لغات العرب ، لا وجه لتعليلها ، فعلى سبيل المثال أنه قد قرأ قوم : ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٦

بالكسر ، لما وجدوا حرفا ساكنا قد لقى ساكنا ، كما يكسرون فى غير هذا الموضع ، وهى لغة شاذة ، فهذه القراءة وأشباهها إنما حازت قبولا لأن لها وجها من وجوه اللغات ، وما دامت قد جاءت تراثا فهى مقبولة .

١٠ ـ أما إذا لم يكن للقراءة تراثا فلا قيمة لها ، مثال ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ . سورة البقرة ـ آية : ١٨٤

يقول (فعليه عدة) بالرفع ، وإن شئت نصبت على تقدير (فليصم عدة) إلا أنه لم يقرأ .

١١ ـ وكذلك الأمر فى رفض القراءات التى ليس لها وجه من العربية وقد جاء من ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

سورة البقرة ـ آية : ١٨٤

وقد قرئت (فديةُ طعامِ مسكين) ، وهذا ليس بالجيد ، إنما الطعام تفسير للفدية ، وليست الفدية مضافة للطعام .

١٢ ـ ومهما تكن مطابقة القراءة للغة من لغات العرب القوية أو الضعيفة فإنها إن لم توافق رسم المصحف كانت مرفوضة ، ومن ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾

سورة طه ـ آية : ٦٣

وذلك خلاف المصحف .

١٣ ـ فإذا كانت القراءة تطابق رسم القرآن فتلك المقبولة كل القبول .

والخلاصة : إن الاطلاع على آراء الأخفش فى القراءات وعلاقتها بلغة العرب يحملنا على القول بأن رأى الأخفش يمكن سبكه فى النص الآتى : (يجب أن تكون القراءات مطابقة للغات العرب ورسم المصحف ومستقيمة المعنى ، فإذا جاءت قراءة ما غير مطابقة للغة من اللغات فهى لاغية ، وهى كذلك إذا خالفت رسم المصحف) .

[منهج الأخفش الأوسط فى الدراسات النحوية : عبدالأمير محمد أمين] .

وبعد هذا كله : تصبح القراءة أساسا قويا من الأسس التى يبنى عليها الأخفش قواعد العربية ، وهو لا يأخذ القراءة أخذا من غير تمحيص ، أو تدقيق ، فربما قرأ بعضهم بما يخالف المعنى ، فهو يرد عليه ولا يقبل منه ، وأخيرا فهو أيضا يختار القراءة التى يقرأ بها مع ذكره سواها .

يتبع

مع

الدكتور عبد الوهاب عزام

فى كتابه الشوارد

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يقول الدكتور عزام ، رحمه الله ، فى مستهل كتابه هذا :

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وبعد

فقد باعدت الأسفار بينى وبين خزانة كتبى ، والخزائن التى كنت أستعين بها على التأليف ، فى القاهرة ، فلم يتيسر التأليف والنشر اللذان تعودتهما . فرأيت أن أثبت ما يخطر من خاطرات ، وما يسنح من سانحات .. وأن أسجل سلائل الفكر والوجدان ، وأجمع حصائد العلم والتجارب : أصيد منها الشوارد ، وأقيد الأوابد » .

أى أنه فى كتابه هذا كان يعمد إلى الغوص فى أعماق ذاكرته وذكرياته ، وعصارة فكره واطلاعه ، ليدوِّن ما يعنُّ له من خواطر ، ويصوغ زبدة ثقافاته ، وانفعالاته الذاتية ، فى خضم الحياة والناس ، بمنأى عن مراجعه ومصادره ؛ ليطلق العنان لاهتماماته وتأمُّله فى الماضى والحاضر وما يتوقعه فى المستقبل ، يقول : « رب خطرة فتحت أبواباً ، ورب فكرة سيَّرت الأقلام أحقاباً .. وهذه الخطرات والفكر ، خلاصة أحداث الزمان ، وتجارب الإنسان .. واقترحت على نفسى أن أقيِّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن أمضى على هذا حوْلا كاملاً .. »(*) .

(*) ... كذلك خطا أول من عبر هذا السبيل : أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه (صيد الخاطر) ثم تتابعوا بعده .. « مجلة الأزهر » .

واتفق له تدوين هذه الشوارد فى مدينة جدة من الحجاز ، بعد أن شرع فيها يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين خلت من جمادى الآخر سنة ١٣٦٩ هـ الحادى عشر من نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٠ م .

واستمر فى عمله هذا أثناء تنقلّه إلى مكة المشرفة ، والمدينة المنورة ، وبلدان أخرى فى الحجاز ونجد ، ثم فى مصر والباكستان ، حتى انتهى العام الشمسى . وصدرت الطبعة الأولى له أثناء عمله سفيراً لمصر فى الباكستان بمطبعة العرب ـ كراتشى ـ باكستان سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م ، وسارع إلى الإشراف بنفسه على طبعه ، تحرُّزاً مما يلحق بالكتب ، حين تُطبع فى غيبة أصحابها .. ليزف إلى قراء العربية ، بنات الأفكار ـ كما يقول ـ وربائب الليل والنهار .. يجلو هذه السانحات ، ويعرض هذه الخاطرات ، آملا أن تجد من العناية كفاءَ الصدق الذى أملاها ، والإخلاص الذى ألْحمها وأسْداها .

* * *

وفى فاتحة الكتاب ، يقول :

« يدور الفلك ، وتمر السنون ، وتعدو بنا الأيام .. والإنسان مشدوه بَعْدوها ، يكاد يُغلَب على عَدِّها ، وهو كراكب السفينة الباخرة السريعة ، ينظر وراءها ، فإذا البحر مزبد ، والماء مسرع .. وإذا صفحة من اللج بعبر صفحة ، ولجة من البحر بعد لجة ، لا يستطيع توقفاً ولا تريثا .. ورحم الله الشاعر أسد الله غالبا ، يقول (بترجمة عزام شعراً عن الأردية) :

أسوم جواد العمر ريثا ، وماله رِكابٌ بِرِجْلي ، أو عَنَانٌ بأنملى

ثم يستطرد الدكتور عزام ، فى وصف رحلة الأيام ، ومصائر الأقوام ، فيقول :

« ومن مات .. كمن سقط على اللُّج ، تجوزه السفينة ، ويبعد عنه الركب ، وينأى عن البصر ، ثم .. عن الذكر .

ثم يقدم ما يشى بعمق إيمانه ويقينه ، وتشرُّب نفسه بالمبادىء الإسلامية القويمة ، وحْرصه على ترسيخها فى النفوس ، فيقول : « وليس يثبت فى هذا الجريان .. إلا عمل صالح يبْقى سُنَّة فى الحياة ، وإلا قول طيِّبٌ يبقى هُدًى للأحياء . فمن شاء ألا تمضى به الأيام سُدًى ، فَلْيجتهد أن يبارى الأيام ، ويسابق الزمان .. مُسارعةً إلى الخيرات ، وبَدَارا إلى الحسنات : بكلمة طيبة ، أو عمل صالح ، أو علم ينفع الناس ، أو فكر يضىء فى أرجاء هذه الأرض » .

وليتنا نَعِي ونستوعب هذا القول الحكيم الرصين ، ونعمل به ، وفرصة الحياة لا زالت أمامنا والملكان يدوِّنان أعمالنا ، والموت يجد فى أثرنا ، والنهاية آتية لا ريب فيها .

ويحذرنا عزام بعد ذلك ، بقوله :

« إن الإنسان ليفعل فيعطل فكره أو يده ــ ولكن الأيام لا تقف ، والفلك لا يغفل .. فاجْهَدْ ما استطعت أن يدأب فكرك ويدك : نُصرةً للحق ، وفعلا للخير » .

★ ★ ★

ويشبع الدكتور عزام هذه المعانى السامية ، ويزيدها إضاءة وإشراقاً ، حينما يقول فى فصل آخر(1) (ص٢) : « فأيقظوا الأرواح وعلّموها العدل والإباء والكرامة ، وأن فى الحياة أمرا وراء البدن ، وأن فى اللذات لذة غير جثمانية ، وأن للناس مطالب روحانية .. بَصِّروا الناس بالحياة الكريمة ، لتسمعوا مَنْ يقول : هذا أستطيعه ولا أفعله ، وهذا أُعْطاه ولا أقْبله ، وهذا ينفعنى ولكن .. أنْفر منه !

حينئذ يقول الإنسان : واجبى ، قبل أن يقول حقى ، ويقول : حقى وحق غيرى ، ويقول : هذا لغيرى ، كما يقول هذا لِى .

ويومئذ يجمع الناس الحق ، بعد أن باعد بينهم الباطل ، ويؤلفهم العدل ، بعد أن فرَّقتْهم الأهواء .. وتلفُّهم المحبة ، بعد أن نفَّرتْهم البغضاء ، فسِّروا للناس هاتين الآيتين ، بالقول والعمل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(2) ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(3)

★ ★ ★

ثم ينتقل (ص ٤) للحديث عن « شقاء المرأة فى هذه المدينة » فيقول :

« يحسب الناس أن المرأة سعدت بهذه الحضارة التى تعيش فيها ، وحَلِيت بهذه الزينات التى تحملها ... ولكنى أرى أنها نعمت بهذه الحضارة من وجه ، وشقيت من وجوه كثيرة ، وحسبى فى هذه الكلمة أن أعْرِض لوجه واحد : كانت المرأة تملك الرجال يتصوّنها وحيائها ، وكانت لا تكشف إلا عن وجهها ، ولا يكون هذا إلا فى مجامع ضيّقة . وكان لها زينة يسيرة ، هى أن تقرّب وجهها من الجمال الطبيعى ، بصنْعة يخيل إلى الرائى أنها طبيعية .. فَسَفَرتْ المرأة عن وجهها وغير وجهها ، وغشيت المجامع كلها ، وتزينت على وجوه من الزينة لا يحصيها العد ، ولا تحدها محاكاة الفطرة الجميلة .. فصارت فى معرض يُنظر فيها إلى جسمها كله ، وألزمت أن تنافس فى ضروب من الزينة ، يضيق عنها الوقت والمال ، فهى فى شغل دائم بالتزين ، فى المجلس والطريق .. وهى بعد العناء فى جمْع المال ، وإنفاقه فى الزينة ، وإضاعة الوقت فيها ، والإشفاق من أن تبور فى

(1) بعنوان : « كلّ يقول لى ، وليس من يقول علىّ .

(2) المائدة : ٨ .

(3) سورة (ص) : ٢٦ .

المعارض الدائمة التى تغشاها ، فى الدور والمجامع والملاهى والطرق .. هى ، بعد هذا كله ، تطلب السعادة فلا تجدها ، وتبعد عن الفطرة .. ولا تقرب منها ... » .

ويختتم خاطرته تلك ، يقول ـ بحق ـ :

« إن هذا لَمَسْخٌ فى العقول ، يتجلَّى فى مسخ الأبدان والأزياء » .

* * *

ونمضى مع الدكتور عزام فى كتاب القيم ، فسيتوقفنا الكثير من فصوله الرائعة ، التى أودعها ذوب قلبه وفيض وجدانه ، ونحار فى بدائعها : أيها نأخذ ، وأيها ندع ، ولو طاوعنا القلم لأثْبتنا جُلَّها ، إلا أن ضيق المقام يجعلنا نقتصر على أكثرها دلالة على شخصية الدكتور عزام السمحة المؤمنة ، لتبرز سماتها فى آثارها الباقية ، ومن ذلك قوله (ص ٦١) تحت عنوان : « اللذة الكبرى » .

« كل لذة مادية ، ضئيلة سريعة الزوال ، بل تنقلب ألماً إذا جاوزت حدَّها ، وما أضيق تلك الحدود .. فالطعام الذى يلذه الطاعم ، تنفر منه نفسه حين يشبع ، والشراب الذى يحبُّه ، يعافه إذا أفْرط فيه ...

وللإنسان لذة أخرى لا تُحد : لا يحدها زمان ولا مكان ، كلما طالتْ .. زادت ، وكلما قَدُمتْ .. رسختْ ، لذة لا تقدر بحدود الجسم ولا طاقته .. هى لذة الروح ، والروح تأبى على الحدود والقيود .. فاللذة التى يجدُها الخَيِّر فى فعل الخير ، واللذة التى يجدها الكريم حين يفرج الكرب عن الناس ، وحين يواسى المرضى والضعفاء ، واللذة التى يوحى بها المرأى الجميل فى أرجاء السموات والأرض ، ولذة المعرفة والاطلاع ، والبحث والازدياد من العلم ، ولذة التأمل فى المعانى الجميلة التى لا تُحد ، واللذة التى يشعر بها العابد حين يقف فى محرابه ، ويخلع نفسه من المادة ، فيستمد من الله النور والجمال والخير والحق حتى يفيض قلبه : نوراًومحبة ورحمة .. كل أولئك لذات أعظم وأوسع وأجمل وأبقى من اللذات الحسية .. ولكن ، أين من يدرك هذه اللذات ويقوِّمها ، فيعمل لها ، ويستمتع بها ..؟! » .

* * *

وتحت عنوان : (أثرة وإيثار) (ص ١٥٠) ، يقول :

« فى الناس أَثِرٌ همُّهُ نفسه ، لا يبالى غيره ، ونفسه التى تهمه ضيقة الحدود ، صغيرة الهمة ، فهى مطامعه ومآربه ، وشهواته .. كل ما أدَّى إلى هؤلاء يحبه ويحرص عليه ، ويشحُّ به .

وفى الناس من تتسع نفسه ، وتبعد همته ، فيرتقى إلى رعاية القوانين ، ومراعاة الآخرين .. فهو ينظر إلى نفسه ، وإلى غيره : يأخذ بالحق ، ويدع بالحق .. ما كان له استأثر به ، وما كان لغيره ..

آثره به ، فهو عادل بين نفسه وبين الناس ، يأخذ ويعطى بالقسطاس ، ونعم الإنسان هذا ، ونعم خادم الجماعة هو .. » .

ثم يستتلى متحدثا عن الذين يبلغون ذؤابة مكارم الأخلاق ـ من أمثاله ـ وإن لم ينص على ذلك صراحة بوصف طويَّته ونبله ـ فيقول فى خاصة الخاصة من ذوى النفوس الكبيرة : « وفى الناس من يعلو مستوى العدل ، إلى مستوى الفضل ، فيحرم نفسه ما تستحق أحيانا ، ويعطى غيره ما لا يستحق أحيانا .. تسمو نفسه ، وتعلو همته ، إلى درجة الإيثار ، كما وصف القرآن الكريم الأنصار ، فقال :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ »(٤)

هذه درجة لا يُكَلِّفَها أحد ، ولا يتطوع لها إلا القليل .. وهى ربيبة الأسرة ، وغَذِيَّة الأبوة والأمومة ، والبنوة والأخوة ، تشيع فى الأسر الصالحة ، ويرضعها أولادها ، فينشئُون عليها ، ويعملون بها ، فى الأسرة الكبرى : الأمة .

تلكم درجة فوق الحق والعدل ، تبلغها النفس العظيمة ، حين تشعر أنها أقدر على احتمال الضُّر وأصبر عليه ، وأكثر استغناء عما يفتقر إليه الناس ، وأعظم إدراكاً للفضائل العالية ، فهى تعد نفسها أحَّق بها ، وأهلاً للخير والجمال ، وأبصر بهما .

★ ★ ★

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وُفِّقت إلى اقتطاف هذه الأزهار اليانعة ، والثمار الناضجة ، من بستان الدكتور عزام فى صفحات كتابه هذا ، وأختتم هذا الفصل بقوله ـ تحت عنوان : (موت عالم عامل) ، الذى ينطبق عليه هو شخصياً تمام الانطباق : « موت العالم العامل : موت فكر فسيح ، ورأى مُدبِّر ، وخفوت صوت مرشد ، ولسان مبين وفقْد يد عاملة ، وزوال قدوة حسنة ، وتعطيل كتب وأدوات ، وإقفار مجمع دَرْس ، ونـدوة علـم .. ووحشة أصحـاب وتلاميذ » .

رحم الله الدكتور عبد الوهاب عزام رحمة واسعة .

(٤) سورة الحشر .

وقفة مع ديوان

أَنَا المسْلِم

شعر / مُحَمَّد التهامى — إعداد وتقديم / محمد عبدالوهاب

لا شك أن الإطار الفكرى والوجدانى للشاعر ينعكس بالضرورة على النتاج الفنى له ، فهو يكشف لنا عن مكنون قلبه ، ويحدد لنا معالم شخصيته بصورة عفوية ، من خلال نتاجه الشعرى بدون أن يقصد ذلك عمدا ، كما أن الغاية الجمالية ، وخاصة فى فن الشعر ، تأخذ الأولوية المطلقة ، وإن تعدّدت السبل .

« والأسرة الكبيرة التى نطلق عليها كلمة (شعر) هى أسرة أفرادها القصائد التى قالها الشعراء ، والقصيدة الواحدة إن كان لها أخت توأم تطابقها كل المطابقة ، فقدت مميزا من أهم مميِّزات الشعر ــ بل الفن على اختلاف أنواعه ــ وهو التفرد الذى لايقبل التكرار ، لا فى ماض ، ولا فى حاضر و لا مستقبل ، إذن فتباين أفراد الأسرة هنا أمر محتوم ، وليس بالعرض الذى قد يحدث أو لايحدث ، دو ن أن يتأثر الموقف بحدوثه[1] » .

ولكن ما رأى الإسلام فى فن الشعر بصفة عامة ؟ وحتى نصل إلى كلمة سواء فى هذا الأمر ولاتكون هناك شبهة .. يقول الله ــ عز وجل ــ فى كتابه الكريم :

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

لقد أجمع المفسرون لهذه الآيات البينات ، على أن المراد بالشعراء الذين يتبعهم الغاوون هم الشعراء الذين قالوا شعرهم فى أغراض الجاهلية ، كالخوض فى الأعراض ، والشطط فى الهجاء بغير الحق ، والذين سلطوا ألسنتهم على دين الله ، وعلى رسوله الكريم ، ــ ﷺ ــ بالذم والقذف بالباطل ، ولكن جاء بالآيات أيضا استثناء لشعراء المسلمين ، ككعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ،

---

(١) أنظر ص ١٣٤ من كتاب (مع الشعراء) الدكتور زكى نجيب محمود ــ طبعة دار الشروق .
(٢)أنظر الآيات (٢٢٤ ــ ٢٢٧) من سورة الشعراء .

وحسان بن ثابت ، وذلك لوقوفهم فى وجه الظالمين من الشعراء المشركين وقفة إيمانية رائعة ، بشعرهم الإسلامى الذى باركه الله ورسوله ، ففى صحيح البخارى قال الرسول الكريم : «إن من الشعر لحكمة» ، وقال أيضا ـ ﷺ ـ لحسان بن ثابت : «أهجهم وهاجهم ، وجبريل معك» (متفق عليه) ..

هذا والأحاديث الشريفة فى هذا الأمر متعددة وكثيرة ، وما يهمنا هو أن الشعر إذا قيل فى أغراض شريفة وسامية ، فلا غبار عليه ، فهو فن راق ومرغوب فيه ، ومطلوب كوسيلة فنية للارتقاء بوجدان الإنسان ، وبخاصة إذا كان هذا الشعر شعرا إسلاميا معبرا .

والشعر كفن ، له قواعده وأصوله ، وأيضا له فلسفاته ومدارسه ومناحيه ، لذا وجبت مراجعته ونقده ، وقد طالعنا ابن سلام ، فى كتابه (طبقات فحول الشعراء) بقوله :

«وللشعر صناعة وثقافة ، يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات ، فمنها ما تثقفه العين ، ومنها ماتثقفه الأذن ، ومنها ماتثقفه اليد ، ومنها مايثقفه اللسان» .

«قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ماقلت أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء ، فهل ينفعك استحسانك إياه ؟..» .

ونقول : إنه على من يتصدى للنقد واجب نحو الشاعر الذى ينتقده ، وذلك بألّا يداهنه ؛ لأنه إن فعل ، فقد أساء إليه أبلغ الإساءة ، ولم يحسن ، وفى هذا المقام ، يقول أديب فرنسا ، وشاعرها الكبير (بوالو BOILEAU) فى كتابه (فن الشعر) ، بالنشيد الأول :

«ما أسرع المرائى صياحا وإعجابا
ولايسمع بيتا إلا امتلأ ذهولا واستغرابا
لاتثقل على أذنه لفظة ، فالكل جميل سام
يضرب برجله الأرض فرحا ، ويذرف عبرات الحنان
ويغمرك حيثما كان بالمدائح الجميلة

***

الصديق الحكيم شديد المراس ، لايعرف الكلال
فهو عاكف على زلاتك ، لايتركك قرير البال
لايسامح ـ فى يوم ـ مواضع تهاونك
ويعيد إلى الموضع الصحيح ، كل شعر غير موزون
يهذب جوانب الكلمات ، ويبعد عنها التكلف .
اللفظ هنا يؤذيه ، والمعنى هنالك لا يسيغه .
تركيبك ـ فيما يبدو ـ يشوبه الغموض

فالتعبير هنا متذبذب ، يحتاج بعض التوضيح
بمثل هذا يخاطبك كل صديق صدوق» .

هذا وعنوان الديوان الذى نقف بإزائه اليوم ، يشير بوضوح إلى أننا بصدد استعراض ديوان إسلامى ذلك هو ديوان : (أنا المسلم) للشاعر المصرى محمد التهامى .

والشاعر محمد التهامى غنى عن التعريف ، فهو موجودعلى ساحةالشعر العربى ، منذ الثلاثينات من هذا القرن ، وقد سبق له الحصول على العديد من الجوائز من المسابقات الشعرية ، فى مصر وفى البلاد العربية ، فلا يخلو مهرجان شعرى فى أى قطر عربى إلا وكان الشاعر محمد التهامى على رأس المدعوين إليه ، والمساهمين فيه .

وللشاعر العديد من دواوين الشعر التى يغلب عليها الشعور الوطنى الفياض ، والعقيدة الإسلامية السمحاء ، وشعره لاينحرف عن إطار القصيدة العمودية (الكلاسيكية) ، نائياً بنفسه عن شعر الحداثة ، الذى تنكر لعمود الشعر العربى .

ونستعين بالله ـ تعالى ـ ونبدأ معا بمطالعة هذا الديوان القيم ، الذى يستهله الشاعر التهامى بقصيدته : (أنا مسلم) ، والتى تخيرها ليسمى بها ديوانه ، فيقول فيها عن النبى ـ ﷺ ـ :

وتخيروه لهم إمامـــا صادقـــا لمّـا اصطفـاه لنـا إلآله الأعظـــم

وتمثل الشاعر فى هذا البيت ماحدث من إمامة المصطفى ـ ﷺ ـ للأنبياء جميعا (عليهم السلام) ، فى أثناء رحلة الإسراء والمعراج المباركة ، ثم نرى الشاعر وهو يؤكد على مبدأ عدم اكتمال إيمان المسلم بدون أن يؤمن بكل الرسل والشرائع السماوية السابقة على الإسلام ، فيقول فى نفس القصيدة :

إنـــا عبـــاد الله ملء قلوبنـــا طه ، ومـــوسى ، والمسيـــح ، ومريـــمُ
وجميـــع أصحـــاب الكتـــاب طلائـــع منّـــا على النهج القـــويم تقدمـــوا

ثم يُبْرِزُ لنا سماحة الإسلام وأهله ، مؤكدا على الوحدة الوطنية ، حين يقول :

وبلادنـــا دار الجميـــع فكلهـــم متقـــلّب فى خيرهـــا يتنعَّـــمُ
إنْ كان قسَّمهـــم هنـــالك دينهم فقلـــوبهم فى الحب لا تتـــقسَّمُ

ثم نلتقى بعد ذلك بقصيدة : (مع الله) التى يستهلها شاعرنا التهامى قائلا :

يارب .. شعـــرى بالحقيقـــة هامـــا عبداليـــقين . ورتـــل الإلهامـــا
فيقينـــه حبّ يفـــيض عبـــادة ودعـــاؤه شعـــر ، يضىء كلامـــا
إن كان أجـــراه اللســـان فإنـــهُ قلبٌ يذوب تبتّـــلا وهُيَامَـــا

وتظهر صوفية الشاعر واضحة ، من خلال أبياته التى تتوالى على نفس الوتيرة حتى نهاية هذه القصيدة ، وكذلك فى القصيدتين التاليتين لها وهما : (صلاة) و (يارب) .. فهو فى هذه القصائد ، يناجى ربه بكل فؤاده ووجدانه ، فيقول مثلا فى قصيدة (صلاة) :

لما عُرفت بك الحقيقـــــــة أشرفت	نفسى وهــــامت بالحقيقـــــة ذاتى
وارتـــاح طوفـــان اليـــقين بخاطــرى	كالنـــور فى المصبـــاح ، فى المشكـــاةِ

ويقول الشاعر فى قصيدة (يارب) :

الله يا الله فوق مداركــــــــــــى	سرُّ هنـــــاك على سنــــاك مصونُ
إنى أنـــا الإنسان أعـــرف من أنـــا	وأرى مكـــانى منك أيـــن يكـــونُ
إنى ذكـــرتك خاشعـــا بمدامـــع	ذابت لفـــرط حنـــينهن جفـــونُ

ثم يستدعى فى خاطره الحضارة العربية إبان صدر الإسلام ، أيام مجدها وفتوحاتها وقوتها فيفخر بها ، ويقرر بأنه لازال باقيا منها آثار من العزة والشموخ فيقول :

والمسلمـــــون حضارة علويـــــة	الأرض فيها للسمـــــاء تديـــــنُ
إن كان فى جوف التـــراب جذورهـــا	فلهـــا على هام السمـــاء غصونُ

ثم يقول :

هذه الحضارة للخلـــــــود وشعبها	بالجد فى هذى الحيـــــاة قميـــــنُ
إن كان قد أخنـــى عليـــه زمانـــه	فالدهـــــر يُسعـــــد تارة ، ويخونُ

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن فريضة الصوم ، فيبين لنا أفضالها العظيمة من أبيات قصيدته (فى نور الصيام) التى يستهلها بقوله :

الصوم للإنسان طوق نجاةِ	وطريقـــــة الهادى إلى الجنـــاتِ
وعليـــه معـــراج اليـــقين إلى الهدى	يمتـــد فوق مهـــالك الشهـــواتِ

ويقول محادثا رسول الله ـ ﷺ ـ :

إن شرّق العلمـــاء عنك وغربّـــوا	فإلـــــيك حتما منتهى الخطـــواتِ

ثم يقول :

لو أحسنـــوا فهـــم السلام لأسلمـــوا	ماغير ديـــنك سلمـــا لنجـــاةِ

وفى قصيدة (الهدى والضلال) يحلل لنا الشاعر بعض أسباب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة فيقول :

ياويلنـــا عادت البلـــوى مسيرتها	وآدنـــا فى ظلام الليــــل مسراهُ
وشدنـــا البعـــد عن سامـــى رسالتنـــا	وفاتنـــا النـــور من يأس وفتنـــاهُ
صرنـــا ضحايـــا لجهـــل بات يغرقنـــا	والجهـــل يقتـــل فى الدنيـــا ضحايـــاهُ
والحق أثمن مايسمـــو الوجـــود به	ونحن فى سَفَـــهِ الجهَّـــالِ بعنـــاهُ
فطـــوقت كوننـــا من كل ناحيـــةٍ	جنـــد الظـــلام وضلّت فيـــه رؤيـــاهُ

وفى قصيدة (أزهار وأشواك) ، يقول الشاعر عن المصطفى - ﷺ - :

وقـام فردٌ ليدعـو النـاسَ كُلَّهـمُ ... مايفعل الفردُ والأعـداءُ قد كثروا ؟
يا زهـرةً بخلال الشوك نابتـةً ... وهل بأرض الصحارى ينبت الزهَرُ ؟
لم يمضِ غير طويـلٍ إذ نرَى عجبـا ... شوْك البرارى زهورٌ عَرْفُها عَطِرُ ؟؟!

وفى قصيدة القدس يقول شاعرنا محمد التهامى : متحدثا عن القدس :

تظـلُّ مُنَـى الـروح فى ديننـا ... وأولى مراحلنـا فى السفَـرْ
ومَـنْ هانت القـدسُ فى دينـهِ ... يكـون كمَـنْ هانَ حتـى كفَـرْ

ثم يقول بعدها :

أيـا قدسُ ديسَ المكـان الجليـلُ ... وغَطَّـى على الطهْـرِ رجْسٌ أشَرْ
وسيـقت للكِ النـارُ خجلانـةً ... وكاد ينـوح علـيكِ الشرَرْ
وفى قدمـيكِ مضوا يخفـرون ... فتشهـقُ تحت علاك الحفـرْ

ثم يقول بعد ذلك :

تسنّ العصافيـرُ منقارَهـا ... وترمـى على الدارعيـنَ الحَجَـرْ

ويقول :

كأنّ الأبابيـلَ فى صَفّهـاَ ... تُعَبـِّىءُ أحجارَهـا مِنْ سَقَـرْ

ثم نصل إلى قصيدة صاحب الرسالة ، فنجدها تتكون من ثمانية وسبعين بيتا ، قسَّمها الشاعر إلى سبعة أقسام ، لكل قسم منها عنوان ، وهم على التوالى : الميلاد والدعوة وللإنسانية وقريش والصراع والهجرة والمسلمون .. ويقص الشاعر فى هذه القصيدة الطويلة قصة كفاح الرسول الكريم فى سبيل دعوته العظمى ، ففى القسم الأول منها والذى وضع له عنوان الميلاد ، نراه يقدم لنا (سيمفونية) إسلامية باسلوب الشعر فيقول :

تنصت الدنيـا لإيقـاع السنيـنْ ... تبـعث الأنغـام حينـا بعـد حيـنْ
كلّ لحنٍ راح يَطـوى سَنَـةً ... ثم يُطـوى فى عدادِ العابريـنْ
تعبر الأنغـامُ فى سمع الـورى ... لاصدى فيها ولافيها رنيـنْ
غير لحنٍ عبقـرىٍّ خالـدٍ ... فيـه نور من جلالِ الخالديـنْ

ويقول شاعرنا تحت عنوان (الدعوة) :

وتلقَّـى الوحـى - فى قرآنـه ... مشرق الآيات بالحق المبيـنْ
صار جسرا للهـدى متّصلا ... فيـه ترق خطـوات المهتديـنْ

ويقول تحت عنوان (للإنسانية) :

ياالجهـد .. قد أتـاه وحـده ... ومضى فيـه بعـزمِ المرسليـنْ
كان يدرى أى شرٍ رابضٍ ... للـذى ينـى سيَـاجَ الآمنيـنْ

وفى قسمى : (قريش) و (الصراع) يبين لنا الشاعر معاناة النبى ـ ﷺ ـ فى مواجهة عناد المشركين وكيدهم له . ثم نصل إلى قسم : (الهجرة) الذى يقول فيه الشاعر :

تناهـــى الكيــــد حين ائتمــــروا   بالــــذى يحرسه الـــــروح الأمين
صانــه الليـــل .. فلمـــا انــــتبهوا   خابت الآمال منهم والظنـــــون

ثم بعد ذلك يتوجه الشاعر بحديثه إلى المسلم فيقول له تحت عنوان : (المسلمون) :

أيها المسلــــم أدركت السمــــــا   وحبـــاك الخلـــدَ ربُ العـــالمين
قد تخذت الحقّ فيها سلّمـــــــا   فاستـــوى المعـــراج فى درب اليـــقين

ولكن الشاعر يعود فيغضب لما آلت إليه أحوال المسلمين ، فيقول فى قصيدة : (صاحب الشريعة الغراء) :

سلـــبت بلادهـــم ، وشرد بعضهـــم   والآخرون وقـــد علـــمت غثـــاءُ
مستضعفـــون فبعضهــــم متخبّـــطٌ   خلـف القطيـــع ، وبعضهـــم عمـــلاءُ
مدّوا إلى الأعـــداء كفَ ضراعـــةٍ   ياحسرتى ، هل يعطـــف الأعـــداءُ

ثم يقدم شاعرنا الدواء الشافى لعلل المسلمين فيقول مخاطبا الرسول ـ ﷺ ـ :

لو يفتحـــون عيـــونهم لبـــدت لهم   مماً شرعت محجَّـــةٌ بيضـــــاء
ورأوا حيـــاة المسلـــمين عزيـــزةً   لا منَّـــةٌ فيها ، ولا استجـــداءُ
ورأوك تعمـــل كى تعـــيش مكرّمـــا   ولـــديك مايزهـــى به الكرمـــاءُ
ورأوا طريـــقك بالكفـــاح مخضّبـــاً   لاهـــدأة فيـــه ، ولا إبطـــاءُ
ورأوا حيـــــاتك يارسول مسيرة   للعامــــلين تحفّهـــــا الأضواءُ
ياطـــالما ألقـــى جبيـــنك فى الثرى   عَرَقـــاً تَضَوَّعُ بمسكـــه الـــغبراءُ

ثم يقول بعد ذلك :

والمسلمـــون مصانـــع ، ومـــزارعٌ   وكفايـــة ، وعدالـــة ، ورخـــاءُ
والمسلمـــون الشامخون بجيشنـــا   لمّـــا تدور بأسده الهيجـــــاءُ
إنـــا وراءك يارسول طلائـــع   والله يهدى من يرى ويشاءُ

وقد أعجبتنى الأبيات التالية ، من قصيدة (تسابيح) حيث يقول :

أقـــول : يعيننـــى فى الأمـــر (زيـــد)   فان ولـــىّ ، يعين عليـــه (عمـــرو)
وبـــعض النـــاس تحسبـــه كبيرا   ترجّيـــه ، ومظهـــره يغـــرُّ
ولـــو جمعّت كل النـــاس طرّا   فإن حصيلـــة المجمـــوع : صفـــرُ
ويبقـــى ربّك الـــرحمن فردا   له فى الكـــون عرش مستقـــرُ

أما فى قصيدة (المثل الأعلى) فيقول شاعرنا :

ولـىّ الصيـــام وكنـــاّ قد ألفنـــــاهُ   كم من مولّ ، ويبقـــى طيب ذكــراهُ
إن الصيـــام صلاة الـــروح ، يرفعهـــا   عن طينها ، ويـــــقيها من خطايـــــاهُ

وفى قصيدة : (سر الحياة) يتحدث الشاعر عن القلب وعن العقل باعتبار أنهما أهم مظهرين من مظاهر الحياة فى الإنسان ـ من وجهة نظر الشاعر ـ فيقول :

القـــلب فى دنيـــا الغـــــرام أسيـــــرُ   والعقـــل فى شطـــط الحيـــاة يطيـــــرُ
حتـــى إذا بلغـــا اليـــــقين تعانقـــــا   وهـــــفت إليـــــه مدارك وعقـــــولُ

ثم نراه يتحدث عن الموت باعتباره قَدَراً محتوما لكل مخلوق ، وأن الدوام لله وحده ، فيقول :

فالخُلْـــد لله المهيمـــن ـ وحـــــده ـ   شهدَتْ به ـ فوق الزمـــان ـ عصورُ
والنـاس ـ مهمـا كان من أعمارهـم ـ   بَدَدٌ عُلى كفّ الفنَــــــا منثـــــور
سيّـــان من قاسى الحيـــــاة طويلـــــة   من اكتفـــى بالعمـــر وهـــو قصيـــرُ

وبعد ذلك يخصص الشاعر قصيدتين للإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ يبثُّه فيهما مشاعره الفياضة وحبه العميق ، ثم يختم ديوانه بقصيدة : (دعوة للخلاص) ، وفيها يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائلا :

أدعـــوك ياربى .. دعـــــاءً صِدْقُــــــهُ   وزن الجبـــال وعطّـــر الأنسامَـــــا
فيـــه احتـــــراقٌ من دَمٍ ومشاعـــــر   وتلهّـــــف يتدفّـــــق استرحامَـــــا

وفى نفس القصيدة ، تحت عنوان أحوالنا ، يقول الشاعر :

وخلاصنـــــا فى أن نفيـــــق وأن نرى   ونحس عيشا لا يطـــــيب مقامــــاً
هم يعرفـــون ، ما عرفنــــا أمرنـــــا   حتـــى غدونـــا للـــــنسور طعامَـــــا

ثم يقول بعد ذلك :

نشتـــــدُّ فى طلب الخلاص وفاتنَـــــا   أنَّ الطريـــــقَ مليئـــــةٌ ألغامَـــــا

وبعدها يقول :

صور تضج مهانـــــةً ، ودوامهـــــا   قد أرهـــــق الــــنصّاح واللوامَـــــا
لكننـــا لن نستجـــيب ، ولـــــن نرَى   حتـــى نميـــط من الضلال لثامـــــا

ثم يقول تحت عنوان (الخلاص) من نفس القصيدة :

ندعـــوك ـ ياربى ـ ونخلص قلبنـــــا   ندعـوك .. ندعـــو سُجـدّا ، وقيامَـــا
حتـــى تضىء حياتنــــا ووجودنَـــــا   وتزيـــحَ عن أعناقِنَـــــا الأصنامَـــــا
وتغيّـــــر النـــــفس المريضة بيننـــــا   وتـــــردّ عن إيمانها الأوهامَـــــــا

بعد هذا العرض السريع لقصائد هذا الديوان الجميل : (أنا مسلم) للشاعر : محمد التهامى ، جاء دور النقد ، فذلك حق شاعرنا التهامى علينا ، كما سبق وأن ذكرنا فى مقدمة مقالنا هذا ونستعين بالله ــ تعالى ــ فنقول :

يقول الشاعر محمد التهامى فى البيت الثامن من قصيدة (مع الله) .

يمشى على الأعــراف مشيــة مؤمــنٍ فاضت مشاعــــره رضىً وسلامــــا

فماذا يقصد شاعرنا بالأعراف التى ذكرها ؟ هل هى الأعراف التى فى السورة القرآنية التى تحمل نفس الاسم .. أم ماذا يقصد ؟

أما البيت الثامن عشر فيقول فيه :

فبكــل صاغيــة يصيــخ لنعمــةٍ وبكــل ناظــرة يرى أنعامــا

ونلاحظ أن الشاعر جعل قافية البيت ، كلمة (أنعاما) ، والأنعام البهائم ، فلو قصد هذا المعنى فعلا ، فقد قلل كثيرا من السمو الوجدانى الذى يهدف إليه أى شاعر ، وان كان يقصد إنعاما بكسر الهمزة ، فذلك لايجوز لأنه ذكرها فى قافية البيت الذى سبق هذا البيت مباشرة ، أما إذا ذكرها على أنها جمع لكلمة (نعمة) فهذا خطأ ، لأن جمع نعمة يكون نِعَم .

يقول الشاعر فى قصيدة : (صلاة) ، البيت الحادى عشر :

وارتــاح طوفــان اليــقين بخاطــرى كالنــور فى المصبــاح ، فى المشكــاة

كيف يكون لليقين طوفان والمعروف أن اليقين هو السكينة للعقل والعقل معا ، وخاصة وأن الطوفان من صفاته الإغراق والتدمير ، ونضرب لذلك مثل الطوفان الذى أهلك المخالفين والمكابرين من قوم سيدنا نوح ــ عليه السلام .

وفى البيت الخامس عشر من قصيدة (يارب) يقول الشاعر :

أن ليس للإنسان إلّا ماسعــــى سعيــا فكــل حسابــه موزون

ونرى أن شاعرنا هنا قد تقول القرآن الكريم ، ولكنه لم يضع علامات التنصيص ؛ ليظهر اقتباسه من الآيات القرآنية الكريمة :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[3] .

وشتان مابين بلاغة القرآن السامى ، ومحاولة الاقتباس ، التى قصرت عن شأوه .

وفى قصيدة : (الهدى والضلال) يقول الشاعر :

كلّ المذاهب والآراء مشرعــــةً تبغــى الصدام ، ولاتأبــه لعقبــاهُ

ونرى أن الشاعر هنا قد سَكَّنَ (الهاء) فى (تأبه) ليستقيم له الوزن ، بينما أصل الهاء هنا التحريك بالضمة ، لأنه لم يأت عليها مايسكنها ، كأداة جزم مثلا ، و (لا) هنا نافية ولاتجزم الفعل الذى بعدها .

(٣) آية ٣٩ سورة النجم .

أما فى قصيدة (القدس) فيقول فى البيت الثامن :

ودقّت شعـــــوبٌ على بابِهَـــــا فهـــــذا يَحُـــــجُ ، وذا يعتَمِـــــرْ

ونرى أن هذا القول غير صحيح بالنسبة للمعنى العقائدى الإسلامى، فالحج والعمرة لايكونا إلّا بالتوجه لبيت الله الحرام والكعبة المشرفة ، ومن ثم ، فإنَّ القدسَ الشريفة تزار ، وزيارتها لاتعتبر حجا ولا عمرة ، وإنما زيارة .

ويقول الشاعر فى البيت السادس عشر :

فيـــــا قدس ياراحـــــة للقلـــــوبِ ويـــــاسورةً من طوال السورْ

ولست أدرى كيف ذلك ، فلا توجد سورة طويلة أو قصيرة تسمى سورة القدس ، ثم يقول الشاعر فى البيت السابع عشر :

وياصخـــــرة لامستها السمـــــاء فلا هى نور ، ولا هى حَجَـــــر

ونرى أن بالشطرة الثانية كسر فى ميزان الشعر، كان يمكن للشاعر أن يتلافاه لو أنه قال :

وياصخـــــرة لامستها السمـــــاء فلـيست ضيـاء ، ولـيست حجَــرْ

ليستقيم له الوزن ، ويكون البيت أكثر موسيقية ، ودلالة فى التعبير عن شحنته الشعورية .

وتحت عنوان (قريش) ، يقول الشاعر فى البيت الرابع :

كان يدرى ، وهـــو يشتـــدّ الخطـــى أن هذا السير يعيـــى السائريـــــن

وكلمة (يشتد) هنا يقصد الشاعر منها معنى يقوى ، وكان يمكنه أن يقول :

كان يدرى وهـــــو قد مدّ الخطـــــى أن هذا السير يعيـــى السائريـــــن

ليكون التعبير أرق ، وأكثر ملاءمة .

وثمة ملاحظة لانذكرها للشاعر إلا لكونه جعل هذا الديوان كله للإسلام . وهذا يدفعنا أن نذكره بأن مقام شعره هذا لايناسبه أن ينسب الخيانة للدهر ، والحديث الشريف الصحيح يقول فيه رب العزة : (يؤذينى ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر) حديث قدسى رواه البخارى فى كتاب التفسير تفسير (سورة الجاثية)

ولايسعنا بعد هذا العرض الموجز لديوان : (أنا مسلم) إلّا أن نؤكد تجاوبنا مع منحى الشاعر الإسلامى والوطنى ، الأستاذ محمد التهامى ، وحرصه على أن يسهم بشاعريته فى إرساء القواعد والمبادىء الإسلامية الرفيعة ، وإن كان نقدنا الخالص لديوان أنا مسلم ، لايقلل مطلقا من قيمة هذا السفر القيم ، ونرجو من الشاعر ، بل نلح عليه ، بأن يتحفنا بالمزيد من قصائده ودواوينه الإسلامية .

والله ولى التوفيق

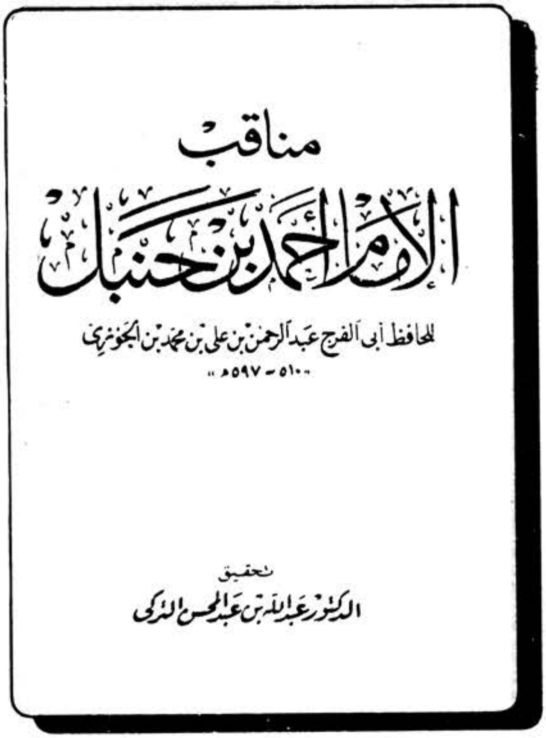

عرض الأستاذ

عبد السلام ناصف

كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) لابن الجوزى واحد من أنفس الكتب وأقومها ، يضاف إلى كنوز المعرفة التى تتحدث عن أسلافنا الأوائل الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وأمضوا حياتهم فى خدمة الشريعة الإسلامية ، وحفظ أصولها وفروعها ، وبيانها للناس نقية خالصة خالية من البدع والضلالات .

والإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ تعالى ـ ورضى عنه ــ علم من أعلام المسلمين وإمام مقدم من كبار أئمتهم ، ومجاهد صبر على الأذى فى سبيل الله ، وضرب أروع الأمثلة فى ذلك ، حتى عد من القلائل الذين حفظوا على الناس صفاء عقيدتهم الإسلامية ، وقام بخدمة الدين عن علم وبصيرة ، وإخلاص وصدق ، وجد واجتهاد ، وتقى وعقيدة ، وزهد وعبادة .

اتصف بصفات مستمدة من سيد الأولين والآخرين ﷺ وعَمَلِ صحابته وأفاضل التابعين .. وهذا هو محور كتاب المناقب هذا فأدب المناقب نهج فى التأليف ، والتعريف ، والتقدير ، والتنوية ، والوفاء ، والبر ، والتواصل والتراحم لمعرفة قدر السلف ؛ لتمتد صلة الإيمان وتكريم الأئمة الأعلام السابقين ، وهى حَفْزٌ للأحياء على التحلى بصفاتهم وسلوك نهجهم .

إننا أمام حياة نفسية ، وسلوكية ، وخلقية متكاملة ، تلازمت فيها العقيدة مع مقتضاها ،

والمعلومة مع ثمرتها ، والمبدأ مع السلوك يصدقه ويزكيه ، وهذا هو منهج الإسلام أى التلازم بين العلم والخُلُق .

مؤلف المناقب هو الإمام الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى الغنى عن التعريف ، الذى اهتم بفضائل ومناقب السابقين ولد ـ رحمه الله ـ فى عام عشرة وخمسمائة ، وتوفى وعمره سبع وثمانون سنة ، وانتهى من تأليف هذا الكتاب عام ست وستين وخمسمائة للهجرة .

اهتم بالمناقب وقام بتحقيقها لتكون رسالة (للدكتوراه) الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ؛ فحصل بتحقيقها على درجة الدكتوراه . واهتم بطبعه ونشره على نفقته الخاصة الملك خالد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فى مطبعة مصرية هى (دارهجر) للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٨ / ١٤٠٩ هـ .

والكتاب فى مجلد فاخر يحوى خمس عشرة وثمانمائة صفحة من القطع الكبير (١٨ × ٢٤ سم) يحوى جزأين يشمل الأول ثلاثة وستين بابا تتحدث عن صفات الإمام الشخصية من حيث : مولده ونشأته وتعليمه وترحاله وفكره وثقافته وتحصيله واستيعابه وفق إمكانياته الشخصية فى ظروفه البيئية والاجتماعية والنفسية .

أما المجلد الثانى فيبدأ من حيث ينتهى المجلد الأول ـ وحتى الباب المائة ـ شاملا منهجه ووجهته وصراعه وثباته على الحق ودخوله الامتحان ومحنته فيه وصبره على الأذى وجلده وانتصاره ، ثم مرضه ووفاته ودراسته : ما خلفه من فكر وعرض .

قبل أن نبدأ الحديث عن هذا السفر الثمين نقدم له بمقولة للإمام الشافعى فى الإمام أحمد إذ يقول : (أحمد إمام فى الحديث ، والفقه ، واللغة ، والقرآن ، والزهد ، والورع ، والسنة) .

ولنمض إلى الكتاب على أن نستسمح القارىء التغاضى عن ذكر الرواة وتسلسلهم فى سرد الحوادث ، خاصة الشخصية منها وتعدد رواتها أو اختلاف ما يرويه كل منهم طالما نصل إلى المعلومة المطلوبة ، لتصل إلى ذهن القارىء فى يسر وسهولة ، لتنتظم صورته الشخصية التى ندرسها دون تشتيت .

وتعتبر الأبواب الأربعة عشرة الأولى ـ من بداية مولده حتى نهاية الدراسة التى تتعلق بمشايخه فى الباب العاشر إلى ذكر تلاميذه ـ وحدة ، تقدم دراسة سريعة عنها : فقد ولد ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة أربع وستين ومائة للهجرة ، وتربى يتيما فى كفالة أمه التى كانت تنتمى إلى قبيلة بنى شيبان التى ينتسب إليها أبوه ، ويلتقى نسبه بنسب الرسول الأمين ﷺ فى (نزار) وكانت نشأته وتربيته تربية دينية بحتة ، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده وكان سريع الحفظ ، بادى الذكاء ، قوى الذاكرة ، سريع الاستيعاب يسترجع معلوماته فى ثقة واقتدار ، ولقد تعلم العربية وآدابها ، ثم انتقل إلى الكوفة والبصرة ومكة ، والمدينة واليمن والشام والجزيرة وهو ـ بعد ـ لم يتعد السادسة عشرة طلبا للعلم وللحديث ، متحملا الصعاب

والمشاق ، حتى يقال إنه ارتحل ماشيا إلى اليمن سعيا إلى الاستزادة ، ولقد تلقى على أيد علماء ومشايخ كبار أفرد لهم ابن الجوزى الباب الخامس ورتبهم فيه حسب الترتيب الأبجدى ومن بينهم الإمام الشافعى وأبو يوسف تلميذ أبى حنيفة ، وغيرهما ، وكان شغوفا بالعلم يفضله عما عداه ، برغم ما فيه من فاقة ، وكان يحفظ الأحاديث بأسانيدها ، ويجيب إذا ما سئل وكأن الدنيا بين عينيه ــ وخشى العلماء بأسه لفيض علمه ، وقــدم ــ المؤلف ــ سجلا بمشايخ الإمام مقرونا بثنائهم عليه ، قبل أن يقدم المشاهير من تلاميذه الذين درسوا عليه كالسجستانى وإبــراهيم الحربى وغيرهما .

وفى الأبواب الخمسة التالية للفصل الرابع عشر ، يذكر المؤلف فى الأول منها أن إلياس ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ أرسل بالسلام إلى الإمام أحمد ، وفى السادس عشر يذكر سلاما بعثه إليه الخضر ــ عليه السلام ــ ، وفى السابع عشر يذكر ثناء العباد والأولياء عليه ، وفى الثامن عشر والتاسع عشر يذكر تبرك الأولياء وزيارتهم له ــ وفى بعض ذلك قصص لا يثبت امام النقد مما حمل محقق الكتاب على إنكاره .

يقدم ابن الجوزى فى الباب العشرين شيئا من علم الإمام أحمد فى الإيمان فيقول عنه : إنه قول ، تنقصه ، وعمل يزيد وينقص والبر من الإيمان والمعاصى ومنه ردما غاب عن المؤمن إلى الله ، ومنه ان القضاء والقدر بيد الله وحده وكان لا يميل إلى (الكلام) ولا إلى أصحاب الكلام إلّا ما كان فى كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ وأصحابه ــ رضى الله عنهم ــ والتابعين ــ رحمهم الله ــ الذين صحبوه ورأوه وسمعوه وكان يقول : (خير هذه الأمة بعد نبيها : الخلفاء الراشدون وأصحاب الشورى الخمسة ، وأهل بدر ثم من صحب الرسول ﷺ يوما أو بعض يوم) ، وكان يحب آل بيت رسول الله ﷺ الكرام ، وكان يدعو إلى الكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء ، ويدعو إلى الإمساك عما شجر بينهم .

وكان يقول :

- (صفوا الله بما يصف به نفسه وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه) .
- احذروا الجدال مع أصحاب الأهواء . والمتعة الحرام .
- الصلاة خلف كل بر وفاجر ، وصلاة الجمعة والعيدين ، وعلى من مات ، والخروج مع الإمام فى الغزوة أو الحج ، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثاً ، وللمقيم يوما وليلة ، وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى ، وإذا دخلت المسجد فصل ركعتين تحية له والوتر ركعة .

وكان يقول : (أصول السنة : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم ، وترك المراء والجدال ، والسنة تفسر القرآن وهى دلائله ، وليس فى السنة قياس ، ولا تدرك بالعقول والأهواء ــ والإيمان بالقدر والتصديق بأحاديثه المأثورة عن الثقات ، وأن ينأى عن الجدال والكلام فى القدر والرؤية والقرآن ؛ فإن كلام الله ليس ببائن منه ، والإيمان بالميزان والحوض وحساب القبر وشفاعة النبى ﷺ .

ومن ترك الصلاة فقد كفر ، وقد أحل الله قتله .

ومن زنى فليرجم .

وقتال الخوارج جائز .

وطاعة الخلفاء واجبة ودفع الصدقات إليهم جائزة ، والصلاة خلفهم مقبولة ، ولا يحل قتالهم .

والسنة أولها الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى عنه والإخلاص فى العمل لله والإيمان بالقدر وترك المراء والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والصيد تحت لؤى السلطان ولا تكف أحدا والكف عن الحديث عما شجر بين الصحابة والترحم على جميع أزواج رسول الله ﷺ وأولاده وأصهاره ـ وقال : هذه السنة الزموها تسلموا أخذها بركة وتركها ضلالة .

وعنيت الأبواب الثلاثة التالية للباب العشرين بالسنة من حيث تمسك الإمام بها ، وتعظيم الإمام لها وإعراضه عن أهل البدع والأهواء .

ويخصص المؤلف الباب السابع والعشرين لمصنفات الإمام ويبدؤها (بالمسند) الذى يحوى ثلاثين ألف حديث والذى كان يقول عنه : أنه سيكون للناس إماما ـ ثم (التفسير) ويرى المحقق فى أمر (التفسير) نظر ص ٢٦١ ـ ثم (الناسخ والمنسوخ) و (التاريخ) و (حديث شعبة) ، و (المقدم والمؤخر فى القرآن) ، و (جوابات القرآن) ، و (المناسك الكبير) ، و (الصغير)[1] .

ولقد كان ينهى الناس عن كتمان كلامه ـ رغم ذلك لم تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع أو الأصول ولقد كان ـ رحمه الله ـ لا يرضى عن الكتب التى تشتمل على التفريع والرأى وإنما يميل إلى الأثر والتمسك به ، وهو ما يدور حوله الباب الثامن والعشرون إذ كان يقول : (انظروا فى الأصل) . أو (عليكم بالحديث) . أو (عليك بالأثر) . أو (إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق) .

ولقد جاب الباب التاسع والعشرون موضحاً مدى نهى الامام عن كتابة فتاويه أو آرائه ـ ربما تواضعاً ، وربما لأسباب أخرى ولكن مشيئة الله قدرت لآرائه وفتاواه أن تدون وترتب وتشاع ويدور الباب الثلاثون حول تعبده فى السر ورغبته أن يكون ذلك فى الخفاء بينه وبين ربه وكان يختم القرآن فى سرية تامة لا يعلم عنها أحد .

يتبـــع

(١) ذكر ابن حجر فى فتح البارى (كتاب الورع) للإمام أحمد ... مجلة الأزهر .

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد أحمد رخا بك و محمد حمدى بك

مدير المخازن بوزارة المعارف — ناظر مدرسة التجارة العليا

« جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين »

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

عرض وتقديم/

الأستاذ عادل خفاجة

حث الإسلام على تربية الفتاة تربية صالحة ؛ لما فى ذلك من أثر يعود بالنفع على الأمة بأسرها . وجاءت أحاديث النبى ﷺ تبشر من يُحسن تربية بناته بأن له الجنة ، فبصلاحها تصلح الأمة ؛ إذ هى الزوجة الصالحة التى يسكن إليها الزوج ؛ فتعم المودة والرحمة كل الأسرة . وهى الأم الناصحة التى تدفع أبناءها للعلا وتمهد لهم طريق الفلاح ، ولذا كان على هذه الأم أن تُعَدَّ إعداداً طيباً يؤهلها ، لأن تكون خير ناصح ومعلم لأبنائها . ولله در القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها .. أعددت شعباً طيب الأعراق .

من هنا كان اختيارنا لهذا الكتاب « الأخلاق للبنات » لما لمسنا فيه من جهد طيب وخطوات تحتاج من يقتفيها ، ودرب ينادى من يستكمله .

والكتاب يقع فى مائة وثمانية وأربعين صفحة من القطع المتوسط وقام بتأليفه كل من الأستاذين محمد أحمد رخا (بك) ومحمد حمدى (بك) سنة ١٩٢٢م ، والنسخة التى بين أيدينا هى الطبعة السابعة صدرت سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ؛ وقت كانت (وزارة المعارف) قد قررت تدريسه بمدارس البنات الأولية والابتدائية ، والأولية الراقية والمعلمات يومئذ .

صُدِّر الكتاب فى أولى صفحاته بعبارة « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

يثبت المؤلفان ـ فى مقدمة الكتاب ـ أنهما أرادا به ـ أى الكتاب ـ إصلاح حال المرأة المصرية ، واستئصال بعض الخرافات ، وذكر بعض المستحسن من آداب اللياقة النسوية . وأن هدفهما أن تنتفع به الناشئات المصريات لا سيما

التلميذات ؛ لأنهن أقبل للموعظة وأحرص على العمل والاهتداء بحكمة ما حصلن من العلم والتهذيب .

حوى الكتاب موضوعات عدة ؛ تشمل الآداب والعادات ، ويقص جانب منه بعض الحكايات يتبعها عدة أناشيد ، ثم قسمٌ للتراجم ضم عدداً من تراجم الشرقيات والغربيات فأما الشرقيات فبدأت بترجمةٍ لبلقيس(*) ملكة سبأ ، منتهياً بترجمة لشجرة الدر .

وللغربيات ترجم لـ « الياصابات »(١) ملكة إنجلترا والملكة فكتوريا وغيرهما .

ولعل أهم ما فى الكتاب ونحب أن نلقى عليه بعض الضوء ذلك الجزء من الآداب والعادات .

فهذه لبيبة ذات الأعوام العشر تتمتع بأخلاق فاضلة ؛ فهى تُقَبِّل يدى والديها صباحاً وقبل النوم . ونراها بعيدة عن كل ما يُشتم منه عنادٌ أو خبث . كما أنها تستحى أن يسمع صوتها الجيران ، كما أن أخلاقها الطيبة تمنعها أن تحدث ما يوجب الإزعاج أو التهويش(٢) .

وتلك « فائقة » من أحسن تلميذات المدارس المصرية ، وإن اسمها لَعَلى مسمى فهى :

تحيِّ رفيقاتها ببشاشة ولطف ، كما أنها مثال الجد والاجتهاد ، لاتنصرف – إذا سمعت (جرس) نهاية الدرس – إلا بعد أن تأذن المعلمةُ بالانصراف .

وعن آداب السير فى الطرقات :

يرسم لنا صورة لفتاة مهذبة ، إذا خرجت من بيتها وسارت فى الطريق حَفَّها الأدب والوقار ، وعَلَتْها الهيبة والكمال ، فنراها :

● لا تلتفت إلا للضرورة .

● ولا تنظر فى وجوه المارَّة .

ويستشهد المؤلفان لذلك بقول الله – عز وجل :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾

الآية رقم ٣١ من سورة النور .

● كما أنها لا تبدى زينتها ، فلا تظهر الملابس ولا الحلى أو الشعر فكل هذا يختفى تحت ملاءة واسعة .

عملاً بقول الله – تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾

الآية رقم ٣١ من سورة النور .

على هذا النحو نرى « وداد » أيضا هذه الفتاة التى تود أن تقوم بزيارة إلى جيرانها لتُفَرِّج عن نفسها ، ونصائح الأم لها فى اختيار الموعد المناسب للزيارة ، وتوجيهها إلى ما أخطأ فيه غيرها من الخوض فى كلام لا يليق فى حق الأخريات ، ودفعها إلى العمل وحبه ؛ لأنه السبيل إلى دفع الملل والكسل عن النفس ، كما أنه سبيل للإحساس بالسعادة .

أما عن العادات : فقد حفل الكتاب بكم كبير منها ، رأى المؤلف أن يلقى الضوء على ما يحتاج منه إلى تهذيب فذكر :

● التوسع فى الحفلات ومضاره :

فساق لذلك حواراً بين معجبة بالاحتفالات

(*) يقال : إنها ملكة سبأ ، وليس الدليل القاطع متوفرا على ذلك – مجلة الأزهر .

(١) هكذا وردت فى الكتاب ، ولعلها كانت تكتب هكذا فى ذلك العصر ، والمقصود « اليزابث » .

(٢) التهويش والتشويش سواء بسواء .

وتألق أضوائها وبين أختها التى تذم الإسراف ، ويتطرق الحوار إلى ضرورة التوسط والاعتدال ، والتوفير الذى لا يؤدى إلى التقتير ، ليصل الحوار فى النهاية إلى أنه لا بأس بالاحتفال بالعرس دون إسراف ، فخير الأمور الوسط .

● **المآتم :**

وفيه نقد لما بالمآتم من عبارات تهيِّج النفوس وتثير الحزن ، فإذا عُدَّ هذا عزاء فما أشنعه من عزاء ، لا يليق إلا بالجهلاء .

● **الزار :**

وعاب على هؤلاء النساء اللائى يعتقدن فى الزار وإن كان أمر الزار ـ بعد انتشار الطب ـ أصبح غير ذى موضوع .

ومن هذه العادات التى فى طريقها للاندثار عالج ـ أيضا ، فى أسلوب بسيط ـ « الأحجبة » و « التمائم » و « قياس الأثر » . إلى غير ذلك من عادات قامت على اعتقادات باطلة .

● **تخويف الأطفال :**

برغم الدعاء المتكرر : « اللهم إنا نعوذ بك من الخوف والفزع » إلا أنه لا يتطرق إلى أذهان الكثير منا شىء من ذلك حين يلجأون إلى تخويف أطفالهم وهم لا يقدِّرون مضار ذلك .

وقد حاول المؤلف علاج هذه العادة بأسلوب لطيف ومنطق لا يخلو من طرافة تناسب هذه السن ، وددنا أن يشاركنا القارىء فى ذلك الرأى حيث يقول فى ص ٤٥ ، ٤٦ :

« كثير من البنات قد سمع كلمة « بعبع » مراراً وتكراراً ولكن لا يعرفن معناها . ولو قالت إحداهن (بعبع بعبع بعبع) بصوت عالٍ لكانت كأنها تقلد صوت الجمل ، وهذه هى الكلمة التى ارتعدت منها فرائص الأطفال .. والسبب فى شيوع هذه الكلمة أن أماً من الأمهات الجاهلات ، بكت ابنتها الطفلة الصغيرة ، فبدلا أن تبحث عن سبب بكائها ، وتُعْمِل جهدها فى علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المستنكر مشفوعاً بقولها : ها قد جاء ليأكلك .. ومثل (البعبع) جميع الأفانين الباطلة التى تخترعها الأمهات الجاهلات ؛ لتكون وسيلة لكبح جماح الطفل ، والحيلولة بينه وبين أغراضه . إذ لا يعرفن لذلك وسيلة أخرى ، **فينشأ هيَّابا وَكَلًّا ، خائر القوى يفزع لصغار الحوادث ولا يقوى على مواجهة صروف الأيام فأين هذه الأم من تلك الأم الراقية ، التى ترضع طفلها مع اللبن ثبات الحنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف والفزع سبيلا إلى فؤاده ؟** ... » .

ولقد سقنا هذه الكلمات بنصها ؛ لنرى كيف كان يفكر أسلافنا وما مفهوم (الرق) الذى أرادوا أن يبثوه فى أذهان الصغيرات . أمهات المستقبل ، وكم نحن فى حاجة إلى مثل هذه التوجيهات الطيبة لصغيراتنا .

● **زيارة الأضرحة :**

تدور مناقشة بين « عائشة » و « فردوس » عن فائدة زيارة الأولياء ، ونسمع رد عائشة تقول :

« إن هذا ياأختى لضلال مبين : فإن الذى يقضى الحاجات ويُفَرِّج الهموم ، ويبعد المصائب ويشفى الأمراض ، هو الله ـ جل شأنه ـ ، لا شريك له فى ملكه ، ولا يصح أن نعتقد غير ذلك ... » .

● وعن السعادة المنزلية :

نستخلص مراد المؤلف أن ربة البيت هى أساس السعادة ؛ لأنها بمثابة الروح من الجسد ، وليست السعادة فى كثرة المال ؛ فربة البيت النشطة حسنة التصرف فى مالها وعشيرتها .

ومن هذه المقطوعة عن السعادة المنزلية نلتقط هذه السطور :

« ... ليس من الليقان[٤] أن تزعج الواحدة جارتها بمثل هذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلى فى المدرسة بطريقة لطيفة : إذ كانت إحدانا إذا طلبت (نشّافة)[٥] الأخرى أو قلمها أو مسطرتها ـ مثلا ـ منعتها معلمتنا ، وحتمت أن يكون لدى كل تلميذة جميع أدواتها . فهى بذلك تنبهنا إلى فضيلة الاستقلال المنزلى » .

وكم تحتاج مدارسنا فى هذه الأيام إلى معلمات مؤهلات لغرس هذه القيم والعادات الطيبة فى نفوس النشء ، لا مجرد مدرسات أقرب إلى كونهن كتباً ناطقة فى أفضل الحالات .

ثم نجد قسم الحكايات والعبر :

وفيه أبرز المؤلف فضل الأدب على العلم ، فهذه مسابقة لشغل وظيفة ، تتقدم لشغلها الكثيرات ، ولكن تفوز بالوظيفة من راعت الآداب العامة ، ونظافة ملبسها ، وظهرت عليها علامات الحشمة والوقار ، برغم وجود من كن أفضل منها علماً .

وعلى هذا المنوال ينسج المؤلف ، حكايات ممتعة يخلص منها القارىء إلى أن :

● عاقبة هجر الأهل وخيمة .

● حسن المعاملة يثمر الألفة .

وهو فى كل ذلك يؤيد كلامه إما بآية من كتاب الله ـ عز وجل ـ أو بحديث شريف لسيدنا رسول الله ﷺ .

ثم هو مع كل ذلك يلجأ إلى استخدام عدد من المفردات اللغوية الجديدة ؛ ليثرى حصيلة هذا النشء . فجاء الكتاب مؤدباً ومعلماً .

أما الأناشيد :

فقد قدم مجموعة متنوعة مختارة تخاطب الأم ، وتتكلم عن الحنان والأمل وما ينبغى أن تتحلى به الأمهات والفتيات ، نذكر جانبا من « نشيد الصباح » .

يا مرحبـــا جاء الصبـــــاح
والليـــــل كالمهـــــــزوم راح
والـــــديك فى النُّيــــام صاح
يشدو بحىِّ على الفــــــــلاح
ويســـبح الله الكـــريم
يا بنت هُمِّـــــى تُحْمَـــدِى
وبخيرة النـــــاس اقتــــــدى
وعـــن المكـــــاره فابُعـــدى
وإلى المكــــارم فاهتــــــدى
نحـــو الصـــراط المستقيم

أما القسم الأخير من الكتاب فقد جعله للتراجم .

تضمن هذا القسم ترجمة للسيدة خديجة زوج النبى ﷺ وبيَّن رجاحة عقلها ؛ لاختيارها التجارة أسلوباً لاستثمار أموالها . ويختتم تلك

(٣) يقصد : اللياقة

(٤) ورقة على سمك كانت معدة لامتصاص الحبر ليجف المكتوب .. مجلة الأزهر .

الترجمة بقول يوجهه إلى المرأة ـ كم نحن جميعا فى حاجة إليه ـ حيث يقول :

« وإن التى تتأمل فى ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ، لا يسعها إلا أن تعجب كل الاعجاب بما وُهبت من فكر ثاقب أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأنها فى العمران ، فخصصت ثروتها الطائلة للبيع والشراء ، حباً فى تثمير المال ـ ولم تشأ أن تخزنه أكداساً ؛ لأن المال إنما يزكو بحركة التداول ، فيزداد وينتفع به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السِّلع وتمتع مشتريها بها ؛ لأن المال هو الذى ينقلها من أوطانها ويداولها بين الناس . ولقد حثَّ النبى ﷺ على التجارة لما فيها من خير كبير ، ولم يقم بها بنفسه إلا للإجماع على أنها مهنة شريفة . وأين السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ من كثير من النساء اللائى لا يعرفن للمال قيمة غير أن يشترين الملابس الثمينة والحلى من الذهب والحجارة الكريمة التى لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعُجب الممقوت .

نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبّهن لها . ولكن المنكر أن ينفق كلُّ المال أو معظمه عليها ، مع إمكان تثميره والانتفاع به :

وللسيدات فى خديجة ـ رضى الله عنها ـ وغيرها من فضليات النساء أسوة حسنة .

أما الجزء الذى خصصه المؤلف لتراجم الغربيات فذكر فيه شيئاً عن الملكة « اليزابث » وأنها ولدت سنة ١٥٣٣ وتوفيت عام ١٦٠٣م وأنها كانت واسعة المعرفة ، وبرعت فى اللغات ... الخ . كما ذكر أن الملكة « فكتوريا » ارتقت أريكة العرش قبل أن تبلغ العشرين من عمرها وكانت مفرطة الذكاء وبعيدة النظر ، وكانت أيامها أيام سعادة ويمن على شعبها .

ويبدو أن الهدف من « التراجم » هو التأكيد على دور المرأة فى المجتمع قديماً وحديثاً فى الشرق والغرب . فكان الاهتمام بالأسلوب ، وكان المؤلف كلفاً بالصور البيانية مُؤْثراً للسجع ، ويبدو أن هذا الأسلوب كان سمة عصره ، فنثره ووشى به صفحاته .

والكتاب فى جملته ـ وبعيداً عن أخطاء طفيفة ـ يبين مدى الاهتمام بأخلاق البنات وتربيتهن عملياً على السلوك الرفيع والخلق الطيب .

وكم نأسف لما ورد به ص ٩٨

من تصوير لنبى الله سليمان ـ على نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ـ يستقبل ملكة سبأ ، فقد كان هذا العمل غير طيب وغير مقبول .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

دعوة إلى حسن الخلق

هناك فرق واضح بين « الخُلق والتخلق » فصاحب « الخُلق » يتمتع بأخلاق فطرية و « المتخلق » مجتهد يصل بالمجاهدة فى حمل النفس على أخلاق بعينها يريد أن يتحلى بها ، من هنا يمكن أن يكون حسن الخلق غريزة أو اكتساباً .

وأياً ما كان « حسن الخلق » غريزة أو اكتساباً ؛ فالمطلوب توفره لدى كل مسلم ومسلمة أن يتميز بخلق حسن له سلوك قويم ؛ فإن الخلق الحسن هو الهدف من بعثته ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .. رواه أحمد والبيهقى .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أوصنى .. قال : اتق الله حيثما كنت . قال : زدنى .. قال : أتبع السيئة الحسنة تمحها . قال : زدنى .. قال : خالق الناس بخلق الحسن .. رواه الترمذى .

وقيل : يا رسول الله : أى المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » رواه الترمذى والنسائى وأحمد ، كما كان من دعائه ﷺ : « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » رواه مسلم .

حول هذا المعنى تلقى الباب كلمات عدة لشيوخ أفاضل وأساتذة أجلاء ، أستميحهم عذراً إن وجدوا اختصاراً اقتضته طبيعة النشر أو المساحة .

كما تجد عزيزى القارىء كلمات أخرى ننشرها حرصاً على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات ، إلى جانب الردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات التى نتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل بعضها على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة بمشيئة الله ـ تعالى .

المحرر

سعادة الفرد ونهوض الجماعة

حول أثر الأخلاق فى سعادة الفرد والمجتمع كتب فضيلة الشيخ/محمد فتحى عبدالصادق عز ـ مدير سابق بالتربية والتعليم بمنيا القمح :

كان أول حجر وضعه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى بناء صرح هذه الأمة الكريمة وركز عليه واهتم به ؛ ما عبر عنه فيما رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ حين قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه أحمد والبيهقى .

وبهذا الأسلوب الرائع الموجز بين لأمته أن هذه التكاليف التى أمرنا الله بها ليست غاية لذاتها ، وإنما هى وسيلة إلى غاية نبيلة كريمة ، وهى الاتصاف بالخلق العظيم ، الذى ربى عليه خاتم رسله ، وأثنى عليه فى كتابه بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٥ .

ذلك لأن الأخلاق الكريمة هى الينبوع الأول الذى يفيض منه كل خير فى هذه الحياة ، وهى التى تغرس فى قلب المؤمن إيماناً قوياً ويقيناً لا يضعف ، فإن صاحب الخلق الكريم إذا همت نفسه بقبيح يقول : إذا كان الله قد خلقنى وربانى ورزقنى ورعانى فما أجدره بالكثير من شكرى والاعتراف بحمدى وثنائى ، وليس من مكارم الأخلاق عند ذوى الفطر السليمة أن أبارزه بالجحود والعصيان ، فإذا لم تحقق التكاليف الشرعية هذه الحكمة ، ولم تثمر هذه الثمرة كان المسلم جسماً بلا روح ، وهيكلا بلا حياة .

أقصر طرق الإقناع

وكتبت الأستاذة/وفاء بشير صقر ـ ماجستير عقيدة وفلسفة ـ عن خُلق الصدق كأقصر طريق للإقناع :

يصرح لنا رسولنا الكريم بعظم أمر الصدق بقوله : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » رواه البخارى ومسلم .

وإنى لأجد الصدق عماداً لكل الصفات الحميدة .

وهذا الصدق فى القول لابد أن يتبعه « الصدق فى الفعل » قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل

فإن عدم العناية بإتقان ما يسند للمرء من أعمال لون من الكذب ، وأمة هذا حال أفرادها

لا يمكن أن ترقى ذرا المجد وأن تتبوأ المكانة الرفيعة .

يلى ذلك « الصدق فى النيـــــة » أى : الإخلاص ، يقول ـ تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البنية : ٥ .

فالذى يكون قلبه فى واد وعمله فى واد آخر لا يثمر عمله الثمرة المرجوة ، كواعظ يعظ الناس بالزهد وقلبه يطلب الدنيا فمن مكارم الأخلاق أن يفعل الإنسان العمل الطيب بقصد طيب ، فيطيب ظاهره وباطنه والمؤمن طيب لا يصدر عنه إلا طيباً .

ومن سنن الله فى خلقه أنه كلما حسن الشىء كان نقيضه فى درجة من الخبث تعادل حسن النقيض ، فلا أطيب من الصدق بصوره الثلاث : قولا وفعلا ونية .

إلى متى الكيل بمكيالين ؟

بعد سقوط « سربنتيشا » البوسنية فى أيدى الصرب لم يعد هناك مبرر لاستمرار حظر السلاح على البوسنة ، فقد كانت هذه المنطقة آمنة ومنزوعة السلاح وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ، وها هى القرارات انتهكت من الصرب وسقطت المنطقة الآمنة فى مشهد مأساوى مريع ، دون أن يملك المسلمون حق الدفاع عن أنفسهم ، فإلى متى يستمر قرار حظر السلاح عن البوسنة فقط ؟ وإلى متى تستمر سياسة الغرب فى الكيل بمكيالين ؟ كتب فضيلة الشيخ/صلاح محمد بدر ـ من علماء الدعوة بوزارة الأوقاف ـ كلمة مطولة عن هذا المعنى نوجزها فيما يلى :

قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾ . سورة الملك

فهل نحن مصدقون حقا ومؤمنون صدقا وعن يقين بأن لله جند لا يعلمها إلا هو :

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ المدثر : ٣١ .

ينبغى علينا كمسلمين ـ بلغنا خُمس العالم ـ أن نربأ بأنفسنا وكرامتنا عن مواطن الذلة والمهانة ونعلن عن عزتنا وشموخنا فى قولة صريحة وموقف شجاع موحد وإيمان راسخ بأننا منسحبون نهائيا كأمة عربية وإسلامية مما يسمى زورا وبهتانا بمجلس الأمن .

ومن يستقرىء التاريخ لهذا المسمى يجده فارغا من مضمونه خاصة فيما يتعلق بالمسلمين ، وليست حوادث كشمير مع الهندوس فى الهند منا ببعيدة ، مما يكشف عن النية المبيتة لابتلاعنا ودحرنا والعمل على قهرنا وإذلالنا واستغلال ثرواتنا وخيرات بلادنا تحت بريق الشعارات المزيفة .

مقام المراقبة

وكتبت الأستاذة/نجاة خيرى الطيب ــ من يعقوب ــ البلينا ــ سوهاج ــ هذه الرسالة فى كيفية إحكام العبد للتقوى والمراقبة بينه وبين الله ــ عز وجل ــ تقول ــ فى رسالتها :

إن الإجابة تكمن فى ذكر الله ــ عز وجل ــ بصفة دائمة ، فمن فوائد الذكر :

أولا : أنه يرضى الرحمن ــ عز وجل ، ويزيل الهم والغم من القلب .

ثانيا : أنه يورث المسلم المراقبة حتى يُدخله فى باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ــ ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ــ كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

ثالثا : أنه يورث المسلم ذكر الله ــ تعالى ــ له كما قال ــ جل وعلا : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ البقرة : ١٥٢ .

ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفاً وقال النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم » متفق عليه .

رابعا : أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه ــ تبارك وتعالى ــ فإن الغافل بينه وبين ربه وحشة لا تزول إلا بالذكر .

خامسا : أنه ينجى من عذاب الله ــ عز وجل ــ كما قال معاذ رضى الله عنه ويروى مرفوعاً « **ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله ــ عز وجل ــ من ذكر الله تعالى** » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده .

سادسا : إن الاشتغال به سبب لعطاء الله ــ سبحانه ــ للذاكر بأفضل ما يعطى السائلين ؛ ففى الحديث عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله ــ سبحانه وتعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » أخرجه الترمذى .

سابعا : أنه : غراس الجنة ، فقد روى الترمذى من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال : « **من قال : سبحان الله وبحمده ؛ غرست له نخلة فى الجنة** » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

الظلم ظلمات

وكتب الأستاذ/نجاح عبدالقادر سرور ــ المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة ــ كفر بولين ــ كوم حمادة ــ تلك الكلمة عن خطر الظلم وآثاره المدمرة :

الظلم ظلمات .. وما انتشر بين قوم إلا خبا فيهم نور العدل .. وتعطل القسط والميزان .. وما

أنزل الله من نور وحيه ؛ إلا وكان مع الكتاب الميزان ؟ يقول سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ الشورى : ١٧

وحرم سبحانه الظلم على نفسه وعلى خلقه ؛ فقال ـ جل وعلا ـ فى الحديث القدسى الصحيح : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** » (رواه مسلم) ، وحذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه البخارى ومسلم . فلا يظلمن أحد نفسه ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ النحل : .. ولا يظلمن أحد جيرانه ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ النساء : ٣٦ .

.. ولا يظلمن أحد عباد الله ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

الشورى : ٤٢

ولتكن لنا عبرة فى كل جبار وطاغية ؛ ظلم وبغى ، وطغى وتجبر .. ماذا فعل الله ـ تعالى ـ به ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

سورة العنكبوت

.. ولنعلم أن الله تعالى يسلط الظالم على الظالم ، ويخرج من بينهما أهل الحق سالمين .. « ألا واتق دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن رب العزة » روى الترمذى قوله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : إمام عادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب ـ عز وجل : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

.. وما أجمل ما نسب إلى على ـ رضى الله عنه ـ محذرا من دعوة المظلوم ومن الظلم :

واحذر من المظلوم سهما صائبا

واعلم بأن دعاءه لا يُحجب

من درجات الكبر

وكتب القارىء/عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ من محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام ـ هذه الكلمة عن درجات الكبر :

١ ـ أن يكون الكبر مرضا مستبطنا فى القلب ، ولا يظهر أثره على الجوارح أو اللسان ولا يشعر به الناس ، ومع ذلك يوصف صاحبه به ويحاسب عليه كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ سورة غافر آية ٥٦ ، ويقول النبى ﷺ : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه الترمذى .

٢ ـ أن يظهر أثر الكبر على الجوارح فيراه الناس ويشعروا به إذ يقول الله تعالى :

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ لقمان

ردود وتعليقات

● **القارىء/محمد عباس أحمد ـ البلينا ـ سوهاج :**

نشكركم على اهتمامكم بالمجلة ، وبمشيئة الله ـ تعالى ـ ترون مبلغ العناية بها يزداد مع كل عدد جديد .

● **الكاتب/محمد مصطفى الغمرى ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية :**

لكم من ادارة مجلة الأزهر خالص التقدير على إسهامكم فى إثراء بريد « مجلة الأزهر » بالمعانى الطيبة والتعليقات البناءة ، لاسيما على الجزء الثانى من « مقدمة قبل هجرة النبى ﷺ ... الجوار » ، وعلى سلسلة مقالات « الوحدة العضوية فى الشعر العربى » وغير ذلك مما يكون له الأثر البالغ فى توضيح الرؤية .

● **القارىء/عاشور حسين عبدالرحيم يوسف من الرواتب ـ أبو تشت ـ قنا :**

قرأت رسالتكم عن « السحر » ، وليتكم توضحون لنا تفاصيل ما تريدون الوصول إليه ، فالرسالة غير واضحة .

● **القارىء/محمود محمد الغنيمى العطار ـ بلقينة ـ المحلة الكبرى ـ غربية :**

نعتذر عن إجابة طلبكم فليس لدينا كتبا مما تطلبون لنرسلها إليكم ، حيث إن ذلك خارج عن قدرتنا واختصاصنا .

● **القارىء/خيرى محمد ابراهيم أبوالروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :**

إن أهم ما خرجت به رسالتكم فى الفرق بين « المؤمنين والكافرين » ، هو : الفرق بين « الإيمان والكفر » ، وشتان ما بينهما « وماذا بعد الحق إلا الضلال » .

● **القارىء/محمد فتحى نعيم حسن ـ كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة :**

لا تتعجل نظم الشعر قبل أن تستوعب منه ما يضفى على وجدانك شعراً ، وتزود بعلم العروض والقافية ما أمكن .

● **القارىء/صبرى الطاهر أحمد ـ كلية الحقوق بأسيوط :**

الدراسة بجامعة الأزهر لابد أن يسبقها الحصول على الثانوية من معاهد الأزهر .

● **القارىء/أحمد حسن أحمد محمد ـ كلية التربية ـ جامعة الأزهر :**

تعمل إدارة تحرير المجلة جاهدة على إخراج المجلة فى موعدها غير أنه أحيانا نضطر إلى تأخيرها يوما أو يومين بسبب حدث معين نسعى إلى تغطيته والمجلة ماثلة للطبع ، خالص تقديرنا لمتابعتكم .

● **القراء/أهالى قرية المعصرة بأسيوط :**

نعتذر عن إجابة طلبكم ، فضم أى معهد له شروط خاصة يمكن الاستعلام عنها من القسم الهندسى بالأزهر .

● **بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويلقاها تباعاً .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يشهد

حفل تخريج الدعاة والأئمة

شهد فضيلة الإمام الأكبر يوم الاثنين الموافق ٣ ربيع الأول ١٤١٦هـ ١٩٩٥/٧/٣١ م حفل تخريج الدفعة التاسعة والعشرين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف وقام فضيلته بتوزيع الشهادات على الخريجين .

أقيم الحفل بمدينة البعوث الإسلامية وشهده فضيلة المشرف العام على المدينة وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

ألقى فضيلة الإمام الأكبر الكلمة التالية فى هذا الحفل العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة السلام على سيدنا محمد رسول الله .

السادة السفراء ، السادة الأئمة والعلماء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يوم طيب كريم نذكره — دائما — إن شاء الله — هذا اليوم الذى أختتم فيه دورتكم وأدعو الله — سبحانه وتعالى — أن يوفقكم؛ لتكونوا مبشرين فى أمتكم بالهداية والتوفيق بالعمل بدين الله — سبحانه — وأن تكونوا موجهين لأهلينا المسلمين وأمتنا الإسلامية فى كل مكان وفى أوطانكم على وجه الخصوص .

نحن فى حاجة إلى أن نتذاكر مع المسلمين أحكام الإسلام : عقيدة وشريعة ، وإبلاغ رسالة الاسلام إلى الأمة الإسلامية بل إلى العالم كله .

لقد أدى الرسول — ﷺ — مهمته التى بعثه الله بها ، وأدى أصحابه الرسالة ، ونشروا الإسلام

فى كل مكان حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وتم ذلك فى زمن قصير ، وكانت لديهم أعمال جليلة طيبة .

مع الإخلاص فى إبلاغ الرسالة والدعوة إلى الله وقد نشروا العلم والتعليم فى العالم كله ، وأقاموا حضارة إسلامية مميزة ، ليست حضارة مادية فحسب كالحضارات التى نعرفها وننظر إليها وإنما كانت حضارة ارتفعت بإنسانية كل الناس وسيطرت على بنى الإنسان فى كل مكان .

ونحن المسلمين نرجو أن نحتفظ بوسطية الإسلام الذى يوائم ظروف الحياة بين المادية التى يحتاج الإنسان اليها والتزود الروحى ، إن رسول الله ــ ﷺ ــ أرشدنا الى الطريق السوى فقال : « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بينا : كتاب الله وسنتى ، رواه الحاكم عن أبى هريرة .

ونرجو أن تعود الأمة إلى تماسكها وترابطها وأن ترتفع فوق الأحداث .

وأنتم أيها الأخوة مسئولون مسئولية كاملة عن أن تقولوا للناس حسنا ــ كما أمرنا الله ــ وأن تتبعوا قول الله ــ تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل ــ ١٢٥) وأن توضحوا للناس أحكام الإسلام مبسطة ظاهرة واضحة ، وأن تلاحظوا فيما تفتون ــ قول النبى ﷺ بشأن من أُفْتِىَ بغير علم وأن إثمه على من أفتاه .

أوصيكم أيها الأبناء والأخوة أن تداوموا على المذاكرة والدراسة ، وأن تزدادوا بالاطلاع ، وأن تكونوا على صلة دائمة بكتاب الله تلاوة وحفظا وتفسيرا واستنباطا ، وأن تكونوا على صلة بحديث رسول الله ﷺ وسنته من قول وفعل وتقرير .

ونحن مأمورون باتباع سنة النبى ﷺ.

فمن أين تعلمنا الصلاة ؟

قال النبى : ــ ﷺ ــ صلوا كما رأيتمونى أصلى[1] .

وكيف تعلمنا الحج .

قال : عليه الصلاة والسلام : خذوا عنى مناسككم[2] فلا تهملوا الحديث عن الرسول ــ ﷺ ــ ولتحفظوا وتحافظوا عليه .

ولتكونوا ــ أيها الأخوة ــ مع الناس برفق حتى يتعلموا الدين ويرجعوا إليه ، واعملوا على أن تنشئوا الأجيال الصغيرة القادمة على الإسلام الصحيح الخالى من البدع ،على الإسلام الخالص .

إن الكثير منا ليسوا على قدرة لاستنباط الأحكام ، وإنما علينا الرجوع إلى العلماء ، ولا يأتى أحد ــ كما يحدث أحيانا ــ ويتحدث دون علم فى تفسير القرآن ، أو رواية عن الرسول ــ ﷺ ــ أو الأحكام .

إن العلم أمانة ، وأن الله يأمركم بأن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وأنتم مسئولون عن تبليغ القرآن والعلم للناس والرسول ــ ﷺ ــ يقول : (بلغوا عنى ولو آية)[3] لعل الله يجعل لنا من الضيق فرجا ومن الحال التى نحن عليها حالًا افضل منها ، وإن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول :

(١) روايات عدة للإمام البخارى ــ والدارمى ، والإمام أحمد .

(٢) كما جاء الحديث فى مسند الإمام أحمد فى رواية جابر بن عبدالله يقول : رأيت النبى ﷺ يومى على راحلته يوم النحر يقول : «لتأخذوا مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه» .

(٣) البخارى ــ الترمذى والدارمى وأحمد .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١١) .

فلنعمل على تغيير السيىء من أفعالنا « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » الأنعام ١٥٣

أرجوا أن تعودوا إلى أهلكم بخير وسلام ، وأن تكونوا أسوة فى الصلاح بين الشعوب : تتواصلون وتتراحمون حتى تكونوا الشرايين التى تجمع بين هذه الأمة متمثلة فى شعوبها وأوطانها .

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الإمام الأكبر يستقبل سفير بريطانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته صباح يوم الخميس الموافق ٦ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ٣ من اغسطس ١٩٩٥ م السيد /ديفيد أزرو سفير بريطانيا بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء رغبة كبير الأساقفة فى كانتربيرى فى لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى أكتوبر القادم .

كما تناول اللقاء مناقشة الدعوة الموجهة لفضيلة الإمام الأكبر من سمو الامير «تشارلز» أمير «ويلز» لزيارة (مركز أوكسفورد الإسلامى) فى لندن ومناقشة الأوضاع فى البوسنه والهرسك وكشمير وأهمية تطبيق قرارات الأمم المتحدة لوقف استخدام العنف ضد المسلمين والعمل على حل مشكلة البوسنه والهرسك وكشمير ؛ حتى يسود السلام دول العالم ويستظل بظله الجميع .

الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر الدولى لدور الجامعات فى خدمة البيئة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر أعمال المؤتمر الدولى لدور الجامعات فى خدمة البيئة وقضايا التنمية الذى نظمته جامعة الأزهر فى الفترة من ١٧ — ٢١ يوليو ١٩٩٥ م ١٩ — ٢٣ صفر ١٤١٦ هـ .

وقد ناشد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته فى الجلسة الافتتاحية العلماء الاهتمام بالبحوث العلمية والعمل على التلاؤم بين العلم والعمل ؛ لسد الفجوة بينهما ، مشيرا إلى ضرورة الحرص على التطور العلمى والتكنولوجى للحاق بركب التقدم العلمى العالمى .

شهد الجلسة الافتتاحية الاستاذ الدكتور محمود محمد محمود وزير الاقتصاد والاستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ونواب رئيس الجامعة وأساتذة الكليات بالجامعة .

الإمام الأكبر يشهد حفل تكريم أوائل الشريعة والقانون

شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الذى أقامته كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر لأوائل الخريجيين من القدامى والمحدثين وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٦ من صفر ١٤١٦ هـ ٢٤ من يوليه ١٩٩٥ م بمقر الكلية بالدراسة .

حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب

رئيس الجامعة وعمداء كليات الشريعة والقانون بالقاهرة والأقاليم ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والجامعة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها المكرمين أصحاب الفقه الذى قال – ﷺ – عنهم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) مشيرا الى أن أصحاب الفقه يقومون برسالة النبى محمد ﷺ .

وحثهم فضيلته على مواصلة العلم ، وعلى أن يكونوا مجددين فى إطار أحكام الشريعة الغراء ، وأن يكونوا كذلك قدوة حسنة فى السلوك والتعامل مع الناس ونشر الإسلام ورسالته الإنسانية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بانجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته بالأزهر صباح يوم الثلاثاء الموافق ٤ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ١ من أغسطس ١٩٩٥ م السيد/كريم حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة .

تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وبنجلاديش فى مجال تدريب بعض الدبلوماسيين وموظفى الحكومة البنجلاديشية على تعلم اللغة العربية ورحب فضيلة الإمام الأكبر بالفكرة من حيث المبدأ ووعد فضيلته بدراستها مع وزارة الخارجية وجامعة الأزهر الشريف لإعداد الترتيبات اللازمة لتنفيذها .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء على بعض التساؤلات التى طرحها السيد السفير وكانت تدور حول (وثيقة الزواج) ورأى الأزهر فيها ، ورأى الإسلام فى عمل المرأة وتعدد الزوجات والختان .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية بإندونيسيا

استقبل فضيلة الامام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم الأربعاء الموافق ٥ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ١٩٩٥/٨/٢ م الأستاذ الدكتور/ترميذى طاهر وزير الشئون الدينية بأندونيسيا ، يرافقه معالى (الدكتور يورمونا) سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما .

وقد عبر الوفد عن عميق سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية فى قلوب ووجدان المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها .

كما أعربوا عن سعادتهم الغامرة لوجودهم فى رحاب الأزهر الشريف الذى ساهم بنصيب وافر فى إثراء الحضارة الإنسانية وترسيخ القيم الانسانية مما جعله منارة فى العلماء والمتعلمين الذين يفدون إليه من كل حدب وصوب .

وقد تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا فى مجال التعليم الإسلامى ، فضلا عن مناقشته معادلة الشهادة الثانوية الأندونيسية بالشهادة الثانوية الأزهرية .

وفى نهاية اللقاء تقدم الوفود بخالص الشكر والتقدير للدور الريادى الذى يقوم به الأزهر الشريف لدعم التعليم الدينى فى أندونيسيا .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كلمة احتفال وزارة الأوقاف المصرية بالمولد النبوى

ألقى الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف خلال احتفال مصر العالمى بذكرى المولد النبوى الشريف بالأسكندرية بمشاركة الرئيس حسنى مبارك كلمة أكد فيها على أن جهود الرئيس مبارك ودعمه الدائم للمتدينين كان له أكبر الأثر فى أن تظل مصر قلعة للعروبة والإسلام .

وأكد أن الرئيس قرر تخصيص (٥٠٠ مليون جنيه) هذا العام للبدء فى أكبر مشروعين قوميين لإنشاء وترميم المساجد بتكاليف (٣٠٠ مليون جنيه) وبناء مسكن لكل إمام بكل مسجد على مستوى الجمهورية بتكاليف (٢٠٠ مليون جنيه) .

وقال الوزير : إنه فى ليلة الميلاد العظيم لخاتم المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقدم نماذج مشرفة تزهو بها مصر كشفت عنها المسابقة العامة لدراسة الفكر الاسلامى المستنير الرافض للتعصب ، وقدم الوزير نموذجاً لطفل فى التاسعة من عمره يحفظ ستة آلاف حديث نبوى ، ونال جائزة ٢٠ ألف جنيه تقديراً لنبوغه ، وتشجيعاً للأطفال والشباب من أمثاله .

كما فازت فى المسابقة أسرة كاملة من (سراييفوا) بدولة البوسنة وستقوم بحج بيت الله الحرام على نفقة الرئيس الشخصية .

وأعلن الوزير عن تخصيص جائزة كبرى للعلوم الإسلامية فاز بها علماء جمهورية تركمانستان وخصصت لإقامة مركز إسلامى ، وكلية لدراسة اللغة العربية والإسلامية .

وقام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإصدار أول ترجمة مصرية كاملة للعبادات والمعاملات الإسلامية باللغة الروسية والصينية والانجليزية والفرنسية ، وستوزع على الأشقاء المسلمين الناطقين بهذه اللغات .

وأعلن الوزير عن تخصيص (٥٠٠ مليون جنيه) للمساجد ، ورعاية الدعاة ، ومنها تنفيذ أكبر مشروع لإسكان الأئمة والدعاة على نفقة الدولة ، ويتكلف المشروع ٢٠٠ مليون جنيه .

وختم الوزير كلمته بضرورة التعاون بين المسلمين وغيرهم فى إطار التسامح الدينى والإخاء الإنسانى .

مبارك .. والشباب

تسابق شباب العالم الاسلامى فى التعبير عن مشاعرهم تجاه الرئيس حسنى مبارك ، وذلك منذ بداية اللقاء حيث استقبل الرئيس مبارك استقبالًا حماسياً حافلًا هنأ فيه الشباب الرئيس مبارك بنجاته من حادث الاعتداء الإرهابى ، وتناول الشباب أثناء « مداخلاتهم » فقرات الحفل إما بالشعر ، وإما بالكلمات الرقيقة الحماسية والنابعة من القلب والتى تستظل بمعنى وجلال الذكرى العطرة لمولد الرسول الكريم .. منهم من قال : شعب مصر كله وراءك .. يا فخر مصر نحن معك ..

يا رابع الأهرامات .. وتبادل الشباب من مختلف المحافظات التسابق فى التعبير عما يدور فى قلوبهم من عظيم المشاعر نحو الرئيس مبارك .

الارهابى ..

اهتزت القاعة تصفيقاً حاداً حينما وقف اثنان من الأشقاء السودانيين من الوفد المشارك فى الحوار .. حيث قال الأول : لن يحكمنا الهوس .

ورد عليه الرئيس مبارك قائلًا :

ـ هو هوس فعلًا .

وكان ذلك وسط تصفيق جميع الحاضرين .

بينما قال الثانى هاتفاً من أعماقه : إرهابى .. إرهابى .. ياترابى .

الاســـــــكندرية

أعد المؤتمر السابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ورقة عمـل لمنهج واضح يستنـد فى جوهـــره إلى مصدرى الإسلام الأساسيين فى التشريع : كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسولـه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أوصى المؤتمر فى ختام عمله ؛ بمضاعفة الجهود لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإعادة النظر فى برامج التعليم ، ونـاشد المجتمـع الـدولى عدم المساس

بالمقدسات الدينية بالقدس كما أهاب بأجهزة الإعلام الغربية أن تفسح مجالا لحوار بناء مع الحضارة الإسلامية ، وإن تمكن العلماء المسلمين « فى إطار ما تتشدق به من حريةالفكر ـ من عرض مبادئ الإسلام وقيمه الرفيعة .

اعتبر المؤتمر كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وثيقة عمل .

إسلام أباد

أكدت رئيسة وزراء باكستان أن الشريعة الإسلامية سبقت الحضارة الغربية وأعطت للمرأة المسلمة حقوقاً لم تنلها المرأة حتى الآن فى أى مجتمع آخر .

جاء ذلك فى تصريحات لها فى المؤتمر الأول للنساء البرلمانيات الذى عقد مؤخراً فى باكستان

يهدف المؤتمر إلى وضع تصور مشترك للدول الإسلامية ، التى تشارك به فى المؤتمر العالمى للمرأة ، الذى سينعقد فى بكين ـ عاصمة الصين ـ قريباً .

القاهرة

أكد سفير ألمانيا بالقاهرة اهتمام الشعب الألمانى بالآثار المصرية ، وخصوصاً الإسلامية منها باعتبارها كنزاً عالمياً فريداً يؤكد عظمة وروعة وعمق الالتزام الذى ميَّز كلاً من التاريخ والثقافة الإسلامية فى مصر .

جاء ذلك خلال حفل الأثريين الإسلاميين بمناسبة افتتاح قاعة سبيل (كُتَّاب عبدالرحمن كتخدا) و (الحائط الجنوبى بالمدرسة الصالحية) بعد ترميمها من قبل الخبراء الألمان .

ليبيا

استقبل وزير الأوقاف ومفتى الجمهورية وفداً ليبياً رفيع المستوى ، وقد وجَّه أعضاء الوفد الدعوة لمصر ، وذلك لحضور المؤتمر العالمى الذى يُعقد بليبيا فى السادس عشر من سبتمبر المقبل ، ويناقش المؤتمر المزمع عقده أوضاع المسلمين فى العالم ومحاولة حلّ مشاكلهم خصوصاً مشاكل الأقليات الإسلامية فى الدول غير المسلمة ، بالإضافة إلى وسائل نشر الفكر الإسلامى فى عصر ثورة المعلومات .

لأول مرة

تبدأ الدراسة هذا العام فى المعهد العالى بالدراسات الإعلامية بجامعة الأزهر .

صرح الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الدراسات العليا ؛ بأن المعهد الجديد يمنح درجتى « الماجستير والدكتوراه » فى التخصصات الإعلامية المختلفة .

ويشترط للالتحاق بالمعهد أن يكون الطالب من خريجى إحدى الكليات الأزهرية بتقدير جيد على الأقل .

هذا وقد تم تدبير مقر مؤقت للمعهد الوليد فى مبنى كلية طب الأسنان بمدينة نصر .

البوسـنة والهرسـك

نفى الرئيس البوسنى أنباء تقديم الحكومة البوسنية أى تنازلات من قبيل التخلى عن « جيب جوراشدا » مقابل حصول البوسنه على أراض أخرى . وقال الرئيس البوسنى فى هذا الصدد : إننا لن نتخلى مطلقاً عن « جوراشدا » حتى وإن كلفنا ذلك القتال لخمسة عشر عاما قادمة .

ويرى المحللون السياسيون أن البيت الأبيض آخذ الآن فى تطبيق السياسة المعروفة بسياسة (العصا والجزرة) وتتمثل العصا فى التهديد برفع حظر السلاح المفروض على البوسنـــة ، بل والسماح للمتطوعين من الدول الإسلامية الأخرى بالقتال إلى جانب المسلمين ، وهو ما يخشاه الصرب .

وأما الجزرة فتتمثل فى التلويح للصرب بمكافأة يتمنونها وهى رفع الحصار الاقتصادى المفروض عليهم من قبل الأمم المتحدة إن هم انصاعوا لخطة السلام الدولية . يأتى ذلك فى إطار تغيير التوازن العسكرى الذى نشأ عن الاجتياح الكرواتى الناجح لمنطقة « كراينا » معقل الصرب فى كرواتيا ، واستعداد الكروات الواضح لتحرير منطقة سيلافونيا الشرقية من أيدى الصرب ، وهى منطقة ذات أرض زراعية خصبة وموارد بترولية كبيرة لن يفرط فيها الصرب بسهولة .

هذا وينفى المسئولون فى « زغرب » وجود أى إتفاقيات سرية بينهم وبين بلجراد لتقسيم البوسنة بينهما ، حيث أصَرَّ الرئيس الكرواتى على حضور الرئيس البوسنى المؤتمر الذى دعا إليه الرئيس الروسى لإنهاء مشاكل البلقان .

فظائع الصرب رسـمياً

قالت السفيرة الأمريكية فى الأمم المتحدة أن هناك دلائل دامغة على ارتكاب قوات صرب البوسنه فظائع مروعة فى البوسنة عقب احتلال جيب (سريبرنيـــتسا) فى يوليـــو الماضى ، وعرضت وثائق أمام مجلس الأمن من بينها صور التقطت من الجو تبين أن أكثر من ألفى مدنى بوسنى دفنوا فى مقابر جماعية إثر سقوط (سريبرنيتشا) وأكدت هذه الاتهامات رواية رجل مُسِنّ كان قد احتجز مع مئات آخرين من قبل الصرب لكنه استطاع الفرار بعد أن تظاهر بأنه ميت ، وقرر مجلس الأمن السماح لوكالات الإغاثة الإنسانية لدخول « سربيرينتشا » لتسجيل أسماء المحتجزين هناك .

هذا وقالت كل من تركيا واليونان أن توطين الصرب فى منطقة « كُوسُوفو » سيضر بمنطقة البلقان كلها .

الشيشـــان

رفض رجال المقاومة الشيشانية إنذاراً روسياً بإلقاء أسلحتهم . وقد تنكرت روسيا لأهم مطلبين تم الاتفاق عليهما بينها وبين الجانب الشيشانى ، وهما : انسحاب القوات الروسية ، وتبادل الأسرى ولا تزال تبدى عدم الاكتراث بالمطالب الشيشانية .

تعتبر روسيا عضوا عريقاً فى العمل ضد نشأة أية دولة إسلامية بأوربا .

quiétude ni joie dans son for intérieur. Un jour on lui apporta de la nourriture pour rompre son jêune. Quand il la vit, il perdit l'appétit, pleura et fit pleurer tous les assistants, et dit : "Otez ces aliments, Moussa' ab Ibn Oumaîr est mort en martyr et il était meilleur que moi; son linceul était une cape si courte que si on lui couvrait la tête, ses pieds restaient découverts, et vice versa. Hamza est tombé martyr et il était meilleur que moi. D'ailleurs, nous avons en de ce bas monde une grande part de biens et nous avons reçu ce qu'il nous a été destiné aussi je crains que nos bonnes actions ne nous soient anticipées." Sa grande fortune ne suscita chez lui aucun grain d'orgueil ni de vantardise. Lorsqu'il voyait la variété des plats sur la table, il pleurait et disait. "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort sans avoir jamais été rassasié, lui et sa famille du pair d'orge.

Quand et comment ce grant homme s'est-il converti à L'Islam ? Il s'est converti très tôt, il est l'un parmi les cinq qui embrassèrent L'Islam par l'entremise de Abou-Bakr et l'un des six membres du conseil qu'Omar avait désigné comme candidat au califat après lui en disant : "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort en étant satisfait d'eux."

(à suivre)

1. Prête à Allah signifie ici : fais l'aumône aux pauvres.

ABDEL RAHMAN IBN AWF

Par Hoda Hussein Chaaraoui

"Tu entreras au Paradis en marchant à quatre pattes."

Un jour, Médine, se leva sur un grand bruit qui annonçait l'arrivée d'une grande caravane. La mère des croyants "Aïcha" (a.s.e.) entendant le vacarme demanda : "Qu'est-ce qui se passe à Médine ?" On lui répondit : "C'est la caravane de "Abdel Rahman Ibn Awf venue de Damas partant des marchandises". La mère des croyants dit : "Une caravane qui fait tout ce bruit ?" On lui répondit : "Oui, Ô mère des croyants elle est composée de 700 montures." Elle réplique : "Par Allah, j'ai entendu le Messager d'Allah (b.s.) dire : "J'ai vu "Abdel Rahman Ibn Awf entrer au Paradis se trainant à quatre pattes," Abdel Rahman Ibn Awf un des dix promis pour le Paradis entrera au Paradis en marchant à quatre pattes ?

Quelques - un de ses compagnons lui rapportèrent ce qu'avait dit Aïcha (a.s.e.). Il se rappela que le Messager d'Allah (b.s.) lui avait dit un jour : "Ô Ibn Awf, tu es l'un des hommes les plus riches. Prête à Allah(1) et tes pieds seront libres." Avant même que ses marchandises ne soient déchargées, il hâta le pas vers la mère des croyants et lui dit : "Ô mère des croyants! Je te prends à témoin que tout ce que porte cette caravane et les montures sont une aumône pour l'amour d'Allah à Lui la puissance et la gloire." Toute la marchandise chargée sur les 700 montures fut distribuée aux habitants de Médine et ses alentours dans un grand festival de bienfaisance. Depuis qu'il avait entendu ce conseil du Messager d'Allah (b.s.) il ne cessa de prêter à Allah avec générosité et Allah le lui rendait avec abondance. Abdel Rahman Ibn Awf, l'un des plus riches compagnons du Messger d'Allah (b.s.) sa fortune ne lui causait ni

Sour. "Al Chûra" (La Consultation), v 29

(On soufflera dans la Trompette Infernale et aussitôt tous ceux qui se trouvent dans les cieux et sur la terre tomberont foudroyés).

Sour. "Al Zumur (Les Groupes) v 68.

(Les sept cieux et la terre et tous ceux qui s'y trouvent chantent Sa gloire).

Sour. "AZl Isrâ" (Le Voyage Nocturne), v44

A l'origine, la terre — ainsi que d'autres planètes de l'espace visible — s'est formée par le détachement d'une masse unique gigantesque. Or, ceci concorde avec le verset suivant :

(Les incroyants n'ont-ils point vu que les cieux et la terre étaient soudés et que Nous les avons décousus (séparés)?).

Sour. "Al Anbiyaâ (Les Prophètes), v30.

Cette masse, en explosant, a donné naissance à une énorme nébuleuse gazeuse qui s'est étendue dans l'espace, comme le confirme le verset suivant :

(Puis Sa volonté se dirigea vers le ciel qui était alors une fumée, et Il lui dit ainsi qu'à la terre : "Venez tous deux, de gré ou de force).

Sour. "Fuçilat", v11.

Ensuite, des parties de ce "nuage" se sont condensées et ont donné naissance aux étoiles, aux planètes et aux astres qui circulent dans leurs orbites à travers l'espace. Selon les calculs récents, l'ensemble de l'espace universel est en expansion continuelle.

C'est ce que nous apprenons par le verset suivant :

(Le ciel, Nous l'avons construit avec une grande maîtrise et Nous ne cesons de l'élargir).

Sour. "Al Dhaiyat", v 47

(à suivre)

pose de protons à charge positive, et d'électrons à charge négative, et cela par paires. En outre, l'existence de plusieurs variétés de paires d'autres particules nucléaires a été vérifée. D'un autre côté, on pense que, dans l'espace, les énormes corps célestes ont un contraire appelé : "Les trous sombres."

4. La nature du cosmos :

La Terre n'est pas - comme le pensaient les anciens — le centre de l'univers : elle n'est qu'une goutte dans l'étendue infinie de l'univers.

(Les Anges et le Saint Esprit escaladent vers Lui en un jour dont la durée est de cinquante mille ans).

Sourate "Al Ma'aridj" (Les Ascensions) v4.

On peut voir clairement ceci dans les expressions coraniques où "les cieux" sont toujours mentionnés avant "la terre" (ceci apparaît dans 178 versets où sont mentionnés à la fois les cieux et la terre, à l'exception de quatre versets où le cours du verset exigeait un ordre différent). En voici un exemple :

(Nous n'avons créé les cieux et la terre et ce qu'il y a entre eux qu'en toute vérité et selon un terme connu d'avance).

Sour. "Al Ahaqaf", v3

Il est naturel que cet univers, dans son immensité, soit rempli de créatures et de formes de vie que nous ignorons. A ce sujet, on trouve dans les versets coraniques :

(Devant Allah se prosterne tout ce qu'il y a dans les cieux et sur la terre, les animaux aussi bien que les anges).

Sour "Al Nahl" (les Abeilles) v49

(Parmi Ses signes, il y a la création des cieux et de la terre, ainsi que les animaux qu'il y a répandus).

LES PREUVES SCIENTIFIQUES

DE L'ISLAM

EXTAIT DE L'OUVRAGE *(Suite)*

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

3. La parité : tout dans la création est par couples

Le Coran affirme qu'il existe, d'une manière générale, dans la nature, une paire de "toute chose."

(De chaque chose Nous avons créé un couple).

Sour. "Al Dhariyât, v 49

Scientifiquement, ceci s'applique au monde animal : du plus gigantesque à l'infiniment petit, tels les virus, les bactéries et les microbes qui sont tous par couples. Ceci s'applique également au monde végétal, les plantes possédant des organes génitaux mâles et femelles et c'est là une chose qu'on ignorait à l'époque où fut révélé le Coran. Voici l'exemple du verset suivant.

(De chaque espèce de fruit, Il a fait deux élements de couple)

Sour "Al Ra'd" (Le Tonnerre), v3.

Même la matière inerte est sous forme de couples. Si nous prenons la plus petite forme de la matière l'atome, nous trouvons qu'il se com-

1- Voir ce à quoi visent les P287, 291, 299 .

2- voir ce à quoi visent le P 267 et les P de 91 a 100 , les P107 et 281 ; voir aussi ce que renfermait le P7 du projet d'action de la conférence du Caire sur la Population et le développement , surtout les P 1,2,3,4,6,8,43,45, et le N: 8 du P 20 .

3- voir les P 85a , b, 107 (g,i,l,m) 181 c , 182 b .

4- voir les P 62, 63 , 64 , 108 .

5- voir les versets N° 1 de la sourate "les femmes" , N°: 21 de la sourate "les Romains" , N°: 45 de la sourare 'L'Etoile" .

6- voir les P 27, 48, 95 , 99 , 133 , 194 e , 232 a .

7- voir les P 18 , 31 , 48 , 84 , 133 , 145 , 182 , 218 , 230 , 233 , 295 , 312.

époque. L'Académie incite la sociéte à la préservation de la volonté d'Allah en créant l'être humain homme et femme ; à la croyance au fait que défier ce qu'Allah a prescrit pour règlementer les relations humaines, ou d'encourager la destruction des valeurs, mène à la corruption et à la propagation de la débauche et ne vise point un developpement intellectuel, culturel, économique, social, hygiénique ou autre, mais fait succomber la société humaine en général, et l'islamique en particulier, dans les prohibitions qu'Allah a interdit dans le Coran ou celles qui figurent dans la Tradition du Prophète - louanges et bénédictions sur lui .

L'Académie de Recherches demande aux pays islamiques et aux peuples qui aspirent a une vie assainie, qui aspirent aux bienfaits et à la vertu de continuer à maintenir leur intégrité de comportement et de moralité, tout en préservant chaque vertu et en évitant toute vilenie, afin d'empêcher la société humaine de choir dans l'abime vers lequel mènent ces turpitudes, apparentes ou voilées, et de se dresser contre les tentatives de subversion et de destruction auxquelles visent les promoteurs du programme d'action de Pékin, d'entraver la réalisation de leurs aspirations comme il a déjà été fait de leurs sectateurs .

De là, L'Academie incite les pays réunis a Pekin à ce qui a déjà été décidé par les pays lors de la Conference du Caire, de rectifier la rédaction du projet du programme d'action présenté a la 4e Conference mondiale sur les Femmes, qui aura lieu a Pékin au mois de Septembre 1995, de préciser ses formules afin qu'elles ne mènent point ne serait-ce que dans leur notion, vers le contraire de ce que la Chari'a islamique a prescrit, que les autres Lois célestes avaient préservé ; et qui persista dans les valeurs des nations islamiques a travers les âges .

L'Académie precise à ce propos qu'elle refuse tout ce qui contrarie la chari'a islamique et recommande d'en faire les restrictions nécessaires afin que la Umma islamique ne puisse être point contrainte en aucune facon .

Et Allah est Souverain en Son Commandemant mais la plupart des gens ne savent pas .

Grand Imam , Cheikh d'Al-Azhar
Président de L'Académie de
Recherches Islamiques

astreignent aux pays de mettre au point des programmes éducatifs visant à ce que les jeunes assument leur responsabilités sexuelles selon leurs conceptions à eux ; dans ce qu'ils imposent comme réduction des budgets militaires et la transfération des sommes prévues pour l'achat des armes à la réalisation de leur programme, dans ce qu'ils assignent aux pays de leur présenter des rapports obligatoires périodiques sur les armes qu'ils possèdent fussent-elles nucléaires , chimiques ou biologiqnes , tout en menaçant de couper les aides accordées par les pays riches et d'orienter ces sommes pour la réalisation du programme , en incitant le fond Monétaire international , la Banque Nationale et tant d'autres Organisations Financières à jouer un role effectif a ce propos, en accordant aux Organisations non-gouvernementales, aux Organisations féminines ou celles ayant des "ideaux féministes" des pouvoirs périlleux de surveiller et de vérifier ce que les pays pourraient soulever comme réserves sur le programme d'action afin de les faire annuler quelle que soit leur provenance (7) .

L'Académie des Recherches Islamiques d'Al-Azhar en assumant son rôle à l'égard des musulmans en Egypte et dans le monde islamique, annonce qu'elle tient fermement à ce qu'elle a déjà promulgué dans son communiqué emis à l'occasion de la Conférence mondiale sur la Population et le Developpement, qu'elle fait des réserves et demandes aux pays et aux peuples de déclarer les leurs sur ce qui figure dans le programme d'action de Pékin qui soit en opposition avec la Chari'a islamique et toutes les religions célestes, ou qui soit en contradiction avec les valeurs sociales et culturelles établies, ou qui ait trait au statut et à la discipline de la famille dans ces religions, ou qui donne accès à la liberté sexuelle contrairement à ce qu'elles prescrivent , ou qui permette l'avortement sauf dans le cas ou il faut préserver la vie de la mère.

L'Académie de Recherches Islamiques attire de nouveau l'attention sur le danger des requisitions que renferme le programme d'action de Pékin leur incompatibilité avec l'Islam et toutes les religions célestes ; sur ses objectifs visant la démolition des valeurs religieuses, sociales et morales qui préservèrent les pays et les gens de succomber dans la dérive de l'ignominie ou la contamination des maladies sexuelles dangereuses qui firent irruption dans cette

la croyance en Allah et la confiance en son Jugement et sa Sagesse, sous les soins de parents régis par des règles décisives reformant les penchants innés des instincts humains, prenant soin des dispositions des penchants naturels ou dûs à des circontances imprévues, tout en veillant à ce que la femme occupât sa place éminante et que l'homme assumât la charge qui lui revient de subvenir aux besoins de la famille et de ses membres (5).

L'Islam ignore ce qu'on appelle "problème de la femme", produit d'une civilisation qui lui est étrangère, basée sur l'exploitation et la discrimination, et qui est incompatible avec ce qu'il déclare sur la création de l'homme et de la femme d'une même âme en égalisant entre eux dans les droits et les obligations.

Quant au domaine des relations sexuelles, les promoteurs du programme d'action ne se contentèrent point de donner libre cours a la liberté sexuelle parmi les adolescents, garcons et filles, mais reclamèrent dans une franchise répugnante - ce qui signifie que la femme ou l'adolescente ait le droit de décider du rôle d'après lequel elle veut être traitée, homme, femme ou autre, qu'elle pratique ses relations sexuelles avec qui elle veut, homme ou femme, et qu'il revient aux pays, aux organisations gouvernementales et non-gouvernementales de permettre cela, car la prostitution n'est un tort qu'en cas ou elle est imposée à la femme (6).

Ainsi, les promoteurs du programme dévoilèrent leur flagrante contradiction avec ce que prescrivent toutes les religions célestes, y compris L'Islam qui n'admet aucune relation sexuelle hors du mariage légitime entre un homme et une femme, qui interdit l'adultère, L'homosexualite, le lesbianisme et tout ce a quoi mêne ce dévergondage licencieux, car L'Islam traite l'homme et la femme a pied d'égalite sans les confondre ou sans porter atteinte à la nature de chacun d'entre eux.

Cependant, celui qui médite ce programme d'action y décèle une violation plus terrible des droits des peuples et une inacceptable tutelle sur les pays ; cela est plus flagrant encore dans la mesure ou ces promoteurs considèrent la religion comme une barrière a la réalisation de la complète égalite entre l'homme et la femme ou une entrave à la réalisation de leur exécrable programme, dans ce qu'ils

quoi ils aspirent , tel l'usage qu' ils font du mot "genre" répété des dizaines de fois avec des nuances truquées visant à annuler la différence entre la masculinité et la féminité , faisant de l'être humain un défiguré , qui n'est ni homme ni femme, tout en faignant l'innocence du but et la rectitude de l'objectif .

En pleine tentative pour l'abolition de la famille , les promoteurs du programme d'action de Pékin ne se contentèrent point de semer le doute , dans le sens ou la famille est le principal élément de la societé , exigeant des parents de fermer les yeux sur le comportement sexuel des adolescents, hors du cadre du mariage , tout en considérant ce comportement une affaire personnelle dont nul n'a le droit d'y intervenir (2), mais ils réclamèrent avec une audacieuse turpitude que la notion de la famille , prise dans le sens que la religion n'est qu'une notion caduque , car elle n'accepte point les relations sexuelles libres pour tous les âges et met comme condition quelles aient lieu entre un homme et une femme dans le cadre légitime du mariage , quelle n'accorde point aux homosexuels le droit de former des familles entre eux , quelle tient fermement aux rôles traditionnellement établis de paternité , maternité , et lien matrimonial - que ces promoteurs considèrent comme étant des rôles auxquels les gens se sont habitués et dont il faut éliminer l'obligation afin d'établir une societé depourvue de toute contrainte ou de tout lien (3) .

Bien plus , les promoteurs de ce programme d'action pousserent encore plus loin leur égarement en réclamant un changement catégorique dans la relation entre l'homme et la femme , en répartissant à pied d'égalite les fonctions entre les deux , y compris le droit des hommes à l'obtention d'un congé de "paternité" tout comme les femmes -- et la même égalite dans les droits de succession en exigeant le changement des lois qui s'opposeraient à tout cela quel que soit leur origine (4) .

Il n'y a aucun doute que les digressions dans lesquelles les promoteurs de ce programme plongèrent sont catégoriquement à l'opposé de ce que l'Islam prescrit et veille à ce que la famille soit la source de quiétude , d'affection et de miséricorde , qu'elle soit le lieu de sauvegarde immunisé et fécond pour la formation des jeunes sur

Au nom d'Allah , le Trés Miséricordieux Le Tout Miséricordieux

Communiqué de l'Académie de Recherches Islamiques d'Al-Azhar , à l'occasion de la 4e Conférence mondiale sur les Femmes, à Pekin , en Septembre 1995 .

Les Nations Unies tiendront à Pekin , au cours du mois de Septembre prochain , leur 4e conférence mondiale sur les Femmes , afin d'accomplir l'approbation sur un programme d'action préalablement établi , auquel les gouvernements doivent s'y astreindre (1) , - tout en ayant pris compte de réduire au minimum les parties discutables , sous prétexte que les points de divergences ont déjà été tranchés par les Comités qui ont préparé ce programme d'action , la 39e et dernière session ayant eu lieu à New York , du 15 Mars au 14 Avril 1995 .

Cette Conférence de Pékin n'est qu'un maillon dans tout une chaine suivie, visant à imposer un nouveau mode de vie , qui s'oppose aux valeurs religieuses , brise les barrières morales et les traditions établies , sans prendre en considération que ces valeurs mêmes , ces barrières et ces traditions sont celles qui préservèrent des peuples et de nombreux pays de succomber dans l' abîme de la débauche sexuelle , dans le désordre des troubles psychologiques ou dans l' éxécrable marécage de la dégénérescence morale .

les promoteurs de ce programme voulaient se rattraper sur ce qu'ils n'avaient pas pu faire adopter lors de la conférence du Caire sur la Population et le Développement , qui eut lieu au mois de Septembre 1994 . C'est pourquoi ils insistent sur les problèmes autour desquels la société internationale les avait réprouvé , et dont une partie traitait de la notion de la famille et de sa constitution , de l'éducation des jeunes , des relations sexuelles et de l'avortement .

L'audace des promoteurs du programme d'action de Pékin est telle qu'ils ne se contentèrent point de relancer leurs problèmes perdants , mais accentuèrent leur égarement et proliférèrent leur persistance en poussant à l'excés leur jeu de mots et en détournant le sens vers ce a

REVUE AL-AZHAR

Vol. 86 Part IV.

Rabiu-l-Akhar — 1416 HIGRAH.

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

"He who fears will be exhorted. But the malefactor will shun it;" However, it is believed that Khatib's attitude would, to some extent, have been correct if he had applied the same passive form to the second conjoined element.

By studying the translations of Arberry, Y. Ali and Pickthall, we'll find that Y. Ali is the only one who adopts the passive form in translating the two conjoined elements.

Y. Ali (1637):

10. The admonition will be received
    By those who fear (Allah):
11. but is will be avoided
    By those most unfortunate ones,

This change in form from active into passive helps to produce a poetic stylistic effect in the TL text, in addition to emphasizing the words of the original.

Arberry and Pickthall, on the other hand, unlike Khatib and Y. Ali, stick to the active form as in the SL text;

Arberry (641):

"and he who fears shall remember,
but the most wretched shall flout it,"

Pickthall (803):

"10. He will heed who feareth,
11. But the most hapless will flout it,"

Perhaps, this is due to their accuracy and faithfulness to the original text.

to be continued

when the savage beasts shall be mustered,
when the seas shall be set boiling,

By this sound attitude, Arberry tries to keep in the reader's mind, not only the formal or syntactic components of grammatical structures and their signification, but their communicative and functional value as well.

This is one example of how translators have rendered however there are many other similar attitudes when dealing with other similar verses as for example in Sura 82 and 48.

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾

3.

[?iða-s-samä ?-u-nfatar-at wa ?iða-l-Kawäkib-u-ntaθr-at wa ?iða-l-bihär-u fujjir-at wa ?iða-l-qubür-u busθirat]

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

4.

[?iða-s-samä?u-nšaqq-at wa ?aðin-at li-rabb-i-hä wa huqq-at wa ?iða-l-?ard-u mudd-at wa ?alq-at ma fi-hä wa taxall-at wa ?aðin-at li-rabb-i-hä wa ḥuqq-at].

Conjoined elements may not only constitute passive forms in the original, but active forms as well which, when rendered, may result in ungrammaticality. This will be discussed in the following section.

C. Change of the conjoined structure from Active into Passive:

Consider the following example:

Sura 87, Verses 10-11: سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾

[Sayaððakkar-u man yaxšä wa yatajannab-u-ha- a-l-?ašqä]

In his rendering of verse 10, Khatib has rendered the original active form /sayaððakar/ in the first conjoined element into a passive one; Khatib (804):

Pickthall (792):

"1. When the sun is overthrown.

2. And when the stars fall."

Moreover, Y. Ali translates the passive form /suyyir-at/ in verse 3, /wa ?iða-l-jibäl-u suyyir-at/ into the active form. "When the mountains vanish", followed by unnecessary brakets including the phrase "(Like a mirage)". Again the three translators, Khatib, Y. Ali and Pickthall, have resorted to the active form in verse No. 6, although the Arabic text uses the passive form /sujjir-at/ in the conjoined element /wa ?iða-l-biḥär-u sujjir-at/. The three translations are rendered as follows:

Khatib (794):

"and when the wild beasts are mustered,
and when the seas simmer,"

Y. Ali (1606-07):

5. When the wild beasts
Are herded together
(In human habitations);

6. When the oceans
boil over with a swell;

Pickthall (793):

"5. And when the wild beasts are herded together,

6. And when the seas rise;"

Of course, the rendering of the passive forms into active, as in the above versions, leads to ungrammaticality. This is because the coordinator "and" when conjoining active with passive forms, would not fulfil the syntactic criterion of conjoining identical categories.

Arberry, on the other hand, is the only one who sticks to the passive form all through verses 1-13 of Sura 81:

Arberry (632):

When the sun shall be darkened,
when the stars shall be thrown down,
when the mountains shall be set moving,
when the pregnant camels shall be neglected,

In this respect, when translating conjoined passive structures, one should expect no problem since the passive structure in English is supposed to serve the same purpose which is realized in Arabic. This can be achieved through the use of the verb form /fuʕila/ for the masc., and /fuʕil-at/ for the fem., or through the verb form /?infaʕal-a/ for the mas. and /?infaʕal-at/ for the fem. In other words, there is only one possible structure in the TL that may be regarded as equivalent to the original structure.

By reviewing the four translations under study, we will find that in most cases Khatib, Y. Ali, Pickthall and Arberry resort to the use of the conjoined passive structural sentences whenever it exists in the original text, except for the following instances:

Sura 81, Verses 1-6:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

2. (a)

[?iða-š-šams-u Kuwwir-at wa ?iða-n-njüm-u-nkadar-at wa ?iða-l-jibäl-u-suyyir-at wa ?iða-l-ʕišär-u ʕuṭṭil-at wa ?iða-l-wuḥüš-u ḥušir-at wa ?iða-l-biḥär-u sujjir-at]

The passive form /?inkadar-at/ in verse 2, /wa ?iða -n-unjüm-u-nkadar-at/, is the only conjoined VP which is rendered into the active form by the three translators, Khatib, Y. Ali and Pickthall;

"When the sun is coiled up, and when the stars become grimy,"

Y. Ali (1606):

1. When the sun
   (With its spacious light)
   Is folded up;
2. When the stars
   Fall, loosing their lustre;

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part IV

By Dr. Maha Y. El Tagouri

B- Change of the conjoined structure from Passive into Active :

Many Arab linguists such as Nahlah (1981), Al-Shalan (1983) and Yaqut (1990) state that the passive form is used in the Qur'an for several purposes: first, it is used in cases where the doer of the action is unknown, or at least, not mentioned in the text. Second, and contrary to the first purpose, it is used in cases where the doer of the action is well-known i.e. unnecessary to mention him in the text, as the following Qur'anic examples illustrate:

Sura 81, Verses 1-2:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢

1. (a)

[?iða-š-šams-u Kuwwir-at wa ?iða-?-nujüm-u-nkadar-at]

"When the sun is coiled up, and when the stars become grimy,"
Khatib (793)

Sura 82, Verses 1-2:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢

(b)

[?iða-s-samä?-u-nfatar-at wa ?iða-l-Kawäkib-u-ntaθar-at]

"When the heaven is cleft, and when the planets fall down in fragments,"

Khatib (795)

The third purpose for using the passive form is to emphasize the importance of the action rather than the doer of the action.

References

1- See clauses 286, 291, 299

2- See clauses 267, 91-100, and 107, 281, and see also Cairo Conference on Population on Development (1994) clause 7 article7, clause 1,2,3,4,6,8,43,45,and article 8 clause 20

3- See clause 85a, and b, 107 (r,t,l,m,) 181 g, 182b

4- See clauses 62, 63, 64, 180

5- See the Koran surat Al-Nisa, verse 1, surat Al-Rum verse 21, and surat Al-Najm verse 45

6- See clauses 27, 48, 95, 99, 133, 194h, and 232

7- See clauses 18, 31, 48, 133, 145, 182, 218, 230, 233, 295, 312.

the uprightness and steadfastness in conduct and behavior, with keenness in every commendable virtue, keeping away from every repugnant vice, in order to save the world from precipitating into the abyss to which all these obscenities and indecencies inward and outward can only end. They should stand solidly and in solidarity against the forces of chaos and destruction to which the promoters of the Beijing Plan of Action are targeting and that they should go head long to prevent them from achieving their sworn and dedicated goal as it happened to their confederates before.

Thereafter the Islamic Research Academy, most vehemently calls upon the states participating in the Beijing conference, just as it had called before upon the states which participated in the Cairo conference regarding the amendment of the draft of the Plan of Action prepared for the Fourth International Conference on Women due to be convened in Beijing in the month of Rabi Al-Akhir 1416 A.H. / September 1995 A.D., to couch its terms to precise and straightforward meaning, so as to avoid elasticity , even in its connotational meaning, to the fringe of what contradicts the tenets of Islamic law, which is respectfully shared by all other revealed religions and which have been well-established in the ethical values of the Muslim nations throughout the ages. Moreover the Islamic Research Academy in this respect pronounces its emphasis on its total refusal of anything fringing on the violation of Islamic law.

Therefore, Al-Azhar once more recommends that Islamic states in particular should register their own reservations on the trends and terms of the draft document, which is tantamount to contradicting the established tenets and traditions of Islam so as to avoid future implication.

Allah prevails in His purpose but most men know not.

The Grand Imam
Sheikh of Al-Azhar
JAD AL-HAQ ALI JAD AL-HAQ
Chairman of the Islamic Research Academy, Al-Azhar

The Islamic Research Academy of Al-Azhar, while performing its duty toward the Muslims of Egypt and the rest of the Muslim world is proclaiming its unswerving commitment to its statement on the draft Plan of Action of the International Conference for Population and Development. It also manifests its reservations and urges governments and nations to manifest their reservations on the Beijing Plan of Action which directly violates the Islamic Sharia, and the rest of the revealed religions and contradicts well-established social and cultural values, especially what refers to the structure and order of the family, as presented by these religions, and they paved the way for free and illegitimate sexual practices and legalizing abortion, contrary to the tenets of religion, with the exception that Islam permits abortion only when the life of the mother is at risk.

The Islamic Research Academy is once again giving the alarm of danger lurking in the Beijing Plan of Action, and its incompatibility with and violation of the tenets of Islam and all other revealed religions, because it aims at demolishing and eliminating religious, social, and ethical values which have saved people and states from collapsing into the abyss of vice and contaminating it with contagious venereal diseases that have gradually fermented and suddenly sprout up in this epoch. The Islamic Research academy strongly urges society to keep to the purport of Allah's creation of human kind, male and female, and to the belief that challenging the rules of Allah which He has sent down to regulate human relations, instigating people to destroy these values shall only give rise to corruption. So, the dissemination of indecencies or obscenities cannot bring forth intellectual, cultural, economic, social or hygienic development nor anything it likes, on the contrary, all these can only lead human society at large and Muslim nations in particular, into transgressing what Allah forbids in the Koran and the Prophet Mohammad (P.B.U.H.) prohibits in the Sunnah.

The Islamic Research Academy vehemently calls upon Islamic states and those nations who value and cherish pure and healthy life, and stand for honor and virtue to continue to adhere to

By this way, the promoters of the Plan of Action have exposed their shameful contradiction to the teachings of all revealed religions, including Islam, which does not permit any sort of sexual relations except inside legitimate wedlock, between a man and a woman, and that is because Islam forbids adultery, fornication, homosexuality and lesbianism, and all what may lead to it, such as immoral gathering between a man and a woman, establishing equity between male and female without confusion or mixing up their entities, or casting a slur on the nature of either of the two parties.

Anyone scrutinizing the Plan of Action will clearly see a more dreadful violation of the human rights of all nations, and unacceptable tutelage upon states, and this can be clearer still in what the promoters of the Plan of Action have strictly taken religion as an impediment in the way of achieving complete equality between men and women, or can stand as a stumbling block on the way of implementing any aspect of their repugnant aims and objectives, and they force countries to plan educational programs and urge youth to shoulder sexual responsibility, according to their own vision and to satisfy their own ends, forcing governments to cut down military expenditure, reallocating the funds spent on buying weapons to the implementation of their own objectives. They demand governments to forward compulsory periodical reports on the weapons which they possess, whether they are nuclear, chemical, or biological under threat of the rich and developed countries to cut the assistance offered by them converting it instead to the funding of implementation of their objectives. The Plan of Action urges the International Monetary Fund, the World Bank, and many other funding organizations to actively strive towards

achieving this goal; and granting non-governmental organizations including feminist activist movements and among them notorious feminists, the ability to exert powerful authority in supervising and reviewing whatever reservations governments may have against the Plan of Action prior to its cancellation whatever its source may be (7).

and the same equality in inheritance insisting upon changing the laws which present an impediment to that no matter its origin (4).

There is no doubt that what the promoters of the Plan of Action have digressed to is in complete contradiction with what Islam has laid down and endeavors to preserve and guard against in establishing the family as the source of stability and tranquillity, mutual affection and mercy, preparing it to be a fortified and fertile fortress for the upbringing and rearing of generations and posterity, upon the basis of faith in Allah and trust in His absolute sovereignty and wisdom, under the canopy of the tending two parents who are controlled by strict laws which cultivate and refine the human soul from crude instincts, and safeguard what is innate in them of natural tendencies and not of those born of ephemeral and transitory circumstances. Al-Azhar, therefore, takes precaution to see that women attain their eminent position and men shoulder the burden of the overall affairs of the family in keeping their responsibility toward the family and its needs (5).

Islam has never known what has come to be called woman's problem, which is a secretion of an alien civilization founded upon exploitation and discrimination which is completely incompatible with the teachings of Islam, that men and women were created from a single soul, ordaining equality of rights and duties between them.

With regard to sexual relations, the promoters of the Plan of Action did not find it enough to give liberty to free sex for teenagers, male and female, to indulge in, but they proclaim it loudly in obscene, degrading, abhorrent jargon, which implies that it is the right of women and adolescent girls to choose the type of person she wants to assume , whether as a female or male, or in any other shape, that teenagers have the right to indulge in sex with whom they want, whether man or woman, and that it devolves upon governments and governmental organizations to allow all such practices without let or hindrance, considering that prostitution presents no harm, nor is it illegal unless it is done by force (6)

The promoters of the Plan of Action have furthermore been bold enough as to reiterate their lost cause, but they have reached the bounds of an already immoral desire and ruthless persistence of playing with words and twisting the well-known meanings to serve their own dedicated goals. For example, their use of the term "gender" tens of times in adulterated meanings with intent to squash and abolish the difference between male and female by reducing the human being into a depraved creature, to be neither male nor female, under guise of innocence and good intention.

In their relentless and massive attempts to destroy the family structure, the promoters of the Plan of Action were not content to stop casting doubt and confusion on the belief that the family is the basic unit and norm of society, urging parents to close their eyes at the perverse sexual practices of teenagers out of wedlock, considering these practices as individual and private matters, that neither of the parents has the right to interfere(2). They have the blazing audacity to declare that the concept of family in the sense stipulated by religion is nothing other than a lame concept according to them, because it does not accept or sanction free and unrestricted sexual relations between people of different age groups, lays condition that it should only be between male and female within the framework of Islamic Sharia, does not give these horrible libertines the right to set up families within their own circles. Al-Azhar completely adheres to the traditional forms of fatherhood, motherhood, and matrimony, while the Plan of Action considers these as a mere set of rules to which people are accustomed all through the ages, so they demand that their practice should be abolished to institute a society free of moral restriction and family ties (3).

Indeed, the promoters of the Plan of Action went even further than this in pursuit of their whims asking for radical changes in male and female relations by sharing out equally the functions between them, including the right of men to maternity leave, like women,

IN THE NAME OF ALLAH THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

Statement of the Islamic Research Academy Al-Azhar Al-Sharif

Pertaining to the Fourth International Conference on the Status of Women to be held in Beijing in Rabi 'Al-Akhera 1416 A.H/September 1995 A.D.

The United Nations Organization will hold its Fourth International Conference on the Status of Women in September of the current year in Beijing, China, aiming to ratify the previously prepared Draft Plan of Action for all governments to abide by (1). All room for disputable terms has been severely narrowed down, based on the assumption that the points of agreement have already been addressed and resolved in the Preparatory Committees, the last of which was held from 15th Shawwal to 14th Dhul-Qaada, 1415 A.H. or 15th March to 14th April A.D.

The Beijing Conference is only one stage in a connected series aiming at innovating new ways of life. Contravening religious values and destroying well-established customs and traditions without considering that these values restrictions and traditions have protected many nations from collapsing into the dungeon of sexual promiscuity, the disorders of psychological troubles or slipping into the quagmire of moral decay and disintegration.

The underlying aims of the promoters of the Plan of Action seems to be the achievement of what was not reached at the International Conference for Population and Development, held in Cairo from 28th Rabi Al-Awal to 7th Rabi Al-Akhir 1415 / the 5th-13th September, 1994 A.D. For this reason, they insist upon winning the case in which the international community failed them; a case which partly involved the concept and structure of the family, the upbringing of children, sexual relations, and abortion.

AL-AZHAR MAGAZINF

Rabiu-l-Akhar 1416H.

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol. 86 Part IV.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, who hath guided us to this (felicity): never could we have found guidance, had it not been for the guidance of Allah: Indeed it was the truth."

(Al A^c^raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد

● الافتتاحية (النبوة والبشر)
فضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب ٤٤٥
● كلمة الرئيس مبارك فى المولد النبوى ٤٤٨
● مع الإمام الأكبر ●
ـ كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى المولد النبوى ... ٤٥٨
ـ فتوى فضيلة الإمام الأكبر فى بث الفرقة بين
الجاليات الإسلامية وأمر الشيعة ٤٦٠
ـ بيان الأزهر بشأن انعقاد مؤتمر المرأة فى بكين ٤٦٥
● بيان الأزهر بشأن الأوراق المقدمة لمؤتمر
بكين ٤٦٩
● عتاب ونداء من الأزهر ٤٧٣
● قواعد السلوك الاجتماعى فى سورة الحجرات
للفريق/يحيى المعلمى ٤٧٦
● ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن
أ.د/محمود سالم الخطيب ٤٨١
● عاقبة الصبر على البلايا
فضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم ٤٨٦
● الإمام/شعبة بن الحجاج
للدكتور/أحمد السيد حطيبة ٤٨٩
● المدوَّنة الكبرى فى الفقه الإسلامى
أ.د/محمود عبدالمتجلى خليفة ٤٩٥
● الداعية فى موقف الضيق
أ.د/محمد رجب البيومى ٤٩٩
● أملاك الدولة فى صدر الإسلام
للمستشار/جمال الدين اللبّان ٥٠٤
● المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة
أ.د/محمود حمدى زقزوق ٥١٠
● الإسلام يحرر الإنسان
أ.د/محمد شامة ٥١٧
● الإسلام والمرأة والتاريخ
للأستاذة/عبير عبدالواحد ٥٢٢
● الفتـــاوى
أ/عبدالمنعم حافظ فودة ٥٢٦
● الشعر والشعراء
تقديم الأستاذ/رشاد يوسف ٥٢٩
● طرائف ومواقف
للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٥٣٢
● من روائع الماضى
الرحمة للشيخ يوسف الدجوى
للأستاذ/عبدالفتاح الزيات ٥٣٤
● من سيرة الشيخ مصطفى صبرى
للشيخ/توفيق إسلام يحيى ٥٣٩
● العلوم الكونية
عطارد أقرب الكواكب إلى الشمس
أ.د/أحمد فؤاد باشا ٥٤٤
● من أمراض الطفولة
د/جيهان أحمد حافظ ٥٤٨
● الجديد فى العلم والتقنية
د/نجوى السيد أحمد ٥٢٢
● النحويون والاحتجاج بالقرآن
أ/صلاح موسى البربرى ٥٥٤
● مع الدكتور عزام فى كتاب الشوارد
أ/أحمد مصطفى حافظ ٥٥٨
● ديوان أنا مسلم للشاعر محمد التهامى
عرض الأستاذ/محمد عبدالوهاب ٥٦٣
● مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى
عرض الأستاذ/عبدالسلام ناصف ٥٧٢
● الأخلاق للبنات
(للأستاذين محمد رخا ومحمد حمدى)
عرض وتقديم الأستاذ/عادل خفاجة ٥٧٦
● بين المجلة والقارىء
تقديم الدكتور/محمد عبدالحكيم محمد ٥٨١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين/عمر البسطويسى
ومصطفى عبدالمجيد ٥٨٧
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ٥٩١
● القسم الفرنسى ٦٠٦
● القسم الإنجليزى ٦١٩

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

عالم الغيب

أبرز معالم الإيمان الإيمانُ بـ « عالم الغيب » ؛ بل لا إيمان بدونه ، هو - وحده - مَكْمَنُ الإيمان ، فأما « عَالَمُ الشهادة » فالإيمان به طَبيعيٌّ مستقر فى النفوس ، فإذا أنكره مُنكِر كان هُزْءَةَ الخلق أجمعين ، إذ « عالم الشهادة » هو هذا العالم الذى يشاهده الخلق ويعرفونه ، فهو الموجود أمامهم ، المحسوس لأبصارهم وأسماعهم ، الملموس بكافة أدواتهم ، المعلوم لهم بكل ما أوتوا من حواس ، وما توصلوا إليه من أدوات

ولأن « عالم الغيب » رأسُ الإيمان ؛ صدره المولى - عز وجل - ليكون أوَّل معالم إيمان المتقين ، فقال - تعالى :

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

سورة البقرة - الآيات ١ - ٣

ذاك «عَالَمُ الغيب» من حيث قيمتُهُ فى الإيمان.

فأما هو ـ فى ذاته ـ فإنه العالم غير المنظور الذى لا تناله أبصارُنا ، ولا تصل إليه حواسُّنا ، ولا يحيط به إلا رَبُّنا ـ عز وجل ـ ... الذى يعلم كُلَّ شىء فيه عِلْمَ إحاطة على ما هو عليه دون خفاء . وذلك ما لا يكون لِمَلَكٍ مُقَرَّب ، ولا لِنبى مرسل إلا أن يشاء الله ـ تعالى ـ أن يُطْلِعَهُ على شىء من غَيْبِهِ ليكون معجزة له ، يقول رَبُّنا ـ عز وجل ـ :

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

سورة الجن ـ الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧

فسبحانه ـ وتعالى وحده ـ عَالِمُ الغيب والشهادة

والناس أفْوافٌ : منهم المؤمن بعالم الغيب وعالم الشهادة ، ومنهم المؤمن بعالم الشهادة وَحْدَه وذالك إيمان الحسّ الذى لا غَناء فيه ولا نجاة ؛ فأما الإيمان بالغيب والشهادة فهو إيمان القلب ، وضَلَّ عِلْماً من رَكَنَ إلى الإيمان بعالم الشهادة ـ وحدهُ ـ مُستصحِباً الجهلَ بحقائق الوجود ؛ فها هوفريق من العلماء يستخدم « الطاقة » ويوجهها كما يريد ، وهى « شىء » غير ملموس ، وفوق كل ذى عِلْمٍ عليم .

وَمَا أَوْسَعَ عَالَمِ الغَيْبِ :

● إنه يبدأ من أنفسنا هذه التى نتحرك بها ، ونأكل ونشرب ونلبس ونسعى بأطرافها ، ومع ذلك فإننا ما أحطنا عِلْمًا بكل شىء فيها :

إن أبسط الأمور تَعْدَادُنا نحن البشر ، ضَلَّ من ادعى أنه على علم به إلا الله ـ وحده ـ

﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾

سورة مريم ـ الآيتان : ٩٤ ـ ٩٥

سبحانه عليم بهمْ من كان منهم على حياة ، ومن مضى ، ومن هو آت . وكم من غَيْبٍ لم ندركه فى أنفسنا : وحسبك ما تحمله الأرحام ليل نهار ، وما تحمله أجسادنا من أسباب الفناء .

● حسبك من تاريخ مضى بما يحمل من أنباء الأوَّلِين والمعاصرين ، وتاريخ فيما سوف يكون .. كُلُّ غَيْبٌ لا يعلمه على حقيقته إلا الله ـ وحده ـ ، فإنه القائل :

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الأعراف ـ الآية : ٧

إنه ـ سبحانه وتعالى ـ موجود دائماً أبداً ، فقصَّ ـ سبحانه ـ علينا ، وقَصَصُهُ الحقُّ « أحسن القصص » لا ما قصه البشر ، وحدثوا به من تاريخ ، قد يصدق وقد يكذب ؛ فإن « معظم التاريخ ظَنٌّ وَبَقِيَّتُهُ مِنْ إملاء الهوى »[1] فخير ما علمنا من تاريخ هو ما قصه المولى ـ عز

(١) ول ديورانت : مقدمة قصة الحضارة .

وجل ـ علينا ، وما أتانا ـ صحيحا ـ عن خِيرَة خَلْقِهِ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حدثنا عن وَحْى ، وترك ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا العلماءَ الثقاتِ يخشون الله ، ولا يتحدثون إلا بما يثقون .

● ثم نحن نؤمن بالله ـ عز وجل ـ ولم نَرَهُ ، ونؤمن بما أنزل من كتبه السماوية السابقة ، ونؤمن بملائكته وباليوم الآخر : بَعْثًا وَحَشْرًا وحساباً وجزاء وجنةً وناراً ، وكل ذلك غَيْبٌ لم نشهده ،.! وهل رأينا ذات الله ـ جل علاه ـ ؟ ... سبحانه

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سورة الأنعام ـ الآية : ١٠٣

وقل فى هذا العالَم كله ما قلتَ فى إيمانى وإيمانك بالله العظيم .

عَالم عريض ... ذَلكَ هُوَ عَالم الغيب :

إنه فى دنيانا ، من حولنا ... متداخل فى « عالم الطبيعة » المشهود كما حدثنا .

إنه ليس عَالَم الآخرة فقط ، فما عَالَمُ الآخرة إلا جزءٌ منه .

وحذار أن نساويه بالمصطلح العلمى المعروف : « ما وراء الطبيعة » أو رديفِهِ : « ما بعد الطبيعة »(٢) أو مصطلحهما الآخر : « الميتافيزيقا » .

صحيح أن هذا المصطلح يتضمن غيباً ، لكنه ليس كل شىء ، ولا يغرنا سعة المعنى الذى تحمله عباراتُه . إنه ـ باختصار شديد ـ « عَالَم لبعض ما فى الذهن الإنسانى » . وقد عرفه « المعجم العربى الأساسى » للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » الأيسسكو » فقال :

« ميتا فيزيقا » : فرع من الفلسفة يبحث فى (الموجود) الذى خرج من عالم (الواقع) إلى (عالم المعقول) . أهـ ، وقد انكب على دراستها أحد الفلاسفة ـ فى العصر الحديث ـ واسترسل فى شأنها حتى ليمكن أن نعتبره أستاذ « الميتافيزيقا » الفذ : وأبوها الذى لم نعلم له ـ بعد ـ نظيراً ، فقال :

« إن الميتافيزيقا تتناول غير تصورات الطبيعة التى تنطبق فى كل وقت على التجربة ، تصورات العقل المجردة التى لا يمكن أبداً أن تعطى لنا فى أية تجربة ممكنة ، أى هى تتناول (التصورات) التى

(٢) كُلٌّ فى مقابل لفظ « الطبيعة » المقصود به العالم المشهود .

(٣) إمانويل كَنْت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما ـ ترجمة د . / نازلى إسماعيل حسين . نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ص ١٤٧

لا تكشف أية تجربة عن حقيقتها الموضوعية ... كما أنها تتناول الأحكام التى لا تؤكد التجربة صدقها أو كذبها »[٣] واعتمل « الخيال » كجزء رابط فيما بين تصوراتها .

وفى عصر الفلسفة القديم جاء هذا التعريف للميتافيزيقا :

« علم ما بعد الطبيعة هو : العلم الباحث فى (الموجود) ... زاد شرحا فقال :

« علم ما بعد الطبيعة يدرس الموجود بما هو موجود ، وصفات الوجود الجوهرية »[٤]
ولنفحص ما تقدم من كلمات فى الميتافيزيقا لنجد أنها تدور حول « الموجود » أو « تصورات العقل المجردة غير الناتجة عن تجربة » ، أى : التصورات الذاتية للعقل ، أو « الأحكام » التى لا شأن للتجربة بها ، فإذا تجاوزنا الموجود لا نجد التصورات العقلية المجردة ، ومثلها الأحكام التى لا تؤكدها التجربة ، لا نجد هذه أو تلك تنير لنا من آفاق الغيب ما حدثنا عنه الكتاب العزيز .

ولأن « الميتافيزيقا » لا تجعل « الوحى الإلهى » مصدراً يمدها بالمعرفة فإنها تفقد الطريق إلى رؤية صحيحة لعالم الغيب وترابط عوالمه من جانب ، وتفاعلها الحى من جانب آخر . وبالتالى كانت مقصورة على ما قدمت فى الموجود وما ارتبط به من تصورات وأحكام .

ثم بعد ، ولِسِعَةِ عالم الغيب يحدثنا المولى ـ عز وجل ـ أن منه وفيه خَلْقًا مستمرا يعتبر جانباً من عَالَمٍ لم ندركه . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ سورة النحل ـ الآية : ٨

أليس ـ سبحانه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ سورة الرحمن ـ الآية : ٢٩

ولقد ينتهى الفيلسوف بالإقرار بالخالق « واجب الوجود »[٤] سبحانه ، ثم يقف لا يمدنا بشىء عن إرادته ، ولا عن واجبنا نحوه ـ تعالى ـ بينما يمدنا القرآن الكريم بالكثير من أسمائه ـ سبحانه ـ وصفاته وقدرته وإرادته وخلقه ، وما يُطْلَبُ من خَلْقِهِ ... إلخ

إن البَوْن بعيد بين (عَالَمِ الغيب) و (ما وراء الطبيعة) .

وسبحان الله ... بكل شىء محيط ،

د. على أحمد الخطيب

(٤) د. / عبد الرحمن بدوى ـ ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس ص ٢١ إلى آخره . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة تراث الإنسانية .

مع
الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

فتوى للإمام الأكبر
بيان
بعض أحكام الخنثى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبعد فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / ب. ع. وفيما يلي نصه :

فضيلة الشيخ العلامة شيخ الأزهر الشريف .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة

شاء الله أن يسكن (تسكن) بجوارى سيدة من النوع الثالث (كان ذكرا ثم أجريت له عملية تحويل إلى أنثى) وبحكم عملى ودراستى وجدت عدم توافر أى من الصفات الأنثوية فيه (أوفيها) من بروز الثديين ، وتراكم الدهون ، ودرجة نعومة الصوت ، ومعدل نمو شعر الرأس ، بالإضافة إلى التصرف غير السوى مما يوحى باضطراب نفسى محقق ، المهم أرجو الاجابة على التالى :-

١ - إذا مات (ماتت) هل تصلى الجنازة بضمير التذكير أو التأنيث ؟

٢ - حكم الورث هل تعامل معاملة الخنثى المشكل ، وماهى أدلة القياس أم كيف تعامل ؟

٣ - هل ينطبق عليها الحديث (لعن الله من الرجال المتشبهين بالنساء) . بمعنى هل يحاسبها الله (والله أعلم) من حيث التكاليف كذكر أم كأنثى ؟

٤ - أرجو من سيادتكم توجية النصح والإرشاد لمن تسول له نفسه مثل ذلك، بأن يعتبر بهذه الحالة التى هى مسخ جسدى وشظايا نفس مدمرة ...

٥ - أرجو من سيادتكم التفضل بالإجابة بالطريقة التى ترونها لكى يطلع عليها المسلمون .

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الاحترام ،،،

والجواب

إن التداوى فى الإسلام جائز شرعا، فعن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال يارسول الله ﷺ أنتداوى ؟ قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله)[1] .

ودوى أيضا (قالت الأعراب يا رسول الله : ألا نتداوى؟ قال: نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحد فقالوا: يا رسول الله : وما هو ؟ قال الهرم)[2] .

ومن وسائل التداوى الجراحة ، فقد روى عن جابر قال (بعث رسول الله ﷺ - إلى أبى بن

(١) رواة الإمام أحمد .

(٢) رواة ابن ماجة وأبو داود والترمذى وصححة (منتقى الأخبار وشرحة نيل الأوطار للشوكانى ج ٨ ص ٢٠٠) .

كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه)[٣] .

وورد فى حديث عرفجة الذى قطع أنفة يوم الكلاب قال : (أصيب أنفى يوم الكلاب فى الجاهلية فاتخذت أنفا من ورق (فضة) فأنتن على فأمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ أن اتخذ أنفا من ذهب) ـ قال ابن العربى فى شرحة لهذا الخبر إنه استثناء من تحريم الذهب ، بإجازة الانتفاع به عند الحاجة على طريق التداوى .

وتخريجا على هذه الأحاديث الشريفة وغيرها ـ الواردة فى التداوى ـ والجراحة ـ أجاز العلماء إجراء جراحة يتحول بها الرجل إلى امرأة، أو المرأة إلى رجل ، متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخلقية فى ذات الجسد بعلامات الأنوثة المطمورة أو علامات الذكورة المغمورة ، باعتبار هذه الجراحة مظهرة لتلك الأعضاء المطمورة أو المغمورة تداويا من علة جسدية ، لاتزول إلا بهذه الجراحة كما جاء فى حديث قطع عرق من أبى بن كعب وكية بالنار[٤] ـ حسبما تقدم ..

وجواز إجراء الجراحة بتحويل الرجل إلى أمرأة أو العكس مقيد بابراز ما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة متى نصح بذلك الطبيب الثقة، وبذلك يكون إجراء الجراحة واجبا باعتباره علاجا ، ولا تجوز هذه الجراحة لمجرد الرغبة فى تغير خلقة إنسان ما ـ من رجل إلى امرأة أو من امرأة إلى رجل ـ دون وجود دواع جسدية صريحة غالبة تستدعى إحداث هذا التغيير ، بإجراء الجراحة إبرازاً لتلك الأعضاء المطمورة أو المغمورة، فإذا لم تتوافر تلك الدواعى، فإن إجراء جراحة التحويل تدخل فى نطاق الحديث الشريف عن أنس قال : (لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال أخرجوهم من بيوتكم فأخرج النبى ﷺ فلانا وأخرج عمر فلانًا)[٥] .

وقد روى عن عروة بن الزبير، أن زينب بنت أبى سلمة أخبرته أن أم سلمة أخبرتها أن النبى ـ ﷺ كان عندها وفى البيت مخنث فقال المخنث لأخى أم سلمة عبدالله بن أبى أمية : إن فتح الله عليكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبى ﷺ لا يدخلن هذا عليكم[٦] فقد نهى النبى ﷺ عن دخول هذا المخنث فى بيته لما علم عنه من نظره للنساء ووصفهن للرجال ..

تعريف المخنث :

والمخنث هو : المؤنث من الرجال وإن لم تعرف منه الفاحشة ، قال بذلك ابن حبيب ، وقيل : من يشبة خلقة النساء فى حركاتة وكلامة .

والمتخنث إن كان خلقيا لا دخل للرجل فيه بأن يوجد التثنى فى مشيه والتكسر فى كلامه ، فإنه لا يلام عليه ولا يذم، لكن عليه أن يتكلف إزالة أثر التخنث بترك التثنى والتكسر وذلك بالمعالجة والتدرج إلى أن يتم التخلص منه، فإن لم يفعل وتمادى فى تخنثه كان ملوما ومذموما، ولاسيما إن ظهر منه ما يدل على رضاه بالتخنث فإن لم يستطع ترك التخنث بآثاره وحاول ولم يقدر ،فإنه لا يتوجه إليه اللوم متى كان خلقياً وعجز عن تركه، وإن كان

(٣) رواة أحمد ومسلم ـ منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى .

(٤) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٠١ ومابعدها .

(٥) رواه أحمد والبخارى ـ كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى ج ٦ ص ١٩٢ .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٣٣ باب ماينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة .

التخنث متكلفا وصاحبه ممن يتعمد ذلك فإنه يتوجه إليه الحديث الشريف الذى ذكره الحافظ بن حجر : (اشتد غضب الله على قوم رغبوا عن خلق الله وتشبهوا بالنساء) :

وما ذكره أيضا وأخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة أن النبى - ﷺ أتى بمخنث قد خضب يدية ورجليه ، فقيل يارسول الله ﷺ : إن هذا يتشبة بالنساء فنفاه إلى النقيع فقيل : ألا نقتله ؟ فقال : إنى نهيت عن قتل المصلين)[٧] .

وقد جاء فى فقه المذهب الحنفى (الخنثى : إذا كان له آلة كل من الرجل والمرأة فإن بال من أحدهما اعتبر به ، فإن بال من الذكر فهو غلام ، وإن بال من الفرج فهو أنثى ، وإن بال منهما فالأسبق ، ولا معتبر بالكثرة ، فإذا بلغ فظهرت له أمارات الرجال فهو رجـل ، وإن ظهـرت له أمارات النساء فهو امرأة ، فإن لم تظهر الأمارتان أو تعارضتا فهو خنثى مشكل .

واذا حكم بكونه خنثى مشكلا يؤخذ فيه بالأحوط ، والأوثق من أمور الدين فيقف بين صفى الرجال والنساء فى الصلاة ، وإن صلى فى صف النساء أعاد ، ولو صلى فى صف الرجال يعيد من صلى بجواره عن يمنه وعن يساره ومن خلفه بحذائه ، ويصلى بقناع ، ولا يلبس الحلى والحرير ولا يخلو به غير محرم رجل ولا امرأة ، ولا يسافر بغير محرم ، واذا كان صغيرا لا يشتهى جاز ختانه للرجل والمرأة واذا مات ولم يستبن حالة ، يمُمِّ ثم يكفن ، ويدفن كالجارية[٨] .

هذا ولا يشترط فى صلاة الجنازة تعيين الميت المصلى عليه بل يكفـى نيـــة من حضر من الأموات ..

وإذ كان ما تقدم وتخريجا عليه :

وكان الشخص المسئول عنه فى هذه الواقعة غير واضح حاله ، إذا لم يرد بالسؤال ما إذا كان يوجد له عضو تذكير وتأنيث ، وعند بلوغه هل .. ظهرت عليه علامات الذكورة فيكون رجلا ، أو ظهرت عليه علامات الأنوثة فيكون أنثى ، أو ظهرت علامات الذكور والأنوثة جمعاً فيكون هو الخنثى المشكل المبينة أحكامه فيما سبق .

والظاهر من إجراء الجراحة وتحويل المسئول عنه إلى أنثى أن عضو التأنيث فيه كان مطمورا ، وبإجراء الجراحة ، وعملية التحويل ظهر العضو المطمور ويكون ذلك علاجا مشروعا متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخلقية لديه .

فإذا أستقر ذلك صار المسئول عنه أنثى تعامل معاملتها فى الحياة وبعد الممات .

أما إذا كان إجراء الجراحة قد تم لمجرد الرغبة فى تحويل الذكر إلى أنثى وتغير نوع هذا الإنسان من رجل إلى امرأة دون وجود دواع خلقية فإنه يترتب على ذلك حدوث تغير خلق الله - وهو محظور ومؤثم - يأثم به الطبيب ويصبح غير ثقة كما يترتب عليه أيضا دخول الرجل المحول إلى امرأة إلى حظيرة المخنث - وهو المؤنث من الرجال وإن لم يفعل الفاحشة - وإثمه واضح ، وعقابة بيّـــن فى الأحاديث الصحيحة المنوة بها فيها سبق ، وينطبق عليه حديث «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء» ، وقال : «أخرجوهم من بيوتكم» ، فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا[٩] .

(٧) المصدر السابق .

(٨) الاختيار لتعليل المختار ص٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٩) رواه أحمد والبخارى - كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ١٩٢ .

ويتضح مما سلف :

أن اسم الخنثى فى اللغة هو الذى لا يخلص لذكر أو لأنثى ، أو الذى له ما للرجال وما للنساء جميعا من خواص عضوية .

وهو مأخوذ من الخنث ، وهو اللين والتكسر يقال خنثت الشيء فتخنث بمعنى عطفته فتعطف والاسم الخنث[١٠] .

وفى الاصطلاح : من ولد من بنى الإنسان وله أعضاء التناسل للذكر وللأنثى ، أو من ولد وليس له شيء من ذلك كله أصلا وله ثقب يخرج منه البول[١١] .

وإن حكم هذا الخنثى المشكل الذى لم تخلص له علامات الذكورة أو ـ علامات الأنوثة إذا مات تصلى عليه صلاة الجنازة بنية من حضر من الأموات دون التزام بتحديد نوعه : (ذكر أو أنثى) بل بعموم الإنسان الحاضر بين يدى المصلين عليه عند وفاته .

ميراث الخنثى :

أما عن إرث الخنثى ممن توفى من أقاربه ـ متى تحقق به سبب من أسباب الإرث شرعا ـ فان الخنثى الذى وضحت ذكورته أو أنوثته ، ـ فلا إشكال فى إنه يستحق ما تقرر له إرثا حسب نوعه ذكرا أو أنثى .

إما اذا تعارض العلامات الذكورية والأنثوية ولم يمكن الترجيح ، أو أنه لا توجد علامات جسدية فعلا ، فهذا هو الخنثى المشكل لا يعرف أذكر هو أم أنثى ويعامل فى الميراث ، بأقل نصيب مستحق له بيقين والآخر مشكوك فى استحقاقة فلا تنتقص حقوق سائر الورثة بالشك :

وعلى هذا إذا وجد بين الورثة خنثى مشكل ـ بالمعنى السابق ـ .. يفرض حلان للمسألة ، حل بفرض الخنثى ذكرا وتعرفه سهامه من التركة وحل بفرض الخنثي أنثي وتعرف سهامها ، ويكون أقل النصيبين من التركة لهذا الخنثى المشكل ، والباقى يقسم على سائر الورثة حسب الأنصبة الشرعية للميراث .

وهو قول عامة الصحابة وإليه ذهب الحنفية وعلية الفتوى ، وبه أخذ قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٦ فى المادة ٤٦ منه .

فلومات إنسان عن عن ولدين أحدهما خنثى مشكل اعتبرت بنتا ، وأعطيت : الثلث ، وللإبن الآخر : الثلثان ، كما لومات عن ابن وبنت .

ولومات عن بنتين وولد ابن خنثى مشكل اعتبرت الخنثى بنتا وحجبت عن الإرث بالبنتين ، ولهما التركة فرضا وردا مناصفة بينهما .

هذا :

وننصح الإنسان الذى تعرض له هذه الحال ، أى : الاشتباه فى أنه ذكر أو أنثى التريث فى استظهار واقع حالة بكافة الطرق الممكنة والميسرة ـ علميا وطبيا ، والشواهد الجسدية والنفسية حتى لا يؤول حاله بالجراحة إلى بشرى منبوذ من المجتمع ، والصبر على خلق الله أولى من هذا الحال الموصوف بالسؤال .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانة وتعالى أعلم ..

شيخ لأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق

(١٠) لسان العرب مادة (خنث) .

(١١) ابن عابدين جـ ٥ ص ٤٦٤ ونهاية المحتاج جـ ٦ ص ٣١ والمغنى لابن قدامه جـ ٦ ص ٢٥٣ ، ٦٧٧ وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٤ ص ٤٨٩

مع سورة يس

ا.د / ابراهيم خميس

يقول الله تعالى ﴿ يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦ ﴾

في المقال السابق عرفت بسورة « يس » وذكرت أقوال العلماء فى المراد من كلمة « يس وفى هذا أتكلم عن تفسير هذه الآيات .

بدأت الآيات بالقسم الذى يشتمل أسلوبه على أداة قسم ، ومقسم به ، ومقسم عليه ، أو جواب القسم ، ولله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وقد كثر فى القرآن الكريم الإقسام بمخلوقاته. فأقسم بالشمس، والقمر، والضحى، والنجم، والليل، والطور.. والكتاب المسطور . وهو يقسم بهذه المخلوقات تنبيها لخلقه على ما فى المقسم به من كثرة المنافع والفوائد . واستدلالا على قدرته على إيجاد هذه المخلوقات المقسم بها .

أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله أو بصفة من صفاته ، لأن القسم يكون للتعظيم والتعظيم لا يكون إلا بالله ، قال ﷺ فيما رواه البخارى : من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .. وروى البخارى أيضا أن رسول الله ﷺ قال : من حلف بغير الله فقد أشرك .. وقد جاء الإقسام بالقرآن فى هذه السورة وفى غيرها ، وإن اختلفت الصفات .

قال ـ تعالى :

﴿ حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ سورة الزخرف

وقال تعالى :

﴿ حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ سورة الدخان

الكلام عن المقسم به .

أقسم الله ـ سبحانه ـ فى هذه السورة بالقرآن الحكيم . وتخصيص القرآن بالإقسام به أولا ، وبوصفه بالحكيم ثانيا ، تنويه بشأنه على أكمل وجه ، ولتأكيد الخبر « إنك لمن المرسلين » ويقتضينا الكلام عن المقسم به أن نذكر المعنى الأصلى للقرآن ثم المراد منه ، القرآن فى الأصل مصدر قرأ يقال : قرأ يقرأ قراءة وقرآنا ، .

والمعنى المراد منه : أنه الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ الموجود بين دفتى المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المنظم لشئون الدين والدنيا معا .

خرج بقوله : المنزل على سيدنا محمد ؛ ما نزل

على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ، وخرج بقوله : ـ المتعبد بتلاوته ؛ ما أوحى إلى النبى من الحديث القدسى والنبوى منهما ؛ وإن كانا منزلين عليه ؛ إلا أنهما لا يتعبد بتلاوتهما ، ومن المعلوم أن الذى أوحى إلى النبى قسمان : متلو ، وغير متلو . فالمتلو هو القرآن على معنى أن تلاوته عبادة فى الصلاة وخارج الصلاة ، وغير المتلو بهذا المعنى هو الحديث النبوى والحديث القدسى .

وكل ما ينطق به النبى ﷺ وحى قال ـ تعالى :

« وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ »

سورة النجم

وخرج بقوله المتحدى باقصر سورة منه : الحديث القدسى فإنه يشترك مع القرآن فى أن لفظه ومعناه من عند الله .

ويفرق بينهما : ١ ـ أن القرآن جاء للإعجاز والتحدى والحديث القدسى ليس كذلك .

٢ ـ القرآن يحرم حمله ومسه على المحدث حدثا أصغر أو أكبر ؛ وليس كذلك الحديث القدسى .

٣ ـ تلاوة القرآن فى الصلاة واجب أو مندوب والحديث القدسى ليس كذلك

ويمتاز القرآن الكريم على سائر الكتب بأمور هى :ـ

١ ـ أن سند القرآن متصل تمام الاتصال بالنبى ﷺ والإخبار به متواتر ، أما غير من الكتب المنزلة فقد نقلت إلينا بعد موت من أنزلت عليهم بقرون عدة .

٢ ـ القرآن الكريم جاء رسالة ومعجزة ، قال ﷺ : ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من المعجزات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . رواه البخارى

٣ ـ القرآن الكريم تكفل الله بحفظه وبقائه ، ولم يكل ذلك إلى خلقه . أما غيره من الكتب المنزله فقد وكل حفظه إلى الأنبياء وأتباعهم .

قال ـ تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ »

الحجر ٩

فجاء الكلام مؤكدا بإن وضمير الفصل ولام التأكيد .

أما فى شأن الكتب الأخرى فقد قال سبحانه :

« .. وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ .. »

المائدة ـ ٤٤

ولم يبق من معجزات الأنبياء جميعا إلا القرآن الكريم .. ولست بهذا أنكر على سيدنا محمد ﷺ معجزاته المادية ؛ فهى ثابتة وواضحة ؛ إنما أقول : إن أهم معجزاته ﷺ وأعظمها هو : القرآن الكريم باعتباره معجزة عقلية باقية ودائمة .

وقد وصف القرآن بأنه حكيم ، وهذا الوصف لا يكون إلا للعقلاء . وإنما وصف به القرآن الكريم ليخلع عليه صفة الحياة والقصد والإرادة . وهو من قبيل المجاز ، فمعنى (القرآن الحكيم)أنه ذو حكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ، أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به .

ومهما يكن من شىء فإن وصفه بالحكمة يوحى بأن للقرآن روحا وقد وصفه الله تعالى بذلك قال ـ تعالى :

« وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا »

الشورى ٥٢

وقال تعالى :

« رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ »

غافر ١٥

وقال تعالى :

« يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ »

النحل ٢

وسمى منزله من الملائكة ـ وهو جبريل ـ روحا

قال تعالى : « نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ »

الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٤

ومن مقضيات وصف القرآن بالحكمة التى هى من صفات الأحياء اشتمال القرآن حياة يبثها ويدفعها وينميها فى القلوب ، وفى الواقع العملى المشهود ، فإذا فتحت قلبك للقرآن وصفيت له روحك اطلعت منه على دخائل وأسرار لم تكن تصل إليها وتعرفها لولا مصاحبتك لهذا القرآن .

ولشدة حب الرسول ﷺ للقرآن وتعلقه به ، كان يحب أن يسمع تلاوته من غيره وكان يقف على الأبواب ينصت إذا سمع من داخلها من يرتل هذا القرآن .

ومن مقتضيات وصف القرآن بالحكمة أيضا مخاطبته كل أحد بما هو فى طوقه . وبالحكمة التى تصلحه وتوجهه . وهو مع كل هذا يربى بحكمة ويقرر للحياة نظاما يسمح بكل نشاط بشرى فى حدود منهجه الحكيم .

والكلام على جواب القسم ـ « **إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم** » فى هذا رد على إنكار الكفار رسالة النبى محمد ﷺ فقد قالوا : لست مرسلا ـ وقد صرح القرآن بهذا الإنكار فى كثير من آياته . منها قوله ـ تعالى :

« وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ »

الرعد ٤٣

وكانوا يتمنون أن ينزل القرآن على رجل عظيم من أغنيائهم ، قال ـ تعالى : « وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١ »

الزخرف ٣١

.. وذكرت بعض آيات القرآن أنهم كانوا على جانب عظيم من الإنكار ، قال ـ تعالى : « فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ »

فاطر ٤٣

ولشدة إنكار هؤلاء الكفرة رسالة سيدنا محمد ﷺ جاء جواب القسم فى هذه الآية مؤكدا بأكثر من مؤكد .

والمقصـــود من هـــذه الآية « **إنك لمن المرسلين** » ـ تسلية النبى ﷺ وتأنيه والاهتمام بأمر رسالته ، وفيها كذلك التعريض بالمشركين الذين كذبوا بالرسالة والرسول ﷺ مع وضوح الأدلة وظهور الآيات وسطوع البراهين .

وقوله ـ تعالى :

« **على صراط مستقيم** »

والغرض منه : بيان طبيعة الرسالة بعد بيان طبيعة الرسول . وإفادة تعظيم شريعته بعد إثبات

رسالته وبيان أنه ﷺ مرسل إليه كسائر الأنبياء الذين سبقوه والمراد من الصراط المستقيم : الهدى الموصل إلى الفوز فى الآخرة . وهو كذلك الدين الذى بعث به ، والذى يشمل الخلق ، الذى لقنه الله إياه ، ويشمل التشريعات العملية والشعائر التعبدية :

ووَصْفُ الصراط بالاستقامة يوحي بأن رسالته قائمة كحد السيف لا عوج فيها ولا انحراف ، الحق فيها واضح لا يميل مع الهوى ولا يتبع مصلحة . ولهذا فهى رسالة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض ، تصدع بالحق فى أبسط صورة ، يمكن أن يعيش بها ومعها : البادى والحاضر والأمى والعالم ، ويجد فيها كل حاجته . وصدق الله العظيم حيث يقول :

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »

النحل ٨٩

وقال ـ تعالى :

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »

الحج ٧٨

وقال :

« مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

المائدة ٦

وتنكير صراط للتضخيم والتعظيم .

والتعبير بـ « على » فى « **على صراط مستقيم** » يوحى بتمكن الرسول ﷺ من المنهج ، وتمكن المؤمنين الصادقين منه كذلك .

وفى قوله : ـ **على صراط مستقيم** ـ دليل على فساد قول القائلين بأن المكلف إذا صار (واصلا) لم يبق عليه تكليف ، فإن المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة ، فكيف غيرهم ؟!

« **تنزيل العزيز الرحيم** » :

متعلق بالقرآن الحكيم على أنه صفة له وقد قرىء (تنزيل) بالنصب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى : نزل تنزيل ، أو على أنه مفعول به لفعل محذوف أى اقرأ تنزيل ، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره ، هو تنزيل ، والتنزيل على هذا الوجة المنزل .

والغرض من ذكر هذا الوصف للقرآن هو إظهار فخامته الإضافية باعتبار منزِّلة : « العزيز الرحيم » . وقد بين فخامته الذاتية فى قوله : « **القرآن الحكيم** » . وكلمتا : « **العزيز الرحيم** » توحيان بالغلبة الكاملة والرحمة الفاضلة ، وتبعثان على الإيمان به ترهيباً وترغيباً ـ فالترهيب مأخوذ من « العزيز » والترغيب مأخوذ من « الرحيم » وكون منزله رحيماً يشعر بأن القرآن رحمة فى تشريعه وشعائره وعقائده وأخلاقه .

قال تعالى :

« وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ »

الأنبياء ١٠٧

وقال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ »

يونس ٥٧

« **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** » .

الإنذار هو : الإعلام المقرون بالتخويف ، ولا يسمى إنذارا إلا فى تخويف يسع زمانه

الاحتراز من المخوف به ، فإن لم يسع زمانه الاحتراز فهو إشعار وإعلام وإخبار لا إنذار، و(ما) فى « ما أنذر آباؤهم » يجوز أن تكون نافية ، وجملة ما أنذر صفة لـ« قوما » والمعنى : لتنذر قوما غير منذر آباؤهم الأدنون ، ويكون الغرض من ذكر هذه الجملة على هذا الوجه بيان غاية احتياجهم إلى الإنذار ، ويجوز فى «ما» أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة ويكون المراد بالآباء على هذا الوجه ، الأبعدين ، أى لتنذر قوما قد أنذر آباؤهم قبل ذلك ، والنبى الذى أنذر الآباء الأبعدين هو : إسماعيل – عليه السلام – إن أريد بـ«قوما» العرب ويكون المنذر : عيسى – عليه السلام – إن أريد بهم بنو إسرائيل.

وظاهر قوله « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم » يفيد أن رسالة النبى محمد ﷺ خاصة ، والمعلوم بداهه أنها عامة . وللتوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها من الآيات الدالة على عموم رسالته أقول :

إن المراد من قوله (لتنذر قوما) كل الناس ولا يراد بهم العرب أو بنو إسرائيل فتكون هذه الآية عامة كغيرها من الآيات ، أو نقول : إن رسالته – عليه الصلاة والسلام – كانت مرحلية فبدأت بأمر النبى أن ينذر عشيرته الأقربين . قال تعالى :

« وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ »

الشعراء ٢١٤

ثم جاءت الآيات الأخرى بعموم رسالته – عليه السلام – قال – تعالى :

« تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا »

الفرقان ١

وقال – تعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا »

الأعراف ١٥٨

وروى مسلم عن جابر – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « **أعطيت خمسا لم يعطهن نبىّ قبلى : أحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود** » ... الحديث .

وقوله – تعالى : « **فهم غافلون** » أى : عن الحق والنور والشرائع التى تسعد البشر فى الدارين

والغفلة أشد ما يفسد القلوب . فالقلب الغافل معطل عن وظيفته فى الاستقبال والتأثر والاستجابة . تمر به دلائل الهدى فلا يحسها ولا يدركها ، ومن هنا كان الإنذار أليق شىء بالغفلة التى كانوا فيها ، وقد يوقظ الإنذار الغافلين الذين لن يأتيهم نذير .

السُّنَّة

هُدًى وَرِجَالاً

الحدود بين العفو والوجوب

بقلم أ.د محمود سالم الخطيب

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب » رواه أبو داود[1] والنسائى[2] والحاكم .

ترجمة راوى الحديث .

هو عبد الله[3] بن عمرو بن العاص القرشى المتوفى بمكة أو الطائف أو مصر فى ذى الحجة سنة خمس ، أو ثلاث ، أو سبع وستين ، أو اثنين ، أو ثلاث وسبعين ، عن اثنين وسبعين سنة ، أسلم قبل أبيه (رضى الله عنهما) وكان بينه وبين أبيه فى السن اثنا عشر أو إحدى عشرة سنة قالوا ولا نعرف أحد غيره بينه وبين والده هذا القدر ، وكان غزير العلم مجتهداً فى العبادة ، قال بعضهم : وكان أكثر حديثاً من أبى هريرة ، له فى البخارى ستة أو خمسة وعشرون حديثاً ، وكان يمتاز بورعه وكثرة صيامه وقراءة القرآن .

المفردات :

ـ **تعافوا** : من العفو أى تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إلى فإنى متى علمت الذنب أقمت الحد[4] .

ـ **الحدود** : جمع حد ، وأصله المنع والفصل بين الشيئين ، أى الذى يمنع الانسان مما يسبق قيام الحد عليه ، والحدود هى : محارم الله وعقوباته التى قرنها بالذنوب وهى : مالا يُقْرب كالفواحش المحرمة قال ـ تعالى ـ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[5] ومنها مالا يُتعـــدى المواريث المحددة ، قال ـ تعالى ـ فى شأنها : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[6]

وقال أبو العاليه : (إن اللمم ما بين الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة) يريد بحد الدنيا : ما تجب فيه الحدود المكتوبة ، أى المبينة فى الفقه كالسرقة والزنا والقذف ، ويريد بحد الآخرة : ما أوعد الله عليه العذاب كالقتل ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، واللمم من الذنوب بين هذين الحدين مما

---

(١) سنن أبو داود ج ٤ ص ١٣٣ .

(٢) سنن النسائى ج ٨ ص ٦٣ .

(٣) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى للشيخ عبد الله الشرقاوى .

(٤) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٥ بتصرف .

(٥) سورة البقرة آية ١ .

(٦) سورة النساء آية ١٤ .

لايُوجب على فاعله حد فى الدنيا ولا تعذيب فى الآخرة[7] .

ـ **فما بلغنى من حد** :أى مما وصل إلى ، يعنى أنه علم بالذنب الذى يوجب الحد[8] .

ـ **فقد وجب** : يقال وجب الشيء يجب وجوباً إذا ثبت ولزم[9] أى : تأكد تنفيذه .

ـ **المعنى العام للحديث** :

يُرغب رسول الله ﷺ صاحب الحد فى أن يتجاوز ويعفو عمن ثبت عليه الحد ، فإذا فعل ذلك شاعت المودة وتوارت الأحقاد فضلًا ، لا توجد بين الناس أحقاد فى الدنيا . عن مجازاة الله ـ تعالى ـ له بحسن المثوبة فى الآخرة ، أما إذا علم القاضى أو ولى الأمر بثبوت الحد فلابد من أن يقيمه عليه الأمام وكثيراً ما رغب النبى ـ عليه السلام ـ فى العفو ، وفى التجاوز عن إقامته .

ومما يحبب فى العفو من صاحب الحد قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[10] .

ومعنى ﴿ **اتباع بمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾ أى : من عفا عن القصاص وقبل الدية فيجب على من لزمته أن يدفعها برفق واقتناع دون تضجر وكراهية ، ذلك العفو من القصاص إلى الدية تخفيف ورحمة من الله للأمة المحمدية خاصة ، حيث إن العفو عن القصاص لم يكن مشروعاً فى بنى إسرائيل ؛ فأكرم الله أمة سيدنا محمد ﷺ به ، فمن اعتدى بعد ذلك وخرج عن هذا النظام استحق من الله العذاب المؤلم .

ومثل هذا الحديث الذى نحن بصدده حديث آخر يُرَغِبُ صاحب الحد بالعدول إلى العفو وأخذ الدية قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة « من قُتل له قتيل فهو بخير النَّظَرَيْن ، إما أن يُعْقَلَ وإما أن يُقَادَ » رواه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ والنسائى واللفظ هنا للبخارى ـ كتاب العلم .

والمراد بخير النَّظَرَيْن : القصاص أو الدية .

ومعنى يقاد : أى يقتص منه .

ومعنى يُعْقَل : أى يُؤَدِّى دية القتيل .

ولكن من الذى يملك الخيار بين القصاص أو الدية ؟ ، أهم الوارثون ـ بسبب أو بالنسب ـ ، أو هم أولياء المقتول ؟ ، وهل النساء ممن يثبت لهن التخيير فى العفو عن القصاص إلى الدية ، هذا محل خلاف بين العلماء ذكرها الشوكانى فى : نيل الأوتار ، وذكر دليل كل والرد عليه ، فليرجع إليه من يشاء[1] .

وكثيراً ما رغب الرسول ﷺ فى العفو ولم يقم الحد إلا بعد أن يُقِرَّ بِهِ فاعله ، أو يشهد عليه شهود بأنه فعل ما يستحق به الحد ، وهذا فى جميع الحدود من : زنا أو سرقة أو قذف ، وقد بيَّنت كتب الفقه عدد الشهود على كل ما يوجب الحد .

كذلك من الأحاديث التى تؤكد هذه المعانى ، قوله ﷺ :

١ ـ عن صفوان بن أمية ، قال : كنت نائماً فى المسجد على خميصة لى ثمنها ثلاثون درهماً فجاء

(٧) ج ١ ص ٣٥٢ من النهاية لابن الأثير بتصرف .
(٨) ج ٣ ص ١٠٣ بتصرف القاموس المحيط .
(٩) ج ٥ ص ١٥٢ بتصرف النهاية .
(١٠) سورة البقرة اية ١٧٨ .
(١١) ج ٧ ص ٧

رجل فاختلسها منى ، فأخذت الرجل إلى رسول الله ﷺ . فأمر به ليقطع ، قال : فأتيته فقلت أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً أنا أبيعه وأنسئه ثمنها ، قال « فهلا كان هذا قبل أن تأتينى به »[٢] وهذا يؤكد معنى الحديث القائل : « إن الإمام يقيم الحد على فاعله ما لم يعف عنه صاحبه » رواه أبو داود .

٢ ـ وروى أبو داود أيضاً عن ابن عباس أن ماعز بن مالك أتى النبى ـ عليه السلام ـ فقال إنه زنى فأعرض عنه ، فأعاد عليه مراراً ، فأعرض عنه ، فسأل قومه (أمجنون هو) قالوا ليس به بأس (أى جنون) قال (أفعلت بها) قال نعم فأمر به أن يرجم ، فانطلق به فرجم . رواه أبو داود أيضاً .

ففى إعراض النبى ﷺ عنه مراراً دليل على التماس الشبه التى تدفع عنه الحد فما أمر النبى ـ عليه السلام ـ برجمه إلا بعد أن أقر بالزنا .

٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : « ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شىء فيه قصاص إلا أمر بالعفو فيه » رواه النسائى وأبو داود ، وكثيراً ما التمس النبى ﷺ الشبهة التى تدفع إقامة الحد عن صاحبه .

٤ ـ عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » رواه الترمذى .

ومعنى ادرءوا : ادفعوا .

٥ ـ عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً » رواه مسلم والترمذى .

وليس معنى هذا أن الاسلام يتهاون فى إقامة الحدود أو التشجيع على ارتكاب الجريمة،وإنما المعنى أن الاسلام لايقيم الحد على فاعله إلا بعد التثبت ، إما بإقراره أو بإقرار الشهود عليه ، والنبى ﷺ يبين أن فى إقامة المسلمين لحد من حدود الله فيه خير لهم من أن يمطروا ثلاثين صباحاً مع ملاحظة احتياج البيئة الصحراوية إلى المطر فيقول ـ عليه السلام ـ فيما رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ « حدُ يعمل فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً » رواه النسائى .

أما بعد فهذه بعض الأحاديث التى ترغب فى درء الحد ، وغيرها كثير وبعد ذلك نسمع بعض المسلمين الذين لم يتعمقوا فى الدين ولم يقفوا على الحكم التشريعية وأسرار التشريع يقولون : إن فى تطبيق الشريعة الاسلامية من إقامة الحدود وغيرها إهدار للدماء وتشويه للبشرية وإكثار من المعوقين فى المجتمع ، وغاب عن فهمهم أن فى تشريع الاسلام للحدود والعقوبات التى أوجبها : الأمان كل الأمان للمسلم أو المسلمة على دمه وعرضه وماله ، وقال ـ عليه السلام ـ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[١٢] .

يستفاد من الحديث ما يأتى :

١ ـ حرمة دم المسلم وماله وعرضه .

٢ ـ لايقام الحد على فاعله إلا بشهود أو بإقرار

٣ ـ جواز عفو الامام عن مرتكب الحد إذا لم يبلغه .

٤ ـ وجوب إقامة الحد على فاعله إذا رفع به الامام .

(١٢) راجع خطبة « حجة الوداع » بالعدد الماضى من مجلة الأزهر .

ياخيل الله اركبي

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجت من المدينة ذاهبا نحو الغابة حتى إذا كنت بثنية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف قلت : ويحك مابك ؟ قال : أُخذَت لقاح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت : من أخذها ؟ قال : غطفان وفزارة ؛ فصرخت ثلاث صرخات أسمعت مابين لَابَتَيْها : ياصباحاه ياصباحاه ! ثم اندفعت حتى ألقاهم وقد أخذوها ، فجعلت أرميهم وأقول :

أنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرُّضَّع

فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا ، فأقبلت بها أسوقها ؛ فلقيني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يارسول الله ، إن القوم عطاش وإني أعجلتهم أن يشربوا سِقْيهم ، فابعث في إثرهم ، فقال يا ابن الأكوع : ملَكْتَ فأَسْجِح ، إن القوم يُقْرَون في قومهم .

ـ صفوة صحيح البخاري ـ

المفردات :

١ ـ **الغابة** :اسم موضع قرب المدينة على نحو ثمانية أميال من جهة الشام وراء أحد . ومن أثلها صنع منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ **لِقَاح** :جمع لقحة ولقوح ؛ إبل لرسول الله ﷺ كانت ترعى بالغابة .

٣ ـ **لابتيها** :اللابَّةُ : الحجارة السوداء المرتفعة حول المدينة .

٤ ـ **ياصباحاه** :استغاثة فى وقت الصباح .

٥ ـ **الرضع** :من قولهم لئيم راضع أى تأصل اللؤم فى ذاته .

٦ ـ **ملكت** :قدرت .

٧ ـ **فأسجح** :فارفق وأحسن العفو .

٨ ـ **يُقْرَون** :يضافون فى قومهم : أى وصلوا غطفان وأنهم يضيفونهم وليس من المروءة إزعاجهم .

«البيان كما فى صفوة صحيح البخارى»

ورد الحديث فى شأن غزوة الغابة : وهى موضع الشجر الذى لامالك له ـ قرب ـ ذى قَرَدَ ـ موضع فيه ماء وكانت قبل خيبر بثلاث سنين .

ومن هنا تسمى الغزوة ـ بذى قَرَدَ تارة ، وبالغابة أخرى ، وقصة هذه الغزوة . كما يؤخذ من كتب السيرة . أن سلمة بن عمرو بن الأكوع خرج مبكرا من المدينة على فرس لطلحة بن عبيد الله ومعه غلام لطلحة ، ورباح خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقصدون الغابة . فلقيهم غلام لعبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ ، وأخبرهم أنه كان بالغابة مع سَرْح ـ أى إبل ـ رسول الله . ومعه أبو ذر الغفارى وامرأته وابنه . وبينا هم بالليل إذ دهمهم عيينة بن حصن فى أربعين فارسا من غطفان ، وأغار على الإبل فاستاقها أجمع ، بعد أن قتل ابن أبى ذر ـ وقيل : هو رجل من عُسْفان ـ واحتملوا امرأته ـ كما جاء فى زاد المعاد ـ فقال سلمة لرباح : اركب الفرس وارجع إلى المدينة ، وأخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم صعد سلمة على جبل عال ، ونادى بأعلى صوته : ياصباحاه : كلمة يقولها المستغيث للإعلام بهذه الغارة التى دهمتهم فى الصباح .

ثم جَدَّ فى مطاردة القوم ، يقذفهم بالنبل ، وإذا رجعوا إليه لايلحقونه لسرعته ، فقد كان ـ رضى الله عنه ـ يسابق الخيل فيسبقه عَدْوا ـ حتى اعياهم ، فصاروا يلقون بأمتعتهم يستخفون ليستطيعوا الفرار . حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة ، ولا يلقون شيئا إلا جمعه ، وجعله على طريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ومازال يتبعهم حتى مابقى بعير من ظهر رسول الله إلا وَخَلَفَهُ وراء ظهره ـ كما كان

يظن ـ وإن الحقيقة كما فى رواية أخرى : أنه انقذ بعضها أو نصفها .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ صياحُ سلمة بن الأكوع صاح فى المدينة : الفزع ، الفزع ! ياخيل الله اركبى !

فكان أول من لبى النداء من الفرسان المقداد ابن عمرو . ويقال له : المقداد بن الأسود . ثم تلاه غيره من الفرسان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ للمقداد : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس ؛ فسارع هو وأبو قتادة وغيرهما من الفرسان فى اللحاق بالقوم ، حتى لحقهم وقتل منهم واسترجع بعض اللقاح . ولما رجع سلمة ـ كما فى رواية ابن سعد ـ وجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الماء الذى أجلاهم عنه فى خمسائة من الشجعان فإذا هو قد أخذ كل شيء قد استنقذه منهم . ثم قال : يارسول الله : لو بعثتنى فى مائة رجل لاستنقذت ما بقى فى أيديهم من السرح !

فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بدت نواجذه ثم قال : يا ابن الأكوع ملكت ـ أى قدرت ـ فاسجح ـ فأحسن العفو وأرفق بهم .

جاء فى السيرة الحلبية : فكل من سلمة وأبى قتادة اشترك فى تخليص نصف اللقاح . وذهب القوم بنصفها الآخر وهو : عشرة ، وبامرأة أبى ذر . قال ابن هشام : ولما أفلت القوم بما بقى من السرح ، عقلوا الأبل وأوثقوا المرأة .

وبينا هم نيام افلتت المرأة من الوثاق وأتت الأبل فكانت كلما دنت من بعير رغا فتتركه حتى انتهت إلى العضباء وهى ناقة رسول الله ـ صلى الله صلى الله وسلم ـ فلم ترغ فقعدت على ظهرها وزجرتها وحين علموا بها طلبوها فأعجزتهم . ونذرت إن نجاها بها الله لتنحرنها . فلما رجعت أخبرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنذر ؛ فتبسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال :

بئسما جزيتها ـ نجاك الله بها وتنحرينها ؟ لا نذر فى معصية الله ولافيما لايملك ابن آدم . وإنما هى ناقة من إبلى . ارجعى إلى أهلك على بركة الله .

وحين يطلب سلمة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرسل فى إثرهم من يؤدب هؤلاء القوم قال له الرسول الرءوف الرحيم ـ عليه الصلاة والسلام : ياسلمة ملكت ـ أى قدرت ـ فأسجح : فليكن منك الرفق بهم ، وأحسن العفو عنهم ، ولاتأخذك العزة والشدة بهم .

وفى رواية مسلم : ثم أردفنى رسول الله ﷺ وراءه على العضباء ، وذكر قصة الأنصارى الذى سابقه فسبقه سلمة .

قال رسول الله ﷺ : خير فرساننا اليوم : أبو قتادة .

وخير رجالتنا اليوم سلمة .

قال سلمة : ثم أعطانى النبى سهم الراجل والفارس جميعاً .

الإمام سفيان الثورى

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

هو : شيخ الإسلام ، إمام الحافظ ، سيد العلماء فى زمانه ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثورى ـ ثور مضر لا ثور همدان ـ الكوفى المجتهد ، مصنف كتاب « الجامع » .

نشأته وطلبه للعلم[1] :

ولد سنة سبع وتسعين اتفاقاً ـ فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده ، المحدث الصادق : سعيد بن مسروق الثورى ، وكان والده من أصحاب الشعبى ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، ومن ثقات الكوفيين ، وعداده فى صغار التابعين ، روى لسعيد والده الجماعة الستة فى دواوينهم ، وحدث عنه أولاده : سفيان الإمام ، وعمر ، ومبارك ، وروى له شعبة بن الحجاج ، وزائدة ، وأبو الأحوص ، وأبو عوانة ، وعمر بن عبيد الطنافسى ، وآخرون .

شيوخه :

وهم الذين حدث عنهم سفيان :

فى مقدمتهم أبوه ، وزبيد بن الحارث ، وحبب بن أبى ثابت ، والأسود بن قيس ، وزياد بن علاقة ، ومحارب بن دثار ، وطبقتهم[2] .

(١) سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢٠٤ .

ويقال : عدد شيوخه ستمائة شيخ ، وكبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة ، وجرير بن عبد الله ، وابن عباس ــ رضى الله عنهم ــ وقد قرأ الختمة عَرْضاً على حمزة الزيات أربع مرات[٣] .

تلامذته ومن حدث عنه :

وأما الرواة عنه فخلق ذكر أبو الفرج ابن الجوزى أنهم :أكثر من عشرين ألفاً ، قال الذهبى فى السير : وهذا مدفوع ممنوع ، فإن بلغوا ألفا فبالجهد ، وما علمت أحداً من الحفاظ روى عنه أكثر من مالك وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفاً وأربعمائة .

حدث عنه من القدماء من مشيخته وغيرهم خلق ، منهم : الأعمش ، وأبان بن تغلب ، وابن عجلان ، وخصيف ، وابن جريج ، وجعفر الصادق ، وأبو حنيفة ، والأوزارعى ، وشعبة ، ومعمر ــ كلهم ماتوا قبله ــ وابراهيم بن سعد ، وأبو إسحق الفرازى ، وأحمد بن يونس اليربوعى ، وابن علية وخلائق .

ذكاؤه وشدة حفظه :

قال العجيلى فى (الثقات)[٤] : كان سفيان لا يسمع شيئاً إلا حفظه حتى كان يخاف عليه .

قال الذهبى فى السير : كان ينوه بذكره فى صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه ، وحدث هو شاب .

قال بن أيوب العابد : حدثنا أبو المثنى قال : سمعتهم بمرو يقولون : قد جاء الثورى ، فخرجت أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه[٥] .

وقال الوليد بن مسلم : رأيت الثورى بمكة يستفتى ولما يخط وجهه بعد .

قال عبد الرازق وغيره ، عن سفيان قال : ما استودعت قلبى شيئاً قط فخاننى .

وقال سفيان بن عيينة : كان الثورى كأن العلم ممثل بين عينيه ، يأخذ منه ما يريد ويدع مالا يريد .

وروى الخطيب[٦] عن أبى مسلم صالح بن أحمد قال : حدثنى أبى قال : ألقى أبو إسحق فريضة (أى مسألة فى المواريث) فلم يصنعوا فيها شيئاً ، فقال : لو كان الغلام الثورى فصَّلها الساعة ، إذ أقبل سفيان ، فقال له : ما تقول فى كذا وكذا ؟ قال سفيان : أنت حدثتنا عن عليٍّ بكذا وكذا ،

(٣) سير اعلام البنلاء ٢٣٤/٧ .

(٤) تاريخ الثقات للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى بترتيب الهيثمى ص ١٩٠ .

(٥) بقل وجهه ، وأبقل : أى خرج شعره .

(٦) تاريخ بغداد ١٦٣/٩ .

والأعمش حدثنا عن ابن مسعود بكذا ، وفلان حدثنا فيها بكذا ، قال أبو إسحق : كيف ترون من ساعة فصلها !؟ ألا تكونون مثله ؟

وروى الخطيب أيضاً عن الأشجعى قال : دخلت مع سفيان الثورى على هشام بن عروة ، فجعل سفيان يسأل وهشام يحدثه ، فلما فرغ قال : أعيدها عليك ؟ قال : نعم فأعادها عليه ثم خرج سفيان وأذن لأصحاب الحديث ، وتخلفت معهم ، فجعلوا إذا سألوه أرادوا الإملاء فيقول : احفظوا كما حفظ صاحبكم ، فيقولون : لانقدر نحفظ كما حفظ صاحبنا .

وروى أيضاً عن يحيى بن سعيد قال : كان سفيان أعلم بحديث الأعمش من الأعمش . وعن زائدة قال : كنا نأتى الأعمش فنكتب عنه ، ثم نأتى سفيان فنعرض عليه ، فيقول لبعضها : ليس هذا من حديث الأعمش ، فنقول : إنما حدثناه الآن فيقول : اذهبوا إليه فقولوا له ، فنذهب إليه فنقول له ، فيقول : صدق سفيان ، فمحاه .

وذكر الحافظ فى التهذيب(٧) عن على بن المدينى : قال : قلت ليحيى بن سعيد : أيما أحب إليك رأى سفيان أو رأى مالك ؟ قال : سفيان لاشك ، سفيان فوق مالك فى كل شىء . وقال صالح بن محمد : سفيان ليس يقدمُهُ عندى أحد فى الدنيا ، وهو أحفظ وأكثر حديثاً من مالك ؛ ولكن مالكاً كان ينتقى الرجال ، وسفيان يروى عن كل أحد ، وهو أكثر حديثاً من شعبة وأحفظ ، يبلغ حديثه ثلاثين ألفاً .

وقال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان .

ثناء العلماء عليه :

قال الخطيب(٨) : كان إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته ، مع الإتقان ، والحفظ ، والمعرفة ، والضبط ، والورع ، والزهد .

قال الذهبى : أجل إسناد للعراقيين : سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود .

وقال شعبة ، وابن علية ، وأبو عاصم ، ويحيى بن معين ، وغيرهم : سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث .

---

(٧) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١١٥/٤ .

(٨) تاريخ بغداد ١٥٢٥٩ .

وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ، ماكتبت عن **أفضل** من سفيان .

وقال ابن مهدي : ما رأت عيناى أفضل من أربعة ؛ ما رأيت أحفظ للحديث من الثورى ، ولا أشد تقشفاً من شعبة ، ولا أعقل من مالك ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك .

وروى وكيع عن شعبة قال : سفيان أحفظ منى .

وقال أبو قطن عن شعبة : ساد سفيان الناس بالورع والعلم .

وقال عبد العزيز بن أبى رزمة : قال رجل لشعبة : خالفك سفيان . فقال دمغتنى .

وقال يحيى القطان : ليس أحد أحب إلى من شعبة ، ولا يعدله أحداً فى زمانه ، فى الفقه والحديث والزهد وكل شيء .

وقال سفيان بن وكيع : حدثنا أبو يحيى الحمانى ، سمع أبا حذيفة يقول : لو كان سفيان الثورى فى التابعين لكان فيهم له شأن .

وعن أبى حذيفة قال : لو حضر علقمة والأسود لاحتاجا إلى سفيان .

وعن ابن عيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثورى .

وقال أحمد بن حنبل : قال لى ابن عيينة : لن ترى بعينيك مثل سفيان الثورى حتى تموت .

وقال يحيى بن سعيد : سفيان أثبت من شعبة ، وأعلم بالرجال .

وقال بشر الحافى : سفيان فى زمانه كأبى بكر وعمر فى زمانهما .

وقال أبو داود : ليس يختلف سفيان وشعبة فى شيء إلا يظفر به سفيان ، خالفه فى أكثر من خمسين حديثاً ، القول فيها قول سفيان .

وعن يحيى بن معين : ما خالف أحد سفيان فى شيء إلا كان القول قول سفيان .

وقال ابن عيينة : أصحاب الحديث ثلاثة : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه .

وقال على بن المدينى : لا أعلم سفيان صحف فى شيء قط إلا فى اسم امرأة أبى عبيدة ، كان يقول حفينة يعنى الصواب بالجيم .

وقال أحمد بن حنبل : أتدرون من الإمام ؟ الإمام سفيان الثورى ، لا يتقدمه أحد فى قلبى .

احتمال العلماء تدليسه :

وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب[١٠] : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى ، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابقة ، وكان ربما دلّس .

---

(٩) تقريب التهذيب ص ٢٤٤ .

(١٠) تدريب الراوى ١/٢٣٠ .

وقال الحافظ في طبقات المدلسين : وصفه النسائي وغيره بالتدليس ، وقال البخارى : ما أقل تدليسه .

وقال النووى فى التقريب[١٠] : وما كان فى الصحيحين وشبههما عن المدلسين بـ (عن) فمحمول على ثبوت السماع له من جهة أخرى .

قال السيوطى : وإنما اختار صاحب الصحيح طريق العنعنة على طريق التصريح بالسماع لكونها على شرطه دون تلك .

وقال السيوطى فى التدريب : قال الخطيب : وكان الأعمش وسفيان يفعلون مثل ذلك (أى يدلسون تدليس التسوية) قال العراقى : وهو قادح فيمن تعمد فعله .

وقال شيخ الإسلام (أى الحافظ ابن حجر) : لا شك أنه جرح وإن وصف به الثورى والأعمش ؛ والاعتذار عنهما أنهما لايفعلانه إلا فى حق من يكون ثقة عندهما ضعيفاً عند غيرهما .

وقال الذهبى فى السير[١١] : وكان سفيان يذكر على الملوك ولا يرى الخروج عليهم أصلًا ، وربما دلس عن الضعفاء .

معنى التدليس وأنواعه :

قال الفيروز ابادى فى القاموس : التدليس : كتمان عيب السلعة عن المشترى ، ومنه التدليس فى الإسناد وهو أن يحدث عن الشيخ عن الأكبر ، ولعله مارآه وإنما سمعه ممن هو دونه ، والتدلس التكتم[١٢] .

وقال السيوطى فى التدريب[١٣] : التدليس ليس كذباً ، وإنما هو ضرب من الإيهام .

وقال الحافظ بن حجر فى طبقات المدلسين[١٤] ، التدليس تارة يكون فى الإسناد ، وتارة يكون فى الشيخ . فالذى فى الإسناد :

أى يروى عمن لقيه شيئاً لم يسمعه منه بصيغة محتملة ، ويلتحق به من رآه ولم يجالسه .

ويلتحق به تدليس القطع ، وهو أن يحذف الصيغة ، ويقتصر على قوله مثلًا : الزهرى عن أنس .

وتدليس العطف : وهو يصرح بالتحديث فى شيخ له ، ويعطف عليه شيخاً آخر له ، ولا يكون سمع من ذلك الثانى .

---

(١١) سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧ .

(١٢) القاموس المحيط ص ٧٠٣ .

(١٣) تدريب الراوى شرح تقريب النوواوى ٢٣٠/١ .

(١٤) طبقات المدلسين وهو الكتاب المسمى تعريف أهل التقديس بمراقب الموصوفين بالتدليس ص ٧ .

وتدليس التسوية : وهو أن ينصع ذلك لشيخه ؛ فإن أطلعه على أنه دلس حكم به ، وإن لم يطلعه طرقه الاحتمال ، فيقبل من الثقة ماصرح فيه بالتحديث ويتوقف عما عداه .

وإذا روى عمن عاصره ـ ولم يثبت لقيه له ـ شيئاً بصيغة محتملة فهو الإرسال الخفى ، ومنهم من ألحقه بالتدليس ، والأولى التفرقة لتمييز الأنواع .

ويلتحق بالتدليس ما يقع من بعض المحدثين من التعبير بالتحديث ، أو الإخبار عن الإجازة موهماً للسماع ، ولا يكون سمع من ذلك الشيخ شيئاً .

وأما تدليس الشيوخ : فهو أن يصف شيخه بما لم يشتهر به من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة إيهاماً للتكثير غالباً ، وقد يفعل ذلك لضعف شيخه ، وهو خيانة ممن تعمده كما إذا وقع ذلك فى تدليس الإسناد .

والمدلسون على خمس مراتب :

الأولى : من لم يوصف بذلك إلا نادراً كيحيى بن سعيد الأنصارى .

الثانية : من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له فى الصحيح لإمامته وقلة تدليسه فى جنب ماروى ، كالثورى ، أو كان لايدلس إلا عن ثقة كابن عيينة . .

الثالثة ، من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً ، ومنهم من قبلهم كأبى الزبير المكى .

الرابعة : من اتفق على أنه لا يحتج بشىء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل ، كبقية بن الوليد .

الخامسة : من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ، ولو صرحوا بالسماع إلا أن يوثق من كان ضعفه يسيراً كابن لَهِيعَةَ .

زهده وورعه وشدة خوفه من الله :

قال أبو قطن : قال لى شعبة : إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم .

وقال قبيصة : ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت ، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه .

وروى عبد الله بن خُبَيْق عن يوسف بن أسباط : قال لى سفيان بعد العشاء : ناولنى المطهرة[١٥] أتوضأ ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده ، فبقى مفكراً ونمت ، ثم قمت وقت الفجر ، فإذا المطهرة فى يده كما هى ، فقلت : هذا الفجر قد طلع ، فقال : لم أزل منذ ناولتنى المطهرة أتفكر فى الآخرة حتى الساعة .

---

(١٥) المطهرة : الإناء الذى يتوضأ به ويتطهر به .

وقال يوسف بن أسباط : كان سفيان إذا أخذ فى ذكر الآخرة يبول الدم .

وقال ابن مهدى : كنا نكون عنده ، فكأنما وقِّفَ للحساب .

وسمعه عثام بن عَلى يقول : لقد خفت الله خوفاً ، عجباً لى كيف لا أموت ؟ ولكن لى أجل ، وددت أنه خفف عنى من الخوف ، أخاف أن يذهب عقلى .

وقال ابن مهدى : كنت أرمق سفيان فى الليلة بعد الليلة ، ينهض مرعوباً ينادى : النار ، النار ، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات .

وقال أبو نعيم : كان سفيان إذا ذكر الموت لم ينتفع به أياماً .

وقال العجلى فى الثقات(١٦) كان ثقة ثبتاً فى الحديث زاهداً فقيهاً صاحب سنة واتباع ، وكان من أقوى الناس بكلمة شديدة عند سلطان يتقى .

دخل سفيان على المهدى فقال : السلام عليك ، كيف أنت أبا عبد الله ؟ ثم جلس ، فقال : حج عمر بن الخطاب فأنفق على حجته عشرين ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت فى حجتك بيوت الأموال !! فقال المهدى : أتريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ، ودون ماأنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد جاءتنا كتبك فأنفذتها ، قال سفيان : من هذا ؟ قال المهدى : أبو عبيد وزيرى ، قال : احذره فإنه كذاب ، أنا كتبت إليك !؟

ثم قام فقال له المهدى : أين أبا عبد الله ؟ قال : أعود . وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدى ، فلم يعد ، قال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، قيل له : إنه قد عاد لأخذ نعليه، فغضب ، فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثورى .

استغناؤه عن الناس :

روى موسى بن العلاء عن حذيفة المرعشى ، قال : قال سفيان : لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله ، عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس .

وقال روّاد بن الجراح سمعت الثورى يقول : كان المال فيما مضى يكره ، فإما اليوم فهو ترس المؤمن .

وقال عبد الله بن محمد الباهلى : جاء رجل إلى الثورى يشاوره فى الحج ، قال : لا تصحب من يكْرُمُ عليك ، فإن ساويته فى النفقة ؛ أضرَّ بك ، وإن تفضل عليك استذلك .

ونظر إليه رجل وفى يده دنانير ، فقال : يا أبا عبد الله ! تُمسك هذه الدنانير !؟ قال : اسكت فلولاها لتمندل بنا الملوك(١٧) .

---

(١٦) تاريخ الثقات ص ١٩٢ .

(١٧)أى لجعلونا كالمناديل يتفل فيها ويمسح بها الأذى

من حكمه وأقواله :

« إن أقبح الرعية من يطلب الدنيا بعمل الآخرة » .

« ما وضع رجل يده فى قصعة رجل إلا ذَلَّ له » .

« ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن ، ولكنه قصر الأمل ، وارتقاب الموت » .

« المال داء هذه الأمة والعالم طبيب هذه الأمة ، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه ، فمتى يُبْرِىء الناس » .

« احذر سخط الله فى ثلاث : احذر أن تقصر فيما أمرك ، واحذر أن يراك ، وأنت لا ترضى بما قسم لك ، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك » .

« أحب أن يكون صاحب العلم فى كفاية ، فإن الآفات إليه أسرع ، والألسنة إليه أسرع » .

« زينوا العلم والحديث بأنفسكم ولا تتزينوا به » .

« الزهد زهدان : زهد فريضة وزهد نافلة ؛ فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس ، وأما زهد النافلة : فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال ، فإذا تركت شيئاً من ذلك ، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا الله » .

إحصائية بعدد ماروواه من أحاديث فى الكتب الستة ومسند أحمد :

له فى صحيح البخارى : ٣٩٥ حديث .

وفى صحيح مسلم : ٤١٣ حديث .

وفى سنن أبى داود : ٢٤٦ حديث .

وفى سنن الترمذى : ٣٤٨ حديث .

وفى سنن النسائى : ٣١٥ حديث .

وفى سنن ابن ماجه : ٣٦٠ حديث .

وفى مسند الإمام أحمد : ١٦٢٧ حديث .

وفاته :

عن ابن مهدى[١٨] قال : مرض سفيان بالبطن[١٩] ، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة حتى إذا عاين الأمر ، نزل عن فراشه ، فوضع خده بالأرض ، وقال يا عبد الرحمن ما أشد الموت ! ولما مات غمضته ، وجاء الناس فى جوف الليل ، وعلموا .

قال الذهبى : والصحيح أن موته فى شعبان سنة إحدى وستين ومائة .

فرحم الله سفيان الثورى رحمة واسعة ، وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٨) سير اعلام النبلاء ٢٧٨/٧ .

(١٩) داء البطن .

المدونة الكبرى

فى الفقه الإسلامى

٢

للأستاذ د. محمود عبد المتجلى خليفة

بعد أن كُتِبتْ المدونة وانتشرت بين الناس وذاع صيتها ، وأقبل عليها العلماء ، ينهلون من موردها العذب ، ويقتفون آثارها لما فيها من الكنوز الثمينة التى تبين طريقة الإمام مالك ـ رضى الله ـ تعالى عنه ـ فيما يفتى به .

تناولها تلاميذة المذهب المالكى بالشرح والتعليق والاختصار .

شراح المدونة

ا ـ وكان أول من تناولها بالشرح (محمد بن سحنون) حيث بدأ يشرح مدونة والده وقد تفقه محمد بوالده ، ورحل إلى المشرق ، فلقى بالمدينة «أبا معصب الزهرى» وغيره ، وكان « محمد بن سحنون » إماماً فى الفقه ثقة موفقا فى نصرة مذهب أهل المدينة ، عالما الآثار ، جلس مجلس أبيه بعد موته ، وكان إمام عصره فى مذهب أهل المدينة بالمغرب .

ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفى سنة ٢٥٦ هـ بعد موت أبيه بستة عشر عاما .

أخذ محمد فى شرح المدونة وإن كان لم يكملها ، بل شرح جزءا كبيرا منها حتى وصل إلى (كتاب المرابحة) .

ب ـ ومن أحسن ـ شروح المدونة شرح الإمام (محمد بن أحمد بن رشد) أبى الوليد الكبير حبر ابن رشد الحفيد الفيلسوف ، وابن رشد الكبير كان قاضى الجماعة بقرطبة ، بها ولد وفيها نشأ وبها توفى ويعتبر ابن رشد من أعيان المالكية ، وكان إليه المفزع فى المشكلات وهو بصير بالأصول والفروع والفرائض ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٢٠ هـ

وسمى شرحه للمدونة : المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من أحكام ومعضلات وهو كتاب مطبوع بهامش المدونة متداول .

وهناك شرحان آخران للمدونة لعالمين ظهرا بعد ابن رشد :

ج ـ أولهما (سند بن عنان المصرى الأزدى) المكنى بأبى على ، سمع من شيخة أبى بكر الطرطوشى وكان سند من زهاد العلماء ، وكبار الصالحين ، فقيها فاضلا .

شرح المدونة فى كتابه المسمى (الطراز) ويقع فى نحو ثلاثين سفرا ، وقد مات سند قبل إكماله ولكن طلاب العلم انتفعوا بكتابه كثيرا .

توفى ـ رحمه الله ـ بالاسكندرية سنة ٥٤١ هـ ، ودفن بجبانة باب الأخضر .

ـ وثانى الشيخين أبو الحسن على بن محمد بن الحق الزرويلى المعروف بالصُّغَيِّر ـ بضم الصاد وفتح العين والياء المشددة ، كان قيما على تهذيب البرادعى فى اختصار المدوتة وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس بالمغرب ، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته توفى سنة ٧١٩ هـ .

ويعتبر شرحه خاتمة الشروح للمدونة وهو يبلغ اثنى عشر جزءا .

مختصر المدونة :

ثم احتفل تلاميذة المذهب من شرح المدونة إلى اختصارها :

ا ـ وأشهر من اختصرها وزا عليها بعض الزيادات أبو محمد عبدالله بن أبى زيد عبدالرحمن القيروانى مولدا ، النَّفْزِى نسبا ، سكن القيروان ، وكان إمام المالكية فى وقته وقدوتهم ، وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله ، وهو الذى لخص المذهب ، وضم ماتفرق منه ودافع عنه وملأت البلاد تآليفه ، وكان يعرف بـ (مالك الصغير) .

من تآليفه : كتاب النوادر والزيادات على المدونة ، وكتاب مختصر المدونة ، وانتشر من تآليفه الرسالة المشهورة برسالة ابن أبى زيد القيروانى ، انتشرت فى سائر البلاد الإسلامية ، وتنافس الناس فى اقتنائها ، حتى كتبت بالذهب أيام تأليفها ، وأول نسخة منها بيعت فى بغداد فى حلقة علم أبى بكر الأبهرى بعشرين دينارا .

عاش ابن أبى زيد ستا وسبعين سنة وتوفى سنة ٣٨٦هـ .

ب ـ ثم تلا ابن أبى زيد فى اختصار المدونة قربتُه : أبو القاسم خلف بن القاسم الأزدى المعَروف بابن البرادعى ويكنى أيضا بأبى سنعيد وهو من كبار أصحاب ابن أبى زيد القيروانى وأبى الحسن القابسى من مشاهير علماء المذهب المالكى .

ويعتبر ابن البرادعى من حفاظ المذهب المالكى ، له فيه تآليف كثيرة من أشهرها : كتاب (التهذيب فى اختصار المدونة) ، اتبع فيه طريقة ابن أبى زيد ، إلا أنه ساقه على نسق المدونة ، وحذف مازاده ابن أبى زيد ، وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة العلم ، وله أيضاً (كتاب التمهيد لمسائل

المدونة) على صفة اختصار ابن أبى زيد وزياداته وكذلك ألف (كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة ، أدخل فيه كلام شيوخ المذهب المتأخرين على المسائل .

قال ابن خلدون : تلخيص البرادعى للمدونة المسمى بـ(التهذيب) اعتمدته المشيخة من أهل أفريقية ، وأخذوا به وتركوا ما سواه .

التعليق على المدونة :

وجاء بعد هؤلاء الذين اختصروا المدونة شيوخ تناولوها بالتعليق

ا ـ فمن ذلك تعليق أبى إسحاق إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافرى التونسى من تلاميذة أبى بكر ابن عبدالرحمن وأبى عمران الفاسى . توفى سنة ٤٤٣ هـ ، ودفن بباب تونس ومنها تعليق أبى القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث التميمى المعوف بـ «السَّيُودِى» آخر طبقة من علماء افريقية ، وخاتمة أهل القيروان العلماء الأئمة ، وكان أخذ أيضا من أبى بكر بن عبدالرحمن ، وأبى عمران الفاسى مثل سالفه المعافرى .

وعن السيودى أخذ اللخمى المالكى .

توفى السيودى سنة ٤٦٠ هـ ودفن بالقيروان .

ب ـ وممن علق على المدونة اللخمى أبو الحسن على بن محمد الربعى ، أصله من القيروان ، ونزل صفاقس ، تفقه بابن محرز السيودى . وعن اللخمى أخذ المازرى المالكى واللخمى مقدم بتخريج الخلاف فى المذهب واستقراء الأقوال ، وربما بداله مخالف المذهب فيما ترجح عنده .

وتعليقه على المدونة يسمى (التبصيرة) متمشيا مع المدونة فى التراجم والمعانى توفى اللخمى بصفاقس ودفن بها سنة ٤٧٨هـ وقبره مزار هناك .

ج ـ ومنها تعليق أبى محمد عبدالحميد بن محمد الهروى المعروف بـ (ابن الصائغ) وهو قيروانى سكن (سوسة) ، أدرك أبا بكر بن عبدالرحمن وبا عمران الفاسى وتفقه بالعطار وابن محرز ، وكان فقيها فاضلا نبيلا ، وتعليقه على المدونة أكمل به الكتب التى بقيت على التونسى ، وبابن الصائغ تفقه المازرى وغيره ، وأصحابه يفضلونه على قرينه أبى الحسن اللخمى تفضيلا كثيرا توفى فى سنة ٤٨٦هـ .

نموذج من تأليف المدونة :

هذا ويحسن أن أورد نموذجا من تأليف المدونة :

الصلاة خلف أهل الصلاح والبدع .

قال سحنون ، قال ابن القاسم ، قال مالك : يتقدم القوم أعلمهم ، إذا كانت حاله حسنة ثم قال : وإن للسن حقا .

فقلت له : فأقرؤهم ؟ فقال : قد يقرأ من لا .. قال ابن القاسم : يريد بقوله (من لا) أى من لاترضى حاله .

وقال مالك : ويقال أولى بمقدم الدابة صاحب الدابة ، وأولى بالإمامة صاحب الدار إذا حلوا فى منزله إلا أن يأذن فى ذلك .

قال ابن القاسم : ورأيته يرى ذلك الشأن ويستحسنه .

قال سحنون : قلت لابن القاسم : ماقول مالك فيمن صلى وهو يحسن القرآن خلف من لايحسن القرآن ؟ قال مالك : إذا صلى الإمام بقوم فترك القراءة انتقضت صلاته وصلاة من خلفه ، وأعادوا وإن ذهب الوقت . قال : فذلك الذى لايحسن أشد عندى من هذا ؛ لأنه لاينبغى لأحد أن يأتم بأحد لا يحسن القرآن .

قال : وسألت مالكا عن الصلاة خلف الإمام القدرى . قال : إن استيقنت فلا تصل خلفه . قلت : ولا الجمعة ؟ قال : ولا الجمعة إن استيقنت .

قال : وأرى إن كنت تتقيه وتخافه على نفسك أن تصلى معه ، وتعيدها ظهرا .

قال مالك : وأهل الأهواء مثل أهل القدر .

قال : ورأيت مالكا إذا قيل له فى إعادة صلاة من صلى خلف أهل البدع ، يقف ولايجيب فى ذلك قال ابن القاسم : وأرى فى ذلك الإعادة فى الوقت .

قال : وسئل مالك عن رجل صلى خلف رجل يقرأ بقراءة ابن مسعود ـ أى بقراءة شاذة غير متواترة . قال يخرج ويدعه ولايأتم به .

قال ، وقال مالك : لاينكح أهل البدع ولاينكح إليهم ـ أى لايزوجهم الصالحون ولايتزوجون من بناتهم ولايسلم عليهم ، ولايصلى خلفهم ، ولاتشهد جنائزهم قال وقال مالك : من صلى خلف رجل يقرأ بقرأة ابن مسعود فليخرج وليتركه .

قلت : فهل عليه أن يعيد إذا صلى خلفه فى قول مالك ؟ قال ابن القاسم : إذا قال لنا يخرج فأرى أن يعيد فى الوقت وبعده .

أصول الكتب التى جمعت نقل المالكية لمذهبهم :

هذا والمدونة التى هى أصل الكتب فى المذهب المالكى جاء بعدها ثلاثة كتب . هى أمهات الكتب فى المذهب المالكى وهى : الواضحة والقبلية والموازية .

قال ابن خلدون فى (المقدمة) فى بيان الكتب فى المذهب المالكى : رجل من الأندلس عبدالملك ابن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته ، وبث مذهب مالك فى الأندلس ، ودون فيه (كتاب الواضحة) ثم دون العتبى من تلامذته (كتاب العتبية) ومعهما المدونة وهذه هى أمهات الكتب فى

المذهب المالكى . ثم قال : ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع فكتب أهل أفريقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس واللخمى وابن محرز التونسى وابن بشير وأمثالهم .

أقول : وهذا تلخيص جيد للكتب فى المذهب المالكى يبين كيف انتقلت آراء مالك ومسائله ، وكيف تناول العلماء ، تلكَ النقول بالشرح والترتيب والتلخيص .

وهناك أصل رابع لم يتعرض من له ابن خلدون وهو المَوَّازية : وهناك كلمة عن الكتب الثلاثة بعدما أشبعنا القول عن المدونة :

الواضحة : صاحبها عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن ضَبَاهُمَةَ بن عباس بن مرداس السملى ويكنى ابن حبيب بأبى مروان . أصله من طليطلة بالأندلس ، وانتقل جده سليمان إلى قرطبة ، وانتقل أبوه حبيب وإخوته فى فتنة الربصن إلى البيرة .

وروى ابن حبيب بالاندلس عن أناس كثير من أهمهم زياد بن عبدالرحن الملقب (بشبطون) ثم رحل إلى المشرق فسمع من أصحاب مالك وأهمهم ابن الماجشون ومطرف وابن أبى أويس وابن المبارك وابن عبدالحكم وأصبغ بن الفرج .

ثم عاد إلى الأندلس بعلم عزيز ، ونزل بلدة البيرة ، وقد انتشر سُمُوُّهُ فى العلم فنقله الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى قرطبة وجعله فى طبقة المُفتين كان فقيها ولم يكن محدثا . له تآليف كثيرة أهمها الواضحة فى السنن والفقه وكتاب الواضحة اعتبر أصلا ثابتا للفقه المالكى عند بعد الناس توفى ابن حبيب بالأندلس سنة ٢٣٨ هـ .

العتبية : مؤلفها هو محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن عتبة الشهير بالعتبى ، ينتهى نسبه إلى عتبة بن أبى سفيان .

سمع العتبى بالأندلس من يحيى الليثى تلميذ الإمام مالك -- رحمها الله تعالى ـ كما سمع من سعيد بن حسان وغيرهما .

ورحل فسمع من سحنون بالقيروان ، ومن أصبغ بن الفرج بمصر ، وكان حافظا للمسائل جامعا لها . قرأ كتاب أبن حبيب المسمى بالواضحة ، وأخذ من مسائله ماسماه (المستخرجة) التى كانت محل ثقة الأندلسيين وتسمى أيضا العتبية نسبة إلى مؤلفها العتبى .

يقول عنها محمد بن حزم الأندلسى الظاهرى : المستخرجة لها عند أهل العلم بأفريقيا القدر العالى والطيران الحثيث ، وقد استخرج العتبى بعضها من واضحة ابن حبيب ، وزاد عليه مسائل أخرى العتبى أندلسى قرطبى توفى سنة ٢٥٥هـ .

أما الأصل الرابع الذى لم يذكره ابن خلدون فهو الموازية :

ألف الموازية محمد إبراهيم بن زياد الاسكندرى المعروف بابن المواز تفقه بابن الماجشون وابن

عبدالحكم ، واعتمد على أصبغ بن الفرج والحارث بن مسكين . وروى عن عبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك وهو صغير ، والمعول بمصر على قوله .

كان راسخا فى الفقه والفتيا عالما فى ذلك ، له كتابه الكبير المشهور المعروف بالموازية وهو أجل كتاب ألف المالكيون ، وأصحه مسائل ، وأبسطه كلاما وأوفيه ، وقد رجحه القابسى على سائر الأمهات وقال : إن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب مالك على أصولهم فى تصنيفه ، وغيره إنما قصد جمع الروايات ، ونقل نصوص السماعات ، ومنهم من ينقل عنه الاختبارات فى شروح أفردوها ، وأجوبة لمسائل وقوع السؤال عنها ، ومنهم من كان قصده الدفاع عن المذهب فيما فيه الخلاف .

وفى هذا الكتاب جزء تكلم فيه ابن المواز على الشافعى وعلى أهل العراق بمسائل من أحسن كلامه وأكثر قبولا .

ولدا بن المواز سنة ١٨٠هـ ، وتوفى بدمشق سنة ٢٦٩هـ .

موازنة بين هذه الكتب الثلاثة الأخيرة نقلا من كلام الشيخ محمد أبى زهرة قال :

أما العتبية أو المتسخرجة فهى مأخوذة من الواضحة مع زيادات ، ولهذا لا تدخل فى المقارنة ، وهذه الموازنة تنتهى إلى أن المدونة مجموعة المسائل والفروع ، وكانت العناية فيها إلى تصحيح الرواية ، وتوثيق السماع أكثر من الاتجاه إلى وضع الأدلة وبيان أصول المسائل .

وأما الواضحة فكانت عناية ابن حبيب فيها باستخراج المعانى والقواعد التى قامت عليها الفروع ، وإنه ربما أغنته بعض الفروع فى ذلك فاكتفى ببعض الروايات ؛ لأن مقصده أن يصل إلى المعانى التى لوحظت فى الأحكام ، فما يجد فى بعض الروايات غناء فيه يكتفى به ، وإن لم يجد بحث حتى يصل ، فمقصده المعانى لا الأحكام نفسها .

وأما الموازية فقد قصد ابن المواز فيها إلى الفروع إلى أصولها ، وبيان الأدلة للأحكام المأثورة فى الفقه المالكى ، وماتعتمد عليه من الكتاب والسنة والإجماع والمصالح المعتبرة شرعا .

وقد يعرض فيها ابن المواز إلى الموازنة بين الفقه المالكى والفقه العراقى وفقه الشافعى ليذب عن آراء مالك ، ويدافع عنها .

وإذا كانت تلك منازل هذه الكتب الثلاثة فللمدونة مكانها من نقل المذهب ، ولها الصدارة فى الرواية ، ولم ينازعها فى مكانتها أى كتاب ؛ لأن الموازنة ــ وإن كان لها اعتبار ، فليس من ناحية جودة سماعها ، ونقل ماجاء فيها ، ولكن من ناحية الاستدلال ، وبيان الأصول للفروع ، والأدلة للأحكام .

وأما الرواية وحسن النقل وجودة السماع فللمدونة أولا وذلك فضلها واعتبارها .

نسأل الله أن ينفعنا بالعلم وأن يهدينا سواء السبيل .

د. محمود عبدالمتجلى خليفة
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

نظرات قرآنية

الإقناع العقلى قبل رسالة إبراهيم

- ١ -

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

جميع رسالات السماء تبزغ من مشكاة واحدة فهى تدعو إلى الوحدانية وتحارب الشرك والوثنية ، وتعتز بيوم الحساب حين يقوم الناس لرب العالمين ، لذلك كان الإسلام دين الإنسانية منذ نشأت الخليقة وبهدى الإسلام تتابع الأنبياء والمرسلون ليعلنوا كلمة الله خالصة واضحة متفقة الجوهر نقية اللباب ، وهذا ما أعلنه الله ــ عز وجل ــ فى كتابه الخاتم حيث قال : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ » .

الشورى ــ ١٣

وقد قرأت مقالًا لعالم كبير من أفاضل علماء الاسلام ، ذهب فيه إلى أن رسالة ابراهيم ــ عليه السلام ــ كانت أول رسالة تعتمد على البرهان العقلى ، وتدعو إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ليتدبر الناظر فيما حوله فيهتدى بفطرته إلى خالق الكون ومبدعه ، وأنا لا أنكر أن رسالة ابراهيم ــ عليه السلام ــ كانت دعوة خالصة الى التأمل فى الملكوت الكونى ، وقد اعتمدت على الحجة الواضحة والبرهان الشاخص للعيان ، ولكنّى أقرر أن رسالة الأنبياء جميعهم من قبل ابراهيم كانت تنحو هذا المنحنى العقلى . إذ تُقدم الدليل الناهض على وحدانية الله فيما ذَرَأ من الكائنات وتخاطب العقل البصير بما يُقنعه عنْ سداد ، والذين يقولون بطفولة العقل البشرى فى نشأته الأولى من الماديين يجهلون أن الله قد خَلق آدم مزوّدًا بمواهبه الفكرية الراقية ، وأنه نزل إلى الأرض مسلّحا بعقله البصير ليقاوم آفات الحياة بما يملك من موهبة ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ فى كتابه

« وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا » . البقرة ــ ٣١

ومن مميزات هذا التعليم أن يكون صاحبه قادرا على التمييز بين الخير والشر ، والنافع والضار ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ « خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ » الرحمن ٣ ، ٤

وتعليم البيان لا يتم إلا بفكر سديد يُنشىء المعانى الصحيحة ، ويقر الحق فى نصابه ، بما أوتى من تفكير ! وما تورّط هؤلاء القائلون بطفولة العقل البشرى فى نشأته الأولى إلا حينَ جرْوا وراء

افتراضات لَا سَند لها ، إذ تخيّلوا أن الإنسان الأول قد نشأ جاهِلًا ما حوله فتعاظمته مظاهر الطبيعة من رعدٍ وبرق ومطر وشمس فاتجه إليها بالتأليه إلى آخر ما ينسجونه من أوهام لم تُقم على أساس علمّى محقق بل كانْت مجرد افتراضٍ موهوم ، تداولتْه الكُتُب فأصبح بهذا التّداول المتكرر ، وكأنه حقيقة واقعة وماجَرّهم إلى ذلك غيرُ المادّية الصّماء التى يجعلونها أساسَ الكون .

وقد نَسُوا أنّ الدين غريزةٌ من غرائز النفس البشرية وقد وُجدت هذه الغريزة الصادقة مَع أول نفس بشرية تلقتْ تعليم السماء وارتفعت عن الملائكة بما فقهت من تعليم ، إذ كان آدم مُعلماً لهؤلاء حين أخبرهم بحقائق ما يجهلون ، وهكذا وُلِد العقل البشرى الناضج فى رأسِ أبِ البشرية آدم ثم من وليه من الأبناء والأحفاد ، وحين كانت سُحب الجهالة تغيمُ على هذا العقل فى فترات متعاقبة ، أخذت رسل الله ـ عز وجل ـ تقوم برسالاتها الهادية فى دعوة الناشرين إلى صراط الله القويم فتتابع أنبياء الله ورسله على مسرح الحياة آناً بعد آن ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ثم جاءت الرسالة الخاتمة لتقرر الحقائق الربانية تقريرا راسخا لا تنال منه الأوهام او بها تمت كلمة الله ، وكمل الدين الحنيف واستنار السبيل .

آدم عليه السلام

لا نَرى فى القرآن الكريم لفظا صريحا ينطق بنبوة آدم ، ولكننا نقرأ فى كتاب الله أنه ــ عز وجل ــ خاطبه بلا واسطة وعلّمه الأسماء ، وأمره بأشياء ونهاه عن أشياء وقد خالف بعض ما نُهِي عنه ، ثم تاب ، فقبل الله توبته ، ونزلَ إلى الأرض ليبدأ رحلة الخليقة ، ومعنى النبوة حينئذ يكون محدودا فى أسرته المتعاقبة وطبيعى أن يقوم بإرشاد بنيه وفيهْم من اهتدى ومن ضلّ ، ولكننا لم نقرأ حِججاً بينه وبين الضالين كعهدنا فى الأنبياء والرسل من بَعده ، لذلك نقف عند ما أثبته القرآن الكريم من حقائق ، وآدمُ بَهدِى السماء ، وبمخاطبة الله إياه ، كان مُوَحِداً خالصَ التوحيد ، وحَسْبُهُ فى أداءه رسالته الإنسانية أنه كان أبا البشر ، له عطف الأب وحَنانهُ وقيامه بمسئولّية التربية ، أما التوحيد فقد عرفه واعتقده ، ولنْ تكون الطائفة الأولى من نَسلِه غَير موحديّن لذلك نجدُ هابيل يقول لأخيه : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ سورة المائدة

والنص الصريح فى تقرير حقيقة الثواب والعقاب وفى تأكيد الخشية من الله لدى مَن خاف ربه ، وما جاء ذلك إلّا مِن تعاليم آدم لأبنائه وإرشادهم إلى الطريق القويم .

دعوة نوح

ذكر القرآن الكريم أن إدريس ــ عليه السلام ــ « كان صِديقا نبيا » .

مريم ــ ٥٦

وقد رفعه الله مكانا عليا كما وَرد ذكرُه فى حديث الإسراء ولكن رسالته لم تثبت بأثر صحيح ، فهو إذن لم يناقش قوما يدعوهم الى عبادة الله فلْنتقل منه إلى نوح حيث قضى أكبر وقت قَضَاهُ رسول فى دعوة قومه ، إلى وحدانية فاطر السموات والأرض ولم ييأسْ بدءاً ولكنه يئس بعد الأمد الطويل إذ لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا ونفورا وأظهروا من وسائل الإعراض ما يضيق به صدر الحليم فكانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم ، ويستغشون بثيابهم ويظهرون من دلائل الإصرار على الكفر ما ينبيء عن استعلاء متكبر ، وتعاظم مقيت ! لقد كان نوح ــ عليه السلام ــ ذا برهان عقلى واضح البنية فى تأدية رسالته فهو يلفت أنظار قومه إلى ما يحيط بهم من دلائل القدرة الآلهية بما لايستطيعون إنكاره ، وقد قال لهم فيما حكى الذكر الكريم عنه « فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ » .

نوح ١٠ ــ ١٤

ثم ينتقل الى خلق السموات والأرض ، وهو ما لا يستطيعون إنكاره إذ يرونه رأى العين ، والدليل الحسّى أقوى إقناعاً من الدليل العقلى لأن ذاّ النظر المحدود يلمسه لمساً دون حاجة إلى استبصار ، أما الدليل العقلى فمع ترتبه على الدليل الحسىّ فهو بحاجة إلى درجة أرقى من درجات الحسىّ لتربط السبب بالمسبب ، ولتصل مَا بين المّقدمة والنتيجة ، يقول نوح ــ عليه السلام ــ فيما حكى الله عنه « أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

أما دليل البعث فقد أعقب دليل النشأة إذ قال نوح « وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا » .

نوح ١٧ ــ ١٨

ومشاهدة النبات بدءاً ونهاية مما تقع عليه الأنظار دون حائل ، فكما يخرج النبات من باطن الأرض ، ستخرج الأمواج من باطن القبور ، والقدرة التى تُهيمن على النبات هى نفسها القدرة التى

*سها أخى الدكتور بيومى عن قوله ــ تعالى ــ مخاطبا نوح : لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) هود ــ ٣٦ والنص صريح فى أنه لا فائدة منهم ، ولا فائدة فى أية دعوة توجه اليهم ، فحياتهم ــ إذا ــ استمرار فى جحود الخالق وأولى بهم أن يهلكوا فلا يأس لدى نوح ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ اطلاقا ، فكان أن دعا الله بهلكتهم . وكيف ييأس نبى ، ومعلوم ما هو اليأس إزاء الدعوة .... الخطيب .

تُهَيمن على الإنسان والخالق هو الخالق والأرض هى الأرض ، فلم يبق إلا أن يكون الإنسان كالنبات ، بدءا وعاقبة يُدفن ثم يُنشَر .

تلك أدلة واضحة البرهان ، مكث نبى الله ورسوله يّرددها على تناسل الأحقاب جيلًا بعد جيل حتى بلغ اليأس مبلغه فتضرع الى ربه قائلا « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) » .

نوح ٢٦ ــ ٢٧

قال ذلك بعد أن رأى تصميمهم الجازم على عبادة الأوثان على رغم ما قدم إليهم من واضح الدليل الحسىّ وساطع الدليل العقلى ، إذ قالوا فيما حكى الذكر الحكيم « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا » .

نوح ٢٣ ــ ٢٤

فنوح ــ عليه السلام ــ قبل إبراهيم قد سلك سبيل الاقناع معتمدا على ما ألهمه الله به من صُور التدليل وأوجه البرهان وقد استمع إليه القليل دون الكثير ، فآثرهم برعايته وحملهْم معه فى سفينته استجابة لقول الله « قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) » هود ــ ٤٠

« دعوة هود »

أتى هود ــ عليه السلام ــ بعد نوح تصديقا لقول الله ــ عز وجل ــ على لسانه: « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ » .

الأعراف ــ ٦٩

وقد بعث فى قوم من العماليق ، أصحاب الجثث الضخمة ، والقوى الباطشة ومن شأن الذين يرزقون القوى العارمة دُون عقلٍ يهدى أو عاطفة تُرفق ، أن يكونوا أولى غطرسة واستعلاء لا سيما إذا خطوا بالنعيم الوارف فى قصور عالية وجنان ناضرة ، وحياة هنيئة رخية ، لقد وَجَدَ هؤلاء أنفسهم ممتعين بكل ما يرغبون فعّز عليهم أن يقوم من بينهم من يدعوهم إلى استشعار قوة الله والخوف منه .

أُولو العـــزم

ابراهيم عليه السلام من أولى العزم ، وهم رسل الله الذين يقتحمون الصعاب بارادة قوية لا تعرف الضعف، لأن ايمانهم الواثق يمدهم بقوة جبارة تجعل أعتى العتاة فى أنظارهم لا يختلف عن أضعف

الضعفاء ، فالله وحده الملك الجبار المنتقم من الظالمين ، وهو حصن أنبيائه المرسلين لقد طغى النمرود فى أرض كنعان وتعاظمه أن يجد من رعيته من يدعو إلى الله بقلب واثق ، ومنطق سليم وقد جاءه ما بشر به إبراهيم من هداية السماء بمنطقة الفاصل ودليله المفحم ، فأراد أن يهدم منطقة أمام الأشهاد بمنطق آخر ظنّ أنه سيفلّ غربه ، فإذا انهزم فكريا كان من السهل أن يناله العقاب ، هكذا فكّر وقدّر وهكذا جمَع أجناده فى محفل حافل ليقول لإبراهيم : أأنت تقول : ربّى الذى يحيى ويميت ؟ فقال دون تردد : نعم أنا أقول ذلك : فصاح الطاغية أنا أيضا أحيى وأميت ، ألست أصْدر أمرى بقتل شخص فأميته وبالعفو عن شخص آخر فأحييه ؟! لقد وجَد ابراهيم نفسه أمام لجاحة لا تعرف الحق ، فشاء أن يفحم النمرود بما لا يملك له دفعا فقال له : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة — ٢٥٨

ففوجىء المتغطرس بما لا يتوقع !

هذا الايمان الراسخ دفعه الى دليل عملى يؤازره الدليل العقلى ، إذ تمادىَ قومه فى تكذيبه وأعلنوا أن أصنامهم آلهة تضر وتنفع ! ولم تُجْدهِم مقارعة الحجة ، وصيال البرهان فصمّم على أن يكيد هذه الأصنام بتحطيمها إذ لا تستطيع دفعا عن نفسها ، وهى جُرأة « خارقة لا تتاح لغير نبى يواجه الجمهور المحتشد معتزا بربه وحده ! يُواجه الجمهور ليريه عملًا ما عزّ عليه أن يدركه عقلا فعمد إلى الآلهة المزعومة فجعلها جُذاذةً إلا الصنم الكبير ! وذهب القوم الى آلهتهم كعادتهم فوجدوا الحادث المفجع ! « قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ » . الانبياء ٥٩ — ٦٣

صدمة عنيفة تقرع أسماعهم فى قول ابراهيم ، فعله كبيرهم هذا فأسألوهم !!! كيف يفعل الكبير وهو جمادٌ لا يتحرك !! كيف يسألون الأصنام ولا لسان لها يجيب ؟ هذا ما أراد أن يظهره رسول الله فظهر البيان ليكون الحجة القاطعة ! وكانت العاقبة أن (نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

الانبياء ٦٥

وهنا جهر ابراهيم بناصع البرهان حين قال (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ » الانبياء ٦٦ ، ٦٧

هذا نمط من الحجاج العملى يضاف إلى الحجاج العقلى ، لينطق بسداد قول الله « وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ » . الأنعام — ٨٣

أملاك الدولة في صدر الإسلام

المستشار / جمال الدين جودة اللبان (*)

أنواع الأراضى فى عهد عمر ـ رضى الله عنه :

اختلفت الأراضى فيما بينها فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ من حيث طرق الانتفاع بها ، وما يؤدى عنها لبيت المال ، فهناك الأراضى العشرية والأراضى الخراجية ، والأرض العامة ، وهى أرض الكلأ والمروج ثم الأرض الموات .

أولا : الأرض العشرية :

هى أرض مملوكة لأصحابها ملكية تامة ، وتدفع العشر مما تغله للإمام أو (للدولة) وتشمل جميع الأراضى الواقعة فى الجزيرة العربية ، إذ لا يقبل فيها الإسلام ، ولم تكن ملكية الأرض فى الجزيرة العربية تثير أى مشكلة فمساحة الأراضى الزراعية محدودة وملكيتها واضحة .

ثانيا : الأرض الخراجية :

وهى الأرض التى تدفع الخراج للإمام (بيت المال) وتشمل الأرض الخراجية :

الأراضى التى فتحت عنوة وقهرا (فى غير الجزيرة العربية) وتركها الإمام فى يد أصحابها وضرب عليها الخراج بحسب تقديره .

كما تشمل أيضا الأراضى التى لم تفتح عنوة وقهرا ، بل سلّم أصحابها صلحا يضرب عليها الخراج بحسب عهد الصلح ، فقد يرد فى هذا العهد أن تترك الملكية لأصحابها ؛ فتكون لهم عليها ملكية تامة ، ولا يلتزمون إلا بدفع الخراج للإمام وقد يرد فى عهد الصلخ أن الأرض تكون وقفا ، ولا يكون لأصحابها عليها إلا حق الانتفاع بها فى نظير دفع الخراج [٢٠] .

وقد رأينا أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قرر ترك الأراضى فى البلاد المفتوحة فى أيدى أهلها وفرض عليهم الخراج، والخراج: قدر معلوم من النقود يدفع عن كل وحدة قياسية من الأرض كالجريب (وهو قطعة من الأرض مساحتها مائة وخمسون ذراعا مربعا) وقد يقدر الخراج بقدر معلوم من النقود وكمية من محصول الأرض .

(*) الكاتب : رئيس هيئة قضايا الدولة .

(٢٠) الأستاذ السنهورى ـ الوسيط الجزء الثامن ص ٤٨٤ .

ثالثا : الأرض المحمية أو العامة :

وهى الأرض التى خصصها عمر ـ رضى الله عنه ـ لعامة المسلمين ؛ فقد أثر على أنه خصص « أرض الحمى » لرعى الماشية وأنه استعمل عليها مولى له بسمى (هنيا) ، وأوصاه بالرحمة بالناس ، وأن يؤثر الفقراء على الأغنياء ، فقد أمره أن لا يسمح لماشية عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف بالرعى من هذه الأرض لغناهما .

ويجب عدم الخلط بين هذا النوع من الأرض الذى تحميه الدولة وبين أرض المراعى والكلأ ؛ فإن الدولة تتيح الانتفاع بالأولى للجميع ، مع المحافظة على شجرة وكلئه ليبقى صالحا للانتفاع بصفة دائمة ، وهذا يشبه فى الوقت الحاضر الأموال العامة للدولة كالحدائق والميادين وغيرها ، أما أرض المراعى والكلأ فإنها من المباحات للناس جميعا يستعملونها كيف شاءوا ـ كما هو الشاهد اليوم فى المراعى الموجودة بليبيا[٢١] .

رابعا : أرض الإقطاع :

وهى الأرض التى يُقْطِعُها الخليفة لأحد المسلمين يمنحها له ليقوم بأصلاحها والانتفاع بها ، ويروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أعطى عليا ـ رضى الله عنه ـ بئر قبس والشجرة ، كما روى أيضاً أن عمرا ـ رضى الله عنه ـ أقطع عليا (ينبع) ـ راجع السنن الكبرى للبيهقى جـ٦ ص١٤٤ ، راجع المغنى لابن قدامة : كتاب إحياء الموات .

وقد اشترط عمر ـ رضى الله عنه ـ للاقطاع شروطا تقتضيها المصلحة العامة هى :

١ ـ أن يقوم من تقطع له الأرض بتعميرها خلال ثلاث سنوات وإلا أخذت منه .

٢ ـ ألا ينشأ عنه ضرر لأحد المسلمين .

٣ ـ ألا تكون الأرض مما فرض عليه الخراج ، لأنها تكون فى هذه الحالة فى يد شخص من أهل البلاد المفتوحة وهو ملزم بدفع خراجها : زرعها أم لم يزرعها

خامسا : الأرض الموقوفة :

فقد وقف عمر ـ رضى الله عنه ـ أرض له بخيبر فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى ذلك فالوقف مقرر من عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد استمر فى عهد الخلفاء الراشدين من بعده وهكذا .

سادسا : الأرض الموات :

وهى الأرض القابلة للإصلاح والزراعة وفيها يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من أحيا أرض مواتا ليست فى يد مسلم ولا معاهد فهى له[٢٢]،[٢٣] .

وإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وضع قاعدة تملك الأرض الموات بإحيائها ، فإن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد وضع شرطا هاما تقتضيه المصلحة فأوجب أن تحجر الأرض ، ويتم إحياؤها خلال ثلاث سنوات[٢٣] وقد تشدد عمر

---

(٢١) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبدالجواد محمد ص ٦٦ .

(٢٢) ، (٢٣) البخارى جـ ٣ ص ١٣٩ ، من كتاب نظرية العقد فى الشريعة الإسلامية للشيخ أبو زهرة ، وأخرج البخارى فى صحيحه برواية أخرى : « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها » قال عروة : قضى به عمر فى خلافته .

ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الشرط كثيرا ـ كعادته فى التمسك بالحق ولو كان ذلك ضد صحابى جليل من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أقطع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ أرضا ذات مساحة كبيرة ولم يقدر الصحابى على إحيائها أو زرعها كلها فلما ولى عمر ـ رضى الله عنه ـ الخلافة أرغمه على ترك مالم يستطع زراعته ، ووزعه على المسلمين(٢٤) .

ويتضح من عرضنا السابق لأحكام الملكية فى صدر الإسلام (عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعهد عمر ـ رضى الله عنه ـ أن الملكية ـ بالنظر إلى صاحب الملك ـ تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

(ا) الملكية الخاصة :

وهى ما ملكت لفرد أو لمجموعة من الأفراد على سبيل الاشتراك ، وتخول صاحبها الاستئثار بمنافعها والتصرف فى محلها ، وفى حال الكثرة يكون انتفاع كل فرد انتفاعا محددا ـ بما له فيها من حظ معلوم ، إذا تجاوزه عد معتديا على حق غيره من الشركاء .

(ب) ملكية بيت المال أو ملكية الدولة :

هى الملكية التى يكون صاحبها بيت المال أو الدولة بصفتها شخصا معنويا أو اعتباريا كالأموال الخاصة فى يد أصحابها ، ويجوز لولى الأمر التصرف فيها من أجل تحقيق المصلحة العامة ، وبيت المال هو الجهة التى تختص **بكل مال يستحقه المسلمون ، ولم يتعين مالكه** ، وقد قسم فقهاء الحنفية موارد بيت المال إلى خمسة أنواع هى :

١ ـ زكاة الأموال الظاهرة والعشر المستحق على الأراضى العشرية .

٢ ـ خمس الغنائم والمعادن والركاز .

٣ ـ الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة وتركاتهم التى لا وارث لها ، وخراج الأراضى والهدية التى تصل إلى الإمام من أهل الحرب ، وما يؤخذ منهم من المال على ترك القتال قبل نزول العسكر بساحتهم .

٤ ـ اللقطات ، وتركات المسلمين التى لا وارث لها ، أولها وارث لا يرد عليه كأحد الزوجين ، وديات القتلى الذين لا أولياء لهم(٢٥) .

٥ ـ الفىء وهو : كل ما وصل من المشركين من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب .

وإذا كانت موارد بيت المال متعددة على النحو السابق بيانه : فإن مصارفه متغيرة ومتنوعة أيضا .

فمصرف الزكاة للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل تطبيقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٦٠

ومصرف الغنائم والمعادن بينه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه الكريم بقوله :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

(٢٤) الصحابى هو : بلال بن الحارث ، راجع : الأموال لأبى عبيد بن سلام ص ٤٠٨ .

(٢٥) الملكية فى الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالسلام العبادى ص ٢٥٨ وما بعدها .

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ .

سورة الأنفال ـ آية : ٤١

كما حدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ مصرف الفيء بقوله :

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ .

سورة الحشر ـ آية : ٧

ومصرف اللقطات وتركات المسلمين التى لا وارث لها ، وديات القتلى الذين لا أولياء لهم للفقراء ؛ يعطون منها نفقتهم وأدويتهم وتكفين موتاهم ، وتعقل منها جناياتهم(٢٦) .

ومصرق الجزية وخراج الأراضى وما يؤخذ من أهل الحرب من أموال على ترك القتال قبل نزول العسكر بساحتها ، وما يأخذه العاشر من أهل الذمة والحربيين ، هو المصالح العامة كبناء القناطر والمساجد وكفاية القضاة والعلماء وذراريهم والصرف على طلب العلم والعمال والمقاتلة وذراريهم(٢٧) ، وقد بين الماوردى(٢٨) أن العطاء يجب أن يكون لأهل الفىء على قدر كفايتهم حتى لا ينشأ غُلول باكتساب المال عن جهاد العدو .

(جـ) الملكية العامة :

هى ما كانت لمجموع أفراد الأمة ، أو لجماعة من الجماعات التى تتكون منها الأمة بوصف أنها جماعة دون أن يختص أو يستأثر بها أحد .

فمن الأشياء ما هو ـ حسب وضعه ـ مصدر لانتفاع كل من دعته حاجته إلى الانتفاع به دون الاستئثار به . إما لكثرته ووفرته أو لتعاظمه ، كالأنهار والطرق العامة أو لكثرة من يقصده ، كالأراضى المتروكة حول القرى لتستعمل من قبل أهلها للرعى والحصاد وغيرها ، فهذه الأشياء تتمثل فيها الملكية العامة .

والانتفاع بالملكية العامة يكون لجميع أفراد الأمة أو لجماعة من الجماعات التى تتكون منها ، ويكون انتفاع الفرد على أنه فرد من تلك الجماعات دون أن يكون له اختصاص ولا يتجاوزه إلا إذا تعارض انتفاعه مع انتفاع غيره من الأفراد فعند ذلك يرد إلى مشاركة غيره فى الانتفاع ، على أساس من المساواة والعدل حتى لا يكون انتفاع أحدهما مانعا من انتفاع الآخر .

وقد أقرت الشريعة الإسلامية الملكية العامة وذلك ماثل فى المساجد ، وفى الأعيان الموقوفة على جهات الخير العام ، وفيما فعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قسمته غنائم خيبر نصفين(٢٩) : جعل أحدهما للنوائب والوفود تفد على المسلمين وفيما حماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأرض لخيل المسلمين التى يحملون عليها حين الغزو ، فقد حمى النقيع لهذا الغرض(*) ، فكان للمسلمين عامة .

وفيما فعله عمر ـ رضى الله عنه ـ فى أرض السواد فى العراق ، وأرض مصر إذ جعلها وقفا

(٢٦) نصب الراية لأحاديث الرواية للزيلعى جـ٣ ص٣٩٧ وما بعدها .

(٢٧) المرجع السابق .

(٢٨) كتاب الحادى للماوردى الجزء التاسع ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢٩) نصب الراية ـ مرجع سبق ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير جـ ٤ ص٨٣ .

(*) النقيع : موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء ، أى : يجتمع ، ولذلك سُمى النقيع ، وهو موضع حماه عمر لنعم الفىء وخيل المجاهدين ، فلا يرعاه غيرهما .

على المسلمين ما تناسلوا ، ولم يخمسة ، ولم يقسمه بين الفاتحين .

والملكية العامة ، وإن كانت تتميز عن الملكية الخاصة ـ إلا أنها تماثلها من ناحية أنها ملكية لمجموع أفراد من حق كل فرد منهم أن يراقب وأن يحاسب وأن يرعى ، وذلك يدل عليه قول عمر ـ رضى الله عنه ـ : وما من أحد إلا وله فى هذا المال حق أعطيه أو أمنعه ، ومن أراد أن يسأل عنه فليأتنى ؛ فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ جعلنى له خازنا وقاسما[٣٠] .

وهذا ما يبرر معنى الملكية العامة فى الإسلام من أنها للأفراد المشاركين لا لهيئة بوصف أنها هيئة لها شخصية اعتبارية ، ولها ملك هذا المال .

وكل مال صالح لأن يكون ملكا خاصا لفرد أو ملكا للأمة إلا أنها حَالت طبيعته ووضعه أو المصلحة العامة من أن يكون محلا للملكية الخاصة كما فى الأنهار والطرق والجسور ، فإذا ما زال تعلق حاجة الجماعة بشىء معين كالطريق العام فإنه يجوز للحاكم المسلم أن يتصرف فيه كما يتصرف فى أموال بيت المال ، وذلك وفق مصلحة الجماعة ، فإذا حول الطريق العام واستغنى عن موقعه الأصلى ، فإن للحاكم أن يبيعه لحساب بيت المال ، ويصبح ملكا خاصا للدولة ، ومثل ذلك سائر ما يستغنى عنه من الأموال العامة .

وما كان ملكا عاما ، فإنه يجوز لكل واحد من أفراد الأمة أن ينتفع به بما يتفق مع طبيعته ، شريطة عدم الإضرار بالآخرين فى الانتفاع[٣١] ولا يجوز إقطاعه جملة ليمنع غيره من الانتفاع .

أمثلة للملكية العامة :

عرفت الشريعة الإسلامية صورا متعددة للملكية العامة منها :

(ا) المرافق العامة وهى التى تمنع طبيعتها من أن تكون محلا للملكية الفردية كالأنهار والشوارع والرحاب بين العمران .

(ب) الحِمَى .. وهو تخصيص جزء أو موضع من الأرض التى لا يملكها أحد للحاجة العامة لذلك ، كأن تكون مرعى لخيل الجهاد وماشية الصدقة .

وقد حمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النقيع ـ فى المدينة ، كما حمى عمر ـ رضى الله عنه ـ الربذة والشرف .

ويلاحظ أن الحمى لا يكون إلا لله ـ سبحانه ـ ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمعنى أن حق الحماية من الأرض الموات لا يكون إلا للحاكم فقط ، فلا يجوز لأى فرد احتجاز شىء من المنافع العامة لنفسه ليختص به اختصاصا دائما .

(جـ) الأراضى الموقوفة لمصلحة المسلمين ، فقد رصد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرض بنى النضير وفدك ونصف خيبر ، لمصلحة جماعة المسلمين[٣٢] وكذلك فعل عمر ـ رضى الله عنه ـ بأرض السواد فى العراق[٣٣]

---

(٣٠) الأموال لأبى عبيد بن سلام ص ٤١٣ .

(٣١) الملكية للشيخ على الخفيف ص ٦٣ .

(٣٢) نصب الراية ـ مرجع سبق .

(٣٣) المرجع السابق .

الوصيّة بالوالدين

وأحكام متعلقة بها

لفضيلة الشيخ/ أحمد بن محمد طاحون

أوصى الله ـ عز وجل ـ الإنسانَ ببرِّ والديه ، وأمَره بالإحسان إليهما ، ولين الجانب معهما ، والرفقِ بهما ، وأوجَبَ عليه طاعتَهما فيما ليس فيه معصيةٌ لله ـ عز وجل ـ فإن الوالدين هما سببُ وجود الإنسان ، ولهما عليه غايةُ الإحسان ، فالوالدُ بالإنفاق ، والوالدةُ بالإشفاق ، يقول تعالى فى سورة لقمان موصياً بهما بعد الحث على توحيده وعلى نبذ الشركِ فى وصية لقمانَ لابنه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ إنها وصيةُ الخالقِ الوهابِ بمن لهما الفضلُ الأولُ عليك من البشر ، وقد جعل في قلبيهما الرحمةَ فأعطياك من الحنان والرقةِ والخدمةِ والرعاية مالا تستطيعُ مكافأتَه ، ولاتقدر على الوفاء به مهما بذلتَ من جهد فى خدمتهما وإرضائهما ، فقد قاما على خدمتك ، وتعِبا من أجلك وأنت فى أشدِّ الحاجةِ إليهما ، وهما راضيان مسروران ، يريدان لك الحياةَ ، والصحةَ ، وطيب العيش ، لذا فإن أهمَّ الواجباتِ ـ بعد التوحيد وطاعةِ الربِّ : برُّ الوالدين ، وإسداءُ الخير لهما ، وإدخالُ السرور على قلبيهما .

وبعد أن سوَّت الآية بينهما فى الوصايا خصت الأمَّ بمزيد من العناية ، ولفتت إلى مزيد فضلِها على ولدها : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقد حملته تسعةَ أشهر ، وكلما تقدمت فى الحَمْلِ ازدادت مشقةً وثِقلاً إلى أن نضعَ حملَها ، ففى فترة الحمل تلقى شدةً ، وضعفاً على ضعف ، وهى فرحة راضيةٌ تتلهف على اليوم الذى ترى فيه وجهَه ، وتسعدُ بصوته ، ثم إن الأمَّ هى التى أرضعته سنتين ، وتعبت نهارَها ، وسهرت ليلَها شفقةً عليه ، ورعاية له : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ أى : التفريق بين الصبيِّ والرضاع يقع فى تمام عامين من وقت الولادة ، ثم إن الأمَّ بعد هذا كلهِّ تشاركُ أباه فى تربيته ، والقيامِ على ما يُصلحه .

إن هذا التنبيهَ على حق الأمِّ فى أعناق أولادِها يوقظ الضمائرَ ، ويبعثُ ذوى الدين والمروءاتِ على التشمير فى رد الجميل ، ومقابلةِ الإحسان بالإحسان ، والإخلاصِ فى الخدمة ، وإن هذا التذكيرَ بحق الأمِّ مفرداً ؛ جاء فى جواب الرسول

ﷺ لمن قال له : «يارسول الله ، من أحقُّ بحُسن صحابتى ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم مَن ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم من ؟ قال : أمُّك قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك» (رواه أبو هريرة وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب) .

والصحابةُ والصحبةُ مصدران لمعنًى واحد هو المصاحبةُ ، ومقتضى هذا الحديث أن يكونَ للأم ثلاثةُ أمثالِ ما للأب من البِر ، لضعفها وعجزها عن الرجل ، وحاجتِها إلى من يكفيها متاعبَ الحياة ، مع ما لها من زيادةِ فضلٍ على ولدها ، فهى وحدها تتحملُ مشقةَ الحمْل يليه آلامُ الوضع ومتاعبُه ، ثم الرضاع ويتبعُه الفطام ، ثم إن يدها بيد الأب فى رعايته وتربيته .

وقد بينت امرأة مسلْمة أمام رسول الله ﷺ أسبابَ حقِّ الأمِّ فى حضانة صبيِّها على نحوٍ رائع فقالت - كما يروى عمرو بنُ شعيب عن أبيه عن جده : «يارسول الله ، إن ابنى هذا كان بَطْنى له وِعاء ، وثدْيى له سِقاء ، وحِجْرى له حواء - أى مأوى - وإن أباه طلقنى ، وأراد أن ينزعَه منى ، فقال لها ﷺ : أنت أحقُّ به ما لم تَنكحى» (أخرجه الحاكم وأبو داود) .

فقد توسلت هذه المرأةُ فى دفاعها عن حقها فى حضانة صبيها ، واختصاصِها به بالأمور الثلاثةِ التى تنفردُ بها الأم .

وفى تأكيد هذا يروى المقدامُ بنُ معد يكربِ أن الرسول ﷺ قال : «إن الله يُوصيكم بأمهاتِكم ، ثم يُوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» (أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد وابن ماجة والحاكم وصححه) .

إن أصحابَ العقول الراجحةِ والنفوسِ المطمئنةِ هم الذين يعرفون للوالدين حقَّهما ، ويسعَون فى طلب مرضاتِهما ، ويتوددون إليهما بما يجعل السرورَ فى قلبيهما ، لا يبخلون بالمال ، ولا يَضِنون بالجهد ، ولا يقصِّرون فى الزيارة والسؤال عن الصحة والحال ، والدعاءِ لهما حيَّين أو ميتين ، إن ذلك من أحبِّ الأعمال إلى الله ، وأعظمها فى ميزان الحسنات ، وكان الصحابةُ - رضى الله عنهم - يسألون رسول الله ﷺ عن الأعمال التى تقربُهم من الله وتكونُ أكثرَ ثواباً وأعظمَ أجراً ، ليحرصوا عليها قبل فوات الأوان ، ومنهم عبدُ الله بن مسعود الذى قال : «سألت رسول الله ﷺ : أى العملِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال الصلاةُ على وقتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : «برُّ الوالدين» قلت : ثم أى ؟ قال : «الجهادُ فى سبيل الله» (متفق عليه) .

فانظر وتدبر هذه الوصايا الجامعةَ واحرِص على الانتفاع بها لتزدادَ من الخير الذى تجده فى يوم لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم : صلاة الفريضةِ فى أول وقتها ، بر الوالدين والإحسانَ إليهما ، والجهادَ لإعلاء كلمة الله - عز وجل - ، ثم تدبر المعنى العظيمَ والهدفَ الساميَ النبيلَ فى قول رسول الله ﷺ : «لايَجزِى ولد والداً إلا أن يجدَه مملوكاً فيشتريه فيُعتقه» (رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم) .

وإن تفسير الوصية فى قوله - سبحانه ﴿وَوصَّينا الإنسانَ﴾ فى ختام الآية الكريمة هو : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ وتأمل كيف قُرِن شكرُ الوالدين بالأمر بشكر المولى - سبحانه ، وأكد سبحانه - على العباد وجوبَ

الامتثال ، لأن الرجوع إليه وحده ، فيجازى المحسنَ ويعاقبُ المسىء .

ثم إن طاعةَ الوالدين مقيدةٌ بأن تكونَ فى غير معضية الله ـ عز وجل ـ ومهما حرِصا وبَذلا من الجهد لدفع الولدِ إلى الشرك أو الوقوع فى المعصية فإنه يأبى عليهما ذلك ، ويَعصيهما فيه ، ويثبتُ على طريق إخوانه من أهل الحق الذين أنابوا ورجعوا إلى ربهم ، مع بقائه على الإحسان إليهما ، والرفقِ بهما ، وحسن الخُلق معهما ، ولنتدبر :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ نهاه عن طاعتهما فيما فيه معصيةٌ ، وإنّ أقبحَ المعاصى الشركُ بالله ، وأمَرَه بالاستمرار على برهما ومصاحبتِهما بالمعروف بجميل القول ، ولينِ القلب ، والإخلاصِ فى الخدمة ، والقيام بما يجب نحوهما ، كما أمره بالثبات على طريق المُوحّدِين الصالحين ، وذكّره بَأن المرجعَ والمصيرَ إلى الله الذى يُحصى على كل إنسان عملَه ، وفى القيامة يتفاوت الحالُ : فريقٌ فى الجنة وفريقالسعير ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى إلى الله رجوعُك ورجوعُهما فيجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ، وفى هذا تحذيرٌ من المعصية وتحريضٌ على الطاعة والانقياد لأمر الله .

وإذا كانت الوصيةُ بالوالدين تدلُّ على أن برَّهما من أشرف الأعمال ، وأعظمِ القربات فإن عقوقهما ، والإساءة إليهما ، وإهمالَ شأنهما أو أحدِهما من أعظم الذنوب ، ومن الإفساد فى الأرض ، وفى الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قلنا : بلى ، يارسول الله ، قال : الإشراكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقولُ الزور وشهادةُ الزور » فمازال يكررُها حتى قلنا : ليته سكت

وفى رواية عمر بن العاصى ـ رضى الله عنه ـ عند البخارى : « الكبائرُ : الإشراك بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وقتلُ النفسَ ، واليمينُ الغموس » أى اليمين التى يتعمد صاحبها فيها الكذبَ ؛ فإنها تغمسه فى الإثم .

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ أوصى بالوالدين ولو كانا ـ أو أحُدهما ـ على غير ملة الإسلام فمن باب أولى أن نرعى حقوق الأب المسلم ، والأمِّ المسلمة ، إذلهما حقُّ الأبوة وحقُّ الإسلام ، فطوبى لمن تدبر هذا ورعاه ، وعمل به .

هذا ومما استنبطه العلماءُ من الآية الكريمة : أنها تدلُّ على النهى عن صحبة الفجار وأهل الشر والسوء ، وعلى الترغيب فى صحبة الصالحين ، فإن المقارنةَ والمخالطةَ مؤثرة ، والطَبع جذاب ، والأمراض سارية ، حتى لاتسرى أخلاقُهم الخبيثةُ وسيرُهم القبيحةُ بحكم المقارنةِ والعشرةِ ، وكذلك إذا خشى المرءُ على نفسه من الفتنة فى دينه فإنه يفرَّ من أسبابها فرارَه من الأسد أو أشد ولو كان الوالدان هما السببَ الذى يُخشى منه ذلك ، إذ الدينُ الحق ومرضاةُ الرب هما : أعظمُ مايَحرص عليه أهلُ العقل والحكمة ـ والله أعلم ـ

ومن النصائح النفيسة ماقاله إبراهيم الخواص : دواءُ القلب خمسةٌ : قراءةُ القرآن بالتدبر ، وإخلاءُ البطن ، وقيامُ الليل ، والتضرعُ إلى الله ـ تعالى ـ عند السحر ، ومجالسةُ الصالحين .

نظرة فى مؤتمر بكين

للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة

تباينت النظرات التشريعية الوضعية ونظرات المجتمعات للمرأة بشكل ملاحظ ، ولم نر تشريعاً أنصف المرأة كما أنصفها الإسلام ، ولا مجتمعاً احترمها كاحترام المسلمين نسائهم ؛ رعاية لحرمة قررها الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ لهن .

أعلى الإسلام من شأن المرأة حين يقول الرسول ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»(١) .

وقال ﷺ : « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، وأوسع عليها من نعم الله الذى أسبغ عليه ، كانت له متعة وستراً من النار »(٢) .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟

قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك(٣) . وقوله ﷺ : « ... استوصوا بالنساء خيراً »(٤).

وحسبنا قول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(٥).

بينما هضمت حقوق المرأة لدى مختلف الأمم ، كما وطأتها عجلة الحضارة القائمة ، فنراها تقوم بأشق الأعمال ومهما تقدم سنها لاتنعم بالرعاية والاحترام التام الذى تناله لو قُدِّر لها أن تحيا بين أفراد أسرتها الممتدة ، يحوطها الأبناء والحفدة ، كما نرى فى كثير من قرانا المصرية التى لم يلوثها طابع الحضارات الزائفة التى تلقى بنسائها فى أشق مجالات العمل تحت مسمى المساواة ، فياله من مجتمع ، ذلك الذى يُقبِّل فيه الرجال أيدى النساء ، ثم إذا رسم الزمن خطوطه على تلك الأيدى يتركونها لرفع الأنقاض .

[كانت النساء فى المقام الأول هن اللواتى تولين إزالة ٤٠٠ مليون متر مكعب من الأنقاض من المدن المهدمة فى ألمانيا سنة ١٩٤٦]* .

كذلك نرى تلك الحقـــوق قد أضاعتها

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه ـ نيل الأوطار للشوكانى ص٦ ص٢٠٦ ط دار الحديث .

(٢) الطبرانى والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ابن مسعود .

(٣) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٠ ص٥٧ ، ٥٨ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

(٥) الإسراء/ ٢٣ .

* انظر مجلة Deutschland العدد (٢ / ٤) ٩٥ A1 نساء الأنقاض ص ١٢ .

تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان ، تذهب إلى أن المرأة خلقت من القصاصات والجزازات التى تناثرت من عملية خلق الرجل(٦) . كما نجد أن تلك الحقوق قد توارت فى قول « بان هو ـ بان » الصينية : نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال(٧) .

ولم تكن المرأة فى الغرب الأوروبى أحسن حالاً ، «فلم يكن لها أى حق فى أى شىء ، فالقانون خاص بالرجال» هكذا على حد تعبير المؤرخ « فردريك هير F. Heer » (٨).

وإذا كنا نرى أن الأسلوب الأمثل الذى يجب أن تلتزم به كل النساء فى العالم إنما هو ذلك الأسلوب الذى حدده لهن الله ـ سبحانه ـ وتعالى ـ بديع السموات والأرض الذى خلقهن وخلق كل شىء ، وليس ذلك النمط الأمريكى الذى يُراد فرضه على الأمم فرضاً ، إننا نؤمن بالأسلوب الأمثل المتمثل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو ألا يفرض قهراً ، مصداقاً لقوله ـ تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٩) **وقوله ـ تعالى :** ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(١٠) .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الذى أرساه الإسلام منذ مايزيد عن ١٤٠٠ عام جاءت كلمة مصر التى ألقتها السيدة سوزان مبارك حرم رئيس الجمهورية نقتطف منها ما يؤكد التزام مصر بذلك حيث قالت :

« إن القراءة الصحيحة لمبادىء حقوق الإنسان تقول : إن كان من حقك أن تعتقد ما أرفض فإن من حقى أيضا أن اعتقد ماترفض أو أرفض ما تعتقد .. وبغير هذا المفهوم فإن العلاقة تصبح قائمة على القهر والإذعان » .

السلام سبيل التنمية

« ومصر اختارت طريق السلام إيماناً بإنه الطريق الأمثل لأمن ورخاء الشعوب وعن قناعة بأنه بدون السلام لن توجد تنمية ولا توجد مساواة ، وتجنباً لويلات الحروب التى يعانيها المجتمع البشرى كله وتعرض المرأة بالذات للموت والإعاقة والاغتصاب وتتركها يتيمة أو أرملة أو ثكلى ويضاعف ما تعانيه من فقر وحرمان .

ومن أجل تأكيد السلام كان اهتمامنا بنشر ثقافة السلام CULTURE OF PEACE كنهج حضارى فى التفكير والسلوك إن أسلحة الدمار لا تنطلق من تلقاء ذاتها ، ولكن الإنسان هو الذى يتخذ قرار استخدامها وسلوك الإنسان نتاج ثقافته وإنا نأمل أن نتعاون ومعا ؛ كى يصبح مبدأ نشر ثقافة السلام مسلكاً دوليا وهدفا عالمياً .

الديمقراطية تحت مظلة الدين

ومع الديمقراطية تزدهر الحرية ونحن نرى أن التحرر لا يعنى التمرد على الأديان والقيم السامية بل يعنى التحرر من تيارات الانحراف ، ومن كل مايدعو إلى الخروج على تعاليم الأديان والقيم السوية

(٦) عبير عبدالواحد : الإسلام والمرأة والتاريخ ـ مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ ص ٥٢٢ .

(٧) أنظر للكاتبة نفسها ـ فى هذا العدد ـ الإسلام والمرأة والتاريخ المرأة ومكانتها فى الصين .

(٨) . د. اسمت غنيم : المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى : مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٤هـ ص ٥٢٧ .

(٩) الإنسان / ٧٦ .

(١٠) يونس / ٩٩

ونحن نحترم سيادة القانون ونتمسك بالدستور الذى ينص على أن الإسلام دين الدولة وهو ذات الدستور الذى كفل للمرأة حقوقها ومكانتها .

أهمية التعددية الثقافية

وهنا أود أن أؤكد أن شعب مصر – التى هى مهد التوحيد ولد فيها موسى عليه السلام واحتمى بها المسيح عليه السلام ، وصاهر اهلها محمد عليه الصلاة والسلام – شعب يعتز بانتمائه العربى والافريقى والإسلامى يرفض التطرف ويرفض الإلحاد .

والمسلمون والمسيحيون فى مصر يرفضون كل مالا يتفق مع شرائعهم ومعتقداتهم ولايرون فى إهدار هذه القيم الا اهدارا للمعانى الإنسانية ولآدمية البشر رجالا كانوا أو نساء .

نحن نعيش عصراً تسوده محاولات عاتية لسحق الهوية ومحو التراث وطمس التعددية الثقافية .

إن التنوع الثقافى ضرورة فكرية واجتماعية تثرى الكون ولاتقل أهمية عن التنوع البيولوجى الذى يثرى الطبيعة .

والمرأة أقدر من غيرها على صيانة الثقافة والسلوك الثقافى وتوريثه فكراً وسلوكاً لأجيال متعاقبة والمرأة المتعلمة ضمان أساس لهذا الهدف .

وعود المجتمع الدولى

نحن – أيضا – نعيش مجتمعاً دولياً كثيراً مالا يفعل مايقول ولايقول مايفعل .

نتكلم عن إعطاء المرأة حق تقرير المصير بينما نذكر هذا الحق على شعوب بأسرها رجالها ونسائها شيوخها وأطفالها .

نحن ندعو للسلام ثم نكدس من الأسلحة مايكفى لدماهار العالم عشرين مرة وننفق عليها مايكفى ربعه فقط لحل مشاكل التعليم ومياه الشرب والصحة وغيرها .

ننادى بوقف العنف ضد المرأة ولانتصدى بحزم لما تتعرض له المرأة من ترويع وقتل واغتصاب وانتهاك لآدميتها من أجل صراع عرقى مقيت .

ترصد المعونات للدول النامية ويخصص جزء منها لبرامج المرأة وهذا أمر جيد ولكن يشترط لصرف هذه القروض والمعونات والمنح قيام الدولة النامية بالاصلاحات الاقتصادية والتكيف الهيكلى الذى يصاحبه سلبيات هى وإن كانت مؤقتة إلا أنها شديدة الوطأة على المرأة والأسرة .

المسئولية الدولية

إن المسئولية هنا دولية عالمية ؛ لأن الكون واحد والمصير واحد ، نحن اشبه بمن هم معا فى سفينة واحدة رغم أن البعض يستقبل الدرجة الأولى والبعض يقطع الرحلة على سطح الباخرة أو يعانى فى قاعها بين الآلات والأمتعة إلا أن الأمواج عاتية لاترحم ولاتفرق وإن غرقت سفينة الكون فانها سوف تغوص الى القاع بكل من عليها بغض النظر عن امكاناته أو ثرائه .

إن تلك الكلمة التى تتسم بالوعى الإسلامى تتطلب من الجميع كتاباً وباحثين ، أهل التشريع فى هذا البلد – الطيب أهله – أن يعطوا القدوة ويقدموا النموذج الذى يفتقده الغرب الذى يلهث – عبثاً – وراء حرية زائفة .

لابد أن يقدموا المثل لا أن يركضوا سعياً للحاق بالغرب على نفس دربهم حتى لو أدى إلى

هلاكهم ، نذكر ذلك وبخاصة وقد جاءت معظم الأوراق المقدمة إلى مؤتمر بكين[11] بعيدة عن النهج الإسلامى القويم متأثرة بذلك السراب الذى يسعى إليه الغرب .

ولكن بفضل الله ـ تعالى ـ جاءت كلمات مشرفة ألقيت بالمؤتمر ، نقتطف منها الكلمة التالية :

بيان مصر فى الجلسة الختامية

تعكس مشاركة مصر فى المؤتمر الدولى الرابع للمرأة اقتناعها بقضايا المرأة والنهوض بها والإعلاء من شأنها كما تأتى امتداداً لمشاركة مصر فى مؤتمرات المرأة الثلاثة السابقة فضلاً عن استضافتها لأحد أهم المؤتمرات الدولية وهو المؤتمر الدولى للسكان والتنمية .

ويود وفد مصر أن يسجل أن فهمه للنصوص الواردة فى برنامج عمل المؤتمر الدولى الرابع للمرأة حول العلاقات الجنسية والإنجابية ينصرف إلى أن هذه العلاقات تتم فى إطار رابطة الزوجية والأسرة باعتبارها الخلية الاساسية للمجتمع .

كما أن تعامل مصر مع التوصيات التى يتضمنها برنامج العمل سوف يتم مع الاحترام الكامل لحقوق السيادة الوطنية ومختلف القيم الدينية والأخلاقية والتزاما بنصوص الدستور ومبادىء القانون واستهداء بشرائعنا السماوية السمحاء .

كما يود وقد مصر أن يسجل أن قراءاته وفهمه لنص الفقرات الخاصة بحقوق الميراث فى برنامج العمل وبصفة خاصة الفقرة ٢٧٤/د إنما يتم فى اطار الاحترام الكامل لقواعد الميراث فى الشريعة الإسلامية والالتزام بأحكام القانون والدستور .

شكر وتقدير فضيلة الأمام الأكبر

وقد امتدح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجهد المشكور الذى بذله وفد مصر فى مؤتمر المرأة ببكين برئاسة السيدة قرينة رئيس الجمهورية .

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن وفد مصر كانت له وقفة مجيدة واجتمع حوله ممثلو الشعوب الإسلامية مدافعين عن قيم وأخلاق الإسلام لايغريهم بالخروج عنها أى وعد أو وعيد فلهم كل الشكر والتقدير .

(١١) راجع بيان اللجنة الفرعية لمجلس مجمع البحوث الإسلامية المنشور بمجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ ص ٤٦٩ : ٤٧٢

الإسلام والمرأة والتاريخ

المرأة ومكانتها فى الصين

نظرة تاريخية

بقلم/ عبير عبد الواحد

ونتكلم عن المرأة فى الصين كمثال لحال المرأة فى بلاد الشرق الأقصى

المرأة الصينية : إبنة :

كان من أشد أسباب المذلة الدائمة للأمهات ألا يكون لهن أبناء ذكور ؛ لأن هؤلاء أقدر من البنات على العمل فى الحقول ، وأثبت منهن فى ميدان القتال ، وكان من الشرائع المتبعة فى البلاد ألا يسمح لغير الذكور بتقريب القربان إلى الأباء والأسلاف ... وكانت البنات تعد عبئا على الآباء ، لأنهم يربونهن ولا ينالهم من ذلك إلا أن يبعثوا بهن متى كبرن إلى بيوت أزواجهن ليعملن فيها ويلدن أبناء يكدون لأسر غير أسرهم ... وإذا ولد للأسرة بنات أكثر من حاجتها وصادفت الأسرة الصعاب فى إعالتهن تركتهن فى الحقول ليقضى عليهن صقيع الليل ، أو الحيوانات الضارية دون أن تشعر ـ أى الأسرة ـ بشىء من وخز الضمير .

وكان الآباء يحرصون على العفة أشد الحرص فى بناتهم . غير أنهم لم يبذلوا أى مجهود يهدف إلى أن يحتفظ الرجل غير المتزوج بعفته ، بل كان يعد من الأمور العادية المشروعة أن يتردد على المواخير .

وكان إعداد النساء لإشباع هذه الشهوات من النظم المقررة فى الصين منذ زمن بعيد ... ومن ذلك أن (الوزير الشهير جوان جونغ) وزير (ولاية تشى) أعد مقراً للقوادات تؤخذ فيه من

(١) مرجعنا فى هذا الفصل : ول ديورانت قصة الحضارة ـ الشرق الأقصى ـ الصين : ترجمة محمد بدران .

التجار القادمين من الولايات الأخرى مكاسبهم قبل أن يعودوا إلى أوطانهم[٢] ويقول ماركو بولو : إنه شاهد فى عاصمة (كوبلاى خان) من العاهرات ما لا يحصى عددهن . وهؤلاء البغايا مرخص لهن بمزاولة مهنتهن ، وتنظم الدولة أمورهن وتراقبهن من الوجهة الطبية ، وتقدم أجملهن دون أجـر إلى أعضاء السفـارات الأجنبية[٣] .

المرأة الصينية زوجة :

كانت طريقة الخطبة أن يرسل والد الخطيب هدية قيمة إلى والد الفتاة ، ولكن الفتاة كان ينتظر منها هى الأخرى أن تأتى معها ببائنة[٤] قيمة إلى زوجها تكون فى الغالب على شكل متاع أو بضاعة كما كانت الأسرتان تتبادلان فى العادة كثيراً من الهدايا ذات الشأن وقت الزواج ، وكانت الزوجة تعيش بعد الزواج مع زوجها فى بيت أبيه أو بالقرب منه ، حيث تكدح كدحا فى خدمة زوجها وأمه إلى أن يحين الوقت الذى يحررها فيه الموت من هذا الاسترقاق ، أو يتركها على استعداد لأن تفرض هى نفسها نفس العمل على زوجات أبنائها ... وكان الفقراء يكتفون بزوجة واحدة ، ولكن حرص الصينيين على إنجاب أبناء أقوياء كان من القوة بحيث يجعلهم يسمحون عادة للقادرين منهم بأن يتخـذوا لهم سرارى أو « زوجات » يعتبرون زوجات الدرجة الثانية ...

ولم تكن الزوجات الثانيات يفترقن كثيراً عن الإماء ، كما لم تكن الزوجات الأوليات إلا رئيسات هيئة لإنتاج الأبناء والبنات ، تعتمد مكانتهن فى الأسرة اعتماداً يكاد يكون تاماً على عدد من يلدن من الأبناء وعلى جنسهن .

وكان فى وسع الرجل أن يطلق الزوجة لأى سبب كان ، لعقمها أولثرثرتها ، ولم يكن من حقها أن تطلق زوجها ؛ بل كان لها أن تغادر داره وتعود إلى دار أبويها وإن كان هذا لا يحدث إلا فى القليل النادر . على أن الطلاق كان مع ذلك قليلاً ، ويرجع بعض السبب فى هذا إلى ما كان ينتظر المطلقة من مصير أسوأ من أن تستطيع التفكير فيه ..

المرأة فى الصين والتعليم :

كان التعليم منتشرا بين نساء الطبقات العليا فى الأيام القديمة ، وإن كان عدد من يعرفون القراءة والكتابة من الصينيين فى (أيام المنشو) لا يكاد يبلغ واحداً من كل عشرة آلاف . وكان كثيرات من النساء – أى من ذات الطبقة – يقرضن الشعر .

حقوق للنساء فى الصين :

وبديهى أن ما سوف نقرأه فى هذه الفقرة كان قاصراً على أضيق دائرة من نساء الطبقة العليا :

أكبر الظن أن الأم قبل أيام كنفوشيوس كانت محور الأسرة ؛ لأنها مصدر وجودها وسلطانها . وكان الناس فى أول عهودهم « يعرفون أمهاتهم ولا يعرفون آباءهم » ولا يزال اللفظ الدال على اسم أسرة الرجل مكوناً من الأصل الذى اشتق من لفظ « امرأة » وكانت الزوجة تحتفظ باسمها بعد زواجها ... وكانت النساء حتى القرن الثالث بعد الميلاد يشغلن فى البلاد مناصب إدارية وتنفيذية

(٢) ول ديورانت : المرجع سابق ص ٢٦٧

(٣) ول ديورانت : المرجع سابق ص ٢٦٨

(٤) البائنة : المال الذى يخصص للبنت فتدفعه إلى زوجها ، ومثلها (الدوطة) عند الفرنجة : المال الذى تدفعه العروس إلى عروسها . المعجم الوسيط .

رفيعة ، وقد وصل بعضهن إلى أن يكن حاكمات للبلاد ...

مدى استمرار تلك الحقوق :

لعل قيام نظام الإقطاع فى الصين قد قلل من منزلة المرأة السياسية والاقتصادية فى تلك البلاد ، وجاء معه بنمط صارم من (الأسرة الأبوية) ومع أن الأسرة كلها كانت تمتلك أرضها امتلاكا مشتركا ؛ فإنها كانت تعترف للأب بالسلطان الكامل على الأسرة وعلى أملاكها . فلما حل عهد كنفوشيوس كان سلطان الأب يكاد أن يكون مطلقاً فى جميع الأمور ، فكان فى وسعه أن يبيع زوجته وأبناءه ليكونوا عبيداً ، وكان يستطيع إذا شاء أن يقتل أبناءه لا يحول بينه وبين هذا إلا حكم الرأى العام ... وكان يتناول طعامه بمفرده لا يدعو زوجته ولا أبناءه إلى المائدة معه إلا فى أوقات قليلة نادرة ، وإذا مات كان ينتظر من أرملته ألا تتزوج بعده ، وكان يطلب إليها فى بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريماً له ، وظلت حوادث من هذا النوع تقع فى الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد .

لاحظ التشابه هنا بين هذا الطلب وبين (السوتى) وهى عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها ــ فى الهند* وكان الصينى يجامل زوجته كما يجامل كل إنسان سواها ، ولكنه كان فى حياته بعيداً كل البعد عن زوجته وأبنائه ، كأنه من طبقة غير طبقتهم ... وكانت الحياة الاجتماعية كلها مقصورة على الرجال إلا إذا كانت النساء من الطبقات التى يسمح لأفرادها بالاختلاط بالرجال كالمغنيات ، وكان الرجل لا يفكر فى زوجته إلا بوصفها أم أبنائه ولا يكرمها لجمالها أو لثقافتها ، بل لخصوبتها وجدها وطاعتها ...

تقول السيدة بان هو ــ بأن إحدى بنات الطبقة العليا ــ فى رسالة شهيرة :

نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال ... وما أعدل ما يقوله فى حقنا (كتاب قوانين الجنسين) وأصدقة « إذا كان للمرأة زوج يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه طيلة حياتها ، وإذا كان للمرأة زوج لا يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه أيضاً طيلة حياتها »(٥) ... ويغنى فوشوان قائلا :

ألا ما أتعس حظ المرأة ،
ليس فى العالم كله شىء أقل قيمة منها ،
إن الأولاد يقفون متكئين على الأبواب ،
كأنهم آلهة سقطوا من السماء ،
تتحدى قلوبهم البحار الأربعة ،
والرياح والتراب آلاف الأميال ،
أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها ،
ولا تدخر الأسرة من ورائها شيئاً ،
وإذا كبرت اختبأت فى حجرتها ،
تخش أن تنظر إلى وجه إنسان ،
ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها على حين غفلة
كما تختفى السحب بعد هطول الأمطار »

وهكذا نلاحظ أنه لو كانت هناك بعض الحقوق للنساء فى الصين فإنها لم يكن لها صفة الدوام فهى تتغير باختلاف الظروف والأحوال كما ترتبط بعقيدة تجعل ممارستها حقا مكتسباً دائماً

* راجع فصل المرأة فى الهند من هذا البحث بعدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ

(٥) قصة الحضارة ، ول ديورآنت ، مرجع سابق ص ٢٧٣

من دلالات الهجرة النبوية

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الآية ٢ من سورة الجمعة).

كان الناس فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله فعبدوا الصنم والوثن واتخذ كل إلهه هواه فأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق لإنقاذهم من الحمية حمية الجاهلية حتى أنستهم أنفسهم وأعمتهم عن استقرار حياتهم والله يقول لرسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

فكان من أعظم نعم الله على خلق الله إرسال خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ولكن أقواما لم يبصروا النور المتلألى بين أعينهم لأنهم أغمضوا أعينهم ولوّوا رءوسهم وجعلوا أصابعهم فى أذانهم فكانوا يصدون عن سبيل الله من آمن ويؤذون رسول الله والمؤمنين معه معتدّين بقوتهم ومعتزين بغلبتهم ليقطعوا الطريق بإرهاب المستضعفين من المهتدين المسلمين حتى بلغ بهم الحمق والبغى على أنفسهم وعلى الناس أن قالوا: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » وتلك هى صورة الأفكار الضالة الشاردة وكان الأولى بهم أن يقولوا: « اهدنا إلى سواء السبيل » بدل قولهم هذا الذى طلبوه من الله فى دعائهم على أنفسهم بالعذاب الأليم.

ولقد كانت مكة أحب بقاع الأرض إلى النبى والذين معه فهى منبت نشأتهم ومقر بيت الله العتيق العريق، ولكن الوطن مع المنغصات غربة: والمؤمن وإن كان منتميا لبلاده التى وجد فوق أديمها ونشأ تحت سمائها؛ ولكن يمكنه استبدال أرض بأرض وجيران بجيران أما الدين فلا بديل له ولا عوض عنه ففيه السعادة فى الدنيا والآخرة: ومن خسر دينه فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

ولقد أظهر الله لرسوله خبيئة أنفسهم الأمارة فقال : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الأنفال

آثار الهجرة المحمدية

لقد تكفلت كتب السيرة بتفصيل أحداث الهجرة تفصيلا كاملا شاملا ولكن ما هى آثارها وأهدافها وما الذى ترتب عليها من نصر للحق وسعادة للمؤمنين ورحمة للعالمين بإشراق شمس الهداية ليسطع نورها على الخلائق وتزول حجب الضلالات والجهالات التى كانت تحول بين نفوس المستكبرين فى الأرض بغير الحق ، وبين الحق وهذه غاية من غايات الرسالة المحمدية العالمية .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة التوبة

لقد ربى رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بالقرآن رجالا وصنع بالقدوة الحسنة أبطالا يعجز الزمان عن الإتيان بمثلهم :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

سورة الواقعة

وقد بعث الله رسوله محمدا ليتمم مكارم الأخلاق لأن صلاح كل إنسان إلى الأخلاق مرجعه :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولاتبنى الأمم إلا بالأخلاق الفاضلة النبيلة وبالأعمال الكريمة الجليلة : فإذا تسامى الإنسان بأخلاقه وترفع عن الخضوع المذل لنزواته وشهواته فقد سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم : ومما لا ريب فيه أن الإنسان لبنه فى بناء المجتمع : وما المجتمع إلا أسر وأفراد لهذا كانت الرسالة المحمدية إنقاذا للنفوس من مقتها : فانتفع العالم بهذا الدين القيم حتى من لم يؤمن به ، حيث صحح العادات المقوتة وطهر الاعتقاد من الالحاد الذى خضع له الناس فعبدوا الصنم والوثن وضلوا سواء السبيل .

لهذا كان فضل الله عظيما على البشر لما سمعوا كلمة : « الله أكبر » وكلمة التوحيد : « لا اله إلا الله » وفيها تكمن القوة فلا إله يعبد بحق إلا الله ولا رب سواه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة الأنعام

لقد كان الناس يستعبدون الناس بسبب زعم باطل بأن بعضهم أرقى من بعض عنصرا وأحسن أصلا من بعض ، وأن البقية يجب عليهم الخضوع والطاعة ولكن الإسلام جعل مقياس التفاضل هو التقوى فالناس لآدم وآدم من تراب ولا فضل لأحد على أحد إلا بالأعمال الصالحة وبالآثار النافعة التى تقربهم من ربهم وبتمجيد خالقهم

ونفع الناس، لأن خير الناس أنفعهم للناس : والله يقول ــ جل جلاله ــ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ سورة الحجرات.

تلك هى حقوق الإنسان يوضحها القرآن فلا عنصرية ولا استعلاء ولا عنجهية ولا كبرياء : أرأيت كيف رفع الإسلام بلالا الحبشى فكان سيدنا : وكان صهيب الرومى سيدنا : وكان سليمان الفارسى سيدنا : لأن المؤمنين إخوة وأمتهم أمة واحدة .

ولقد سادت هذه الروح الإسلامية فى الأمم والشعوب فى مشارق الأرض ومغاربها فنبهت الإنسان إلى حقه وردته إلى كرامته وآدميته وعزته والله يقول :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾

لقد كانت الهجرة سببا فى انتصار الحق على الباطل وارتفاع كلمة الله باعتزاز الدين الإسلامى وتبوئه المقعد المرجو له والجدير به ؛ لما انطلقت الدعوة المحمدية إلى بلاد الله بدون استنكار أو معارضة فلا تقييد ولا تعقيد ولا تعويق ، وأصبح المسلمون أقوياء بعد ضعف : أقوياء بقوة الإيمان أجلاء بجلال الحق عظماء بعظمة الإسلام يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض : ولهذا جعلوا الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى العربى العالمى ، ولقد أمنت الطريق من قطاع الطريق أعداء الحق والهدى أعداء الله ورسوله ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾

والسر فى سرعة انتشار الإسلام هو وضوح الشريعة الإسلامية وسلامة العقيدة الدينية لأنها ليست معقدة أدلتها قوية وحججها واضحة جلية تتقبلها القلوب والعقول وتطمئن إليها النفوس بدون برهان :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا .... ﴾ **الآية ٣٠ من سورة الروم**

لقد نصر الله رسوله بالهجرة : بعد أن تحمل أذى كثيرا من قساة القلوب وغلاظ الأكباد وأهل الشرك والحقد والجحود ، ولكن عناية الله تعصمه دائما وترعاه وتؤيده وتناصره أينما حلَّ وأنَّى وُجد فكان الله معه ، ومن كان الله معه فلن يقهر أبدا ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** .. ﴾ ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** ﴾ :يقول الله :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ .... ﴾ **من الآية ٤٠ من سورة التوبة** .

وكان أمر الهجرة بتخطيط إلهى حتى لقد ساهم العنكبوت بخيوطه الواهية فى حماية النبى وصاحبه الصِّدِّيق وهما فى الغار ، والله ينصر رسله ــ عليهم السلام ــ لأنهم كلهم كانوا دعاة عقيدة التوحيد ، ورسالتهم إصلاح اجتماعى يبنى الفرد والجماعة .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

سورة الأنبياء

لقد كانت عقيدتهم التى أرسلوا بها تتعهد العقل بهداية ترشده إذا ضل وتقومه إذا اعوج « أفضل ما قلت أنا النبيون من قبلى لا إلـه إلا الله » :

وذلك لأن الإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق ، وقد كانت الهجرة فتحا مبينا

للإسلام لينساح إلى بلاد العالمين منطلقا من مركز القوة بالسرعة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلا بفضل هجرة صاحب الخلق العظيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفى هذا إعجاز وإنجاز عرفته الدنيا فى شتى العصور والدهور ، ووعاه التاريخ وحفظه الزمن .

والحق أن رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ قد أذن الله بالهجرة له ليتمكن بعيدا عن كيد الحاقدين ومكر المجرمين ــ من جمع لبنات بناء الأمة المحمدية التى يريد أن يبوئها بين أمم الأرض فى سماء المجد مكانا عليا ، وبذا تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله : والله يقول للمسلمين :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .... ﴾ من **الآية ١١٠ من سورة آل عمران** .

وهذه الأمة صاحبة الشريعة الإسلامية التى جاءت لإسعاد البشرية فى معاملاتها الحسنة وعباداتها التى تعتبر كل قول أو فعل يرضى الله عبادة خالصة لله : وإنك لتجد الأخلاق الإسلامية تطهر النفوس من أدران الذنوب والعيوب والخطايا والدنايا : وتُطَهِّر الأفكار من الوساوس والهواجس الشيطانية الخبيثة ! والله يقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ... ﴾
الآية : ١٦ من سورة ق

«أما بعد»

فإن الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية يملأ القلب سرورا ونورا وإجلالا وتعظيماً ، ففيه تعمر المساجد بالراكع والساجد ، والمجالس بالصلاة والسلام على قائد الخلق إلى الهدى والحق ، وتعمر بيوت الأسخياء من الأغنياء بإطعام الطعام وإكرام الأيتام ، وبذل الصدقات لإدخال السرور على البائس الفقير ، فما أجمل التيسير على المعسر وتفريج كرب المكروبين اقتداء بصاحب الذكرى فى حب الخير للغير فلنشكر الله على نعمة الإسلام الذى حقق المساواة والعدالة ونشر الأمن ومكارم الأخلاق

سيدى يارسول الله : ــ صلوات الله وسلامه عليك ــ يوم ولدت ويوم بعثت ، ويوم أسرى بك ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويوم هاجرت من مكة إلى المدينة لتؤدى الأمانة وتبلغ الرسالة : ــ صلواته وسلامه عليك ــ يوم قبضت إلى الرفيق الأعلى ، ويوم تبعث حيا .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد ع . أ من الغربية .

أولا :

هناك حديث بين الرسول ﷺ وعمه العباس ـ تقريباً ـ ينصحه فيه بصلاة التسابيح ويعرفه فضلها وكيفية صلاتها ، وقرأت أيضا فى كتيب صغير عن شيخ سعودى يبين فيه أن صلاة التسابيح فى هذا الحديث غير جائزةلأنه حديث ضعيف .

ثانياً :

إذا تأخر الإنسان عن صلاة الفجر وصلى الصبح ، فهل يصلى السنن بعدها ،أم قبلها مثل الفجر ، والى أى وقت يتقبل الله صلاة الصبح بعد طلوع الشمس ؟

ثالثاً :

بالنسبة لصيام التطوع فهل يجوز صيام يوم الجمعة على أن يكون معه يوم السبت والأحد مثلا ؟ وهل صيامه منفردا حرام ؟

أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

أولا : فيما يتعلق بصلاة التسابيح

فقد روى حديث التسابيح من طرق كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، كما قاله الحافظ ابن حجر ، وكما رواه وخرجه : أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحة والطبرانى وهذه الروايات المتعددة يقوى بعضها بعضا .

وقال الإمام النووى : وقد نص جماعة من أئمة أصحابنا الشافعية ــ على استحبـــاب صلاة التسابيح ، منهم : البغوى والرويانى عن عبد الله بن المبارك أنها مرغب فيها ، ويستحب أن يعتاد فى كل حين ، ولا يتغافل عنها ، ولا مانع من صلاتها فإنها فضيلة ، وليست محدثة ، وليست بدعة ، فهى كأى صلاة تطوع زيدت فيه التسبيحات ،

والتسبيح مأموربة بكرة وأصيلا ، وما دام بعض الفقهاء قال بها فلا وجه للإنكار عليها ، وما ورد من ضعف أحاديثها لا يطعن فيها ، لأن العلماء قالوا : « الحديث الضعيف يقبل ويعمل به فى فضائل الأعمال » .

وفضل صلاة التسابيح كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجة وابن خزيمة قول النبى ﷺ للعباس فيه : « يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك عشر خصال ، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات بنية صلاة التسابيح ، أو تصلى ركعتين ركعتين ويقرأ المصلى فى كل ركعة الفاتحة وسورة ، وبعد السورة وقبل الركوع يسبح خمس عشر مرة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وفى الركوع يسبح عشرا ، وفى الاعتدال منه يسبح عشرا ، وفى السجود الأول عشرا ، وفى الجلوس بين السجدتين عشرا ، وفى السجدة الثانية عشرا ، وعقب السجود الثانى يجلس ويسبح عشرا ، فجملة التسابيح فى الركعة الواحدة : خمس وسبعون تسبيحة ، ففى أربع ركعات ثلاثمائة تسبيحة ، **ومن المعلوم أن الذنوب التى تكفرها صلاة التسابيح هى الصغائر أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة النصوح ورد الحقوق لأهلها والله الموفق .**

ثانياً : صلاة الصبح بعد طلوع الشمس

من فاتته صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فإنه يصلى فريضة الصبح وسنتها مقدما السنة ثم الفريضة ، وفى فقه الامام مالك : **يقدم الفرض ثم** يصلى السنة بعدها ، فإذا زالت الشمس وأذن لصلاة الظهر صلى فرض الصبح فقط وسقطت السنة ، وصلاة الصبح يتقبلها الله أداء قبل طلوع الشمس ، وقضاء بعد طلوع الشمس ، ولا تسقط الفريضة أبدا ، ولكن أجر الصلاة فى وقتها ثابت ويصل الى سبع وعشرين درجة إن كان فى جماعة ، أما من صلى بعد خروج وقت الصلاة فإن عليه إثم التأخير ما لم يكن نائما ، وصلاة القضاء تسقط الفرض كصلاة الأداء .

ومن دخل المسجد فوجد الإمام يصلى فرض الصبح صلى معه ، ثم صلى السنة بعد انتهاء الفرض ، أو يؤخر السنة الى ما بعد طلوع الشمس وارتفاعها قد رمح أى ثلث ساعة والأصل فى ترتيب صلاة الصبح وسنتها أن السنة تصلى أولا ثم يصلى الصبح ، ولا يسبق الفرض السنة إلا بإدراك الجماعة أو بطلوع الشمس على قول مذهب الامام مالك ، والله الموفق .

ثالثاً : فيما يتعلق بصيام الجمعة

نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة تطوعا منفرداً ، إلا أن يسبقه صوم يوم الخميس أو يلحقه صوم يوم السبت ، ويكون الصوم موافقا للسنة ، بذلك ، أما إذا أفرد يوم الجمعة بالصوم فذلك مكروه ومنهى عنه ، وليس حراما والله الموفق .

السؤال من السيـــد ع . أ . ع من المحلـــة الكبرى .

هل إذا صامت المرأة ستة أيام من شوال بنية قضاء ستة أيام مما عليها من شهر رمضان (فترة الحيض أو المرض) ونوت صيامها كسنة كما جاء فى حديث الرسول ــ ﷺ ــ فهل هذا الصوم يقضى عن الأيام التى عليها من رمضان وتحصل على ثواب صيام السنة .

رجل حلف على امرأته بالطلاق يمينان ، ثم ردها ، وحلف يمين الطلاق الثالث وقال بالحرف الواحد : « **وهذا اليمين الثالث حتى لا يكون لك رد** » وأفتاه شيوخ القرية : بأن زوجته لا تحل له بعد اليمين الثالث .

ولكن أحد الشيوخ أفتاه بجواز الرد لزوجته إذا دفع كفارة لإطعام ٦٠ مسكينا ، وعاد الرجل ليعاشر زوجته ، وتم دفع الكفارة .

أفيدونا أفادكم الله ،،،

الجـــــواب

(ا) اذا صام المرء ستة أيام من شوال بنية قضاء أيام من شهر رمضان ونوى مع ذلك صيامهم كسنة فإن ذلك يجزئه عن القضاء ويكون له ــ كذلك بفضل الله تعالى ــ ثواب تحرى السنة ، والله اعلم .

(ب) للإجابة على هذا السؤال لابد أولا : من بيان صيغة الحلف بالطلاق لأن الحكم يختلف باختلاف اللفظ ، وكذلك للنية دخل فى وقوع الطلاق من عدمه فى غير صريح الطلاق ، والله أعلم .

السؤال من السيد ع.ا :

فى شهر رمضان المعظم كثيرا ما تقام دورات فى بعض الألعاب مثل لعبة كرة القدم ، ويجمع كل لاعب مبلغ من المال ، ثم يشترى بهذه الأموال إما كرة قدم أو (فانلات) أو مصاحف قيمة للفريق الفائز .

فهل هذه المبالغ بهذه الصورة تعتبر قمارا ؟

أحيانا يستيقظ الفرد الساعة الثامنة صباحا وتكون الشمس قد أشرقت فهل يجوز صلاة الصبح فى ذلك الوقت ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

(ا) ليس دفع المبالغ بالصورة المذكورة يعد قمارا ، وإنما هو نوع من التحفيز على سبيل الهدية .

(ب) فى حالة ما إذا استيقظ الإنسان من نومه فى الساعة الثامنة صباحا ؛ فإن صلاة الصبح فى ذلك الوقت جائزة قضاء ، ولا كراهة فى ذلك لأن وقت الكراهة يكون عند طلوع الشمس إلى أن ترتفع بقدر رمحين . والله ــ تعالى ــ أعلم .

من أعلام الأزهر

ذكرياتي عن الشيخ

عبد العزيز عيسى

بقلم : فضيلة الشيخ/سيف النصر عبد العزيز المجلي*

فى مقال سابق نشرته لى مجلة « الازهر » الغراء فى عدد شعبان سنة ١٤١٥ هـ ــ عن أستاذنا المرحوم فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر السابق ــ قلت : إن من حق فضيلته علينا ــ وقد انتقل إلى جوار ربه الكريم ــ أن نتحدث عنه وعن ذكرياتنا المجيدة معه من خلال عملنا الوظيفى بالأزهر . وأيام كنا طلابا نتلقى العلم على يديه الطاهرتين فى كلية الشريعة بالأزهر الشريف ــ حفظه الله وأدامه معقلا لشريعة الإسلام والمسلمين ــ وعدتُ قراء مجلة الأزهر وما أكثر قراء هذه المجلة المباركة ــ بالعودة إلى الحديث عنه استكمالا لذكرياتنا عنه ومدى تأثرنا بعلمه الغزير . وشخصيته الفريدة ، فى مقالات تالية إن شاء الله ــ تعالى .

لكن شاءت مقادير الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يدركنا « المرض » وليس للمرء حيلة أو مهربا من قضاء الله وقدره ، فحال ذلك دون إنجاز وعدى مع القراء فى إتمام الحديث عنه ــ رحمه الله ــ .

وما أن أفاء الله ــ علىّ ــ بنعمة الشفاء ــ حتى بادرت إلى قلمى ــ أستنجزه ــ الوفاء بحق « أستاذى الجليل » علىّ ، وحق القراء فى معرفة جزء من سيرة هذا الرجل ، ومحاولاته الجادة فى سبيل إصلاح التعليم بالأزهر الشريف بكلياته الجامعة ومعاهده الأزهرية والنهوض بها ــ نهوضا يجعلها فى مجال السبق ــ دائما كعهدها المعروف (عن الأزهر فى كل القرون) .

أخـلاق الشيخ :

كان ــ رحمه الله تعالى ــ ذا خلق عال رفيع وذا صفات مجيدة . حبَّبت فيه كل من ارتبط بفضيلته بصلة أو سبب ، وقَربَّت إليه كل من تعرّف به فى العمل أو فى الدرس أو اجتمع معه فى

(*) الكاتب : مستشار مادة سابق بإدارة المعاهد الأزهرية ، لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

لقاء حدث مُرَتَّبًا ــ أو على عفوية . كنت كثيرا ما أطرح عليه أسئلة فى درسه الممتع لمادة الفقه ، وشاهدنى ألاحقه بعد الدرس ، وأكثر السؤال وأنتظر منه الجواب .. وسألته يوما : هل يمكن أن أكون مثلك أستاذا فى الفقه والأصول والأدب ؟ فأجابنى : نعم يمكـــن ؟ .. قلت لفضيلتـــه كيف .. ؟ فقال ــــ رحمه الله : إذا اجتهدت فى تحصيل علوم كليتك ، وحرصت على النجاح فيها بتفوق وامتياز ، وثابرت على تنمية ثقافتك ، وقرأت من النثر والشعر كل ما تقع يدك عليه ، وحافظت على ما تحفظ من القرآن الكريم ــــ كله أو بعضه ــــ فإن القرآن هو لغة البلاغة والفصاحة والأدب المتين ، وأساس الأحكام وجامع العلوم والمعارف لشريعة الإسلام .

وكان مسكنى قريبا من مسجد الأمير « محمد على » طيب الله ثراه .. وكنتُ كلمّا ذهبتُ لأداء صلاة « الجمعة » فى هذا المسجد .. وجدت الشيخ عبد العزيز عيسى ــ فى أحيان كثيرة ــ يؤدى الصلاة فيه مع فضيلة أستاذىّ الإمام الأكبر الشيخ « محمود شلتوت » شيخ الأزهر ، وفضيلة أستاذى الجليل الشيخ « محمد محمد المدنى » عميد كلية الشريعة .

وكان من عادة الأمير محمد على ــــ أن يدعو أساتذتى هؤلاء إلى تناول الشاى معه عقب صلاة الجمعة فى غرفة تقع فى مدخل القصر الجميل ، ثم يستفسر ــــ هو ورجاله ــــ من هؤلاء العلماء عن بعض أمور الدين ، وما أشكل عليه أو على أحد رجاله من الأمور .

وفى هذا الزمان البعيد كان أستاذى المرحوم الشيخ عبد العزيز عيسى يمد يده إلىّ ويدعونى إلى الجلوس معهم فى مجلس الأمير ورجاله بعد صلاة الجمعة ويدفعنى إلى المشاركة فى الحديث معهم .. مع أنى كنت إذ ذاك طالبا فى كلية الشريعة ، وفى مطلع العمر من الشباب .

هذه صورة واقعية من صور أخلاق فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ « عبد العزيز محمد عيسى » وهى صورة تكشف عن فضيلة « التواضع التى كثيرا ما تفتقد فى أخلاق من يجالس الأمراء .. فما بالك بمن كان للأمراء جليسا ، وللعلماء مرجعا وأنيسا ، لكنه الشيخ عبد العزيز عيسى » المشهود له بلين الجانب والصلاح والتقوى .. .

كذلك من صور أخلاقه العالية ــــ التى نكاد نفتقدها فى هذه الأيام : العفة السامقة والورع عن الحرام .

وتتضح هذه الصفة من هذه الرسالة الفريدة التى كتبها الشيخ/عبد العزيز عيسى ــــ رحمه الله ــــ فى ٢١ من رمضان سنة ١٣٩٤ هـ الموافق ٧ من اكتوبر سنة ١٩٧٤ إلى أخيه المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى ــــ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إذ ذاك يقول :

« **سلام الله عليكم ورحمة الله وبعد : فقد رأيت فى الفترة الأخيرة ، أن عملى فى الوزارة يشغلنى عن حضور جلسات المجمع ، والاشتراك فى أعمال لجانه على الوجه الذى ترضى عنه نفسى .**

من أجل هذا وتأكيدا للمحادثة الشفوية بيننا بخصوص هذا الأمر منذ شهرين ــــ أرجو أن تتفضلوا مشكورين بالتنبيه إلى وقف صرف مكافأة المجمع الخاصة بى من الآن إلى أن يتيسر لى الاشتراك المستمر فى أعمال المجلس ويوم ذاك

أبعث إلى سيادتكم بخطاب آخر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز محمد عيسى
عضو المجمع

وبمثل هذه الأمانة العالية عاشت تلك النفوس السامية تضرب المثل العليا للناس فى مكارم الأخلاق ، وتحرى الحلال والحرام .

الشيخ فقيها :

وكان الشيخ الجليل كأغلب علماء الأزهر ـ عالما شموليا يحيط خبرا ومعرفة بكل العلوم .. فهو ـ بالرغم من تخصصه الدقيق فى البلاغة والأدب ـ واحد من فقهاء العصر فى الشريعة الإسلامية ـ وهو ـ وإن لم يكن ذا مؤلفات كثيرة فيها ـ إلّا أنه كان فى درسه الفقهى يتزاحم عليه طلاب كلية الشريعة ليستمعوا منه إلى العلم الفياض والأسلوب السهل الجميل ، وإلى روعة الإلقاء والتناول للموضوع الذى يعالجه فى دقة ورقة تنساب إلى أذهان الطلاب فى يسر وسهولة .

وفى كلمة جامعة لصاحب دار العرب بالإمارات العربية المتحدة يقول عنه الدكتور ابراهيم الغيص وعن مؤلفه القيم « كيف تعتمر وتحج ؟ : « فى مارس عام ١٩٧٣ عُيّن وزيرا لشئون الأزهر ، وكان أول من تولى هذا المنصب حيث لم تكن هناك سابقة لقيام وزارة مستقلة لشئون الأزهر فى مجلس الوزراء .

وكانت درايته الواسعة بكل ظروف الأزهر وأحواله الأزهرية من دواعى الاستفادة بخبراته فى الكثير من المؤسسات العلمية مثل : « مجمع البحوث الإسلامية » « هيئة جماعة كبار العلماء » (سابقا) ، والمجالس القومية المتخصصة ، والمجلس الأعلى للثقافة ، وجامعة الشعوب العربية والإسلامية ، ومجلس الشورى المصرى ، والمجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على عهد الملك فيصل .

أساتذة الشيخ عبد العزيز

ومن أشياخه الذين تتلمذ عليهم وأخذ منهجهم فى التفكير : المرحومان فضيلة الشيخ الأستاذ الأكبر شيخ الاسلام الشيخ عبد المجيد سليم ، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، وهما اللذان رشحاه لتولى إدارة مجلة رسالة الإسلام التى صدرت عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة واستمرت من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٨ لأكثر من ربع قرن .

أما هذا الكتيب « كيف تعتمر وتحج » الذى بين يديك أيها القارىء العزيز . والذى تفضل المؤلف وأهدانا حق إصدار هذه الطبعة منه لتوزيعها على حجاج بيت الله الحرام . فترجع فكرة إصداره إلى عام ١٩٤٩ حين خرج المؤلف لأول مرة للحج ، وشاهد ما يصادفه الحاج من العامة والخاصة من مشاق فى سبيل الوصول إلى أداء الفريضة على أكمل وجه . عندئذ قرر إصدار دليل سهل وبسيط وواضح وبعيد عن الإغراق فى استخدام الاصطلاحات الفقهية ليهتدى به حجاج بيت الله إلى أداء الفريضة فى اطمئنان . وكان إصداره الأول عام ١٩٥٦ على « الرونيو » . وحين شعر المؤلف بحسن الاستقبال لهذا الدليل . أصدر مطبوعا عالميا على نفقته وفى عام ١٩٧٤ وما بعده صدرت عن الأزهر الشريف الطبعة

التاسعة باللغة العربية ــ كما صدرت عن وزارة شئون الأزهر الطبعة الأولى بالإنجليزية . ثم أصدر الأزهر الشريف عام ١٩٨١ ــ الطبعة الحادية عشرة العربية وفى نفس العام تولت وزارة الأوقاف المصريـة ــ المجلس الأعلى للشئـون الإسلاميـة ـ إصدار الطبعة الثانية عشرة والطبعة الثانية من التـــرجمة الإنجليزيـــة لهذا الدليــــل .

ويسر « دار العرب » للاستثمارات والدراسات والبحوث العلمية بدولة الإمارات العربية المتحدة بأبى ظبى ــ أن تظفر بموافقة حضرة صاحب الفضيلة العلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز محمد عيسى على أن تصدر له هذه الطبعة لتقدم هدية من مؤسستنا ، ومشاركة للأستاذ المؤلف فى مساعدة حجاج البيت الحرام على أداء الحج والعمرة على أكمل وجه ـ إن شاء الله تعالى . وقد شجعنا على طلب موافقة الأستاذ المؤلف على الطبع . أن مجموعة التنبيهات أو الفوائد التى وردت بآخر هذا الكتيب فيما يقرب من عشرين صفحة . إنما هى إجابات على أسئلة وجهت إلى المؤلف على مدى السنوات التى صدر فيها هذا الكتيب من بعض حجاج البيت العتيق ــ الأمر الذى جعلنا ننظر إلى هذا الدليل على أنه مرشد عملى مصدره التجربة الحقة والواقع الحى » .

الشيخ أديبــا :

كما كان الشيخ عبد العزيز عيسى أديبا من أرق الأدباء .. أسلوبا فى الكتابة ، وجمالا فى التعبير واختيارا للكلمة ، وصياغة للجملة ، ودوقا فى اختيار الموضوع .

يقول فى مثال له بمجلة رسالة الإسلام : « أُتى الحجاج بن يوسف الثقفى بجماعة من أصحاب (قطرى بن الفجاءة) والحرب يومئـــذ بين الخوارج وبنـى أميـة مستعـرة الأوار . حاميـة الوطيس فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا كانت له « يد » على الحجاج ــ فمنَّ عليه من بينهم ، فلما صار الرجل بعد فكاكه إلى قطرى : قال له .. عاود قتال عدوّ الله الحجـاج .. فأبى الرجـل وقال :ــ

أأقاتـل الحجـــاج عن سلطانـــه
بيـــد تقـــر بأنها مولاتــــه

ماذا أقـول : إذا وقـفتُ أمامــه
فى الصف واحتـجت له فعلاته

وتحدث الأقـوام أن صنائعــا ..
غرست لدىَّ فحنظلت نخلاتـه

أبيات ثلاثة ما أنشدتها يوما منذ سمعتها . إلا أحسست لها روعـة . وأخذتنـــى لها نشوة ، ودخلت إلى قلبى كأنها ترد عليه لأول مرة .

هذا رجل خارجى ... وكلنا يعرف تاريخ الخوارج ، وأنهم على ما فيهم من انحراف عن الجادة وتنكب لسبل الحق .. قوم يرون جميع المؤمنين قد صاروا كفارا ما عداهم ، وأن قتالهم فريضة واجبة حتى لا يبقى على ظهر الأرض منهم أحد . أو يعترفوا على أنفسهم بالكفر ، ثم يعودوا إلى الإيمان ، ولكن هذا الرجل مع عقيدته تلك ، ومع خطورة شأن الحجاج فى قتالهم وحـربهم ــ يلتـزم جانب الوفـــاء ويعـــتصم فى شأن « الحجاج » الذى أحسن إليه ، وبادله معروفا بمعروف ــ بهذا الخلق الكريم وحسن الدفاع عن رأيه ، والتعبير عن حجته بهذا الشعر القوى النابع من قلبه الممثل لفطرته الصافية الصادقة .

فتراه ينقل السامع إلى صورة مجسمة . يقف فيها هو شاهرا سيفه على الحجاج بهذه اليد التى كان فى استطاعته — لو شاء — أن يبترها ويبتر من الوجود صاحبها — ولكنه وهبها السلامة ومنَّ عليها ، وعلى صاحبها بالحياة ، فكانت له بذلك مولاة . وكان لها سيدا مالكا — ثم ينقل سامعه كرة أخرى إلى صورة أخرى يتخيلها الضمير الحى ، والخلق الكريم ، صورة امرىء قد طوق عنقه جميل . فيأتى إلى صانع هذا الجميل ويجزيه عن إحسانه سوءا . وعن مروءته وعرفانه غدرا ونكراً فيقف إزاءه فى الصف قد تسربل بالخزى ، وتجلل بالعار ، ولجلج الكلام فى فيه فلا يستطيع خطابا ، ولا يجد جوابا بينما خصمه قد وقف رافع الرأس ، شامخ الأنف فى هالة من المروءة والنبل . تحتج له فعلاته ، وتذود عنه مكارمه . ثم ينقل سامعه إلى هذه الصورة الثالثة . صورة الأقوام وقد قامت مجالسهم وانفضّت واجتمعت جموعهم وتفرقت على حديث هذا الغادر الناكث ، الذى غرست لديه نخلات المعروف فصيرها معدنه الخبيث حنظلا نكدا .

لا شك أن الشاعر بلغ بأبياته الثلاثة أقصى ما يبلغه مصور ماهر . أو مثال قدير فى هذا المجال . وأنه إن لم يكن أرضى قائده « قطريا » وأحسن الاعتذار إليه .. فقد أرضى الوفاء وكرم وجه الخلق . ودل على معدن فى نفس كريم — والتمس لنكوصه إذا سمى هذا نكوصا — عذرا مقبولا مستساغا فى شرعة الإنصاف » .

هذا جزء من مقال ، ومثل يسير من أمثلة كتابة أستاذنا الشيخ « عبد العزيز عيسى » الأدبية تلمس فيها رقىّ الأسلوب وروعة التعبير ودقة الملاحظة .

ولقد كنت أودّ الانسياب مع أستاذنا الشيخ « عبد العزيز عيسى » حتى ألم بكل جوانبه الإنسانية ، ومواهبه فى الأدب والعلم والسلوك وصفاته التربوية ، وقدرته وقوته وحزمه وعزمه فى سائر الأمور الإدارية والشخصية ، وفى كل ما تولى من مناصب ، وما أسند إليه من وظائف .

لكن أرانى قد أطلتُ على القارىء .. فأعتذر إليه عن الاختصار حسبما تقتضى المساحة ، والله من وراء القصد والله المعين .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

علامات حسن الخلق

جمع بعضهم علاماتْ حسن الخلق فقال :

هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا صبورا شكورا رضيا حليما ، رفيقا عفيفا شفيقا ، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ، ولا حسودا .

بشاشا ، هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ، ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق .

يروى أن قيل لعيسى ــ عليه السلام ــ من ادبك قال : ما أدبنى أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته .

مقابلة الإساءة بالعفو

كان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته فكتب إليه الصلاح وزيره مستشفعا :

من شرط صاحب مصر أن يكون كما
قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته
ساءوا فقابلهم بالعفو وافتقروا
فبرهم وتولاهم برحمته

مراتب العطاء

مراتب العطاء ثلاث : سخاء وجود وإيثار .

فالسخاء : اعطاء الأقل وإمساك الأكثر .

والجود : إعطاء الأكثر وإمساك الأقل .

والإيثار : إعطاء الكل من غير إمساك لشيء .

وهذا أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح وأولاها ، فإن إيثار المرء غيره على نفسه أفضل من إيثار نفسه على غيره وكفى بهذه الخلة شرفا مدح

الله ــ تعالى ــ أهلها فى قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ » الحشر ــ ٩ .

نصيحة

الدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

غض الطرف

مرت أعرابية بقوم من بنى نُمَيْر ، فأداموا النظر إليها ، فقالت : يا بنى نُمير ، والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين : لا بقول الله ــ تعالى ــ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ سورة النور

ولا بقول جرير :

فغض الطرف إنك من نُمير
فَلَا لَعْباً بَلَغنَ وَلَا كِلَابَا

فاستحيا القوم من كلامهما وأطرفوا .

الغربة

لاتركن إلى الفراق
فإنه مر المزاق

والشمس عند غروبها
تَصْفَرُّ من ألم الفراق

«صلاح الدنيا وصلاح الآخرة

صلاح الآخرة بِخلَّةٍ واحدة هى : التقوى وصلاح الدنيا بثلاث : العافية والغنى والعمر .

«حقــا»

إذا استخار العبد ربه ، واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ، ويقضى الله فى أمره ما أحب .

الذكرى الطيبة

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه
فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر

فقد أبلت الأيام كعبا وحاتما
وذكرهما غض جديد إلى الحشر

دعاء

اللهم لبابك قصدنا ، وقبولك أردنا وعلى رحمتك وفضلك وجودك اعتمدنا وإلى عزك استندنا ،وفى مرضاتك اجتهدنا ، وبهدايتك استرشدنا .

الشعر والشعراء
تقديم الأستاذ
رشاد يوسف

الأزهر وشيخه

صغها من النسمات الطهر ياقلمى ... ومن عبير الروابى الخضر والنغم
وانظم روائعها الغراء مقتبسا ... من الصباح لآلى الشعر فى كلمى
صغها وحىِّ بها فى صرح مكرمة ... ذوى الفضائل والآداب والشمم
أشاوس نجُب غر قد اجتمعوا ... فى مجلس بُعرى الإخلاص منتظم
من كل أروع وضاح الجبين إذا ... دعى إلى الحق لم يحجم ولم يجم
أعلام مجد لهذا الدين قد وهبوا ... حياتهم دون مامن ولاسأم
تتابعت فى حمى مصر لهم همم ... كما تتابع قطر المزن والدِّيم
فسل يُجبك من الأعمال أنجُبها ... فها هنا برزت وضائه الحكم
وها هو الأزهر المغوار واسطة ... العقد الثمين حليف المجد والشيم
وقلبه النابض المحموم عالمنا ... فخر المنابر جاد الحق ذو الكرم
حقاً أقول وقول الحق محمدة ... لايعشق السيف إلا دارع وكمى
ما همه كسب أموال ولاغرض ... يغدو ويمرح فى بهو من النعم
وكيف يرضى بحال أو يطيب له ... عيش وشمل المعالى غير ملتئم
الأرض تطفح بالأهوال مثقلة ... بالجور مفعمة بالعار والوصم

شعر / حمود محمد شرف الدين (*)

هتك وفتك وتشريد وغطرسة ... وشدة وضلالات وسفك دم
وهذه أمة الإسلام قاطبة ... ثكلى تأن وتشكو شدة الألم
قد أثقلتها هموم لم تدع نفساً ... منها .. يحرك منها ميت الهمم
ولو تأملت ماضينا بكيت دما ... وذاب قلبك مرتاعاً من الندم
كنا نجوم فخار فى سماء علا ... سُدْنا الأنام لمجد باذخ العظم
وإن يكن أمل يحدو بنا فلنا ... فى الأزهر الفذّ ما يشفى من الألم
فإنهم لرجالات البيان فكم ... قد أيقظوا من سبات الجهل كل عمى
وكم دعوا لجهاد فيه سؤددنا ... ومن يكن فى ضمان الله لم يُضم
أخلاقهم ومساعيهم وسؤددهم ... شواهد تتحدى كل متهم
فقد مشوا قدما والحق رائدهم ... وبالعزيمة يسمو المرء بالهمم
ياأيها الفقيه الحر الكريم من ... تهوى الحقيقة لاالتهويم بالحُلم
لقد نظمت الدرارى فيكم فغدت ... عقد بجيد المعالى غير منفصم
فلا برحتم لهذا الجيل أجنحة ... بها يحلق فوق الشهب فى شمم
من ينصر الله حقا لم يهن أبداً ... وكان من حومة الأخطار فى سلم

(*) من الدعاة والشعراء الأفارقة . وقد كتب هذه القصيدة بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع للمجلس العالمى للدعوة والإغاثة الذى عقد فى القاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

جبال المغ

من أساطير القُدامَى   أو خيال الخَنْدَرِيسِ
قد قرأنا وسمعنا   عن جبال المغنطيس
خلف بحر الظلمات   الهائج الموج العَبُوس
إن دنا منها سفين   ضَلَّ من حظ تعيس
صار فى الأمواج أشلاء   تخلَّتْ عن نفوس

* * *

قالت الأحداث هذا   واقع يبدو لِوَاعٍ
مغنطيس الناس أوروبا   تُخفِّى فى قناع
كم شعوبٍ مزقتها   باحتيال، وخداع
بعد أن حازت جَنَاها   خلفتها فى صراع
كل شعب داهمته   غاص فى قاع الضياع

* * *

لكن الأدهى شعوب   قد تَرَدَّتْ فى حفائرْ
من حماقات وجهل   أو ذبول فى الضمائر
تحسب التخييل جسرا   فيه يمضى كل عابر
وتظن السَّمَّ شهدا   فاض من نبل المشاعر
هكذا الصياد يصطاد   الحَبَارَى والجآذر

* * *

لا يزال الشرق نحو الغرب   فى سكر انجذابِ
قد تَلَهَّى بقشور   ليس فيها غير صَاب
ذاهلا - فى لوثة التقليد -   عن حلو اللباب
نازعا فى غير وَعْيٍ   عنه محبوك الثياب
يا له من فارس قد   صار يمشى فى الركاب

* * *

قال مفتون غبِىٌّ   يحسب العرفان لهوا
فى رحاب الغرب روض   فيه للمحروم جَدْوَى
حين يدنو منه شعب   من معين العلم يَرْوَى
قلت إن الشارد المفتون   بالتدليس يَغْوَى
ليت ما قد قال حق   ليس أوهاما ودعوى

نطيس

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

كم من البعثات قضَّتْ   فى رحاب الغرب عمرا
ثم عادت بعد أن حازت   من العرفان صفرا
إن علم الغرب يبقى   فى يد الغربيِّ حِكرا
والذى للشرق يُرْجَى   كُنْهُهُ مازال سرا
كى يظل الشرق سوقا   فيه غَثُّ الصنع يُشرى

* * *

أيها الشرق قلِّب   فى تراث الغابرينا
من جدود فى قديم الدهر   قد ساسوا القرونا
تلف فيه كل أصل   لعلوم الحاضرينا
ضمه الإفرنج حتى   صار عملاقا رصينا
حين صرت اليوم   لاهيا فى الغافلينا

* * *

نحن نلهو فى غياب الوعى   بالغث الحقيرِ
نستطيب الهزل عند الجد   كالطفل الغرير
نحن نمشى كالحَيَارَى   بين أسراب النسور
ونجيد القول لا الأفعال   فى كل الأمور
ونعادى فى حمانا   كل كشاف بصير !

* * *

منذ أحقاب عجاف   يفرض الغرب الوصايَة
وادعى فى خبث أفعى   أنه يبغى الرِّعاية
مِن تَرَقٍّ ، وازدهار   وعلوم ، وحماية
إذ بهذا الشرق يُلقى   فى دياجير العمايه
ذاك يا مُغْتَرُّ بعض   من تفاصيل الجناية !

* * *

ثروة فى الشرق تطغى   كل ذى باس وتغرِى
من نضار عند نفط   عند أثمار ودَرِّ
فى بطون الغرب غابت   باحتيال أو بقهر
ما تَبَقَّى لذويها   بامتهان غير نذر
لا يغيث الجَلَّ منهم   من مجاعات وفقر

وَصيّةُ أمٍّ عربيّة

للشاعرة : جليلة رضا

بُنـــــىَّ ! إذا أراد الله أن تحيــــا بدُنيانــــــا
وشبَّ على الرُّبَـــى عُودُك مزْهُــــوًّا وفينانــــا
تعلَّمْ ـ قبــل بدء العيــش ـ كيــف تعيــش إنسانــا
وقسِّمْ قلـــبك الــــواسع للأحيــاء .. أكوانــــا
فكُـــنْ نهراً إذا وَرَدُوا .. وإنْ رحَلُـــوا .. فُشطآنـــا
وإنْ فضحـــتْك أعْـــينهم .. فكـــن للنـــاس أجفانـــا
وكُنْ لى فى غدِى طِفْلِى ـ وإنْ أصبْـحتَ سُلْطانـــا !
فإن الأمَّ لا تنسى الــذى فِى المهــد .. قد كانـــا ..

* * *

فيـــا حلمـــى ، ويـــا أملى ، ويـــا إشراقـــىِ الـــذاتى
تذكَّرْ لم .. ربما الذكرى .. تفيـــدك فى المُلمَّـــات :
بأن دَم العروبـــــة فيك يسْرِى فى الحَنَّيــــــات
وأنك غايـــــة كبرى .. ونحن قضاءُ غايـــــات
.. فإنَّـــا قد بذرْنـــا الوغْـــىَ فى دُنيـــا الهدايـــا
ومهّدْنـــــا طريـــــق الغـــــد فى ظِل المساواة
فثـــبِّتْ حقّك المردودَ .. فى ضوْء الكرامـــــات
وعِشْ حُرًّا .. ومُتْ حرا .. تُؤمِّـــنْ فجـــرك الآتى ..!

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية وأن تخالط الرجال وتشاركهم الأعمال ؟

للأستاذ / محمد فريد وجدي

(رحمه الله)

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

ما أعظم شأن المرأة فى الإسلام ، فقد نالت فى ظله من الحقوق ما لم تنله المرأة فى أى عصر من العصور ، أو أية شريعة من الشرائع السابقة ، ولعل من أهم الحقوق التى حظيت بها المرأة فى ظل الإسلام « حق التعليم » ، فطلب العلم فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولكن ما هو نوع « التعليم » الذى ينبغى أن يتوفر للمرأة ، وإذا انتقلنا إلى « حق العمل » فما هى ضوابط العمل الذى تزاوله بالنظر إلى وظيفتها الطبيعية والاجتماعية فى الحياة ، من الحمل والوضع والتربية .

هذا ما يجيب عنه المقال الذى بين أيدينا واضعين فى اعتبارنا مكانة المرأة الشرقية وما ترتبط به من أعراف وتقاليد تختلف بالضرورة عن مكانة المرأة الغربية ، وهى إجابة نسوقها ردا على من يطمسون معالم الحق ويعملون على إخراج المرأة المسلمة عن طبيعتها وقيمها وواقع مجتمعها تشبها بالمرأة الغربية .

يقول الأستاذ : .

كتب إلينا كاتب فاضل يقول : يرغب بعض الشبان اليوم أن تتعلم المرأة المصرية العلوم المالية ، وأن تخالط الرجل وتشاركه فى الحياة العملية ، زعما منهم أن فى هذه المخالطة والمشاركة فائدة لها وللمجتمع ، ويرى غيرهم أن ليس لها ذلك ، فهل لكم أن تبينوا الحق فى هذه القضية من النواحى الاجتماعية والأدبية والدينية ؟ .

ونحن نجيب حضرته بأن الإسلام لم يضع للنشاط العقلى للمرأة حدا ، فأباح لها أن تتوسع فى العلوم ما أمكنها الفرص من ذلك ، وما ساعدها

عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبث علمها فى الناس ، ولم يحظر على الرجل الأخذ عنها ، بل روى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يريد عائشة أم المؤمنين . وقد روت ما رأته من سنته ، وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذه عنها الرجل ، وكانوا يقصدونها ليستزيدزها علما . وما كانت هى تضن عليهم بذلك .

ورويت لغيرها من نسائه – صلى الله عليه وسلم – أحاديث كثيرة أخذها عنهن المسلمون وعملوا بها .

واشتهر فى التابعين نساء أخذن العلم وبرعن فيه ، منهن : ابنة (سعيد بن المسيب) ، ومما روى منها أنها لما تزوجت وبكر زوجها خارجا ، سألته أين يذهب ؟ فقال لها إلى حلقة أبيك سعيد . قالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

فالمسلمون فى الصدر الأول لم يروا بأسا من أن تتلقى المرأة العلوم العالية . فلما استبحر العلم فيهم ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأسا فى تلقى المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إلى درجة الاجتهاد وجوز بعضهم أن تلى القضاء ، وأن تفتى المسلمين .

وقد دل تاريخ المسلمين فى جميع أدوارهم أن نساء بلغن درجات عالية فى الأدب وسائر العلوم ، ولم يوجد من أنكر ذلك عليهن على أى وجه من الوجوه .

أما مشاركتها الرجل فى أعماله الخارجية ، فإن الفطرة المجردة والعلوم العصرية نفسها تنافيها ، وترى فيها خطرا عظيما على المجتمع .

فأما الفطرة فإنها تأبى أن ترى المرأة ، التى اختصها الخالق بمهمة تكثير النوع الإنسانى وتربيته ، تتكلف ، فوق ما تعانيه من المشاق ، مشاطرة الرجال أعمالهم المرهقة ، وأن تهجر دارها ساعات طويلة ، وأن تترك أولادها يهيمون على وجوههم فى الشاروع والأزقة وهم فى أشد الحاجة إلى حمايتها ورعايتها .

هذا أمر تأباه مجرد الفطرة ، لذلك ألهم الناس من أقدم عهودهم أن يضنوا بنسائهم عن الأعمال الخارجية ، وأن يقصروهن على الحياة الداخلية ، اللهم إلا همجا متوحشين يعيشون بجوار الغابات الأفريقية والاسترالية ، فيجلس رجالهم لا يعملون شيئا ويسرحون نساءهم ليجلبن لهم ما يتسنى لهن جلبه من جذور الأشجار وأوراقها ، وما يصطدنه من بعض الحيوانات الصغيرة ليقتاتوا بها ، كما تفعل الوحوش الضارية ، فهؤلاء لا يقام لهم وزن ، ولا يعبأ بهم فى استدلال .

وأما العلم فقد قال كلمته الأخيرة فى هذا الموضوع ، ولا يزال أقطابه يرددونها فى كل مناسبة ، وإنا نؤتى القارىء خلاصة من ذلك مستخرجة من كتاب « النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الوضعية » للفيلسوف الكبير **« أجوست كومت » الفرنسى، واضع تلك** الفلسفة ومؤسس علم الاجتماع ، قال : « ينبغى أن تكون حياة المرأة بيتية ، وأن لا تكلف بأعمال الرجال ، لأن ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية ، ويفسد مواهبها الفطرية ، وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملا ماديا ، كما ينفقون على الكتاب والشعراء والفلاسفة ، فإذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لإنتاج ثمرات قرائحهم ، كذلك

يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية : من حمل ووضع وتربية ، ومن جهة أخرى فإنه لو سمح للنساء ، على ضعفهن ، أن يشتغلن خارج بيوتهن ، تعرضن لمنافسة قوية من جانب الرجال ، فلا ينلن بجانبهم إلا الحثالة التى يعفون عنها ، فيقمن فى الفاقة ولا يجدن القوت إلا تبلغا . بل الضرر الفادح الذى يحيق بمجتمعاتهن من جراء خروجهن على نظام الطبيعة ، وعصيانهن لنواميس الحياة الصحيحة » .

هذا رأى العلم الحق ، أما ما يكتب ضده وينقله عنهم المفتنون بالمظاهر منا ، فهو رأى جمهرة من قصصيين وكتاب إباحيين يسوغون للمرأةأن تخرج على مقتضى الفطرة ، ويخدعون السطحيين من القراء عن الحقائق العلمية ، وغرضهم فى ذلك ترويج كتاباتهم بدعوى تجديد الحياة الاجتماعية ، والخروج مما رث وبلى من التقاليد الوراثية .

وقد أثرت هذه الكتابات فى أوربا والشرق بسبب أن الناس ميالون إلى قراءة الأقاصيص ، والكتابات السطحية التى توافق غرائزهم الشهوانية ، فتكون رأى عام على أصالة هذه النظرية ، فاندفع الناس فى تحقيقها اندفاعا جنونيا ، فهجر النساء الدور وأقبلوا على الأعمال الخارجية ، وكان من أثر هذا الاختلاط ذيوع عادات لا تتفق والحياة الصالحة ، كانت شرا مستطيرا على الزواج المشروع ، فكثر الأخدان والخدينات ، وطمت العلاقات الخائنة بين الجنسين ، وشاعت العزوبة بين الشبان ، وأصبح التبرج المخالف للذوق السليم عادة مألوفة ، واستهتر الناس فى ذلك حتى أصبحوا يرون أن بروز النساء نصف عاريات ضرب من ضروب الأناقة ، ووجه من وجوه الظرف ، وحتى صار مما يروقهم أن تصور لهم الجرائد اليومية التى يقرءونها صور الخليعات المتهتكات فيصرفوا فى التأمل فيها وقتا ثمينا ، ويدعوها لأبنائهم وبناتهم غير خاشين أن ذلك يؤثر فى آدابهم تأثيرا شنيعا .

ولكن الإنسان متى اعتاد شيئا وألفه ترقى فيه وأبلغه إلى أقصى أطواره ، فانتهى أمره بأن لا يقنع بالعرى النصفى ، فأوجد العرى الكامل فى بعض المسارح التى يتردد عليها ، فهل وقف به التطور فى الخنا إلى هذا الحد ؟ لا ، ولكنه أبى إلا أن يبلغ به إلى ما بعده ، فابتكر مبدأ العرى فى الأحوال العادية لا على المسرح فحسب ، وأسس أندية له فى أكبر عواصم بلاد المدينة يجتمع فيها رجال ونساء ، فيتجردون من ثيابهم ويمضون ساعات طويلة على تلك الحالة فى محاصرات والعاب رياضية ، وما تجر إليه من ضروب المنكرات ، ثم يلبس كل منهم ثيابه ويعود إلى بيته .

نعم إن الحكومات تضيق الخناق على هذه الأندية ، وتطارد أصحابها ، ولكنها عاجزة عن ملاشاتها ، وهى تزيد انتشارا يوما فيوما .

أفتظن أن تطورات الإنسان فى هذا الباب تقف عند هذا الحد ؟ اللهم لا ، إلا إذا حدث ما ليس فى الحسبان من حدوث قوارع جائحة ، ومثلات ماحقة ، يقتضيها هذا العمل الحيوانى البحت ، فيرد أصحابه عنه صاغرين :

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

سورة الروم

هذا ولو دقق الباحث فى شئون العالم ، وشخص علل المجتمعات العصرية تشخيصا علميا دقيقا ، لرأى أن أكثر ما تشكو منه هذه المجتمعات من تدهور أدبى ، وتعقد اجتماعى ، واضطراب مالى ، منشؤه تسامحها فى تهتك النسوة ، وتركها حيالهن على غواربهن .

نعم إن من غرائز المرأة التصون ، ولكن الرجل لا يفتأ يخدعها بالمسولات والمغريات ، ليميت هذه الغريزة فيها ، ويطوح بها إلى ميدان الإباحة ، وقد أنجح فى إغوائها إلى حد بعيد ، فهى اليوم تتبع خطواته ، ولكنه قد بدأ يتبرم بها ، حتى إن أشد المولعين بفتنها أخذ يشهر بتهتكها ، ويبنى أقاصيصه على إغراقها فى تبذلها .

وقد خسرت المرأة من استسلامها لهذه الآراء الضالة كل مميزاتها ، ولم تستعض عنها شيئا مما وعدها به مضللوها .

كانت المرأة ممنعة فى سُتر من العزة ، فأصبحت بهذا التهتك مبتذلة . والتهتك فى حقيقته مبالغة فى عَرض النفس ، وكل معروض مهان كما لا يخفى ، والإضراب عن الزواج مظهر من مظاهر هذا الهوان . فكأن المرأة بكثرة عرضها نفسها على الرجال قد فقدت أعز شيء عليها وهو عرشها .

وكانت المرأة فى الدار حاجة من حاجات النفس ، يسكن إليها الرجل ليروِّح عن نفسه ، فأصبح الرجال لكثرة اختلاطهم فى الحياة العملية بالنساء يتطلبون وقتا يخلون فيه لأنفسهم بعيدين عنهن ، فكرهوا الزواج ، وأرادوا أن تكون بيوتهم خلوا منهن ، لأنه لم يبق معنى لاستمرار العيش معهن خارجا وداخلا :

وكانت المرأة تُدخر لأداء أسمى مهمة فى العالم وهى تربية الصغار ، وتلقينهم مبادىء الآداب ، وأصول الأخلاق ، وقد أطنب الفلاسفة والمربون فى خطورة المدرسة البيتية ، فجُردت المرأة بتأثير هذه التعاليم الفاسدة من وظيفتها الشريفة ، وأسندت إليها وظائف مبيدة لكرامتها النسوية فى المراقص والمقاهى ودور التمثيل والسينما ، وتَستَّر الإباحيون وراء كلمة الفنون الجميلة ، فأحدثوا انقلابا خطيرا فى حياة المرأة ستجنى الإنسانية شروره أجيالا طويلة .

هنا يثور علينا ثائر فيرفع عقيرته قائلا : أنتم تريدون أن تسجنوا المرأة ، وأن تذلوها ، وأن تستغِلوا مواهبها ، وأن تسلبوها استقلالها ، وأن تجردوها من كل عمل تكسب به قوتها ، وتحتل به مكانها تحت الشمس .

كلمات جوفاء ! استخدمها هؤلاء الثائرون على نظام الطبيعة فى استدراج النساء إلى الحياة الإباحية ، ولا يزالون يستعملونها لستر خطيئتهم الفادحة . ولكن على مَن كل هذه الثرثرة ؟ أعلى أرفع الناس عقولا من الفلاسفة والاجتماعيين ، أم على الذين يرون بأعينهم المخازى التى جنوها على مجتمعاتهم وضاعت فيها حيل المصلحين ؟ .

إن الناس يشهدون اليوم تدهورا خلقيا ، وانحطاطا أدبيا ، لم ير تاريخ البشر له مثيلا ، فإذا كانت حياة النوع البشرى لا تقوم إلا بانغماسه فى هذه المقاذر ، فأهْونْ بها من حياة تموت معها جميع الغرائزْ الإنسانية الكريمة من الغيرة على العرض ، والحرصْ على الكرامة ، والترفع عن الفحشاء ، والتنزه عن النقيصة ! .

لو كان الإنسان خلق بهيما لعاش عيشة البهائم ، ولما ثار على هذه المقاذر ، ولكنه خلق

إنسانا ، فهو كما يشعر بشهوات جسمانية ، وأهواء نفسية ، كذلك يشعر بميزات معنوية لم يمنحها الحيوان ومنحها الإنسان ، لتصده عن النزوات البهيمية فالإنسان قد ينحط ، وينحط ، ويتغلغل فى الانحطاط إلى أبعد حد ، ولكنه لا يفقد مميزاته المعنوية مهما أراد أن يفقدها فلا تزال به حتى تريه تلك المقاذر على حقيقتها ، فيثور عليها ، ويدفعها عن نفسه فى شىء كثير من العنف والجبرية .

ودليلنا على هذا أن الإنسان كثيرا ما سقط فى مهاوى الرذيلة حتى ظُن أنه لن يخرج منها ، وأنها قتلت كل ما فيه من غرائز شريفة ، ولكنه لم يلبث أن نفضها عن عاتقه ، وخرج منها يتطلب الحياة الصحيحة . لو كان الأمر جاريا على غير هذه السنة لما رأيت للفضائل دولة فى الأرض بعد أن بلغت الرذيلة أقصى مداها فى أدوار كثيرة من حياة البشرية .

فأما ما يشنعون عليه من سجن المرأة وإذلالها ، وسلبها استقلالها ، فتلك صيحات يقصد بها التهويل ، وطمس معالم الحقائق ، وإلا فكيف يتخيل الناس أن قصر المرأة على مملكتها البيتية سجن وإذلال لها ؟ وهل يطالبها المصلحون المعاصرون بغير ذلك ؟ وإذا كان يفهم أن اشتغال الإنسان بما خلق له سجن له ، فكلنا إذاً مسجونون ، من أول المؤلف فى مكتبه إلى المُعَدِّن فى منجمه ، وإذا كان هذا يستقيم فى الفهم فلتُعتبر المرأة مسجونة كجميع أبناء نوعها ، إذ لا وجه لاستثنائها منهم .

أما استقلال المرأة فلا يعنى فى علم الاجتماع شيئا غير الشذوذ عن الروابط الاجتماعية ، فإن المرأة خلقت لتكون زوجة ، والزوجية تفرض على كلا الزوجين التزامات متبادلة ، فلا معنى للاستقلال هنا مع وجود هذا الترابط الوثيق بين الاثنين . ولكن لما كان القصصيون الذين لا شغل لهم إلا فى الكلام عن الحب والمحاولات الغرامية والخيانات الزوجية ، فهم يلوِّحون بهذا الاستقلال للمرأة ليسوِّغوا لها الخروج على الألتزامات الزوجية ، بل وعلى نظم الطبيعة نفسها ، وإذا كان مُملى النظم الاجتماعية هم الأدباء والقصصيون ، فعلى الاجتماع البشرى العفاء وسوء المنقلب .

ويقولون : أتريدون أن تجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها ؟ ونقول نحن : لا ، فإننا نريد أن تكسب المرأة قوتها من طريق الزوجية ، لأن الله خلق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يعتد به هنا تارة وهناك تارة أخرى ، ولكنكم أنتم بتسويلاتكم لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال ، قد عملتم من طريق غير مباشر على إشاعة العزوبة كما قدمنا ، وشيوع العزوبة يفضى إلى وجود جيوش من النسوة لا يجدن القوت ، فيضطرون للعمل مع الرجال . والعمل مع الرجال يزيدهم إغراقا فى العزوبة للأسباب التى لا تخفى على أحد . فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تذل فى العمل الخارجى نعم : هو إذلال لها أى إذلال : فإنها لم تخلق لتمتهن كبائعة أو كاتبة أو سائقة (أوتوموبيل) أو سمسارة أو حوذية الخ .. الخ .. ولكنها خلقت لتكون ربة بيت ، وأن هذا البيت لو كان كوخا حقيرا فهو أكرم لها ، وأحفظ لمميزاتها من أن تكون بائعة أو كاتبة أو سكرتيرة ..

ولسنا ننكر أن المجتمع مهما بلغ فى المحافظة على

النظام الطبيعى حيال النساء فسيوجد منهن من يعوزها الوقت ، ولكن عدد المعوزات يكون قليلا يمكن الحكومة الرشيدة من تدبير أعمال لهن تليق بكرامتهن .

ولكنكم أيها الثائرون لا يعنيكم قوت المرأة ، وإنما يعنيكم أن تجدوا بطلات لأقاصيصكم من المائيلات المميلات ، وما لكم والنساء العاملات التى تلفح وجوههن النار ؟ فليس مقصدكم المدافعة عن النساء ولكن إخراجهـــن من خدورهن ، وما إكثاركم من ذكر استقلالهن وحقوقهن إلا ستر لمبادئكم الإباحية .

وقد فطنت أوربا وأمريكا لما يبتنى على عمل المرأة وحريتها المفرطة واستقلالها من المضار على الشئون الاقتصادية ، فأخذ مصلحوها يضعون حدا لعملها الخارجى ، ويدعونها للدخول فى خدرها ، وقد أخذت هذه التحوطات شكلا عمليا فى كثير من الأمم الصناعية كالولايات المتحدة والمانيا وايطاليا ، ولابد من أن تبلغ أقصى غاياتها فى مستقبل ليس بالبعيد .

هنا يسوغ لى أن أرفع صوتى عاليا ، مؤكدا أن الفطرة الإنسانية الكريمة أحكم من أن تقع فى هذه الفخاخ الشيطانية ، فتدع هذه المدنية التى حصلتها ببذل جهود جبارة وفى قرون عديدة ، تنحل وتتلاشى تحت تأثير السبب نفسه الذى حل ولاشى المدنية الرومانية من قبل ، وهو تبرج النساء وطغيان الميول الإباحية . فإن عجز المصلحون عن قمع هذه الميول فليست هذه المدنية بأكرم على الله من المدنيات التى سبقتها ، فإنها تنوء تحت عللها القاتلة ، وتصبح كأن لم تكن شيئا مذكورا ، وتحل محلها مدنية يعرف أهلها كيف يحافظون على الحدود التى حدها المبدع الحكيم للخلق :

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ .

سورة الطلاق (١)

محمد فريد وجدى

المجلد السادس

١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م

العلوم الكونية

فى تاريخ الطب

فى الدولة الإسلامية

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

« إن الإسلام العظيم هو الذى صنع عقول أبناء دولة الإسلام وصبغهم بصبغة العلم الصحيح .. وفى العصر الذهبى للإسلام ، نجد أن المسلمين فتحوا قلوبهم وعقولهم للثقافات والحضارات المختلفة واستطاعوا أن يصهروها فى بوتقة الفكر الإسلامى الصحيح ، ليقدموا للإنسانية حضارة إسلامية فريدة رائعة قبلت كل فكر يتناسب مع عقيدتها ورفضت كل فكر يتعارض مع مبادىء العقيدة العظيمة » .

بهذه الكلمات التى جاءت فى مقدمة كتاب « فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية » حرص المؤلف(*) على تأكيد الدور الإسلامى فى تاريخ العلم والحضارة الإنسانية ، وأوضح أن هذه التسمية الموضوعية لعنوان الكتاب قد قصدها قصداً ؛ لكى يتحاشى سوء الفهم الذى ينشأ أحياناً من استخدام بعض الباحثين لمصطلحى « الطب الاسلامى » أو « الطب العربى » ، وكأن هناك طبًّا غير إسلامى ، أو طباً غير عربى .

ويرى صاحب التحليل أن المؤلف الكريم قد آثر السلامة منذ البداية بالابتعاد عن الجدل الذى أثار بعض المؤرخين والفلاسفة حول تعريف العرب والحضارة العربية ، وتعريف المسلمين والحضارة الإسلامية ، ومهما يكن من أمر هذا الجدل فإنه يصعب الفصل التام بين العالم العربى والعالم الإسلامى ، فالدولة الإسلامية الكبرى بدأت فى صدر الإسلام بالدولة العربية الإسلامية فى صورتها المركزية ، ثم قامت فى أمصار مختلفة فى الأندلس والمغرب ومصر وفارس وسوريا والهند وغيرها بعد سقوط السلطات المركزية ، وظلت اللغة العربية منتشرة بفضل الإسلام إلى اليوم بين الطوائف والشعوب التى لا تنتمى أصلًا إلى السلالات العربية ، أو تلك التى لازالت منتمية إلى الإسلام ، وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد

(*) د . عامر النجار ، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٤م .

قامت من الناحية المادية على ثروات الطبيعة التى امتلأت بها رقعتها الممتدة من الشرق إلى الغرب ، فى موقع يشمل جُلَّ الجزء المعمور من الأرض ، فإن هذه الموارد الطبيعية الكثيرة لم تكن لتقيم حضارة زاهرة لولا أن ظهر الإسلام الحنيف وامتدت تعاليمه ؛ لتشمل شعوباً كثيرة دخلت الإسلام واعتنقته ، كما شملت طوائف عدة ـ غير المسلمين ـ بقوا على أديانهم ومذاهبهم ، ولكنهم نعموا بعدل الإسلام وسماحته ، وتفاعلوا مع العنصر العربى الأصيل الذى قامت عليه الفتوحات الإسلامية فى بادىء الأمر ، وازدهرت الحركة العلمية فى العصر الإسلامى على أيدى نفر من العلماء والرواد ، منهم العربى ، والفارسى والأفغانى والتركى والأندلسى ، جمعتهم كلهم حضارة الإسلام واستظلوا برايته الخفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها . ومن ثم فإننا لا نجد مبرراً لأى حرج أو مشاحة فى استخدام مصطلحات من قبيل « العلم الإسلامى » ، أو « الطب الإسلامى » أو « الفلسفة الإسلامية » أو غيرها ، خاصة وأن الحضارة الإسلامية تتميز عن باقى الحضارات بنسبتها إلى الدين الإسلامى ، وليس إلى جنس بشرى بعينه على نحو ما نجد فى الحضارة الاغريقية والحضارة الفارسية والحضارة الأوربية وغيرها .

ولعل هذا كان من بين الأسباب التى جعلت بعض المستشرقين ـ لأسباب لم تعد خافية على أحد ـ يصرون على استخدام مصطلحات « العلم العربى » و « الطب العربى » و «الفلسفة العربية » وغيرها فى محاولة خبيثة من جانبهم للتهوين من شأن الإسلام وطمس دوره الرائد فى دفع مسيرة التقدم البشرى .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن محتويات الكتاب وأهم الموضوعات التى تناولها نجد فى المبحث الأول مدخلًا وافياً للحالة التى كان عليها الطب عند الفراعنة والبابليين والإغريق . ويأتى المبحث الثانى ليفصّل الحديث عن الطب فى الدولة الإسلامية ، ويبين كيف قضى الإسلام على الكهانة وأبطل المداواة بالسحر والشعوذة وفتح الباب على مصراعيه للطب الطبيعى على أساس علمى سليم ، ويوضح أن تطور المعارف الطبية مرّ بمرحلتين أساسيتين : الأولى : مرحلة الترجمة وتجميع حصيلة الحضارات المجاورة والسابقة ، وذلك منذ القرن الثانى الهجرى ، والثانية : تميَّزت بالأصالة والإنتاج الغزير ، وذلك منذ القرن الثالث الهجرى مع ازدهار العلم فى العصر العباسى الذهبى . أما مرحلة الترجمة فقد تناولها المبحث الثالث من الكتاب بشىء من التفصيل ، حيث كانت البداية على الأرجح فى عهد بنى أمية عندما استخدم الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان عدداً ممن يجيدون اليونانية فترجموا له بعض كتب الكيمياء والطب والفلك ، ويقال : أن حركة الترجمة الواسعة بدأت بترجمة العلم اليونانى إلى السريانية ، ثم إلى العربية ، والحقيقة أن العرب عندما فتحوا بلاد الفرس والشام وجدوا بها خزائن العلم اليونانى والرومانى والفارسى ، وأمر الخلفاء المهتمون بالعلم بنقل بعضها إلى العربية ، وما إن جاء عام ٩٠٠م حتى كانت كتب « أبقراط » و« جالينوس » مترجمة كلها إلى العربية .

ويعتقد المؤلف أن أهم بواعث الترجمة والنقل فى العصر الإسلامى هى رعاية الخلفاء العباسيين

للمترجمين ، فقد كان حنين بن إسحاق يتقاضى وزن الكتب التى يترجمها ذهباً . وكان بعض الخلفاء يحرصون على تنظيم الترجمة باعتبارها من أهم مقومات النهضة العلمية ، فقد أنشأ الخليفة المأمون بيت الحكمة ، وضمّ إليه المترجمين من للغة العربية وإتقانهم للغات الأجنبية التى ينقلون منها .

ومما تجدر الإشارة إليه من جانبنا فى هذا المجال أن الدراسة المتأنية لعملية الترجمة فى العصر الإسلامى يمكن أن نفيد منها فى حاضرنا وبخاصة فيما يتعلق ببعض جوانبها المنهجية . فقد كان حنين بن إسحق يُصلح من ترجمات الكثير من مترجمى عصره ، بل إنه لم يتردد فى أن ينتقد بعض ترجماته الخاصة ، وسجّل فى رسالة إلى على بن يحيى ما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس ، كما أن أمهات الكتب قد حظيت بأكثر من ترجمة ، مثل كتاب « الأصول » لأقليدس الذى نقله الحجاج بن مطر مرتين ، ونقله ــ أيضاً ــ إسحق بن حنين ، وأصلحه ثابت بن قرة .

وأما مرحلة الابتكار والإنتاج الغزير فى العصر الذهبى للطب فقد خصص لها المبحث الرابع الذى يشغل وحده أكثر من ثلثى الكتاب ، ويتضمن العديد من الأمثلة التى تؤكد ريادة أطباء المسلمين فى الأخذ بالأساليب العلمية ، والاهتمام بتحضير الأدوية لعلاج الأمراض . واختار المؤلف عدداً من علماء المسلمين كممثلين لعصر ازدهار الطب فى الدولة الإسلامية هم : أبو بكر الرازى وعلى ابن العباس المجوسى وابن سينا وابن النفيس ، من علماء المشرق ، وأبو القاسم الزهراوى وابن جُلجل وابن زهر من أطباء الأندلس . ويُحمد للمؤلف حرصه الشديد على إبراز المنهجية العلمية لدى علماء المسلمين وجهده الواضح فى انتقاء الانجازات التى تؤكد هذه المنهجية باعتبارها من أهم ملامح العلم الإسلامى .

فلقد رفع أبو بكر الرازى من شأن العقل واعتبره من أعظم نعم الله على الإنسان ، وقال فى كتابه « الطب الروحانى » : « إن البارى ــ عز وجل ــ إنما أعطانا العقل لنبلغ بعه المنافع العاجلة والآجلة ، فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق .. وبالعقل أدركنا ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ... وبه نلنا الطب الذى فيه الكثير من المصالح لأجسادنا .. وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا الخفية المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظمة الشمس والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها ، وبه وصلنا إلى معرفة البارى ــ جل وعز ــ الذى هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أحببنا ... » .

وكان الرازى فى الوقت نفسه يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربة فى علاج المرض ، فهو يقول : « من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه فى علاج الأمراض ، بعد المعرفة الكاملة للصناعة ، حسن مساءلة العليل ، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله » .

والطبيب الممارس أفضل عند الرازى ممّن عرف الطب النظرى عن طريق الكتب فقط ، فهو يقول أيضاً : « إن من قرأ الكتب ثم زاول المرض يستفيد من التجربة كثيراً ... والمجرّب أكثر نفعاً فى صناعة الطب من العارى عن الخدمة والتجربة البحتة » . بل إن الرازى يعتبر أن التجربة علم له أصول وقواعد ، ويجب على الممارس إحكام

أصولها ، وكان يقوم بإجراء بعض التجارب على الحيوانات كالقردة ، وفى بعض الأحيان كان يجرب بعض المواد والعقاقير على نفسه ، وكانت له تجارب معملية وكيميائية هامة ، وهو أول من جعل الكيمياء فى خدمة الطب واستحضر الكثير من المواد المفيدة للمداواة .

أما الشيخ الرئيس ابن سينا فقد حرص على أن يعرض مضمون منهجه العلمى فى مقدمة كتابه « القانون » بقوله : « رأيت أن أتكلم أولًا فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمى الطب ، أعنى القسم النظرى والقسم العملى ، ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم جزئياتها ، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو : أبتدىء أولًا بتشريح ذلك العضو ومنفعته ، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى ... فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولًا فى أكثرها ـ أيضاً ـ على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله ، ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية ، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية »[1] . وقد اشتهر كتاب القانون فى الطب لابن سينا شهرة عظيمة فى بلاد الغرب إبان عصر النهضة الأوربية الحديثة ، وطبع ترجمته كاملًا إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر ، هذا بالإضافة إلى الطبعات العديدة التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه .

وينضم إلى كوكبة أطباء الملمين أبوالقاسم خلف بن عباس الزهراوى القرطبى ، الملقب بفخر الجراحة العربية ، ويعتبر كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » أكبر مؤلفاته وأشهرها ، فهو موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءاً ومزودة بأكثر من مائتى شكل للأدوات والآلات الجراحية التى كان يستخدمها ومعظمها من ابتكاره .

وأسهم باقى أطباء المسلمين بدرجات متفاوتة فى تعميق البحث الطبى التجريبى والتأليف فى العلوم الطبية والصيدلية بمنهجية واعية ارتقت بالعقل الإسلامى إلى سماء المعرفة الرفيعة .

وأخيراً ، ذيَّل المؤلف كتابه القيم بملحق لبردية « إدوين سميث » فى الجراحة ، اعتبرها أقدم رسالة علمية فى العالم ، قدم فيها طبيب مصرى قديم وصفاً لثمان وأربعين حالة مرضية ، ويرجع تاريخها على الأرجح إلى عهد بناة الأهرام ، أى حوالى ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ق. م. ويمكن لمن يقرأ هذه الرسالة ويقارنها مثلًا بكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوى ، أن يقف على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الطب فى عصر الحضارة الإسلامية .

والكتاب بصورة إجمالية يعتبر إضافة هامة للمعرفة بتراثنا العلمى ودعوة إلى التعامل مع هذا التراث بمنهج تحليلى مقارن يؤكد مكانته فى تاريخ العلم والحضارة هذا .

وبالله التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) راجع فى ذلك مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م ص ١٧٠ وما بعدها .

بعض استخدامات الليزر فى طب العيون

د . السيد يحيى الزيات(*)

طب العيون كان أول فرع من فروع الطب التى استخدمت وتوسعت فى علاجه باستخدام الليزر منذ اكتشافه ، فهو يستخدم بنجاح تام فى علاج حالات الأنفصال الشبكى والمركز البصرى للشبكية دون المساس بالأنسجة المحيطة بمكان الجراحة. ويستخدم لعلاج أمراض الجفون والملتحمة وعلاج الأكياس الدهنية بالجفون وبعض حالات الرمد الربيعى والحبيبى دون ترك تشوهات تذكر . وأيضاً يستخدم فى تشخيص وعلاج المياه البيضاء (الكتاراكت) والمياه الزرقاء (الجلوكوما) . وكذلك يستخدم فى تشخيص وتصحيح قصر وطول النظر والاستجماتيزم . وتستخدم بعض الظواهر مثل : البقع الضوئية والتداخل الضوئى والهولوجرافى بواسطة أشعة الليزر لقياس بعض ثوابت العين مثل تكور سطحى القرنية ومعامل انكسارها وطول محور العين وطبوغرافية السطح الأمامى للقرنية وسطح الشبكية وحالة العصب البصرى .

ومن أهم أنواع الليزر المستخدمة فى طب العيون : ليزر الأرجون المتأين المستمر ، وليزر الكربيتون المتأين ، وكلاهما يسبب تأثيرات حرارية موضعية تستخدم لعمل تجلط أو تخثر فى الأنسجة . كذلك يستخدم ليزر نيودميوم ـ ياج ، لقطع الأعضاء الداخلية فى العين ويستخدم كذلك ليزر ثانى أكسيد الكربون ، وليزر الأيريديوم ـ ياج ، لعمل تأثير حرارى سريع ليحول النسيج الحى إلى حالة غازية أو كربونية ، أيضا يستخدم ليزر الأكزيمر لاستئصال جزء من نسيج القرنية لعلاج حالات قصر وطول النظر والاستجماتيزم وكذلك لأزالة عتامات القرنية .

وفى هذه المقالة وصف مبسط لتركيب العين والليزر بصفة عامة واستخداماته فى علاج بعض أمراض العيون .

تركيب العين البشرية

العين البشرية كروية الشكل تقريبا ، ويبلغ طول قطرها حوالى ٢٤ ملليمتر ويتكون جدار

(*) الكاتب : مدرس البصريات / قسم الفيزياء ، كلية العلوم ـ جامعة عين شمس .

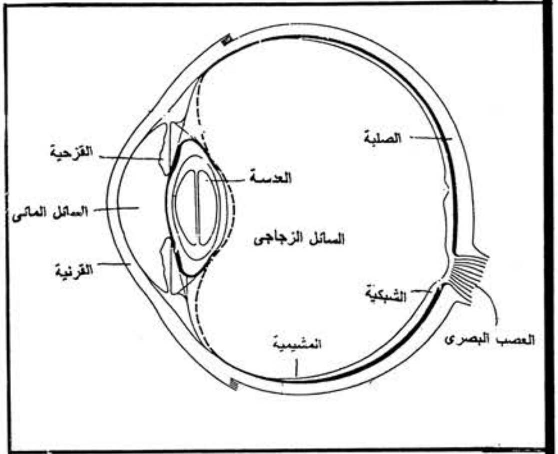

رسم تخطيطى لمقطع فى عين إنسان
يوضح مكوناتها

العين الخارجى من : جزء أمامى شفاف ـ يبلغ مقدار مساحته خمس مساحة الجدار الخارجى للعين ـ هو القرنية ، وجزء خلفى أبيض ـ يبلغ مقدار مساحته أربعة أخماس مساحة الجدار الخارجى للعين ـ هو الصلبة وتعتبر طبقة حامية لمكونات العين . وتبعا لمسار الأشعة الضوئية التى تدخل العين فإن مكونات العين هى كما يلى :

١ ـ القرنية

القرنية عبارة عن نسيج شفاف ذو شكل كروى محدب ويتكون من خمس طبقات مختلفة ، يبلغ سمكه عند المركز حوالى نصف ميلليمتر وعند الأطراف حوالى واحد ميلليمتر . نصف قطر تكور السطح الأمامى للقرنية حوالى ٧,٨ ميلليمتر ، والسطح الخلفى حوالى ٦,٨ ميلليمتر ، وقيمة معامل انكسار القرنية هو ١,٣٧٦ . ويحمى السطح الأمامى للقرنية من الجفاف طبقة شفافة من السائل الدمعى سمكها حوالى ٦ ـ ١٠ ميكرون . وتساهم القرنية بمفردها بحوالى ٦٠ ـ ٧٠ ٪ من القوة البصرية للعين .

تنفذ من خلال القرنية أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر وهى تشمل مدى طيف الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء . بينما تمتص أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ١٠٠ إلى ٣١٥ نانوميتر ويقع فى مدى طيف الأشعة فوق البنفسجية ، وتمتص أيضاً الأشعة ذات المدى الطيفى أكبر من ٢٠٠٠ نانوميتر ويقع فى مدى الأشعة تحت الحمراء .

ب ـ الغرفة الأمامية

الغرفة الأمامية تلاصق القرنية وتحتوى على : سائل مائى شفاف معامل انكساره ١,٣٣ ، ويساهم فى حفظ الضغط داخل العين وكفلتر حرارى لامتصاص الأشعة تحت الحمراء ، ولأمداد القرنية بالسكريات اللازمة لعملية الاحتراق وأيضا لتصريف الفضلات . وتنفذ الأشعة المرئية من خلال السائل المائى دون امتصاص .

ج ـ القزحية

القزحية تقع خلف الغرفة الأمامية وهى قرص مستدير ملون ، وتتدرج الوانه من اللون الأخضر إلى اللون الأسود ، ويوجد فى منتصفه فتحة دائرية لدخول الضوء ، هى : الحدقة . وتحتوى القزحية على عضلات دائرية وقطرية تتحكم فى اتساع الحدقة والذى يتغير من ٢ ميلليمتر فى حالة الإضاءة العالية إلى ٨ ميلليمتر فى حالة الإضاءة الخافتة . وبالتالى فإن القزحية عن طريق اتساع أو

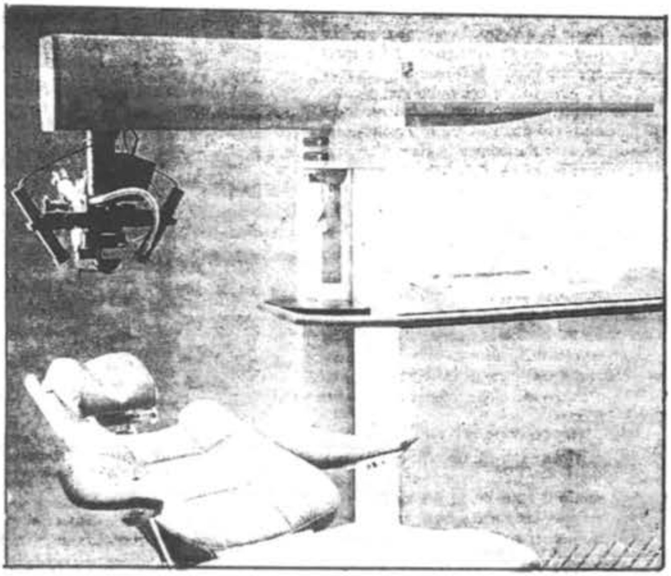

جهاز ليزر
إكزيمر
لعلاج
أمراض القرنية

ضيق فتحة الحدقة تتحكم فى كمية الإضاءة التى تدخل العين ، وكذلك تعمل على زيادة العمق البؤرى للصور المتكونة على الشبكية .

د ـ الغرفة الخلفية

الغرفة الخلفية تقع خلف القزحية وتمتلىء بسائل مائى شفاف له نفس الخصائص والفوائد كالسائل المائى الموجود فى الغرفة الأمامية .

هـ ـ العدسة

تقع العدسة وهى بللورية شفافة بعد الغرفة الخلفية مباشرة ، وتتكون من حوالى ٢٢٠٠٠ طبقة رقيقة تنتظم معا داخل محفظة مطاطية كانتظام قشور البصلة . يبلغ نصف قطر تكور السطح الأمامى للعدسة حوالى ١٠ ميلليمتر والسطح الخلفى حوالى ٦ ميلليمترات ، ومعامل انكسار مادة العدسة يتروواح من ١,٤٠٦ عند منتصفها إلى ١,٣٨٦ عند محيطها . تعلق العدسة فى مكانها بواسطة أربطة تمتد من الجسم الهدبى إلى محفظة العدسة . والجسم الهدبى وظيفته إفراز السائل المائى والتحكم فى شكل العدسة ليتغير بالتالى بعدها البؤرى وذلك لتسمح بالرؤية على مسافات مختلفة .

تنفذ من خلال العدسة الأشعة الضوئية فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر وهى تشمل : مدى طيف الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء . بينما تمتص أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ٣١٥ إلى ٤٠٠ نانوميتر ويقع فى مدى طيف الأشعة فوق البنفسجية .

و ـ السائل الزجاجى

السائل الزجاجى يقع خلف العدسة مباشرة وهو سائل جيلاتينى شفاف ذا قوام هلامى معامل انكساره يساوى ١,٣٣٦ ، ويملأ الفراغ الموجود بين العدسة والشبكية ، ويساهم فى حفظ ضغط العين وشكلها الكروى .

يمتص السائل الزجاجى الأشعة فى المدى

الطيفى من ٨٦٠ إلى ١٣٥٠ نانوميتر وتقع فى مدى طيف الأشعة تحت الحمراء ، بينما تنفذ الأشعة فى مدى الطيف المنظور .

ز ـ الشبكية

تقع الشبكية بعد السائل الزجاجى ، وهى الطبقة الحساسة للعين والتى تتكون عليها الصور المرئية . تتكون الشبكية من عشر طبقات من الخلايا المعقدة ، ويتراوح سمكها من واحد إلى اثنين ميلليمتر .

أحد أهم طبقات الشبكية هى طبقة المستقبلات الضوئية وهى عبارة عن خلايا مخروطية وخلايا عمدانية تستقبل ومضات الضوء لتتحول فى النهاية إلى تيارات كهربية تصل للمخ . يبلغ عدد الخلايا المخروطية حوالى ٦ مليون خلية ، طول الخلية ٥٠ ميكرون وقطرها ٣,٥ ميكرون ، وتستجيب للضوء الساطع فقط وأيضاً تحس بالألوان المختلفة وتمييز الأشياء الدقيقة . بينما يبلغ عدد الخلايا العمدانية حوالى ١٥٠ مليون خلية ، طول الخلية ٦٠ ميكرون وقطرها ٢ ميكرون ، وهى تستجيب للضوء الخافت فقط وتشعر بحركة الأجسام . ويلاحظ أن الخلايا العمدانية تتصل جماعيا بالألياف العصبية بينما تتصل بها الخلايا المخروطية فرادى ، ثم تتجمع الألياف العصبية وتكوِن العصب البصرى الذى يتصل بالمخ .

تمتص الشبكية التى تقع فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر ، وهى تشمل : الضوء المنظور والأشعة تحت الحمراء .

ح ـ المشيمية

المشيمية هى الطبقة الملاصقة للشبكية ، وتتكون من نسيج اسفنجى سمكه ٢٥٠ ميكرون ، وتحتوى على أوعية دموية تساهم فى تغذية العين وحفظ درجة حرارتها ثابتة . وتمتص المشيمية الأشعة المرئية وتحت الحمراء .

ط ـ الصلبة

الصلبة هى الجدار الخارجى الصلب ذو اللون الأبيض للعين ، ويبلغ سمكه حوالى واحد ميلليمتر ، ويحمى المكونات الداخلية للعين ويحافظ على شكلها الكروى وثبات الضغط بداخلها عند ضغط ١٠ مم زئبق .

تعمل كلا من القرنية والعدسة على تكوين صور مقلوبة على الشبكية للأجسام الموجودة أمام العين . ثم يتم تحويل هذه الصور داخل الشبكية إلى نبضات كهربية تمر عبر العصب البصرى إلى المخ لتحليلها وفهمها . عند حدوث خلل ما فى مسار الأشعة الضوئية داخل المكونات المختلفة للعين ، فإنه سوف يؤثر على جودة الصورة المتكونة على الشبكية وبالتالى على فهمها وتحليلها .

٢ ـ الليزر

الليزر هو تكبير وتضخيم لشدة الأشعة الضوئية بواسطة الانبعاث المستحث لهذه الأشعة . هذه الأشعة تسير فى الفراغ كموجات كهرومغناطيسية ذات تغيرات دورية فى كل من مجاليها الكهربى والمغناطيسى . ولقد تم الحصول على أشعة ليزر فى منطقة الطيف المرئى ، ومنطقة الأشعة تحت الحمراء ، ومنطقة الأشعة فوق البنفسجية .

تتميز أشعة الليزر عن الأشعة التى تنبعث من المصادر التقليدية بما يلى :

أ ـ توحد الاتجاه والترابط بين كميات الطاقة

(الفوتونات) المكونة لأشعة الليزر .

ب ـ تركيز الشدة الضوئية داخل شعاع الليزر ، فعدد الفوتونات لكل ثانية أكبر ملايين المرات وتوزيعها الفراغى مكثف من مثيلاتها فى الشعاع العادى .

ج ـ فقد الشدة الضوئية لشعاع الليزر ببطء عند البعد عن مركزه ، والانفراج الضئيل للشعاع عند البعد عن مصدره .

د ـ النقاء الطيفى من ناحية الطول الموجى أو التردد ، فعرض خط طيف الليزر عند طول موجى معين يكون أقل بحوالى مليون مرة من مثيله المنبعث من مصدر تقليدى .

يتركب أى جهاز ليزر ، من ثلاث مكونات رئيسية : هى مادة الليزر ومصدر للطاقة ومكبر للأشعة . وفى أبسط صوره يتكون جهاز الليزر من تجويف محصور بين مرآتين مستويتين أو كريتين (مكبر الأشعة) ، واحدة منهما تعكس جميع الأشعة الساقطة عليها ، والأخرى تعكس جزءا كبيرا من الأشعة وتنفذ الجزء الباق . يملأ التجويف عادة بمادة (الليزر) ذات مواصفات فيزيائية معينة ويمكن أن تكون صلبة أو سائلة أو غازية . هذه المادة يمكن إثارتها إلى مستويات طاقة عليا ، لفترة زمنية محددة ، ليحدث ما يسمى التعاكس السكانى ، أى أن عدد ذرات المادة المثارة أكبر من عدد الذرات غير المثارة. بعد فترة زمنية محددة تعود الذرات المثارة إلى وضعها الطبيعى ، والطاقة الزائدة والتى تمثل الفرق بين الحالة المثارة والحالة الطبيعية تنبعث على هيئة فوتونات . هذه الفوتونات تؤثر على الذرات المثارة الأخرى لتنطلق فوتونات جديدة وتساهم فى زيادة الشدة الضوئية للأشعة . ونظرا لوجود المرآتين على طرفى التجويف ، فإن الأشعة تنعكس منهما وتردد بينهما عديد من المرات ، محدثة أثارة لذرات أكثر لتتولد فوتونات أكثر . أى أنه يحدث فى التجويف تفاعل تسلسلى من تولد فوتونات لتثير ذرات لتتولد فوتونات وهكذا . ولأن إحدى المرآتين تنفذ جزء من الأشعة الساقطة عليها ، فإنه يخرج منها أشعة لها نفس الطول الموجى وذات قوة وتركيز شديدين . مصدر أثارة ذرات المادة التى تملأ التجويف ليحدث فيها تعاكس سكانى ، يكون عن طريق ضخ ضوئى أو اثارة بالالكترونات أو عن طريق تصادم بين الذرات أو تفاعلات كيمائية .

٣ ـ الليزر وعلاج بعض أمراض العيون

يلاحظ أن مكونات العين المختلفة تسمح بنفاذ الأشعة الضوئية فى المدى الطيفى من ٣٨٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر . ويمكن استخدام أشعة الليزر المنبعثة فى هذا المدى الطيفى لعلاج المناطق الداخلية فى العين والتى تمتص هذه الأشعة ، وذلك عن طريق إرسال أشعة الليزر من خلال حدقة العين . يلاحظ أيضاً أن الأشعة ذات المدى الطيفى أقل من ٣٨٠ نانوميتر والتى تقع فى منطقة الأشعة فوق البنفسجية تمتص خلال القرنية والعدسة . بينما الأشعة ذات المدى الطيفى أكبر من ١٤٠٠ نانوميتر والواقعة فى منطقة الأشعة تحت الحمراء تمتص بواسطة الماء الموجود بنسبة ٧٠ ٪ فى خلايا أنسجة العين .

عند سقوط أشعة ليزر بطول موجى مناسب على أنسجة ، فإنه يحدث فيها إثارة الكترونية أو تأين أو تكسير للروابط الكيمائية . الطاقة

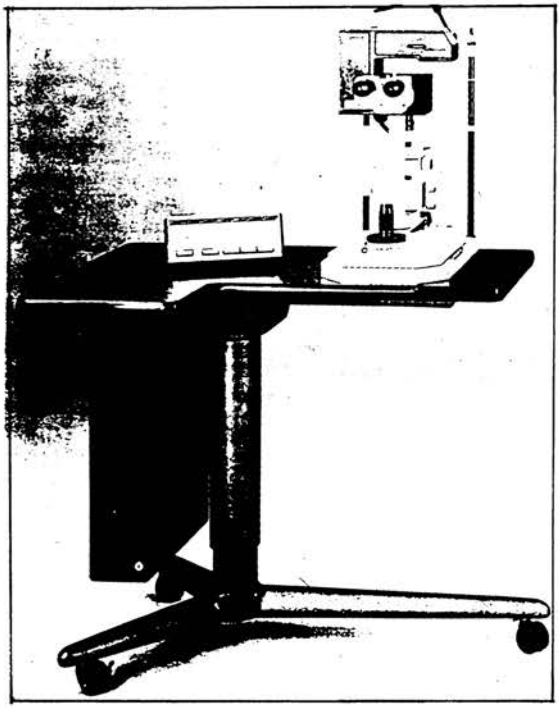

جهاز ليزر نيودميوم
لعلاج المياه الزرقاء

الأشعاعية لفوتونات الأشعة الساقطة تمتص بواسطة الجزئيات المكونة للنسيج الحى وتتحول إلى حرارة . هذه الحرارة تعتمد على طاقة الليزر والطول الموجى للأشعة الساقطة وزمن تعرض النسيج للأشعة . عند زيادة حرارة النسيج بحيث تكون أقل من ١٠٠ درجة مئوية ، فإنه يحدث تكسير لروابط ذرات الهيدروجين ، ونتيجة لذلك يتوقف تكوُّن البروتين ويقل النشاط البيولوجى وفى النهاية يؤدى إلى موت الخلايا الحية . عند استخدام أشعة ليزر ذات مدى طيفى معين وزمن تعريض محدد ، نجد أن معدل زيادة الحرارة فى النسيج طرديا مع طاقة أشعة الليزر المستخدمة . بزيادة طاقة أشعة الليزر الساقطة تزيد درجة حرارة النسيج مما يؤدى فى النهاية إلى تحويله إلى حالة غازية .

بدأ استخدام أشعة الليزر فى علاج بعض أمراض العيون منذ ما يقرب من ثلاثة عقود . ففى عام ١٩٦٨م بدأ استخدام ليزر الأرجون لعلاج أمراض الشبكية الناشئة عن مرض السكر المتقدم . وفى عام ١٩٧٠م بدأ استخدام ليزر الكريبتون المتأين عند طول موجى ٥٦٨ نانوميتر ، حيث إن له تأثيرات حرارية موضعية . أيضاً تم استخدام ليزر نيودميوم ـ ياج عند طول موجى ١٠٦٤ نانوميتر فى قطع وتمزيق الأعضاء الداخلية للعين . كما تم استخدام ليزر ثانى أكسيد الكربون عند طول موجى ١٠٦٠ نانوميتر لما له من تاثير حرارى كبير .

فى عام ١٩٨١م بدأ استخدام ليزر الصبغة لعلاج الانفصال الشبكى وإعادة لصق الشبكية بالجدار الخلفى للعين . ونظرا لأن ليزر الصبغة تنبعث فى منطقة الطيف المنظور وبقوة عالية ، فإنها مازالت

تستخدم حتى الآن . عند وجود شعيرات دموية ترشح أو تنزف على الشبكية ، فإن الليزر يستخدم لكيّ هذه الشعيرات ، وبالتالى يؤدى إلى توقف الرشح أو النزيف . وفى حالة انفصال الشبكية عن الجدار الخلفى للعين ، فإن الليزر يستخدم لعمل ما بين ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ليزرى بعمق ٥٠٠ ميكرون ، وذلك حول محيط الشبكية ، مما يؤدى إلى إعادة التصاقها بالجدار الخلفى للعين .

كذلك يتم استعمال الليزر لقطع الأحزمة الليفية التى توجد بالجسم الزجاجى لتخليص الشبكية من الشد الواقع عليها لتعود إلى مكانها ويسهل لحمها . أيضا تم استخدام الليزر لتفتيت العدسة المعتمة (المياه البيضاء) إلى أجزاء صغيرة يتم سحبها من خلال عمل فتحة صغيرة بالعين . وأيضاً يتم استخدام بعد جراحات المياه البيضاء وذلك لإزالة الغشاء الخلفى لعدسة العين .

فى حالة المياه الزرقاء (الجلوكوما) والتى تكون عبارة عن زيادة فى ضغط العين عن المعدل الطبيعى والذى يتراوح بين ١٥ ـ ٢٥ ميلليمتر زئبق . وهذه الزيادة فى الضغط تكون نتيجة لزيادة محتويات العين الداخلية من سوائل كالسائل المائى والدم أو أجسام كالعدسة والجسم الزجاجى . والسائل المائى عادة يخرج من الجسم الهدبى ليملأ الغرفة الخلفية ثم ينفذ من الحدقة ليملأ الغرفة الأمامية ثم يتسرب خارج العين من خلال الفتحات الموجودة فى زاوية العين الطرفية ، أو عن طريق سطح القزحية الأمامى ليمر بأنسجتها إلى الجسم الهدبى . فى حالة الجلوكوما ضيقة الزواية ، والتى يوجد فيها إعاقة لسريان السائل المائى من الغرفة الخلفية للغرفة الأمامية ، فإنه يتم عمل فتحة فى القزحية بواسطة ليزر الأرجون ، وذلك لتصريف السائل المائى . بينما فى حالة الجلوكوما مفتوحة الزوأية ، فإنه يتم عمل فتحة بواسطة ليزر الأرجون وذلك فى القنوات الموجودة بالجزء الداخلى للعين لتصريف السائل المائى . فى بعض الأحيان يتم عمل كى للجسم الهذبى وذلك ليقلل من إفرازه للسائل المائى .

تم أيضاً استخدام الليزر فى علاج المركز البصرى للشبكية وعلاج الأكياس الدهنية بالجفون وعلاج الملتحمة .

وحاليا يتم استخدام ليزر الاكزيمر بنجاح لعلاج قصر النظر وطول النظر والاستجماتيزم وذلك عن طريق إزالة جزء من نسيج القرنية ، وبالتالى تغيير القوة البصرية للعين .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن زيادة تكسر كرات الدم الحمراء

أنيميا البحر المتوسط

- ٢ -

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

بدانا الحديث فى مقالنا السابق . عن مرض . أنيميا البحر المتوسط . وهو أكثر أنواع فقر الدم عند الأطفال شيوعا . ولقد قمنا بإلقاء الضوء على ماهية المرض . وسبب حدوثه . وأعراضه . واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض بإلقاء الضوء على أهم مضاعفاته .

● وتتلخص أهم مضاعفات هذا المرض الوبيل فيما يلى :

١) تأخر النمو الجسمانى للطفل Growth Retardation :

حيث يقل معدل نمو الطفل الجسمانى (خصوصاً فى الطول والوزن) عن المعدل الطبيعى ويرجع ذلك للأسباب التالية :

● قلة الأوكسجين المزمنة Hypoxia ، نظراً لحدوث فقر الدم المزمن ، حيث إن الأوكسجين يكون متحداً مع الهيموجلوبين ، الذى تقل نسبته عن المعدل الطبيعى .

« ماجستير فى طب الأطفال »

● ترسب الحديد ـ المتصاعد من خلايا الدم الحمراء ، المتكسرة ـ فى كبد الطفل : Haemosiderosis وبالتالى ، تقل مادة السوماتوميدين Somatomedin اللازمة لنمو الطفل :

● كما يترسب الحديد ـ أيضاً ـ فى الغُدَّة تحت المهاد Hypotha lamus والغدة النخامية Pituitary gland وبالتالى ، تقل نسبة هرمون النمو Growth Hormone .

***

٢) تأخر البلوغ الجنسى للطفل : Pubertal Retardation

حيث يتأخر البلوغ الجنسي للطفل عن المعدل الطبيعى ، نتيجة للأسباب الآتية :

● نقص الأوكسجين المزمن .

● **ترسّب الحديد فى غُدَد الطفل الصمّاء** : Endocrine glands ، التى تقوم بإفراز الهرمونات ، التى تؤدى إلى حدوث البلوغ الجنسى للطفل .

٣) إصابة الطفل بالكسور العظمية : Pathological Fractures ، نظراً لتمدُّد النخاع العظمى ، كى يقوم بتصنيع كرات الدم الحمراء ؛ بمعدل سريع ، لتعويض كرات الدم الحمراء المتكسرة .

٤) قد يُصاب الطفل بالداء السكرى diabetes Mellitus ، نظراً لترسب الحديد فى بنكرياس الطفل ، ونظراً لأن جلدا الطفل يكون داكن اللون ، يسمى هذا (بمرض السكر البرونزى) Bronzed diabetes .

٥) إصابة قلب الطفل : نظراً للأسباب الآتية :

● ترسّب الحديد فى قلب الطفل ، وقد يؤدى هذا إلى حدوث الآتى :

* التهاب الغشاء الخارجى المحيط بالقلب : Pericarditis .

* اضطراب فى نبضات القلب : Dysrrhythmia

* التهاب عضلة القلب : Myocarditis

● حدوث هبوط فى القلب : Heart Failure وذلك للأسباب الآتية :

● ترسب الحديد فى قلب الطفل ، مؤدياً إلى التهاب عضلة القلب ، واضطراب انتظام بنضاته .

* حدوث فقر دم شديد .

* التهاب عضلة القلب نتيجة لإصابة الطفل بالالتهابات المتكررة نظراً لقلة مناعة جسم الطفل المريض .

٦) زيادة نشاط طحال الطفل Hypers Spleenism ويؤدى هذا إلى تكسر جميع خلايا الدم وهى :

● **كرات الدم الحمراء** : وبالتالى يزداد فقر الدم ، ويزداد الطفل شحوباً .

● **كرات الدم البيضاء** : ويؤدى هذا إلى إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة ، خصوصا الالتهاب الرئوى ، والتهاب عضلة القلب .

● **الصفائح الدموية** : ويؤدى هذا إلى حدوث النزف خارجياً من الفتحات (الأنف والفم ، وفى البــول ومـــن الشرج) أو تحت الجلـــد : Purpura ، وأيضاً داخليـــــاً : internal Haemorrhaga ويؤدى هذا النزف إلى زيادة فقر الدم ، ويؤدى النزف الداخلى إلى مضاعفات عديدة ، وفقا لمكان حدوثه ، وعلى سبيل المثال ، إذا حدث هذا النزف داخل مخ الطفل ، فقد يؤدى هذا إلى حدوث إعاقات للطفل ، حسب مكان النزف ، وقد تكون تلك الإعاقات دائمة ، كما قد يُودِى هذا بحياة الطفل .

٧) إصابة الطفل بالالتهابات المتكـررة : inter current infections ويحدث هذا نتيجـــة للأسباب الآتية :

● قلة نشاط الجهاز المناعى الليمفاوى الخلوى : depressed cellular immunity

● قلة إفراز مادة الأوبسونين : Opsonin التى تساعد فى عملية التهام البكتريا ، حيث تحيط بها ، وتساعد فى عملية التهامها .

● قلة عدد كرات الدم البيضاء ، حيث يزداد معدل تكسرها فى طحال الطفل ، وحيث يزداد نشاطه .

● إصابة قلب الطفل ، قد تؤدى إلى حدوث هبوط فى القلب ، وبالتالى إصابة الطفل بالالتهاب الرئوى المتكرر Bromcho Pneumonia .

● تمدد النخاع العظمى لعظام وجه الطفل ، ويؤدى إلى إصابة الطفل بالتهاب الجيوب الأنفية المتكرر : Recurrent Sinusitis .

°°°

وقد تكون هذه الالتهابات (خصوصاً الالتهاب الرئوى والتهاب بعضلة القلب) شديدة الوطأة ، ويصعب علاجها وقد يُودِى هذا بحياة الطفل .

٨) نظراً لترسب الحديد فى كبد الطفل ، قد يؤدى هذا إلى حدوث تليـف كبـدى : Nodulay Cirrhosis of the Liver وقد يؤدى هذا ـ فى المراحل المتقدمة من المرض ـ إلى حدوث فشل كبدى : Liver Cell Failure .

٩) وقد يترسب الحديد ـ أيضاً ـ فى كلى الطفل المريض ، وقد يؤدى هذا ـ فى المراحل المتقدمة من المرض ـ إلى حدوث فشل كلوى : Renal Failure ومن هنـا يتـخلى لنـا أن هذا المرض الوبيـــل ، يصيب معظـــم أجهـــزة الجسم ، بمضاعفات خطيرة ، قد تودى بحياة الطفل .

وسوف نستكمل حديثنا عن أنيميا البحر المتوسط فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى ـ بإلقاء الضوء على وسائل تشخيص المرض ، والعلاج الأمثل له .

«وَيخلق مَا لاتعلمونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ نجوى السيد أحمد (*)

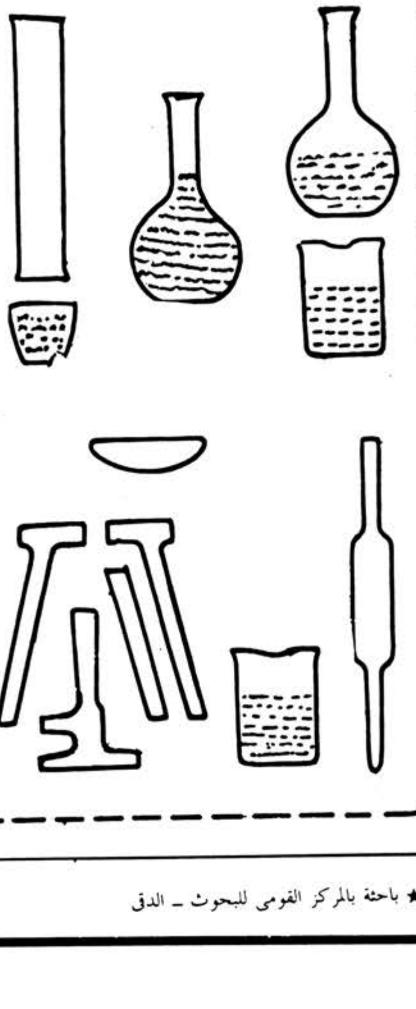

سيارة تعمل كطائرة عمودية

ابتكر أستاذ أمريكى فى هندسة الطيران بجامعة كاليفورنيا سيارة تستطيع أن تقلع عمودياً لتشق طريقها فى الهواء ، على ارتفاع يصل إلى تسعة آلاف قدم وتعمل بواسطة ثمانية محركات داخلية الاحتراق ، بقوة مائة وخمسين حصاناً ، وحركة المرور الجوى لهذه السيارة لن تكون كقيادة السيارة على الطريق ، بل سيكون على قائد السيارة أن يسجل وجهته على جهاز « كمبيوتر » أمامه وبالتالى يفتح له الممر الجوى الالكترونى ، ويمده بمعلومات عن السرعة والمسافة الأمينة بينه وبين السيارات الأخرى .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

الخلايا الضوئية لتشغيل الحاسب الآلى

اخترع باحث أمريكى حاسباً آلياً يعمل بالخلايا الضوئية بدلًا من استخدام التيار الكهربائى فى تشغيله ، وتقوم هذه الخلايا بمهمة نقل المعلومات داخل الحاسب الآلى الجديد ، وتتميز بسرعة نقل المعلومات حيث تبلغ ألف ضعف مثيلتها فى أجهزة الحاسب الآلى العادية والتى تعمل بالكهرباء .

آله جديدة لتنظيف القصب

طور العلماء فى مجال الهندسة الزراعية بالهند آلة جديدة لتسهيل عملية تنظيف وفرز عيدان القصب ، دون الاعتماد على العمالة اليدوية ، وتتكون الآلة الجديدة من وحدة تنظيف ووحدة إدخال ، وتحتوى وحدة التنظيف على اسطوانة وثلاثة أعمدة دوارة وجهاز دفع هوائى يقوم بتوجيه أطراف الأوراق إلى داخل خزانة لتقليمها ، أما وحدة الإدخال فيوجد بها نظام إدخال سفلى وتوجيه علوى ، وهى تحمل عيدان القصب إلى أعمدة التنقية حيث يتم تقليم الأوراق وتقشير عيدان القصب وتنظيفها .

ثلاجة لتحسين كفاءة الحاسب الآلى

طورت شركة الطاقة الشمسية الأمريكية ثلاجة مصغرة لوضعها داخل الحاسب الآلى الشخصى ، حيث إن مكونات الأجهزة الإلكترونية تعمل بشكل أفضل وبصورة أسرع عند تبريدها ، والثلاجة الجديدة تستخدم محركاً شمسياً دواراً للتبريد دون استخدام الغاز المبرد .

دراسة جديدة لمحاولة تخفيض تكاليف الطاقة

يدرس عدد من العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية بعض المواد المبردة تبريداً شديداً والتى لا يمكن زيادة برودتها إلى ما بعد درجة معينة يطلقون عليها اسم « الصفر المطلق » وهو ما يعادل ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر ، حيث إن المواد التى تصل إلى مثل هذه البرود الفائقة تفقد مقاومتها لتدفق التيار الكهربائى عبرها ، ورغم أن ذراتها تتحرك إلا أن حركتها تكاد تكون معدومة .

ويحاول العلماء تبريد السليكون والهيليوم ورقائق معدنية كرقائق الفضة والبلاتين لمعرفة كيف تفقد المواد المبردة تبريداً شديداً مقاومتها للتيار الكهربائى ، حيث يمكن أن تساعدهم فى تخفيض تكاليف الطاقة تخفيضاً كبيراً .

جهاز إلكترونى لتمييز الروائح

تم ابتكار جهاز إلكترونى مزود بعدة شرائح من مادة حساسة مصنوعة من « البوليمرات » الموصلة للكهرباء والتى تتفاعل مع جزيئات الروائح بإظهار تغيرات طفيفة فى التوصيل الكهربائى . يستخدم الجهاز الجديد فى الكشف عن مكونات العطور والتمييز بينها ، ويجرى تطويره حالياً للإفادة منه فى تشخيص الأمراض ، فقد أوضحت الأبحاث العلمية حديثاً أن المصابين ببعض الأمراض كالسكر وسرطان الرئة ، تنبعث منهم روائح خاصة مميزة .

لصقة طبية جديدة لعلاج الآلام

اخترع الأطباء الأمريكيون لصقة طبية جديدة للقضاء على الآلام ، وتوضع على الجلد وتحمل دواء له تأثير قوى مسكن للآلام ، وتتميز هذه اللصقة بسهولة استعمالها ويستمر أثرها الدوائى لمدة ٧٢ ساعة فى حين تتطلب الأدوية الأخرى التى تقضى على الآلام تعاطياً مستمراً عدة مرات فى اليوم .

الشعاب المرجانية لعلاج العظام

نجح علماء المعهد الوطنى الفرنسى للبحوث فى باريس فى إجراء عمليات لاستبدال العظام وإصلاح الكسور المتعددة فى الأطراف والعمود الفقرى والفكين باستخدام الشعاب المرجانية بديلاً للعظام البشرية ، وحققت هذه العمليات نجاحاً كبيراً فى فرنسا ، ويقوم الجراحون البريطانيون الآن بمحاولات لاستخدام نفس الأسلوب .

أهمية عنصر الزنك لجسم الإنسان

أكد علماء أمريكيون أن نقصان أو زيادة عنصر الزنك فى جسم الإنسان يتسبب فى حدوث اضطرابات فى الجسم . وجد العلماء أن انخفاضاً قليلًا فى مقدار الزنك ينقص من وزن الرجال وبالنسبة للمرأة يسبب تشوهات خطيرة فى المواليد ، كما أكد العلماء أن نقص عنصر الزنك يؤدى إلى فقدان حاسة الشم أو التذوق ، ويقلل من قوة الإبصار ، وأوضح العلماء أن زيادة عنصر الزنك فى جسم الإنسان يصيبه باضطراب فى المعدة وارتفاع درجة حرارة الجسم وفقر الدم الحاد وضعف العضلات وتلف الأعصاب . ويساعد وجود الزنك فى الجسم بصورة طبيعية جهاز المناعة ـ الذى يقاوم الأمراض ـ لأن خلايا الدم البيضاء بحاجة إلى هذا العنصر لكى تؤدى وظيفتها . ويوجد الزنك بكثرة فى اللحوم والبيض والسمك واللبن ومنتجات الحبوب .

بكتريا لإزالة مخلفات المتفجرات

نجح فريق من الباحثين فى برلين فى تطوير سلالة من « البكتريا » تستطيع أن تلتهم المتفجرات ، وسيتم استخدام هذه الميكروبات فى إزالة التلوث الذى أصاب التربة المتضررة من إنتاج الأسلحة والأنشطة العسكرية الأخرى وتقوم هذه السلالات الجديدة من « البكتريا » بتحليل مادة المتفجرات من خلال تحطيم النيتروجين المركب الموجود فى جزىء المواد المتفجرة وتحويل النيتروجين الناتج إلى مخصب طبيعى للتربة .

اللغة والنقد
والأدب

موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم

للأستاذ : صلاح موسى البربرى

● موقف الكسائى :

إن الكسائى يفسح المجال للقراءات واللغات الشاذة ، فيقف عند بعض القراءات ويقيم قاعدة عليها ومن ذلك :

١ ـ أنه يجيز العطف بالرفع على اسم (إن) المنصوب قبل تمام الخبر ، مستدلا بقوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ . سورة المائدة

ويمنع البصريون ذلك ، ويوجهون الآية توجيها أخر ، ويتوقف القراء عند النص ويخصص هذا الحكم بما يماثل الآية فيما لا يظهر فيه عمل (إن) مثل المبنيات .

٢ ـ ويعتمد الكسائى على قراءة سعيد بن جبير :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

سورة الأعراف ـ آية : ١٩٤

فيضع قاعدة عامة ؛ وهى أن (إنْ) النافية إذا دخلت على الجملة الأسمية عملت عمل (ليس) فترفع الأسم وتصب الخبر وقد تابعه المبرد فى ذلك .

٣ ـ ويقرر الكسائى : أن اسم الفاعل يعمل النصب ، وهو بمعنى الماضى ، أو بمعنى الحال أو الاستقبال مستدلا بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ .

سورة الكهف ـ آية : ١٨

● موقف ابن مالك :

اتجه ابن مالك إلى التعويل على اللفظ الواحد الذى ظاهره جواز ما يمنعه النحويون ؛ فيعول عليه بالجواز ومخالفة الأئمة .

وابن مالك لاشتغاله باللغة والقراءات والحديث كان له مذهب ينفرد به بين كبار النحويين ، فهو يستمد شواهده أولا من القرآن الكريم ، فإن لم يجد عدل إلى الحديث الشريف ، فإن لم يجد فمن أشعار العرب وكلامهم .

● موقف الكوفيين والبصريين :

مما سبق تبين لنا أن علماء العربية قد اختلفوا فى الاستشهاد بالقراءات فقد كان قوم من النحاة يعيبون على « عاصم وحمزة وابن عامر » قراءات بعيدة فى العربية وينسبونها إلى اللحن مع ثبوت هذه القراءات بالأسانيد الصحيحة ، وثبوت ذلك دليل على جوازه فى العربية كما يرى السيوطى الذى اعتبر كل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية ، سواء كان متواترا ، أم آحاداً ، أم شاذاً ، فالاستشهاد بالقراءات المتواترة غير المخالفة للقياس سار عليه البصريون ، كما سار عليه الكوفيون ، أما الاحتجاج بالقراءات الشاذة والقياس عليها واعتبارها أصلا من أصول الاستشهاد ، فهو ليس من منهج البصريين ، لأنهم لم يحتجوا بقراءة إلا إذا كانت موافقة لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة ، فإن خالفتها ردوها .

فى حين كانت القراءات مصدرا من مصادر النحو الكوفى ، وفى ذلك يقول الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه « مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو » .

والقراءات مصدر هام من مصادر النحـــو الكوفى .

ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية وأخضعوهـــا لأصولهم وأقيستهم ، فما وافق منها أصولهم ولو بالتأويل قبلوه ، وما خالفها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشذوذ ، كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها .

فالكوفيون يأخذون بالقـــراءات السبـــع وبغيرهـــا من القـــراءات ، يحتجـــون بها فيما له نظير من العربية ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ، ويقيسون عليها فيجعلونها أصلا من أصولهم التى ينبون عليها القواعـــد والأحكام ، وهم إذا رجحوا القراءات التى يجتمع عليها القراء لا يرفضون غيرها ولا يغلطونها .

أما البصريون فعلى خلافهم كما وضحنا .. ومن أمثلة ذلك رفض البصريين الاحتجاج بقراءة ابن عامر : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٣٧

بنصب (أولادهم) وجر (شركائهم) وعدوها غلطا ، لأنه فصل بين المضاف والمضاف إليه ، وقالوا فيها إن هذه القراءة لا يسوغ الاحتجاج بها ، لأن الاحتجاج واقع على عدم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فى غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة ، وفى وقوع الاجماع على خلافه دليل على وَهْى القراءة ، أما الكوفيون فقد أخذوا بها وقاسوا عليها جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور .

● موقف بعض القراء والنحاة الآخرين :

(ا) بصفة عامة نالت القراءات عناية القراء والنحويين ، ملتمسين الاحتجاج لها ، معتمدين على قياس أو تخريج أو استشهاد ، حتى أصبح الاحتجاج للقراءات ميدانا للدراسة ، يراد به توثيق القراءات ونفى الشبهة عنها والشك فى سلامتها :

١ ـ فهذا ابن عباس يقرأ (ننشرها) بالنون المفتوحة والراء من قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾

سورة البقرة ـ آية : ٢٥٩

ويحتج لقراءاته بقوله ـ تعالى :

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ .

سورة عبس ـ آية : ٢٢

٢ ـ وهذا عاصم الجحدرى يقرأ :

﴿ مالك يوم الدين ﴾ .

سورة الفاتحة ـ آية : ٤

بغير ألف ويحتج على من قرأ (مالك) فيقول : يلزمه أن يقرأ :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾

سورة الناس ـ آية : ١ ، ٢ .

٣ ـ وهذا عيسى بن عمر يقرأ :

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ١٠

بنصب الطير ويقول : هو على النداء ، فهو يرجع القراءة لقياسه النحوى .

٤ ـ وهذا سيبويه يحتج لقراءة بالشعر ، فيقول

وأهل المدينة يقرأون :

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

سورة هود – آية : ١١١

يخففون وينصبون ، كما قالوا :

وصدر مشرق النحر كأنه ثدييه حقان

٥ – وفى كتاب معانى القرآن للفراء تخريج لاختلاف الأعراب واحتجاج لوجود هذا الاختلاف ، فمنها على سبيل المثال : أنه علق على قوله – تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ .

سورة يونس – آية : ٧١

بقوله : وقد قرأها الحسن البصرى (شركاؤكم) بالرفع ، كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم ، ولست أشتهيه لخلافه للكتاب .

(ب) لقد أصبح المجال أمام النحويين واسعا بعد أن جمع القراء القراءات المختلفة ، وبحثوا عن إسنادها ، فقاموا بدورهم بدراسة القراءات والاحتجاج لها مما ورد عن العرب :

١ – فكان أول من جمع القراءات وبحث عن سندها : هارون بن موسى الأعور ، عندما سمع بالبصرة وجوه القراءات .

٢ – كما ألف يعقوب بن إسحق الحضرمى كتابا سماه : (الجامع) جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن ، ونسب كل حرف إلى من قرأ به .

٣ – ثم كان أبوعبيدة القاسم بن سلام : أول إمام جمع القراءات فى كتاب ، وجعلها ما يقرب من خمس وعشرين قراءة مع القراءات السبعة .

٤ – فلما كان محمد بن يزيد المبرد ألف فيما ألف كتاب (احتجاج القراءة) .

٥ – كما هيأ أبو بكر بن مجاهد الأسباب لهذه الدراسة ، إذ جمع القراءات السبع فى كتاب .

٦ – ثم شرع بعده : أبومحمد بن السرى المعروف بابن السراج فى تصنيف كتاب فى الاحتجاج للقراءات التى جمعها ابن مجاهد ولكنه أنجز منه الفاتحة ، وآيتين من سورة البقرة :

٧ – ثم اتجه أبو على الفارسى لإنجاز ما لم يتمه شيخه فألف : (الحجة فى علل القراءات السبع) .

٨ – ثم جاء تلميذه ابن جنى فألف : (المحتسب فى تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها) وفيه يعلن : « ابن جنى » أن شواذ القراءات مساوية فى الفصاحة لغيرها من المجتمع عليه ، ويتولى فى كتابه هذا أيضا بيان وجوه القراءات ومطابقتها للعربية فى لهجاتها المتعددة .

(جـ) نخلص مما سبق إلى : أن بعض النحويين حاولوا أن يخضعوا النص القرآنى لقواعدهم ، وبلغت الجرأة ببعضهم إلى اتهام القراء الثقات باللحن إذا لم تستقم القراءة مع القاعدة ، وبعضهم كان رفيقا بالقراء فيقبل القراءة مع مخالفتها للقياس على أنها مقبوله فى هذا الحرف بعينه فلا يقاس عليها ، وفريق آخر أخضع القاعدة للنص القرآنى ، فيجيز ما وردت به القراءة صحيحة ، وعلى أية حال فالجمهور على جواز الاحتجاج بمتواتر القرآن وشاذة .

● مكانة النحو من مقاييس القراءة :

إن النحو – بوصفه علما من علوم العربية – احتل نصيبا فى مقاييس القراءة الصحيحة :

الأول : يقول مكى بن أبى طالب : إن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام : الأول : يقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهى :

(ا) أن ينقل عن الثقات إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – .

(ب) أن يكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعا .

(جـ) أن يكون موافقا لخط المصحف .

الثانى : ما صح نقله فى الآحاد وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يُقبل ولا يقرأ به .

الثالث : هو ما نقله ثقة أو نقله غير ثقة ، ولا وجه له فى العربية ، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف .

فمكى يجعل موافقة القراءة ولو بوجه للعربية شرطا لقبول القراءة ، بحيث لو كان الراوى ثقة والقراءة موافقة للرسم العثمانى ولكن لا وجه لها فى العربية فلا تقبل ، وبذلك يقدم اللغة على الراوى .

ولكن الدكتور محمد إبراهيم عبادة فى كتابه (عصور الاحتجاج فى النحو العربى) لا يؤيد هذا الرأى ـ وأنا معه ـ فيرفضه ويقول : ينبغى أن يكون عكس ذلك ، إذ تعتمد اللغة على الراوى الثقة ، فإذا ثبتت الثقة فى الراوى وجب أن نأخذ عنه القراءة ونستضىء بها فى إرساء قواعد اللغة .

(ب) أما ابن الجرزى : فقد وقف موقفا منصفا للقراء والنحويين ، فقد قال فى أول كتابه : « النشر : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة ـ التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، فهو هنا يرى أن صحة السند هى الأساس الأعظم والركن الأقوم ، فإذا خالفت القراءة اللغة ولا وجه لها فيها يكتفى بالحكم على القراءة بأنها ضعيفة .

(جـ) ويتفق أبوعمر والدانى مع ابن الجزرى فى ذلك فهو يقول فى كتابه « التيسير » : إذا ثبتت الرواية لم يردها قياس العربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها .

(د) أما موقف المتقدمين من هذه القضية فهو : إذا حدث أن ردت القراءة ـ قبل نشأة النحو ـ فالسبب الأول فى ردها مخالفتها لما سمع عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل من قرأ :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٣

بجر كلمة (رسول) وقد وجهه « عمر بن الخطاب » إلى الصواب ، ومثل ما سمعه « على بن أبى طالب » من أعرابى يقرأ :

﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ .

سورة الحاقة ـ آية : ٣٧

ومثل ما سُمع عن الحجاج بالرفع فى قوله ـ تعالى :

﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٢٤

إن السبب الحقيقى فى رفض تلك القراءات كما هو واضح أنها لم تسمع عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا سند لها ومن ثم يجب ردها .

أهم المراجـــع :

(١) المدارس النحويـة ، شوقى ضيـف ، دار المعارف .

(٢) عصور الاحتجاج فى النحو العربى ، د. محمد إبراهيم عبادة ، دار المعارف .

(٣) الشاهد فى أصول النحو فى كتاب سيبويه ، د. خديجة الحدينى .

ابن دريد

ومنهجه في جمهرة اللغة

٢٢٣ - ٣٢١

د . محمد رياض السيد كريم (*)

كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أثر نفيس من تراثنا اللغوى ، ومعجم فريد من معاجمنا اللغوية ، فهو نموذج لمدرسة بذاتها ، هى مدرسة التقليبات الهجائية[١] التى تعد مرحلة من مراحل تطور التأليف المعجمى ، وخطوة على درب ترقية المعجم العربى ، إذ لم يؤلف على نهجها سواه ، لذا فهو جدير بالبحث والدراسة ، وحقيق بإلقاء الضوء عليه ، حتى يستبين جهد أسلافنا من علماء اللغة القدامى فى ميدان البحث اللغوى والتأليف المعجمى .

ولنبدأ بالتعريف بصاحب الجمهرة[٢] .

ابن دريد

هو أبوبكر محمد بن الحسن دريد الأزدى ، ولد بالبصرة فى سكة صالح سنة (٢٢٣) ، فقد روى تلميذه الحسن بن عبدالله العسكرى[٣] أنه سمعه يقول : « ولدت بالبصرة سنة ثلاث

(*) الكاتب : استاذ مساعد / كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر .

(١) سيأتى بيان التقليبات الهجائية فى حديثنا عن المنهج .

(٢) يشيع إطلاق الجمهرة على جمهرة اللغة لابن دريد ، وهذا جائز ولا غبار عليه ، يقول عبدالقادر البغدادى فى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام (١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠) تعليقا على إطلاق الاصلاح على إصلاح المنطق لابن السكيت ، وهو مثل هذا : « قوله فى كتاب الإصلاح ، إن قلت اسم الكتاب إصلاح المنطق فكيف حذف المضاف إليه وعوض عنه (ال) فتصرف فى العلم ؟ ولما المعهود فى التراكيب الإضافية نيابة (ال) عن الضمير الغائب المضاف إليـــه ، نحو : (فإن الجنـــة هى المأوى) [النازعات / ٤١] .

قلت : جوّزه ابن جنى فى العلم أيضاً ، قال عند شرح قول التنبى :

وفينا السيفُ حَمْلَتُه صدوقٌ
إذا لاقى وغاربه لجُوجُ

أراد سيف الدولة ، فجعل (ال) التى للعهد عوضا عن المضاف إليه بعد حذفه لما كان معروفا بها جائز انتهى . وعليه يتمشى قولهم (المغنى) فى « مغنى اللبيب » ونحوه .

(٣) هو أبوأحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكرى البغدادى اللغوى ، من مصنفاته : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف . مات سنة ٣٨٢ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (١ / ٣٤٥) وبغية الوعاة (١ / ٥٦) وهدية العارفين (١ / ٢٧٢) .

وعشرين ومائتين[٤] » . ونشأ بعمان . وتنقل فى الجزائر البحرية ما بين البصرة وفارس ، وطلب الأدب وعلم النحو واللغة ، وكان أبوه من الرؤساء ومن ذوى اليسار .

وقد ورد ابن دريد بغداد بعد أن أسنّ فأقام بها إلى آخر عمره ، وكان رأس أهل العلم ، والمقدم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب ، وقد تصدر فى العلم ستين سنة ، وكان واسع الحفظ ، تقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها ويحفظها[٥] .

يقول ابن دريد : « كان أبو عثمان الأشُناندانى[٦] معلمى ، وكان عمى الحسين بن دريد يتولى تربيتى ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه ، فدخل يوما عمى وأبوعثمان يروينى قصيدة الحارث بن حلّزة[٧] التى أولها :

آذنتنا بينها أسماء *

فقال لى عمى : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا المعلم ؛ ليأكل معه فدخل إليه ، فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة ، فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلّزة بأسره ، فخرج المعلم ، فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علىّ ، فوجدنى قد حفظته ، فدخل إلى عمى فأخبره ، وأعطانى ما كان وعدنى به[٨] » .

وقد مات إبوبكر بن دريد سنة ٣٢١ هـ ، ورثاه جحظة البرمكى[٩] بقوله :

فقدتُ بابن دريدٍ كلَّ منفعةٍ
لمّا غدا ثالثَ الأحجار والتُّرَب
وكنتُ أبكى لفقد الجود مجتهداً
فصرتُ أبكى لفقد الجود والأدب[١٠]

شيوخه وتلاميذه :

تلقى ابن دريد العلم على أيدى علماء أجلاء من شيوخ عصره وعلمائه ، ومن أبرز هؤلاء العلماء أبوحاتم السجستانى[١١] ، وعبدالرحمن ابن أخى الأصمعى[١٢] ، وأبوعثمان الأشناندانى ، وأبوالفضل الرياشى[١٣] .

وقد تتلمذ عنده ، وأخذ عنه الكثير من العلماء الذين اشتهروا بالعلم والأدب ، من هؤلاء

---

(٤) نزهة الألباء ص ٢٥٦ .

(٥) معجم الأدباء (١٨ / ١٢٧ ، ١٢٨) وإنباه الرواة (٣ / ٩٣) وبغية الوعاة (١ / ٧٦ ، ٧٧) .

(٦) هو أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى أحد أئمة اللغة وأستاذ ابن دريد ، مات سنة ٢٥٦ هـ . انظر ترجمته فى : نزهة الألباء (ص ٢٠٣) وبغية الوعاة (١ / ٥٩١ ، ٢ / ١٣٧) وهدية العارفين (١ / ٣٨٨) .

(٧) هو الحارث بن حلّزة اليشكرى ، من بنى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر جاهلى مشهور ، يقال : إنه ارتجل القصيدة المشار إليها ارتجالا بين يدى عمرو بن هند ، وهى إحدى المعلقات السبع . (الشعر والشعراء : ١ / ٢٠٣) .

(٨) معجم الأدباء : ١٨/ ١٩ : ١٣ .

(٩) هو أحمد بن جعفر بن موسى ، المعروف بجحظة البرمكى ، أديب بغدادى توفى سنة ٣٢٤ هـ ، وله ديوان شعر . (هدية العارفين ١ / ٥٩) .

(١٠) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٦

(١١) هو أبوحاتم سهل بن محمد السجستانى نزيل البصرة وعالمها ، كان عالما باللغة والشعر . مات سنة ٢٥٥ هـ . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ٨٦) ونزهة الألباء (ص ١٨٩) وإنباه الرواة (٢ / ٥٨) .

(١٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله ، ابن أخى الأصمعى ، أديب بغدادى ثقة ، روى عن عمه الأصمعى وغيره من العلماء ، من مصنفاته : معانى الشعر . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ٨٣) وإنباه الرواة (٢ / ١٦١) وهدية العارفين (١ / ٥١٢) .

(١٣) هو أبو الفضل العباس بن فرج الرياشى اللغوى النحوى المتوفى سنة ٢٥٧ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (٢ / ٣٦٧) ونزهة الألباء (ص ١٩٩) .

أبوالفرج الأصبهانى[١٤] صاحب كتاب الأغانى المشهور ، وأبوعلى القالى[١٥] صاحب المعجم المسمى (البارع فى اللغة ـ) ، وأبوسعيد السيرافى[١٦] ، وابن خالوية[١٧] ، وأبو أحمد العسكرى ، وأبو عبيد الله المرزبانى[١٨] .

منزلته العلمية :

أبوبكر بن دريد علم من أعلام اللغة البارزين ، فهو ـ كما يقول إبوالطيّب اللغوى[١٩] ـ « الذى، انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس ، وأوسعهم علما ، وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر[٢٠] وأبى بكر بن دريد[٢١] » .

وقال أبوالبركات الأنبارى[٢٢] : « كان من أكابر علماء العربية ، مقدما فى اللغة وأنساب العرب وأشعارهم[٢٣] » .

ويحكى تلميذه أبوأحمد العسكرى فى كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) عن أبى الحسن على بن عبدوس الأرّجانى قوله : « كنا ببغداد والعلماء متوافرون ـ وذكر أبا إسحاق الزجاج[٢٤] ، وأبا موسى الحامض[٢٥] ، وأبا محمد الأنبارى[٢٦] ، واليزيدى وغيرهم ـ فاختلفوا فى اسم شاعر واحد ، وهو (حريث بن محفض) ، وكتبنا أربع رقاع إلى أربعة من العلماء ، فأجاب كل منهم بما يخالف الآخر ، فقال بعضهم : مُخَفّضٍ بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر : ابن محفص ، فقلنا : ليس لهذا إلا أبوبكر بن دريد ، فقصدناه فى منزله ، فعّرفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يذهب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُريث بن مُحَفِّض ، الحاء غير معجمة

(١٤) هو أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى الكاتب البغدادى المعروف بأبى الفرج الأصبهانى . مات سنة ٣٥٦ هـ . (هدية العارفين : ١ / ٦٨١) .

(١٥) هو أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، المعروف بالقالى ، أحد علماء اللغة والنحو . مات سنة ٣٥٦ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (١ / ٤٥٣) وهدية العارفين (١ / ٢٠٨) .

(١٦) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى النحوى المتوفى ببغداد سنة ٣٧٨ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (١ / ٣٤٨) وبغية الوعاة (١ / ٥٢٩) .

(١٧) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالوية النحوى اللغوى المتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ١٢٤) وإنباه الرواة (١ / ٣٥٩) وبغية الوعاة (١ / ٥٢٩) .

(١٨) هو أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، من بيت رياسة ونفاسة ، من مصنفاته : المعجم فى أسماء الشعراء ، والموشح . مات ببغداد سنة ٣٨٤ هـ . أنظر ترجمته فى : إنباه الرواة (٣ / ١٨٠) وهدية العارفين (٢ / ١٥٤) .

(١٩) هو أبو الطيب عبدالواحد بن على اللغوى الحلبى المقتول سنة ٣٥١ هـ . من مصنفاته : مراتب النحويين . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ١٢٠) وهدية العارفين (١ / ٦٣٣) .

(٢٠) هو أبو محرز خلف بن حيّان البصرى ، المعروف بخلف الأحمر ، معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة ، وأحد رواة الغريب واللغة والشعر ، وكان شاعرا محسنا . مات سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ٨٦) وهدية العارفين (١ / ٥١٩) .

(٢١) مراتب النحويين : ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢٢) هو أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنبارى البغدادى النحوى ، كان إماما ثقة صدوقا . مات سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ٨٦) وهدية العارفين (١ / ٥١٩) .

(٢٣) نزهة الألباء : ص ٢٥٦ .

(٢٤) هو أبو اسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، من أكابر أهل العربية . مات سنة ٣١١ هـ . (نزهة الألباء : ص ٢٤٤) .

(٢٥) هو أبو موسى سليمان بن محمد الحامض ، كان نحويا بارعا مشهورا من نحاة الكوفيين مات سنة ٣٠٥ هـ . (نزهة الألباء : ص ٢٤١ .

(٢٦) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى النحوى ، كان عارفا بالأدب والغريب محدثا إخباريا . مات سنة ٣٠٤ هـ . (بغية الوعاة : ٢ / ٢٦١) .

ومفتوحة ، والفاء مشدودة والضاد منقوطة ، وهو من بنى تميم ، ثم من بنى مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم تر قومى إن دُعُوا لمُلمّة
أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
هم أحفظوا غيبى كما كنت حافظا
لقومى أخرى مثلها أن يغيبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم ياأهل الشام كما قال حُريث ابن مُحفّض ، فقال : أنا والله حريث بن مُحفّض ، فقال : ما حملك على أن سابقتنى ؟ قال : لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعرى فأعلمته مكانى . قال العسكرى : « ثم قال أبو الحسن بن عبدوَس : فلم يفرّج عنا غيره[٢٧] » .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن بعض العلماء كان يطعن فيه ، ولا يعده من الثقات ، يقول أبو منصور الأزهرى[٢٨] : « ومن ألف فى عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول ، وإدخالَ ما ليس من كلام العرب فى كلامهم ، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى صاحب (كتاب الجمهرة) ، و (كتاب اشتقاق الأسماء) ، و (كتاب الملاحين) ، وحضرته فى داره ببغداد غير مرة ، فرأيته يروى عن أبى حاتم والرياشى ، وعبدالرحمن ابن أخى الأصمعى ، فسألت إبراهيم بن محمد ابن عرفة الملقب بنفطويه[٢٩] عنه فاستخف به ، ولم يوثقه فى روايته .. وتصفحت كتاب الجمهرة له ، فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها ، وأوقع فى تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابى فى مواقعها مَنه ، لأبحث عنها أنا وغيرى ممن ينظر فيه ، فإن صحت لبعض الأئمة اعتمدت ، وإن لم توجد لغيره وقفت[٣٠] .

وقد دافع السيوطى[٣١] عنه فى المزهر ، فقال : « معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه فى روايته .. ولا يقبل فيه طعن نفطوية ، لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، بحيث إن ابن دريد هجاه بقوله :

لو أنزل الوحى على نفطويه
لكأن ذاك الوحى سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه
مستأهل للصفع فى أخدْعيه[٣٢]
أحرقه الله بنصف اسمه
ويّر الباقى فى صراخا عليه

(٢٧) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٢٨) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، أحد أئمة اللغة ، وصاحب معجم تهذيب اللغة . مات بهراة سنة ٣٧٠ هـ انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (٤ / ١٧٧) وبغية الوعاة (١ / ١٩) .

(٢٩) مات سنة ٣٢٣ هـ . (هدية العارفين : ١ /٥) .

(٣٠) تهذيب اللغة : ١ / ٣١ .

(٣١) هو جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المصرى ، إمام باحث حافظ مؤرخ أديب ، له مصنفات كثيرة فى شتى الفنون . مات سنة ٩١١ هـ . انظر ترجمته فى : حسن المحاضرة له (١ / ٣٣٥) وهدية العارفين (١ / ٥٣٤) .

(٣٢) الأخدعان : عرقان يكتنفان العنق . الجهدة : ٢٠١/٢ .

(٣٣) المزهر : ١ / ٩٣ ، ٩٤

وهجا هو ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقرهْ
وفيه عِيّ وشرهْ
ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجمْهرهْ
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيرهْ

وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الأقران فى بعضهم لا يقدح[33] .

وقد وثقه شهاب الدين الخفاجى فيما يرويه وفيما يقوله ، فقال : « ابن دريد – رحمه الله – إمام ثقة يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، فلا يتوهم أنه ليس ممن يحتج بكلامه » .

شعره

لابن دريد شعر يدل على رسوخ قدمه فى هذا الفن ، وعلو كعبه فى هذا المجال ، وقد مرّ بك آنفا قول أبى الطيّب اللغوى : « ماازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وأبى بكر بن دريد » .

« وكان يقال : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء[36] .

وشعره جيد بوجه عام ، ومنه قوله :

وقد أَلِفَتْ زُهْرُ النجوم رعايتى
فإن غبتُ عنها فهْىَ عنى تسألُ
يقابلُ بالتسليم منهن طَالعُ
ويومِىء بُالتوديع منهنَّ آفلُ[37]

وقوله يرثى عبدالله بن عُمارة :

بنفسى ثرًى ضاجعتَ فى بيته البِلى
لقد ضَمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا
فلو أن حيّا كان قبرًا لميِّتٍ
لصيّرتُ أحشائى لأعظُمه قبرا
ولو أن عمرى كان طوع إرادتى
وساعدنى المقدار قاسمتُك العمرا
وما خلتُ قبرا وهو أربع أزرع
يضمُّ ثقالَ المُزْنِ والطودَ والبحرا[38]

وله مقصورته المشهورة التى مدح بها الأمير أبا العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال[39] وأباه ، وكان الأمير أبو العباس رئيس نيسابور ومتقدَّمَها[40] وأولها :

إمّا ترىْ رأسى حاكى لونُه
طرّةَ صبح تحت أذيالِ الدجى

وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء واعتنى بشرحها خلق كثير ، والأجود من شروحها وأبسطها شرح الفقيه إبى عبدالله محمد بن أحمد السبتى المعروف بابن هشام اللخمى .. (توفى سنة ٥٧٠ هـ) وقد سماه (الفوائد المحصورة فى شرح المقصورة)[41] .

(٣٤) هو أحمد بن محمد الخفاجى المصرى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . (هدية العارفين ١ / ١٦٠) .

(٣٥) معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٩ .

(٣٦) شرح درة الغواص للخفاجى بتحقيقنا : ص ٣٧٦ .

(٣٧) نفسه : ١٨ / ١٣٧ .

(٣٨) نفسه : ١٨ / ١٣٥ .

(٣٩) كان أديبا شريفا ، وكان شيخ خراسان ووجيها وعينها فى عصره ، ولد بنيسابور ، ولما قلد أميرُ المؤمنين المقتدر أباه عبدالله بن محمد الأعمال بكور الأهواز حُمل إلى حضرة أبيه ، فاستدعى أبا بكر بن دريد لتأديبه ، فكان مؤدبه ، وهو أوحد عصره ، توفى سنة ٣٦٢ هـ . (إنباه الرواة : ١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(٤٠) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٧ .

(٤١) كشف الظنون : ٢ / ١٨٠٨ .

كتبه

لابن دريد كتب تدل على علو قدره ، وسمو منزلته ، منها :

١ ـ كتاب جمهرة اللغة .
٢ ـ كتاب الاشتقاق .
٣ ـ كتاب السرج واللجام .
٤ ـ كتاب المقتبس .
٥ ـ كتاب الوشاح .
٦ ـ كتاب الخيل الكبير .
٧ ـ كتاب الخيل الصغير .
٨ ـ كتاب الأنواء .
٩ ـ كتاب المجتنى .
١٠ ـ كتاب المقتنى .
١١ ـ كتاب الملاحن .
١٢ ـ كتاب رواة العرب .
١٣ ـ كتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ، جمعه على بن إسماعيل بن حرب عنه .
١٤ ـ كتاب اللغات .
١٥ ـ كتاب السلاح .
١٦ ـ كتاب غريب القرآن . لم يتمه .
١٧ ـ كتاب فعلت وأفعلت .
١٨ ـ كتاب أدب الكاتب على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرده من المسودة ، فلم يخرج منه شيء يعول عليه .
١٩ ـ كتاب صفة السحاب والغيث .
٢٠ ـ كتاب المقصور والممدود .
٢١ ـ كتاب الأمالى .
٢٢ ـ المقصورة[٤٢] .

(٤٢) الفهرست (ص ٩١ ، ٩٢) وإنباه الرواة (٣ / ٩٦ ، ٩٧) ومعجم الأدباء (١٨ / ١٣٦) وبغية الوعاة (١ / ٧٨) وهدية العارفين (٢ / ٣٢) .

مع

الدكتور عبد الوهاب عزام

فى تحقيقه لموقع سوق عُكاظ

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يحتل الدكتور عزام ـ رحمه الله ـ مكانة بارزة بين أعلام المحققين ، من أمثال الأساتذة : محمد محى الدين عبدالحميد ، الذى حقق : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودى ، فى أربعة أجزاء ط القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، و (نفح الطيب) للمقرى فى ١٠ أجزاء سنة ١٩٤٩ م ، و (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لإبن خلكان سنة ١٩٤٨ ، وتميز ذلك من كتب التراث . وكذلك الدكتور حسين مؤنس محقق « رياض النفوس » للمالكى . والدكتور شوقى ضيف مُحقق : « المُغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد فى جزأين عامى : سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٥ . والدكتوران : طه الحاجرى ، ومحمد زغلول سلام ، اللذان حققا : « عيار الشعر » و « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى سنة ١٩٣٢ ، والأستاذ عبدالسلام هارون محقق « البيان والتبيين » للجاحظ ـ ط الخانجى سَنة ١٩٧٢ . والأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المسند لابن حنبل ، ومحقق وشارح « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ط دار المعارف سنة ١٩٦٦ والأستاذ محمود محمد شاكر محقق وشارح « طبقات فحول الشعراء » للجمحى ط المدنى سنة ١٩٧٤ .

والثَّبت كبير مستَفيض بأسماء باقى الأساتذة الأعلام ، الذين حققوا الكثير من أمهات كتب التراث ، ونكتفى بمن ذكرنا منهم تجنبا للإطالة .

وقد شُغف الدكتور عزام بتحقيق بعض الآثار الهامة لأعلام المصنفين القدامى ، الذين قال قائلهم :

بالله ياقارىء استِغفر لمن كَتَبا .. فقد كفتك يداه : النَّسخ والتعبا

وقد بذل الدكتور عزام أقصى الجهد والدأب والصبر فى تحقيق ونشر ديوان شاعر العربية الأكبر المتنبى سنة ١٩٤٤ و« مجالس السلطان الغورى » وكتاب « الورقة » لمحمد بن الجراح . بالاشتراك

مع الأستاذ عبدالستار فراج . و « شاهنامة الفردوسى » التى أسهبنا فى الحديث عن مدى المشقة التى تكبدها فى استحضار صور لها من مكتبة « كمبردج » بإنجلترا ، وجامعة برلين بألمانيا ومكتبة (كوبريلى) بالآستانة ، بل وقام بنفسه بالسفر إلى كل من انجلترا والآستانة فى صيف ١٩٢٩ لهذا الغرض(١) .

وبهذه المناسبة ، كم نتمنى على معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وغيره من ذوى الاختصاص العمل على حَصْر وتصوير وتنسيق كافة المخطوطات المبعثرة فى شتى مكتبات العالم ، شرقيّة وغربيّة ، فى باريس ولندن والآستانة وطهران والفاتيكان بروما والأسكوريال فى إسبانيا والظاهرية بدمشق وغيرها ، وذلك تمهيدا لنشر هذه المخطوطات الثمينة ، بعد تحقيقها وإعدادها بما يلائم فن الإخراج الصحفى فى عصرنا الحاضر .

ونقتصر اليوم على الحديث عن بحثه القيم الذى بذله لتحقيق موقع سوق عكاظ ، بعد اندراسه فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، ويذكر فى مستهل . كتيبه الذى يحمل عنوان : « موقع عكاظ » أن الفصول التى وردت به ، فيها القول الفصل ، فى تحديد مكان سوق عكاظ ، بعد زوال معالمها . وشمَّر عن ساعد الجد ، حتى أُتيح له تجميع كل ما جاء من أخبار عن عكاظ فى شتى المراجع والمصادر ، وفحص وتحقيق الأدنى إلى الصواب ، مدعما بالأدلة والبراهين ، معتمداً على المراجع التى كانت متوافرة لديه أثناء عمله فى (جدة) ، مثل : الأغانى والمسالك والممالك ، وصفةَ جزيرة العرب ومعجم البلدان . وعند عودته إلى مصر ، توسَّع فى البحث والتنقيب ، ليوفِّى التحقيق حقه من التاريخ ، كما استوفى حقه من التحقيق الجغرافى . ومن ذلك كتاب الأستاذ سعيد الأفغانى ، الذى رأى فيه وفاء بأخبار عكاظ ــ وإن كان سعيد الأفغانى ، الذى رأى فيه وفاء بأخبار عكاظ ــ وإن كان سعيد الأفغانى قد اتبع أقوالا فى تعيين مكان عكاظ ، ليست صوابا .

كما ألحق الدكتور عزام مقالين بنهاية كُتيبِّه لكل من الشيخ محمد بن بلهيد ، وعلامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر .

وقد قام الدكتور عزام بالذهاب إلى الموضع الذى غلب على ظنه أنه عكاظ ، ثم شرع يدوِّن كافة البيانات والمعلومات المتعلقة به ، بعد أن أيقن بالأدلة الكثيرة أنه هو .

ويذكر أن الشيخ محمد بن بلهيد النجدى ، كان معه فى هذه السفرة ، حيث قام بإرشاده وتعريفه بالمكان ، وإعانته على تطبيق الروايات عليه . ثم لقى الدكتورعزام بعد ذلك الأديب المحقق حمد الجاسر النجدى ، الذى أنبأه أن له بحثا عن عكاظ ــ وبعد اطلاع الدكتور عزام على الخريطة التى ألحقها الجاسر ببحثه ــ لاحظ الدكتور عزام أنه وضع (حُرَّة الخَلَص) جنوبّى عكاظ ــ وهى ، فى رأى عزام ، وفيما قال عرَّام السُّلَمى : شرقىّ عكاظ .

(١) أنظر مقالنا بهذا الشأن بعدد مجلة الأزهر الصادر فى يونيو سنة ١٩٩٥ ص ١٠٣ .

والمقصد فى هذه المقالات أو الفصول التى تضمنها كُتيبه ، هو : تبين موضع عكاظ ، والفَصْل فيما اختلف فيه القائلون فى هذا الشأن .

ثم قدم الدكتور عزام لكُتَيِّبه بكلمة موجزة عن مكانة (عكاظ) عند العرب ، وأثرها فى تجارتهم وأخلاقهم وآدابهم ، معتمداً على ما ورد بشأنه فى أمهات كتب التراث ، التى سبقت الإشارة إليها .

ومن المعلومات المستفادة من الفصل الأول ، عن شأن عكاظ فى الجاهلية ، أن سوق عكاظ كانت واحدة من مجتمعات الحجيج فى الأشهر الحرم يفدّ الناس إليها آمنين ، ثم يذهبون منها إلى سوق (مَجنَّة) ، فسوق (ذى المجاز) ، فموسم الحج الأكبر وعكاظ فى طريق أهل اليمن ونجد ، إلى مكة .

وكانت تجارتهم تحمل من شتى الأرجاء إلى عكاظ ، فمن أراد الميرة ذهب إليها ، ومن فقد شيئا التمسه فى عكاظ ، لعله يجده فى سلعها .

ويورد الدكتور عزام ٦ فى هذا الشأن ، رواية الأغانى (ج ١٠) - فى أخبار ورقاء بن زهير - وخلاصتها أن شاس بن زهير العبسى ، قدم على بعض الملوك ، فحباه حباء عظيما ، فرجع به .. فبينما هو فى الطريق ؛ قتله رباح بن الأسكّ الغنوى ، وأخذ متاعه . فبقى قومُهُ زمنا لا يهتدون إلى أثره ، حتى رأوا فى عكاظ امرأة رباح تبيع أمتعته مما أخذ زوجها من شاس بعد قتله .

كذلك أخذ سيف الحارث بن ظالم - لما قتل - إلى سوق عكاظ ليباع فيها (الأغانى ج ١٠ فى أخبار الحارث بن ظالم) .

ثم يورد الدكتور عزام ما رواه أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ، من أن (النابغة الزبيانى) كانت تضرب له قبة من أدَم بسوق عكاظ ، يجتمع فيها الشعراء ، فينشدونه ويحتكمون إليه .

ثم يذكر قصة حسان بن ثابت المشهورة ، حينما دخل على النابغة فى عكاظ ، وعنده الأعشى والخنساء ، وقد أنشده الأعشى ، ثم أنشدته الخنساء ، فقال النابغة : والله لولا أن أبا بصير أنشدنى قبلك ، لقلت أنت أشعر الناس .. إنهُّا أشعر من كل امرأة ، قالت الخنساء : ومن كل رجل !

قال حسان : أنا أشعر منك ومنها . قال النابغة : حيث تقول ماذا ؟ قال حسان ، حيث أقول :

لنــا الجفنــات الغــر يلمعــن فى الضحــى
وأسيافنـــا يقطـــرن من نُجدة دمـــا
ولدنـــا بنـــى العنقـــاء وابنـــى محرِّق
فأكــرم بنــا خالا ، وأكــرم بنــا ابنَمـــا

فنقده النابغة ، فى قصته المعروفة فى كتب الأدب .

وروى صاحب الأغانى أيضاً ، أن عمرو بن كلثوم ، لما أنشأ معلقته ، قام بها خطيبا فى عكاظ ، وقام بها فى موسم مكة[1] .

(١) الأغانى ج ٩ - أخبار عمر بن كلثوم .

ولصيت عكاظ ، وكثرة المجتمعين فيها ، وأمن الناس بها فى الأشهر الحرم ، كان العرب ـ كما يقول عزام : يقصدون إليها لأمر يريدون إذاعته ، أو استعانة على عمل جليل . كما كانوا يقصدون إليها لمفاخرة ، أو منافرة ، أو لطلب ثأر .. يعرفون طَلِبتهم فى عكاظ ، ولا يتعرضون له فى الأشهر الحرم ـ حتى يمضى الموسم ، وتنتهى هذه الأشهر ، فيرصدون له ، ليثأروا منه .. وقصدوها فى غير هذه مما يقصد فى المجامع العامة الحافلة ، التى يفد الناس إليها ، من المواطن البعيدة .

وعن تحديد موضع عكاظ :

يقول الدكتور عزام : « وقد كثر الكلام فى مكان هذه السوق ، فقال قائلون : هو المكان الذى يسمى اليوم : السيل الكبير ، وهو ميقات الحاج القادمين من نجد والطائف ، على الطريق بين مكة والطائف » .

وقال آخرون : هو حيث السيل الصغير ، وهو موضع فى الطريق بين السيل الكبير والطائف ، على عشرين كيلا من الأول واثنين وثلاثين من الثانى « وقيل : كان فى موضع يسمى اليوم القانس ، بعين مكة والسيل الكبير .. وقيلت أقوال أخرى » ثم يضيف الدكتور عزام وصف رؤيته للموقع الذى قال له الرفاق بالجزيرة العربية ليضيف إليه قائلَين : هذه عكاظ ! .. « فتأهب الفكر للنظر والتأمل ، واستنجد ما سَمَعَ عن عكاظ ، وما قرأ .. ليتبين : أهذه عكاظ كما ذُكرت فى كُتب الأدب والتقويم ؟ وما أعظم سرور الباحث وزهوه ، حين يبلغ المكان التاريخى ، الذى اقترن بآداب الجاهلية وأخبارها » وبعد أن يسهب الدكتور عزام فى وصف معالم موقع عكاظ ، يذكرنا أن رفقاء رحلته إلى عكاظ قالوا :

هذا وادى شرب ، يأتى من الجنوب والغرب ، ؟ إلى هذه الحرة ، وتلتقى به أودية ، منها وادى الأخيضر يلاقيه فى عكاظ ، فقال عزام ـ هذا دليل واضح على أننا نشرف على سَهل عكاظ الآن ، « وإن بقيت حاجة إلى الاستدلال والنقل عن الكتب ، فقد نقل الفاسى فى كتابه : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » عن أبى الأرزق ما يأتى : « وعكاظ وراء قِرْن المنازل ، بمرحلة على طريق صنعاء ، فى عمل الطائف على بريد منها ، وهى سوق لقيس عيلان ، وثقيف وأرضها لنصر . »

ويعقب الدكتور عزام على ذلك ، بقوله :

« فالآن وضحت الأدلة ، قد قرأنا وصف عكاظ ، وقرأنا عن منازل قريبة منه ، وعن أودية فيه أو بجانبه وكانت كلها مبهمة فى عقلى » .

وعبرنا وادى الأخيضر ، فارتفعنا عن سهل عكاظ ، نؤم الحويَّة فالطائف ، وقد نزلنا فى أحد بساتين سمو الأمير فيصل فى الحويَّة ، فاسترحنا ، وأكلنا عنبا ، وجُلْنا بين الأشجار والثمار قليلا ، ثم دخلنا الطائف بعد الغروب ، وقد بلغْت أربا من عكاظ ، وأيقنت أنه هذا الموضع لا ريب فيه ، وأن قولنا فيه قول فصل ، وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ..

« وللحديث بقية »

رؤية

مع التقدير والإنصاف

للولايات المتحدة

للأستاذ صابر أحمد تعلب(*)

أتيحت لى الفرصة فى صيف هذا العام لزيارة خاصة للولايات المتحدة الأمريكية ، وترددت أول الأمر ربما لكثرة النفقات ، أو خوفا من القيام برحلة كهذه دون سبب ملح كما تعودنا نحن المصريين فى أسفارنا الطويلة ، ولكننى غلبت عوامل الترحال فى نفسى ورحت على عجل أعد للرحلة ، ولم يستغرق الأمر أكثر من أسبوعين حصلت فيهما على تأشيرة الدخول ، وحجزت مقعدا على إحدى الطائرات إلى مطار « كيندى بنيويورك » ، وبقدر ترددى عند التفكير فى السفر كان لومى لنفسى عند انتهاء الرحلة لو أننى لم أقم بها ..

ومن اللحظات الأولى لوصولى هذا العالم الجديد، وجدت البشر تعزف منظومة الحياة الرائعة بإتقان وإبداع ، ولا تعود روعة اللحن المعزوف لبراعة العازفين بقدر ما تعود لتدريب الجوقة والتزامهم بتطبيق النظام .

فالكل يعترف وبصوت جهير أن الفضل فى التطوير والابتكار إنما يعود الى هذهِ العقول الوافدة من شتى بقاع العالم ، والتى فى مقدور المعدة الأمريكية هضمها وتوظيف أجناس الأرض فى خدمة هذه الأمة وتفوقها وليست أمريكا كما تبدو لنا من بعيد أمة واحدة ثقافة ولغة ودينا ، وإنما هى كذلك كوحدة سياسية ليس إلا .

فقد رأيت أحياء أشبه بمدن مستقلة داخل مدنها الكبيرة منها : الهندى والصينى والايطالى .. ترى

(*) الكاتب : باحث بمجمع البحوث الإسلامية

داخل الحى الهندى بنيويورك أبناء الهنود يلعبون الكرة فى شارع مغلق ، وقد تحلقت حولهم قلة منهم بزيهم التقليدى ، وتناثرت فى المكان محال العطارة والسارى الهندى ويزكم أنفك الهواء المشبع برائحة الكارى والتوابل الهندية وكأنك فى كلكتا أو مدراس واذا اخترت الحى الايطالى طالعتك محال الاسباكتى والأيس كريم والبيتزا ، وبائعو النظارات والساعات المقلدة واخترقت أذنيك اللغة الايطالية وكأنك فى روما أو فينسيا ، فإذا اتجهت نحو الشمال فى « ميتشجان » وجدت مدينة عربية كاملة فى « ديريورن » يقطنها أكثر من مائة وعشرين ألفا من العرب ، جاءوا من لبنان واليمن ومن العراق ومصر ، وترى المطاعم والمطابع ومحال الجزارة والبقالة وقد علت واجهاتها الأسماء العربية والجدير بالملاحظة أن هذه الجاليات هاجرت ومعها مواريثها من صراع الشرق ومذاهبه ، والتى يحاول بعضها احتكار الحقيقة ويؤكد أنه الفرقة الوحيدة الناجية ، وأضافوا إلى أساليبهم فى الدعوة والعمل الدينى أساليب الغرب فى هذا المجال .. فلما سألت مدير المجمع الاسلامى الثقافى ب (ديتريت) من (اللبنانيين الشيعة) عن مصدرهم فى الانفاق أفادنى بأنهم يعدون حفلتى عشاء كل عام يدعى إليها أبناء الجالية الذين يجودون بالتبرعات إلا أنك تلاحظ وبيسر أن وراءهم دولة تمدهم بالعون المادى وتسيطر عليهم بالرأى والتوجيه وذلك من خلال المنشورات والصور المعلقة على الجدران والشعارات التى لا تخلو حوائط المركز منها ، ومن أنشط الجماعات الاسلامية هناك رابطة الشباب المسلم ب (ديترويت) والتى تتخذ من دار الأرقم مركزا لنشاطها وهى رابطة ينص دستورها على أن ولاءها لله ولرسوله ، وتلتزم بالشورى فى ممارسة عملها ، ومن أهدافها تجميع الشباب المسلم على الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا وتربيته على الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ، والعمل على تلبية حاجات الشباب المسلم ما أمكن ، ومساعدتهم على التحصيل العلمى المقرون بالإيمان والخلق الإسلامى ويعدون برامج لتحقيق أهدافهم سواء منها الخاص بالناشئة أم بالكبار .

فالولايات المتحدة ــ كما ترى ــ ميدان مفتوح لكل الدعوات الدينية فهناك ينشط المسيحيون والمسلمون والبوذيون ويتناولون حياتهم الدينية وحياتهم السياسية فى مستويات عقلانية وصراع ظاهر وخفى ، تارة بالكلمة والحوار الهادىء وتارة بالإيذاء الذى قد يصل الى حد القتل أو التهديد به ، واليهود هناك هم الأكثر حظوة ، والأكثر تنظيما وتأثيرا فى أوساط المال والإعلام ، بل والقرار السياسى .

ومع كل هذه التيارات التى يموج بها المجتمع الأمريكى تجد العمل الدائب ، والابداع المتواصل ، ومحاولة بناء المجتمع فى تعاون عرقى ودينى ولونى تحت مظلة العلم الأمريكى إذ واجب العمل المجدد لكل عامل ينتهى فى النهاية ب (بوتقة) يتجمع فيها ا لعمل لبناء الوطن .

ولقد تابعت على شاشة التليفزيون الأمريكى مناقشة هادفة فى الكونجرس حول مستوى التعليم الأمريكى وكيف أنه لا يرقى لمستوى التعليم فى بعض الدول الصناعية الأخرى كألمانيا واليابان وأوهايوا بالمدارس العالية والجامعات أن تخرج شبابا يستطيع عند تخرجه أن يخدم نفسه ومجتمعه ، وذلك بتقوية روح الانتماء العملى فيه ، واعادة النظر فى المناهج التعليمية باعتبار أن المدارس

والجامعات هى مدد الجيوش والمصانع ومراكز الأبحاث فضلا عن أنها وثيقة الأمان فى الحاضر والمستقبل .

ومما هو جدير بالتسجيل مسألة الطعام فهو رخيص ومتوافر وتشعر أنك فى بلاد مليئة بالخير ، وقد ترددت على أكثر من مطعم كل منه يحمل اسم البلد الذى يقدم طعامه فهذا لبنانى وذاك يونانى وآخر صينى أو مكسيكى وهكذا ، أما المطعم ـــ الأمريكى ـــ إن جاز لنا أن نطلق هذا الاسم ـــ فهو هذه المطاعم مجتمعة أَخَذَ منها جميعا ، وإن تميز الأخير وتخصص فى الوجبات السريعة ، كالهوت دوجـــز « والهامبورجـــر والبيتزات هوت والكنتاكى » .. ومـا أرخص سندوتشات الديوك الرومية والجمبرى ، والناس يحسبون أننا شعب أكول ، ولكنك لو رأيت هؤلاء الناس كيف يأكلون لغيرت رأيك تماما فى هذه المقولة ، وهم لا يستعملون أكياس النايلون فى لفّ الطعام لخطرها المؤكد على الصحة ، بل يحرصون على استخدام الأكياس الورقية ، التى يعيـدون تصنيعهـا كما يعيـدون تصنيـــع علب المشروبات الفارغة فيما يسمونه هناك (باعادة الدورة) وترى ربات البيوت وأصحاب الحوانيت والمصانع كل يخصص أماكن لتجميع مثل هذه العلب .

ومما أثار إعجابى هناك حركة المرور فى نظامها وانسيابها مما يوفر الوقت والجهد والمال ويعود بالإيجاب على حركة التنمية ويعطى دليلا على تميزها وتحضرها : الشوارع هناك واسعة ونظيفة ، تظللها الأشجار ، وتزينها أحواض الزهور وشجيرات الزينة ، أما قواعد المرور والتـزام النـاس بها ، وجدية رجال المرور فى تنفيذها بحزم ويسر معا فإنها جديرة بالتقدير والاحترام برغم أن رجال المرور لا تكاد تشعر بهم فهم غالبا ما يتخذون من منحنى غير ظاهر مكانا للمراقبة المدروسة .

وإشارات المرور عندهم عليها سهم بالأخضر يوضح اتجاه المار وحركته ولم يتركوا إشارة واحدة للاجتهاد أو (التخمين) بل كل الإشارات قطعية الدلالـة ظاهـرة النـصح ، لا مجال فى أى منها للخلاف أو الاجتهاد .

وعند تقاطع شوارع كل مدينة ومخارجها مع الطرق الدائرية السريعة بين المدن لافتات تذكر رقم المخرج والطريق المؤدى إليه ، وكل الطرق السريعة معروفة هناك بالأرقـام ؛ فالطـرق من الجنوب إلى الشمال تأخذ أرقاما فردية ، بينما تأخذ الطرق من الغرب إلى الشرق أرقاما زوجية ، وبقليل من الفهم والتدريب تجد أنك لن تضل طريقك أبدا ..

وهم يعتمدون فى تنقلاتهم على السيـارات الخاصة ، ومن العسير أن تجد شخصا بلا سيارة ، أو أسرة بلا سيـــارتين ، حتـــى أن مدنـــا « ك « ديتـرويت » « ويونتيـــاك » فى ولايـــة (ميتشجـان) لا تجد مدنـــا ك « نيويـــورك وشيكاجو » بها سيارات عامة فخمة وجميلة إلا أنها قليلة العدد ، متباعدة الزمن فى مرورها .

أما المكتبة هناك فلها دور عظيم رغم سطوة التليفزيون ، وتنوع قنواته ، وتجدد برامجه ، مبنى المكتبة فى كل بلدة معلم من معالمها السياحية ، ومبناها من أفخم المبانى وأجملها ، ومن نوافذها تقع عيناك على أجمل المناظر وأروعها ، أما عن نظام المكتبة وأماكن الاطلاع ، وجو الهدوء بها فهو ما لا يخطر لك ببال ، وعن التسهيلات التى يوفرونها لك عند دخولك المكتبة ، أو طلبك كتابا

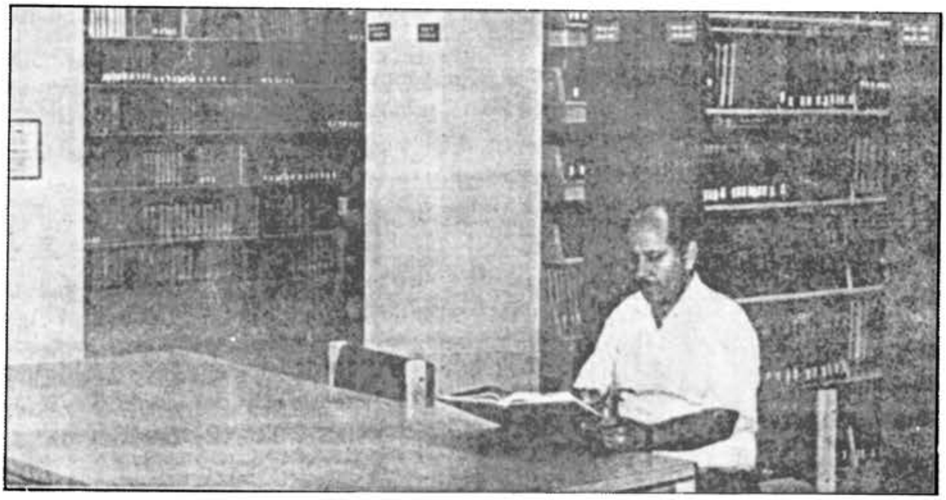

غير موجود لديهم ، ستراهم يطبعون اسم الكتاب على جهاز الكمبيوتر ، والذى سيفيدك بمكان وجود الكتاب ويتولون هم إحضار الكتاب لك خلال يوم أو يومين .. وهناك (كبائن) الاطلاع لفرد وصالات اطلاع لجماعة تريد مناقشة بحث أو كتاب يهمهم جميعا .

أما الجامعات التى شرفت بزيارتها فأشعر أن وريقات كهذه لن توفيها حقها من الوصف ؛ لأنها حقيقـة أبـدع ما رأيت من خيث المبـانى والتجهيزات ، ونظم البحث فيها قائمة على خدمة الصناعة والسوق ، والعلاقة قائمة بين مراكز البحوث فيها ومصانع الانتاج ووحداته .

استدراك :

قد يقول قائل : لقد بهرتك أمريكا فلم تر منها إلا كل جميل مستحسن .. فأقول : لا ، فقد آلمنى فيها صور من تفكك الأسر ووهن العلاقات بعدما فقدوا حبهم لخالقهم ، فصاروا كريشة ضائعة تتقاذفها رياح المدنية ، أو فقدوا حبهم لأنفسهـــم فصاروا يرونها عديمة الجدوى ، وبالتالى صار وجودها فى نظرهم بلا معنى ، لقد فقد هؤلاء القوم حرارة العلاقات الحميمة وآحاسيسها فعاشوا متألمين أو قلقين أو حتى رافضين للحياة ، لقد غاب عن الكثرة فى هذه البلاد الجميلة حكمة خَلْقِ الله لنا بنى البشر ومعنى وجودنا ، وحتى معنى رحيلنا ، سلسلة من المعانى البليغة غابت عنهم ، واختصنا الله ــ تعالى ــ بها دون سائر المخلوقات ، ليحقق معنى المعانى وهو الحب : حب الإنسان لخالقه بطاعته ، ولنفسه بالبحث دائما عن طوق النجاة ، وحبه للخلق بالتعاطف معهم ، والإخلاص فى نصحهم ، ومن الصور القاتمة أيضا : الخلط بين الحرية فى التعبير ، وهبوط الفن حيث (أفلام الجنس والعرى) تقف جنبا إلى جنب مع الأفلام التى تعالج قضايا إنسانية رفيعة .. ففى هذه البلاد تجد أقصى التطرف بين التحفظ الشديد والتحلل الكامل .. وليتهم اهتموا بالتفكير السليم فى الاجتهاد والرؤى الموضوعية للأشياء دون أن يمزجوها بالعنف

والعرى والشذوذ .. ولعل ما يقف فى حلقى تحيزهم الواضح ضد المسلمين وكيلهم دائما بكيلين رغم شعارات الحرية والمساواة التى يخصون جنسهم بها دون سائر البشر ..

المسلمون فى نظر أمريكى :

بينما كنت اقف فى المتحف القومى بجزيرة « أليس » بنيويورك وهو المتحف الذى يضم آثار المهاجرين الأول إلى أمريكا ، وصورهم وجوازات سفرهم البدائية وأصولهم ، وبقايا أدواتهم ومراكبهم وملابسهم أمام جهاز كمبيوتر ضخم لأضغط زرا فأعرف أعداد المهاجرين المصريين وبيان توزيعهم فى كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية .. وجدت أحد الامريكيين متجها نحوى يسألنى بود : هل أنت مصرى ؟ فأجبت : هل يبدو هذا من شكلى ؟ ولكنه أضاف هل أنت قريب من رئيس مصر الراحل أنور السادات ؟ إنك لشديد الشبه به ، فمازحته قائلا : لقد دخلت التاريخ بلقائك بأحد أفراد أسرته ، فضحك وقال : لقد حدث هذا بالفعل يا سيدى .. المهم هل تتصورون أن عدد المسلمين فى الولايات المتحدة يربو على سبعة ملايين مسلم وتتفاوت كثافتهم وتوزيعهم فى الولايات تفاوتا ملحوظا ، بينما تجد ولايات كـ « نيوجرسى ومتشجان » تضم مئات الألوف منهم تجد ولاية كـ « هاواى » تكاد تخلو منهم ..

والمسلمون هناك يلتقون فى المساجد التى يحمل كثير منها اسم « المركز الاسلامى » والخلافات بينهم قائمة ، لكنها تعبر عن حرص كل منهم على رضا الله ـــ تعالى ـــ فبينما تجد البعض حذرا فيما يعرض لهم مما لا نص فيه ، تجد الآخرين يميلون إلى إعمال العقل فى كل جديد مستحدث لم يرد فيه نص صريح ..

تعقيب :

وهم فى أمس الحاجة لدعاة من نوع غير تقليدى ، من الذين يجيدون الإنجليزية ، فإن لم يجيدوها إجادة تامة فعلى الأقل ممن يقدرون عن التعبير عن أنفسهم وأفكارهم بها ، أما هؤلاء الذين لا يلمون بالإنجليزية ، فعليك أن تتصور حال داعية لا يلم بلغة التخاطب فى البلد الذى يعيش فيه فهو (أخرس) غير مبين ولو كان أبلغ البلغاء ، وعاجز وإن كان أقدر القادرين ، وقد يقتصر دوره فى الدعوة على كتابة التقارير وتوزيع الكتب والمصاحف والنشرات .

وواجبنا أن نفيد من أمريكا كما تستفيد هى بعقولنا المسلمة المهاجرة من مصر وباكستان وإيران وغيرها ، والاستفادة منها تكون بمد جسور التعاون مع هذه التجمعات المتكاثرة ، وذلك بتعليم جيلهم الثانى العربية والدين ، وربطهم بوطنهم الأم ، فلو بدأنا بإنشاء مدرسة أو اثنتين لتعليم صغار يتطلع آباؤهم شوقا لسماع العربية والقرآن الكريم من ألسنتهم ، فإنى على يقين من أنه بقليل من الإخلاص والمثابرة سنرى اللغة العربية وقد أخذت مكانها كلغات أولى بجانب الإنجليزية .. وإن لم نقم بخطوة كهذه تراجعت اللغة العربية لتصير فى النهاية لغة أجنبية عند أبناء العرب المسلمين .

ولن يقصر الأزهر ـــ بإذن الله ـــ فى هذا الميدان المهم فذلك ما أعرفه عن فضيلة الإمام الأكبر ـــ حفظه الله ـــ وما يوليه فضيلته أمور الدعوة ومتطلباتها فى الداخل والخارج يجعلنى أوقن أن رؤياى ستجد صدى لدى فضيلته .

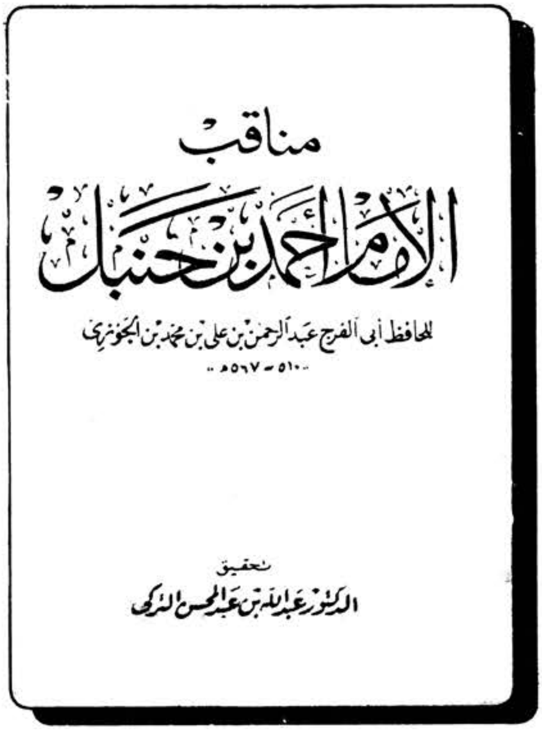

عرض وتقديم الأستاذ
عبد السلام ابراهيم ناصف

لازلنا ننهل من مناقب الإمام أحمد بن حنبل : إمام أهل السنة ، بعدما أوجزنا بالعرض ثلاثين باباً من أبواب كتابه النفيس فى العدد الماضى ، مستهلين هذا العرض ؛ بباب الزهد وبعض ما جاء عنه فيه ، فهو القائل :

تلين القلوب بأكل الحلال ، وإن قليل الدنيا يجزى ، واترك ما تهوى لما تخشى ، واجعل التقوى زادك وانصب الآخرة أمامك .

وكان يعز عليه أن تستحوذ الدنيا على من وعت صدورهم القرآن ... ومع هذا الزهد كان مفرطا فى السخاء رغم ضيق ذات اليد ، وكان يؤمن بأن الدنيا كلها لو جمعت فى لقمة وضعها مسلم فى فم أخيه لما اعتبر ذلك من الإسراف .

أما شعره فلا يسع المقام إلا باقتطاف بعض أبياته كنموذج لمقدرته الفذَّة فى الشعر إذ يقول ـ رحمه الله ـ :

لا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت
ذنوب على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى
ويأذن فى توباتنا فنتوب

وهو الذى قال :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير فى لذة من بعدها النار

واختتم روائعه بهذا البيت من قصيدة مطولة :

إن المرء من يصاب بدينـــه
لا من يرزأ ناقـــة وفصالها

أما نثره فلا أبلغ من عرض رسالة له إلى أحد المحدثين حيث يقــول : « **إن الدنيــا داء ، والسلطان داء ، والعالِمْ طبيب ، فإذا رأيت الطبــيب يجر الــداء إلى نفسه فاحــذره ، والسلام** » .

وتعود الأبواب لذكر صفاته الشخصية وسماته البدنية ففى الباب الخامس والثلاثين صورة للإمام ـ رحمه الله ـ توضح أنه كان حسن الوجه ، ربعة ، يخضب بالحناء فى لحيته شعيرات ،يلبس الأبيض ؛ وكان معتماً عليه إزار ، حسن السمت حسن الأدب ، مهيباً فى جلسته يفرض احترام الآخرين له حياء وإجلالا .. وكانت مجالسه مجالس الآخرة لا يذكر فيها شىء من أمر الدنيا وكان يعرض عن القبيح ، واللغو ، ولم يكن حقوداً ولا عجولا ولا يتكلم إلا حين يسأل .. دائم البشر ، لين الجانب ، يحب فى الله ، فطنا سهلا متساهلا ، يلبى دعوة من يدعوه ، حليما عفوا يعفو حتى عمن سعى عند الخليفة به ، بل عفا عن الخليفة نفسه . ولعل أبلغ وصف فيه أنه قد وفق للأدب وسدد بالحلم وملىء بالعلم .

وفى الباب الأربعين يحصر لنا الكاتب ممتلكاته التى لا تتعدى طرزاً ودارا يسكنها ، وكان يكرى الطرزليعيش منه ـ إلى جانب ما كان يلتقطه من سنابل القمح أو الشعير أو أجر فى الكتابة أو الحمالة ، لكنه لم يقبل معونة من أحد أو مساعدة أو قرض ـ رغم الحاجة الملحة التى اضطرته يوما لبيع ملابسه ـ وكان لا يقبل هدية إلا إذا استطاع ردها أو خير منها فقد كان كرمه وجوده يفرضان عليه التعفف بل العطاء بسخاء .

وحسبه يقول : (الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، وحسبى كسرة وقلم) وكان بيته ينبىء عنه فقد كان لبنا به كانون لطهى أطعمته التى لم تتجاوز الخبز المبتل أو العدس أو الشحم أو التمر أو الباقلاء .. وكان يحمد الله على ذلك عند كل لقمة ..

أما عن ورعه فحدِّث ولا حرج وقد أفرد له ـ المؤلف ـ بابا ـ مليئاً بصور ورعه الذى منعه يوما من انضاج طعام فى تنور لا يعلم مصدر الإنفاق عليه ، وكان لا يتناول طعاما إلا بعد أن يتأكد من نظافة وطهارة مصدره ، بل وما علق به ، وكان لا يرضى أن يكون ميزاب بيته إلى الطريق ، وكان يتورع فى الكتابة تورعه فى كل ميدان ، وكان لا يتحرج فى أن يقول : لا أدرى عن بعض ما يفتى به ، وكان يمقت القدح .

ولم يقبل الولاية حين عرضت عليه ، بل إنه كان يميل إلى من لا يخالط الحكام أو السلاطين وكان يميل إلى الفقراء ويكرِّمهم فى مجلسه ويحنو عليهم ويدعو لهم بالصبر على احتماله بغير تبرك أو تمسح به وكان يلبى دعوة العرس والختان ولا يجد غضاضة فى تناول طعامها وكان يشارك فى عيادة المريض وتشييع الجنائز.. وإن كان قد آثر العزلة رغبة فى ستر حاله مخافة ربه يوم يقول : اللهم سلِّم ... اللهم سلِّم وعندما سأله سائل كيف

أصبحت يجيب : (**كيف يصبح من يطالبه ربه باداء فرائضه ، ونبيه بأداء سنته ، وملكان يطالبانه بتصحيح عمله ، وتطالبه نفسه بهواها ، وإبليس يزكيها بالفحشاء وملك الموت يطالب روحه ، وعياله يطالبونه بالنفقة**) .

وكان يصلى بالليل والنهار ويستجلب الماء لوضوئه حتى قيل إنه كان يصلى ثلثمائة ركعة ، وكان يختم القرآن كل جمعة وكان يصلى عقب صلاة الجمعة ست ركعات يفصل فى كل ركعتين ، وكان لايلهيه عن النوافل إلا المذاكرة ولقد حج إلى بيت الله الحرام خمس حجات منها ثلاث ماشيا سيرا على القدم وكان يناجى ربه ويدعوه بما لايمكن حصره فى هذه العجالة .

ولقد بدأ الجزءالثانى من هذا المجلد بدعاء الإمام : (اللهم من كان على هوى فرده إلى الحق ، ولاتجعلنا فى رزقك خولاً لغيرك ، ولاتمنعنا خيرك، أعزنا ولا تذلنا ولا تفتقدنا حيث أمرتنا.. اللهم اجعلنا لك على ماتحب .. يادليل الحيارى .. دلنى على طريق الصادقين ، واجعلنى من عبادك الصالحين .. اللهم امتنا على الإسلام والسنة) .

ولقد يروق لنا أن ننتقل إلى ما امتحن فيه الإمام أو ما عُرِف بمحنته فى بداية الباب السابع والستين حيث كان الناس ــ ولا يزالون ــ يؤمنون بأن القرآن الكريم كلام الله وأنه ليس كمثله شىء ، حتى ظهر واحد من رجال الكلام يسمى (بشر بن عباس الريس) تزعم القول بخلق القرآن ــ والعياذ بالله ــ ونذكر للرشيد أنه توعده بالقتل إن ظفر به لكنه توارى عنه حتى مات الرشيد فعاد إلى ضلاله ، وكان الأمين على شاكلة سلفه ؛ لكن المأمون خالطه قوم من المعتزلة زينوا له القول بخلق القرآن فمال إلى ذلك لكنه لم يعلن ذلك خشية الفتنة ، وبعث إلى من يمتحن الفقهاء فى هذا القول وأجابه كثير منهم خوفاً أو ضعفاً أو جبناً ، ولم يجبه «ابن حنبل وابن نوح» فحملا مقيدين إلى الخليفة ــ ودعا الإمام ربه ألا يجمعه بالمأمون واستجاب الله لدعوته فمات وهو فى الطريق إليه ، غير أن الخليفة المعتصم لم يفك وثاقه وأمر بايداعه السجن فى بغداد لكن «ابن نوح» توفى أثناء العودة ، فصلى عليه الإمام أحمد وسمعه يقول له : (الله .. الله .. أنت رجل يقتدى بك ، وقد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك .. فاتق الله ، واثبت لأمره) فصلى عليه الإمام ودفنه .

وأكمل عودته مقيداً إلى السجن وكان يؤم المسجونين فيه ، وكان رائده حديث رسول الله ﷺ : (من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه) .

ثم يسجل المؤلف حديثاً للإمام ــ فى باب كامل ــ فيقول : (لما كان شهر رمضان سنة تسع عشرة ومائتين حُوِّلتُ إلى دار اسحاق بن ابراهيم الذى أعد مناظرة بينى وبين رجلين ، فلما لم أجب زيد فى قيدى وأمر بحملى إلى الخليفة وسمعته يقول . ياأحمد .. أنها والله نفسك .. ولسوف تُضرب وتلقى فى موضع لا ترى فيه الشمس .. ألم يقل الله عز وجل .. (إنا جعلناه قرآنا عربياً) فى سورة الزخرف .

أفيكون مجعولًا إلا مخلوقاً ؟ فرددت : إن الله ــ عز وجل ــ قال : (فجعلهم كعصف مأكول) فى سورة الفيل ، أفخلقهم ؟ قال فسكت ، ثم أمر بعودتى إلى السجن وكنت مجهداً

وكدت أن أخر على وجهى أكثر من مرة وأدخلت فى حجرة مظلمة لكنى وجدت فيها ماء توضأت منه وصليت ـ وفى الصباح أدخلت على الخليفة ، وكان حوله جمع كثير على رأسهم «ابن أبى داؤد» وأمر بأن أكون قريباً منه فدنوت حتى قربت منه فسمعته يقول : إجلس ، فجلست ، واستأذنته فى الكلام فأذن لى فقلت : (إلى ما دعا الله ورسوله ﷺ ؟ فسكت برهة وأجاب : (إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا الخمس من المغنم) فقال : لولا أنى وجدتك فى يد من كان قبلى ماعرضت لك . ثم توجه بالقول لعبدالرحمن بن اسحاق فقال : ألم آمرك برفع المحنة .

فقلت : الله اكبر .. إن فى هذا لفرجـاً للمسلمين فأردف : كلموه .. ناظروه ، فقال عبدالرحمن : ما تقول فى القرآن؟ فأجبته : (ص. والقرآن ذى الذكر) أو ليس الذكر هو القرآن؟ فوسوس إليه ابن أبى دُؤاد بكلمات فسمعته يقول : والله لإن أجابنى لأطلقنّ سراحه ولأركبن إليه بجندى ، فو الله إنى لاشفق عليه شفقتى على ولدى .. لكنى لم أجب فأمر بجلدى .. فجلدت حتى غبت عن وعيى ـ ولقد فعلوا بى مافعلوا وأنا فى غيبوبة ولما أفقت أديت صلاة الظهر وملابسى ملطخة بالدماء وكنت صائما ، وكان قلبى ثابتاً على الحق ..) ويروى أنه ضرب ثمانين سوطاً لو ضربها فيل لهدّته .

ويروى أن (ابن أبى دؤاد) لم يحبذ قتله خشية سخط المسلمين على الخليفة ـ وحين احتشد القوم أمام قصر الخليفة أمر بإطلاق سراحه .

وجيء إليه بمن يعالج جروحه ويقطع من لحمه وهو صابر يحمد ربه وظل أثر ذلك واضحاً على ظهره حتى مات وكان ـ رحمه الله ـ يعانى ويتألم منها بقية حياته ـ ولقد حاول التدريس بعد موت المعتصم لكنه لم يستمر طويلا خوفا من بطش (ابن أبى داؤد) الذى لم ينقطع عن امتحان الفقهاء فى بدعته فى عصر (الواثق) الذى تولى الخلافة بعد والده والذى أبطل الامتحان بعد مناظرة وفق الله فيها أحد الفقهاء فى إبداء مايبطل هذه البدعة واقتنع الواثق وآمن برأيه ووجاهته وأعلن ـ رحمه الله ـ توبته عن القول بخلق القرآن الكريم .

والباب الثالث بعد السبعين يحكى لنا ـ المؤلف ـ باقتدار قصة الإمام مع المتوكل الذى ولى الخلافه بعد الواثق وكان يميل إلى إحياء السنة ـ عقب رؤية رسول الله ﷺ فى المنام ومن ثم أمر المحدثين والفقهاء بنشر الحديث وأقبل الناس على حلقات درسهم .

ولما كان ابن حنبل هو أمام أهل السنة ، فقد استدعاه الخليفة المتوكل إلى مجلسه ورحب بمقدمه وأكرم وفادته فى قصره ومنحه وطلب منه الدعاء وأعد له مسكنا إلى جواره فأبى أن يسكنه بعد ما رفض الإقامة فى قصره واعتذر بلطف عن التدريس لولده محتجاً بإعيائه .

وبدءا من الباب التاسع والسبعين يعرض لنا ـ لكاتب ـ حالة الإمام الصحية بعدما أصيب بالحمى فى أوائل شهر ربيع الأول عام واحد وأربعين ومائتين والناس يختلفون على بيته لزيارته والسؤال عن صحته والاطمئنان عليه ـ لكنه كان دائم المواظبة على صلاته ـ وتكاثر الجمع وعلم

الخليفة وأمير بغداد بمرضه فمنعوا زيارته إلا لأطبائه فتجمع الخلق فى المساجد والطرقات وحيل بينهم وبين البيع والشراء وكأنما أوشكت عجلة الحياة عن التوقف ، واشتدت علته وزاد سقمه لكنه لم ينقطع عن الصلاة على أية هيئة ـ ولم يكن يئن أو يتوجع ـ ولقد صفح عن كل من آذاه حتى من قام بجلده وكان يدعو للجميع بالهداية ، وقبل أن يحين أجله طلب من ولده شراء تمر يوزعه كفارة عن يمين ؛ ورعاً وخوفاً من الله ـ وفى يوم الجمعة الثانية من شهر ربيع الأول قبض الإمام ـ فاهتزت بغداد بموته وتعالت الأصوات حزناً على وفاته وغسل وكفن ودفن بعد صلاة الجمعة ، وهو يوم مبارك إذ جاء فى الأثر أن رسول الله ﷺ قال : (ما من مسلم يموت يوم جمعة إلا وقاه الله ـ عز وجل ـ من عذاب القبر) المسند ١٦٩/٢ ـ ولقد غسل على رغبة أولاده الذين لم يكفنوه بما أرسله أمير بغداد وكفنوه مما أعده فى حياته احتراماً لرغبته ـ وصلى عليه الأمير وأهله وجمع بنى هاشم فى داره ، وكان موكب جنازته أشبه بموكب الحج .

وكانت أبواب المنازل مفتوحة لكل من يود الوضوء للصلاة عليه والسير فى جنازته .

وصية الإمام أحمد

ولم يكن للإمام ثروة ولاتركة تذكر ، لكنه كان قد أعد وصيته لأولاده بدأها بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وأقاربه وقرابته أن يعبدوا الله فى العابدين وأن يحمدوه فى الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين ، وأوصى بأنى رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً. وأوصى فيها بسداد دين عليه حدده فى الوصية أن : لعبد الله علىّ نحو خمسين ديناراً تقضى إليه من غلة الدار .

ويتسع المقام لعرض بعض الأبيات التى قيلت يوم وفاته رثاء

جزى الله رب الناس عنا ابن حنبل
وصاحبه خيراً إذا الناس أُحْضِروا

وكقول أحدهم :

يا ناعى العلم بيوم أحمداً
نعيت بحراً كان يجرى مزبداً
قد زلزلت أرض العراق كمدا
والشام حزناً والحجاز أرعداً

أو كقول بعضهم :

لتبك عيون مسبلات بويلها
على زينة الدنيا وعالم أهلها

ومن قول ثالث :

يا أحمد الخير الذى وارى الثرى
وبه الشتات من الجميع جميع

ومن قول رابع :

سلام عديد القطر والنجم والثرى
على أحمد البر التقى ابن حنبل

وبعد ، فالكتاب الذى بين أيدينا يكتسب أهمية خاصة لاهتمامه بحياة الإمام أحمد بن حنبل أحد الأئمة المجتهدين لاشك أن حياة هذا الإمام ومناقبه وأفضاله تفيض عن كتاب بلغ المائة باب تربو صفحاته على الثانمائة صفحة .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

أدب الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم

دخل علينا فى مكتب المجلة ثائراً فضيلة الشيخ / السيد مصطفى ـ المفتش بوعظ القاهرة وسبب ثورته أنه أثناء مطالعته مع ابنه أحد الدروس فى كتاب الدين المقرر على الصف الثانى الابتدائى بوزارة التربية والتعليم ، وجد اسم سيدنا محمد ﷺ مجرداً من وصف «سيدنا» أو «الرسول» أو «النبى» ، وفى مواضع كثيرة جاء الاسم غير مقترن بالأثر المعروف بـ « ﷺ » .. فكيف نُنَشِّيء أبناءنا منذ نعومة أظفارهم على عدم مراعاة حرمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدون تقدير لشخصية الرسالة ، وكأنه ليس برسول ، وليس سيداً لولد آدم .

والحقيقة أنه لابد من مراعاة حقه ﷺ فى هذا لسببين :

أولهما : للتأدب الذى أدَّبنا الله ـ تعالى ـ به عند ذكر اسمه ﷺ قائلا : ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ النور/٦٣ ، ومن ثم لا يجوز أن يُذْكَرَ اسمه ﷺ مجردا من الوصف الذى خاطبه المولى ـ عز وجل ـ بمثله فى مثل قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى ﴾الأحزاب ـ ٤٥

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الرسول ﴾ المائدة ـ ٦٧ .

ثانيهما : أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أمرنا بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب/٥٦

ولسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إشارة جامعة مانعة لهذا حين صعد المنبر وسمعه كثير من أصحابه يقول (آمين) وهو يعتلى كل درجة من درجات المنبر الثلاث ، وكان تأمينه بمثابة الاعتماد والموافقة على هذا الجزاء لأصحاب هذه الحالات الثلاث ، ومن بينها حالة من سمع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يصل عليه .

ونص الحديث كما ورد بـ «ابن كثير» و «القرطبى» عن أنس وغيره ـ عند تفسير ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الاسراء/٢٣ ـ أن النبى ﷺ صعد المنبر ثم قال : آمين (ثلاثا) قيل يا رسول الله : علام ما أمنت قال : أتانى جبريل فقال يا محمد : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين .

وتعنى هذه الركيزة من التوقير والتقدير لرسول الله ﷺ أن ينشأ أبناء المسلمين ، وهم يعرفون لرسول الله ﷺ قدره ولرسالته قدسيتها .

(المحــرر)

أصداء

تحت عنوان « ندوات مشبوهة » بعث فضيلة الشيخ/محمد فتوح الصانع ـ إمام وخطيب مسجد فريد المصرى بالمنصورة ـ برسالة مطولة يدحض فيها افتراءات وشُبَهْ أعداء الإسلام التى تثار حول قضايا المرأة فى بعض الندوات المشبوهة ، نجتزىء منها لضيق المساحة هذه الفقرة :

لا يزال مسلسل الافتراء على الإسلام بيد بعض المنتسبين إليه ـ مستمرا ـ من غلاة العلمانيين ، حتى أصبح هدفهم الأول هو : الطعن فى الإسلام والنيل منه بالتشكيك فى منهجه وتعطيل أحكامه ، فيفترون الكذب على الله ورسوله ، ويسقطون حجية « الإجماع » لدى علماء المسلمين وينكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ومن الأسف أن نجد أبواقاً كثيرة تؤيدهم وتؤازهم وتنافح عنهم بما يسمونه « حرية رأى » .

قولنا فيهم هو قول الله ـ تعالى :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة النساء

نبذة عن عصا موسى .. عليه السلام

وكتب هذه الكلمة الشيخ/رمضان إبراهيم الأقرع ـ من اخناواى ـ طنطا ـ غربية :

ورد ذكر « العصا » فى آيات عديدة من القرآن الكريم وخاصة عصا موسى ـ عليه السلام ـ فقد قال الله ـ تعالى عنها :

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ سورة النمل : ١٠

وقال تعالى فى سورة طه : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

سورة طه

وكانت عصا موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ آية من آيات الله لموسى فى بنى .. إسرائيل وفرعون . وكان يعتمد عليها فى حال المشى ويهز بها أغصان الشجر ليتساقط عنها ورقها فترعاه غنمه . وله فيها منافع ومصالح وحاجات أخرى .

كانت آية وبرهاناً عندما كانت ثعباناً عظيماً بتحرك حركة سريعة كأنه جان ، واستخدمها موسى استخداماً خارقاً فى إنقاذ قومه حتى ضرب بها البحر وعبر ببنى إسرائيل . وأيضاً لضرب الصخر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

عالمية الإسلام

وكتب الأستاذ/شريف مرشدى خليفة ـ مطوبس ـ الجواد الشرق ـ كفر الشيخ ـ تلك الكلمة عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان :

من أهم ما تميزت به رسالة الإسلام الذى جاء بها سيدنا محمد ﷺ أنها دعوة للعالم أجمع ، فقد دعا المصطفى ﷺ الناس جميعاً بعدما أمره ربه بالتبليغ وهذا يتضح لنا منذ اللحظة الأولى عندما جمع الناس وخطبهم قائلا : « إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة » . السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٣١ ، والكامل لابن الأثير جـ٢ ص ٦١ طبعة بيروت .

وقد استمدت الدعوة الإسلامية عالميتها من الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سورة سبأ

وقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧

مسئولية الخطيب

كتب الأستاذ / نجاح عبدالقادر سرور - من كفر بولين . كوم حمادة - البحيرة - هذه الكلمة عما يجب أن تتوجه إليه اهتمامات الإمام والخطيب :

الإمامة والخطابة مسئولية عظيمة .. فأنت - أخى الإمام والخطيب - تقف موقف رسول الله ﷺ فمن واجبك الاقتداء به واتباع سنته ، والاتباع أولى من الابتداع ، وما ظهرت بدعة إلا بضياع سنة .. وقد استحسن كثير من الناس أموراً أدت إلى ضياع سنن ، وعليك واجب التنبيه على السنة الصحيحة .

كثير من المؤذنين لا يسألون الوسيلة والفضيلة لرسول الله ﷺ وكثير منهم يقيمون الصلاة فوراً دون إعطاء فرصة لصلاة ركعتين لمن شاء لقول رسول الله ﷺ عند البخارى : « بين كل أذانين صلاة » .

وكثير من العامة يدخلون المسجد مهرولين كى يلحقوا بالركوع ، ورسول الله ﷺ يقول فيما يرويه البخارى ومسلم : « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة والوقار » .

وكثير من الناس لا يحتفلون الاحتفال الشرعى بمدارسة سيرة وأخلاق صاحب الذكرى فلماذا لا تنبه على كل هذا يرحمك الله :

واحذر أخى الإمام والخطيب أن تجامل وتساير العامة فى أهوائهم ، فإنك ستسأل عن سكوتك عن الحق واحذر أن تكون ممن لا يؤدى الصلاة جماعة فى المسجد .. إنك إن فعلت فقدت مصداقيتك وفاقد الشيىء لا يعطيه .. لا تفعل مثل الذين لا يهتمون بالسنة ، ويسخرون من المتمسكين بها والداعين إليها .

وإذا رأيت فى نفسك مخالفة للسنة فعد إلى الحق ، وإذا قيل لك : قال الله - تعالى - وقال الرسول ﷺ فقل : سمعنا وأطعنا ، فهذه شيمة المؤمن ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ **(النور ٥١)**

واجعل وسيلتك الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ودع المراء والجدال فإنه لا يأت بخير أبدا .

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة يونس

مصابيح الهدى

كتب القارىء / سمير محمد إبراهيم - من البصراط-منزلة دقهلية - هذه الكلمة فى فضل أصحاب رسول الله ﷺ :

« أصحاب النبى ﷺ هم أولى بالاتباع من أصحاب الشعارات الزائفة والأقلام الخادعة ، فهم مصابيح الهدى الذين تنجلى بهم الفتن ، ذلك أن الله أكرمهم وخصَّهم من بين كل الناس أن يعيشوا مع النبى ﷺ وهو بين أظهرهم ، ويشاهدوا بأنفسهم تطبيقات الإسلام فيما بينهم كمنهج حكم ودستور حياه .

وبالتالى هم الذين احتضنوا دعوته وبذلوا فى سبيل حفظها أموالهم وأرواحهم بالهجرة والمجاهدة والمؤازرة والاستشهاد ، ألم يبشر النبى ﷺ عددا منهم فى حياتهم بالجنة .. ؟

من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

كتب القارىء / محمد حسين يوسف على من الزواية البيضاء بالقسارية إسنا - هذه الكلمة كلمحة عن سيرته ﷺ :

إنه - عليه الصلاة والسلام - ليس لقلم أن يجمع فضائله ،

وعلى تفنن مادحيه بوصفه
يَفنى الزمانُ وفيه مَالمْ يُوصف

ومن بحار ما مدحه به المادحون ، ووصفه الواصفون هذه القطرات :

كان ﷺ رَبعة ، ليس بقصير ولا بطويل ، أزهر اللون ، فخماً مُفخماً ، عظيم الهامة ، يتكلم بجوامع الكلم ، لا يغضب لنفسه ، أشجع الناس وأجودهم وأكملهم .. كفاه ﷺ الشهادة العظمى ، وهى : قول الله - عز وجل - : **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ القلم - ٤ .**

ولما سأل هرقل أبا سفيان عن صفاته ﷺ قال : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : كذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها . رواه البخارى . وعن وائلة عن النبى ﷺ : « **إن الله - عز وجل - اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم** » رواه مسلم .

وله ﷺ أسماء كثيرة حتى رام لبعضهم أن يجمع للنبى ﷺ ألف اسم . وحين جاء موعد مولده ﷺ جعل الله المبشرات بقدومه زيادة فى إيمان المؤمنين ، وحجةً على الكافرين . كذلك بشر الله به - ﷺ فى التوراة والإنجيل قال - تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ سورة الأعراف ١٥٧

ردود وتعليقات

● **القارىء / سيد حسين صالح - أسيوط - موشا شارع البكرية** - تلقيت كلمتكم الطيبة عما قرأتموه فى أحد الكتب عن : شهادة طبيب نفسى ألمانى . عن : « أذان المسلمين » بأنه يُدخل السكينة إلى قلب المريض النفسى حتى ولو لم يدرك معانيه ، وهذه الشهادة نهديها لمن كان يطالب بمنع أذان الفجر لأنه يُقلِق النائمين ، وفى انتظار إبداعاتكم المسندة علميا وذلك ببيانات المصدر كاملة .

● **القارىء / أيمن محمد الصيحى - عضو فنى بإدارة دسوق التعليمية** - غريب حقاً هذا السلوك الذى يتفق لبعض البشر من تأليههم لبعضهم البعض ظناً منهم أنهم يرزقونهم وينفعونهم ، مع أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا ، وإن دل

هذا على شيء ، فإنه يدل على حِلم الله ـ عز وجل ـ الذى يخلق ويُعبد غيره ، ويرزق ويُشكر سواه ، سبحانه ـ هو وحده المنفرد بقدرة الإيجاد والإمداد والخلق والرزق والكل آتيه يوم القيامة عبدا .

● القارىء / تمام محمد سيد عبدالرحيم ـ شارع الجلاء ـ موشا ـ أسيوط :

مجلة الأزهر فى تناولها للشخصيات إنما تركز اختيارها على أعلام الأزهر تقديراً لدور الأزهر فى بناء الأمة مع خالص التقدير لغيرهم .

● القارىء / أبوالحسن محمد رمضان حسين ـ من القرايا ـ إسنا ـ قنا :

لعل أفضل ما ركزتم عليه فى كلمتكم عن : عقوق الوالدين ، هو أن الله ـ تعالى ـ قرن رضاه ـ عز وجـــل ـ فى رضاهما ، وسخطـــه ـ سبحانه ـ فى سخطهما ، للحديث الذى رواه الترمذى « رضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين » .

● القارىء / حبيش حسن حسين ـ خطيب بطنسا ـ ببا ـ بنى سويف .

● والقارىء / عادل على على اسماعيـل من قورص أشمون ـــ منوفية .

● والشاعر / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :

نتاجكـم تحت عنـوان « لحظات فى تاريخ الأمة » «وتهنئة» « والقرآن يحفظ الحياة » ينم عن قدرة فى التعبير والتصوير ، والحقيقة أننا نرحب كثيراً بالإبداعات غير المطروقة ، نشكركم على اهتمامكم ، ونرحب بكم وفى انتظار رسائلكم .

● القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :

كلمتكم عن « فضيلة الصدق » ـ على أهميتها ـ من موضوعات الفضائل المتكررة ، وقد عالجتها المجلة منذ وقت قريب .

● القارىء/عبدالمنعم عبدالوهاب الحداد ـ بنى مزار ـ المنيا ـ والقارىء/على محمد كمال أحمد ـ الرقة الغربية ـ العياط ـ الجيزة :

كثير غيركم ينتظرون إعادة طبع التفسير الوسيط وغيره من مطبوعات المجمع . نسأل الله ـ تعالى ـ تيسير ذلك ، والله المستعان .

● القارىء/بدون اسم أو عنوان :

هناك اعتبارات أخرى تراعى لشغل هذه الوظائف غير حفظ القرآن الكريم .

● القارىء/محمد نجيب لطفى ـ العدوة ـ الفيوم ـ مصر :

نرحب بمساهماتك ، وكذا مساهمات الأخوة القراء ، وأذكر أن ردكم على الدكتور/شامة .. قد نشر فى بريد القراء وإن كان قد تأخر قليلا .

● القارىء/بشير بن سايبى ـ ولاية ورفلة بالجزائر :

نرجو أن تتاح لنا مستقبلا فرصة تزويدكم بمثل هذه الكتب ويمكنكم الاشتراك الشهرى بالمجلة لدوام وصولها إليكم وذلك بالاتصال بالعنوان التالى :

إدارة الاشتراكات ـ مؤسسة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة

● القارىء/حمدى محمد عبدالمالك ـ أسيوط ـ ديروط :

سوف نحيل خطابكم إلى السيدة محررة الباب فهى أقوم بالإجابة عما تريدون .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد الرئيس لفضيلة الإمام الأكبر

بعث اسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية برسالة إلى السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رداً على البرقية التى بعث بها فضيلته بمناسبة المولد النبوى الشريف هذا نصها :

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بالمولد النبوى الشريف وماحملته من مشاعر طيبة . أعادة الله عليكم بالصحة والسعادة وعلى الأمة العربية والإسلامية باليمن والبركات .

وكل عام وانتم بخير

محمد حسنى مبارك

الإمام الأكبر يشهد حفل مشروع الجائزة الكبرى

شهد فضيلة اللإمام الأكبر صباح يوم الأحد ١٤١٦/٣/٢٣هـ ، ١٩٩٥/٨/٢٠م حفل تكريم الفائزين فى مشروع الجائزة الكبرى من العاملين فى مجال رعاية الطلاب وتكريم الفائزين فى المسابقات المختلفة التى نظمتها المناطق الأزهرية ، وكذلك المناطق الفائزة على مستوى الجمهورية حيث قام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية وتسليم الكئوس والدروع للفائزين .

كما قام فضيلته بتكريم أوائل الشهادات الأزهرية لهذا العام : الابتدائية والاعدادية والثانوية بقسميها العلمى والأدبى والمعلمين والقراءات والاعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية .

شهد الحفل فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

رسالة من أمير الكويت لفضيلة الإمام الأكبر

تسلمت برقيتكم المتعلقة بأوضاع إخوتنا المسلمين فى جمهورية البوسنة والهرسك وتكثيف الجهود لإغاثتهم وأود أن أحيطكم علما بأن الكويت تقدم باستمرار مختلف اشكال العون والمساعدة منذ أن بدأت الأوضاع تتأزم هناك ولاتزال هذه المساعدات مستمرة ومتواصلة .

وإنى لأقدر لكم اهتمامكم وحرصكم على مد يد العون والمساندة وآمل أن تتضافر جهود المسلمين جميعاً لنجدة إخوانهم والوقوف بجانبهم والله ـ سبحانه وتعالى ـ ولى التوفيق

جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت

الإمام الأكبر يشهد حفل إفتتاح دورة الأئمة الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر افتتاح الدورة العالمية الثلاثين العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف وذلك يوم الاحد الموافق ١٤١٦/٣/٢٣هـ ، ١٩٩٥/٨/٢٠ بمدينة البعوث الإسلامية .

وفى كلمة جامعة وجهها فضيلته للأئمة الوافدين أعلن أن الهدف من الدورات أن نجتمع على كلمة سواء وأن يكون المسلمون جميعاً فكراً واحداً مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

يشترك فى هذه الدورة أكثر من ثلاثين إماماً يمثلون دول ليبيريا وجزر القمر وسيراليون ونيجيريا .

شهد الحفل فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة ولفيف من علماء الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الجمعية الإسلامية الهندية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٦/٤/٩هـ ، ١٩٩٥/٩/٥م السيد / ك. محمد عنايت خان عضو البرلمان الهندى ورئيس الجمعية الإسلامية العربية الهندية ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر وقد تناول اللقاء أوضاع العالم الإسلامى الحالية ، وأوجه التعاون والتضامن لخروج الأمة الإسلامية من المصاعب التى تواجهها .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة نبذ الخلافات والابتعاد عن الصراعات الداخلية لكافة الأمم والشعوب والإسلامية .

تم خلال اللقاء بحث مشكلة (كشمير) حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أمله فى إيجاد حل لهذه القضية التى طال بها الأمد حتى تتخلص المنطقة من العنف ، ويعود السلام والأمن للشعب المسلم فى (كشمير) هذا : وقد أعرب الضيف عن شكره وامتنانه للأزهر الشريف ومايقدمه من خدمات تعليمية وإرشادية دينية للعالم الإسلامى بصفة عامة ولمسلمى الهند بصفة خاصة .

كما أعرب عن تقديره لدور الأزهر فى مجابهة الأحداث على الساحة الإسلامية والعالمية ، وإصدارات الفتاوى والبيانات التى يسترشد بها المسلمون فى كافة انحاء العالم .

إعلان نتائج الدور الثانى للشهادات الأزهرية

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الطائفة الانجيلية بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفد الكنيسة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية برئاسة الدكتور القس صموئيل حبيب رئيس الطائفة الانجيلية بمصر وذلك صباح يوم الأحد الموافق ١٤١٦/٤/٧هـ ، ١٩٩٥/٩/٣م .

وعقب اللقاء صرح فضيلة الإمام الأكبر بأن اللقاء تناول فكرة عقد مؤتمر للحوار الدينى التى طرحها الدكتور القس صمويل حبيب ، وقال فضيلته بأنه تم التنسيق بشأنها مع الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، وقال فضيلته نظراً لكثرة المؤتمرات التى تعقد ثم تأتى بمردود لايرق بمستواها . فقد طلب أن يخصص هذا المؤتمر لدراسة إحدى القضايا المهمة فى مصر - إقتصادية أو فكرية أو غيرها - على أن يكون للحوار حولها نتائج فعالة ومؤثرة فى المجتمع ، وألا يكون هدف مثل هذا المؤتمرات مجرد اللقاء بين رجال الدين الإسلامى والمسيحى ، فهذه اللقاءات متواصلة ، كما يجب ألا يكـــون الهاف... مجرد الحدث الإعلامى .

وقد شهد اللقاء الذى استمر ساعتين فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والأستاذ جلال عيسى أمين عام المجلس الأعلى للصحافة فى مصر ونقيب الصحفيين بالإنابة .

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتائج امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية حيث جاءت النتائج على النحو التالى :

- بلغت نسبة النجاح بالشهادة الابتدائية (٦٦,٠٦٪)

وبذلك تكون النسبة العامة لمجموع الدورين لهذا العام (٨٢,٤٢٪)

- بلغت نسبة النجاح بالشهادة الثانوية الأزهرية فى مجموع الدورين لهذا العام ٨١٪ حيث جاءت نتائج الشعب الثلاث فى الدور الثانى على النحو التالى :

القسم الأدبى ٦٥٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم (٧٨,٤٪)

القسم العلمى شعبة العلوم ٧١٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم ٨٧٪

القسم العلمى شعبة الرياضيات ٧٢,٥٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم ٨٨,٤٪

- بلغت نسبة النجاح فى دبلوم المعلمين ٨٢٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين ٩٢,٤٪

- بلغت نسبة النجاح فى عالية القراءات ٧٤٪
- بلغت نسبة النجاح فى شهادة التخصص ٨٩٪
- بلغت نسبة النجاح فى شهادة التجويد ٧١,٤٪
- بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الاعدادية فى الدورين ٧٣,٤٪

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

البوسنة والهرسك

تواصل الهجوم البوسنى الكرواتى فى وسط وشمال غرب البوسنة حيث تمكن الطرفان من استعادة عدة مدن (استراتيجية) ومساحات من الأرض تُقدر بألْفَىْ ك.م مربع .

قالت إذاعة البوسنة إن الجيش البوسنى المسلم استعاد السيطرة على مدينة (كالوتشى) بوسط الجمهورية ومحاصرة مدينة (بوسان سيكان) (كُرُوفَا) كما واصل التقدم بنجاح نحو مدن أخرى ، بينما يُبدى الصرب مقاومة هشّة .

وتعزّزْ تلك الانتصارات الموقف التفاوضى بالبوسنة وكرواتيا وهو الأمر الذى سيدفع بالحليفيْن للمطالبة بنسبة أكبر من الأرض فى أى حل سلمى .

ذكر المتحدث باسم الأمم المتحدة : أن قوات حفظ السلام الدولية رصدت قيام القوات الصربية بسحْب بعض الأسلحة الثقيلة من حول سراييفو .

هذا وقد هبطت فى مطار العاصمة البوسنية طائرتان تحملان المواد الغذائية هى أول مرة تصل فيها طائرات ميدانية إلى العاصمة منذ أبريل الماضى .

صرح وزير الدفاع الأمريكى بأنه قرر وقف إرسال مقاتلات الشبح الأمريكية التى كان من المزمع استخدامها ضد صرب البوسنة ، زاعما أنه سيتم التوصل إلى اتفاق فى يوغوسلافيا السابقة قبل نهاية العام الحالى .. وهو ما يراه المحللون تراجعا أمْلَتْهُ المصالح الكبرى ، هذا وقد رفض الرئيس البوسنى اتفاق بلجراد مطالبا بسحب جميع الأسلحة الصربية [illegible] من عيار ١٢,٧ مم بينما تقضى الاتفاقية المذكورة بإبقاء بعض الأسلحة الثقيلة تحت زعم منع تقدم القوات البوسنية المسلمة .

جاكارتا

ناقش المؤتمر الخامس لعلماء جنوب شرق آسيا الذى عُقد مؤخرا بالعاصمة الأندونيسية (جاكارتا) دور علماء المسلمين فى مواجهة التطورات العالمية الجديدة ، ووسائل بناء الأمة

الإسلامية ونقدمها مع التمسك بالقيم الإسلامية أوضاع .

حضر المؤتمر علماء من سلطنة : بروناى ، وماليزيا ، وسينغافورة . والبلد المضيف .

السعودية

تنظم وزارة الشئون الاجتماعية بالسعودية عددا من الدورات فى العلوم الشرعية فى كل من قبرص ، وجمهوريات روسيا الاتحادية .

يقوم المشاركون فيهما بجولات فى القرى المجاورة للالتقاء بأئمة المساجد والدعاة ، ويشارك فى الدورة الواحدة مائة وخمسون دارسا يعلمون اللغة العربية وعلومها .

المدينة المنورة

تنظم المدارس النسائية بالجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بالمدينة المنورة دورات سنوية خاصة لإعداد معلمات مؤهلات لتدريس كتاب الله الكريم حيث يُعنى منهج الدراسة بالتجويد والتلاوة الصحيحة للقرآن الكريم بالإضافة إلى التأهيل التربوى .

المجالس القومية المتخصصة

أوْصت المجالس القومية المتخصصة برئاسة الدكتور عبدالقادر حاتم المشرف العام على المجالس المتخصصة بضرورة إنشاء هيئة مركزية لأبنية المعاهد الأزهرية أسوة بهيئة الأبنية التعليمية ، يكون لها فروع فى مناطق التعليم الأزهرى ويمولها صندوق مركزى مدعوم مما تخصصه الدولة من موازنة الأزهر ، إلى جانب تبرعات الهيئات والأفراد فى الداخل والخارج ، ونسبة مئوية من التبرعات الأهلية والمحليات . إلى جانب نسبة مما ترصده وزارة الأوقاف من معونات للمشروعات الإسلامية ، كما طالب المجلس بأن يضاعف الأزهر مشروعات الأبنية على أن يخصص للمناطق النائية كسيناء والبحر الأحمر ومطروح والوادى الجديد النصيب الأوفى .

داكار

أكمل المؤتمر الخامس للكشافين أعماله بداكار وذلك بحضور أكثر من ٢٥٠ كشافا لقارات العالم الست وذلك لتقييم مسيرة الاتحاد الدولى للكشافين المسلمين لحل مشاكل الشباب المسلم ، وقد أكد رئيس وزراء السنغال فى افتتاح المؤتمر الذى عُقد تحت شعار (تضامن ، سلام ، تنمية) أن الاتحاد المذكور يُعد أحد الوسائل العملية لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية ارتكازا على وحدة العقيدة والثقافة . هذا ويُعقد المؤتمر كل ثلاث سنوات ، وهى أول مرة يعقد جلساته فى دولة أفريقية .

الهند

قرر أئمة المساجد فى ولاية البنجاب بالهند القيام بحملة لتعليم الأطفال وتطعيمهم ضد الأمراض ، وأكدوا فى ندوة عقدوها فى مسجد الأوقاف بالولاية أن الأئمة فى الإسلام عليهم واجبات اجتماعية وخيرية إلى جانب إقامة الشعائر .

dit "L'argent d'Abdel Rahman est licite et s'en nourrir, apportera la santé et la bénédiction.

Il légua en plus 3000 brebis, 1000 bovins et camélidés et 100 chevaux et une grande quantité d'or que les hommes eurent de la peine à diviser avec leurs haches. Allah gloire à Lui, n'a-t-il pas dit dans le noble Coran :

[Dis: Mon Seigneur dispense avec largesse ou restrient Ses dons à qu'Il veut parmi Ses serviteurs. Et toute dépense que vous faites Il la remplace, et c'est Lui le Meilleur des donateurs].

Sourate Saba'a, le sens du verset 39.

La peine des musulmans fut grande en apprenant la mort d'Abdel Rahman Ibn Awf. En l'enterrant, ils se rappelaient que le Messager d'Allah (b.s.) avait dit un jour: "Abdallah Ibn Awf est l'homme de confiance parmi tous les habitants du ciel et de la terre".

Qu'Allah te bénisse O Abel Rahman Ibn Awf pour tout le bien que tu fis et pour l'argent que tu dépenses pour l'amour d'Allah.

Un jour, le Prophète (b.s.) l'envoya à l'expédition de "Dawmat el Gondol", il le coiffa d'un turban avec sa main bénie et lui dit: "Si Allah t'accorde la victoire, prends en mariage la fille de leur roi". Allah lui accorda la victoire et il épousa la fille du roi qui donna le jour à son fils Abou Salama qui fut plus tard un des grands rapporteurs des Hadiths du Prophète (b.s.).

Un autre jour, pendant qu'il présidait à la prière. Le Prophète (b.s.) vint se ranger parmi les compagnons et accomplit la prière en commun derrière Abdel Rahman. Evènements exclusifs et honneur incomparable dont seul Abdel Rahman put jouir. En plus de toute cette correction dans ses moeurs, il était un homme pieux, fervent et il craignait Allah dans la moindre action. Lorsqu'il fut nommé parmi les 6 (six) du membre du conseil qu'Omar avait désigné pour nommer le calife qui allait lui succéder et qu'il vit que les doigts pointaient vers lui, il dit: "Par Allah, qu'on enfonce un couteau dans ma bouche et qu'il sorte de l'autre côté, m'est plus agréable que d'accéder au califat". Ainsi, il se destitua en faveur des cinq autres, on le rendit arbitre, il choisit Othman Ibn Affan et les autres approuvèrent son choix. L'Islam l'avait façonné et éduqué de sorte qu'il n'était point sensible à la fortune ni aux honneurs avec toutes les séductions et les égarements qu'ils entraînent.

Le voilà en l'an 32 de l'Hégire agonisant. La mère des croyants "Aïcha" A.s.e voulait lui accorder un honneur que nul n'avait reçu auparavant; elle lui proposa d'être enterré dans sa chambre près du Messager d'Allah (b.s.), d'Abou Bakr et d'Omar. Mois il eut honte d'accepter ce qu'elle lui avait proposé. D'autre part, il s'est convenu un jour avec son ami "Othman Ibn Maz'oum que celui qui mourrait le dernier serait enterré auprès de l'autre. L'homme de confiance mourut à l'âge de 75 ans et fut enterré à "Al-Baki" (cimetiere des musulmans à Médine). A sa mort, il légua 50 mille dinars pour l'amour d'Allah et promit en héritage à tous les combattants de "Baki" qui sont restés en vie, 400 dinars, même Othman Ibn Affan reçut sa part malgré sa richesse et

ABDEL RAHMAN IBN AWF

par Hoda Hussein Chaaraoui

(Suite)

-- 2 --

— Abdel Rahman Ibn Awf émigra en Ethiopie au cours de la première et de la seconde émigration, enfin il émigra à Médine. Le Messager d'Allah (b.s.) fraternisait entre chaque deux personnes: L'un de ses compagnons, émigré de la Mecque et un autre un "ansar" de Médine. C'est ainsi que le Messager d'Allah (b.s.) fraternisa entre lui et Sa'ad Ibn Abrabi. Sa'ad dit à Abdel Rahman: "Frère, je suis l'un des hommes les plus riches de Médine, prends la moitié de mon argent; J'ai deux femmes, choisis celle qui te plait afin que je la répudie pour que tu l'épouses". Abdel Rahman lui répondit: "Qu'Allah bénisse tes biens et tes femmes. Montre-moi où se trouve le marché". Il s'y rendit, acheta, vendit et gagna. Lorsque le Messager d'Allah (b.s.) apprit ce fait, il pria Allah de bénir le commerce d'Abdel Rahman. Son commerce devint prospère et béni si bien qu'il disait: "Si j'enlevais une pierre j'aurais trouvé à sa place de l'argent et de l'or".

— Si nous observons Abdel Rahman avec sa fortune opulente, nous aurons devant nous un homme étrange qui sut vaincre ses passions et les dépasser vers une sublimation rare en générosité de sorte qu'on dit de lui: "Tous les habitants de Médine étaient les partenaires d'Abdel Rahman Ibn Awf dans sa richesse, un tiers de son argent en guise de prêt, un tiers pour acquitter leurs dettes et un tiers comme aumône et charité". Sa vie à Médine, du vivant du Messager d'Allah (b.s.) et après sa mort, était un acquittement des devoirs religieux. Ainsi, il assista à la bataille de Badr et d'Ohod; il y perdit quelques-unes de ses incisives et fut atteint de vingt blessures et l'une de ces blessures le rendit boiteux.

illumine la terre durant la nuit. Cette différence entre la nature et le rôle du soleil et de la lune est indiquée par les versets suivants :

[Il y fit de la lune une lumière et du soleil une source lumineuse]

Sour. "Nûh" (Noé) v16.

[Celui qui y a placé une source de lumière et une lune qui éclaire].

Sour. "Al Forqan" (La Loi), v61.

[Nous y plaçâmes une lampe à forte incandescence]

Sour. "Al Naba" (La Nouvelle) v13.

L'aspect visible de la lune change et sa forme passe du croissant de lune à la pleine lune en fonction de sa position par rapport au soleil et à la terre.

[Et de la lune, une lumière dont Il a déterminé les phases]

Sour. "Yûnes" (Jonas) v5.

[La lune à laquelle Nous avons fixé des phases jusqu'à ce qu'elle redevienne semblable à la palme desséchée]

Sour. "Ya-Sin" v39.

L'année solaire est de 365, 2422 jours, alors que l'année lunaire est de 354, 6036 jours. C'est-à-dire que 300 années solaires équivalent à 309 années lunaires, soit 109. 573 jours exactement. On peut voir à quel point le Coran est précis lorsqu'il affirme que les Habitants de la Caverne y sont restés 300 ans (années solaires) soit 300 et 9 années en plus (années lunaires).

[Ils restèrent dans leur caverne trois cents ans, auxquels on ajoute neuf année]

Sour. "Al Kahf" (La Caverne), v25.

Ce qui signifie qu'ils sont restés dans la Caverne 300 années solaires qui équivalent à 309 années lunaires.

a suivre

[Nous avons touché le ciel et nous l'avons trouvé rempli de gardiens implacables et de météores]

Sour. "Al Djinns" (Les Djinns) v8.

[Sauf celui qui s'est mis aux écoutes et qui est aussitôt poursuivi par un météore visible]

Sour. "Al Hijr", v18.

6- La relativité du temps

Le temps, dans notre monde terrestre, est mesuré en fonction de la rotation de la terre autour de son axe (les jours) et, dans son orbite, autour du soleil (les années), et en fonction de la rotation de la lune autour de la terre (les mois et les années lunaires). Quant aux autres unités du temps (les mois solaires, les heures, les minutes et les secondes) elles sont une convention établie par les hommes. Toutes ces unités conventionnelles ne signifient rien dans l'espace immense. En effet, la science moderne a découvert que le temps est relatif, et c'est ce qu'ont avancé clairement, il y a plusieurs siècles, les versets coraniques suivants :

[Un jour pour ton Seigneur équivaut à mille ans de ceux que vous comptez]

Sour. "Al Hidj" (Le Pèlerinage) v47.

[Ensuite il monte vers Lui en un jour qui se mesure à mille ans de ceux que vous comptez]

.Sour. "Al Sadjda" (La Prosternation) v5.

[Les Anges et le Saint Esprit escaladent vers Lui en un jour dont la durée est de cinquante mille ans].

Sour. "Al Ma'aridj" (Les Ascensions), v4.

7- Le soleil et la lune

Le soleil est un astre incandescent qui illumine les planètes environnantes. Sa lumière se reflète sur la surface de la lune qui est froide et qui

ressenti cela au cours de leur navigation dans l'espace, hors du vaisseau spacial.

[Si Nous leur avions ouvert une porte du ciel, et qu'ils se soient mis à escalader, ils auraient sûrement dit: "Certes nos regards sont ivres ou plutôt nous sommes ensorcelés"].

Sour. "Al Hijr", v14-15.

[Il sait ce qui descend du ciel et ce qui y monte]

Sour. "Saba" v2

[IL sait ce qui pénètre dans la terre et ce qui en sort, ce qui descend du ciel et ce qui y monte]

Sour. "Al Hadid" (Le Fer) v4.

Le Coran mentionne en outre la possibilité - en principe - pour l'être humain de voyager à travers l'espace, une fois qu'Allah le dote de la capacité de le faire, et cela grâce à l'énergie et à la téchnologie nécessaires. Toutefois, l'homme est prévenu des dangers qu'il court dans l'espace, tels les météores et les radiations funestes :

[Ô vous les Djinns et les humains, si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites - le! Mais vous ne les traverserez, qu'à l'aide d'un pouvoir]

Sour. "Al Rahman" (Le Miséricordieux) v33

[On lancera sur vous deux (les uns et les autres) des jets de feu et L'airain auxquels vous ne saurez échapper]

Sour. "Al Rahman", v35.

D'autre versets du Coran ont affirmé que le ciel est rempli de météores qui traversent continuellement la couche de l'enveloppe atmosphérique de la Terre. Ce nombre s'élève à des milliers de millions par jour, et ils sont de différentes tailles. La majorité de ces météores est détruite avant d'atteindre la couche terrestre, comme l'indiquent les versets suivants :

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage (suite)

Traduit par
Dr. Rokeya Gabr

5- L'espace

Tout ce qui se trouve dans l'espace est en perpétuel mouvement: les étoiles, les planètes et les astres. Ce mouvement a lieu dans des trajectoires définies et à des vitesses différentes. Selon la théorie générale de la relativité, le chemin suivi pour se déplacer dans l'univers d'une masse cosmique à l'autre doit suivre une courbe. C'est pourquoi on remarque l'usage de l'expression "Al'Urûdj" (qui signifie: le fait d'adopter un détour, une sinuosité, de contourner) pour exprimer le déplacement dans l'espace.

[De la part d'Allah à qui appartiennent les voies ascensionnelles que Les Anges et le Saint Esprit escaladent en un jour dont la durée est de cinquante mille ans]

Sour. "Al Ma'aridj" (Les Ascensions) v3-4.

Le Coran a également mentionné les risques que court celui qui monte dans l'espace loin de l'attraction terrestre et qui n'est plus soumis aux lois de la pesanteur: respiration difficile et sentiment d'oppression dans la poitrine.

[Celui qu'Il veut égarer, Il rend sa poitrine serrée et opprimée, comme s'il était monté dans le ciel]

Sour. "Al An'am (Le Bétail), v125.

Le Coran se réfère également aux effets ressentis par celui qui voyage dans l'espace, tels les troubles de la vue. Or, les astronautes ont

REVUE AL-AZHAR

Vol. 86 Part V.

Jumada Al-Ula 1416H. - October 1995

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

like Khatib's use of the two different adverbs 'certainly' and 'surely' and Y. Ali's use of 'certainly' and 'with certainty.'

5) Repetition of the expression "Nay, but" twice, in addition to the exclamation mark at the end of each conjoined sentence in Pickthall's version, and the repetition of the expression "no indeed" followed by a semi-colon, and the coordinator 'but' in Arberry's version. Perhaps, these repetitions which are due to the honesty of translators and their tendency to keep to a word-for-word translation, produce a heavy effect in the mind of the reader, unlike that produced by the negative particle /kallä/ in the SL text.

It is therefore concluded that the translators over-emphasis and repetition of non-existing conjunctions on the formal and functional levels have often led them to neglect the contextual meaning of the original coordinators as well as their communicative value in the text.

to be continued

Arberry (657) :

No indeed; but soon you shall know.
Again, no indeed; but soon you shall know.
No indeed; did you known with the knowledge of certainly,
you shall surely see Hell.
Again, you shall surely see it with the eye of certainty.

Y. Ali (1780) :

3. But nay, ye soon shall
Know (the reality)
4. Again, no soon shall know!"

....

6. Ye shall certainly see Hell fire!
7. Again, ye shall se it.
With certainty of sight!

Notice that, unlike Khatib, Arberry sticks to the adverb 'surely' which denotes his consistency in the use of words. Y. Ali, on the other hand, is inconsistent when he uses the adverb 'certainly' in the Antecedent, verse 6, and the PP 'with certainty' in the Copulative, verse 7. However, their resort to the word 'again' as equivalent to /Θumma/ is perhaps for two main reasons : first; it denotes no fixed time reference, second, it distinguishes between the /fä?/ which implies immediate succession and /Θumma/ which implies lagging succession, both of which are equivalent to 'then' in English.

In the above example, the following mismatches are therefore considered :

1) Deletion of 'then' in the four versions except for Khatib's in his rendering of verse 7.
2) Substitution of 'then' by using the sentence connector 'again' which may, to some extent, suit the meaning of the source text.
3) Addition of the conjunctins 'yet' 'but' or 'for' for no clear reason, except for emphasis.
4) Change in the conjoined structure as a result of these deletions, substitutions and additions, as well as change in the selection of words,

Pickthall (819) :

3. Nay, but ye will come to know!
4. Nay, but ye will come to know!

....

6. For ye will behold hell-fire.
7. Aye, ye will behold it with sure vision.

Notice that Pickthall adds the conjunction 'for' at the beginning of verse 6, which implies reason even though it has no equivalent in the original text. In addition, Pickthall, not only ignored the existence of /oumma/ linking verses 4 to 3, or rendered it in his version, but he also ignored the coordinator /Θumma/ which links verses 7 to 6. The deletion of the coodinator /Θumma/ has, therefore, a bad effect on Pickthall's version from the syntactic and communicative points of view.

Khatib, on the other hand, seems to understand the importance of repetition in the above verses. Nevertheless, he shows inconsistency in rendering the emphasizing particle, /la-/in/la-tarawn/ repeated in verses 6 & 7. He translates it into the adverb 'certainly' in verse 6, and the adverb 'surely' in verse 7. Moreover, he does not completely ignore the coordinator /Θumma/ in verse 4, but he replaces it with the sentence connector 'Again'. This is perhaps to emphasize the meaning of the preceding sentence;

Khatib (820) :

"Yet, you will know. Again, yet; you will know ... you will certainly see al-Jahīm. Then you will surely see it with the eye of certainty."

Arberry and Y. Ali, the same as Khatib, have reproduced almost completely the same textual effect of the SL by translating the coordinator /Θumma/ into 'again', not 'then'. The only difference is that in case of Khatib's version, the word 'Again' is preceded and followed by another conjunction 'yet,' perhaps to stress the meaning of the two conjoined elements. Both Arberry and Pickhtall, on the other hand, add the coordinator 'but' (instead of 'yet', used by Khatib) in both conjoined elements, whereas Y. Ali uses 'but' only once, at the beginning of verse 3. Arberry's and Y. Ali's versions are represented as follows :

Pickthall is the only translator who repeats 'then' twice, corresponding to the two occurrences of the /fä?/ in the verse. His translation is represented as follows:

Pickthall (794) :

"7. Who created thee, then fashioned, then proportioned thee?" where it is believed that the comma preceding the /fä?/ in the second conjoined element is sufficient.

Other translators such as Arberry. Y. Ali and Khatib have perhaps made a big mistake when they translated the /fä?/ into 'and', not 'then'.

However, wrong selection of coordinators will be discussed later, in dealing with the semantic evaluation of translating Coordination.

Deletion and Change in the Conjoined Structure :

Instance of deletion can be illustrated in the following verse :
Sura 102, Verses 3-7 :

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ . سورة التكاثر

kallä sawf-a taçlam-ün-a Θumma kallä sawf-a taçlam-ün-a
kallä law taçlam-ün-a çilm-a-l-yaqïn-i la-taraw-n-l-a-jaḥïm-a
Θumma la-tarawan-a-hä çayn-a-l-yaqïn-i/.

Notice the feature of repetition in the original verses above; the negative particle /kallä/ is repeated three times, the phrases /?al-yaqïn/ and /la-tarawn/ are repeated twice. Moreover, verse 4, is a repetition of verse 3, and is conjoined to it by means of /Θumma/. At the same time, verse 7, repeates the meaning of verse 6, and is conjoined to it by Θumma/. Such repetition of conjoined words, phrases or sentences is a common feature which exists not only in CA, but also in English.

Pickthall, for instance, has ignored the existence of /oumma/ which links verses 4 to 3 and 7 to 6. Pickthall's attitude is perhaps to avoid repetition or to give an exact copy of verses 3 and 6, without adding or dismissing any element even if it is a coordinator and already exists in the SL text. His translation of verses 3,4,6 & 7, is represented as follows

Arberry and Pickthall, on the other hand, have reduced the number of 'then' from four, as in case of Khatib's and Y. Ali's version, to three. This is because they translated the /fäʔ/, used in verses 19 and 21, into 'and'; not 'then'. Their versions are represented as follows:

Arberry (630):

Of a sperm-drop
He created him, and determined him,
then the way eased for him,
then makes him to die, and buries him,
then, when He wills. He raises him.

Pickthall (791):

19. From a drop of seed. He createth him and proportioneth him,
20. Then maketh the way easy for him,
21. Then causeth him to die, and burieth him,
22. Then, when He well, He bringeth him again to life.

Of course, the resort of the above translators to the excessive use of 'then' is an unattested attitude in English. It is believed that this excessive number should be reduced to three; provided that 'then' is used as equivalent to the /fäʔ/. whereas /θumma/ is replaced by either commas or by one of the sentence connectors, 'next' or 'afterwards', but not by the coordinator 'and'. The version to be suggested is, therefore, represented as follows:

Suggested Version:

> From semen did he create him, then fashioned him in perfection. Next, he eases his way, causes him to die then buries him. Afterwards, when He pleases, He raises him to life."

The same attitude of using excessive number of 'then', can be illustrated in Sura 82, Verse 7:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الانفطار

B.

/ʔal-laδi xalaq-a-ka fa sawwä-ka fa ʕadal-a-ka/

/min nuṭfa-tin xalaq-a-hu fa qaddar-a-hu Θumma-s-sabil-a yassar-a-hu Θumma ʔamat-a-hu fa ʔaqbar-a-hu thumma ʔiða shäʔ-a ʔanshar-a-hu/.

In rendering the above four verses, Khatib has repeated 'then' four times, as equivalent to the /fäʔ/, used in verse 19, and /Θumma/, used in the three verses, 20, 21 & 22.

Khatib (792):

> Of semen did He create him, then fashioned him in perfection. Then He eases his way. Then He causes him to die, and buries him. Then when He pleases, He raises him to life.

Notice that Khatib resorts to this excessive number of 'then' whenever he finds (fäʔ/ or/Θumma/ in the source text. However, there is only one instance, in verse 21, when he translates the /fäʔ/ into 'and'. not 'then': "Then He causes him to die, and buries him."

This same number of 'then' occurs in Y. Ali's version which is represented as follows:

Y. Ali (1602):

19. From a sperm drop:
He hath created him, and then
Mouldeth him in due proportions;
20. Then doth He make
His path smooth for him;
21. Then He causeth him to die,
And putteth him in his Grave;
22. Then, when it is
His will, he will
Raise him up (again).

There is only one instance, in Sura 21, when Y. Ali, the same as Khatib, has rendered the /fäʔ/ as 'and'. Moreover, he inserts 'and' before 'then' in verse 19, an attitude which is syntactically unaceeptable. This is because, according to Huddleston (1988:201). "any one element can be coordinated by no more than one coordinator."

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part :V

By Dr. Maha Y. El Tagouri

After having reviewed some instances of syntactic mismatches of the (wäw) which mainly constitute aspects of repetitions, deletions and changes in the conjoined structure, the following article, will deal with similar aspects, but this time by means of the two coordinators /fä?/ and /Θumma/ in Arabic. The only possible equivalents of the coordinator /fä?/ in English is one of the two subordinators: 'then' if it implies succession of time or 'so' if it implies causation. The equivalent of /Θumma/, on the other had, is either the subordinator 'then', or one of the two sentence connectors: 'next' or 'afterwards'.

However, it is realized from the four translations under study that the conjunction 'then' is more commonly used than the other sentence connectors, and will thus be considered a coordinator, to be discussed in the following section.

Syntactic Mismatches with the /fä?/ and /Θumma/:
Repetition:

Repetition of coordinators in the four translations of the Qur'an is a feature which is frequently used with the /fä?/ and /Θumma/, the same as with the /wäw: Consider for instance the following examples:

Sura 80, Verses 19-22:

1.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ سُورَةُ عَبَسَ

their hearts (so that) some ye slew, and some ye made prisoners."

(Al Aḥzab : 25-26)
(Yusuf Ali P. 1063-64)

As for the hypocrites, Allah Amighty says :

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

"And behold ! The Hypocrites and those in whose hearts is a disease (even) say : Allah and His Messenger promised nothing but delusions!"

(Al Aḥzab : 12)
(Yusuf Ali, P. 1059)

Regarding the Muslims, Allah Almighty says :

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ

"When the Believers saw the confederate forces they said : "This is what Allah and His Messenger had promised us, and Allah and His Messenger told us what was true. "And it only added to their faith and their Zeal in obedience."

(Al Aḥzab : 22)
(Yusuf Ali, P. 1063)

"Ye who believe! Remember the Grace of Allah, (Bestowed) on you, when there came down on you hosts (to overwhelm you). But we sent against them a hurricane and forces that ye saw not :
But Allah sees (clearly) all that ye do."

(Al Aḥzab : 9)
(Yusuf Ali P. 1058)

Moreover, Allah had, also instilled panic in the hearts of the idolaters and, in so doring, put in their minds the realisation that the Jews could turn against them and support the Muslims against them. For these reasons, the pagans decided to refreat at once to their own country after two-month siege.

After this battle (the Claus) the prophet (PBUH) became sure that the idolaters would not be able to launch another attack for some time after they had been deceived by rain glory and after they had retreated so desperately. For this reason, the prophet (PBUH) decided, as he told his companions, to attack the idolaters from now on and would not wait until they would take the initiative and attack the Muslims. In the meantime, the prophet (PBUH) made rapid preparations to punish the Jews of Bani Qureiza for their betrayal.

As a matter of fact, all that had been going on the battle field during the battle of the clans had been best illustrated in the Surah of 'Al Ahzab' in which Allah Almighty had given us a clear picture and a true image of the Jews' betrayal, the defeat of the unbelievers, the hypocrites defeatist and cowardly manner during the battle and finally the Muslims' courage, steadfastness and strong faith in Allah.

Allah Almighty says :

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ
ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

"And Allah turned back the unbelievers for (all) their furry : no advantage did they gain : and enough is Allah for the believers in their fight. And Allah is full of strength, Able to enforce His will.

And those of the people of the Book who aided them — Allah did take them down from their strongholds and cast terra into

take 70 of the leaders of Qureish and the Ghatafan as hostages in order to ensure that they were not going to desert them. The Jews considered that this suggestion was good and agreed among themselves to follow his advice.

After achieving success in his mission, Noaim did the same thing with the Qureish and the Ghatafan. He approached the Qureish and told their leaders that he had been informed that Bani Quraiza had regreted all that they had done against Muhammed and that they were afraid of being left alone on the battlefield by Qureish and thus, they intended to take hostages from the Qureish to ensure that they were not going to be deserted.

Noaim did the same thing with the Ghafatan. Meanwhile, Abu Sufian had sent a delegation to Bani Quraiza urging them to join the Qureish on the battlefield the next day. To his disappointment, the Jews of Bani Quraiza replied that they could not fight on the Sabbath and they also told the delegation that they would not fight until they had taken hostages from the Ghafatan to make sure that they would not betray team.

At this moment, the Ghatafan and the Qureish became convinced that Noaim had told them the truth and that his advice was correct. The consequences of such a trick was in favour of the Muslims because the unholys alliance between the Jews and between both the Ghatafan and the Qureish was completely disintegrated and fully undermined.

In the meantime to achieve full victory, Allah Almighty had sent a strong wind towards the encampment of the idolaters which drove a fire that destroyed their tents and panicked their horses. As Allah says :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩

vent the Muslims from defending Medina. In other words, Medina was critically exposed to complete defeat.

Despite all these dangers, the prophet (PBUH) had not weakened, but continued with the other Muslims to resist as strongly as possible. Being surrounded by considerable danger from every direction did not prevent the Muslims from remaining steadfast in their determination to achieve victory.

In order to overcome the perilous situation in Medina, the prophet (PBUH) had decided to create a situation which would upset the relationships between the enemy groups, so he went for the two commanders of the Ghatafan envoys to negotiate with them their withdrawal from the battle in return for one third of Medina's fruit production. The Ghatafan accepted the offered peace terms and signed a treaty with the Muslims.

During this critical situation a man, from the Ghatafan whose name was Noaim Bin Masoud, came to the prophet (PBUH) and told him that he wished to become a Muslim and that none of his people had known anything about his intensions. He also told the prophet (PBUH) that he was ready to under take any mission which would strengthen the Muslim's situation. In order to help the Muslims, Noaim Bin Masoud resorted to deception. He unhesitatingly approached the Jews of Bani Quraiza to warn them against the betrayal of the Jews of Bani Qayanqa'a and Al-Nadeer. In addition, he assured them that the Qureish and the Ghatafan were not so determined like them to continue their war against the Muslims for they had decided to retreat to their own country. Moreover, he reminded them that their situation was much more worse because they were Muhammad's neighbours and they had no other place to retreat to, they had not have the resources to fight alone against the Muslims. Thus, he adirsed them that before going into the battle they should

trench. At this moment a group of Muslims led by Aly Bin Abi Taleb advanced quickly and closed the crevice.

The Jews of Bani Al-nadeer, who stirred up the idolaters against the Muslims, knew that their vicious plotting had not brought them success because of the defensive strategy of the Muslims which had caused the idolaters to give up hope. Thus, fearing that the idolaters could give up in despair and retreat without attacking the Muslims, the leader of Bani Al-Nadeer went secretly to meet with his kinsflok of Bani Quraiza in an attempt to persuade them to renounce the peace treaty with the Muslims, and give support to the idolaters who wanted to storm Medina and destroy Islam. At the beginning the Jews of Bani Quraiza were considerably worried as to the consequence of their betrayal to the Muslims. But at last they agreed to betray the Muslims in favour of the idolaters.

Meanwhile, the hypocrites began to act in a defeatist and cowardly manner. They began to withdraw from their positions, having previously taken every opportunity to prevent and delay the Muslims in the completion of their military preparations. In addition, they had also expressed their interest in supporting the idolaters against the Muslims.

When the prophet (PBUH) came to know about the Jews betrayal, he sent two envoys Sa'd Bin Moaz and Sa'd Bin Obada to make sure of their betrayal. During their meeting with the prophet's envoys, the Jews formally renounced the peace treaty which had been made previously with the Muslims. When the two envoys assured the prophet (PBUH) of the Jews betrayal, he ordered both Maslama Bin Aslam and Zaid Bin Haritha to guard Medina itself with the assistant of 500 Muslim militants. Meanwhile, the situation was becoming more and more critical because not only were the idolaters, besieging Medina, supported by the Jews, but on the other hand, the hypocrites were still doing their best to pre-

psychological conditions which kept the Muslims continuously alarmed by the danger of suddenly becoming subject to a possible surprise attack before the task was fully completed.

After finishing the military preparations, the prophet (PBUH) ordered the Muslims to harvest all crops from outside Medina, in order to prevent the idolaters from finding feed for their horses and their camels. He also agreed with the Jews of Bani Quraiza to defend the southern part of Medina. The prophet (PBUH) made Zaid Bin Haritha responsible for carrying the flag of the Emigrants, and Sa'd Bin Obada was made responsible for carrying the flag of the Ansar. Meanwhile, the Muslim warriors took up positions behind the trench, and the Muslims were warned that they must keep careful watch.

The idolaters were completely surprised by the trench, which was a trick and a war novelty unknown to the Arabs. The idolaters made their camp opposite to the trench. It was no long before the idolaters realised that they were to confront a serious problem concering their food supplies because the Muslims had reaped the harvest before their arrival. Henceforth, the began to reassess the entire situation especially that they were fully aware of the impossibility of launching a surprise attack against the Muslims.

During the first few days both sides were occupied in exchanging volley of stones and arrows and in the meantime the idolaters were reconnoitering the trench trying to discover a slight narrowness at any part of it. Finally, Nawfal Bin Abdullah found a slight narrowness at one section of the trench and at once he attempted to jump across to the other side of it but he was immediately killed. Another group of the idolaters discovered a slightly narrower place, and some of them succeeded in jumping across to the other side of the

that they should dig a wide trench to prevent the idolaters from coming into Medina. To the prophet (PBUH) this idea was a war novelty but Salman told the prophet (PBUH) that this was not some thing new because when he was in Iran, they used to dig a trench whenever their enemy besieged them. The prophet (PBUH) accepted the suggestion, and so he rode accompanied by 3000 Muslims to the area where they had decided to dig the trench. The Muslims surveyed and reconnoitered the area and decided to dig the trench along the northern part of the city, because it was not protected by houses. From the first beginning, the prophet (PBUH) divided the digging equally among the Muslims; each one of them was required to dig 40 feet. The prophet (PBUH) himself, helped the Muslims to finish the work, carrying away the sand and stone on his back setting by this an example of the importance of cooperation among Muslims.

Before proceeding with the details of the battle, it is important to understand the significance of this extraordinary defensive feature. The trench was more than 6 kilometers in length, and 6 meters wide. It had been specially designed and dug to prevent horsemen of the idolaters from penetrating Medina, they know that even the best of horse jumps could not successfully accomplish this width. Moreover, the trench had been excavated to a depth of 3 meters, so that if the horses of the idolaters were to fall into it, they would not have the strength to struggle out of it and so would be trapped. The sand and the rocks excavated from the trench were used by the Muslims to build a barrier at the entrance to Medina, from behind which, they would themselves be protectd and could shoot at their enemy without themselves becoming exposed to them.

It is also interesting to record that the whole thing was completed in 20 days, and under very difficult conditions and considerable danger, because of the various obstacles to the digging, such as the hardness of the rocks, and also the

sold their religion to the idolaters in Mecca, in return for the suppression of Islam in Medina.

After the batltle of Uḥud, the idolaters kept dreaming of totally undermining Islam. The Jews made use of this dream and tried ever since to encourage the idolaters not to give up their dream and try hard to suppress this newly born religion which began to deeply impress humanity. Henceforth, a Jewish delegation, from Bani Al-Nadeer, visited Qureish in Mecca and met with their leaders. In fact, the Jews were seeking to establish an alliance with the pagans against the Muslims. The Jewish delegation began to incite the idolaters against the prophet (Peace Be Upon Him) and his followers. The pagan leaders of the Qureish were deceived by the Jewish delegation and accepted the alliance.

Then the Jewish delegation went on to visit the tribe of Ghatafan to incite them also against the prophet (PBUH) promising to give them their full support in addition to the proceeds from one year's crop from their palm trees, if Ghatafan would agree to fight against the prophet (PBUH).

As a matter of fact, the Jews succeeded in their evil mission for they were able to convince the Qureish to launch a war against the prophet (PBUH). Thus, the Qureish and their followers, and the Ghatafan and their followers, besides other tribes such as : the Morra, Fazara, Bani Saleem, Bani Assad, prepared themselves to fight against the Muslims. The army of the idolaters and the Jews together comprised approximately 12,000 men, and these were divided into three battalions under the overall leadership of Abu Suffian Ibn Harb. Once this army had completed its preparation, it moved towards Medina.

Hearing of this new campagin, the prophet (PBUH), as usual, hastened to discuss the situation with his followers. It was not long before one of the believers, who was from Iran and named Salman Al-Farisy, put forward the suggestion

The Great Battles of Islam

3. The Battle of the Clans

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

It is a true saying that history repeats itself. In fact, if we look deeply into history we will find that what is taking place nowadays or in our present world is similar to what had been taking place centuries ago. In other words, if we trace the roots of the Zionist movement in our Modern age and examine its criminal plans against the Arabs in general and the Arabs of Palestine in particular, we will find that there is a great similarity between is taking place now and what had been taking place fourteen centuries ago.

We, the people of today, all know that during the First World War, the Zionist movement, in order to implement its criminal plans against the Arab Nation, had agreed to establish an alliance with the British expanionist colonialism in return for the 'Balfour Declaration". In a similar manner, during the Second World War, the Zionist movement established a strong alliance with the American expanionist colonialism, in exchange for the establisment of the Hebrew state in the very centre of the Arab Nations.

Fourteen centuries ago the same Jewish attitude and the same criminal plans had existed may be in different forms or in different manners. However, greed, cheating and envy which are the basic characteristics of the Jews have never changed throughout history. Forteen centuries ago, the Jews

AL-AZHAR MAGAZINF

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Ula 1416H.

Vol. 86 Part V.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al Aᶜraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية (عالم الغيب)
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ٦٢١
● مع الإمام الأكبر
ـ فتوى فى بعض أحكام الخنثى ٦٢٦
ـ مع سورة يس
ـ للأستاذ الدكتور ابراهيم خميس ٦٣٠
● السنة هدى ورجالا ●
● الحدود بين العفو والوجوب
ـ لفضيلة الدكتور محمود سالم الخطيب ٦٣٦
● يا خيل الله اركبى
ـ لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ٦٣٩
● الإمام سفيان الثورى
ـ للأستاذ الدكتور أحمد السيد حُطيبة ٦٤٢
● المدونة الكبرى فى الفقه الإسلامى
ـ للأستاذ الدكتور محمود عبدالمتجلى خليفة .. ٦٥٠
● الاقناع العقلى قبل رسالة ابراهيم
ـ للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٦٥٦
● أملاك الدولة فى صدر الإسلامى
ـ للمستشار جمال الدين جودة اللبان ٦٦١

● الوصية بالوالدين وأحكام متعلقة بها
ـ لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ٦٦٦
● نظرة فى مؤتمر بكين
ـ للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٦٦٩
● الإسلام والمرأة والتاريخ
ـ الأستاذة عبير عبدالواحد ٦٧٣
● من دلالات الهجرة النبوية
ـ لفضيلة الشيخ محاد حافظ سليمان ٦٧٦
● الفتـــاوى
ـ إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ٦٨٠
● من أعلام الأزهر الشيخ عبدالعزيز عيسى
ـ لفضيلة الشيخ سيف النصر المجلى ٦٨٣
● طرائف ومواقف
ـ للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٨٨
● الشعر والشعراء ●
● الأزهر وشيخه
ـ للشاعر حمود محمد شرف الدين ٦٩٠
● جبال المغنطيس
ـ للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ٦٩٢
● وصية أم أعرابية
ـ للشاعرة جليلة رضا ٦٩٤
● من روائع الماضى للأستاذ محمد فريد وجدى
ـ إعداد عبدالفتاح حسين الزيات ٦٩٥
● العلوم الكونية ●
● تاريخ «الطب فى الدولة الإسلامية»
ـ للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٧٠١
● استخدامات الليزر فى طب العيون
ـ للدكتور السيد يحيى الزيات ٧٠٥
● من أمراض الطفولة
ـ للدكتورة جيهان أحمد مصطفى ٧١٢
● الجديد فى العلم والتقنية
ـ للدكتورة نجوى السيد أحمد ٧١٥
● النحاه والاحتجاج بالقرآن الكريم
ـ للأستاذ صلاح موسى البربرى ٧١٩
● ابن دريد ومنهجه فى اللغة العربية
ـ للدكتور محمد رياض السيد كريم ٧٢٣
● مع الدكتور عبدالوهاب عزام
ـ للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٧٢٩
● رؤية مع التقدير والإنصاف
ـ للأستاذ صابر أحمد تعلب ٧٣٣
● مناقب الإمام أحمد بن حنبل
ـ عرض الأستاذ عبدالسلام ناصف ٧٣٨
● بين المجلة والقارىء
تقديم الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ٧٤٣
● أنباء وآراء ●
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
ـ للأستاذين : عمر البسطويسى
مصطفى عبدالمجيد ٧٥٠
● أنباء العالم الاسلامى
ـ للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ٧٥٣
● القسم الفرنسى ٧٦٢
● القسم الانجليزى ٧٧٩

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

مجلة الأزهر وقراؤها

ليس يشك كل عامل بميدان الصحافة في « قيمة القراء » للصحيفة ، أو للمجلة ، بل قيمتهم في كل ما تُصْدِرُهُ دور النشر جميعاً ؛ فإليهم يوجه هذا النتاج الضخم الذي يمثل قيمة مالية تصل إلى « البلايين » من النقد العالمي ، ويعني ذلك - بداهة - أنه لا يمكن أن تغفل صحيفة ، أو مجلة ، ومنها مجلة الأزهر - عن قرائها ، وما يهدفون إليه وينتظرونه من صحيفتهم أو مجلتهم .

فهذه حقيقة لا مكابرة فيها ولا عناد ، ويعتبر باب القراء - عادة - مقياساً ذا حساسية بالغة في بيان ، بل وتوريد ، هذه الرغبات إلى محرري المجلة !

وأذكر أن قارئا فاضلاً على ثقافة تخصصية عالية عاتبنى عتاباً شديداً ، لأننى لم أنشر لسيادته خلاصة دقيقة كتبها ــ بأمانة ــ لِهَدِيَّتَىْ « مقدمة قبل الهجرة » هجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الصادرتين فى شهرى المحرم وصفر من عام (١٤١٥هـ) ومدح هذا العالم الجليل الجهد المبذول فيهما ، وما قدمتاه من معلومات ذات قيمة تاريخية كانت شبه مطمورة حتى أراد الله ــ عز وجل ــ فبرزت فى هذين الكُتَيِّبَيْنْ . وكنت ــ فعلاً ــ أشرت على المحرر بعدم نشر هذه الخلاصة ، لأننى أَوَّلاً ــ مؤلف الكتابين ، وسوف يكون ــ فى نشرهما ــ ما يمكن تفسيره بأكثر من هدف ، وفيما بعد نبهنى الدكتور محمد عبدالحكيم محرر باب بين المجلة والقارىء إلى هذا الخطأ بعبارة مهذبة تلفت النظر ــ نظرى ــ إلى جهد هذا العالم الذى بذله قارئاً وكاتباً لتلك الخلاصة . وأذكر أننى بلغت الكاتب الفاضل بما كان عليه أمرى ، وأرجو أن يكون قد صفح ؛ فقد كان له حق ، وكان لى وجهة نظر أَخطَأَتْ حَقَّهُ .!! ، وبعد :

فإن للقارىء « حقاً » لا محالة . ولكننى أرجو ــ إلى جانب هذا الحق ــ أن يعلم القارىء أن للمجلة ــ أيضاً ــ « رسالة » ، رسالة محبوبة إليه ، عزيزة عليه ، ورسالة المجلة تمثل الأزهر جامعاً وجامعة، علماً ودعوة .

وجامعة الأزهر التى امتدت شرايينها فى أكثر من بقعة داخل جمهورية مصر ، ثم اتجهت خارجها ، هذه الجامعة ينبغى أن ينعكس نشاط علومها المختلفة : كَوْنية وربانية ــ على صفحات مجلة الأزهر ، وتخطىء مجلة الأزهر إذا لم تفعل ذلك فيتسع صدر صفحاتها للطب والزراعة والهندسة وغيرها إلى جانب كلمة الله ــ تعالى ــ وما تستتبع من تفسير وحديث وفقه وأحوال المسلمين عامة .

وليس هذا المنهج ابْنَ اليوم ـ بعد إنشاء جامعة الأزهر الحديثة ؛ بل هو منهجها منذ تولى تحريرها ـ لأول مرة ـ فضيلة الشيخ الخضر حسين ـ رحمه الله ـ الذى تولى مشيخة الأزهر فى الخمسينات ـ وقد حرص هذا الإمام الأكبر على وضع منهج المجلة فى أول عدد صدر منها ، وأعدت نشره فى أول عدد أسند إلىّ فيه رئاسة تحرير هذه المجلة ـ صفر ١٤٠٣ هـ ، وهو هو الذى عليه المجلة .

إلى هذا المنهج ألفت نظر قارىء عزيز ـ كما لفت نظرى محرر المجلة من قبل ـ إلى رسالة كتبها باسم مجموعة يريد إقصاء بعض موضوعات المجلة من « باب العلوم الكونية » لأنه رأى فيه ما لا يمت إلى الرسالة الدينية بصلة .

أقول : كيف هذا يا أخى ...؟ أئذا حَصَّلَ الإنسان معلومة علمية محضة لا يكون قد اكتسب معرفة دينية ..؟! وهل العلمُ إلا من عند الله ..؟ تعالى ـ سبحانه ـ ورَحِمَ ..!

لا أشك أن كل حقيقة علمية تمثل ركناً دينياً هاماً يدل على الخالق العظيم ـ سبحانه ـ وكفى بالله عليماً ، أحاط بكل شىء علماً ، وقَسَمَ حُظُوظَ خَلْقِهِ من هذا العِلْم ، وجعلهم فيه فِرقاً ، وتفاوت العلمُ فى كل فرقة بين علمائها فإذا فوق كل ذى علم عليم .

والله ـ تعالى ـ الهادى إلى سواء السبيل . نسأله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد .

د. على أحمد الخطيب

فتوى للإمام الأكبر ببيان

دور الاجتهاد فى الغرب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من مسلمة نرويجية اسمها « حفصة لينا لارشن » تدرس فى جامعة أسلو اعتنقت الإسلام منذ عشر سنوات ، وتدرس تاريخ الأديان ، وتحضر رسالة ماجستير تحت عنوان المسلمون النرويجيون الجدد إشراف الأستاذ محمد معشوق بن على ، فى جامعة ويلز ، ومن المواضيع التى ستتناولها فى رسالتها الانخراط فى الأمة الإسلامية ودور المسلمين الجدد فى فهم الإسلام وترجمته على الساحة الأوربية .

وانطلاقا من هذا فهى ستقوم :

أ ـ باستجواب بعض العلماء والقادة الإسلاميين المهتمين بنشر الإسلام فى الغرب .

ب ـ وأيضا باستجواب بعض المسلمين الجدد .

ج ـ وثالثا باستجواب مسلمين أصلا أصحاب اهتمام والتصاق بهذا الجانب .

وفى نهاية خطابها تقول فإننى أرجو أن أحصل منكم على أجوبة وآراء حول الأسئلة والمواضيع التالية : ـ

السؤال الأول :

ما دور الاجتهاد فى الغرب ـ إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانة العرف واختلاف الظروف والأوضاع الحياتية فى الغرب عنها فى بلاد المسلمين ؟

والجـــواب

يمكن التعرف على الإجابة بما يأتى : ـ

الإسلام دين عالمى صالح لكل زمان ومكان ، وعالمية الإسلام ليست مقصورة على بلد بعينه ، أو قطر خاص ، أو قارة بذاتها ، بل تعاليمه عامة تسرى على أفراد كل مجتمع يؤمن بالإسلام دينا ، ويرضى بالقرآن دستورا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ..

والاجتهاد هو بذل الفقيه جهده العقلى واستفراغ وسعه فى تحصيل واستنباط الأحكام العلمية من أدلتها التفصيلية .

ويشترط فى المجتهد البلوغ والعقل والإسلام .

ومن أراد الاجتهاد فعليه أن يحصل وسائله ويمتلك القدرة على فهم مصدرى الإسلام وهما : القرآن الكريم والسنة النبوية ، وألا يخرج باجتهاده

عن الأصول الثابتة فى دين الإسلام وذلك بمعرفة اللغة العربية معرفة تمكنه من الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وأن يكون على علم بالقرآن بأن يتفهمه لغة وفقها ، ومعرفة آيات الأحكام الشرعية العلمية ، وأن يكون على علم بالناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم .

وأن يعرف السنة النبوية الشريفة ، وطرق وصولها ورواياتها من تواتر أو شهرة أو آحاد وحال الرواة ؛ حتى يستطيع أن يميز بين الصحيح والفاسد والمقبول والمردود .

وأن يكون على علم بالوقائع المجمع على الحكم فيها والعلم كذلك بالمختلف عليه . وأن يكون على علم بأوجه القياس وطرائقه .

وأن يكون على معرفة بمقاصد الأحكام فى الشريعة الإسلامية التى تتمثل فى الرحمة بالعباد ، وأن يكون على علم بأصول الفقه مع صحة الفهم .

وإذا كان الاجتهاد فى فروع الإسلام ، وما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة مشروطا فيه التوافق مع القرآن والسنة والسير فى الحياة على نهجها ، فإن ذلك يعنى تطبيق الإسلام بأصوله وفروعه فى أى مجتمع إسلامى غربا أو شرقا فردا أو جماعة أو أسرة .

ويجب أن يعلم أن العرف والظروف والأوضاع الحياتية فى المجتمعات الإسلامية تخضع لتعاليم الإسلام ، وتتواءم معه دون إخضاع تعاليم الإسلام للعرف والظروف لبلد ما ، فمثلا حرم الإسلام أكل لحم الخنزير فهو محرم على أى مسلم فى أى مكان لا يحل لعرف أو لظروف حياتية معينة ، والله خلق من الحلال الطيب بدائل كثيرة .

وكذلك حكم الإسلام بأن جسم المرأة كله عورة يجب أن يستتر ما عدا الوجه والكفين ولا يحل غير ذلك لعرف أو عادة فى مجتمع ما .

وكذلك الحيوان مأكول اللحم لا يحل أكله إلا بعد ذبحه بإسالة الدم من عروقه (الودجان والمرىء والحلقوم) ولا يحل إماتة الحيوان المراد أكل لحمه بصعق بتيار كهربائى أو ما يماثله .

وكذلك لا تتم معاشرة الرجل للمرأة إلا بعد عقد زواج شرعى بإيجاب وقبول ومهر وشاهدين ، وأى معاشرة تتم بغير هذا الأسلوب فهى محرمة فى نظر الإسلام .

وقد يحكم العرف فى أمور المعاملات وألفاظ الأيمان ووسائل العدل وفى الكيل والميزان بشرط ألا يصادم نصا قطعيا فى القرآن أو السنة أو هما معا .

وفى الإسلام كثير من أصوله وقواعده وتعاليمه التى يجب على أتباعه أن يتمسكوا بها ، وعلى من أراد الاطلاع فعليه بما صنفه العلماء والفقهاء ، وسيجد يسر الإسلام وسماحته مع قواعده المنضبطة فى كل شىء .

السؤال الثانى :

ما معنى كلمة الأمة الإسلامية وما حدودها وكيف يصبح الإنسان عضوا جديدا فى هذه الأمة ؟ ما الشروط والواجبات ؟

والجواب

الأمة الإسلامية كلمة جامعة ، ومظلة تتسع لكل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وتشمل الشعوب والدول الإسلامية ، التى تدين

بالإسلام ، كما تشمل الأقليات المسلمة فى أى دولة من دول العالم .

والإنسان يصبح عضوا جديدا فى الأمة الإسلامية بمجرد إعلان إسلامه وإشهاره وقبوله اعتناق الإسلام بأركانه الخمسة المبينة فى حديث نبى الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ :

« بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان »[1] .

ومن فعل هذا فقد أتى بواجبات الإسلام وشروطه التى من أهمها الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

السؤال الثالث :

فى أى الطبقات تصنفون المسلمين الجدد ؟ أفى طبقة العوام أو طبقة العلماء أم طبقة خاصة ؟

والجـــواب

المسلمون الجدد بمجرد إسلامهم وإشهاره أصبحوا مسلمين لهم كل الحقوق وعليهم الواجبات الإسلامية ، ولا طبقية فى الإسلام ، وأما من ناحية المعرفة وعدمها فهذا مبنى على مقومات ذاتية للمسلم الجديد فقد يكون دارسا متفهما قبل إسلامه فيكون متميزا بذلك بما فهم وعلم من الإسلام ، وإن كان قد أعلن إسلامه رغبة دون علم بالتفصيلات فهو من العوام المحتاجين إلى التعليم ، والتعريف بأصول الإسلام ومتطلباته .

السؤال الرابع :

ما أصداء اعتناق الأوربيين للإسلام وآثارها على الإسلام نفسه ؟

الجـــواب

الإسلام ــ كما سبق ــ دين عالمى ارتضاه الله دينا فى ختام البشرية فلا دين بعده ــ ولا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد ﷺ واعتناق الأوربيين له خير لهم فى أنفسهم وقدوة حسنة ، وأسوة طيبة لغيرهم ، ويرجى على يديهم الخير لإخوانهم .

السؤال الخامس :

ما موقفكم من تجديد تفسيرالقرآن الكريم بالنسبة للقضايا التى تختلف حولها الآراء لاسيما التى لها علاقة بالمرأة ؟

الجـــواب

القرآن الكريم كلام الله المبين ، وقد فسره العلماء ، ولا يزالون يفسرونه حسب مايجد من أحداث فهو صالح لكل الزمان ولجميع البيئات وتجديد تفسيره بالنسبة للقضايا المختلف عليها ولا سيما التى لها علاقة بالمرأة ، يصح ذلك حين يكون هذا التفسير متناسقا مع أصول الإسلام وما استقر عليه الأمر عند علماء الأمة الإسلامية ، وحينئذ يكون هذا التفسير جهدا مشكورا مادام لم يخرج عن مصدرى الإسلام : (القـــرآن والسنة) .

وما يتصل بالمرأة أصبح واضحا فى جميع المجالات ويرجع إلى ماكتب عن المرأة فى كتب الفقه والتفسير وحقوق الإنسان فى الإسلام .

السؤال السادس :

ماذا يعنى دخول الإسلام ــ وكيف يتم ؟

(١) متفق عليه ــ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : جـ١ ص ٣ ط دار الحديث .

الجـــواب

الدخول فى الإسلام إعلان اعتناقه وإشهاره بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والبراءة من كل دين يخالف دين الإسلام ، ويتم ذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، مع الالتزام بسائـــر الأوامـــر والنواهـــى والأخلاقيـــات والسلوكيات التى رغب فيها الإسلام .

السؤال السابع :

ما أولويات الدعوة الإسلامية هنا فى بلاد النرويج لا سيما بين الأوربيين ؟ فهناك مسألة الحجاب بين النساء وعادات موروثة كبعض الاحتفالات وغيرها .

الجـــواب

أولويات الدعوة الإسلامية فى بلاد النرويج لا سيما بين الأوربيين هى التعريف بالإسلام ، ومبادئه وأركانه وآدابه وبيان ما اشتمل عليه من عبادات وأحكام تنظم حياة الناس ، وتربطهم بالله خالقهم ، والحلال والحرام .

ومسألة الحجاب للمرأة مسألة محسومة فى القرآن والسنة ، وعلى الوجه الذى بينه القرآن فى سورة النور[٢] وسورة الأحزاب [٣] وفى أحاديث رسول الله ﷺ [٤]فى هذا الخصوص فجميع بدنها عورة يجب ستره ، ولا يحل كشف شىء سوى الوجه والكفين .

أما العادات الموروثة كبعض الاحتفالات فلا مانـع منها فى حدود ما شرع الله بخلوهـا من المحرمات ، واختلاط الرجال بالـنساء اختلاطـا مخلا ، والإسلام لا يمنع أصل الاحتفالات لكنه يمنع منها ما كان خارجا على تعاليمه غير متفق مع آدابه .

والله سبحانه وتعالى أعلم ،،،

(٢) الآية رقم ٣١ من سورة النور .

(٣) الآية رقم ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٤) راجع فى هذا تفسير الآية رقم ٣١ من سورة النور فى تفسير القرطبى « الجامع لأحكام القرآن » ج١٢ ص٢٢٦ ـ ٢٣٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

كلمة الإمام الأكبر فى الأمم المتحدة

بمناســبة مــرور خمســين عامــاً على إنشــائها

السيد رئيس هيئة الأمم المتحدة

السيد سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة

الاخــوة والأخوات الكـــرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعــد ...

فبالنيابة عن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر أتشرف(*) بإلقاء كلمة فضيلته ؛ حيث لم يتمكن من الحضور بسبب ارتباطات عديدة كان عليه أن يوفى بها .

إننى انتهز هذه المناسبة التاريخية لأحيى هيئة الأمم المتحدة فى عيدها الخمسين والتى قد طال عمرها أكثر من سابقتها « عصبة الأمم المتحدة » ، هذا وإن الأمل كبير فى أن تأخذ الأمم المتحدة بهيئاتها المختلفة مبدأ « العدالة والعمل » ، لصالح الإنسانية جمعاء ،وذلك دون تقسيم لبنى الإنسان إلى عوالم مختلفة ومتضادة ـ فهنالك العالم الثالث والعالم الثانى ،إلى آخر التصنيفات التى برزت فى محيط الأمم المتحدة والذى يتنافى مع العلاقات الإنسانية السوية .

وإن على الأمم المتحدة أن تقود الشعوب الإنسانية جمعاء بهذا الوصف إلى التعاون على البر والتقوى ، ويتمثل هذا فى العمل الجاد من جانب الأغنياء والأقوياء على التواصل مع الآخرين من بنى الإنسان من الفقراء والمضطهدين ، سواء أكان هذا التعاون فى ميدان التعليم أو الصحة أو فى نشر العلوم والمعارف التى يرتقى بها الإنسان ، وذلك دون اغتيال لشخصيات الشعوب ، وعدوان على عقائدهم ، بل العمل على أن تتعايش كافة العقائد السياسية والدينية والاجتماعية فى سلام وأمن ومحبة ومودة .

والأمل معقود على السكرتير العام ـ الذى ينتسب إلى وطنه مصر وإلى الشرق ـ أن يسهم بجهده المعروف فى توازن سلوك الأمم المتحدة بكافة هيئاتها لنشر العدل والمساواة بين جميع الشعوب ،

(*) ألقى الكلمة نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر : الأستاذ الدكتور محمد سالم عجوة ، مبعوث الأزهر الشريف إلى المركز الإسلامى فى نيويورك ، ومديره ، يوم السبت ٢٦ من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٩٥م .

وإن الأزهر ليحييه على جهده الفائق فى إدارة شئون الأمم المتحدة .

أيها الاخوة والأخوات ـ أود فى هذه المناسبة التاريخية الطيبة أن أشير بإيجاز إلى منهج الإسلام فى التعامل مع بنى الإنسان .

إن للإسلام مبادىء عامة تتمثل فيما يلى :

أولا : إن الإنسانية أصلها واحد ، فالله ـ سبحانه ـ يقول فى القرآن الكريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات.

ثانيا : إن الإسلام ، وبالتبع المسلمين يؤمنون بكافة أنبياء الله ورسله ، وبما أوحى إليهم إجمالا ، ويقرر الإسلام : أن خاتم الرسل هو سيدنا محمد ﷺ وهذا ما جاء فى القرآن الكريم فى قول الله ـ سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة

أما فيما يتعلق بحقوق الإنسان فقد قررها الإسلام فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ فى سنته القولية والعملية ـ نرى ذلك واضحاً فى القرآن الكريم حيث يقول الله ـ سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ النساء/ ١٣٥

ويقول ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ المائدة/ ٨ .

ثم خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع حيث جاء فيها :

(أيها الناس . إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام رفع الفروق بين بنى البشر ، سواء بسبب اللون ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الفقر ، أو الغنى ، أو بسبب القبلية ، أو الأصول العرقية ، وإنما جعلهم سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح .

فالإسلام كما هو واضح من النصوص السابقة سوى بين الناس جميعاً ، ويدعو إلى التعايش السلمى بين الناس ، وليس من مبادىء الإسلام أو تعاليمه : الحروب الهجومية أو الاستعمارية ، أو بسب القبلية والعرقية ، والحروب المشروعة فى الإسلام هى الحرب الدفاعية لمواجهة العدوان ، دليل ذلك ، قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ الممتحنة/ ٨

وقول الله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ سورة البقرة

ومن ناحية أخرى فإن المسلمين ، والإسلام دينهم ، يجابهون عدواناً ثقافياً يتجاهل حقيقة الإسلام ، وحقوق المسلمين فى إنسانيتهم ، وينسب إليهم ظلما ما ليس فيهم ، ولا فى الإسلام ، وإن

المسلمين يعرضون أنفسهم وإسلامهم للتفهم وإزالة ما قد يكون من لبس لدى الديانات الأخرى ، ولذا جاء النداء القرآنى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ سُورَةُ آل عِمْرَان

ثم إنه مع الاختلاف العقائدى بين الإسلام والديانات الأخرى القائمة فى العالم كله ، فقد أمر الإسلام المسلمين ببيان وجهة نظر الإسلام بالحسنى فيقول الله ــ سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت / ٤٦ .

وأما بالنسبة للأديان غير السماوية أو البشرية فالتعامل بين المسلمين وأصحابها تعامل إنسانى ، بوصف : أنهم أخوة فى الإنسانية دون حط من شأنهم .

فكل ما يجب على المسلمين تجاه إخوانهم من بنى البشر هو الدعوة العامة بالتى هى أحسن ، عملًا بقول الله ــ سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل / ١٢٥ .

وهذا هو واجب المسلمين نحو الإنسانية : أن توضيح صورة الإسلام من مصادره : القرآن الكريم وسنة رسول الله محمد ﷺ ، وأن الإسلام قد قرر حقوق الإنسان ووصَّى بها قولًا وعملًا ؛ من قَبْل التنادى بها فى هذا العصر ، دون منهج عملى لإقرارها .

هذا : وقد بين الله فى القرآن السياسة العامة التى يجب أن تتبع فى هذا الشأن ، أى فى أمر العقائد فقال ــ تعالى ــ فى القرآن الكريم : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ البقرة / ٢٥٦ .

وقال ــ تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف / ١٠٨ .

وقال ــ تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ آخر الكافرون .

فليس من مبدأ الإسلام : الإكراه على أية عقيدة دينية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، وإنما الناس أحرار فيما يعتقدون ، فى شئونهم الدينية أو الدنيوية ، أى : سياسة الدين وسياسة الدنيا فى نطاق النظام العام .

وفى الختام :

أسأل الله ــ سبحانه ــ أن يوفق الناس جميعاً ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواقعهم على أرض الله ، أن يكونوا إخواناً متحابين متعاونين على البر والتقوى .

ومرة أخرى يهنىء الأزهر الشريف : الأمم المتحدة بكافة هيئاتها ، وفى شخص سكرتيرها العام بهذه المناسبة ، ويدعوها إلى أن تقوم بمهامها بالعدل والإحسان تدفع الظلم ، وتساند المظلومين وتنشر المحبة والمودة بين الناس جميعاً شعوباً وحكومات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شيخ الأزهر الشريف

« جاد الحق على جاد الحق »

آراء ورؤى

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ/عبدالسلام إبراهيم ناصف

لفضيلة الإمام الأكبر رؤاه وآراؤه ، فقد لمس المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها اهتمامه بهم ، وذلك الاهتمام بارز جداً فى سفرياته إليهم مشرقاً ومغرباً وتيسيره الدراسة لأبنائهم بالأزهر ، وترحيبه باستفتائهم حين يطلبون فتواه فى مسائل تعرض لهم ، ومجلة الأزهر - بالذات - نشرت أكثر من فتوى من هذا القبيل .

وكلمة الإمام كلمة محسوبة لا يكتفى - فى أحيان كثيرة - بمجرد نسبتها إليه ، بل يطرحها للدراسة على لجان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حيث يدلى علماء المجمع برأيهم فيها ، والمتابع لفتاويه وكتبه يرى ذلك مدوناً فى أكثر من بحث .

ونلاحظ أن الإمام الجليل يضرب بالغوغائية عرض الحائط ، صابراً على أذى من يخرج عن الواجب ، ثابتاً على ما ضاق به هذا الساخط متمسكا به مادام هو الحق الذى ظهر له ببرهان .

ولقد تتبعت شيئاً من كلماته وآرائه من بين الصحف ، فظفرت بما أضعه بين يدى القارىء :

فضيلته يرى أن قضايا العالم الإسلامى عديدة ومتنوعة ، كلها تدمى القلوب لتمزقه ، وأول ما يدعو إليه فضيلته هو التماسك والتآخى والتآلف والتعاطف بين المسلمين ليكونوا كما وصفهم ربهم - عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٠] .

وكما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وعليهم أن يصونوا فيما بينهم حق الحوار وصولًا إلى حق الأخوة - فنحن جميعاً أبناء دين واحد يقول ربنا - عز وجل - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فى سورة الحجرات آية ١٠ .

فركائز البقاء تتمثل فى التصالح مع هذا الدين ، وفى الصدق مع الله ، والصدق مع النفس قدر الإمكان بتعلقنا بحبل الله المتين .. قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ سورة آل عمران - الآية ١٠٣ .

ولقد كرر الإمام القول بأن الهجرة درس فى الثبات والنصر ، ودرس فى الدعوة ، ومعلوم أن الهجرة النبوية كانت عملًا فى توطيد أركان الإسلام ثم انطلاقة شرقاً وغرباً مع حياطة تامة وتأمين شامل فى ممارسة أوامر الدين والبعد عن نواهية . ومن هنا كانت وصيته للأقليات الإسلامية أن تصبر وتصمد وتجاهد وتثبت ، فالله من ورائهم ، ويدعو الله سبحانه وتعالى ـ لهم أن يُجذِّل عنهم ويمكّن لهم فى الأرض .

فأما رسالة الأزهر فيراها بحمد الله تقوم على التعليم والدعوة كوسيلتين لنشر نور الإسلام ، فالأزهر جاد فى إيصال صوت الإسلام إلى كل بقاع العالم ـ كما يهىء الأزهر للوافدين من شتى الديار التعليم والرعاية حتى يعودوا عاملين لنشر دين الله ، فلا يخلو بلد من مثل هؤلاء أو أولئك لنشر الدعوة الإسلامية ، وفضيلته يعتبر الكثرة من خريجى الجامعة الأزهرية مؤهلين تأهيلًا يمكنهم من نهل منابع الثقافة الأزهرية خلافاً لما كان سائداً قبل عشر سنوات حين كانت الجامعة تقبل فى رحابها غير المتخصصين من أبناء الأزهر ، مما أضعف المستوى لفترة انتهت والحمد الله .

ويؤكد فضيلته أن الأزهر قلب الإسلام ـ دينا ودنيا ـ وأنه يرسم المنهج السليم الذى يوصل إلى الآخرة ، ويُعنى الأزهر باللغات ـ حالياً ـ من قبل الابتدائية لتخريج عالم أزهرى مجيد للغات الأجنبية ليتمكن من نشر الدعوة دون وسيط أو مترجم ، وهذه المدارس تعمل فى القاهرة والأسكندرية وطنطا والسويس وغيرها بصورة جادة بفضل مؤازرة أولياء الأمور ورعاية الأزهر .

أما عن التطوير فهو مواكبة المناهج لتطورات الحياة والعصر ، لتسير العلوم الشرعية مع العلوم العصرية فى خط مزدوج ، والأزهر مصر على الالتزام بها ، لتخريج جيل قادر على تحمل المسئولية .

أما عن التعليم الأزهرى الخاص فإن فضيلته يرحب بهذا النوع من التعليم شريطة أن يكون للأزهر دور إشراف على معاهده ، يطبق مناهجه ، ويستعين بمدرسيه أو بالمدرسين المؤهلين بجامعة الأزهر . وهناك بعض المعاهد الأزهرية الخاصة فى أسيوط تعمل بإدارة خاصة تحت إشراف الأزهر .

ويرى فضيلته أن للأزهر دوراً فى قضايا المجتمع ، وله صوت واضح فى كل قضية من قضاياه ومن فضل الله ـ تعالى ـ أن العالم المعاصر قد قفز بأصحابه إلى مرحلة ماوراء المادة وسوف لا يجد أمامه سوى الإسلام ملاذاً وحماية ويكون كالمسعف الثقافى ، وهو المصدر الوحيد لحقائق التوحيد الحق ، ورأيه واضح فى المطالبة الجادة بتطبيق الشريعة الإسلامية فى شرع الله ـ تعالى .

وكفى المسلمين ما عانوه من تجارب فى نظمهم الاقتصادية ، ولقد آن الأوان أن يصطلح العباد مع الله .

إن حرية التفكير ـ عند فضيلة الإمام ـ حق لكل مواطن ، لكنه حق مقيد بحدود ، لايجب الاعتداء أو التعدى عليها . والفكر مسار الإنسان ومحركه ؛ لذا وجب الالتزام بحدود كل حق ـ كما دعا الإسلام الحنيف ـ إلى مراعاة حق الجوار وعدم إيذاء الجار ولو من ريح المطبخ والذين لايحترمون العقائد الراسخة المنبثقة من ديننا الحنيف سوف يقابلون بالاشمئزاز والسخط ممن رسخت المبادىء الإسلامية فى أعماقهم ؛ إذ هم يصيبونهم فى أشرف ما يعتزون به .. وهو الدين ..

ولا يجب أن يلقى هؤلاء المنحرفون أى تشجيع أو إعانة على مايقترفون من إثم ، لأنهم سوف يصطدمون بالمتمسكين بدينهم ـ وهم على كثرة ـ والحمد لله ـ ولهم الغلبة ـ إن شاء الله .

وبشأن فتح باب الدراسات الإسلامية لخريجى الجامعات الراغبين فى الاستزادة من الثقافة الدينية يرى ـ فضيلته ـ أن استزادتهم ستعود عليهم وعلى الأزهر بالخير تعلماً وتعليماً .

وفى حديث لفضيلته عن المرأة قال : إن جامعة الأزهر قد فتحت الباب على مصراعيه للفتيات ؛ ليأخذن دورهن مع رجال الدعوة إلا أنهن لم يطرقن الباب ولم توافق إحداهن على مزاحمة زميلها فى هذا المجال ، وخير لها ألا ترغم على عمل لاتميل إليه .

وبشأن دور الأزهر فى تنظيم العمل الخيرى والإغاثة قرر فضيلته أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة كان نتاجاً لمؤتمر عقده الأزهر عام ١٩٨٨ بالقاهرة وحضره ممثلوا أكثر من ثلاثين هيئة حكومية أو أهلية وكانت مهمته عملية تنسيق بين الجهات المعنية بهذا الموضوع حتى لا يتركز العمل فى يد واحدة ... وإن كان ذلك يسير فى بطء إلا أن الإصرار مع الصبر قادر على الوصول بمشيئة الله حين تتحد الميول والاتجاهات فى هدف واحد ـ ندعو الله أن يوفقنا جميعاً إلى بلوغه .

أما عن الزكاة فإن فضيلة الإمام الأكبر لا يحبذ الالتزام فيها بقوانين وضعية كالضرائب ، وإنما يميل أن يدفعها المسلم طواعية طاعة الله ـ تعالى ـ .

ولجان الزكاة فى كل مسجد وكل حى قادرة على القيام بهذا العمل النبيل خدمة للفقراء والمحتاجين ، فتجمع الزكاة تطوعاً من الأغنياء لتوزيعها على من يستحقها ـ من الفئات التى حددها القرآن الكريم ـ فى الحى أو المسجد وها هى بفضل الله قد أتت ثمارها .

فلربما تهرَّب الناس من دفعها كما يفعل الكثير فيما يعرف بالتهرب الضريبى وقد لا تكفى حصيلة الزكاة المفروضة بقوانين وضعية القيام بأعباء القائمين عليها ـ عمالة ومبانى وأثاث ومرتبات ونفقات ـ فالزكاة فرض متروك لعقيدة المسلم يحاسبه عليه ربه ، ويجزيه عنه ، ولعلنا فى هذا المجال لاننسى بعض دول المسلمين التى يموت سكانها جوعاً وفى أمس الحاجة إلى المساعدة والعون من إخوانهم المسلمين .

من هنا يدعو فضيلة الإمام الأكبر إلى تكاتف الجهود لإعانة المسجد على أداء رسالته من تربية ومن تنشئة ومن إعلام إذا يقول الشاعر :

متـــى يبلـــغ البنيـــان يومـــاً تمامـــه إذا كنت تبنيـــــــه وغيرك يهدم

فلتكف وسائل الإعلام عن كل ماتبثه وفيه إضرار بشبابنا وأن تكون برامجها مثمرة هادفة .

والمسجد اليوم يؤدى دوره بعد أن أطلقت حرية الدعوة فيه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

ويشارك فضيلة الإمام الأكبر فى عمليات الانتخاب الحر المباشر حيث يراها فضيلته شهادة لابد وأن تؤدى ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ـ لكنه لا يعطى صوته إلا لمن يستحق ومن يثق فى أنه يخدم الإسلام والمسلمين .

ويأمل فضيلته أن تتحرر القدس ثالث الحرمين ، ومنتهى رحلة الإسراء ومبتدأ رحلة المعراج ويأمل فى استعادتها من قبضة من لاذمة لهم ولا ملة ، والذين يحاورون ويجادلون محتمين بقوى البغى والعدوان ـ لكن وعد الله بإظهار الحق آت لا محالة ووعد رسول الله ﷺ بفتح القدس أرض المحشر والمنشر قادم لا محالة والله غالب على أمره وهو ولى التوفيق .

وعن العلمانيين يقول فضيلته : إن الأزهر بعيد عن أى معركة جانبية ، إذ هو لايهتم بالصغائر ، والأزهر يكشف أحكام الإسلام كشفاً علمياً دقيقاً لايبالى بمن آمن وبمن أعرض ، التزاماً بمبدأ الإسلام القويم (إنه ليس بعد الحق إلا الضلال) ومن الحق أن يقول العلماء كلمتهم وأن يبينوها للناس قولًا وعملًا بلا إفراط أو تفريط عن علم وعن بينة وعن دراسة وتمحيص ؛ إحياء لأحكام الله وفق الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ .

والعلمانيون على وجه الخصوص يحاولون طمس معالم الدين منتهزين فرصة انشغال الناس بالدنيا وغفلتهم عن دينهم الحنيف بغية صرفهم عنه .

ونسأل الله أن يوفق فضيلة الإمام الأكبر للتصدى لمثل هؤلاء العلمانيين ومن على شاكلتهم لرفعة شأن الإسلام .

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

حوار مع الإمام الأكبر

بشأن

قضية الأسرى المصريين

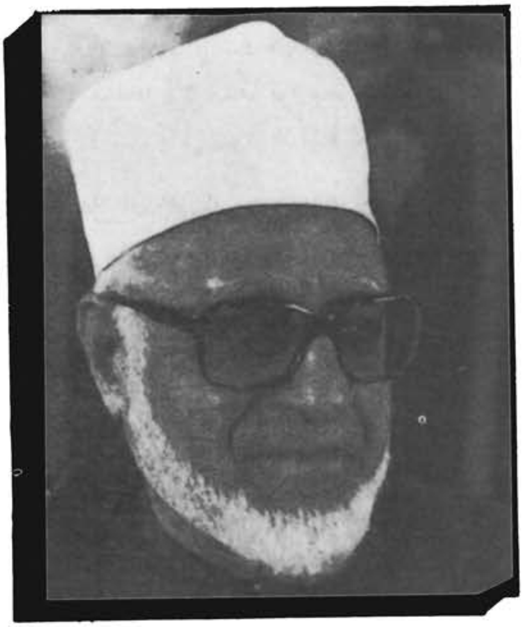

أجرى الحوار الأستاذ / سناء السعيد

يتحدث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جادالحق شيخ الأزهر عن ملف إسرائيل الأسود فى قتل الأسرى المصريين فى عدوان سنة ١٩٥٦ ، وحرب ٦٧ ، وهى الجريمة التى نفذت تحت سمع وبصر جنرالات إسرائيل ومن بينهم (إسحق رابين) و(بنيامين اليعازر) . وإسرائيل هى التى كشفت عن الجريمة لتتردد عبر وسائل إعلامها قبل أن تتناولها الصحف المصرية بالتعليق والنقد .

ويقول فضيلته : إن ما قامت به إسرائيل ضد أسرانا خيانة للإنسانية تدل على أنهم ليسوا من بنى البشر . ويصف ما قامت به إسرائيل على أنه (قتل عمد) يستحق القصاص بيد أنه يطالب أولا بأن نعد للقضية أوراقها لتأخذ دورها الحاسم والحازم والسريع ؛ لنقف على العناصر الضرورية فى اقتضاء حقوق أسرانا .

● ● رغم أن إسرائيل هى التى أثارت موضوع قتل الأسرى المصريين على يد جنرالاتها ، فقد عادت لتحاول طمس القضية أمام العدالة تقول : إن عملية السلام يجب ألا نعكرها ؟

- شيخ الأزهر : هذا دأب اليهود دائما لا عهد لهم ولا وفاء . وهؤلاء الذين يظاهرونها وسعوا إلى إنشائها دائبون على أن تؤدى دورها فى المنطقة ، وبكل أسى وأسف ، فإن آثارها واقعة على الأمة العربية خاصة ، والإسلامية عامة . فوجودها ثم دورها فى المنطقة يؤثران تأثيرا سيئا على الأمة العربية والإسلامية ، فى حين أن العرب والمسلمين

يهادنونها ويحاولون أن تكون جارا يعرف حق الجوار بينهم ـ ولكنها لم تأخذ هذا الطريق إلى الآن وما أظنها ستفعل لأن بيدها قوة ولها مظاهرون ويمدونها بما تشاء ، بل يهبون لها ما لم تطلبه .

● ● هل السلام يفرض علينا أن نقبل اسرائيل بنزواتها ومساوئها ونغمض أعيننا عن جرائمها ؟

ـ **شيخ الأزهر** : لا نريد أن نتجاوز الواقع إلى نظريات ، وإسرائيل واقع ، ولابد أن نعايش هذا الواقع ، ولكن باحترام لأنفسنا ولقدرنا ولتاريخنا ولأمتنا ـ وهذا ما ينبغى أن نحرص عليه ، وألا يجرفنا احترامنا للواقع لأن نذوب وننتهى ونتنازل عن حقوقنا وكرامتنا بوصفنا أمة تمثل خمس العالم على الأقل ، وبوصفنا ذوى تاريخ عريق ، وذوى جذور فى هذه المنطقة ولسنا وافدين أو محتلين لأرض الغير .

قتل الأسرى جريمة قتل عمد

● ● قتل مئات الأسرى المصريين على يد إسرائيل يعد جريمة بكل المعايير وفقا لمعاهدة جنيف الثالثة سنة ١٩٤٩ ، ولكن كيف يمكن أن نسترد حقنا ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هذا الخبر جديد فى الظاهر على مصر والأمة العربية والإسلامية وهو أمر خطير يمسها . ولكن الإعداد لهذه القضية ومعرفة وقائعها أمر ينبغى أن يتقدم كل شىء ، فلابد أن تكون أوراق القضية أمامنا ، ولابد أن نستخرج سجلات مفقودينا ومن قتل منهم ومن أسر حتى نستبين كم من أسرانا قتل غيلة على يد إسرائيل . هذا أمر ينبغى استيفاؤه كى نطمئن على أبنائنا . أما تقدير هذا الجرم الإنسانى فيدل على أن هؤلاء الإسرائيليين ليسوا من بنى البشر ولا يعرفون الإنسانية ذلك أن الأسير مأمون مضمونة حياته لدى من أسره فهو امانة لديه .

ولقد كان لدى مصر أسرى عاملناهم بالحسنى وهذا هو تاريخ المسلمين والإسلام ـ فالإسلام يرعى آداب الحرب ، بل هو الذى أسس وأصَّل أداب الحرب ، فلا قتل لأمرأة ولا تخريب لعامر ولا حرق لزرع . أما ما قامت به إسرائيل إزاء أسرانا ، فلا أظن أن له مثيلا فى التاريخ . فلم يحدث أن فعل أحد مثل هذه الفعلة ، وينبغى أن نعد للقضية أوراقها ، وأن تأخذ دورها الحاسم الحازم السريع حتى نقف على العناصر الأساسية فى اقتضاء حقوق هؤلاء .

● ● أليس غريبا أن ترفض إسرائيل إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين بدعوى أن يدهم ملوثة بالدم اليهودى ، بينما تريق هى دم الآخرين بهذه الوحشية ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هذا شأن الطغاة الذين غرتهم أمانيهم فى الحياة كما غرتهم قوتهم ، وتأييد بعض الكبار فى العالم لهم ، ولو أن هناك تعاونا إنسانيا لكان الموقف غير ذلك فى كثير من القضايا الواقعة فى العالم .

موقف أمريكا

● ● ألا يبدو مستغربا اختفاء ردود الفعل

إزاء هذه الجريمة ، وأذكر تحديدا « أمريكا » التى تسارع دائما بالتنديد بأى موقف تجاه إسرائيل . لماذا لم تحرك أمريكا ساكنا ؟

ـ **شيخ الأزهر** : أعتقد أن الموقف الأمريكى هو موقف طبيعى بالنسبة لموقفها من إسرائيل ، فهى لا تريد أن تشارك فى التظاهر ضدها حتى ولو بالكلمة . ولهذا يجب أن يكون الأمر بيدنا نحن وليس بيد أحد .

● ● لم يصدر رد فعل أيضاً من الغرب الذى يتحدث دوما عن مراعاة حقوق الإنسان ، ويتهم المسلمين بالتطرف ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هذه النغمة مقصود بها دائما : التشهير وشغل الرأى العام بضجيج يسىء إلى المسلمين وينسب إليهم كل سيئات العالم ـ ولكن عندما تكون الكرة فى ساحتهم ؛ أى ساحة الغرب ، يغمضون العين وكأنهم لا يرون شيئا ، وهذا يوجب علينا أن تكون قضايانا بأيدينا ، ندرسها ونحاسب عليها .

● ● غابت ردود الفعل عن العالم العربى والإسلامى أيضاً ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هكذا نحن أمة واحدة فى هذا الموقف بكل أسف . وأنى اتساءل أين إعلام مصر ؟ لم يشغل نفسه ببحثها ولم يستظهر وقائعها وكيفية حدوثها . والمطلوب من الصحافة الآن محاولة استظهار العناصر الخاصة بالموضوع لعرضها على الرأى العام فى مصر والعالمين العربى والإسلامى .

المسلمون العرب

● ● أين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟

ـ **شيخ الأزهر** : المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، لم أسمع منهم أية كلمة فى هذا الصدد . ينبغى أن يأخذ الإعلام دوره فى دراسة هذه القضية ، ويبحث كيفية استرداد حق هؤلاء الأسرى الذين قتلوا غيلة .

دور الأزهر الشريف

● ● ماذا عن الأزهر الشريف ؟

ـ **شيخ الأزهر** : دأب الأزهر على أن يبدى رأيه فى أمر واضح أمامه ؛ حتى الآن ليس أمامنا تقارير تفيد بما تم تحديدا ؛ سوى ما استمعنا إليه ، وليس لدينا عناصر الموضوع . ولكن هذا لا يمنع من أننا ندين هذه الجريمة إدانة شاملة ؛ حتى ولو أدت إلى قتل فرد واحد . ما قامت به اسرائيل هو خيانة للإنسانية . ما علينا من المعاهدات ؛ فالمعاهدات حبرعلى ورق بين الأقوياء ، ولكنها الإنسانية وحقوق الجوار . وهذا أمر ينبغى أن يدرس وأن تستوفى القضية دراسة وأوراقا .

سقوط القضايا

● ● المستشار القانونى للحكومة الإسرائيلية أصدر فتوى تقول بأن قانون بلاده ينص على سقوط القضايا بالتقادم بعد عشرين سنة !

ـ **شيخ الأزهر** : هذا قانونه وحده وهو واضعه ؛ أما قانون الآخرين فقائم ولابد أن يطبق وينفذ ويحاكم من ارتكبوا هذا الجرم كمجرمي حرب .

● ● **وزير العدل الإسرائيلي دعا إلى تعديل القانون الإسرائيلي « سقوط القضايا بالتقادم » ولكن على أساس ألا يطبق بأثر رجعي !**

ـ **شيخ الأزهر** : أعتقد أنه ليس هو الذى سيحاكم وإنما سيحاكمهم الآخرون وفق قانون آخر وإجراءات أخرى .

● ● **إسرائيل حصلت على تعويضات من ألمانيا بلغت حوالى ٣٨ مليارا ، فهل يمكن أن نطالب بتعويضات ، أم أن هذا لا يفى من وجهة نظر الشرع ؟**

ـ **شيخ الأزهر** : ما حدث للأسرى المصريين قتل عمد ، وينبغى أن يكون القصاص هو القضية الهامة ، فإذا لم يعرف القتلة على وجه التحديد ؛ فهناك التعويض الذى لابد منه ، ولكننى اعتقد أن الحديث فى تفاصيله غير وارد الآن باعتبار أنه لم تنشر أية وقائع محددة لعدد الأسرى والإجراءات التى اتخذت لقتلهم ، ومعرفة مكانهم ، حتى يستدل عليهم وتنقل رفاتهم إلى ذويهم . وهذه هى الخطوة الأولى التى يجب أن تنفذ فورا ، وتتم متابعة هذا الموضوع والحصول على حقوق هؤلاء الشهداء بأى وجه من الوجوه .

● ● **الجناة اعترفوا وكتبوا التقارير التى تكشف عن جرائمهم !**

ـ **شيخ الأزهر** : لابد أن يحاكموا كمجرمى حرب ، يجب أن يحاكموا محاكمة شخصية فوق محاكمة الدولة التى تسترت عليهم .

● ● **هل تطالبون بمحاكمتهم فى إسرائيل أم دوليا ؟**

ـ **شيخ الأزهر** : هذا أمر يجب أن يدرس قانونيا .

شيخ الأزهر ينفى مزاعم إسرائيل

نشرت « الوفد » هذا الحديث مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى الثانى عشر من أكتوبر ٩٥ أجرته سناء السعيد(*) ولقد لجأت إسرائيل إلى اقتباسها لعبارة من الحديث على طريقة « لاتقربوا الصلاة » ، حيث أشارت إلى قول فضيلته : « إسرائيل واقع ولابد أن نعايش هذا الواقع » . مجرداً عن السياق الوارد به بصورة أخلت بالمعنى الذى أراده فضيلته وحملت بعض الصحف إلى القول بأن فضيلته يدعو إلى التطبيع مع إسرائيل وهو مالم يحدث أبداً وعليه أسوق هنا ثانية السؤال الذى أوردته فى حديثى وجواب فضيلته وذلك لتبديد الالتباس .

● هل السلام يفرض علينا أن نقبل إسرائيل بنزواتها ومساوئها ونغمض أعيننا عن جرائمها ؟

ـ لانريد أن نتجاوز الواقع إلى نظريات . وإسرائيل واقع ولابد أن نعايش هذا الواقع ولكن باحترام لأنفسنا ولقدرنا ولتاريخنا ولأمتنا .

وهذا ما ينبغى أن نحرص عليه وألا يجرفنا احترامنا للواقع لأن نذوب وننتهى ونتنازل عن حقوقنا وكرامتنا بوصفنا أمة تمثل خمس العالم على الأقل وبوصفنا ذوى تاريخ عريق وجذور فى هذه المنطقة ولسنا وافدين أو محتلين لأرض الغير .

بيان
من الأزهر الشريف - فى شأن القدس

إن القدس تلك المدينة التى باركها الله وماحولها ، حيث كانت موئل الكثير من أنبياء الله ثم أخيرا كانت غاية إسراء النبى محمد ﷺ من مكة المكرمة فى الحجاز من شبه الجزيرة العربية . حيث كان مولده ومقر بعثته ورسالته إلى الناس جميعاً ، وكانت القدس موطىء قدمه فى معراجه ﷺ بدعوة من ربه ليريه من آيات ربه الكبرى .

وفيها المسجد الأقصى الذى صلى فيه ليلة إسرائه ومعراجه إماماً بالأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام ، وهو بهذا من المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال للصلاة ، حيث ضاعف الله أجر الصلاة فيها ، فهو ثالث الحرمين بعد مكة والمدينة .

ولهذا فللقدس ، والمقدسات فيها ، منزلة عظمى لدى المسلمين جميعا ، تهفو نفوسهم إلى تحريرها ممن تسلطوا عليها غدرا وغيلة ، فقتلوا الأنفس واستلبوا الأموال والأرض والعرض ، وبغوا وأكثروا فيها الفساد ودنسوا حرمها المبارك الشريف بآثامهم وآثارهم واخترقوا أرض المسجد وحَرَمَهِ وهم مصرون على تخريبه وإزالته .

وقد تعاقب عدوان الإسرائيليين على القدس منذ أن كانت لهم شوكة ، وامتشقوا السلاح دعما لوجودهم على أرض فلسطين وظَاهَرَهَم على هذا تدخل الجيوش التى احتلت أرض العرب جميعا بعد الحرب العالمية الأولى فى هذه القرن العشرين ، ومايزالون مُصرين على عدوانهم وعدواتهم للعرب والمسلمين مجاهرين بها ، بالرغم من مساعى السلام التى تجرى منذ كانت حرب رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م .

وبالرغم من قرارات منظمة الأمم المتحدة التى آزرت ــ نظريا ــ حق العرب والمسلمين فى أرضهم فلسطين وفى القدس بوجه خاص بحدودها ومقدساتها قبل العدوان عليها .

وماتزال مساعى السلام تترنح وتصطدم بعراقيل تقيمها إسرائيل ومايزال الوسطاء يأملون أن يتم هذاالسلام بين إسرائيل وجيرانها حتى تُصبح جاراً يعرف حقوق الجوار ويعيش الجميع فى سلام نافع للإنسانية بوجه عام .

وفى فترة الترقب والمتابعة لإنجاح عملية السلام يتدخل فجأة الكونجرس الأمريكى بقراره بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

يحدث هذا مع أن أمريكا تزعم أنها صديقة كل العرب ، وهى أصدق فى صداقتها بإسرائيل وبمبادرة منها تؤيدها وتدفعها لمزيد من العدوان على العرب وحقوقهم وتناصرها بهذا فى وضع العراقيل نحو إتمام عملية السلام التى تتظاهر بدعمها ، لكنه دعم غير عادل ، إنه دعم للمعتدى الظالم واستهانة

وهدم لقرارات منظمة الأمم المتحدة التى ضمنت استمرار الوضع فى القدس على ماكان عليه قبل عدوان ١٩٦٧ م .

فهل تخلت أمريكا بهذا عن دعم عملية السلام ؟ وهل أقبلت أمريكا بقوتها وقدرتها فى العالم على الاستهانة بقرارات المنظمة الدولية التى تقيم على أرضها ؟

ألا ترى أمريكا والكونجرس خاصة أن قراره هذا يوهن من هيبة أمريكا فى العالم كله ؟.

أليس هذا القرار دعوة مباشرة إلى دول أخرى إلى الاقتداء بها فى نقل سفاراتها إلى القدس وبذلك يكون اعترافا ظالما متعسفا تحمل وزره أمريكا ؟.

إننا ــ نحن المسلمين ــ نؤمن بقول الله سبحانه فى القرآن الكريم :

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران ــ ١٤٠

إن العرب والمسلمين قد تواصلت صداقتهم بأمريكا وبالغرب عموما نحو ثلاثة أرباع هذا القرن العشرين ، وهم ــ أى العرب والمسلمون ــ على مستوى مسئوليتها فى هذه القيادة تعدل ولاتظلم ولاتحيد عن الحق .

إن القدس وحقوق الفلسطينيين ليست بضاعة مزجاة وقضية تحتمل الكسب والخسارة .

إنها قضية الأمة التى يبلغ تعدادها خمس سكان العالم والتى تملك تحت يدها ثروات تهم الإنسانية فى علومها ومعايشها واحتياجاتها ، فهى قوة مؤثرة عسكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا .

هذه الأمة لاتتوانى عن أن تجمع كلمتها وتَصُفَّ أقدامها فى كل هذه الميادين ، كما تصطف فى صلواتها خمس مرات فى اليوم ، لتدافع عن نفسها ، وهى فى وقفتها ضد قرار وسياسية أمريكا نحو القدس ونحو فلسطين لاتطلب حق أحد ، ولاتعتدى على غيرها .

وهاهى هذه الأمة ــ بقدراتها ــ هذه ــ تدعو الكونجرس الأمريكى أن يكون مع الشعب الأمريكى الذى تحمل مسئولية دفع العدوان فى حربين عالميتين فى هذا القرن ، ومافعل ذلك ليكون معتديا ولا ظالما .

ألم يكن الأولى أن يُستفتى الشعب الأمريكى قبل أن يُصدر الكونجرس قراره بتأييد إسرائيل فى تأكيد احتلالها للقدس واغتصاب الأرض والعرض من أهلها ، واحاطتها بالمستوطنات والمعسكرات التى هددت أمنهم ومقدساتهم .

إن الأزهر الشريف ,قد فوجىء بهذا القرار الظالم الذى لم يكن منتظرا من ــ الصديقة ــ أمريكا التى تسعى وربما تشقى فى عملية السلام .

هذا القرار الذى استظهر أن دعاة السلام صاروا دعاة للغدر والاغتيال للأرض والعرض وللمقدسات لايرعون حقا للغير ، ولايدعون إلى خير وإنما يسعون فى الأرض فسادا ، بعداوتهم ، وبما أتيح لهم من أموال وتقنيات ، والله من ورائهم محيط ــ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

ثم أنتم يا أصحاب القضية ــ قضية القدس .

هل أذهلتكم مفاجأة الكونجرس ، وأسكتت الألسنة التى لاتترك قولا أو فعلا فيما بينها إلا عَقَّبت وأطلقت الألسنة الحداد بالزور والبهتان ، تثير الفتن ولاتنير طريقا ولاتدفع غيبة ، ولاتترافع فى ملمة بالأمة .

لعلكم قد صَمَتُّم ـ تفكيرا وتقديرا ـ إن كان ذلك فأين منظمة المؤتمر الإسلامى بقمتها ووزرائها وأمينها العام ، وأين جامعة الدول العربية بقمتها وهيئاتها المتعددة .

ألم يقل الله ـ جل جلاله ـ فى القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى ـ ٣٨

أليس من أمور الإسلام وقواعده الاهتمام بأمور المسلمين .

هل غاب عنكم قول الله سبحانه : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ . البقرة ـ ٢٥١

وقول الله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحج

إذا كان قد غاب عنا ـ نحن أمة المسلمين ـ بكافة شعوبها وألوانها ولغاتها ومواقعها على أرض الله فها هو كتاب الله بأيدينا يتلو الأزهر عليكم منه هذا الهُدَى ، فكونوا على قدر المسئولية ، واخرجوا عن هذا الصمت الذى قد يُفَسَّر بالرضا عما يحدث من قول أو فعل موجه إليكم يمس أرضكم وعرضكم ومقدساتكم .

فليقل مؤذنوكم فى كل مساجد الله ـ حَيَّ على صلاة ـ ولتقبلوا للتشاور فى هذه القضية التى قد تكون هى القاضية على وجود القدس فى يد الأمة التى ائتمنها الله عليها صلة بين الأرض والسماء كما كانت ؛ يذكر فيها اسم الله ويتلى قرآنه ويظل النداء : الله أكبر ـ عاليا صادراً من مسجدها الأقصى مجاوباً لحرم الله فى مكة وحرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة .

أيها المسلمون ياأهل هذا الشرق من أقصاه فى مطلع الشمس إلى أقصى المغرب كونوا على قدر المسئولية فى هذه القضية ، ولاترهبكم قوة ، فما دعاكم الأزهر فى هذا الوقت إلى امتشاق سلاح وإنما يدعوكم إلى أن تدفعوا عن قضاياكم المصيرية بكلمة واحدة تقولونها وتسمعونها للآخرين فى مواقعهم ، ليعلموا أن لكم وجودا حاضرا وأنكم لاترهبون المواجهة دفاعا ونصرة لأجيالكم التى يُغتال مستقبلها وأنتم تبصرون .

أجمعوا مؤسساتكم فى أوطانكم واصطفوا من يدرس ويحاجج عن قضاياكم فى كل الأماكن والمواقع التى هيأتها المنظمات المحلية والدولية ، ولن تفقدوا من يظاهركم فى الدفاع عن حقكم ووقف العدوان على أرضكم وقُدسِكم وعرضكم .

إن الأزهر الشريف ـ وقد تداول مجلس مجمع البحوث الإسلامية فيه ـ فى هذه القضية ، قضية القرار الصادر من الكونجرس الأمريكى لاغتصاب القدس وتأكيد احتلالها من إسرائيل بينما مساعى الصلح تشغل حيزا كبيرا فى هذا الوقت وتجرى الوفود هنا وهناك ويشارك الرؤساء ومنظمات دولية

أخرى لإنجاح هذه المساعى ، يأتى هذا القرار من الكونجرس ، نقمة على السلم العام فى المنطقة وتحريكا لما استكن واستتر فى النفوس من كره للظلم وللظالمين ومن نقمة توشك أن تفسد كل تلك المساعى .

إن الصداقة الأمريكية وأجبها أن تحمل المسئولية نحو هذا القرار الذى سينهدم به كل سلام قام أو سيقوم ، وإن الرياسة الأمريكية ، عليها أن تواجه هذا بما فى يدها من سلطات إذا كانت حقا تسعى لإقرار السلم والسلام ، فى هذه المنطقة الهامة من العالم ، التى تتواكب فيها المصالح الأمريكية مع المصالح المحلية للأمة الإسلامية بكافة شعوبها .

وإن الأزهر الشريف بهذا البيان يدعو كافة المنظمات الدولية أن تأخذ دورها فى إقرار السلم العام فى العالم وأن تقف فى وجه هذه المعوقات ، ومنها هذا القرار الذى صدر فى وقت يُتطلع فيه إلى السلام .

إن الأزهر الشريف يثق فى أن شعوب الأرض كافة تؤمن بالسلام وبضرورة توفر الأمن لكل الناس وأن عليها أن تحث الرؤساء والحكومات والبرلمانات لتأخذ دورها نحو الوقوف ضد قرار نقل السفارات إلى القدس وترك هذه القضية إلى موقعها ووقتها فى محادثات السلام الجارية .

وبكل التقدير والاحترام يدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات فى العالم الإسلامى لتقف وقفة شجاعة تتناسب مع قدر هذه القضية وخطورتها على مستقبل الأمة الإسلامية وأجيالها .

ويدعو الأزهر الشريف أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء والحكومات أن تتشاور وتتآزر وتخرج عن الصمت وتطلع شعوبها على المخاطر التى تتعرض لها فى هذا العصر .

ويدعو الأزهر الشريف إلى نبذ الخلافات فإن القضية الماثلة أخطر من أى خلاف قائم .

وسيسجل التاريخ وقفتكم هذه الناضجة المدافعة التى تذود عن الأمة الشرور وتكافح الغرور من الذين قد بدت البغضاء من أفواههم ، وتلبست بها أعمالهم .

أعيدوا للأمة وَصْفَها فى الإسلام أنها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وهى كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى «واتمروا بينكم بمعروف» ، فقد حذرنا الله فى القرآن من النزاع والشقاق ، وأمرنا بالاعتصام بحبل الله وهيأ لنا عناصر وحدة الكلمة والصف والتعاون على البر والتقوى .

فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومناصريكم من صداقاتكم فى العالم ولايكن أمركم عليكم غمة ثم افضوا إلى حججكم فأقيموها وأعلنوها ودافعوا بعزم وحزم عن قُدسكم فهى عرضكم وثقوا بوعد الله فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ سورة محمد

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

سورة يس

مع

ا.د / ابراهيم خميس

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ .

بنيت الآيات السابقة أن القرآن معجزة محمد ﷺ الخالدة ، وأنه رسول من عند الله ، وأن منهجه مستقيم لا عوج فيه ، وأن منزله هو الله العزيز الرحيم ، وأن الغرض من إنزال القرآن إعلام قوم لم ينذر آباؤهم .

ثم بين فى هذه الآيات من وقف من القرآن موقف المعاندة والمكابرة ، وأن جزاءهم على ذلك ثابت وواجب ، فالآيات تكشف عن مصير هؤلاء الغافلين ، وعما نزل بهم من قدر الله ، وفق ما علم الله من قلوبهم ، ومن أمرهم ما كان منه ، وما سوف يكون .

وقال الفخر الرازى فى بيان المناسبة : لما بين ــ سبحانه ــ أن الإرسال أو الإنزال للإنذار ، أشار إلى أن النبى ﷺ ليس عليه الهداية المستلزمة للاهتداء ، وإنما عليه الإنذار ، وقد لا يؤمن من المُنْذَرين كثير ، يخبر الله عن المصرين على الكفر ، الذين اختاروا الضلال على الهدى بأنه قد ثبت ولزم ووجب وعيد الله الشديد لهم . فالمراد بالقول فى الآية هو ما جاء فى قوله تعالى « وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ » (ص : ٨٥) ، وفى سورة السجدة قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ الآية : ١٣ ، وقد سبق علم الله ــ تعالى ــ بأن بعضهم يؤمن وبعضهم لا يؤمن ، فأخبر الله عن الذى لا يؤمن وأصر على الكفر بأنه لا يدخل فى الإيمان ، وذلك القول الذى حق عليهم هو الحكم والقضاء الأزلى ، بمقتضى ما علم الله تعالى من اختيارهم الضلال على الهدى ، وهذا العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير ، فلا حجة لأهل الجبر فى هذه الآية ، وهذا الذى قضى عليهم سببه إصرارهم على الكفر واختيارهم له .

وكلمة « أكثرهم » فى « لقد حق القول على أكثرهم » بصيغة أفعل التفضيل توحى بأن المؤمنين

قلة فى العدد والكم ، كثيرون فى الكيف والمنزلة والقيمة ، قال تعالى :

﴿ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ (ص : ٢٤) ، وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ : ١٣) ، والفاء فى قوله : ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ تفريعة داخلة على الحكم المسبب عما قبله ، فيكون ثبوت القول عليهم علة لتكذيبهم وعدم إيمانهم ، ويكون علة له باعتبار سبق العلم بسوء اختيارهم .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ .

الغرض من سياق هاتين الآيتين تصوير مشهد حسى لهذه الحالة النفسية ، وطريقة القرآن أن يذكر أمثلة حسية يقرب بها إلى الأذهان الأمور المعنوية والأمور المغيبة لتتمكن فى النفس أيما تمكن .

سبب نزول هاتين الآيتين :

عن محمد بن إسحاق بسنده أنه قال : قال أبو جهل وهم جلوس : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم ، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن ، وإنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ، ثم بعثتم بعد موتكم ، وكانت لكم نار تعذبون بها . وخرج رسول الله ﷺ عند ذلك ، وفى يده حفنة من تراب ، وقد أخذ الله على أعينهم دونه ، فجعل يذروها على رءوسهم ، ويقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ .. حتى انتهى إلى قوله ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ، وانطلق رسول الله لحاجته ، وباتوا رصداء على بابه ، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا ، قال : قد خرج عليكم ، فما بقى منكم رجل إلا وضع على رأسه تراباً ، ثم ذهب لحاجته ، فجعل كل رجل ينفض ما على رأسه من تراب قال : وقد بلغ النبى ﷺ قول أبى جهل فقال : وأنا أقول ذلك ، إن لهم منى لذبحا وإنه أحدهم . من ابن كثير ص ٥٥٠ طبعة الشعب .

والمتأمل فى هذه الرواية يجد أنها تنطبق على ما فعله النبى ﷺ بالكفار وهم محيطون ببيته يريدون قتله ، وأن النبى قرأها وهو خارج عليهم فأعمى الله أبصارهم عنه . فهى فى الحقيقة ليست سبباً للنزول .

ووردت رواية أخرى تقول : إن الآيتين فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين .

وذلك أن أبا جهل حلف : لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة ، فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به ، فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده ، فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر ، فقال له رجل من بنى مخزوم : أنا أقتله بهذا الحجر ، فأتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر ، فأعمى الله بصره ، فجعل يسمع صوته ولا يراه ، فرجع إلى أصحابه ، فلم يرهم حتى نادوه ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ما رأيته ، ولقد سمعت صوته ، وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه ، لو دنوت منه لأكلنى ، فأنزل الله تعالى :

﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ﴾ .. وهذه

الرواية ـ إن صحت ـ تدل على أن الآية نزلت مرتين .

والضمير فى قوله ﴿ فهى إلى الأذقان ﴾ يجوز أن يعود إلى الأيدى ، وهى وإن لم يجر لها ذكر إلا أنها معلومة من السياق ، وقال بعضهم : إن الضمير يعود على الأغلال . والغل : ما أحاط بالعنق على معنى التضييق والتعذيب والأسر ، والأذقان : جمع ذقن ، وهى مجمع اللحيين من أسفلهما ، والفاء فى قوله ﴿ فهم مقمحون ﴾ فاء السببية . والمعنى : أنهم رافعو رءوسهم ، غاضو أبصارهم . يقال : قمح البعير فهو قامح إذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمه .

والمراد بقوله : ﴿ من بين أيديهم ﴾ ما كان قريباً منهم ، وقد اختلف المفسرون فى هذا المراد .

قال الضحاك : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ﴾ أى : الدنيا ﴿ ومن خلفهم سدًّا ﴾ أى : الآخرة ، أى : أنهم عموا عن البعث ، وعموا عن قبول الشرائع فى الدنيا . قال تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ (فصلت)

وقيل : المعنى : سددنا طرق الهدى عليهم سداً معنويا . ويكون هذا المعنى مشبهاً بمن سدت عليه الطرق سدا حسيا فلم يصل إلى مطلوبه .

وقرىء « سِدًّا » بكسر السين وفتحها . قيل : إن القراءتين بمعنى واحد ، وقيل : مكسور السين ما كان من خلق الله كالجبل ونحوه ، وبفتح السين : ما كان من عمل الناس .

وقرىء « فأغشيناهم » بالغين والعين .

فالقراءة بالغين معناها : غطينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة . وبالعين : أصبنا أبصارهم بمرض « العشى » وهو عدم الإبصار ليلا . ولذا ذكر بعده ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ وهم وإن كانوا يرون بأعينهم إلا أنه لعدم انتفاعهم بالنظر فى آيات الله نفى عنهم الإبصار .

والغرض من ذكر هاتين الآيتين تقرير وتأكيد لقوله تعالى ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ . فقد ضرب مثلا لتصميمهم على الكفر ، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم وتصديقهم .

ومن طريقة القرآن ضرب الأمثال المحسوسة للأمور المعنوية والمغيبة تقريباً للمعنى ، وتوضيحاً له ، ويدخل فى هذا المثل بخلهم وإمساكهم عن الإنفاق فى سبيل الله ، وتقرير هذه الاستعارة أن يقال : شبهت هيئتهم فى عدم تيسير الإيمان لهم للمنع الإلهى ، بهيئة من غلت يده وعنقه فلم يستطع أن يتعاطى مقصوده للمنع الحسى الذى قام به ، فالجامع مطلق المنافع . والاستعارة تمثيلية ، وقال : إنسفى مثل تصميمهم على الكفر ، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه ، ولا يطأطئون رءوسهم له ، وكالحاصلين بين سدين ، لا يبصرون ما قدامهم ، ولا ما خلفهم ، فى ألا تأمل لهم ولا تبصر ، وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله .

ومن المفسرين من حمل الآيتين على الحقيقة . فالله تعالى : يخبرنا بما يفعل بالكفار يوم القيامة ، والتعبير فى ﴿ إنا جعلنا ﴾ بلفظ الماضى لتحقق الوقوع .

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى فى سورة

« غافر » ـ إخباراً عما يعذب به الكفار يوم القيامة : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧١ ، ٧٢) والقران يفسر بعضه بعضا ، والأصل حمل الكلام على حقيقته . ولا ملجأ إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، ﴾

فى الآية السابقة بين شأن الكفار بطريق التمثيل ، وفى هذه الآية بين شأنهم بطريق التوبيخ ، ﴿ وسواء ﴾ بمعنى مستو ، والإنذار قد سبق بيانه ، والآية وردت فى جماعة علم الله تعالى أنهم يموتون على الكفر ، ولقد كان عدم إيمان الكفار شاقا على رسول الله ﷺ ، وعبر القرآن عن هذا فى آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف : ٦) وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء : ٣) وقوله : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ (فاطر : ٨) فسلاه الله بهذه الآيات وغيرها من آيات القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : ٦) ، وقد يقال مادام الإنذار لم ينفع فى مخصوصين فما فائدته ؟

يجاب عن ذلك بأجوبة ثلاثة :

أولها : ليثاب الرسول ﷺ .

والثانى : إقامة الحجة عليهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء : ١٦٥) .

الثالث : ليكون الإرسال عاما ، ومعنى الآية : أن الله قضى فى هؤلاء بأمره على حسب علمه بطبيعة قلوبهم التى لا ينفذ إليها الإيمان .

ومن المعلوم أن الإنذار لا ينفع قلبا غير مهيأ للإيمان . وسبْق علم الله بعدم لا يلزم منه الجبر ، لأن العلم صفة انكشاف ، وليس صفة تأثير . وهم لا علم لهم بقضاء الله فيهم ، والأساس فى تعذيبهم سوء اختيارهم .

﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ .

فى الآية السابقة بيان لعدم نفع الإنذار بالنسبة لقوم مخصوصين ، علم الله أنهم يموتون على الكفر ، وفى الآية بيان لعدم نفع الإنذار بالنسبة لجماعة سيؤمنون قبل موتهم ، ولفظ « إنما » أداة حصر ، وقد ورد على هذا الحصر إشكالان :

الأول : أنه يخالف قوله سابقاً ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ﴾ على القول بأن « ما » نافية .

الثانى : أن هذا الحصر يخالف عموم رسالته ﷺ ويدفع هذا الإشكال بأن يكون المراد : إنما ينتفع بإنذارك ؛ فالمقصود : إنما هو الإنذار النافع إذن ، فالنبى ينذر جميع الناس ، والمنتفع هم من آمنوا به ، فلا تنافى ولا إشكال .

والمراد باتباع الذكر : الإيمان بالقرآن ، والعمل به ، والانقياد لرسالته ﷺ ، واختيار القرآن لكلمة « خشى » و « الرحمن » فى غاية الدقة ، لأن هناك فرقا بين الخشية والخوف ، فقد يخاف الإنسان من أحد لجبروته وهو كاره له . أما المؤمنون فإنهم مع خوفهم من ربهم يحبونه ويرجون الخير منه لأنه رحيم ، ومعنى ﴿ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ خاف عقابه ، ولم يغتر برحمته ، فإنه مع رحمته شديد العقاب ، قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى

هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩ ، ٥٠)

وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ (غافر : ٣) فالمؤمن الحق يخشى عقاب الله قبل وقوعه ، ويخشى الرحمن وهو غائب عنه ، ويخشى الله وهو غائب عن الناس لا يراه أحد ، فهو بعيد عن الرياء . وخشية الله بهذ المعنى من أقوى أسس التربية التى ربى عليها الإسلام أتباعه . وسيرة المصطفى ﷺ والسلف الصالح مليئة بنماذج ممن كانت الخشية تملأ قلوبهم فى خلوتهم وجلوتهم ، فى سرهم وعلنهم ، وتعرف هذه الخشية بيقظة الضمير ، وهؤلاء الذين اتبعوا الذكر وخافوا ربهم وخشوه بيَّن الله جزاءهم بقوله :

﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ .

فجزاؤهم عند الله أمران : محو لذنوبهم ، وجنة يجدون فيها ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ووصف الأجر بالكرم فى هذه الآية له قيمته . فقد يعطى الإنسان فى الدنيا أجرا ، ثم ينتزع منه ، أما أجر الآخرة فدائمٌ لا يزول ، ولهذا جاء فى وصف نعيم الآخرة ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ .

بينت الآية السابقة أن من انتفع بالإنذار واتبع الذكر وخشى الله وخافه بالغيب ، فجزاؤه المغفرة والجنة . وفى هذه الآية يذكر وقوع البعث ويؤكده ويبين دقة الحساب .

وذكر بعض المفسرين وجها آخر فقال : إن هذه الآية تفصيل وبيان لشأن عظيم ينطوى عليه الإنذار والتبشير انطواءً إجماليا . وقضية البعث عالجها القرآن الكريم فى السور المكية والسور المدنية ، وأخذت مساحة كبيرة من آياته . وللقرآن الكريم ميزة عند حديثه عن البعث . وهى إثباته والاستدلال عليه بأمور مشاهدة محسوسة . فمرة يستدل عليه بخلق الإنسان وتطوره فى مراحل مختلفة . ومرة أخرى يستدل عليه بالأرض المجدبة حين ينزل عليها الماء ، فتخصب وتمرع ويهتز النبات فيها ، فيسر به كل ناظر إليه . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سُورَةُ الحَجِّ

تلك هى طريقة القرآن فى الاستدلال على وقوع البعث ، وهى طريقة مقنعة ممتعة ، فإذا قسنا هذا الذى يستدل به القرآن على البعث على ما يستدل به الفلاسفة ، وجدنا الفرق كبيرا وشاسعاً . فهم يذكرون أدلة عقلية ، وجدلا عقيما ، لا يقنع العقل ، ولا يمتع العاطفة .

﴿ إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ .

وردت روايات كثيرة فى سبب نزول هذه الآية ، منها : ما أخرجه الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه ، عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : كانت بنو سلمة فى

ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد ، فنزلت هذه الآية ، فقال النبي ﷺ : « إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا » ومنها ما أخرجه عبد الرزاق عن أبي سعيد قال : شكت بنو سلمة إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم عن المسجد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ : « عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم » ، والروايات صحيحة ، ولكنها ليست سببا لنزول الآية ، إنما استدل بها النبي ﷺ على أن بعد البيوت عن المساجد يكون سببا فى كثرة الحسنات بسبب كثرة الخطى ، ويدل على ذلك أن سورة « يس » كلها مكية على الصحيح وحادثة بنى سلمة وقعت بالمدينة ، ويجوز أن تكون الآية نزلت مرتين مرة فى ضمن السورة بمكة ، ومرة بالمدينة .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى ﴾ ذكر الكلام فيها مؤكدا بإن ، ومعها نون العظمة ، وكلمة نحن . والغرض من هذين المؤكدين الاعتناء بأمر الخبر بالنسبة للمؤمنين بالبعث ، ورد الإنكار بالنسبة للمنكرين له ، وهم الكفار ، وقد حكى عنهم القرآن الكريم ذلك فقال :

﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الصافات

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (الجاثية : ٢٤) ، ومن أقوالهم فى هذا : إن هى إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وليس وراء ذلك شيء . وللمفسرين فى قوله ﴿ نحيى الموتى ﴾ قولان :

الأول : أننا نعيدهم إلى حالتهم الأولى بأجسادهم وأرواحهم عند النفخة الثانية ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨) .

القول الثانى : أن المراد من قوله ﴿ نحيى الموتى ﴾ أى : موتى القلوب بأن نوفقهم للهداية إلى الحق ، بعدما ماتت قلوبهم بالضلالة ، والقول الأول يذكر المعنى الأصلى والثانى يذكر المعنى التبعى ، وكلاهما مرادان .

والحق سبحانه وتعالى لا يكتفى بإحيائهم وإعادتهم ، بل يكتب كل ما عملوه من خير أو شر . ولـذا قال : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ والكتابة تكون فى صحف الملائكة ، وإنما أسندت إلى الله تعالى لأنه الآمر بها ، وما قدموا مراد به : ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها .

﴿ وآثارهم ﴾ ما ماتوا عنه من أثر حسن كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه ، أو وقف وقفوه ، أو رباط أو مسجد صنعوه . أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة لمن ليس أهلا لها ، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها بعده . ومثل هذا قوله ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة : ١٣) ، ويدخل فى آثارهم خطاهم إلى الجمعة ، أو إلى الجماعة .

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ . المعنى الأصلى للإحصاء هو : العد . والمراد به فى الآية : البيان والحفظ ، لأنه لازم العد ، ويراد « بكل شيء » الجميع لا المجموع .

تسبيح الكائنات لله رب العالمين

بقلم الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان
مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن

معنى التسبيح ومادته :

التسبيح : مصدر الفعل سبَّح ومادته (سَبَحَ) وهو يدل على البعد ومنه سَبَحَ فى الماء ، فالتسبيح لغة هو مطلق الإبعاد ، ومنه قوله ـ تعالى ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ سورة المزمل

وشرعاً : تنزيه الله ـ تعالى ـ عما لا يليق .

والمعنى اللغوى مراعى فيه ، أى : إبعاد كل صفات السوء عن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال الزمخشرى : إنه يدل على التنزيه البليغ عن جميع القبائح التى يضيفها أعداء الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إليه ، وكأنك حين تُسبح الله ـ تعالى ـ تقول : (ما أبعد من له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، ومن يملك كل القوى والقدر عن جميع النقائص) .

وقد جاء التسبيح ـ فى القرآن الكريم ـ بأكثر من صيغة ، فجاء بصورة الفعل الماضى (سبَّح) كما فى قوله تعالى :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
سورة الحشر

وجاء بلفظ (المضارع) كما فى قوله ـ سبحانه :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ سورة الجمعة

ويلاحظ أن معظم الآيات التى يأتى فيها (سَبَّحَ ويُسبح) تُذَيَّل بـ « العزيز الحكيم » أى أن الله ـ تعالى ـ استحق هذا التنزيه والتقديس ؛ لأنه عزيز لا يغلب ، حكيم فى كل ما يريد ؛ ولهذا سبَّحت كل الكائنات له . ومن المضارع قوله تعالى حكاية عن الملائكة :

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
البقرة

وجاء بلفظ الأمر ؛ قال تعالى :

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾
طه ـ ٣٠

وجاء بلفظ (سبحان) وهو مصدر كالتسبيح ؛ فقولك : « سبحان الله » أى : نزهت الله تنزيهاً عن كل نقص لا يليق بذاته ـ تعالى ـ ولا يستعمل إلاَّ مضافاً ، وقال بعضهم : إنه اسم عَلَم على التسبيح ، ومن ورود هذه الصيغة فى القرآن قوله تعالى :

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾
الإسراء ـ ٩٣

وقوله حكاية عن الملائكة :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

البقرة ــ ٣٢

وقال بعض العلماء : قد يأتى « سبحان » على معنى الأمر أى : نزهوا الله . وفسروه بهذا المعنى فى صدر سورة الإسراء .

هذا ، وقد يستعمل التسبيح فى معان أخرى منها : الصلاة ؛ لأن المصلى مُعظِّم لله بصلاته ، ومنزه له عما لا ينبغى ، ومنه قوله ــ تعالى ــ عن سيدنا يونس ــ عليه السلام :

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾

الصافات ــ ١٤٣

أى المصلين ، كما قال الفخر ــ فى تفسيره ــ ومنه إطلاق لفظ (السبحة) على صلاة النافلة .

وقد ورد التسبيح بمعنى (الاستثناء) كقوله ــ تعالى :

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾

سورة (القلم) ــ ٢٨

أى : تستثنون بقولكم إن شاء الله ؛ لأن المستثنى معظم لله ــ تعالى ــ فى الاستثناء بمشيئته .

وقد يستعمل (التسبيح) بمعنى النور كما جاء فى الحديث الشريف « لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شىء »[1] قيل : معناه نور وجهه الذى إذا رآه الرائى قال : سبحان الله .

معانى التسبيح فى القرآن الكريم :

الأصل فى التسبيح أنه التنزيه للحق ــ سبحانه ــ أى إبعاده عن كل نقص وسوء وهو تنزيه فى الذات ، وتنزيه فى الصفات ، وتنزيه فى الأفعال والأسماء والأحكام .

أما تنزيه الذات ، فيحصل بالتوحيد المطلق ونفى الضد والند والكثرة والتركيب وعدم **مشابهته ــ تعالى ــ لشىء من المخلوقات ؛ فتنتفى** عنه الجسمية والعرضية ولا يحده زمان ولا يحصره مكان .

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

أما فى الصفات فتنزيه صفاته عن العجز والنقص ؛ فينزه عن الجهل : بأن يكون محيطاً بكل المعلومات ويكون قادراً على كل المقدورات وتكون صفاته منزهة عن التغيير ومنه قوله :

﴿ **سبحانه هو الغنى** ﴾

وأما فى الأفعال فلا تكون أفعاله متوقفة على شىء من المادة أو الزمان أو المكان أو المماثلة ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ **الإسراء**

وأما التنزيه فى الأسماء فالإقرار له بالأسماء الحسنى التى لا يماثلها شىء قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ **الأعراف ــ ١٨٠**

وتنزيهه فى الأحكام هو : الاعتقاد أن كل شىء شرعه الله لعباده فهو مصلحة وخير ، وكل ما حكم به على خلقه إحسان ورحمة ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

يس ــ ٨٣

هذا المعنى الاصطلاحى للتسبيح هو الأكثر شيوعاً واستعمالاً فى القرآن الكريم ، وقد يأتى التسبيح فى كتاب الله ــ تعالى ــ بمعنى التعجب كقوله ــ تعالى ــ :

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ أول الإسراء

وكل الآيات التى جاء فيها التسبيح بمعنى التعجب تتضمن إلى جانب ذلك معنى خاصاً يتناسب مع السياق أشبه ما يكون بمعنى الالتفات البلاغى فقوله – تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا .... ﴾

الزخرف ١٣

يفيد إلى جانب التعجب : (أنا الذى سخرت البهائم القوية للإنسان الضعيف) وقوله :

﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾

يفيد مع التعجب : (أنا الذى خلقت الكائنات وكنت منزهاً عن التعجب والنصب واللغوب وقوله – جل وعلا :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

البقرة – ٣٢

فيه بالإضافة إلى التعجب الإشارة إلى علم الله الذاتى المطلق وكأن الحق يقول : (أنا الذى أعلم من غير احتياج إلى معلم أو مرشد) .

أما قوله – عز وجل :

﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران – ١٩١

يتضمن : (إن أردت الخلاص من النار فقل هذا القول الكريم) وكذا إن أردت الخلاص من البلاء فقل : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » وإن أردت – رضوان الله – فسبح ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

وهكذا كل تسبيح فى كتاب الله يراد به (التعجب) يتضمن معنى خاصاً يلمح من السياق .

تسبيح الكائنات :

كل شيء فى الكون يسبح لله – تعالى – مصداقاً لقوله – عز وجل :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

الإسراء – ٤٤

أى : وما من شيء فى الوجود كله إلا ويسبح بحمد الله – تبارك وتعالى – وكأن الحق – سبحانه – يقول للإنسان الكافر الذى لا يسبح بحمد الله : (إن لم تسبح بحمدى فالضرر عائد إليك ؛ لأن لى من يسبح **بحمدى من المخلوقات** العاقلة : كالملائكة والأنبياء ، وغير العاقلة : كالحجر والمدر والرمال والجبال والليل والنهار والزمان والمكان والأجسام والأرواح) كما قال – تعالى – أول الحديد :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أول الحديد

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الإسراء

وتسبيح هذه الكائنات صفة لازمة لماهيتها ، أى أن التسبيح أمر ثابت لها ثبوتاً استمرارياً ؛ فهى لا تنفك عن التسبيح فى وقت من الأوقات ، وهذا هو السر فى الإخبار عن تسبيح هذه الكائنات مرة بصيغة الماضى (سبحَّ) ومرة بصيغة المضارع (يُسبحِّ) للإشارة إلى أن تسبيح هذه الكائنات غير مختص بوقت دون وقت ؛ بل هى كانت مُسبحة أبداً فى الماضى وتكون مُسبحة أبداً فى المستقبل .

وللعلماء – فى المراد من تسبيح الكائنات غير العاقلة لربها – تبارك وتعالى – أقوال **أهمها** :

إن هذه الكائنات تسبح بلسان الحال ، أى تدل بإيجادها وخلقها على وجوده – جل وعلا –

ووحدانيته وقدرته ، وتنزهه عما لا يليق بذاته - تعـالى - فهـو من باب الاستعـارة كما تقول : **نطقت الحال بكذا ، فكل الأكوان شاهدة بتَنَزُّهِهِ** - تبارك وتعالى - عن السوء ، قالوا : وهذا هو المناسب لقوله - تعالى - فى نفس الآية :

﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

الإسراء - ٤٤

لأن التسبيح لو كان قولياً لكان مفهوماً للمؤمنين والكافرين على السواء ؛ فدل قوله :

﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

على أنه بلسان الحال ؛ لأن الكفار غافلون عن النظر فى آيات الله - تعالى - فى الحياة والكون .

وحمل بعض العلماء تسبيح الجمادات على المعنى الحقيقى ؛ فالكل يسبح بلسان المقال حتى الجمادات أما عدم فقه معظم البشر لهذا التسبيح فلأن الإنسان لو سمع وعلم أن كل شىء فى الكون يسبح لله ويشهد بجلاله وكبريائه وقهره لشغله ذلك عن كل شىء حتى عن طعامه وشرابه ، روى عن الحسن - رضى الله عنه - أنه قال : « **لولا ما غُمَّ عليكم من تسبيح ما معكم فى البيوت ما تَقَارَرْتُم** » .

نماذج من تسبيح الكائنات بلسان المقال :

جاء فى السنة أن الحصا سَبَّحَ فى كفه الشريفة - صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الصحابة سمعوا هذا التسبيح ، وقال أنس - رضى الله عنه - : « أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطعام ثريد فقال : « **إن هذا الطعام يسبح** » فقالوا : يا رسول الله : وتفقه تبسيحه ؟ قال : « **نعم** » ، ثم قال لرجل : « أَدْن هذه القصعة من هذا الرجل ، فأدناها ، فقال : نعم يا رسول الله ، هذا الطعام يسبح فقال : « أدنها من آخر » فأدناها ، فقال : يارسول الله هذا الطعام يسبح ، ثم قال : **«ردها» فقال رجل : يارسول الله لو أُمِرَّت على** القوم جميعاً فقال : « لا لو سكنت عند رجل **لقالوا : من ذنب ، رُدّها» فردها**[٢] وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (بينما نحن مع رسول الله ليس معنا ماء فقال : اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فوضعه فى إناء ثم وضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « حى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى »[٣] فشربنا منه ، قال عبد الله : كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يُشرب » وروى أحمد - بسنده - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم : اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق فرب مركوبةٍ خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله تعالى منه »[٤] وعن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن قتل الضفدع وقال : « نقيقها تسبيح »[٥] .

هذا ولبعض العلماء رأى ثالث فى تسبيح الجمادات خلاصته :

أن الجمادات تسبح ما دامت باقية على حالتها الأصلية التى خلقها الله عليها ؛ فإن تحولت إلى حالة أخرى انقطع تسبيحها فقالوا : إن التراب يسبح ما لم يبتل ؛ فإذا ابتل ترك التسبيح ، وأن

(٢) روح المعانى للألوسى أبو الشيخ عن أنس .
(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود روح المعانى .
(٤) أخرجه أحمد وابن مردويه عن ابن مسعود .
(٥) أخرجه النسائى وأبو الشيخ عن ابن عمر .

الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح ، وأن الثوب يسبح ما لم يتسخ يؤيد هذا ما روى عن الحسن السبط ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : (ما من شيء على أصله الأول لم يمت ألاّ وهو يسبح بحمده ـ تعالى) وأراد بالموت خروجه عن أصله الأول ، وجلس ـ رضى الله عنه ـ مع أصحابه على مائدة فقال بعضهم هذه المائدة تسبح الآن فقال : (كلا إنما ذاك وكل شيء على أصله) .

تســـبيح الطيــــر :

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾

وقد دلل بعض العلماء على تسبيح الطير تسبيحاً قولياً بأن الذى ألهم بعض الحيوانات والطيور وسائر الحشرات أعمالاً لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء قادر على أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه ، وساق أمثلة من هذه الإلهامات الإلهية لما لا يَعْقِلُ ، ، من ذلك :

ما يلاحظ فى الخيل من أن كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذى قابله مرة فى أى وقت .

والتماسيح التى تفتح فمها لطائر لينظف أسنانها وقد جعل الله على رأس هذا الطير ريشاً كالشوك حتى لا يلتقمه التمساح .

وذكر النَّحْل وَما يُرَى فى بيوتها من هندسة يعجز الإنسان عنها ، والنملَ وما لها من أمور عجيبة جعلت إحداها تحذر سائرها من سيدنا سليمان وجنوده وقد فهم سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ حديثها ، وغير ذلك كثير .

أما تخصيص الطير بالذكر فقد قال بعض العلماء أنه ـ جل ثناؤه ـ لما ذكر أن أهل السموات والأرض يسبحون ، ذكر أن الذين اسْتقرُّوا فى الهواء الذى هو بين السماء والأرض وهم الطير يسبحون كذلك ؛ ولهذا قال : (صافات) أى باسطات أجنحتهن ، وذلك لا يكون إلاَّ فى الهواء ، وهذا أدل على كمال قدرة الله وحكمته ولطف تدبيره .

ومما يدل على تسبيح الطير تسبيحاً لفظياً بألفاظ تغاير ألفاظ البشر ما روى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أُتِى بغراب وافر الجناحين فقال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « **ما صِيدَ صَيْدٌ ولا عُضِدَتْ عُضَاةٌ ولا قطعت وشيجة إلاَّ بِقِلَّة التسبيح** » .

وروى أن على بن الحسين بن على ـ رضى الله عنهم ـ مر عليه عصافير يصحن فقال لجلسائه : أتدرون ما تقول هذه العصافير ؟ فلما قالوا : لا . ذكر لهم ما رواه أبوه عن جده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الطير إذا أصبحت سبحت ربها وسألته قوت يومها » وقال : هذه العصافير تسبح ربها وتسأله قوت يومها .

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن داود ـ عليه السلام ـ كان إذا سبَّح اجتمعت له الطير فسبَّحت معه معجزة له ـ عليه السلام ـ وهذا معنى قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾

سورة ص ـ ١٩

تســـبيح الجبــــال :

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾

سبأ – ١٠

وقال :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾

وقال : الأنبياء – ٧٩

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾

ص – ١٨

قال بعض المفسرين : الفضل الذى أتاه الله لداود – عليه السلام – هو تسبيح الجبال معه ، وقال بعضهم : إنه الصوت الحسن وهو المراد بقوله – تعالى – :

﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾

قال ابن إسحاق : لم يُعط الله أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى إنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها ، ولكثرة تسبيح سيدنا داود – عليه السلام – مع حسن صوته كانت مظاهر الطبيعة تتجاوب معه خاصة الجبال والطير ، وهو تسبيح حقيقى لكن لا يفقهه عامة البشر ؛ لأنهم لم يألفوه ، يقول صاحب الظلال : « فما هنالك من شىء يعز على القدرة ، أو يتأبى حين تُريد . يستوى أن يكون مألوفاً للناس ، أو غير مألوف ، ولو لم يكن تسبيحاً حقيقياً لما كان فيه مزية لسيدنا داود – عليه السلام – ولشفافية سيدنا داود وتجرده فى تسابيحه ومزاميره انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات فكان حين ينطق صوته بالتسبيح والتمجيد يتجاوب الكون كله معه وترجِّع الجبال والطير ، قال مقاتل : (إذا ذكر داود – عليه السلام – ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه) وقال الكلبى : إذا سبح داود أجابته الجبال ، وقال سليمان بن حيان : كان داود عليه السلام إذا وجد فترة (أى ضعفاً فى التسبيح) أمر الله – تعالى – الجبال فسبحت فيزداد نشاطاً واشتياقاً ؛ ذلك أن الله – تعالى – كما يقول الفخر الرازى : خلق فى الجبال حياة وعقلاً وقدرة فصارت تسبح ، وهذا نظير قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾

الأعراف – ١٤٣

فإن معناه : أن الله – تعالى – خلق فى الجبال عقلاً وفهماً ، ثم خلق فيه رؤية الله – تعالى – وقال قتادة : يسبحن معه أى يصلين إذا صلى ، فالتسبيح الصلاة ، وقال فى روح المعانى : كان إذا سبح سبحت الجبال مثل تسبيحه بصوت يُسْمَع منها .

من كل هذه النقول السابقة يتبين لنا أن تسبيح الجبال كان تسبيحاً حقيقياً بلفظ وصوت يسمعه سيدنا داود ويفهمه .

وقد قال بعض المفسرين : تسبيح الجبال بالسير كأنه مأخوذ من السبح ، وقالوا : إن الله – تعالى – سخر لسيدنا داود الجبال حتى إنها كانت تسير إلى حيث يريد – عليه السلام – وقالوا : إن معنى (أوِّبى) أُوبي لله أى : رَجِّعى ، والذى جعل الجبال تسير قادر على أن يجعلها تتكلم .

تســـبيح الملائـــكة :

الملاكة مخلوقات نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأعظم أعمالهم التسبيح ، قال – تعالى – :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾

آخر الأعراف

فهم مخلوقون لهذه العبادة ، وهذا التسبيح ولا يستكبرون ولا يفترون وصدق الله العظيم

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾

فصلت ــ ٣٨

قيل : إن المراد بهؤلاء الملائكة الذين هم عند ربهم حملة العرش كما قال تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ **الزمر ــ ٧٥**

وقال ــ عز من قائل :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾

غافر ــ ٧

ولما أخبر الله تعالى الملائكة بأنه سيجعل فى الأرض خليفة وظنوا أنهم أحق بالاستخلاف من آدم وذريته لم يجدوا للتدليل على أفضليتهم ــ كما ظنوا ــ خيراً من التسبيح :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾

البقرة ــ ٣٠

ومع أن الملائكة لا تتأتى منهم المعصية فهم يخشون الله ويهابونه . قال ــ تعالى :

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾

الرعد ــ ١٣

فهم يسبحون إجلالاً له ، وخوفهم ليس كخوف البشر ، فإن أحدهم من شدة الخوف لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره ولا يشغله عن التسبيح طعام ولا شراب ولا شيء ومعنى ﴿ **نسبح بحمدك** ﴾ أى : ننزهك يا ربنا عن كل سوء ، ونداوم على حمدنا لك على ما وفقتنا إليه من تسبيحك يريدون بهذا نفى ما قد يُتوهم من إعجابهم بتسبيحهم وقد ورد أن للملائكة تسبيحات أخرى منها :

« سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العظمة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت » .

وعن أبى ذر ــ رضى الله عنه ــ أن النبى سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله تعالى ــ لملائكته أو لعباده ــ سبحان الله وبحمده » .

أما التقديس الذى جاء على لسان الملائكة ﴿ **نقدس لك** ﴾ فقال بعض العلماء : وهو بمعنى التسبيح ــ أيضاً ــ لكن الأدق أنه يختلف عنه ، فقيل : التسبيح خاص بالطاعات ، والتقديس خاص بالاعتقادات ، وقيل : التقديس أبلغ ؛ لأن التسبيح تنزيه الله عما لا يليق فى نظر العباد ، أما التقديس فهو تنزيه الله عما لا يراه هو لائقاً بذاته ، ولذا قيل ــ للحق ــ تبارك وتعالى : (سبوح قدوس) وقيل : التقديس بمعنى التطهير والمراد : نسبحك ونطهر أنفسنا من الأدناس ، وأفعالنا من المعاصى ، وقلوبنا من الالتفات إلى غيرك .

الصبر على البلاء
دليل الرضا بالقضاء

بقلم فضيلة الشيخ :
محمد حافظ سليمان

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ . سورة لقمان ـ آية : ١٧

هذا ما قاله لقمان لابنه وهو يعظه « فى سورة سميت باسمه » وقد جعله الله تعالى قرآناً كريماً يتلى .

والصبر قوة فى قلوب الأبرار من الرجال لا يقدر على احتمالها المهازيل من الناس :

والصبر شجاعة إيجابية وهمة أبية وعزة أدبية وإرادة قوية والصبر دليل الصدق مع الله ومع النفس المطمئنة الراضية المرضية والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

والمؤمن إذا اقتحمه البلاء وجده صابراً صامداً راضياً بالقضاء شاكراً لله فى السراء والضراء وذلك لأن الابتلاء امتحان رهيب لا ينجح فيه إلا من كان موصولًا بربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .

الإيمان بأن الزمن مشحون بالضوائق والمكاره التى تسببها الكوارث والحوادث والتى قد يفاجأ بها المؤمن فلا يكتوى بنيران الجزع ولا بلهيب الفزع : لإيمانه بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه والله يقول :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ سورة العصر

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ١٢٨

سورة النحل

وقد يبتلى الإنسان بذرية سيئة فلو صبر لكان خيراً له مع الدعاء لهم أن يكونوا ذرية طيبة .

وقد يبتلى الانسان بجار سوء من شياطين الإنس فلا يجد العاقل أمامه لا الصبر يستعين به عليه . وقد يبتلى بامرأة سيئة فيسأل الله أن يلهمه الصبر على هذا البلاء المبين .

وقد يبتلى بالتعامل مع من لا خلاق لهم ممن يدعون الصداقة من تجار المنافع وأصحاب المطامع أو من ذوى الحقد الدفين الذى يتغلغل فى قلوب المنافقين الأفاكين والذى تظهره التجارب أو المعاملة ولا يحجبه قول معسول يخادع به الذين لا يعرفونهم على حقيقتهم وينبغى التيقظ لأمثال هؤلاء بتجنب صحبتهم مع الاستعانة بالصبر الحذر :

اصبر على كيد الحسُود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وهل الابتلاء عقوبة ؟

لو كان الابتلاء عقوبة لما ابتلى الله به الأنبياء : فهذا أيوب عليه السلام قد ابتلاه ربه فوجده صابراً نعم العبد إنه أوّاب .. والله يقول فى سورة ص :

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤ ﴾

سورة ص

وفى سورة الأنبياء يقول الله :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾

سورة الأنبياء

أبعد كل هذا يقال إن الابتلاء عقوبة ؟ كلا لا يصح هذا من مؤمن بقضاء الله وقدره ولكن الطوفان الذى أغرق الكفار من قوم نوح كان عقوبة لهم بسبب كفرهم وبغيهم :.

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾

[سورة هود الآية : ٣٦ ـ ٣٧]

ولما قال نوع عليه السلام لربه إن ابنى من أهل : قال له ربه :

﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ .... ﴾

سورة هود

فالابن الكافر لا يغنى من الله شيئاً أن يكون أبوه رسولاً ونبياً من الصالحين .

وبشر الصابرين

ولقد جعل الله التقوى مفتاحاً للرزق :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾

[سورة الطلاق آية : ٢ ـ ٣]

ورب قائل يقول : ولِمَ يبتلى الله الأنبياء والأولياء ؟ ونقول إن الله لا يُسأل عما يفعل ،

فهو مدبر الأمور وحده لا شريك له : وهو القائـــل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ سورة البقرة ــ آية : ١٥٥

ولله فى خلقه شئون والله يقول :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾
[سورة العنكبوت آية : ٢ ــ ٣]

ويقول :

﴿ .... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٥٤ ﴾ سورة آل عمران

البلاء المبين

والله يقول :

﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝١٠٦ ﴾ سورة الصافات

وفى قصة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ مع ابنه اسماعيل ــ عليه السلام ــ مثل أعلى للصابرين عند البلاء المبين أما قصة سيدنا أيوب عليه السلام فهى صورة حية قوية قد جاءت ليقتدى بها من كان مؤمناً حقاً عند المحن التى يبتلى بها المخلصون الصامدون الصادقون الصابرون ، ومن أجل هذا كانت قرآناً يتلى ليقول المسلم لربه : « ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا » لأن الأمر أمرك والملك ملكك والخلق خلقك

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤ ﴾ سورة الأعراف ــ آية : ٥٤

والله يقول : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠ ﴾ سورة هود

وقال له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ [سورة الأحزاب

ثم أمره بأن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير وأن يدع أذى الكافرين والمنافقين وأن يصبر على ذلك حتى يفتح الله بينه وبين قومه بالحق ، وقد تم له عزاً وفتحاً مبيناً ونصره الله نصراً عزيزاً وقال له :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ سورة الفتح

وفى قصص القرآن عظات وعبر وفيها من الأنباء ما فيه مزدجر وفى سورة يوسف مثلا مواقف واختبارات وابتلاء وامتحانـــات ثم تمخضت المحن فجاءت بمنح كثيرة ونعم وفيرة ليوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام ونزل قرآن يتلى ليقص علينا أحسن القصص فى سورة كاملة بينت ما حدث ليوسف فى مواطن كثيرة ولم تفارقه فيها عناية ربه العلى القدير وهو الذى قال له جل

شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ سورة يوسف

وفيها يقول ربنا جل جلاله :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة يوسف

وفيها يقول تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سورة يوسف

فكان جزاء التقوى والصبر والتعفف أن مكن الله ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء .

السَّيل الجائر والجمهور الصابر

وحدث ابتلاء فى أيامنا هذه وتلك قصته :

بينما نحن جلوس فى ساحة الدار فى ساعة الظهيرة من النهار ومن حولنا الأصدقاء وبعض الأبناء إذ هاجمنا طوفان من السيول الجارف الجائر بطغيانه ، فدمر الديار بعدوانه ، وخرب العمران واقتلع الأشجار وجرها إلى مكان سحيق وقد غير معالم الطريق وهدم الكبارى بعنفوانه لما هاج وماج وثار وفار ولم يترك فرصة لانقاذ ما فى الفيوت من مال ومتاع !!! وكان مصير كل شىء إلى الضياع ولكنا كنا نقول :

إذا سلمت رءوس الرجال من الردى
فما المال إلا مثل قص الأظافر

وقد كان الله لطيفاً بعباده لأن بعض الشر أهون من بعض ، ولأن السيل لو هاجم الناس ليلًا والناس نيام لحدثت خسائر فى الأرواح بسبب انهيار البيوت على ساكنيها وذلك لأن كل البيوت المبنية بالطوب اللبن أصبحت أثراً بعد عين وصارت أكواماً من الطين .

رُبَّ ضارة نافعة

وبعد أن ذهب السيل بأضراره وآثاره وخسائره وآثامه :

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ .. ﴾ هود ـ آية : ٤٤

قام الناس فوراً بإعادة بناء بيوتهم (بالأسمنت المسلح) وتم ذلك فى زمن قصير ولا يزال البينات مستمراً لاعادة الحياة الجادة الآمنة المطمئنة لبلاد أولاد يحيى بسوهاج : وإن تعجب فعجب أن الناس لم تهزمهم كالكوارث ولم تزعزعهم الحوادث فقد استعانوا بالله وصبروا على البلاء ورضوا بالقضاء وقد طلبوا العون من الله رب الأرض والسماء على التعمير بعد التدمير فنجحت قوة الارادة وانتصر صدق العزيمة . وكان الصبر عند الشدائد والمحن دليل الرضا .

وبالايمان السليم الذى لم يترك لليأس طريقاً ولا للخذلان سبباً شُيِّد البناء الجديد شامخاً وألغى البنيان بالطين أو بالطوب اللبن فى جميع النجوع :

قدر الله أن يزيد قوانا
باحتمال الخطوب لما ابتلانا
ومن الضعف أن نظن بأن
الهشم قد نابنا وفات سوانا
كلنا قد أصيب بالألم المشر
اختباراً لعقله وامتحانا

قبس من أنوار النبوة

روابط المجتمع الإسلامى

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه »

رواه أبوداود ، والنسائى وغيرهما

المفردات :

١ ـ استعاذ : طلب العصمة

٢ ـ فأعيذوه : اجبروه لمرضاة الله الذى استعاذ به

٣ ـ سأل بالله : طلب شيئا من حطام الدنيا

٤ ـ فأعطوه : إذا قدرتم على العطاء

٥ ـ فأجيبوه : وجوبا إذا كانت الدعوة لوليمة نكاح . ولم يكن هناك منكر

٦ ـ كافئوه : فأحسنوا بمثله .

البيـان

إن الإسلام فى تعاليمه السامية إلى إقامة المجتمع المترابط ، المتعاون على البر والتقوى ، المتراحم الذى يحقق الاعتصام بحبل الله ـ عز وجل ـ بما يقتضى : أن يهتم كل مسلم بأمر أخيه المسلم ، وأن يعنى بشأنه ، والدفاع عنه ، والعمل على ترقية حاضره ومستقبله ، بل يبذل من ذات نفسه ويدفع عنه كل أذى يصيبه ، أو شر يقع عليه ، ويحفظ عرضه ، ويصون حرمته ، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبوداود عن أبى الدرداء **« من رد عرض أخيه رد الله عنه النار يوم القيامة »**

يحافظ على كرامته ويصونه فى حضوره وغيبته . كما يقول النبى ﷺ **« ما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله من موطن يحب فيه نصرته »** رواه أبوداود من حديث جابر .

ومن مظاهر هذه الأخوة الإسلامية التى يتميز بها المؤمن . كما جاء الحديث الذى بين أيدينا **« من** استعاذ بالله » أى سأل العوذ والعصمة من شىء متوسلا إليكم بالله مقسما به عليكم **« فأعيذوه »** فاجبروه إجلالا لمن استعاذ به ، وطلبا لمرضاته

ـ تبارك وتعالى ـ « ومن سألكم بالله » شيئا من أمور الدين أو الدنيا ، وقدرتم عليه . « فأعطوه » بعد التأكد من حاجته وعجزه ، وإلا كان إعطاؤه تشجيعا على البطالة والكسل والتسول .

« **ومن دعاكم فأجيبوه** » لأن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم فعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال :« **إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن شاء طعم ، وإن شاء ترك** » رواه مسلم .

وفى حديث رواه أبوداود عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ، ومن دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا** » ـ مختطفا ـ أما إذا دعى إلى مكان فيه منكر ـ وكان يقدر على إزالته ـ لزمه الحضور لوجوب الإجابة لإزالة المنكر . وإذا لم يقدر على إزالته : لم يحضر . فقد نهى الرسول ﷺ أن يجلس على مائدة تدار فيها الخمر » وإن دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف .

روى الترمذى عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة » زاد ابن حبان فى صحيحه « وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة » « **فكافئوه** » أى : على إحسانه بمثله أو أحسن منه . كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ النساء آية ٨٦

فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » وفى رواية الطبرانى فى الأوسط قال : من اصطنع إليكم معروفا فجازوه ـ أحسنوا إليه ـ فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فإن الله شاكر يحب الشاكرين » .

وروى أحمد والطبرانى . عن الأشعث بن قيس ـ رضى الله عنه ـ « إن أشكر الناس لله تبارك ـ وتعالى ـ أشكرهم للناس ، وفى رواية : لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

إن من أسدى إليه معروف ، ويسر الله له الخير ، وأوجد عنده النعم فليهد وليتكرم بالبذل والعطاء ، ومن لم يجد فعليه بالدعاء . فعن أسامة ابن زيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى « من صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » .

وروى أبوداود عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال المهاجرون يارسول الله ، ذهب الأنصار بالأجر كله ما رأينا قوما أحسن بذلا ـ عطاءً ـ كثيرا ، ولا أحسن مواساة ـ صلة ومساعدة ـ فى قليل منهم ، ولقد كفونا المؤنة ـ الحاجة ـ قال : أليس تثنون عليهم به ، وتدعون لهم ؟ قالوا : بلى . قال : ذاك بذاك .

جعلنا الله من صناع المعروف ، ووفقنا حتى نكون من الذاكرين الشاكرين .

أجر من عــزّى مُصـــابا

بقلم ا. د محمود سالم الخطيب

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « من عزى مصابا فله مثل أجره »(١) .

رواه الترمذى وقال : إنه غريب ، ولم يرفع إلا من طريق على بن عاصم ، ورواه ابن ماجه ، وتكلم فى صحته .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من حلل الكرامة يوم القيامة » أخرجه ابن ماجه .

راوى الحديث :

هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ الهُذلى أبو عبد الرحمن ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه .

مولــده :

ولد بعد ميلاد الرسول ﷺ بعشر سنوات ، أحد السابقين إلى الإسلام ، سادس من أسلم ، لذلك يُعد سدس المسلمين . ضمه إليه النبى ﷺ ؛ فكان يلبسه نعليه ، ويمشى معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، شهد الغزوات كلها ، وهاجر الهجرتين ، وصلى للقبلتين ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وشهد له ﷺ بالعلم والجنة ، وكان يحفظ القرآن ، وقال : لقد أخذت من فِى رسول الله ﷺ سبعين سورة .

وقال : والله ما نزل من القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله منى ، وما أعلم أحداً تُبلِغْنِيه الإبل أعلم بكتاب الله منى لأتيته .

وفــاته :

توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٣٢ هـ ، وعمره ثنتان وسبعون سنة تقريبا .

(١) الترمذى ص٣٧٦ ، حديث رقم ١٠٧٣ .

لغويات الحديث :

أَجَرَهُ يَأْجُرُه ، أى : أثابه وأعطاه الأجر والجزاء ، والمراد : أن الذى يعزى المصاب يحصل على ثواب كالذى يحصل عليه صاحب المصيبة .

(من عَزَّى) من التعزية ، وعَزَّاه يُعزّيه : إذا أمره بالصبر ، وحثه عليه ، وبين له أنه إذا صبر أخذ الأجر ، والتعزية فى اللغة : التسلية لمن أصيب بمن يعز عليه .

وشرعا : الأمر بالصبر والحث عليه بوعد الأجر وبالدعاء للميت بالمغفرة ، وللمصاب بجبر المصيبة .

والتعزية تكون بأى صيغة تُشعر بالتسلية ، وتخفف عن المصاب ألم الفراق لمن أصيب فيه ، كقول البعض : اصبر واحتسب ، أو ألهمك الله الصبر ، أو إنا لله وإنا إليه راجعون . وأحسنها : ما أثر عن النبى ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم قوله : « إنَّ لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى »[٢] .

والتعزية تمتد إلى ثلاثة أيام إذا كان العزِّى والمعزَّى موجودين فى مكان المصاب . فإن غاب أحدهما فله ثلاثة أيام من وقت حضوره على اختلاف بين الفقهاء . كما أنها مندوبة للمسلم مع المسلم ، فهى جائزة فى تعزية المسلم للكافر كأن يقول له : جبر الله مصيبتك ، أو نحو ذلك ، وهذا من سماحة الإسلام . ويعزى أهل الميت وجيرانه ـ ذكورا وإناثا ـ إلا الشابة فلا يعزيها إلا محارمها[٣] .

معنى الحديث :

يرغب النبى ﷺ ويحث الناس على تعزية بعضهم بعضا ، مبينا لهم : أن من يقوم بهذا العزاء يعطى من الله الأجر العظيم والثواب الجميل الذى بينه فى الحديثين السابقين ؛ ولأن هذا العزاء يجعل من المجتمع أسرة واحدة متعاونة متضامنة ، ولم يُقصِر النبى ﷺ التعزية على المسلم فقط ، وإنما أجازها لغير المسلم .

وكما رغب ﷺ فى تعزية أهل الميت ، رغب كذلك فى عيادة المريض مسلما أو غير مسلم وبين أن من حق المسلم على أخيه أن يعوده فى مرضه .

قال ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

أخرجه كل من البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم .

ومعنى عيادة المريض : زيارته فى مرضه ، ومعنى اتباع الجنائز : السير معها إلى وضعها فى القبر .

(٢) النهاية فى غريب الحديث ص ٢٥ حـ ١ .

(٣) انتهى شرح ابن قاسم حاشية الباجورى فى فقه الشافعية جـ ١ ص ٣٠٣ ومن كتاب الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى جمع وترتيب أحمد البنا الشهير بالساعاتى حـ ٨ ص ٩١ بتصرف .

ومعنى إجابة الدعوة : أنه إذا دعاه أخوه لمناسبة مشروعة لبى الدعوة لاسيما فى عقد القران .

ومعنى تشميت العاطس : أى يقول له ما يمنع الشماتة فيه . كقوله : (يرحمك الله) إذا حمد الله .

ولم تختص عيادة المريض بالمسلم فقط ؛ فقد ثبت أن النبى ﷺ كان له خادم يهودى ؛ فكان إذا مرض عَادَهُ ، فعاده مرة وعرض عليه الإسلام ، وأبوه حاضر ، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ؛ فأسلم ؛ فقال الرسول ﷺ : « الحمد لله الذى أنقذه من النار » . رواه البخارى(٤) .

وكذلك رغب النبى ﷺ فى اتباع الجنائز وحملها ، وبين أن من يفعل ذلك له أجر كبير من الله - تعالى - كما تقدم فى الحديث السابق الذى رواه البخارى .

وكذلك رغب النبى ﷺ فى الصلاة على الميت ، وبين جزاء من يفعل ذلك ، فقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة : « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان ، قيل : وما القيراطان يارسول الله ؟، قال : « مثل الجبلين العظيمين » .

وفى رواية « أصغرهما مثل أحد » .

ومعنى « فله قيراط »(٥) : أى : نصيب من الأجر العظيم كالجبل ، بشرط أن يفعل ذلك حسبة لوجه الله - تعالى .

وحث على الدعاء للميت فى الصلاة .

عن عوف بن مالك - رضى الله عنه - أنه قال :

صلى رسول الله على جنازة ، فَحَفَظْتُ من دعائه : « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مُدخله ، واغسله بالماء والثلج والبَرَد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيراً من داره ، وأهلا خيراً من أهله ، وزوجا خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار » .

قال الراوى لهذا الحديث : تمنيت أن أكون ذلك الميت(٦) .

ومعنى أكرم نزله : أى أحسن ضيافته .

والبرَد : الماء ينزل سائلا ثم يجمد .

وكذلك حث - عليه الصلاة والسلام - على الدعاء للميت بالتثبيت بعد دفنه .

عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - أنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عند رأسه ، وقال : « استغفروا لأخيكم ، واسألوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يُسأل »(٧) .

ومعنى (اسألوا له بالتثبيت) : أى : بقولهم : اللهم ثبته عند السؤال ، ولقنه حجته .

---

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم فى كتاب الجنائز .
(٥) أصل القيراط - وزنا - $\frac{1}{20}$ من الدينار .
(٦) رواه مسلم والنسائى والترمذى .
(٧) رواه أبو داود .

وحث الرسول ﷺ على احترام الجنازة بالقيام لها ، لا فرق فى ذلك بين مسلم أو غيره ، فعن أبى سعيد الخُدْرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع »(٨) .

ومعنى توضع : أى فى القبر .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا معه ، فقلنا : يا رسول الله ، إنها يهودية ، فقال : « إن الموت فزع ، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا » .

وفى رواية أخرى للبخارى : « أليست نفس منفوسة »(٩) .

ومعنى منفوسة : أى : إن الله خلقها .

وأباح الإسلام تقبيل الميت ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل » ، وإنما قبل ﷺ عثمان شفقة عليه وتعظيما له ؛ لأنه كان أخاه من الرضاعة .

وبين ﷺ فضل الشهادة للميت بخير ، وأنها تدخله الجنة ، فعن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، فقلنا : ثلاثة ؟ قال : ثلاثة ، قلنا : واثنان ؟، قال : واثنان »(١٠) ثم لم نسأله عن الواحد .

ونهى ﷺ عن سب الأموات ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال : « لا تسبوا الأموات ؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »(١١) .

معنى سب الأموات : ذكرهم بالشر والسوء ، ومعنى أفضوا : أى وصلوا إلى ما عملوا ، فهم يسألون عنه ويجازون عليه .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : « اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم »(١٢) .

وقد احترم الإسلام العواطف الإسلامية والنفس البشرية ، فجوز النبى ﷺ البكاء على الميت من غير صوت ولا شق ثوب ولا لطم خد ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : دخلنا مع النبى ﷺ على أبى القين ، وكان ظئرا لإبراهيم ابن النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ إبراهيم ﷺ فقبله وشمه ثم دخلنا بعد ذلك ، وإبراهيم يجود بنفسه . فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟، فقال : « يا ابن عوف إنها رحمة » ثم أتبعها ﷺ : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »(١٣) .

ومعنى القين : أى الحداد ، واسْمُهُ : البراء بن أوس الأنصارى .

---

(٨) رواه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم . (٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داود . (١٠) رواه البخارى .

(١١) رواه البخارى والنسائى . (١٢) رواه الترمذى . (١٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود .

ومعنى الظئر : زوج المرضعة التى كانت ترضع إبراهيم ، واسمها : خولة بنت المنذر الانصارية البخارية ، ومعنى يجود بنفسه : أى بروحه ، يعنى : يختضر .

ومعنى تذرفان : أى يَسيل دمعهما من البكاء . وبكاؤه ﷺ من أثر الرحمة التى وضعها الله – تعالى – فى قلبه ، فلا يلام الإنسان عليها إذا كانت من غير صوت .

وقال ﷺ فيما رواه ابن مسعود – رضى الله عنه : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »[14] .

وعن أبى موسى – رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قد برىء من الصالقة والحالقة والشاقة[15] .

معنى الصالقة ، بالصاد أو السين : الرافعة صوتها بحدة عند المصيبة .

والحالقة : أى التى تحلق شعرها عند المصيبة .

والشاقة : الممزقة لملابسها ؛ لأن هذه الخصال الستة من خصال الجاهلية . قال شاعرهم طرفة بن العبد – يوصى امرأته بعد موته :

إذا مت فانعينـــــــــى بما أنـــــــــا أهلـــــــه
وشقـــــى علـــــىَّ الجيب يا ابنـــــة معبـــــد

ومن سماحة الإسلام انه لا يُعذَّبُ الميت بهذه الأعمال إلا إذا أوصى بها .

وقد زاد الإسلام من مواساة أهل الميت ، فأمر المسلمين إذا مات أحد لمسلم أن يتضامنوا فى تجهيز الطعام لأهله والمعزين ؛ لأنهم مشغولون عن هذا بتجهيز مصابهم .

قال ﷺ فيما رواه عبدالله بن جعفر – رضى الله عنهما – لما جاء نَعْىُ جعفر . قال النبى ﷺ : « اصنعوا لأهل جعفر طعاما ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم »[16] .

وهذا من الإسلام تأكيد للتضامن والتكافل والإخاء ، مما يجعل المسلمين أسرة واحدة تشعر بشعور واحد فى الألم والسرور ، وذلك خير مما يفعله كثير من الناس اليوم من نصب السرادقات ، وذبح الذبائح ، وإنفاق المال الكثير بدون داع ، فيحرم إنفاق هذا المال أشد حرمة إذا كان يحتاج إلى هذا المال قُصَّر فى حاجة ماسة إلى التربية .

والمسلمون إذا استجابوا لهذا الهدف النبوى كانوا منفذين لتعاليم رسولهم ﷺ ومحيين للسنة تاركين للبدعة التى نهى عنها الرسول ﷺ فى قوله : « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو عليه رد »[17] .

(١٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(١٥) رواه الترمذى .

(١٦) رواه الترمذى .

(١٧) رواه الترمذى وأبو داود .

الإمام الزهرى

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى الفقيه أبوبكر الحافظ المدنى أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام[١] .

مـولده :

قال الذهبى[٢] : مولده فيما قاله خليفة بن ابن صالح : فى سنة خمسين ، وفيما قاله خليفة بن خياط : سنة إحدى وخمسين .

وروى عنبسة : حدثنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب (أى : الزهرى) قال : وفدت إلى مروان وأنا محتلم ، فهذا مطابق لما قبله .

قلت : مروان هو ابن الحكم بن أبى العاص أبو عبدالملك الأموى، ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ، ومات سنة خمس وستين ، وله ثلاث أو إحدى وستون سنة . فقول الزهرى : وفدت عليه وأنا محتلم يعنى وقد بلغ العام الثالث عشر أو الرابع عشر من عمره ، فهذا يؤيد أن مولده سنة إحدى وخمسين أو قبلها .

قال الذهبى : وأبى ذلك يحيى بن بكير ، وقال : ولد سنة ست وخمسين ، حتى قال له يعقوب الفسوى : فإنهم يقولون : إنه قد وفد إلى مروان ، فقال : هذا باطل ، إنما خرج إلى عبدالملك بن مروان ، وقال : لم يكن عنبسة موضعاً لكتابة الحديث .

قلت : قال الحافظ فى التقريب [٣] :

عنبسة بن خالد بن يزيد الأموى ، صدوق من التاسعة ، وساق الحافظ فى التهذيب [٤] كلام يحيى ابن بكير ولم يتعقبه ، وذكر فى ترجمة عنبسة أنه قد أخرج له البخارى مقرونا بغيره ، وأبو داود .

شـيوخه :

قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل [٥] :

(١) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٤٤٥/٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥ .
(٣) تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ٤٣٢/١ .
(٤) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ١٥٤/٨ .
(٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٧١/٨ .

روى عن أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وأبى الطفيل ، والسائب بن يزيد ، وعبدالله بن ثعلبة بن صعير ، ومحمود بن الربيع ، وعبدالرحمن ابن أزهر ، ورأى ابن عمر ، وروى عن أبان بن عثمان ، ولم يسمع منه ، وغيرهم .

وروى عنـه :

عراك بن مالك ، وأخوه عبدالله بن مسلم ، وبكير بن الأشج ، ومنصور بن المعتمر ، وعمرو ابن شعيب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وصالح ابن كيسان ، وسليمان بن يزيد ، وعقيل ، والأوزاعى ، والزبيدى ، وغيرهم .

نشـأته :

قال ابن سعد فى الطبقات الكبرى (٦) :

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبدالرحمن ابن عبدالعزيز ، قال : سمعت الزهرى يقول : نشأت وأنا غلام لا مال لى مُقطَعًا من الديوان ، وكنت أتعلم نسب قومى من عبدالله بن ثعلبة بن صعير (العذرى) . وكان عالما بنسب قومى ، وهو ابن أختهم وحليفهم ، فأتاه رجل فسأله عن مسألة من الطلاق ، فعيى بها ، وأشار له إلى سعيد ابن المسيّب ، فقلت فى نفسى : ألا أرانى مع هذا الرجل المسن ، يعقل أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه ، وهو لا يدرى ما هذا ! فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب فسأله ، فأخبره ، فجلست إلى سعيد ، وتركت عبدالله بن ثعلبة ، وجالست عروة بن الزبير ، وعبيدالله بن عبدالله ابن عتبة ، وأبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام حتى فقهت . فرحلت إلى الشام ، فدخلت مسجد دمشق فى السحر ، فأممت حلقة وجاه المقصورة عظيمةً فجلست فيها ، فنسبنى القوم ، فقلت : رجل من قريش من ساكنى المدينة ، فقالوا : هل لك علم بالحكم فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب فى أمهات الأولاد . فقال لى القوم : هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب ، وهو جائيك ، وقد سأله عبدالملك عن هذا ، وسألنا فلم يجد عندنا فى ذلك علما ، فجاء قبيصة فأخبروه الخبر ، فنسبنى فانتسبت ، وسألنى عن سعيد بن المسيب ونظرائه فأخبرته ، قال : فقال : أنا أدخلك على أمير المؤمنين ، فصلى الصبح ، ثم انصرف فتبعته ، فدخل على عبدالملك ابن مروان ، وجلست على الباب ساعة حتى ارتفعت الشمس ، ثم خرج فقال : أين هذا المدينى القرشى ؟ قال : قلت : هأنذا ، قال : فقمت حتى دخلت معه على أمير المؤمنين ، قال : فأجد بين يديه المصحف قد أطبقه ، وأمر به يرفع ، وليس عنده غير قبيصة جالس ، فسلمت عليه بالخلافة . فقال : من أنت ؟ قلت : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله ابن الحارث بن زهرة .. فقال : أوه ، قوم (نعارون) فى الفتن ، قال : وكان مسلم بن عبيدالله مع (ابن) الزبير . ثم قال : ما عندك فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرته ، فقلت : حدثنى سعيد ابن المسيّب ، فقال : كيف سعيد ، وكيف حاله ؟ فأخبرته ، ثم قلت : وحدثنى أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فسأل عنه ، قلت : وحدثنى عروة بن الزبير ، فسأل عنه ، فقلت : وحدثنى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ،

(٦) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ٤/١٠٢ .

فسأل عنه ، ثم حدثته بالحديث فى أمهات الأولاد عن عمر بن الخطاب .. قال : فالتفت إلى قبيصة ابن ذؤيب . فقال : يكتب به إلى الآفاق .

قال : فقلت : لا أجده أخلى منه الساعة ، ولعلى لا أدخل (عليه) بعد هذه المرة ، فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمى ، وأن يفرض لى فرائض أهل بيتى ، فإنى رجل مقطع لا ديوان (لى) فعل ، فقال : إيهًا الآن ! إمض لشأنك .. قال : فخرجت والله مؤيسا من كل شىء خرجت له ، وأنا والله حينئذ مقل مرمل ، فجلست حتى خرج قبيصة فأقبل علىّ لائما لى ، فقال : ما حملك على ما صنعت من غير أمرى ألا استشرتنى ؟ قلت : ظننت والله أن لا أعود إليه بعد ذلك المقام ، قال : ولم ظننت ذاك ؟ تعود إليه ، فالحق بى ، أو قال : إيتنى فى المنزل . قال : فمشيت خلف دابته والناس يكلمونه حتى دخل منزله ، فقلّ ما لبث حتى خرج إلىّ خادم برقعة فيها : هذه مائة دينار قد أمرت لك بها ، وبغلة تركبها ، وغلام يكون معك يخدمك ، وعشرة أثواب كسوة ، قال : فقلت للرسول : ممن أطلب هذا ؟ فقال : ألا ترى فى الرقعة اسم الذى أمرك أن تأتيه ؟ قال : فنظرت فى طرف الرقعة ، فإذا فيها : تأتى فلانا فتأخذ ذلك منه ، قال : فسألت عنه ، فقيل : ها هو ذا ، هو قهرمانُهُ ، فأتيته بالرقعة ، فقال : نعم ، فأمر لى بذلك من ساعته ، فانصرفت وقد ريَّشنى وجبرنى ، قال : فغدوت إليه من الغد ، وأنا على بغلته وسرجها ، فسرت إلى جانبه ، فقال : احضر باب أمير المؤمنين حتى أوصلك إليه قال : فحضرت للوقت الذى وعدنى له فأوصلنى إليه ، وقال : إياك أن تكلمه بشىء حتى يبتدئك ، وأنا أكفيك أمره . قال : فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلىّ أن اجلس ، فلما جلست ابتدأ عبدالملك الكلام ، فجعل يسائلنى عن أنساب قريش ، وهو كان أعلم بها منى ، قال : وجعلت أتمنى أن يقطع ذلك لتقدمه علىّ فى العلم بالنسب ، قال : ثم قال لى : فرضت لك فرائض أهل بيتك ، ثم التفت إلى قبيصة فأمره أن يثبت ذلك فى الديوان ، ثم قال : أين تحب أن يكون ديوانك ، أمع أمير المؤمنين ها هنا ؟ أم تأخذه ببلدك ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا معك ، فإذا أخذت الديوان أنت وأهل بيتك أخذته ، قال : فأمر بإثباتى ، وبنسخة كتابى أن يوقع بالمدينة ، فإذا خرج الديوان لأهل المدينة قبض عبدالملك بن مروان وأهل بيته ديوانهم بالشام .

قال الزهرى : ففعلت أنا مثل ذلك ، وربما أخذته بالمدينة ، لا أصد عنه . قال : ثم خرج قبيصة بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت فى صحابته ، وأن يجرى عليك رزق الصحابة ، وأن ترفع فريضتك إلى أرفع منها ، فالزم باب أمير المؤمنين ، قال : وكان على عرض الصحابة رجل فظ غليظ يعرض عرضا شديدا ، قال : فتخلفت يوما أو يومين فجبهنى جبها شديدا ، فلم أعد لذلك التخلف ، وكرهت أن أقول لقبيصة شيئا فى أول ذلك ، ولزمت عسكر عبدالملك ، وكنت أدخل عليه كثيرا ، قال : وجعل عبدالملك فيما يسائلنى يقول : من لقيت ؟ فجعلت أسمى له ، وأخبره بما لقيت من قريش ، لا أعدوهم ، فقال عبدالملك : فأين أنت عن الأنصار ؟ فإنك واجد عندهم علما ، أين أنت

عن ابن سيدهم خارجة بن زيد بن ثابت ؟، أين أنت عن عبدالرحمن بن يزيد بن جارية ؟، قال : فسمى رجالا منهم ، قال : فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم ، يعنى الأنصار ، ووجدت عندهم علما كثيرا ، قال : وتوفى عبدالملك بن مروان ، فلزمت الوليد بن عبدالملك حتى توفى ، ثم سليمان ابن عبدالملك ، وعمر بن عبدالعزيز ، ويزيد بن عبدالملك ـ فاستقضى يزيد بن عبدالملك على قضائه الزهرى ، وسليمان بن حبيب المحاربى جميعا ـ قال : ثم لزمت هشام بن عبدالملك . قال : وحج هشام سنة ست ومائة ، وحج معه الزهرى ، فصيره هشام مع ولده يعلمهم ويفقههم ويحدثهم ويحج معهم ، فلم يفارقهم حتى مات بالمدينة .

أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد ابن زيد ، عن معمر قال : أول ما عرف الزهرى أنه كان فى مجلس عبدالملك بن مروان، فسألهم عبدالملك ، فقال : من منكم يعلم ما صنعت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين ؟ قال : فلم يكن عند أحد منهم من ذلك علم ، فقال الزهرى : بلغنى أنه لم يقلب منها يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عَبيط قال : فعُرف من يومئذٍ .

وقال الذهبى فى السير[7] :

قال ابن وهب : حدثنى يعقوب بن عبدالرحمن ، قال : رأيته رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعيرات طوال ، خفيف العارضين . يعنى : الزهرى .

معن بن عيسى . عن ابن أخى الزهرى ، قال : جمع عمى القرآن فى ثمانين ليلة .

الحميدى عن سفيان : قال : رأيت الزهرى أحمر الرأس واللحية ، فى حمرتها انكفاء ، كأنه يجعل فيها كتما ، وكان رجلا أعيمش .. وله جمة ، قدم علينا سنة ثلاث وعشرين ومائة فأقام إلى هلال المحرم سنة أربع ، وأنا يومئذ ابن ست عشرة سنة .

معمر عن الزهرى ، قال : مست ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمانى سنين .

الزبير فى « النسب » له : حدثنى محمد بن حسن ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، قال : كنتُ أخدم عبيدالله بن عبدالله ، حتى إن كنت أستقى له الماء المالح ، وكان يقول لجاريته : من بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش .

ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، قال : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع . فلما احتيج إليه . علمت أنه أعلم الناس ، وبصر عينى به ، ومعه ألواح أو صحف ، يكتبُ فيها الحديث ، وهو يتعلم يومئذ . وعن أبى الزناد . قال : كنت أطوف أنا والزهرى ، ومعه الألواح والصحف ، فكنا نضحك به .

ابنُ وهب ، عن الليث . كان ابن شهاب ، يقول : ما استودعتُ قلبى شيئا قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح ، وسؤر الفأر ، وكان يشرب العسل ، ويقول : إنه يذكر ، ولفائد بن أقرم يمدح الزهرى :

ذر ذا وأثن على الكريم محمد
واذكر فواضله على الأصحاب
وإذا يقال : من الجواد بماله ؟
قيل : الجواد محمد بن شهاب

(٧) سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٥ .

يتبـع

المدوَّنة الكبرى

في الفقه المالكي

٣

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة

مالك والأصول الفقهية لمذهبه :

لم يدون الإمام مالك الأصول التى بنى عليها مذهبه ، واستخرج على أساسها أحكام الفروع التى استخرجها ، والتى قيد نفسه فى الاستنباط بقيودها ، وكان فى ذلك كالإمام أبى حنيفة معاصره ، ولم يكن كتلميذه الإمام الشافعى الذى دون أصوله فى الاستنباط ، وضبطها ، وذكر البواعث التى بعثته على اعتبارها ، ومقامها من الاستدلال ، وذلك فى كتابه : « الرسالة » .

ولكن الإمام مالكا ـ وإن لم يذكر الأصول الفقهية لاستنباطه ـ قد أشار إليها بتدوين بعض فتاويه ومسائله والأحاديث المسندة بسند متصل ، والمنقطعة ، والمرسلة ، والبلاغات ، وإن لم يكن قد وضح المنهاج ، ودافع عنه ، ولا بيّن البواعث التى بعثته على الأخذ به ، والاتجاه إليه دون سواه .

منهـــج مالك :

ومالك ـ وإن لم يدون أصوله ـ قد ذكر منهاجه إجمالاً فى كثير من عبارات اشتمل عليها الموطأ ، وعبارات رويت عنه بطريق تلاميذه والمعاصرين له .

المدونة واستنباط المسائل الفقهية :

يضاف إلى الموطأ ما اشتملت عليه المدونة التى تبين بوضوح مسلكه فى استنباط المسائل الفقهية ، حيث نقل أصحابه آراءه فى المسائل الفقهية التى جمعت معظمها المدونة .

بين الموطأ والمدونة :

فالموطأ ـ وإن كان كتاب حديث ممحص السند والمتن ، فهو كتاب فقه أيضاً ـ يشتمل على

رأى مالك فى المسائل الفقهية التى تشملها موضوعاته ، وهو مرتب ترتيباً فقهياً ، وهو أصدق كتاب ينبىء عن علم مالك بالفقه والحديث .

ويليه فى ذلك المدونة أول موسوعة ألفت فى الفقه المالكى ، فقد دونت فيها الفتاوى ، وجمعت ، وخرج عليها ، فكانت هى الطريق الثانى لمعرفة فقهه ، بعد التعرف عليه مما كتبه هو بيده ، وكان فِقْه مالك : بعضه تخريج للأحاديث ، وبعضه بيان للأمر الذى كان مجتمعاً عليه بالمدينة ، وبعضه كان بياناً لما كان عليه التابعون الذين التقى بهم ، وبعضه الآخر كان رأياً اختاره من مجموع آرائهم ، وبعضٌ هو رأى رآه ، قد قاسه على ما علم ، فهو شبيه بما علمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما اجتمع عليه أهل المدينة ، وما نقله عن أهل العلم من الصحابة والتابعين .

وصف مالك لفقهه :

ولقد وصف الإمام مالك ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ فقهه فى الموطأ ، فقال :

أما أكثر ما فى الكتاب فرأى لعمرى ما هو برأيِ ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل ، والأئمة الْمُقْتَدَى بهم ، الذين أخذتُ عنهم ، وهم الذين كانوا يتقون الله ، وكثر علىّ فقلت : رأى ، وكان رأيهم مثل رأيى ، مثل رأى الصحابة الذين أدركوهم عليه ، وأدركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثة توارثوها ، قرناً عن قرن إلى زماننا ، فهو رأى جماعة ممن تقدم من الأئمة .

وما كان فيه : الأمر المجتمع عليه ، فهو ما اجتمع عليه قول أهل الفقه والعلم ، لم يختلفوا فيه .

وما قلت : الأمر عندى ، فهو ما عمل به الناس عنْدنا ، وجرت به الأحكام ، وعرفه الخاص والعام .

وكذلك ما قلت : ببلدنا فيه ، وما قلت فيه : بعض أهل العلم ، فهو شىء أستحسنه من قول العلماء .

وأما ما لم أسمعه منهم ، فاجتهدت ، ونظرت على مذهب من لقيتُهُ ، حتى وقع ذلك موقع الحق ، أو قريباً منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم ، وإن لم أسمع ذلك بعينه ، فنسبت الرأى ــ بعد الاجتهاد مع السنة ، وما مضى عليه أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا من لدن رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين ، فذلك رأيهم ما خرجت عنه إلى غيرهم .

ومعنى قول الإمام مالك : إنه رأى ليس برأيِ ، أى : إنه نَظَرٌ نَظَرَهُ ، ورأْىٌ ارتآه ، ولكنه ليس بدعاً ولا جديداً ولا ابتكاراً ، ولا أمراً غريباً على العلم المدنى ، ففى غير المنصوص يتقيد ــ فى اجتهاده ــ بعلم أهل المدينة ، المشهور عندهم ، وبعلم الصحابة والتابعين ، ثم بالقياس على ما قالوا ، وما أفتوا به .

طريق الاجتهاد عند مالك :

لكل هذا نجد الإمام مالكا قد سلك طرق الاجتهاد المعتبرة ، ثم رتبها على ما يوجب العقل ،

ويشهد له الشرع ، فقد نهج فى تلك الأصول مناهجها ، مرتباً لها مراتبها ومداركها ، وذلك بتقديم :

كتاب الله تعالى على ترتيب أدلته فى الوضوح ، من تقديم نص القرآن ، ثم الظواهر ، وهى العمومات ، ثم مفهوم الموافقة ، فمفهوم المخالفة ، ثم تنبيهه على العلة مثل قول الله تعالى :

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾
الأنعام ـ ١٤٥

ثم كذلك السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها ، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهوماتها .

ثم الإجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة .

وإذا لم يجد الحكم فى هذه الأصول كلها يقيس عليها ويستنبط منها ؛ إذ كتاب الله ـ تعالى ـ مقطوع به ، وكذلك متواتر السنة ، وكذلك نص الكتاب والسنة مقطوع به ، فوجب تقديم ذلك كله ، ثم الظواهر ثم المفهوم فى دخول الاحتمال فى معناها ، ثم أخبار الآحاد عند عدم وجود الحكم فى الكتاب والمتواتر من السنة ، وأخبار الآحاد مقدمة على القياس ، لإجماع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ على الأصلين ، وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر الثقة ، وامتثالهم مقتضاه ، دون خلاف منهم فى ذلك ، ثم القياس أحرى عند عدم الأصول ، على ما مضى عليه عمل الصحابة ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهم ـ، ومن بعدهم السلف المرضيين ، وعلى مقتضى مذاهبهم أجمعين .

● ● ●

هذا وسأفرد ـ إن شاء الله ـ مقالة أبين فيها أصول مذهب مالك بالتفصيل ، ثم إن الإمام مالكاً ترك من الآثار ما لم يتحمله الثقات العارفون بما يحملونه ، أو ما وجد الجمهور والجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه .

ثم كان من وقوفه فى المشكلات وتحاشيه عن الكلام فى المعوصات ما سلك به سبيل السلف الصالح ، وكان يفضل الاتباع ، ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين .

وكان ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ إذا وجد مصلحة للناس أفتى بما فيه المصلحة ، التى لا يشهد لها من الشارع نص ، ولم يعرف ما يمنع الأخذ بها ، لأن الإذن فى المنافع هو الأصل العام فى هذا الفقه .

والإمام مالك فى ذلك : الفقيه الثاقب النظر ، الذى تنفذ بصيرته إلى الأمر الثاقب بتوفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا ما يؤدى إليه النظر السليم ، المتجه إلى طلب الحق من غير غض لقيمة العمل ، ولا بخس لحق العامل ، ولا غمط للمأثور .

وهكذا كان الإمام مالك نير الفقه ، واضح المنهج ، بين الطريقة :
روى الأحاديث بسند متصل أو مرسل أو منقطع ، واستخرج الأحكام من نصوصها ، ووضحها وجلاها ، وما وجده منها يعارض كتاب الله ـ تعالى ـ ردّه ، وأنكر نسبته إلى رسول الله ﷺ .

روايته للحديث الشريف :

والذى ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام أن الإمام مالكاً ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ لم يلتزم فى حديثه الإسناد المتصل ، فهو لم يصل كل الأحاديث التى رواها بسند متصل إلى النبى ﷺ ، بل فيها :

المرسل الذى لم يذكر فيه الصحابى الذى رواه .

وفيها المنقطع الذى لم يذكر فيه راويه بعد طبقة الصحابى .

وفيه البلاغات التى لم يذكر فيها سند ؛ وذلك لأن التقيد بالسند لم يسد فى عصر مالك ؛ بل تقيد به المحدثون من بعده ، لما كثر الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ وأرادوا أن يستوثقوا من النسبة بمعرفة الرجال ، فاشترطوا وصل السند ، ولم يأخذوا بالمرسل ولا بالمنقطع .

وسبب اتباع الإمام مالك لطريقته أنه كان يشترط « الثقة » فيمن يشافهه ، حتى إنه كان يرفض الأخذ عن كثير من معاصريه ؛ لأنه لم يثق فيهم .

وكان كذلك لا يشترط فى قبول الحديث الشهرة فيما تَعُمُّ به البلوى كما اشترط الحنفية ، ولا يرد خبر الواحد لمخالفته القياس ، أو لعمل الراوى بخلافه .

ولكن يشترط فى خبر الواحد ألا يخالف عمل أهل المدينة ، وعمدته فى الحديث ما رواه أهل الحجاز .

مجتهدون معاصرون لمالك :

هذا وكان مع الإمام مالك ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ مجتهدون معاصرون له .

فهذه كلمة عن أشهرهم والجهات التى انتشرت مذاهبهم فيها :

قال القاضى عياض بن موسى فى كتابه (ترتيب المدارك فى معرفة أعيان مذهب مالك) ، والشيخ محمد الخضرى فى كتابه (تاريخ التشريع الإسلامى) :

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن حكم المتعبد بأوامر الله ونواهيه ، المتشرع بشريعة نبيه ﷺ طلب معرفة ما يتعبد به ، وما يأتيه ويذره ويجب عليه ، ويحرم ويباح له ، ويرغب فيه من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ ، فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما ، ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما ، فلا يصح أن يؤخذ وينعقد إلا عنهما ، إما من نص عرفه المجمعون ثم تركوا نقله ، أو

من اجتهاد مبنى عليهما ، وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقق العلم بذلك ، ومعرفة الأدلة الموصلة إليه ، من نقل ونظر وجمع وحفظ ، وعلم ما صح من السنن واشتهر ، ومعرفة كيفية الفهم من علم ظواهر الألفاظ ، وهو علم العربية والفقه ، وعلم معانيهما ، ومعانى موارد الشرع ومقاصده ، ونص الكلام وظاهره وفحواه وسائر مناهجه ، وهو المعبر عنه بـ(علم أصول الفقه) .

وكان أولى الناس بذلك فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عنه الأمر ، وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهى ، وشاهدوا قرائن الأمور ، وشافهوا رسول الله ﷺ فى أكثرها ، واستفسروه عنها ، فكانوا أعلم الأمة بلا مرية .

ثم جاء التابعون فنظروا فى أقوالهم ، وبنوا على أصولهم .

ثم جاء من بعدهم من العلماء من أتباع التابعين ، فجمعوا أقوال الجميع ، وحفظوا فقههم ، فاجتهدوا فى جمع السنن ، وضبط الأحوال ، وسُئِلوا فأجابوا ، ومهدوا الأصول ، وفرعوا عليها النوازل ، ووضعوا التصانيف ، وقاسوا على ما بلغهم ما يشبهه .

● ● ●

فإذا تقررت هذه المقدمة ، فقد وقع إجماع المسلمين فى أقطار الأرض على تقليد هذا النمط واتباعهم ، ودرس مذاهبهم دون من قبلهم ، مع الاعتراف بفضل من قبلهم ، وسبقه ، ومزيد علمه .

ثم اختلفت الآراء فى تعيين المُقَلَّد منهم ، فغلب كل مذهب على جهة .

فمالك بن أنس ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ بالمدينة .

وأبو حنيفة والثورى بالكوفة .

أما أبو حنيفة فغنى عن التعريف به ، وقد غلب مذهبه على الكوفة والعراق وما وراء النهر .

وأما الثورى فهو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى .

وقيل له : « الثورى » نسبة إلى ثور بن عبد مناة أحد أجداده ، والثورى من تابعى التابعين ، ولد سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وروى الحديث عن أعلام التابعين ، وروى عنه خلق من التابعين[1] .

وعاصر سفيان أبا حنيفة بالكوفة إلا أنه كان على طريقة أهل الحديث الذين يذمون الرأى . ولم يكثر أتباع الثورى ، ولم يطل تقليده ، وانقطع مذهبه عن قرب . خرج من الكوفة سنة خمسين ومائة ، ولم يعد إليها ، ومات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة .

الحسن البصرى :

كما انتشر مذهب الحسن البصرى بالبصرة .

وهو الحسن بن يسار ، مولى زيد بن ثابت الصحابى ، وكنية أبيه : أبو الحسن ، ولد الحسن

لسنتين بقيتا من خلافة عمر - رضى الله - تعالى - عنه - وروى عن كثير من الصحابة والتابعين ، وكان فقيهاً ثقة ، وإماماً جامعاً .

قال أقرانه عنه : لو أن الحسن أدرك أصحاب النبى ﷺ وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه ، وكان يصدع بالحق ، ولا يخشى أحداً فى إبداء رأيه ، وكان تقياً ورعاً ، يعده الصوفية واحداً منهم ، ويتمثلون بحِكَمِه ، وهو من الأئمة أصحاب المذاهب المُقَلَّدة ، وكان الناس يرون أن ما ظهر عليه من العلوم والفضائل كان ببركة رضاعه من ثدى أم المؤمنين أم سلمة - رضى الله - تعالى - عنها - ، ولم يكثر أتباع الحسن البصرى ، ولم يطل تقليده ، وانقطع مذهبه ، توفى بالبصرة سنة عشر ومائة .

الأوزاعى :

وأما الأوزاعى فقد غلب مذهبه على الشام .

وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعى ، والأوزاع بطن من ذى الكُلاع باليمن ، وأصل بيته من سَبْى (عين التمر) ، وهى موضع فى حدود العراق .

ولد بـ (بعلبك) بالشام سنة ثمان وثمانين ، وكان يسكن دمشق ، ثم تحول إلى بيروت فسكنها إلى أن توفى بها سنة سبع وخمسين ومائة .

روى عن عطاء بن أبى رباح ، ومحمد بن مسلم الزهرى ، وابن سيرين ، وغيرهم .

وروى عنه أكابر المحدثين ، وقد أخذ عن مالك كما أخذ مالك عنه ، كانت إليه فتوى أهل الشام لسعة علمه وكمال فضله ، كان عالى الشأن فى الحديث والفقه ، وكان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، ويقفون مع السنة ، وهو من الأئمة المجتهدين الذين لهم مذاهب خاصة ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وقد عمل به أيضاً أهل الأندلس لكثرة الداخلين إليها من الشام .

ثم اضمحل مذهب الأوزاعى أمام مذهب الشافعى بالشام ، وأمام مذهب مالك فى الأندلس . وكان ذلك فى منتصف القرن الثالث ، ولم يبق من مذهبه إلا ما يوجد فى بطون كتب الخلاف .

الشافعى :

ثم ظهر مذهب الإمام الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - بمصر . هذا وشهرة الشافعى تغنى عن التعريف به ، كثر أتباع الإمام الشافعى ، وظهر مذهبه ظهور مذهب مالك وأبى حنيفة قبله .

وكان ظهور مذهبه أولا بمصر ، وكثر أتباعه بها مع المالكية ، ثم ظهر بالعراق ، وبالأخص فى بغداد ، وغلب عليها ، وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن إلى وقتنا هذا .

ودخل وراء النهر وبلاد فارس ، ودخل شىء منه أفريقية وبلاد الأندلس ، بعد سنة ثلاثمائة من الهجرة .

الجهات التى انتشر فيها مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله ـ تعالى ـ عنه :

غلب مذهب أبى حنيفة على الكوفة ، وأغلب العراق ، وما وراء النهر ، وكثير من بلاد خراسان ، وظهر بأفريقية ظهوراً كثيراً إلى قريب من أربعمائة عام ، ثم انقطع منها ، ودخل منه شىء إلى جزيرة الأندلس ، كما ظهر فى (فاس) .

ابن حنبل :

ثم ظهر مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ ببغداد ، وشهرة الإمام أحمد تغنى عن التعريف به ، ثم انتشر مذهبه فى كثير من بلاد الشام وغيرها .

وكان سبب نشأة المذهب فى بغداد أنها موطنه الذى درج تحت سمائه ، ثم انتقل بعد إلى بلاد أخرى ، فكان بمصر على عهد الفاطميين والأيوبيين من أوائل القرن الرابع ، وكان كذلك بالشام ، وكثر عدد الحنابلة ، وتوفرت كتبهم .

وأصبح الآن مذهب الحنابلة فى الحجاز صاحب المقام الأول ، كما غدا المذهب الرسمى للمملكة السعودية حكومة وشعباً .

أبو ثور :

يلى هؤلاء الأئمة أبو ثور ، الذى ظهر مذهبه فى بغداد .

وأبو ثور : هو إبراهيم بن خالد بن اليمانى الكلبى البغدادى ، الإمام الجليل الجامع بين علمى الحديث والفقه ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، والعلماء البارعين ، متفق على إمامته وجلالته وتوثيقه وبراعته .

كان يتفقه أولًا على مذهب أهل الرأى : أبى حنيفة وأتباعه ، فلما قدم الشافعى بغداد حضره أبو ثور ، فرأى من علمه وفضله وحسن طريقته ما صرفه عما كان عليه ، ورده إلى طريقة الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ فكان أبو ثور من أعلام أصحاب الشافعى ، ورواة كتبه الحجة .

إلا أنه اختار لنفسه ، وصار له مذهب خاص مدون ، وأتباع لم يكثروا ، ولم تطل مدتهم ، بل انقرضوا بعد القرن الثالث .

ولأبى ثور شواذ فقهية خالف فيها الجمهور ، منها : أنه يقدم إخراج الوصية على قضاء الدين لتقدمها فى لفظ الآية الكريمة ، ومنها : أنه إذا اجتهد الرجلان فى القبلة جاز لكل منهما أن يأتم بصاحبه متجها كل منهما إلى جهته ، وهذا خلاف ما يقوله غيره .

الطبرى :

ثم نشأ ببغداد أبو جعفر الطبرى :

وهو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بـ (آمل)

طبرستان من بلاد فارس ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، وصاحب التصانيف الكثيرة ، طلب العلم ، وطوف البلاد ، فجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ـ تعالى ـ عارفاً بأنساب الصحابة والتابعين ، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم ، له التاريخ المشهور ، الذى ليس فى التواريخ العربية أوثق منه ، وله كتاب التفسير لم يصنف مثله .

تفقه فى أول أمره بمذهب الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ تلقاه عن الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي بمصر ، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبدالأعلى وبنى عبدالحكم ، وأخذ فقه العراق عن أبى مقاتل بالرى ، ثم اتسع علمه ، وأداه اجتهاده إلى ما اختاره فى كتبه الفقهية .

ومن أصحابه المتفقهين على مذهبه على بن عبدالعزيز بن محمد الدولابى ، ومنهم أبو الحسن الدقيقى الحُلْوَانى .

لكن أصحابه لم يكثروا ، ولم تطل مدتهم ، بل انقطع أتباع الطبرى بعد أربعمائة سنة ، توفى ابن جرير سنة عشر وثلاثمائة .

داود الظاهرى :

ثم من المجتهدين فى هذا العصر : داود الظاهرى .

وهو : أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بداود الظاهرى ، لتمسكه بظاهر الكتاب والسنة ، ولد داود بالكوفة سنة اثنتين ومائتين ، وأخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبى ثور وغيرهما ، كان ورعاً زاهداً ناسكاً ، وكان أكثر الناس تعصباً للشافعى ، ثم انتحل لنفسه مذهباً خاصاً ، نهج فيها اتِّباعَ الظاهر ، ونفى القياس وقال : إن فى عمومات الكتاب والسنة ما يفى بأحكام الشريعة من وجوب وحرمة وغيرهما ، فإن لم يوجد نص عمل بالإجماع ، ولم يُجوِّزْ الاجتهاد فى الأحكام ، ولا القياس ، فخالف ما مضى عليه عمل الصحابة ومن بعدهم .

وكان له أتباع فى بغداد وشيراز وما والاها ، يقال لهم : الظاهرية ، ووصل مذهبه إلى الأندلس ، وعمل به قوم قليلون بأفريقية والأندلس ، ثم انقطع المذهب بعد خمسمائة سنة .

توفى داود سنة سبعين ومائتين .

سفيان بن عيينة :

ومن هؤلاء المجتهدين سفيان بن عيينة :

وهو إمام المكيين ، وأحد الأئمة الأعلام ، أصله كوفى ، ولد بالكوفة سنة سبع ومائة ، ثم انتقل إلى مكة ، وبقى بها إلى أن مات سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان فقيهاً تقياً زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته ، وكان يُعَدُّ من حكماء أصحاب الحديث ، سمع من سبعين من التابعين ، وشارك مالكا فى أكثر شيوخه كزيد بن أسلم والزهرى ، وروى عنه خلق كثير منهم الشافعى وابن حنبل ، وهو من جملة السابقين إلى التأليف فى عصر مالك ، له مسند وتفسير .

أما مذهبه الفقهى فلم يبق له أثر إلا ما يوجد متفرقاً فى بطون الكتب عند ذكر مسائل الخلاف .

إسحاق بن راهويه :

وكان من المجتهدين إسحاق بن راهويه .

وهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى المعروف بإسحاق بن راهويه ، نزيل نيسابور ، وعالمها ، أحد أئمة الدين الأعلام ، روى عن سفيان بن عيينة ومعتمر بن سليمان وغيرهما ، وروى عنه خلق كثير ، منهم : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

جمع بين التقوى والفقه ، والحديث والحفظ ، والصدق والورع .

قال البخارى : توفى بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ولم يصل إلينا من فقهه ما يعتبر مذهباً متكاملاً ، ولم نجد له تلامذة ولا أتباعاً .

الليث بن سعد :

ونختم بالإمام المجتهد الليث بن سعد :

وهو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث ، إمام أهل مصر فى عصره حديثاً وفقهاً .

أصله من خراسان ، ومولده فى قلقشندة بمصر سنة أربع وتسعين ، وكانت وفاته بالفسطاط بمصر القديمة سنة خمس وسبعين ومائة ، وكان من الكرماء الأجواد ، وقد رحل إلى كثير من البلدان لأخذ العلم ، فرحل إلى مكة وبيت المقدس وبغداد ، ولقى تسعة وخمسين تابعياً حدث عنهم ، وكان له اتصال بالإمام مالك فى المدينة ، يكاتبه فى مسائل التشريع ويحاجه ، وكان ذا منزلة رفيعة فى علمه وفضله وعقله ونبله ، عرض عليه أبو جعفر المنصور الخليفة أن يكون والياً على مصر فأبى ، ولم يبق لمذهبه أثر إلا منثورات فى بطون الكتب ، عندما ترد مسائل الخلاف ، ولم يهتم تلاميذه بتقييد مذهبه ، ولا بنشره ، فاندثر مذهبه .

يقول الشافعى ـ رضى الله عنه :

(كان الليث أفقه من مالك ، ولكن أصحابه لم يقوموا به) أى ضيعوه .

وبعد ، فهؤلاء الأعلام هم الذين اتفق الناس على تقليدهم ، واتباعهم والاقتداء بهم ، ودرس كتبهم ، والتفقه على مذهبهم ومأخذهم ، والبناء على قواعدهم ، والتفريع على أصولهم .

وصار الناس اليوم فى أقطار الأرض على خمسة مذاهب : حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وظاهرية ، وهم الذين على أصل مذهب داود الظاهرى ، الذى أحياه ابن حزم بكتابه (المحلى) ، وفيه الكثير من مسائل داود ، وهى مذاهب أهل السنة المعتبرة ، بخلاف مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإباضية .

يتبـــع ...

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

المطلب الثانى
قسط التأمين

التعريف بالقسط :

القسط : هو المقابل المالى الذى يقوم المؤمن له بدفعه للمؤمن لتغطية الخطر المؤمن منه فهو مقابل ما يحصل عليه المؤمن له من أمان ، أو ثمن ما يتحمله المؤمن خطر(١) .

والقسط فى عقد التأمين يعتبر من العناصر الأساسية فيه ، وهو فى عقد التأمين ، كالثمن فى عقد البيع فإذا لم يتفق المتعاقدان عليه يكون باطلًا (م ٧٤٧ مدنى) .

والقسط فى التأمين التعاونى يسمى اشتراكاً ، وفى التأمين بقسط ثابت يسمى قسطاً .

ويقوم المؤمن بتحديد القسط مراعياً فى ذلك المخاطر التى يتعرض لها المؤمن لهم ، بعد إجراء المقاصة فيما بينها مستعيناً بقوانين الإحصاء ، وللقسط فى عقد التأمين عنصران :

أولهما : هو القسط الصافى أو النظرى ، وهو يتحدد بواسطة قواعد الإحصاء .

وثانيهما : يسمى بعلاوات القسط ، أو القسط المعلى أو المثقل والقسط التجارى .

المطلب الثالث

مبلغ التأمين

المراد بمبلغ التأمين :

هو ذلك المبلغ الذى يمثل التزام المؤمن عند وقوع الخطر المؤمن منه ، أو عند وقوع الحادث المؤمن منه ، وهذا الالتزام هو مايقابل التزام المؤمن له بدفع القسط تبعاً له(٢)

ويعتبر مبلغ التامين دينا فى ذمة المؤمن ، قد يكون هذا الدين مضافاً إلى أجل غير معين ، كما فى التأمين على الحياة لحال الوفاة ، لأن أجل الموت لا يعرف أحد وقوعه ، وقد يكون ديناً احتمالياً كما فى حالة التأمين على الأشياء من الحريق أو التأمين من المسئولية ، حيث أن الخطر المؤمن منه فى تلك الحالات أمر غير محقق الوقوع ، ومن ثم كان مبلغ التأمين يمثل ديناً احتمالياً تبعاً لاحتمال الخطر .

ويتمثل هذا الالتزام فى دفع مبلغ من النقود يدفعه المؤمن له أو للمستفيد جملة واحدة ، أو على

(١) د . عبد الرازق السنهورى ـ الوسيط ـ جـ ٧ ص ١١٤٥ وما بعدها ، د . عبد المنعم البدراوى ـ ص ٧٩ ، ومابعدها . د . عبد الحى حجازى ـ ص ١٠٦ ، لأمبير ـ فقرة ١٦٢ .

(٢) د . السنهورى ـ الوسيط السابق ـ فقرة ٥٦٢ ، د . عبد الرازق فرج ـ السابق ، د . توفيق فرج ـ ص ٤٣ ، د . نزيه المهدى ـ ص ١٥٦ وما بعدها ، د . محمد حسام ـ ص ٢١٢ .

هيئة مرتب مدى الحياة ، وقد يكون عوضاً مالياً آخر ، وفقاً لما تنص عليه المادة (٧٤٧) من التقنين المدنى . مثل التزام المؤمن بإعادة بناء العقار المؤمن عليه فى حالة احتراقه بدلًا من التعويض ، أو إصلاح السيارة المؤمن عليها ، أو إبدال ما فقد من الأشياء أثناء نقلها ، وقد تلتزم الشركة بجانب التزامها الرئيسى بمساعدة المؤمن له فى الدعوى التى يرفعها المضرور ضد المؤمن له من خلال تحمل مصاريف الدعوى(٤) .

مقدار ما يلتزم به المؤمن :

والمقدار الذى يلتزم به المؤمن يخضع بحسب الأصل للاتفاق المبرم بيه وبين المؤمن له ، وبجانب الاتفاق هناك عناصر أخرى يجب الاعتداد بها ، وتختلف هذه العناصر بحسب ما إذا كان التأمين تأميناً على الأشخاص أو تأميناً على الأضرار .

أداء المؤمن فى التأمين على الأشخاص :

وفى هذا النوع من التأمين يتحدد مقدار أداء المؤمن بالمبلغ المتفق عليه بين الطرفين المؤمن والمؤمن له أو المستفيد من التأمين عند التعاقد ، دون اعتبار للأضرار التى حاقت بها ، إذ ليس لهذا النوع من التأمين صفة تعويضية (مادة ٧٥٤ مدنى) ويترتب على انتفاء الصفة التعويضية لمبلغ التأمين ، وفى حالة التأمين على الأشخاص أنه يجوز الجمع بين مبلغ التأمين والتعويض المستحق قبل المسئول عن الضرر ، كما يجوز للمؤمن له فى التأمين على الأشخاص أن يبرم عقود تأمين متعددة ، وله فى هذه العقود المتعددة ، أن يقبض مبالغ التأمين مع ماقد يستحقه من تعويض قبل المسئول(٥) .

أداء المؤمن فى التأمين من الأضرار :

أما مافى التأمين من الأضرار فإنه من الواجب أن لايزيد مقدار ما يلتزم به المؤمن عن الضرر الذى أصاب المؤمن له فعلًا ، حتى لو زاد المبلغ المتفق عليه عن ذلك وهذا مبدأ أساسى للتأمين من الأضرار ، ولهذا يشترط لاستحقاق التعويض وقوع ضرر بالفعل ، فإذا وقع الحادث المؤمن منه دون ضرر يترتب عليه فلا يجب دفع مبلغ التأمين فى تلك الحالة .

وينبغى أن يكون معلوماً أن هذا النوع من التأمين ، لايجب أن يكون مصدراً لإثراء المؤمن له ، فلا يجب أن يزيد مبلغ التأمين عما هو محدد بالاتفاق ، حتى ولو زادت قيمة الشيء المؤمن منه وقت وقوع الحادث أضعاف المبلغ المتفق عليه (مادة ٧٥١ مدنى)(٦) .

ولما كان للتأمين من الأضرار تلك الصفة التعويضية ، فإن المؤمن لا يلتزم بتعويض المؤمن له إلا عن الضرر الناتج من وقوع الخطر المؤمن منه بشرط ألا يجاوز ذلك قيمة التأمين ، وفى جميع الحالات لا يتلزم المؤمن إلا بدفع أقل القيمتين :

---

(٣) الوسيط للسنهورى ص ٤٨ ، د . عبد المنعم البدراوى ص ٢٢٦ ، د . حسام الأهوانى ص ٧٩ ، د . عبد الرازق حسن فرج ص ٧٤ .

(٤) د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ١٥٧ ، الوسيط ــ فقرة ٥٦٣ ، د . عبد الودود يحيى ــ ص ٤٦ وما بعدها ، د . نزيه المهدى ــ ص ١٥٨ وما بعدها ، د . توفيق فرج ــ ص ٤٤ ، د . محمد على عرفه ــ ص ٥٢ وما بعدها ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٧٦ .

(٥) الوسيط للسنهورى ــ المكان السابق .

(٦) د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ١٦١ ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٧٩ .

المبلغ المؤمن به أو مقدار التعويض عن الضرر الذى أصاب المؤمن له .

وعلى هذا لا يجوز التأمين على الخطر الواحد أكثر من مرة لصالح شخص واحد ، لأنه فى جميع الأحوال لن يتجاوز مبلغ التأمين مقدار الضرر ولا يجوز فيه الجمع بين مبلغ التعويض ومبلغ التأمين ، كما يجوز للمؤمن إذا دفع مبلغ التأمين للمؤمن له أو المستفيد أن يحل محله قانوناً فيما له قبل الغير من دعاوى وحقوق (مادة ٧٦١ مدنى) .

أداء المؤمن فى التأمين على الأشياء :

وقد يتحدد الأداء الذى يلتزم المؤمن بالقيام به فى التأمين على الأشياء ، بقيمة الشىء المؤمن عليه ، وفى هذه الصورة لا يتوقف التحديد على الاتفاق أو التعويض وإنما يتوقف على مقدار النسبة بين المبلغ المؤمن به وقيمة التأمين ، فإذا كانا متساويين فإن المؤمن له يحصل على مبلغ يساوى كل الضرر الواقع ، أما إذا كان المبلغ المؤمن به يزيد على قيمة الشىء المؤمن عليه ـ وهذه الصورة تسمى تأمين المغالاة أو التأمين الزائد ـ فى هذه الحالة لا يجوز أن يزيد مبلغ التعويض أو الأداء عن قيمة الشىء المؤمن عليه الفعلية وقت وقوع الخطر ، وذلك إعمالاً للصفة التعويضية .

أما إذا كان المبلغ المؤمن به أقل من قيمة الشىء وقت وقوع الخطر ففى هذه الحالة لا يجوز أن يزيد مقدار ما يتقاضاه المؤمن له عن مبلغ التأمين ، المتفق عليه مهما بلغ مقدار الضرر ـ وهذه الصورة هى ماتعرف بالتأمين البخس ، أو الناقص ـ ، فإذا كان هناك منزل قيمته عشرة آلاف من الجنيهات وأمن عليه صاحبه بمبلغ خمسة آلاف جنيه فإنه لا يأخذ أكثر من المبلغ المؤمن به ولو كانت قيمة المنزل تزيد عنه ، أما إذا هلك الشىء المؤمن عليه هلاكاً جزئياً ، كأن احترق نصفه ، ففى هذه الحالة تطبق قاعدة النسبية[٧] .

مضمون قاعدة النسبية :

فى حالة التأمين البخس أو الناقص إذا كانت قيمة الشىء الفعلية وقت وقوع الخطر أكثر من مبلغ التأمين ، وكان الهلاك جزئياً ، فإن مبلغ التأمين يتحدد بنسبة هذا الهلاك ، فإذا كان مبلغ التأمين عشرة آلاف جنيه وهلك نصف المنزل ، يكون المستحق نصف مبلغ التأمين ، وهذه القاعدة ترد غالباً فى شروط التأمين[٨] .

مبررات قاعدة النسبية :

ومن مبررات قاعدة النسبية مايلى :

(أ) أن القاعدة تتفق مع العدالة ، والعدالة تقضى بأن المؤمن لا يتحمل من الخطر إلا ما يقابل القسط الذى قبضه ، والقسط فى حالة التأمين البخس لا يتحدد على أساس قيمة الشىء بأكمله ، وإنما

(٧) د . عبد المنعم البدراوى ـ فقرة ١٦٣ ، د . عبد الحى حجازى . فقرة ١٢٧ ، د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٠ ، د . محمد على عرفة ـ ص ٥٩ .

(٨) د . حسام الأهوانى : ص ٨٨ ، والسنهورى ـ فقرة ٨٣٢ وما بعدها ، د . عبد المنعم البدراوى ـ ص ٢٣٣ ، د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨١ ، د . خميس خضر ـ ص ٤٠٣ ، د . نزيه المهدى ـ ص ١٧٣ وما بعدها ، د . عبد الحى حجازى ـ فقرة ١٢٨ ، د . توفيق فرج ـ ص ٤٧ ، د . عبد الودود يحيى ـ ص ٥١ وما بعدها ، د . أحمد شرف الدين ـ ص ١٦٦ ، وقد قضت محكمة النقض المصرية : بأن النص على قاعدة النسبية فى وثيقة التأمين أمر جائز ، راجع حكم النقض بتاريخ ١٩٧٠/٢/٢١ مجموعة النقض س ٢٧ ـ ص ٣٠٥ .

يتحدد على أساس أقل ، فوجب أن يدفع المؤمن بمقدار ذلك .

(ب) أن القاعـــدة تسوى بين مجمـــوع المستأمنين ، وتعاملهم بمقدار ما يدفعه كل واحد منهم ، ولو أن المؤمن له فى التأمين البخس تساوى فى مقدار المبلغ المؤمن به مع غيره من المؤمنين ، لكان فى هذا ظلم لهم ، حيث سيتحملون من مالهم جبر النقص فيما يدفعه ، وهذا ظلم لهم يجب رفعه من خلال تلك القاعدة[٩] .

(جـ) قاعدة التخفيض النسبى مطبقة فى حالة الهلاك الكلى للشىء المؤمن عليه ، فى حالة ماإذا كان مبلغ التأمين أقل من قيمة الشىء ، وفى هذه الحالة لا يستحق المؤمن له أكثر من مبلغ التأمين ، وإذا كان الأمر كذلك فى حالة الهلاك الكلى ، فيجب أن يكون كذلك فى حالة الهلاك النسبى أو الجزئى .

(د) لهذه القاعدة مقصود خلقى يستهدف حث المؤمن له على المحافظة على الشىء المؤمن عليه ، لأنه إذا هلك لن يعوض عن الهلاك إلا بنسبة منه[١٠] .

تلك هى مبررات قاعدة النسبية ، وهى فى جملتها مبررات تتفق مع قصد المتعاقدين ، ومع المقاصد العامة لعقد التأمين .

شروط إعمال قاعدة النسبية :

ويشترط لإعمال النسبية فى التأمين على الأشياء شروط منها :

أولًا : أن يكون الشىء المؤمن عليه مقدرا أو قابلًا للتقدير :

ففى التأمين من الأضرار يؤمن الشخص على شىء ذى قيمة مقدرة أو قابلة للتقدير ، وكذلك التأمين من الحريق أو على الأمتعة أو تلف المزروعات أو موت المواشى ، وكذلك التأمين من المسئولية عن الخطر المعين ، كمن يؤمن على مسئوليته عن أشياء تودع عنده، فإنه يكون قد أمن على قيمة هذه الأشياء ومثل المستأجر الذى يؤمن على مسئوليته من الحريق .

أما إذا كان التأمين على أشياء غير معينة كالتأمين من المرض فإنه غير قابل للتقدير ، لأن تكاليف المرض من كشف وأدوية وتحاليل وأجهزة لاتخضع للتقدير ، وكذلك الأمر فى التأمين على الأشخاص لا مجال فيه لإعمال قاعدة النسبية[١١] .

ثانياً : أن يكون التأمين بخساً :

ويشترط كذلك أن يكون التأمين بخساً ، والتأمين البخس هو الذى يقل مبلغ التأمين فيه عن القيمة الحقيقية للشىء المؤمن عليه وقت وقوع الحادث ، وقلة مبلغ التأمين قد يكون مقصوداً للمؤمن له حتى يكون وسيلة لتخفيض القسط عليه ، وقد يكون مبلغ التأمين على هذاالأساس البخس ، وقد تكون الزيادة فى قيمة الشىء بسبب زيادة سعر العملة وقد تزيد قيمة الشىء فيزيد بالتالى سعره[١٢] .

---

(٩) د . محمد كامل مرسى ـ ص ٢٠٧ ، د . عبد الحى حجازى ـ فقرة ١٢٨ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ٣١٠ ، د . محمد حسام ـ ص ٢٢٢ .

(١٠) د . محمد حسام ـ ص ٢٢٢ .

(١١) د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٣ .

(١٢) الوسيط للسنهورى ـ السابق ـ فقرة ٨٣٥ ، ٨٣٥ ، د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٤ .

ثالثاً : أن يكون الخطر المؤمن منه نسبياً :

وذلك لأن الخطر إذا كان كلياً وأتى على الشىء المؤمن عليه كلية فإن المؤمن له يستحق مبلغ التأمين كاملًا ومن ثم فلا تثور قاعدة النسبية[١٣] .

أثار أعمال قاعدة النسبية :

ومن آثار قاعدة النسبية ، أن المؤمن له لن يحصل إلا على جزء من مبلغ التأمين يتناسب مع الخطر الذى وقع ، ويكفى معرفة نسبة الجزء الذى وقع وما إذا كان يمثل نصف الشىء المؤمن عليه أو ثلثه أو ربعه حتى يتحدد مقدار الأداء ، ويلاحظ أن هذه القاعدة لاتتعلق بالنظام العام فيجوز الاتفاق على ما يخالفها بما يحقق التعويض الكامل عند الهلاك النسبى للشىء المؤمن عليه[١٤] .

التأمين غير المحدود :

فى التأمين من الأشخاص ، وفى التأمين من الأضرار يتحدد مبلغ التأمين بقدر معين فى النوع الأول ، وبحد أقصى يلتزم المؤمن بدفعه عند تحقق الخطر فى النوع الثانى ، ولكن قد لا يتحدد مبلغ التأمين الذى يلتزم به المؤمن مقدماً كما هو الشأن بالنسبة للتأمين من الأضرار ، فإنه يتفق على تعويض المؤمن للمؤمن له ، عن كل خطر يصيبه ، فمثل هذا الالتزام صحيح ، لأنه وإن كان التزام المؤمن غير محدد وقت إبرام التأمين ، فإنه قابل للتحديد ، والتعين بعد ذلك[١٥] ، ومن ثم فإنه يكون صحيحاً وفقاً للقواعد العامة فى الالتزامات ، وقد أوجب القانون رقم (٦٥٢ لسنة ١٩٥٥) ، أن يكون التأمين غير المحدود إجبارياً ضد حوادث السيارات وذلك وفقاً لما نصت عليه المادة الخامسة من هذا القانون[١٦] .

المطلب الرابع
المصلحة فى التأمين

ومن أركان عقد التأمين المصلحة ، حيث استلزمت المادة (٧٤٩ من التقنين المدنى) ، أن يكون محلًا للتأمين كل مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين ، ورغم أن هذا النص يشير بوضوح إلى أن المصلحة ركن فى التأمين ، إلا أن خلافاً نشأ فى الفقه حول معنى كلمة « اقتصادية » التى اقترنت بالمصلحة فى هذا النص ، فشكك البعض فى كون المصلحة ركناً من أركان عقد التأمين على الأشخاص ، باعتبار أن الصياغة تقصر وجود المصلحة على التأمين من الأضرار ، فنرى مع جانب من الفقه[١٧] أنه لابد من بيان المقصود بالمصلحة بداية ، ثم نبين مدى توافرها فى التأمين من الأضرار والتأمين من الأشخاص .

---

(١٣) السنهورى ـ فقرة ٨٣٦ ، د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٣ ، وما بعدها .

(١٤) الوسيط ـ فقرة ٨٣٨ ، د . عبد الرازق فرج ـ ص ٨٥ وفى الفقه الفرنسى : بيكار وبيسون فقرة ٣١٨ .

(١٥) د . عبد المنعم البدراوى ـ فقرة ١٥٨ ، د . محمد على عمران ـ ص ٥٤ ، د . عبد الرازق فرج ـ ص ٨٦ .

(١٦) وقد جاء فيها : « المؤمن يلتزم بتغطية المسئولية المدنية الناشئة عن الوفاة ، أو عن أية إصابة بدنية تلحق أى شخص من حوادث السيارات إذا وقعت فى جمهورية مصر ، وذلك فى الأحوال المنصوص عليها فى المادة السادسة من القانون رقم ٤٤٩ لسنة ١٩٥٥ ، ويمكن التزام المؤمن بقيمة مايحكم به قضائياً من تعويض مهما بلغت قيمته ويؤدى المؤمن مبلغ التعويض لصاحب الحق فيه » .

(١٧) د . محمد حسام لطفى ـ ص ٢٢٦ .

الإسلام

يحرر الإنسان

٢

أ.د/ محمد شامة

الأنبياء والرسل : ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ أولئك هم رأس المصلحين الذين وجهوا جهودهم ليس للقضاء على الوثنية فحسب ، بل عليها ، وعلى الرءوس المفكرة لها ، وعلى القائمة السوداء من طقوسها ، وسلطان كهنتها الذين تميزوا فى كل وثنية بنصوص حفوها بالرهبة وساقوها للأتباع على مناعة تمنع التفكير فيها ، وقداسة لاتجيز الخوض فى أمرها ، كان وجودها على هذه الحالة التى يريدها الكهنة هو المجد الأزلى والمالى لهم ، فاشتد حرصهم عليه ، فما كان من الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ إلا أن دعوا إلى تحرير الإنسان من سلطتهم وترهاتهم التى كبلت حريته ، وشلّت إرادته ، وحاصرته بسيل من المحرمات ، حتى أصبح سجينا وسط كم هائل من النصوص التى حولته إلى دمية يحركها الكاهن حيث يشاء ، وفى أى أتجاه يريد ، وبذلك أصبح الإنسان عبدا لا يملك نفسه ، فالكاهن هو الذى يحدد له طعامه ، ويعين له شرابه ، وهو الذى يرسم له حركاته وسكناته .. حتى تدخل فى أكثر الأشياء خصوصية ؛ فبين له كيفية اتصاله بزوجته ، وأسلوب بناء بيته ، وترتيب أثاثه ..

هاجم الأنبياء تعنت الكهانَ وتحجرهم على النصوص ، فعابوا عليهم تمسكهم بأسلوبهم باحترام النص ، وإهدار حق الإنسان فى الحياة الكريمة ، فلا قداسة لنص يسلب الإنسان حريته ، ويجرده من آدميته ، فالنص المقدسّ حقا هو الذى يحفظ للإنسان كرامته ، ويسمح له بحرية الحركة ، واستخدام الإدارة النابعة من الذات .

هكذا نجد الكهنة كانوا سببا للعقم الفكرى الذى أصاب الإنسان .

يهاجم (أشعياء) الكهنة قائلا :

« أما أنتم فتدعون كهنة الرب ، تسمون خدام إلهنا . تأكلون ثروة الأمم ، وعلى مجدهم تتآمرون » .

ويتهمهم (حزقيال) بأنهم خالفوا شريعة الله ، وخلطوا بين الحلال والحرام ، فيقول :

« كهنتها خالفوا شريعتي ، ونجسوا أقداسى . ولم يميزوا بين المقدس والمحلَّل ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر » .

كما جاء فى صِفْنيا أنهم نجسوا القدس بمخالفتهم للشريعة :

« كهنتها نجسوا القدس ، خالفوا الشريعة » .

وأينما ولينا وجوهنا نجد أسلوب الكهنة واحد فى كل عصر :

تقديس للنص على حساب حرية الإنسان .

وتكبيل لإرادة الإنسان بسيل من المحرمات ، اعتمادا على تأويل فاسد للنص ، أو روايات مدسوسة على صاحب الرسالة ـ يحيط بها ويغلفها تهديد بالويل والثبور ، يصل إلى حد التكفير والخروج من رحمة الله لمن يتجرأ فيستخدم حريته فى التفكير ، استنادا إلى فهم للنص ، أو رجوعا إلى المبادىء التى نادى بها صاحب الرسالة .

حتى جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ برسالته الخالدة وتلا قول الله ـ تعالى ـ .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ سورة الأسراء آية ٧٠

ولا كرامة لإنسان مسلوب الإرادة ، لا يملك حرية التفكير والنظر فيما حوله ، بدافع من ذاته .

كذلك لاقيمة لمن لم يملك حريته فى توجيه سلوكه ، وتعيين مسار حياته ، واختيار مايقنع به .

ولايدرك الإنسان قيمة الحرية ، ومدى أهميتها فى حياته ، إلا إذا كان قادرا على فهم ذاته ، ومدركا لدوره فى الحياة ، وملماً لنوعيّة العلاقة بينه وبين الآخرين ، سواء كان ذلك فى محيط أسرته ، أو فى ساحة الحياة ، مع أفراد مجتمعه القطرى أو العالمى ، ومن هنا جاءت أولى الآيات القرآنية تحثه على العلم :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

بل تدفعه إليه دفعاً .. حتى يكون مهيأً لتوجيه الخطاب الذى يرسم له أسلوب حياته ، بما يشتمل عليه من حفظ الكرامة الإنسانية ، المتمثلة فى إعطائه حرية اتخاذ القرار ، بعد أن حصل على العلم ، الذى يمكنه من تصويب حياته بنفسه دون ضغط أو أكراه من أحد .

فإذا أردنا ترتيب المبادىء الإسلامية ، حسب أهميتها؛ نجد أن أول مبدأ أرساه الإسلام هو : الحث على التعليم والثقافة

لأنهما مفتاح عالم الحرية للإنسان ، وآلية التخلص من وصاية الآخرين عليه .

قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ سورة البقرة ٢٥٦

ويقول :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

فلو انتشر التعليم فى المجتمع ، تمسك أفراده بحريتهم ، فلا يقبلون ضيما ، ولايقرون استعباداً ، ولايرضون بذل أومهانة ، بل إن العلم والحرية دعامتان يقوم عليها الرخاء والهناء فى الحياة المادية ، وترتكز عليهما أسس الاستقرار فى المجتمع ، فيسود الأمن والطمأنينة بين جنباته ، وترفرف أعلام الأزدهار والتقدم فى كل مؤسساته ، سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، لأن المتعلم ، إذا كان مسلوب الحرية دفنت ملكاته بين ضلوعه ، وضاعت مواهبة فى سراديب العبودية ، وخبت أنوار علمه وسط ضباب الاضطهاد والجمود الفكرى ..؛ بل إن من لاحرية له ، لايملك أدوات تحصيل العلم ، اللهم إلا ترديد مايملى عليه .

كذلك الحرية بدون علم كارثة ، فكثير من كوارث الإنسانية كان أساسها جاهل وضعته الظروف فى موقع لايسأل فيه عما يفعل ، فعاث فى الأرض فسادا بجهله وجبروته .

يدعو الإسلام إلى العلم ؛ لأنه مفتاح التقدم والأزدهار ، ويقدس حرية الإنسان كى يصون كرامته ويحمى إرادته ، ليصير قادرا على توظيف علمه وثقافته لخدمة نفسه ومجتمعه فيختار مايقنع به ويرضى عنه ، ويبنى حياته دون ضغط أو إكراه ، ومن كان هذا شأنه :

- استقام أسلوبه فى العمل ، فلا تخاذل ، ولا تكاسل ، ولا إهمال ، ولاتهاون ، بل جد ومثابرة ، وإتقان وإبداع .

- واستوى سلوكه مع نفسه ، وحسن تعامله مع الآخرين ، فلا نفاق ، لأن بذرة النفاق تنبت فى مجال انعدام الحرية ، وهو يتمتع بها ، وتزدهر فى محيط الخوف والرعب ، وهو لايخاف أحداً الآ ربه الأعلى ؛ لأنه تسلح بالعلم ، وتحصن بالحرية فى جميع مجالات حياته ، فهو فى اختيار عقيدته .

وصاحب إرادة فى سلوكه ، ويتمتع بحرية التعبير عما يميل إليه فى ظواهر المجتمع ومشكلاته .

على هذا المنهج تربى المسلمون الأوَل ، فكانوا من أحسن العناصر التى كونت المجتمع الإسلامى الأول، عبرواعن آرائهم، وكان التعبير عن الرأى بحرية معلما من معالم المجتمع الإسلامى ، وسمة من سماته الأصلية ، ويشهد على ذلك مانراه فى كتب التراث من آراء متعددة فى المسألة الواحدة ابتداء من الأمور التى تتعلق بمصالح العباد ، ومرورا بالعبادات .

تقبل المجتمع هذه الظاهرة ، وتعامل معها بفكر وروية ، فاختار كل واحد مايروق له من الآراء ومايطمئن إليه من التفسيرات ، كما دافع أصحاب الآراء عن وجهة نظرهم بالحجج والأسانيد ، محاولين دحض أدلة المخالفين وتأويلاتهم ، دون أن يكفر أحد الآخر - باستثناء بعض الجامعات التى لم يكن لها وزن فى المجتمع - إذ كان الطابع العام هو مناقشة الحجة بالحجة ، ودعم الرأى بالأسانيد والأدلة ، ومن خرج عن ذلك بالطعن والتكفير طواه التاريخ ، وأهملته ذاكرة الأمة ، فلم يترسب فى ذاكرتها إلا من أسس مذهبه على أدلة واضحة ، وتحاور مع الآخرين باحترام وأدب ، فسادت مناقشة العلماء المقولة الشهيرة :

رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

ودعا الشافعى رحمه الله - إلى عدم التعصب لرأيه بقوله : «إذا صح الحديث فاضربوا بمذهبى عرض الحائط» .

كانت هذه هى الروح العلمية السائدة- باستثناء حالات هنا وهناك لاقيمة لها فى المجتمع الإسلامى : تحصيل العلم هو القيمة العليا فى المجتمع .

● تسانده وتؤازره ، وتنميه وترعاه : حرية التعبير .

● ويحيمه ، ويزود عنه ، ويحافظ عليه : احترام الرأى الآخر ، والدفاع عن حرية الآخرين فى التعبير عن آرائهم ، مهما اختلف المرء معهم .

وبذلك شيد المسلمون صرحا حضاريا ظل مفخرة لهم على امتداد التاريخ حتى اليوم ، وذلك هو المناخ الذى يؤهل الأمة أن تتبوأ مكانا ساميا فى واقعها وعلى صفحات التاريخ ، بما تهيئه لها الحركة الفكرية من قدرة على البناء والتشييد فى جميع مجالات الحياة .

خلق المسلم
على ضوء الكتاب والسنة
٤

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف (*)

المنهج الأخلاقى ضوابطه وآثاره :

نظراً لأهمية الأخلاق بالنسبة للمنهاج الربانى ، وأنها تشكل دعامة أساسية من دعائمه ، وركيزة من ركائزه ، فقد وعد الله ـ تعالى ـ المحسنين بأعظم الثواب ، وتوعد المسيئين بشديد العقاب ، ترغيباً فى فعل الخيرات ، وترهيباً من عمل المنكرات ، وحتى يدرك المسلم أن الأخلاق الإسلامية التى دعا إليها الكتاب والسنة ليست حلية أو زينة خارجية يتحلى بها المرء إن شاء ، ويدعها متى شاء ، بل هى من صميم الأعمال .

ومن هنا فإن المنهاج الربانى العظيم قد حدَّ حدوداً ، ووضع عقوبات صارمة لتكون روادع وزواجر لكل من تحدثه نفسه فى الخروج على آداب المجتمع وأخلاقه .

وعلى ذلك تجيىء العقوبات التى قررتها الشريعة لحماية الأخلاق وصيانة المجتمعات . فالشريعة تعقب على مجرد شرب الخمر (سكر الشارب أم لم يسكر) لأنها تنظر إلى الجريمة من الوجهه الخلقية التى تتسع ـ كما نعلم ـ لشتى المناهى والاعتبارات فإذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والأموال والدماء والأعراض وحفظ الأمن والنظام .

ومن هنا يتضح أن العقوبات فى الشريعة الإسلامية وضعت على أساس طبيعة الإنسان ففى طبيعة الإنسان أنه يخشى ويرجو . وهو لا يأتى أى عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه ، ولا ينتهى من عمل إلا بقدر ما يخشى مضاره . وطبيعة الإنسان تلازمه فى الخير والشر ، فى الأعمال المباحة والأعمال المحرمة ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره منها من لذة أو منفعة . ولا ينتهى عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها .

وقد راعت الشريعة طبيعة الإنسان فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة ، وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة . وأن الأساس الذى قامت عليه العقوبات فى الشريعة الإسلامية هو حماية الأخلاق وسلامة المجتمع . ومن هنا فقد وضعت عقوبات شديدة وصارمة للجرائم التى

(*) استاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

تمس كيان المجتمع مساساً شديداً ، وهى نوعان : لكل منهما حكم مختلف .

والنوع الأول من الجرائم الماسه بكيان المجتمع تشمل : جرائم الحدود وهى سبع جرائم : الزنا ، القذف ، الخمر ، السرقة ، الحرابة ، الرده ، والبغى .

وقد اتجهت الشريعة فى هذه الجرائم إلى حماية المجتمع من الجريمة وأهملت شأن المجرم إهمالاً تاماً فشددت العقوبة وجعلتها عقوبة مقدره ، ولم تجعل للقاضى أو ولى الأمر سلطاناً مع العقوبة ، وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، وأن التساهل فيها يؤدى حتماً ، إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع ، واضطراب نظامه وازدياد الجرائم . وهى نتائج ما ابتلى بها جماعة إلا تفرق شملها واختل نظامها وذهب ريحها ، فالتشدد فى هذه الجرائم قصد به مصلحة الجماعة . فلا عجب أن تهمل مصلحة الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة .

والنوع الثانى من الجرائم الماسة بكيان المجتمع تشمل : جرائم القصاص والديه ، وتتجه الشريعة فيها إلى حماية المجتمع من الجريمة والمجرمين . وأهملت شخصية الجانى ؛ لهذا الاعتبار إهمالاً تاماً إلا إذا عفى المجنى عليه أو وليه .

هذه هى الجرائم التى تمس كيان المجتمع مساساً مباشراً عاقبت عليها الشريعة بعقوبات رادعة وأهملت فى تقدير العقوبة شخصية الجانى ابقاء على الجماعة وحماية لها .

وأهم ما يعنينا فى هذا الباب هو أن الذى قدر العقوبات لهذه الجرائم التى تمس أمن وأخلاق المجتمع هو الله اللطيف الخبير، ولا يحق لولى الأمر أو القاضى الزيادة أو النقصان ؛ لأن الذى قدرها هو العليم بخفايا النفس البشرية ، وهى عقوبات كما نرى تجارب الدوافع التى تدعو للجريمة بالدوافع التى تصرف عن الجريمة .

ومن ثمرات الالتزام بالمنهاج الأخلاقى فوق ما ذكرناه ما يأتى :

١ ــ رضا الله ومحبته :

قال ــ تعالى :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢٢٩)

وهذه الآية تبين كيف يحصل العبد على رضى ربه مقابل فضيلة خلقية واحدة وهى : الصدق فكيف ببقية الفضائل ؟ هذا بالإضافة إلى الجنة وما فيها من نعيم مقيم ورضوان من الله أكبر لأحبائه وأوليائه ، فهم فى رضوان الله فى جنته ، ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (**المرء مع من أحب**) .

ومحبة الله لاتنال إلا بالتخلق بمكارم الأخلاق ، والتخلق بأخلاق القرآن والاقتداء بصاحب الخلق العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

كما جاء فى الحديث القدسى إن الله ــ تعالى قال : ﴿ **حقت محبتى للمتحابين فى وحقت محبتى للمتباذلين فى وحقت محبتى للمتصادقين فى** ﴾(٢٣١) .

(٢٢٩) سورة المائدة ١١٩ .

(٢٣٠) مسلم . شرح صحيح مسلم للترمذى جـ١٦ ص١٨٨ .

(٢٣١) الحاكم فى المستدرك جـ ٤ ، ص ١٧١ .

٢ ـ الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة :

قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢٣٢) هذه الاجور على فضيلة الصبر ، وبالمثل إن لكل فضيلة أجراً ولذلك قال ـ تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢٣٣) .

ويؤكد هذا حديث رسول الله ﷺ السابق الذكر (**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق**)(٢٣٤) .

٣ ـ الأمن يوم الفزع الأكبر :

قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾(٢٣٥)

وقال ـ تعالى :
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢٣٦) .

٤ ـ محبة الرسول ﷺ :

يؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ السابق ذكره (إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)(٢٣٧) .

٥ ـ حُسْن الخاتمة :

يصف القرآن الكريم النهاية السعيدة لمن آمن بربه ثم استقام على مقتضيات ذلك الإيمان فاستقامت أخلاقه وحسنت سريرته ، قال ـ تعالى :
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(٢٣٨)

تبشرهم ملائكة الرحمة ساعة خروج الروح بهذا الإنعام الكبير بالأمن وعدم الخوف وعدم الحزن وبالجنة وما فيها من نعيم وبصحبة ملائكة الرحمة وولائهم لهم .

٦ ـ الجنة وما فيها من نعيم :

فالجنة جعلها الله ثواباً لأهل الفضائل الخلقية فهى مثلاً جزاء لفضيلة الصبر ، قال ـ تعالى : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٢٣٩) ، ولفضيلة التقوى قال ـ تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(٢٤٠) وفى هذا المعنى ورد فى الأثر أن الرسول ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الجنة قال : (**تقــوى الله وحسن الخلـق**)(٢٤١) . إلى غير ذلك من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تبين ما لفضيلة التقوى وحُسْن

(٢٣٢) سورة الزمر آية ١٠ .

(٢٣٣) سورة النحل آية ٩٧ .

(٢٣٤) رواه الترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى حسن الخلق جـ٤ ص٣٦٢ .

(٢٣٥) سورة النهل آية ٨٩ .

(٢٣٦) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢٣٧) الترمذى الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى جـ١ ص١٩٦ .

(٢٣٨) سورة فصلت الايات ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢٣٩) سورة الانسان آية ١٢ .

(٢٤٠) سورة مريم آية ٦٣ .

(٢٤١) رواه الترمذى فى سننه جـ٤ ص٣٦٧ حديث (٢٠٠٤) .

الخلق .

٧ ـ محبة الناس :

من الحقائق المحسوسة والملموسة فى عالم الواقع أن الإنسان إذا حسنت أخلاقه كثر أحباؤه وقل أعداؤه وزاد أصفياؤه ولانت له القلوب وقد **قيل : من لانت كلمته وجبت محبته** ، قال ـ تعالى :

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(٢٤٢) .

وكما قيل :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

بل إن مخلوقات الله جميعا تحب أولياء الله الذين تخلقوا بأخلاق القرآن ، فتأنس بهم الجمادات والأرض والسماوات ، بعكس أعداء الله الذين يبغضهم الله وجميع خلق الله من : إنسه وجنه وملائكته وحتى الجمادات :

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾(٢٤٣)

الآثار المترتبة على سوء الخلق (العقوبات) :

قال ـ تعالى :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٢٤٤) .

فهو سبحانه بمقتضى علمه وحكمته بأحوال خلقه يأخذ بمجامع النفس البشرية ، فيأخذها بالترغيب مرة وبالترهيب مرة ، فالنفوس التى لا تصلحها الرغبة تصلحها الرهبة .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقسو أحيانا على من يرحم

والقرآن الكريم ـ مكيه ومدنية ـ يسير على هذه الوتيرة ، وهو يعالج جميع القضايا : العقائدية والاقتصادية والاجتماعية .. الخ .

لذا فإن القرآن قد فصَّل وقرر أن لكل جريمة عقوبة مناسبة ليستوفى سيء الخلق جزاءه ، وينال المجرم الخارج عن القانون عقوبته ، وليرتدع بذلك غيره .

ومن هذه الآثار :

١ ـ بغض الله لهم وغضبه عليهم :

جاء ذلك فى قوله ـ تعالى : ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٢٤٥) .

فالعدول عن الحلال إلى الحرام والخروج عن أمر الله مجلبة لغضب الله ، كما أن بغض الله متحقق لمن ساءت أخلاقه . ومن ساءت أخلاقهم فسدت أعمالهم ، فنرى بغض الله مع كل رذيلة خلقية .

فمع رذيلة الفساد قال ـ تعالى :

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٢٤٦) .

ومع الظلم ، قال ـ تعالى :

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢٤٧)

---

(٢٤٢) سورة فصلت آية ٣٥ .
(٢٤٣) سورة الدخان ٢٩ .
(٢٤٤) سورة الملك آية ١٤ .
(٢٤٥) سورة طه آية ٨١ .
(٢٤٦) سورة المائدة آية ٦٤ .
(٢٤٧) سورة الشورى آية ٤٠ .

ومع الخيانة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾[248] .

ومع الكبر ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾[249] .

ومع الغرور ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦ ﴾ سورة النساء

ومع الإسراف ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[250] .

٢ ـ إحباط العمل واكتساب السيئات :

قال ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[251] .

فسوء الخلق وسوء الأدب مع الرسول ﷺ أحبط أعمالهم ، وكان سببا فى ضياع جهدهم . ويؤكد هذا المعنى قوله ـ تعالى :

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[252] .

٣ ـ الخوف الشديد والفزع يوم القيامة :

قال ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴾[253] .

ويصف القرآن فزعهم بقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾[254] .

٤ ـ بغض الرسول ﷺ لهم :

قال ـ عليه الصلاة والسلام : « وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »[255]) .

٥ ـ بغض الناس :

ومن المسلمات أن سيء الخلق مهما أوتى من العلم أو من المال فإنه يكون مبغوضا من الخلق ، فالناس بطبيعتهم يكرهون بذيء اللسان قاسى القلب الجهول الظلوم البخيل الغضوب ، وينفرون منه ، هذا بالإضافة إلى أن بغض الله له مجلبه لبغض الناس له . والدليل على ذلك قوله ﷺ فى حديث سبق ذكره (وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فابغضوه ، قيل : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء فى الأرض)[256] .

(٢٤٨) سورة الأنفال آية ٥٨ .

(٢٤٩) سورة النحل آية ٢٣ .

(٢٥٠) سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٢٥١) سورة الحجرات آية ٢ .

(٢٥٢) سورة التوبة آية ٦٩ .

(٢٥٣) سورة إبراهيم الآيتين ٤٢/٤٣ .

(٢٥٤) سورة سبأ آية ٥١ .

(٢٥٥) الترمذى . ج ١ ص ١٩٦ .

(٢٥٦) مسلم . صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص١٨٤ .

٦ ــ الخاتمة السيئة :

يصف القرآن الكريم الخاتمة السيئة للذين كفروا بربهم وأعرضوا واستكبروا عنه بقوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٢٥٧) .

هذه عاقبة الكفر والاستكبار ، وحتى الاستضعاف لا يقبله الله ؛ فجعل له نفس العقوبة ، قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٢٥٨) .

٧ ــ النار وما فيها من عذاب :

جعل الله النار وما فيها من عذاب عقوبة عادلة لكل من أعرض واستكبر ولكل من أساء واستهتر ، والأدلة على ذلك كثيرة أسوق منها : قوله ــ تعالى :

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾(٢٥٩)

فهذه رذيلة خلقية واحدة جعل الله ــ عز وجل عقوبتها : جهنم وبئس المصير ، وكذلك جعل الله النار عقوبة لرذائل أخرى ؛ كالفسق والبخل ومنع الزكاة .. وغيرها .

وهكذا تتضح معالم المنهاج الأخلاقي الرباني وما وضعه الشارع الحكيم له من ضوابط وما رعاه به من حدود وعقوبات صارمة ؛ لا رحمة فيها ولا رأفة بالجناه الذين لا يبالون بالقيم والمبادىء الخلقية ، حتى آتت تلك العقوبات ثمراتها الرائعة في المجتمعات التي أقامت حدود الله ورعتها حق رعايتها ، حيث اختفت الجريمة أو كادت تختفي ، ورفعت الفضيلة رأسها وتوارت الرذيلة وبارت سوقها ، ووقائع المجتمعات التي تتمسك بالقيم الدينية وتقيم حدود الله خير شاهد على ما نقول .

(٢٥٧) سورة الأنفال آية ٥٠ .

(٢٥٨) سورة النساء آية ٩٧ .

(٢٥٩) سورة الهمزة آية

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« سلنى .. حاجتك »

قال الخليفة هشام بن عبدالملك لسالم بن عبدالله ابن عمر عند الكعبة : سلنى حاجتك ؟ فقال : والله لأستحى أن أسأل فى بيته غيره فلما خرج من المسجد ، قال هشام : الآن خرجت من بيت الله ، فاسألنى ، فقال من حوائج الدنيا أم الأخرة ؟

قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : ما سألتها ممن يملكها ، فكيف أسألها ممن لا يملكها .

سل الإلــه إذا نابــتك نائبــة
فهو الذى يُرتجى من عنده الأمل
فإن منحت فلامــنٌ ولا كدَرٌ
وإن رددت فلاذل ولا خجــلُ

« أسباب الفقر »

يقال : أسباب الفقر الأوليـة ستـة : النـوم والتراخـى ، والخوف والـغضب ، والــكسل والمماطة .

« وصية »

من الإمام على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ إلى ابنه الحسن :

لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا ، فإنك تخلفه لأحد رجلين : إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقى بما جمعت له فكنت عونا له على معصيته ، وليس أحد هذين حقيقا أن تؤثره على نفسك .

« تعاطى فعقر »

كان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام ، رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا ، فلما أعيدت عليه بالغداة ، قال : من هذا الذى تعاطى فعقر ؟ فقيل له : ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضربهم الحال جاءه أكبر الأبناء ، وقال : يا أبانا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم إليهم .

« مكارم الأخلاق »

إن المكارم أخلاق مطهرة .

فالدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تعلم أني لا أصدقها
ولست أُرْشُدُ إلا حين أعصيها

« حقا »

سئل بعض الحكماء : أي الأمور أشد تأييداً للعقل وأيها أشد إضرارا به ، فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت .

وأشدها إضرارا به ، ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

« أصلحوا أموالكم »

قال عمر بن الخطاب :ـ رضى الله عنه ـ: أصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ، فإن إقلالا فى رفق خير من إكثار فى خرق .

« لا يبالى »

قيل لبشار بن برد : فلان يزعم أنه لا يبالى ألقى واحدا أو ألفا ، قال : صدق ، لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف .

الزهد ثلاثة

قال إبراهيم بن أدهم : الزهد ثلاثة زهد :
فرض وذلك فى الحرام .
وزهد فضل وذلك فى الحلال .
وزهد سلامة وذلك فى الشهوات .

« الموت »

قال الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أيها الناس : اتقوا الله الذى قلتم سمِعَ ، وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن هربتم عنه أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم ، وإن نسيتموه ذكركم .

« دعاء »

اللهم إنا نسألك الأمن يوم الوعيد من العذاب الشديد ، ونسألك الجنة دار الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، والموفين بالعهود والوعود إنك غفور رءوف ودود .

كيف واجه الأزهـر نابليـون وحملتـه ؟

للمستشار/محمد عزت الطهطاوى

مصر الأزهر :

على مدى ألف سنة من الزمان أو تزيد منذ أن أنشىء الأزهر فى مصر فى القرن الرابع الهجرى فى ٧ رمضان ٣٦١ هـ ، ٢١ يونيه سنة ٩٧٢ م ؛ امتدادا لأقدم مدرسة إسلامية فى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عام ٢١ هجرية ، ظل فى مصر وفى العالم الإسلامى حصن الدين الحصين وركن العلم المتين وملاذ اللغة العربية والأدب والثقافة والمعقل الوحيد الذى ثبت لحملات أعداء الإسلام فانتهت إليه علوم الدين واعتصمت فيه لغة القرآن[1] .

وقد لبث فى تلك القرون شامخا كالبنيان الراسخ لم تقلل من عظمته الأحداث والمحن ، ولم تضعف من قوته الخطوب والفتن ، فمضى على وجه التاريخ قويا جبارا يحمل أعباء الرسالة الخاتمة ومهمة تعليمها إلى العالمين ، فلم يقصر أبناؤه فى دعوة الناس إلى الهداية بنور القرآن وبسنة من نزل عليه ذلك النور ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

هذا الأزهر العتيد كم استفاض على العالم العربى والإسلامى بكتبه ومبعوثيه من حاملى علمه وما كان علم الأزهر إلا نفوذا إلى أغوار البحث وغوصا وراء الحقائق ، وتجلية للأسرار والدقائق كما كان الأزهر وما يزال كعبة العلم يحج إليه الطلاب من أقطار الأرض ينهلون من ورده ويقبسون من نوره . وكان من آثار الأزهر فى مصر أن كان له مكانا ممتازا وسلطانا أدبيا وزعامة روحية موفورة على غيرها من البلاد العربية والشعوب الشرقية وكذلك جعل منها الصرح

(١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام تأليف الأستاذ محمد كمال السيد محمد المحامى من سلسلة البحوث الاسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

الوطنى الذى أجج الثورات على الغزاة المعتدين وما زال التاريخ يسطّر بحروف من نور موقف علماء الأزهر من الحملة الفرنسية التى قادها نابليون آخر القرن الثامن عشر .

الأزهر وجها لوجه أمام الحملة الفرنسية :

قاد نابليون حملته الفرنسية على مصر فى شهر يوليو سنة ١٧٩٨ م ، ورغم أن البلاد كانت تحت الحكم العثمانى فى تركيا ؛ كان يتنازع حكمها مراد بك وابراهيم بك ، وكان كلاهما طاغية لا يعرف معنى العدل وكلاهما جاهل لا يعرف شيئا عن أمور السياسة الدولية ، ولا يظن الدنيا تجمع أقوى من قوة المماليك الذين يتبعونه ، وكانت خيوط السياسة الفرنسية قد تجمعت وقتئذ ورأت فرنسا وقائدها المظفر نابليون ضرورة احتلال مصر حتى تقف أمام انجلترا ــ عدوة فرنسا فى ذلك الحين موقف من يسيطر على طريق مستعمراتها فى الشرق ، خصوصا فى الهند ، ويحول دون اتصالها المطرد بتلك المستعمرات ، كما أنه متنفس لفرنسا كى تشعر بامتدادها الاستعمارى على نحو يرضى غرورها الجشع .

وحين علم الطاغيتان : مراد بك وابراهيم بك بالغزو واستهزءا به وظن كل منهما أن الجنود الفرنسيين ما هم إلا فلول مرتعشة ترتجف من سطوة المماليك فجمعا لمقاومتهم جيشا ضم اثنى عشر ألفا منهم ثلاثة آلاف من المماليك وتسعة آلاف من الفلاحين والعرب على رأسه مراد بك لكن هذا الجيش كان يفتقر إلى التدريب وفنون القتال على النظم الحديثة ، فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك وجيشه عندما بدأ القتال يوم ٧/١٣ سنة ١٧٩٨ م .

وبالقضاء على جيش المماليك خلت الساحة المصرية منهم ، وأصبح الشعب المصرى وعلى رأسه الأزهر وجها لوجه أمام نابليون وحملته العسكرية(٢) .

سلوك نابليون فى مصر وادعائه الإسلام :

سلك نابليون فى معاملة المصريين وهم مسلمون فى غالبيتهم طريقا يغاير مسلك قادة الحملات الصليبية السابقة لأنه عند دخوله إلى مصر زعم أنه مسلم ونوّه بقيمة الإسلام وحاول التودد إلى المصريين لذلك فقد طلب من جنوده أن يعتبروا الإسلام دينا مثل المسيحية واليهودية وهذا نوع من الاعتراف كانت أوروبا تضن به على المسلمين وهى لم تعترف به فى تاريخها الحديث إلا بعد ما اعترفت بالبوذية والبرهمية كأديان كبيرة لها أتباع يعدون بالملايين وفى خطاب نابليون لجنوده قبل أن ينزل الى أرض مصر يقول (إن الشعب الذى سنعيش معه يدين بالإسلام وأول ما يؤمن به ، هو أنه : لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فلا تنازعوه فى ذلك بل عاملوا هؤلاء المسلمين كما عاملتم اليهود والإيطاليين واحترموا مشايخ الإسلام كما احترمتم الحاخامات والمطارنة ، وأظهروا للمواسم الدينية والمساجد التسامح نفسه الذى أظهرتموه إزاء الأديرة والمعابد وإزاء ديانة موسى والمسيح) .

وفى نداء وجهه إلى الشعب المصرى قال فيه : (إن الفرنسيين اقتحموا روما الكبرى وضربوا

(٢) كتاب الأزهر بين السياسة وحرية الفكر تأليف الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى سلسلة البحوث الاسلامية الصادرة من مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٤١٤ هـ ، سنة ١٩٩٣ م .

كرسى البابا الذى كان يحث المسيحيين دائما على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا إلى جزيرة مالطة وطردوا منها فرسان القديس يوحنا الذين يزعمون أن الله انتدبهم لمحاربة المسلمين) وعندما تقدم إلى أسوار الإسكندرية قال فى ندائه للمصريين : (لسنا من كفار العصور الهمجية الذين يأتون إليكم لمحاربة إيمانكم ، إننا نعترف بأن إيمانكم رفيع القدر ، ثم يقول فى صراحة تثير الدهشة وسوف نعتنق دينكم إذا حلت الساعة التى يصبح فيها الفرنسيون الراشدون مؤمنين حقيقيين) .

وكتب بعد احتلاله القاهرة إلى الجنرال « مارمن » فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ م يقول : (قابل من طرفى الشيخ المسيرى وقل له كيف احتفالنا بمولد النبى ، قل له إنى فى القاهرة أجتمع برؤساء القضاء وكبار القوم ثلاث أو أربع مرات كل عشرة أيام ، وإنى أكثر الناس اقتناعا بصفاء الديانة الإسلامية وقداستها) .

وفى اليوم نفسه كتب إلى الشيخ المسيرى مباشرة يقول : (أرجو ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع العناصر الحكيمة والمثقفة فى البلاد ووضع نظام ثابت يرتكز على مبادىء القرآن الحقة والوحيدة التى تستطيع إسعاد البشر دون سواها)[٣] .

نابليون يخطب ود علماء الأزهر :

كان نابليون على وعى كبير بالمركز الممتاز الذى يحتله الأزهر فى المجتمع المصرى باعتبار قيام ثقافة هذا المجتمع على قواعد وأسس الثقافة الإسلامية التى يحتضنها ويقوم بتدريسها وتعليمها ــ الأزهر ــ ، ليس فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى أجمع لذلك مال عندما نزل إلى القاهرة إلى الكياسة فأعلن حبه للشعب المصرى وقد جاء لينقذه من بطش المماليك والعثمانيين ولأنه يحب الإسلام ويقدر شريعته وأنشأ ديوانا لحكم مصر جعل أعضاءه عشرة من كبار علماء الأزهر هم :

١ ــ الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الأزهر وقتئذ
٢ ــ الشيخ خليل البكرى
٣ ــ الشيخ مصطفى الصاوى
٤ ــ الشيخ سليمان الفيومى
٥ ــ الشيخ المهدى
٦ ــ الشيخ أحمد العريش
٧ ــ الشيخ موسى السرسى
٨ ــ الشيخ محمد الدواخلى
٩ ــ الشيخ يوسف الشبراخيتى
١٠ ــ الشيخ مصطفى الدمنهورى[٤] .

وقد بَرَّر الشيخ عبد الله الشرقاوى اشتراك الأزهريين فى الديوان بأن ذلك كان لتقليل ويلات الإحتلال ودفع شروره عن المصريين ، وكان هؤلاء العلماء يشعرون فى قرارة نفوسهم أن هذه العضوية لاتشرفهم وأن الشعب قد ظن بهم الظنون ولم يكن لهذا الديوان سلطة قطعية فى أية مسألة تعرض عليه إذ كانت السلطة العسكرية المتمثلة فى قيادة الجيش الفرنسى هى المرجع الأعلى فى كل المسائل التى تعرض على الديوان وكانت

(٣) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، طبعة بدون تاريخ نقلا عن مراجع الحملة الفرنسية .

(٤) كتاب الأزهر جامعا وجامعة ، أو مصر فى ألف عام . المرجع السابق .

سلطة هذا الديوان لا تتجاوز حدود مدينة القاهرة .

رغم معارضة علماء الأزهر لنابليون التى بدأت تشتد فقد أشار فى مذكرته للدوافع التى دفعته إلى انتهاج هذه السياسة فقال عن علماء الأزهر :

إنهم زعماء الشعب المصرى وقد ظفروا بثقة ومودة سكان مصر عن بكرة أبيهم وأن مشاعر الغيرة والحقد قد انتقلت إلى نفوس الأتراك العثمانيين والمماليك على علماء الأزهر فجعلتهم يعملون على إقصاء هؤلاء العلماء عن المشاركة فى تصريف الشئون العامة ، وأنه من خطأ الرأى أن يحذو الفرنسيون حذو الأتراك العثمانيين والمماليك فى انتهاج هذه السياسة ، كما أنه فى حكم الاستحالة أن يتطلع الفرنسيون إلى ممارسة نفوذ سريع على المصريين لأن الفرنسيين أغراب عن الشعب المصرى ومن ثم كانت الحاجة ماسة فى نظرنا إلى وسطاء بين الحكام الفرنسيين وبين جماهير الشعب ثم قال وقد فضلتُ العلماء ودكاترة الشريعة لأنهم :

أولا — هم كذلك بطبيعة الحال .

ثانيا — لأنهم هم مفسرو القرآن ، وأن أكثر العقبات التى واجهتنا وسوف تواجهنا أيضا إنما تنبثق عن الأفكار الدينية .

وثالثا — لأن هؤلاء العلماء ذوو طباع هادئة ويحبون العدالة وعلى درجة من الثراء وأصحاب مبادىء خلقية عالية ، وهم بدون منازع أكثر الناس أمانة فى مصر .

ثم قال : (وهم — أى العلماء — لا يركبون الخيل ولا يمارسون أعمالا عسكرية ، ولا ينتظر منهم تزعم حركة مسلحة) والحق أنه لم يكن مصيباً فى توقعه ؛ فقد تبين فيما بعد تزعمهم للثورة ضده وضد حملته العسكرية .

وقد تجلى تقدير نابليون لعلماء الأزهر عندما خلع قاضى القضاة التركى فى مصر عقب عودته من حملة الشام وقرر تعيين عالم أزهرى مصرى هو الشيخ أحمد العريشى فقد برر هذا بقوله (وهل يوجد إنسان يعتقد أن علماء مصر المولودين بها ليس فيهم من تؤهله كفايته وفضائله إلى الاضطلاع بمنصب قاضى القضاة ؟) .

ثم أصدر منشورا الى حكام الأقاليم فى ١٧٩٩/٦/٣٠ م يأمرهم تبليغ الدواوين نبأ انتخاب الشيخ أحمد العريشى لمنصب قاضى القضاة وتأسيسا على هذا الانتخاب ينبغى أن يتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضى القضاة المصرى كما ذكر فى هذا المنشور أن علماء القاهرة هم بلا منازع أعلم علماء الاسلام(٥) .

من مظاهر احترام نابليون لعلماء الأزهر وتودده لهم :

١ — أمر بأن يؤدى رجال حرس الشرف الذين يرابطون أمام مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى فى الأزبكية التحية العسكرية بالسلاح لعلماء الأزهر عند قدومهم إلى هناك .

٢ — إذا دخلوا هذا المقر أسرع باستقبالهم رجال الياوران والمترجمون ويرحبون بهم ويقودونهم إلى الصالون الرئيسى .

(٥) كتاب الهلال — دور الأزهر فى السياسة المصرية تأليف الدكتور سعيد اسماعيل على صفر سنة ١٤٠٧ هـ نوفمبر سنة ١٩٨٦ م صفحة ٨٩ .

٣ ـ تقدم لهم المرطبات ثم القهوة .

٤ ـ إذا فرغوا من تناولها دخل عليهم نابليون ورحب بهم وجلس وسطهم محاولا أن يدخل فى نفوسهم الطمأنينة والثقة .

٥ ـ كان يخوض معهم بواسطة المستشرق فانتور (VENTURE) ـ الذى كان يقوم بوظيفة المترجم ـ فى مناقشات علمية تتناول القرآن الكريم ، ويطلب من المشايخ تفسير بعض الآيات[٢] .

بداية المقاومة السياسية من علماء الأزهر لخطط نابليون :

١ ـ من مظاهر هذه المقاومة السياسية ما يرويه الجبرتى فى حوادث يوم السبت أول سبتمبر سنة ١٧٩٨ م حيث عقد اجتماع بين نابليون وعلماء الأزهر ورأى نابليون إكرام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر فى تلك المناسبة فأهداه الشارة الفرنسية التى تمثل علم الثورة الفرنسية ذا الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأزرق ووضعها على كتفه فهاج شيخ الأزهر ورمى بالشارة على الأرض وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه وخرج من الاجتماع فقال المترجم : (يا مشايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر ـ أى نابليون ـ وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم فقال المشايخ له : (لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين) مما زاد من حرج الموقف وإغاظة نابليون[٦] .

٢ ـ ولما حاول نابليون بعد ذلك أن ينتزع من شيوخ الأزهر اعترافا بشرعية احتلاله لمصر ، وإصدار فتوى من المشايخ بأن يحلفوا يمين الطاعة له اصفرت وجوههم لهذا الطلب ، ولأنهم كانوا يحملون صلابة الإسلام ؛ انبرى الشيخ الشرقاوى لهذا الموقف أيضا بشجاعته وقال لنابليون عن طلب الفتوى : لا ، ثم استطرد فى كلامه وقال : (إنك تطلب رعاية الرسول ، وتريد العرب المسلمين أن ينضووا تحت رايتك ، وترغب فى استرداد أمجاد العرب ، وأنت لست مشركا ولا وثنيا فاعتنق الإسلام إذن ، لأنك لو فعلت لبادر إلى الإنضواء تحت لوائك مائة ألف عربى من بلاد العرب ومن مكة والمدينة ولاستطعت وأنت قائدهم ومنظمهم أن تفتح بهم الشرق وتسترد وطن الرسول بكل أمجاده) .

فلما قال شيخ الأزهر هذا الكلام علت ابتسامات الرضا وجوه الشيوخ لكن الدهشة كانت من نصيب نابليون[٧] .

الأزهر يقود الثورة الشعبية المصرية ضد نابليون :

كان نابليون يحسب أن مصر ستفتح له ذراعيها بمجرد وصول حملته العسكرية إليها وأن شعب مصر سيرحب ويطمئن إليه وإلى حكمه لكنه فوجىء بمقاومة باسلة من المصريين العزل أمام القوات الفرنسية المدججة بأسلحتها الفتاكة ، ففى ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ م أى بعد ثلاثة أشهر فقط من الاحتلال الفرنسى تشكلت لجنة قيادة الثورة وجعلت مقرها الأزهر ونظمت كتائب

(٦) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى ـ إصدار دار الشعب لمحمد قنديل البقلى الجزء الثالث .

(٧) كتاب الهلال دور الأزهر فى السياسة المصرية المرجع السابق .

المتطوعين وزودوا أنفسهم بما وصل إليهم من أسلحة بسيطة وبدائية .

وانبث العلماء وشيوخ الأزهر بين جموع الصناع والتجار ومختلف الطوائف يدعونهم إلى الثورة ، وتسلل بعضهم إلى الريف يستنهضون همم الفلاحين لمقاومة الفرنسيين فأقبلت أفواج منهم يحملون العصى والفئوس والرماح والبنادق واعتلى المؤذنون شواهق المآذن ينادون بالجهاد وعلت صيحات السخط فى كل مكان وتجمع المواطنون فى المساجد يستمعون إلى العلماء وهم يخطبون ويحثون أفراد الشعب على منازلة المحتلين وتحرير البلاد منهم ، إلى أن اندلع لهيب الثورة واشتد أوارها ، كما انبث الفقهاء فى الشوارع ينادون أهل التوحيد للاجتماع بالجامع الأزهر لأخذ الثأر وإزالة عار الاحتلال ، ثم خرج قرابة ثمانية آلاف مجاهد من باب الفتوح وتدفقوا إلى مرتفعات القاهرة للاستيلاء على مواقع الفرنسيين التى كانت تصب نيرانها على ثوار القاهرة كما تمكنوا من قتل الجنرال (ديبوى) الحاكم العسكرى لمنطقة القاهرة(٨) .

قوات نابليون تقذف الجامع الأزهر بالقنابل ويدنسوه بخيولهم :

استشاط الفرنسيون غضبا من عنف ثورة الشعب المصرى فسلطوا قذائف مدافعهم على الأزهر موطن الثورة وأخذت القنابل تترامى على أبنية المسجد وعلى الأحياء المجاورة حتى تصدعت الجدران وانهارت المنازل المتلاصقة ودفن الألوف من النساء والأطفال والشيوخ تحت الانقاض وجرى الدم فى الشوارع بين الفريقين وفى إحصاء رسمى دون من مقر القيادة بأن عدد القتلى فى هذا اليوم بلغ زهاء أربعة آلاف شهيد .

وتجمع وثائق الحملة الفرنسية على أن الأزهر كان له الدور الأكبر فى هذه الثورة كما تؤكد وجود تنظيم دبر وخطط له فقد نقل رجال المخابرات العسكرية الفرنسية إلى رؤسائهم أن الجامع الأزهر هو موئل زعماء الثورة وأنه يضم خمسة عشر ألف ثائر يرابطون فى داخله وفى ساحته الخارجية وفى الأزقة الملاصقة له والجهات المجاورة .

لذلك لم يلبث الفرنسيون أن احتلوا الجامع الأزهر واقتحموه بخيولهم وجاسوا خلال أروقته وربطوا الخيول عند القبلة وحطموا القناديل ونهبوا المخطوطات والمصاحف(٩) .

انتقام الطاغية نابليون من علماء الأزهر :

بعد أن تمكن نابليون بقواته من قمع ثورة القاهرة عمد إلى الانتقام من زعماء الثورة وكانوا من علماء الأزهر فاعتقلوهم فى القلعة ثم أعدموهم دون محاكمة وطرحت جثثهم فى النيل وكانوا كثيرين ومن هؤلاء العلماء الشهداء : .

١ ـ الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان
٢ ـ الشيخ أحمد الشرقاوى
٣ ـ الشيخ عبد الوهاب الشبراوى
٤ ـ الشيخ يوسف المصيلحى
٥ ـ الشيخ إسماعيل البراوى

يضاف الى هؤلاء الشهداء أولئك الأزهريون الشجعان الذين أتهموا بقتل الجنرال كليبر الذى

(٨) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الالفى للأزهر عن مقال : الأزهر زعيم مساجد الإسلام بعد الحرمين الشريفين للأستاذ فتحى رضوان .

(٩) المرجع السابق عن مقال رسالة الازهريين الامس واليوم والغد للدكتور يوسف القرضاوى .

خلف نابليون بعد هروبه من مصر إلى فرنسا وقد أعدموا جميعا وهم .

١ ــ سليمان الحلبى
٢ ــ عبد القادر الغزى
٣ ــ محمد الغزى
٤ ــ عبد الله الغزى

هروب نابليون الى فرنسا بعد أن تحطمت[١٠] آماله إثر ثورة القاهرة :

أدرك نابليون أن خططه فى إخضاع الشعب المصرى لسلطاته قد تحطمت وبالتالى تحطمت آماله فى إمتداد استعمار فرنسا لمصر لما ثبت له أن الأزهر ــ بوصفه قائدا للمقاومة الشعبية ــ لن يهدأ بأى حال فى مقاومة الاحتلال العسكرى ، والذين كتبوا تاريخ الحملة الفرنسية من الأوروبيين لم يجرءوا على انتقاص الكفاح المصرى بقيادة علماء الأزهر بل سجلوا ذلك فى كتبهم فى إسهاب وإفاضة .

لذلك عول نابليون على الرجوع إلى فرنسا خصوصا بعد فشل حملته العسكرية على بلاد الشام وهزيمته فى اقتحام مدينة عكا فى يونيه سنة ١٨٩٩ بعد أن حاصرها ٦٤ يوما ، وفى مساء الجمعة ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٩ م أبحر سرا من الاسكندرية إلى فرنسا خشية وقوعه فى أسر الأسطول البريطانى الذى كان يحاصر الشواطىء المصرية على أثر احتلال مصر من قبل الحملة الفرنسية[١١]

ماذا قال ذلك الطاغية عن الإسلام والقرآن والأزهر فى طريق عودته إلى فرنسا :

لم يكن مرافقو نابليون يصدقون أنه فى الطريق إلى فرنسا إلا أنه أكد لهم القوة التى فرَّ منها بقوله :

(لم أكن أعرف أن الإسلام قوى بما يحمل علماؤه فى صدورهم وعقولهم، يبدو أن القرآن الذى يحملونه قوة عليا لا تقهر ولا تهزم ، أنا لا أستطيع أن أقهر القوى العليا التى تحرك المسلمين) .

وبعد أن وصل الى فرنسا قال :

(مازلت أحيا أمارس حياتى ، لأننى تركت المسلمين فى مصر دون تدخل أكثر ، أعتقد أنى لو تدخلت أكثر من هذا لما عدت إلى فرنسا إلا جُثة ، وربما لا أعود ولا حتى جثه) .

ثم استطرد بعد ذلك وقال :

(أحمد الله أننى لم أكن موجودا فى العصر الذى كان فيه نبى الإسلام يقود المعارك ضد أعدائه وإلا كنت قد هزمت بجدارة ، فإذا كان هذا حال أتباعه فكيف كان حاله هو ؟)[١٢]

ويبدو أن هذا الشعور الخفى الذى أنتاب نابليون بعد معايشته للمصريين وقربه واحتكاكه بعلماء الأزهر وقت حملته العسكرية على مصر ظل ملازما له طول حياته وعايشه وهو فى المنفى بعد هزيمته أمام أعدائه فى أوروبا إذ تبين للمسئولين هناك وجود نسخة للقرآن الكريم بجوار جثته بعد وفاته كان يقطع وقته من حين الى آخر فى الإطلاع عليها[١٣]

(١٠) المرجع السابق عن مقال الأزهر فى عيده الألفى سيرة وتحية للأستاذ خالد محمد خالد .
(١١) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى الجزء الثالث المرجع السابق .
(١٢) كتاب الاسلام ورسوله فى فكر هؤلاء تأليف الاستاذ احمد حامد طبعة دار الشعب صدر سنة ١٤١٢ ﻫ ــ سنة ١٩٩١ م .
(١٣) المجلة العربية السعودية عدد جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ ﻫ ــ مارس سنة ١٩٨٢ م .

من أعلام الإسلام

الشيخ / مصطفى صبري

(٢)

للأستاذ / توفيق إسلام يحيى

تعيين الشيخ مصطفى صبرى شيخا للإسلام

مضى نحو أربع سنوات مابين عودة الشيخ مصطفى صبرى إلى استانبول من رومانيا ؛ وبين تعيينه شيخاً للإسلام ، ولاندرى مدى إسهامه فى الحياة العامة أو العلمية أو السياسية فى هذه الفترة . لكن الذى نعلمه أن الاتحاديين من : طلعت وأنور وزملائهم ، هم الذين أدخلوا تركيا فى الحرب من غير رغبة الخليفة ، ولما انهزموا وقعوا على وثيقة الاستسلام ، ثم اتجهوا إلى الميناء حيث ركبوا مدمرة إنجليزية أوصلتهم إلى مكان مجهول للحفاظ على حياتهم من خصومهم .

تشكيل الحكومة الجديدة :

شكل الخليفة حكومة جديدة برئاسة فريد باشا ، وعين فيها الشيخ مصطفى صبرى شيخاً للإسلام . وطبقاً للوائح الجارية فى ذلك الوقت كان شيخ الإسلام يلى الصدر الأعظم فى البروتوكول . وينوب عنه تلقائيا إذا غاب لأمر ما كمرض أو سفر فى إدارة شئون الدولة . ذهب الصدر الأعظم إلى جنيف بسويسرا ليكون بجوار المنتصرين فى الحرب ، والقائمين بتقسيم الأسلاب والغنائم ، ومكث حوالى ستة أشهر تقريبا

فى هذه الفترة أرسل السلطان وحيد الدين مصطفى كال إلى الأناضول فى مهمة رسمية من غير أخذ رأى الحكومة التى كان يرأسها شيخ الإسلام مصطفى صبرى . ومن أراد الحوادث كاملة فليرجع إلى كتاب شيخ الإسلام « موقف العقل والعلم .. » ص ٤٦٧ - ٤٧٧ الجزء الأول . وفى هذه الصفحات يجد كل ما دار بين شيخ الإسلام مصطفى صبرى - بصفته صدراً أعظم - وبين السلطان وحيد الدين .

تقدير شيخ الإسلام لأستاذه :

فى أول عيد بعد توليه المشيخة ذهب صباح يوم العيد إلى المسجد الذى يؤدى فيه السلطان وحيد الدين صلاة العيد ليكون فى معيته . وبعد الصلاة عادوا إلى (قصر بلندر) ليستقبل السلطان المهنئين من كبار رجال الدولة والسفراء الأجانب . وبعد انتهاء المراسم ركب شيخ الإسلام عربته الخاصة وقال للسائق : إلى شارع كذا .. لأنه قرر فى نفسه - قبل أن يذهب إلى أولاده - أن يذهب إلى شيخه وأستاذه ليهنئه بالعيد تقديرا وتكريما له ؛ لأنه صاحب الفضل عليه . قال لنا شيخ الإسلام : لا أدرى من الذى أخبر أستاذى بأنى متجه إلى منزله . لما اقتربت عربة شيخ الإسلام من مدخل الشارع الذى يسكن فيه أستاذه فوجىء شيخ الإسلام بأستاذه على رأس الشارع ليستقبله . ولما نزل من عربته تقدم إليه شيخه قائلا

له : أنت الآن شيخ الإسلام . نحن نجيء إليك ونهنئك . رد عليه شيخ الإسلام : أستغفر الله ، إنى ماوصلت إلى هذا المنصب إلا بفضلك ودروسك . ولولا هذا الفضل ما وصلت إلى كرسى المشيخة الإسلامية .

خروج شيخ الإسلام من تركيا نهائيا :

لما أعْلن العصيان على الخليفة ــ وأخذوا يقتلون كبار الرجال المخالفين . وكان لشيخ الإسلام صديق عزيز اغتيل ، وقد توقع الشيخ اغتياله ، وإذا بشخص مجهول يتصل به ويقول له : حان دورك ، فاختفِ بسرعة ، فلما حضروا وجدوا الحجرة خالية ، واتجه فضيلته إلى مصر . وبعد قليل حاول الكماليون قتل السلطان وحيد الدين ؛ لأنه رفض تنازله عن العرش كما طلب منه ، فغادر العاصمة سراً متجهاً إلى إيطاليا .

عرض ملك الحجاز على السلطان أن يحضر هو وحاشيته للإقامة فى الحجاز :

أرسل ملك الحجاز حسين الهاشمى إلى السلطان وحيد الدين دعوة بالحضور هو وحاشيته ضيفا على الملك الهاشمى ؛ ليعيشوا فى الأرض المقدسة بين المسلمين ، طلب السلطان وحيد الدين من شيخ الإسلام أن ينتقل من مصر إلى الحجاز ؛ ليكون فى صحبته . كان ملك الحجاز كثير الاهتمام بهم جميعا . وبعد مدة زار الملك الهاشمى السلطان فى مقره . وبعد تبادل الأحاديث طلب الهاشمى من السلطان أن يتنازل له عن الخلافة . أمهله الخليفة ؛ ليتروى ويتدبر حتى يتمكن من أخذ هذا القرار . أخبر السلطان شيخ الإسلام بما حصل وإمهاله ليتروى وليتدبر . قال له سيخ الإسلام : اتخذتم القرار ؟ قال : اتخذت القرار فى نفس الجلسة ، وقبل أن يغادر الملك الحجرة قال شيخ الإسلام : وماهو ؟ قال : كل واحد منا يجهز نفسه فى هدوء لنغادر الحجاز بعد ثلاثة أيام .

السلطان اتجه بأسرته إلى إيطاليا ، وفضيلة شيخ الإسلام مصطفى صبرى جمع أفراد أسرته وقال : إننا سنتجه إلى اليونان للإقامة بها ، قبلتِ حكومة اليونان أن يلجأ إليها هو وأفراد أسرته . اختار ــ رحمه الله ــ عاصمة « تراكيا » ــ كوملجينه ــ مقراً له . التف حوله أتراك (تراكيا) ورحبوا به . أصدر « رحمه الله » منشوراً شهرياً يتولى إصداره ــ بنفسه ــ بمساعدة ابنه إبراهيم بك وكان حافلا بالأخبار التى تبعد النوم عن عيون مؤسسى النظام فى تركيا . ولما ضاق مصطفى كمال بهذه المنشورات التى تفضحه وتؤرقه طلب من اليونان إبعاده . أرسل وزير الخارجية مندوبا إليه يطلب منه أن يزوره . أرسل شيخ الإسلام ابنه إبراهيم بك ــ كان دبلوماسيا بارعا متقنا للغة الفرنسية ــ استقبله موظف كبير فى الخارجية وطلب منه أن يغادروا اليونان ؛ قائلا له : « إن وجودكم بتركيا يخلق لنا مشاكل » رد عليه إبراهيم بك : « حينما طلبنا اللجوء إليكم طلبناه على أساس أن دولة اليونان دولة حرة مستقلة ذات سيادة .

ولو كنا نعلم أن اليونان تخضع لمصطفى كمال ماكنا نلجأ إليكم » .

وصف لنا إبراهيم بك حالة الموظف حينما سمع هذا الرد ؛ كأن صاعقة أصابته فأفقدته الاتزان ، يقوم من على كرسيه ثم يجلس ، ووجهه يحمر مرة ثم يصفرُّ أخرى قال له إبراهيم بك : سنريحكم ونغادر اليونان .

وصول شيخ الإسلام إلى القاهرة للمرة الثانية :

وصل الشيخ إلى القاهرة وقد رُوّجت ضده أخبار كانت من صنع أعدائه فانبرت بعض الأقلام تطعن فيه .

وتأثر بعض العلماء بهذه الدعاوى المضادة حيناً حتى تبينت الحقيقة فقدروا الشيخ حق قدره .

وبالطبع فإن سماحة شيخ الإسلام حينما يسمع هذا الكلام الشنيع موجها إليه وهو لا يحمل لهم إلا الحب والخير ، ويريد أن يبصرهم بالحق مجاهدا فى سبيل الله لإعلاء الدين ، فإذا ما اشتط شيخ الإسلام فى الرد وعجز عن كبح جماح قلمة يكون معذورا . واللوم على من جهر بالسوء .

سرور شيخ الإسلام حينما يجتمع بالطلاب

أعتقد أن الإنسان مهما بلغ من القدرة الفائقة على وصف الأشياء وصفا حقيقيا فهو بالقطع يعجز عن وصف سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى ، وكل مايمكن أن نقول ـ فى وصفه : إنه قد اجتمعت فيه صفات طيبة عدة ، أبرزها صفة التواضع ، ولذا كان يفرح كثيرا حينما نقوم بزيارته فى منزله العامر ؛ ولأن أبرز صفاته التواضع ، كان يقوم بزيارة الطلاب فى مساكنهم ، وكان ـ رحمه الله ـ تعالى ـ يتكرم ويتنازل حتى يصبح كأنه واحد منا ، وبالمقابل كنا نحن الطلاب نحس إحساسا حقيقيا بأنه بهذا التنازل ـ يكبر فى نظرنا ويكبر ويكبر ، وكنا نحس بأنه فى جلسته مع الطلاب يستحضر شريط أيام التلمذة بمسجد محمد الفاتح ، فينسى بعض همومه التى لم تكن تفارقه .

عرضنا عليه مرة أن نقوم بنزهة إلى القناطر الخيرية ، فرضى بشرط واحد وهو : ألا يتم هذا فى يوم الجمعة ولا يوم الأحد . حددنا زمان ومكان الاجتماع وأخذنا معنا كل مايلزم من مطعم ومشرب وأدوات ، تولى إعداد الطعام الشيخ الفاضل إحسان افندى عبدالعزيز ـ والد (الدكتور أكمل الدين إحسان أو غلو) مدير متحف التراث الإسلامى باستانبول ، وساعدته فى إعداده .

وفى المرة الثانية اعتذر الشيخ الفاضل لوعكة صحية فقمت أنا بإعداد الطعام . ولما تناول سماحة الشيخ قليلا من الأرز دهش وقال : من أَعَدَّ هذا الأرز ؟ ارتجفت وقلت فى نفسى : لعل فيه نقصا فلهذا لم يستملحه ؛ قلت : أنا . قال : أنت ، مش معقول ، أنا أكلت على مائدة السلطان وحيد الدين مراراً ، فلم أذق مثل هذا الأرز . قال : كيف طبخته قلت كذا وكذا قال: (عفارم)(*) كررها مرتين .

وظيفة النقد البناء

كم يكون النقد العلمى بناء إذا كان الناقد منصفا عالما بدقائق قضيته التى ينقدها ، لأنه فى هذه الحالة يستطيع أن يكشف المحاسن والعيوب . ولا ينجح باعه إذا قصر فى ذلك ، وبالتالى لا يأتى نقده بالثمرة المرجوة .

من هذا المنطلق إذا دار النقاش العلمى بين العلماء الفطاحل أمثال : شيخ الإسلام مصطفى صبرى والشيخ المراغى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ شلتوت وغيرهم ممن هو على شاكلتهم ، فإن من يتصدى لنقدا آرائهم ينبغى أن يكون محيطا بما آل اليه أمر هذه المشيخة مع الشيخ مصطفى صبرى ؛ فإنه لما تقرر التغيير وصدرت به قرارات أسرع الشيخ يوسف الدجوى إلى منزل شيخ الإسلام مصطفى صبرى معتذرا ومقبلا جبهته ووجنتيه . ومن هذه الساعة صار شيخ الإسلام مصطفى صبرى

والشيخ الدجوى أخوين فى الله ولله .

ولما انتقل الشيخ الدجوى إلى رحمة الله ذهب شيخ الإسلام إلى حلمية الزيتون وصحبته أنا أيضا ، فصلينا صلاة الجنازة فى مسجد الشيخ نجيب المطيعى ، ثم مشينا بالجنازة فى طريق غير ممهد إلى أن وصلنا إلى قبره . كذلك كان موقف فضيلة الشيخ شلتوت مع شيخ الإسلام مصطفى صبرى حين انعقدت الجلسة الأولى للنظر فى (كيفية النهوض بالمساجد) حيث كان كل من شيخ الإسلام والشيخ شلتوت[٣] من أعضاء اللجنة . وقبل انتهاء أعمال الجلسة[٤] طلب رئيسها من الأعضاء تعيين الزمان والمكان لانعقاد الجلسة الثانية ، فتصدى فضيلة الشيخ شلتوت للأمر وقال ـ على الفور : الجلسة الثانية تنعقد فى منزل فضيلة شيخ الإسلام بمصر الجديدة حتى لايتحمل تعب الانتقال إلى الوزارة . هذا دليل واضح على أن كلا منهما كان يعرف قدر الآخر .

إنى حينما أرفع رأسى وأنظر إلى هؤلاء الفطاحل . شيخ الإسلام مصطفى صبرى والشيخ المراغى والشيخ الدجوى والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ شلتوت وغيرهم ؛ لا اسطيع أن أقول شيئا لعجزى عن ذلك . وإنما أسجل هنا بيت الفرزدق الذى قاله مفاخراً ..

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا ياجرير المجامع

---

* كلمة استحسان تركية .

٣ ـ من راجع ص ٣٦٣ من كتاب موقف العقل العلم .. جزء أول .

٤ ـ كان وزير الأوقاف الأستاذ عبدالحميد عبدالحق ـ فى النصف الأول من الاربعينات ـ قد شكل لجنة من كبار المفكرين ليبحثوا طرق النهوض بالمساجد حتى تؤتى ثمرها على الوجه الأكمل . وكان من أعضاء هذه اللجنة سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى وفضيلة الشيخ شلتوت .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام والطب الحديث

للدكتور عبدالعزيز إسماعيل

إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

القرآن الكريم ، مرآة الإسلام الناطقة الصادقة ، تنعكس عليها أنوار هذا الدين الحنيف ، فتهب الحياة لمن أراد الله له الحياة .

وكنوز الإسلام لا تنفد ، وذخائره لا تعد ، ونفائسه لا تحصى ، وسيظل يعطى ويعطى ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولأن الإسلام دين الحياة ، ففيه تكمن عناصر هذه الحياة ، ومنها : عنصر الصحة ، ولذلك نجد القرآن الكريم ـ فى كثير من آياته ـ ينأى بأبنائه ، بل ويحذرهم أن يتلفوا صحتهم بأى من أنواع الإتلاف .

وقد جاء هذا نصا صريحا فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ .. ﴾(1)

وفى قوله : ﷺ « لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن أربع .. »(2) وعدَّ منها الشباب .

والقرآن الكريم ـ دستور المسلمين ـ سبق الطب الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فى تشخيص الداء ، وتحديد الدواء ، وجاء بآيات بينات ، قاطعة فى الطب والعلاج .

ولعل فى قوله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(3)

ما يدل على عموم الشفاء بأنواعه المختلفة ، البدنى ، والنفسى ، والروحى .

إذا هى احدى معجزات الإسلام الذى هو نعمة الله على الإنسان فهل يعتبر أولئك الطاعنون ، والمشككون ، وأعداء الحقيقة ، ويرجعوا الفضل إلى صاحب الفضل ـ سبحانه وتعالى ـ؟! .

(1) من الآية ١٩٥ من سورة البقرة .

(2) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنه .

(3) الآية ٨٢ من سورة الإسراء

فى سورة البقرة ، الآية ٢١

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾

الماء ضرورى لاستمرار الحياة وللنمو ، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بدون شرب الماء بضعة أيام ، مع أنه يعيش على الماء فقط مدة شهر أو أكثر . والنباتات والجراثيم وكل شىء حى يهلك من الجفاف ، ويحيا بالماء .

والآية ٦٠ :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾

هذه الآية الكريمة معناها ــ والله أعلم ــ أن اللحوم والأسماك والألبان .. إلخ ، أفضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة . ومعنى الأفضلية ليس مقدار المواد الزلالية الضرورية للجسم فى كل نوع ، لأن هذا يجب ألا يكون سببا مهما للأفضلية . فمثلا المواد الزلالية فى اللحوم من ١٥ إلى ٢٠ فى المائة ، وفى اللبن ٤ فى المائة ، وليس هذا معنى الأفضلية ، لأن معناها أن اللبن غذاء مخفف ، وبتركيزه يصير مثل اللحوم ، وكذلك اللحوم باضافة ماء عليها تصير مخففة مثل اللبن ، ولكن معنى الأفضلية هى فى نوع المواد الزلالية لا فى كميتها ، وأن كل جرام من المواد الزلالية فى اللحوم أفضل من جرام من المواد الزلالية Protiens فى القمح والذرة .. إلخ .

وقد اهتدت أخيرا لجنة الأبحاث بانجلترا Medical Research Committee إلى أن قيمة المواد الزلالية تختلف فى نوعها ، وفى المقدار منها الذى يمنع المواد الزلالية المكونة للأنسجة من أن تحترق .

وبعد أبحاث كثيرة ظهرت لها فوائد عملية فى بعض أمراض مثل البلاجرا ، ورأوا أن اللحوم بالنسبة للمواد الزلالية ونوعها لها قيمة أكثر من اللبن ، والذرة .

إن هذه النتيجة التى لخصها القرآن الشريف لم تظهر حقيقة ثابتة طبيا إلا منذ سنوات قليلة . وكانت النظرية السائدة قبل ذلك أن الأطعمة وقيمتها بالنسبة للمواد الزلالية هى مسألة كمية لا مسألة نوع .

وقد ظهر من أبحاث لجنة الأبحاث الملكية بانجلترا فى التقرير الثالث سنة ١٩٣٣ والأخير : أن البقول Cereals يضر الإكثار منها بالأسنان ونموها ، حتى إن التقرير ينصح بعدم إعطائها مطلقا للأطفال ، وبالقلة منها للكبار ، ويقول : إن الإكثار من البقول من أهم العوامل فى تسوس الأسنان . والآية ١٦٣ .

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾

الروح مهما كانت حقيقتها هى هبة من عند الله ، ولكنها لا يظهر تأثيرها إلا فى نوع مخصوص من المادة ، وهذا النوع من المادة يختص بأن يكون فى حركة دائمة من التحويل Metabolism وهذا التغيير الكيميائى الدائم فى كل خلايا الإنسان وكل دابة لا يمكن علميا إلا إذا كان فيه ماء بمقدار يختلف حسب نوع الخلايا .

وهناك بعض أجزاء من الجسم الحى يقل فيه الماء جدا ، وهذه أغلبها إفرازات متجمدة ليس فيها حياة مثل الأظافر ، وأعنى أنها ميتة ، وهذا أيضا معنى الآية الكريمة :

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ .

فليس المراد أن الماء سبب الحياة مطلقا ، ولكنه شرط أساسى فى المادة التى تظهر فيها الحياة ، وهناك فرق بين الاثنين .

ومثل ذلك مثل المسرة (التلفون) ، فإذا كان اثنان يتكلمان على مسافة طويلة ، فالسبب فى الصوت الذى يسمع هو المتكلم من الناحية الأخرى ، ولكن عدة المسرة شرط أساسى لسماع الكلام ، حتى إذا طرأ عليها طارىءلا يمكن سماع أى شىء . كذلك الماء شرط أساسى لاستمرار الحياة فى الجسم ، ولكن الحياة والروح هما مثل المتكلم شىء آخر مطلقا لا تعرف حقيقته ، ولكن تغيير المادة بفقد عنصر أساسى مثل الماء ، الذى يؤدى إلى الموت بالنسبة إلى الجسم المادى ، يمنع وجود الروح والحياة ، وقلة الماء فيه تؤدى إلى عدم وجود الروح والحياة ، أى الموت بالنسبة إلى الجسم المادى .

الآية ١٧١ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ :

هذه الآية الكريمة تنص على ألا تؤكل الميتة ،ولا الدم ، فالحيوان الميت لا يموت إلا لسبب مثل المرض أو الشيخوخة ، فإن كان لمرض فمما لاشك فيه أنه لا يزال فى الجسم : نتيجة التسمم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان ، حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار ، فالجسم الميت فى هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لا يزال مضرا بالانسان ، وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة .

وكذلك الدم ، فإنه نسيج أغلبه وأهم عنصر فيه ــ وهو الكرات الحمر ــ خلايا حية ، وفيه من إفرازات الجسم ما هو معد للإفراز بواسطة البول والعرق .. إلخ .

فالدم فى الحقيقة مزيج من مواد قليلة مفيدة للجسم ، ولكن أغلبه مواد مضرة ، ويجب أن تفرز ، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا ، كان أكل الدم أشد ضررا ، وكأن بقاؤه فى أنسجة الحيوان قبل أكله مضرا جدا لما فيه من مواد مضرة ، تحدث تخمرا بسرعة فى أنسجة الحيوان مثل العضلات ، فيكون لحمه غير صالح للأكل .

وأما إذا كانت الميتة بالشيخوخة ، فضررها كضرر الميتة بالمرض ، لأن الشيخوخة معناها انحلال أحد الأنسجة قبل الأنسجة الأخرى ، فتؤدى إلى انحلال الكل .

وانحلال أحد الأنسجة لا يأتى إلا لضعف طبيعى فيها ، أو بمرض تدريجى غير منظور ، يحدث تغييرات فى لحوم الحيوان ، تقلل من قيمتها الغذائية ، وقابليتها للهضم .

ورب قائل يقول : إن الميتة تؤكل يوميا فى البلاد الباردة مثلا ، وكذلك الدم ولحوم الحيوانات تؤكل بدون ذبحها وتصفية دمها بدون ضرر ظاهر ؟!

والجواب على ذلك : أن ضرر التخمر يقل كثيرا فى الأقاليم الباردة ، ويزيد فى الأقاليم الحارة ، والدين الإسلامى أنزل للعالم كله ، بما فيه الأقاليم الحارة التى يحدث التخمر فيها بسرعة مدهشة . إذن فمما لاشك فيه طبيا أن لحم الحيوان السليم ، الذى يذبح ويصفى دمه أحسن غذاء ، وليس فيه أقل ضرر ، بخلاف الحيوان المريض الميت المتخللة لحومه بالدم .

فمثلا نحو خمسة فى المائة من الخنازير فى بعض

جهات أمريكا مصاب بمرض (تركيتا) وهو نوع من الديدان خطر، لانه إذا أصيب به الإنسان يحدث به تسمما عموميا، وإسهالا مثل (الكولرا)، وقد يؤدى إلى الوفاة. وأهم من ذلك أن لحم الخنزير المصاب لايمكن تطهيره من هذا المرض بسهولة، فعملية السلق البسيطة أو الشى لا تكفى، ويجب غلى اللحوم مدة لاتقل عن نصف ساعة على الأقل لتطهيرها. وإذا كانت الإصابة شديدة، كانت اللحوم غير صالحة للتغذية، حتى بعد تطهيرها، لأن الحيوان يكون فى حالة تسمم عمومى قبل الوفاة.

وهنا كانت حكمة الدين الإسلامى فى اجتناب الضرر الذى لايمكن الوقاية منه إلا بطرق ليست سهلة التناول، وأحسن الوقاية العملية هى الامتناع عن أكله. ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ٢١٨ سورة البقرة

الخمر أساسها: مادة الكحول (الكئول)، بكميات مختلفة، وهذه المادة توجد بنسبة خفيفة فى جسم الإنسان فى عملية هضم المواد السكرية (الجلوكوز) مثل الموجود فى العسل. ولها فوائدها طبيا[1]، ولكن يظهر أن هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا، فإن زاد عن ذلك أحدث ضررا، خصوصا إذا كان التعاطى لمدة طويلة، فانه يحدث التهابا مزمنا فى الأعصاب وفى الكلى، وتصلبا فى الشرايين، وتحجرا فى الكبد، وضعفا فى القلب.

ورب سائل يقول: لم لا يؤخذ منه مقدار بسيط؟

والجواب: أن الكحول (الكئول) يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا فى قوة الإرادة والحكم، وتزداد به الانفعالات النفسانية، وهذا هو الخطر، لأن الشخص يصبح شخصا آخر، وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية. ومع علمه بضرر الزيادة فى حالته الاعتيادية لا يقوى على منع نفسه، وهو تحت تأثير البسيط منه، وقد يحدث الشىء البسيط منه حركة انتعاش، ولكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر.

وقد وصفها كاتب من أكبر الكتاب الإنجليز فى كتابه، وكان يتعاطى الخمر، فقال: «إنى لا أحس أنى فى شعورى وإدراكى إلا إذا كنت متأثرا بالخمر، ولكنى فى هذا الوقت وأنا سكران لا أعرف نفسى الأولى»، فكأنه فى الحقيقة أضاع نفسه، لأن عادة الخمر كانت شديدة، حتى إنه فى الأوقات التى لا يشرب فيها يشعر بكآبة وبؤس، ولا يحس نفسه سعيدا، وكأن شيئا مهما ينقصه حتى إذا شرب شعر بالسعادة. ولكنه فى هذه الحالة ليس طبيعيا بل هو سكران، وقد مات فى شبابه بالسل، مع أنه لو عاش لم يبعد أن يكون أكبر شاعر.

وهنا يلاحظ أن الخمر، حتى قليلها، لا يزيد قوة التفكير العميق بل يضعفها. وأما الملكات الأخرى مثل الموسيقى والشعر، وفربما ظهرت بوضوح من قليل من الخمر.

وهذا معنى قوله تعالى: وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا

أما تأثير الخمر من الوجهة الأخلاقية والاقتصادية فليس محل بحثنا.

(١) هذا مردود بقوله: ﷺ «لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها».

العلوم التقنية فى التراث الإسلامى

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

إن فى تراث المسلمين علوماً لم يولها الباحثون اهتماماً كافياً ، إما لندرة مصادرها ، أو لتفرُّق موضوعاتها فى مراجع تراثية شتى ، يتعذّر الحصول على أغلبها ، أو لصعوبة مصطلحاتها التى تبدو لغير المتخصصين غريبة عمّا هو شائع فى لغة العلوم المعاصرة ، أو لغياب المنهجية السليمة فى التعامل مع التراث بصورة عامة ، أو لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وربما لأسباب أخرى غيرها .

والعلوم التطبيقية والتقنية عند المسلمين لم تكن أقل تقدماً من علوم الفلك والطب التى حظيت بالاهتمام الأكبر من جانب المؤرخين والمستشرقين ، ولكنها تحتاج إلى من يتناولها بالتحليل الدقيق ، والدراسة المتأنية للتعريف بها ، وكشف أصولها فى التراث الإسلامى على ضوء معطيات العلوم الحديثة .

أولا : علم الحيل النافعة :

علم « الحيل » هو : ذلك العلم الذى أطلق عليه قدامى الإغريق اسم « الميكانيكا » ، ولايزال يحمل هذا الاسم حتى الآن فى مراحل التعليم المختلفة .

وقد ازدهر علم « الحيل » فى العالم الإسلامى ما بين القرنين الثالث والسابع الهجريين (التاسع والثالث عشر الميلاديين) ، واستمر عطاء المسلمين فيه حتى القرن السادس عشر الميلادى تقريبا .

وإذا كان أعلام المسلمين قد اطلعوا على بعض ما خلفه قدماء المصريين والفرس والهنود والصينيين والإغريق فى علم الحيل ، لكن ما ورثوه عن الحضارات السابقة كان محدوداً من الناحيتين النظرية والتطبيقية على حد سواء ، فطوروه وأضافوا له ووضعوا له القواعد العلمية ، وصنفوا فيه كتبا رائدة ، لايزال الكثير منها مجهولًا أو مفقوداً .

ويمثل علم « الحيل النافعة » الجانب التقنى المتقدم فى علوم الحضارة الإسلامية ، حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية ، للإفادة منها تقنيا فى كل ما يخدم الدين ، ويحقق مظاهر المدنيَّة والإعمار . وقد جعلوا الغاية من هذا العلم « الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير » ، ويقصد به استعمال الحيلة مكان القوة ، والعقل مكان العضلات ، والآلة بدل البدن . ذلك أن الشعوب السابقة كانت تعتمد على العبيد ، وتلجأ إلى نظام السخرة فى إنجاز الأعمال التى تحتاج إلى مجهود جسمانى كبير ، فلما جاء الإسلام ونهى عن السخرة وإرهاق الخدم والعبيد وتحميلهم فوق ما يطيقه الإنسان العادى ،

إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان ، اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة . وبعد أن كانت غاية السابقين من علم «الحيل» لاتتعدى استعماله فى التأثير الدينى والروحى على أتباع مذاهبهم ، مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان ، واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصوتة فى المعابد ، فقد جاء الإسلام وجعل الصلة بين العبد وربه بغير حاجة إلى وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى ، وأصبح لعلم «الحيل النافعة» هدف جديد هو : التيسير على الإنسان باستعمال آلات متحركة .

بنو موسى بن شاكر :

وقد ظهر هذا التوجه عند المسلمين الأوائل على أيدى نفر من العلماء الأعلام ، لعل أشهرهم : أبناء موسى بن شاكر أصحاب الكتاب القيم المعروف باسم «حيل بنى موسى»(١) .

يقول ابن خلكان : «ولهم - أى بنى موسى - فى الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها ، وهو مجلد واحد»(٢) .

ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكى مع شروح تفصيلية ورسوم توضيحية لطرائق التركيب والتشغيل ، وهو ما يدخل اليوم فى نطاق علم «الهندسة الميكانيكية» Mechanical Engineering الذى يبحث فى الآلات والتجهيزات الميكانيكية ، التى تعتمد على حركة الهواء (وتسمى «الإيروديناميكا» Airodynamics) ، أو حركة السوائل واتزانها («هيدروديناميكا» Hgdro dynamics و«هيدروستاتيكا» Hydrostatics) . وقد استعملوا نظام الصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء ، وعرفوا طريقة التحكم الآلى والتشغيل عن بُعد . ويكفى أن نعلم أن بنى موسى انفردوا عمن سبقهم ممن كتبوا باليونانية ، وتميزوا عمن تلاهم من علماء الحضارة الإسلامية بتصاميمهم المتعلقة بالتحكم الآلى .

وإن استخدامهم للصمامات التى تعمل تلقائيا وللأنظمة التى تعمل بعد زمن معين ، وغير ذلك من مبادىء وأفكار التحكم الآلى تدل على عبقرية وذهن متوقد مبدع .

وكان استخدامهم للصمامات المخروطية ولأعمدة المرافق التى تعمل بصورة آلية ذا أهمية كبيرة فى تاريخ العلم والتقنية بشكل عام .

ويقول «دونالد هيل» أنهم استخدموا نظاماً شبيها بآلية عمود المرافق الحديث ، وسبقوا بذلك أول وصف لعمود المرافق فى أوروبا بخمسمائة عام(٣) .

(١) بنو موسى بن شاكر - محمد وأحمد والحسن - ثلاثة إخوة لمعو فى علوم الرياضيات والفلك والعلوم التطبيقية والتقنية ، عاشوا فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

قام «دونالدهيل» Donald Hill بترجمة كتابهم «الحيل» كاملاً إلى الإنجليزية فى عام ١٩٧٩ م ، ثم حققه بالعربية أحمد يوسف الحسن ، بالاشتراك مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى ، ونشره معهد التراث العلمى العربى ، جامعة حلب ، عام ١٩٨١م .

(٢) ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، القاهرة ، المطبعة الميمنية ، ١٣١٠ هـ .

(٣) كتاب الحيل ، تصنيف بنى موسى بن شاكر ، تحقيق الدكتور أحمد يوسف الحسن ، بالتعاون مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمى العربى ، ١٩٨١ م . ويرى صاحب الدراسة الحالية بعد أن اطلع على هذا التحقيق أن المخطوطة بحاجة إلى تحقيق جديد لإظهار محتوياتها الفنية الدقيقة التى تستعصى على غير المتخصصين .

ومن أمثلة تركيبات بنى موسى : «عمل سراج إذا وضع فى الريح العاصف لاينطفىء ، وعمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ، ويصب الزيت لنفسه ، وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئا بتّة ، وعمل فوّارة (نافورة) ، يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس ، ومدة مماثلة كهيئة القناة ، وكذلك لاتزال دهرها تتبدل»[٤] .

ومن بين أجهزتهم الميكانيكية التى وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكى ضخمة ، تعمل فى مرصدهم ، وتدار بقوة دفع مائية ، وهى تبين كل النجوم فى السماء وتعكسها على مرآة كبيرة ، وإذا ظهر نجم رُصد فى الآلة ، وإذا اختفى نجم أو شهاب رُصد - أيضا - وسُجّل فى الحال . واستحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة ، مثل : المعالف الخاصة لحيوانات ذات أحجام معينة تتمكن أن تصيب مأكلها ومشربها ، فلا تنازعها غيرها الطعام والشراب ، وعمل خزانات للحمامات ، وآلات لتعيين كثافة السوائل ، وآلات تثبت فى الحقول لكيلا تضيع كميات الماء هدرا ، ويمكن بوساطتها السيطرة على عملية ريّ المزروعات .

وكان لكل هذه الأفكار أثر كبير فى دفع مسيرة «علم الحيل» النافعة قدما ، حيث تميزت تصاميمها بالخيال الخصب والآراء العلمية الدقيقة ، والمنهجية التجريبية الرائدة .

بديع الزمان الجذرى :

تضمنت ابتكارات المسلمين الأوائل فى علم الحيل النافعة تصميمات متنوعة ، لساعات وروافع آلية ، يتم فيها نقل الحركة الخطية إلى حركة دائرية بواسطة نظام يعتمد على التروس المسننة . وهو الأساس الذى تقوم عليه جميع المحركات العصرية . ومن المؤلفات التراثية الرائدة فى هذا المجال : كتاب «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» لبديع الزمان أبوالعز بن إسماعيل الرزاز الجزرى ، الذى عاش فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) . وقد ترجم «هيل» D. HILL هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام ١٩٧٤ م . ووصفه مؤلف العلم المعاصر «جورج سارتون» بأنه أكثر الكتب من نوعه وضوحاً ، ويمكن اعتبارة الذروة فى هذا النوع من انجازات المسلمين .

ويضم كتاب الجزرى عدة أقسام أطولها قسم الساعات المائية ، وقسم آخر يعالج موضوع آلات رفع الماء .

أما ساعات الجزرى فكانت تستعمل دُمى ذاتية الحركة لتشير إلى مرور الوقت ، مثل : طيور تقذف من مناقيرها كرات صغيرة فوق صنوج أو أبواب تفتح ليخرج منها أشخاص ، أو دوائر بروج تدور . أو موسيقيين يقرعون الطبول وينفخون الأبواق . وفى معظم هذه الساعات كان المحرك الأول ينقل الطاقة إلى الدُّمى بواسطة أنظمة بكرات بالغة الدقة .

وأما قسم آلات رفع الماء ، ففيه وصف لتصميم مضخة يعتبرها المؤرخون الجدّ الأقرب للآلة البخارية ، وتتكون هذه المضخة من «ماسورتين» متقابلتين ، فى كل منهما زراع

(٤) المرجع السابق .

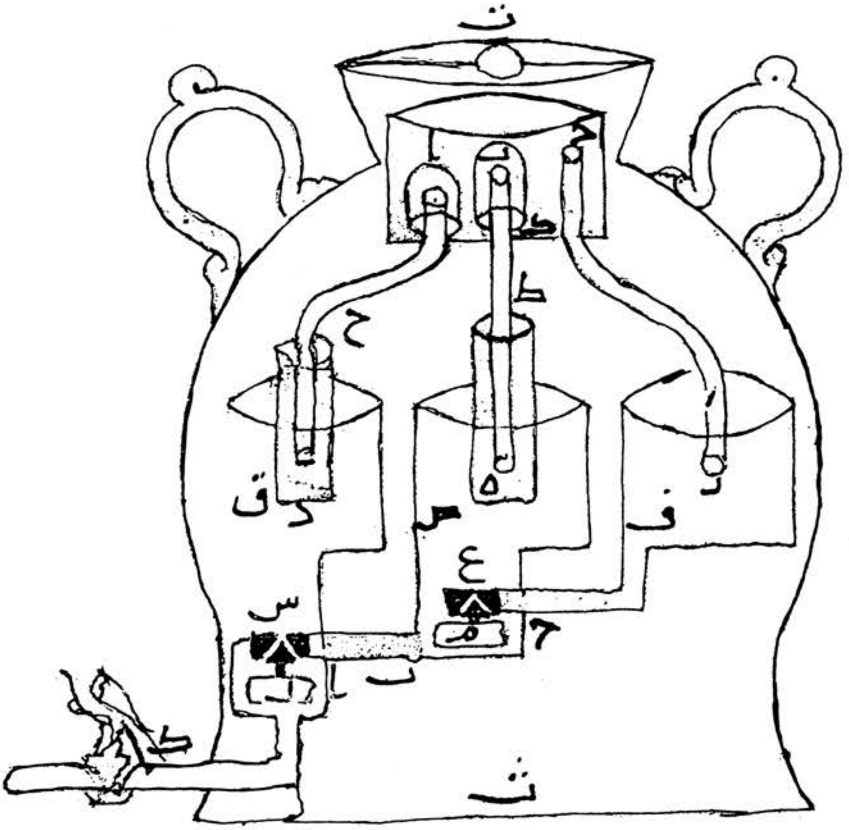

الشكل الثالث والاربعون عن مخطوط كتاب « الحيل » لبنى موسى ابن شاكر

عمل جرة نصب فيها ألوان من الرطوبات ، لون بعد لون ، من ثقب واحد من رأس الجرة فلا تختلط ، وللجرة « بثيون » (صمام أو حنفية) ، فإذا فتح ذلك البثيون خرج اللون الذى صببته أولا ، ثم يتبعه الثانى إذا فنى ، فإذا فنى الثانى يتبعه الثالث ، وكذلك لايزال حتى ينفذ جميع الألوان .

يحمل مكبساً أسطوانيا . فإذا كانت إحدى الماسورتين فى حالة ضغط (أوْ كبْس) فإن الثانية تكون فى حالة سحب (أو شفْط) . ولتأمين هذه الحركة المتقابلة المتضادة يوجد قرص دائرى مسنَّن قد ثبّت فيه كل من الذراعين بعيداً عن المركز .

ويدار هذا القرص بواسطة تروس متصلة بعامود الحركة المركزى . وهناك ثلاثة صمامات على كل مضخة تسمح بحركة المياه فى اتجاه واحد من أسفل إلى أعلى ، ولا تسمح بعودتها فى الاتجاه العكسى(٥) .

(٥) دونالدهيل ، ترجمة كتاب « الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل » للجزرى ، نشر دوردرشت ـ ديدل ١٩٧٩م .

ومضخة الجزرى : عبارة عن آلة من المعدن تدار بقوة الريح أو بواسطة حيوان يدور بحركة دائرية ، وكان الهدف منها أن ترفع المياه من الآبار العميقة إلى سطح الأرض ، وكذلك كانت تستعمل فى رفع المياه من منسوب النهر إذا كان منخفضا إلى الأماكن العليا مثل جبل المقطم فى مصر . وقد جاء فى المراجع أنها تستطيع ضخ الماء إلى أن يبلغ حوالى عشرة أمتار . وتنصب المضخة فوق سطح الماء مباشرة بحيث يكون عمود الشفط مغمورا فيه(٦) .

أحمد المرادى :

منذ نحو عشرين عاما فقط اكتشف فى مكتبة « لورنسيين » بفلورنسا كتاب فى الحيل النافعة بعنوان « الأسرار فى نتائج الأفكار » يعود إلى العصر العربى الأسبانى ، ويحوى أجزاء هامة حول الطواحين والمكابس المائية . ويشرح (٣١) نوعا من الآلات الميكانيكية وساعة شمسية متطورة جدا .

يقول « جوان فيرنيه » J. Vernet أستاذ تاريخ العلوم العربية بجامعة برشلونة حالياً : « لقد تأكدت نسبة كتاب « الأسرار فى نتائج الأفكار » للمؤلف العربى الأسبانى أحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)(٧) . ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التى صورها كتاب المرادى « منصة آلية » فى جامع قرطبة الكبير تنفتح من تلقاء نفسها ، وتتيح تناول نسخة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى ، وهذه المنصة موضوعة على رفّ متحرك بواسطة سيور وآليات خافية عن الأنظار . وفى موضع آخر يقدم المرادى شرحاً وافياً لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق ، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آليّاً عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها .

تقى الدين الدمشقى :

هناك إلى جانب بنى موسى والجزرى والمرادى الباحث الإسلامى تقى الدين بن معروف الراصد الدمشقى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) صاحب كتاب « الطرق السنية فى الآلات الروحانية » ، وفيه وصف العديد من الأجهزة الميكانيكية مثل : الساعات المائية والآلية والرملية ، والروافع بالبكرات والتروس (المسنَّنات) ، والنافورات المائية ، وآلات الدوران باستعمال العنفات (المراوح) البخارية التى نعرفها اليوم(٨) .

ولايزال الموضوع متصلا فى العدد القادم إن شاء الله .

(٦) محمد عبدالقادر الفقى ، المسلمون وعلم الحيل ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٩٨ ، شوال ١٤٠٩هـ - مايو ١٩٨٩م ، ص ٨٠ .

(٧) جوان فيرنيه ، الإنجازات الميكانيكية فى الغرب الإسلامى ، مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، الكويت ، أكتوبر - نوفمبر (مجلد ١٠) ١٩٩٤ . وكان « دونالدهيل » قد نشر مقالا عن كتاب المرادى فى مجلة تاريخ العلوم العربية ، عدد ١ (١٩٧٧) ، ص ٣٣ - ٤٤ .

(٨) أحمد يوسف الحسن ، تقى الدين والهندسة الميكانيكية مع كتاب « الطرق السنية فى الآلات الروحانية » من القرن السادس عشر ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمى العربى ١٩٧٦م .

الشكل الأول عن مخطوطة كتاب «الحيل» لبنى موسى بن شاكر عمل كأس يصب فيه مقدار من الشراب أو الماء ، فإن زيد عليه زيادة بقدر مثقال من الشراب أو الماء خرج كل شيء فيه .

الزلازل

بين القدرة والعبرة

بقلم الأستاذ : عادل رناعى خفاجة

يقول الله ـ تبارك وتعالى :

« وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » الاسراء : ٥٩

ويقول الرسول ﷺ :

لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن . ويكثر الهرج ــ وهو القتل ــ وحتى يكثر فيكم المال فيفيض »[١] .

وزلزلت المدينة أيام عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ؛ فقام فخطبهم ووعظهم وقال : لئن عادت لأساكنكم فيها[٢] .

والزلزلة من آيات الله ــ سبحانه ــ يبعث بها تخويفا لعباده ، فمنهم : من يثوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الإيمان ، ومنهم : من يبقى على غيه ، فقد أتاه من الله البلاغ .

والزلازل ــ كغيرها من آيات الله ــ تحمل الرحمة كما تحمل البأس ، وكفى المؤمنين الذين يموتون بسبب الزلازل تحت الهدم أنهم ينالون الشهادة ؛ لقول الرسول ﷺ : « الشهداء خمسة : المطعون والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل الله »[٣] .

ماذا فى داخل الأرض ؟

يذهب بعض العلماء إلى أن كوكبنا الأرضى عندما بدأ يتكون فى حالته الأولى كان فى حالة شبه غازية ، وكانت درجة حرارته تبلغ ملايين الدرجات المئوية ، وقد أدى الدوران الشديد ، واجتماع الذرات والانشطار للعناصر المشعة ، وغير ذلك من عوامل إلى غوص العناصر الثقيلة مثل : الحديد والنيكل إلى باطن الأرض بينما طفت المواد الصخرية الى أعلى .

وقد قسم العلماء الأرض من الباطن حتى السطح إلى عدة نطاقات أساسية هى[٤] .

١ ـ اللب : ويبلغ نصف قطره ١٢١٦ كم .

---

(١) رواه البخارى (١٠٣٦) ، بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٢١/١ .

(٣) أورده ابن حجر : فتح البارى ٣٤٨/٦ .

(٤) ا . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال فى ظاهرة الزلزال ص ٢١ : ٢٢ هدية مجلة الازهر رجب ١٤١٣ هـ .

٢ ـ القــلـب الخارجــى : ويبلــغ سمكــه ٢٢٧٠ كم .
٣ ـ الوشاح : ويبلغ سمكه ٢٢٨٥ كم .
٤ ـ القشرة الأرضية : ويبلغ متوسط سمكها ٥ كم تحت المحيطات ويزيد عن ٦٠ كم فى بعض المناطق الجبلية .

وبغض النظر عن التفاصيل الدقيقة التى جاءت بها توقعات العلماء ؛ فإن تلك القشرة الأرضية التى تشكل جزءاً يسيراً من الأرض تبقى هى الأهم لكونها المرآة التى تعكس لنا ما يحدث فى باطن الأرض ، وكذلك لتأثر الإنسان مباشرة بما يحدث لها .

ومن هنا تبرز أهمية الحديث عن نظرية الصفائح التكتونية[٥] ، وتقضى هذه النظرية بأن الغلاف الصخرى الخارجى للأرض « الليثوسفير » قد تفتق إلى عدة قطع رقيقة منفردة تكون ألواحا (أو صفائح) سمكها يصل الى حوالى (١٠٠ كم) وتتحرك هذه الصفائح بالنسبة لبعضها البعض بمعدل بطىء فى حدود سنتيمترات قليلة كل عام[٦] .

وأن « هناك علاقة وثيقة ومباشرة بين حواف الصفائح وحدوث الزلازل[٧] .

وأن هذه الصفائح تستمد الطاقة اللازمة لحركتها من الفرق الكبير بين حرارة **الغلاف الصخرى** وحرارة باطن الأرض ؛ حيث « من الثابت عمليا وتاريخيا أن مواد الأرض سوف تستمر فى الحركة طالما بقيت الحرارة فى الأعماق أكثر ارتفاعا عما هى عليه عند السطح »[٨] .

ونتيجة لهذه الحركة البطيئة لتلك الصفائح « تنحنى الصخور ببطء شديد وتختزن طاقة مرنة على غرار ما يحدث لعمود من الخشب عند ثَنْيه بضبط وبزيادة القوى الحركية يزداد توتر الصخور وانفعالها إلى أن تصل الى حد الكسر ، ويحدث الانـزلاق فى أضعف المناطق وهى البــؤرة (FOCUS) وتؤثر الإزاحة الناشئة على امتداد الصدع ، حيث يقع انزلاق إضافى إلى أن يتم تحرر كل الطاقة المختزنة ويسمح الانـزلاق بعودة الصخور إلى وضعها الأصلى بدون انحناء نظرا لمرونتها ؛ وعندئذ يحدث الزلزال »[٩] .

وهذه الآلية تشبه إلى حد كبير عملية قطع سلك زنبركى معلق من أحد طرفيه ، فكما أن عملية القطع تتم فى لحظة ويستمر السلك المعلق بعدها فى حالة تذبذب لعدة ثوان أو لمدة دقيقة كذلك الكسر الذى يصيب الصخر » .

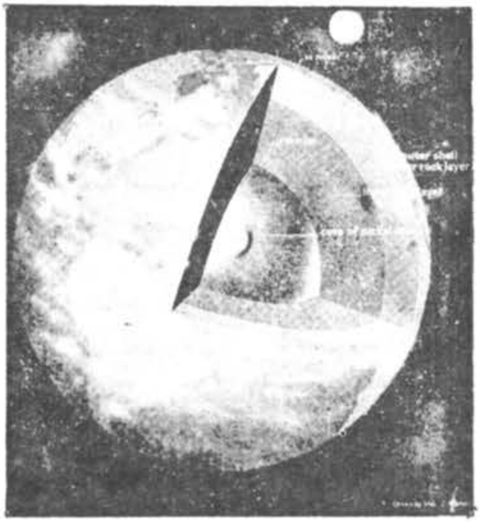

صورة تخيلية للكرة الأرضية ونواتها التى تتكون من حديد ونيكل

(٥) أى الألواح الحركية .
(٦) أ . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال ص ٢٦ .
(٧) المرجع السابق ص ٣٠ .
(٨) المرجع السابق ص ٣٤ .
(٩)المرجع السابق ص ٤٠ .

المرجفة(*) أو جهاز رصد الزلازل :

المرجفة (SEISMOGRAPH) فى أبسط صورها عبارة عن كتلة معلقة فى حامل مثبت بالأرض ، وعندما تصل الاهتزازات الزلزالية إليها فإن القصور الذاتى للكتلة يعمل على إبقائها ساكنة ، بينما تتحرك الأرضى مع الحامل ، ويتم تسجيل حركة الأرضى بالنسبة للكتلة على قرص دوار أو على شريط ممغنط يدور آليا .

شدة الزلازل :

فى سنة (١٩٠٢ م) استحدث العالم ميركللى MERCALI مقياسا لشدة الزلازل يعتمد على حجم الدمار الذى يلحق بالمبانى والمنشآت ، ويقسم إلى ١٢ درجة ، ويؤخذ على ذلك المقياس دخول عوامل أخرى مؤثرة فى حجم الدمار مثل : جودة تصميم المبانى ، وطبيعة الطبقة السطحية لقشرة الأرض فى منطقة الزلزال .

وفى سنة (١٩٣٥) وضع تشارلز ريختر RICHTAR مقياسا يعتمد على قوة الزلزال . ويؤخذ على هذا المقياس أنه لا يفرق بين الزلازل المتقاربة فى القوة ؛ حيث إن زيادة وحدة واحدة على هذا المقياس يقابلها زيادة فى الطاقة الزلزالية المحررة قدرها حوالى ٣٠ (ثلاثين ضعفا) وزيادة وحدتين يقابلها زيادة فى الطاقة المحررة قدرها (تسعمائة ضعف)[١٠] .

ثم كان مقياس موسكو/براغ سنة ٦٢ تعديلا لمقياس ريختر ثم جاء تعديل العَالِمَيْن « وودوم » و « نيومين » فأوجدا مقياس « ميركالى المعدل » المعروف برمز (M.M.) ، ثم تلا ذلك تعديل بواسطة العلماء « ميدفديف » و « شبونهوير » و « كارنبك » فجاءوا بمقياس جديد معدل هو (M.S.K-64) (*) .

وتعرض ذلك المقياس لتحسينات متتالية حتى سنة ١٩٧٣ وهذا الأخير يستعمل فى دول الاتحاد السوفيتى السابق .

توقع الزلازل :

إن العلم البشرى لم يستطع حتى الآن أن يقول شيئا محددا بشأن التحديد الدقيق لزمان ومكان حدوث الزلازل سلفا ؛ إذ أن كل الدراسات التى يجريها الباحثون على العمليات والتراكيب الداخلية لا تزال تعتمد على الأرصاد غير المباشرة . وعندما نقارن جهد الإنسان المبذول لسبر أعماق الأرض عن طريق الحفر مقارنة بما أنجزه فى مجال ارتياد الفضاء ، نجد أنه لم يتمكن إلا من حفر عدة كيلو مترات حتى الآن[١١] .

ويذهب الدكتور شاهر جمال آغا[١٢] إلى أن علماء الزلازل فى الصين قد تمكنوا من التنبؤ بوقوع العديد من الزلازل مما قلل كثيرا من آثارها التدميرية .

وخير مثال على ذلك هو ما جرى فى نهاية عام ١٩٧٣ عندما تجمعت معلومات تشير إلى وجود

★ تتميز كتابات ا د . أحمد فؤاد باشا بتطويع الكثير من المصطلحات الاجنبية إلى مصطلحات عربية معبرة لفظا ومعنى ، ومنها هذا المصطلح .

(١٠) ا . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال فى ظاهرة الزلزال ص ٦ .

★ الأحرف تشير إلى أسماء العلماء والرقم إلى السنة .

(١١) ا . د أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٢) د . شاهر جمال آغا : الزلازل حقيقتها وآثارها ص ١٢٥ وما بعدها ، عالم المعرفة .

مظاهر طبيعية غير مطمئنة . إذ لوحظ تبدل مستوى المياه الباطنية فى الآبار وارتفاع وانخفاض فى خط الشاطىء فى شبه جزيرة « لياودون » وظهرت تذبذبات واضحة فى الساحة المغناطيسية ، وهكذا تم فى مطلع عام ١٩٧٤ تحديد المناطق المرشحة لوقوع الهزات الأرضية ، وقد شملت هذه المناطق مدنا مهمة مثل : « انيكوى » و « هايجيين » وفى ١ ، ٢ فبراير ١٩٧٤ لاحظ مراقبو أجهزة الزلازل ــ مرة ثانية ــ وجود الكثير من الهزات الأرضية الخفيفة ، وقرروا أنها طلائع لهزات أرضية قوية مدمرة قريبة الحدوث . وبالفعل فى منتصف اليوم الرابع من فبراير لوحظ اندفاع أعداد كبيرة من الحيات من باطن الأرض الى الحقول الباردة المغطاة بالثلوج ونتيجة لذلك أعلن الاستعداد العام .. وفى الساعة السابعة و ٣٦ دقيقة مساء ، انطلق الزلزال من عقاله وكان قويا بلغ مقداره (٧,٣) وبلغت شدته فى منطقة البؤرة السطحية عشر نقاط . وهدم من أكثر الأماكن تضررا ٩٠٪ من البيوت والمنازل ، وتضررت السدود والجسور والطرق ، إلا إن الوفيات كانت محدوده نسبيا ، ولم تزد عن بضع مئات ، ولولا توقع الزلزال لبلغ القتلى الآلاف بسبب كثافة السكان العالية .

إلا أن د . شاهر جمال آغا يَكرُّ على هذا الرأى حين يقول : إنها تجربة ناجحة لعلماء الصين ، ولكن علينا ألا نتفاءل كثيرا وألا نسبق الأمور .. ثم يذكر عددا من الإخفاقات التى منى بها العلماء وأدت إلى كوارث حقيقية .

وأخرى أعلنوا فيها توقع حدوث زلازل مدمرة ، وأطلقت صفارات الإنذار وأخليت الدور ولم تقع زلازل ذات معنى ، بل هزات ضعيفة(١٣) .

ويشير ا . د . أحمد فؤاد باشا إلى مثل هذه التوقعات بأنها رمية من غير رام ، وأن كثيرا ما حدثت فى الصين تحذيرات خاطئة من زلازل لم تحدث ، وأصبح الناس يقارنون بين أعباء إخلاء المساكن لمدة قد تزيد على شهر أو شهرين ، وبين الاحتمال المنتظر لوقوع زلزال قد يأتى وقد لا يأتى(١٤) .

ويقول د . فاروق الباز : « إن التوقعات والتنبؤ بالزلازل ما زال من الناحية العلمية بسيط جدا ولا نستطيع أن نتنبأ بوقوع الزلزال ١٠٠٪ ونحمى الناس منه ، وما زال العلم فى هذا المجال لا يسمح بذلك »(١٥) .

ويقول خبير الزلازل الأمريكى « والتر هايز » إنه لا يمكن حتى الآن التكهن بوقت وحجم ومكان زلزال وشيك الحدوث »(١٦) .

ويقول (فردريك هـ . بو) عالم الجيولوجيا الأمريكى : « من الحكمة أن نتخذ الاستعدادات لمواجهة الزلازل بدلا من أن نقول : إنها لا يمكن أن تقع لدينا »(١٧) .

التأثر بالزلزال فى المناطق الرخوة :

وجد فى زلزال سان فرانسيسكو المشهور الــذى حدث عام (١٩٠٦) أن المبــانى

(١٣) د . شاهر جمال آغا : الزلازل حقيقتها وآثارها ص ١٤٠ ـ ١٤٢ عالم المعرفة .
(١٤) ا . د احمد فؤاد باشا : فصل المقال ص ٦٤ .
(١٥) الزلازل : دراسات علمية وشرعية ــ جماعة أنصار السنة نقلا عن جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٨ .
(١٦) ، (١٧) المرجع السابق ص ٢٦ نقلا عن البراكين والزلازل ص ١٢٤ .

والمؤسسات القريبة من خليج (سان فرانسيسكو) - حيث الأرض الملاصقة للبحر رخوة - كانت أكثر الجهات خسائر فى الأرواح والممتلكات ، وقد قدرت الخسائر بملايين الدولارات فى ذلك الوقت وكذلك الحال فى (زلزال مسينا) فقد تبين أن المناطق القريبة من الساحل قد تأثرت أكثر من المناطق المرتفعة ذات التربة الصلبة البعيدة عن الساحل .

وتوضيحا لذلك نسوق هذه التجربة المعملية : فعندما نحضر كوبا نملؤه بالشمع السائل ، ونتركه حتى يتجمد ، ونملاء كوبا آخر بسائل (هلامى) مثل : « الجيلى » ثم نضع ورقة على سطح كل من الشمع و « الجيلى » ثم مكعبات متساوية صغيرة الحجم نضعها فوق بعضها البعض على هيئة رأسية ، ثم نحدث ضربة واحدة على حافة الكوب من أعلى فى محاذاة الورقة ، نجد أن المكعبات تتساقط بسرعة ، وبسهولة فى الكوب المملوء بسائل « الجيلى » فى حين أنها تهتز فقط فى الكوب المملوء بالشمع المتجمد ، مما يدل بوضوح على أن الأرض الصلبة تتحمل الموجات الزلزالية ، بعكس الأرض اللينة التى تهتز وتفقد توازنها فتسبب خسائر وأضرارا أكبر(١٨) .

البقع الشمسية :

البقع الشمسية عبارة عن نقط صغيرة أو كبيرة قاتمة تبدو على سطح الشمس اللامع ، من حين لآخر وقد لاحظ العلماء هذه الظاهرة ، وعكفوا على دراستها لما لها من علاقة بالظواهر الطبيعية على سطح الأرض ، وبعض هذه البقع يستمر أسابيع وبعضها لا يتعدى يوما واحدا .

وقد لوحظ عام ١٨٥٨ م أن هناك بقعة شمسية يبلغ قطرها ١٤٣ ألف ميل ، أى أنها أكبر من قطر الأرضى بـ ١٨٠ مرة »(١٩) .

ويقول الأستاذ محمد على المغربى : « لقد لاحظت عدة حوادث ومظاهر حدثت بالفعل بعد رؤيتى للبقع الشمسية بثلاثة أيام أو أكثر ، وهنا يصح أن أذكر بعض ما لاحظته فى خلال المدة بين أعوام ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ حتى عام ١٩٥٠ . فعندما حدثت بقع شمسية يوم ٢٥ سبتمبر ٤٦ - حسب ما جاء فى بيان إذاعة مرصد جبل ولسون المشهور بأمريكا - انقطعت المواصلات اللاسلكية والتلغرافية فى الولايات المتحدة ، وثار يوم ١ أكتوبر سنة ٤٦ بركان « سترمبولى » .. ثم جاء يوم ٢ أكتوبر فحدث زلزال قرب جزيرة كريت وعلى بعد نحو ٦٤٠ كم شمالى غرب مرصد حلوان » .

ثم يوالى الاستاذ محمد المغربى سرد عدد من هذه الملاحظات فى كثير من البلدان ؛ ليثبت تلك العلاقة بين البقع الشمسية والظواهر الطبيعية على سطح الأرض .

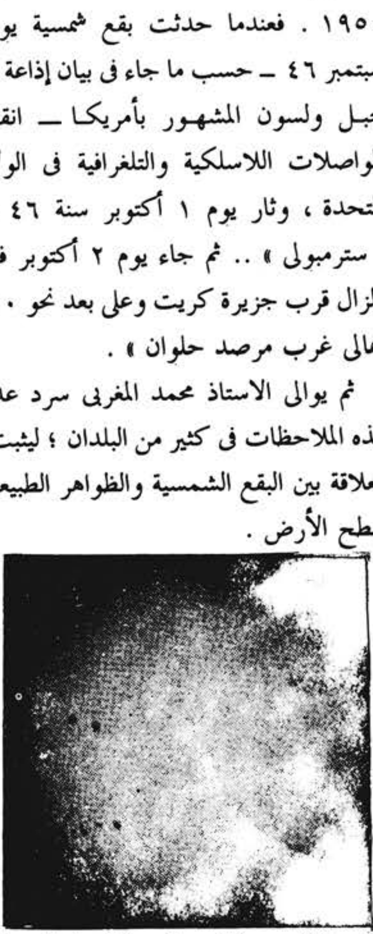

البقع الشمسية عندما حدثت فى ٣٠ يوليو ١٩٤٦

(١٨) محمد على المغربى : الهزات الزلزالية ص ٣٢ دار المعارف سلسلة اقرأ ١٩١ .

(١٩) محمد على المغربى : الهزات الأرضية ص ١٠٠ ، ص ١٠١ .

فوائد الزلازل :

فى وسط هذا الكم الهائل من الفزع الذى تحدثه الزلازل ، يخرج علينا علماء الطبيعة مبشرين بأنه « يجب ألا تنسينا أهوال الزلازل الفوائد العظمى التى جنتها البشرية من دراسة خواص الموجات الزلزالية والإفادة منها فى سبر أغوار الأرض ، ومعرفة تركيبها ونطاقاتها الداخلية والكشف عن خيراتها وثرواتها ؛ بل إن الإنسان لجأ إلى إجراء التفجيرات النووية فى باطن الأرض ؛ لتكون بمثابة زلازل صناعية معلومة الزمان والمكان يستدل بموجاتها على طبيعة الصخور والطبقات المكونة لمادة الكرة الأرضية . ويكفى أن نشير إلى أن أجهزة رصد الموجات الزلزالية « السِّيزموجراف » أصبحت من أهم وسائل الكشف عن اختيار أنسب الأماكن للتنقيب عن البترول فى جوف الأرض »[٢٠] .

ما يجب عمله تجاه الزلازل :

تنشأ معظم الخسائر من سقوط الأجسام الثقيلة والصلبة ، ونشوب الحرائق ، وتصرفات الناس الطائشة . ولذا فيمكن تحديد الإجراءات الوقائية على النحو التالى :

أولا : قبل الزلزال :

١ ــ فى العمل : يجب أن تتوفر فى كل مؤسسة خطة طوارىء لمواجهة الزلازل ، ومايجب على الأفراد اتباعه ..

٢ ــ فى البيت : يجب مراقبة أوضاع الأجهزة الكهربائية ووسائط نقل الطاقة والغاز ، ويجب أن يعرف كل أفراد المسكن أين موقع مفاتيح الغاز والكهرباء لإمكان إغلاقها عند الحاجة .

ثانيا : أثناء الزلزال :

يجب التحلى بر باطة الجأش ، ويجب التجمع فى صالونات المنزل ، أو قرب الركائز الأسمنتية القوية ويجب الابتعاد عن الأبواب والنوافذ ، وعند الخروج من المنزل يجب الهبوط على الدرج وليس بواسطة المصاعــد ، ويحذر ــ بل ويحرم ــ استعمال الثقاب أو الشموع أثناء الزلزال ؛ لأنها قد تسبب حرائق بسبب الغاز المتسرب ، وفى الشوارع يجب اللجوء الى الأماكن المكشوفة .

٣ ــ بعد الزلزال :

يجب عدم إعطاء الناس أى معلومات مصدرها التخيل أو التنبؤ ، بل يجب مراعاة النشرات والتعليمات الرسمية .

وبعد ، فهذا تصور العلماء حول الزلازل ، وأسبابها وما يجب اتخاذه من إجراءات لتوقيها ، برغم أن أكثر تصور العلماء فى هذا الأمر ــ كما رأينا ــ محض توقع وتخيل لم يصل إلى مرحلة اليقين العلمى .

ويبقى يقين المؤمن : يقينه بما جاء فى قرآنه ، يقينه أن حال المؤمن كله خير ، حتى الشوكة يشاكها له بها صدقة ، فما بالنا بزلزلة ؟! إن مرَّت عليه وخرج سالما حمد الله فنال ثواب الحمد ، وإن مات تحت الهدم مات شهيدا فلقى الله ــ سبحانه وتعالى ــ على خير ما يلقى العبدُ ربه ــ جل وعلا .

(٢٠) ا د . أحمد فؤاد باشا : فصل المقال فى ظاهرة الزلزال .

من أمراض الطفولة

أنيميا البحر المتوسط

للدكتورة/ جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا فى مقالينا السابقين ، عن ماهية وأعراض ومضاعفات مرض أنيميا البحر المتوسط ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض ، بإلقاء الضوء على وسائل تشخيص ، وطرق علاج هذا المرض .

تتلخص طرق تشخيصه فى الآتى :

(١) القيام بعمل صورة دم كاملة : Complete Blood Picture

ويتجلى فيها الآتى :

* قلة عدد كرات الدم الحمراء ، ونسبة الهيموجلوبين وتكون خلايا الدم الحمراء صغيرة الحجم ، ومحتوية على نسبة قليلة من الهيموجلوبين : **Hypochromic Microcytic** وتكون الخلايا متباينة الحجم : **Anisocytosis** .

* فى حالة زيادة نشاط الطحال تقل نسبة كرات الدم البيضاء والصفائح الدموية ، أما فى حالات إصابة الطفل بأحد الالتهابات الحادة ، قد تزداد نسبة كرات الدم البيضاء .

* فى حالة إصابة الطفل المريض بأحد نوبات تكسُّر الدم قد تزداد نسبة الخلايا الشبكية : « **Reticulocutes** » عن معدلها الطبيعى .

(٢) زيادة نسبة الحديد فى مصل الطفل ، وأيضاً قد تزداد نسْبة البيليروبين ، غير المباشر ، فى مصل الطفل فى حالة زيادة تحلل كرات الدم الحمراء .

(٣) القيام بعمل التحليل الكهربائى للهيموجلوبين : **Haemoglobin Electropheresis**

للتعرف على نوع الهيموجلوبين ، وهو أهم تحليل يُجرى لتشخيص هذا المرض ، حيث تزداد نسبة الهيموجلوبين «ف» ، عن معدله الطبيعى ، (حيث إنه من المفترض ألا يزيد عن ٢٪ من الهيموجلوبين الكلى للطفل ، بعد عامه الثانى ، (كما سبق أن ذكرنا) وتقل نسبة الهيموجلوبين « أ » (حيث إنه من المفترض أن

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

تتـــراوح نسبتـــــه بين ٩٥٪ إلى ٩٧٪ من الهيموجلوبين الكلى للطفل بعد عامه الثانى) .

(٤) القيام بعمل أشعة عادية على رأس الطفل وأطرافه ، حيث تظهر بها تغيرات ، نظراً لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وبالتالى تَمُّدد النخاع العظمى ، نظراً لزيادة نشاطه ، للقيام بتعويض كرات الدم الحمراء المتكسرة ، وقد يتجلى بهذه الأشعة وجود كسور عظمية .

(٥) القيـام بعمـل تحاليـل وأشعـة لتشخـــيص مضاعفات المرض مثل :

* القيام بعمل أشعة بالموجات فوق الصوتية على بطن الطفل **Abdominal Sonar** فى حالة إصابـة الطفل بالحصوات المراريـة **Gall Stones** ، نظـراً لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء .

* القيام بعمل وظائف للكلى (نسبـة البولينـا والكرياتينين) فى مصل الطفل وكذا وظائـف الكبد (نسبة البيليروبين وإنزيمات الكبد) فى حالة إصابتهم بالمضاعفات .

* القيام بعمل أشعة على صدر الطفل **Chest X-ray** فى حالـة إصابـة الطفـــل بالالتهاب الرئـــوى **Bronchopneumonia** وأيضاً القيـام بعمـل رسم للقـلب **Electro Cardiogram(E.C.G)** فى حالـة إصابة القلب بالالتهاب أو حدوث التهاب فى غشاء القلب **Pericarditis** أو حدوث هبوط فى القلب .

● طرق علاج مرض أنيميـــا البحـــر المتوسط

تتلخص أهم طرق العلاج فى الآتى :

١ ـ القيام بنقل دم للطفل المصاب (كرات دم حمراء) **Blood Transfusion** بصورة دورية ويتم هذا بإحدى طرق ثلاثة وتشمل :

أ ـ إعطاء دم للطفـل المريض إذا قلت نسبـة الهيموجلوبين عن (١٠ جم ٪) حتى لا تقل عن هذه النسبة **Hyper Transfusion** وهى (الطريقة الإنجليزية) . **English School** .

ب ـ إعطاء دم للطفل المريض إذا قلت نسبة الهيموجلوبين عن (١٢ جم ٪) حتى لا تتدنى النسبة عن ذلك **Super Transfusion** وهذه هى (الطريقة الأمريكية) . **American School** .

وهاتان الطريقتان تتميزان بالآتى :

* استطاعة الطفل القيام بنشاطاته الطبيعية

* قلة تمُّدد النخاع العظمى للطفل وبالتالى قلة حدوث التـغيرات العظميـة للطفـل ، وإصابتـه بالكسور العظمية .

* عدم حدوث تضخم شديد للطحال ، وبالتالى قلة معدل تكسر خلايا الدم .

ولكنَّ هاتين الطريقتين المتبعتين لنقل الـدم لا تخلوان من العيوب ، حيث إن زيادة الـدم المنقولة ، تؤدى إلى زيادة نسبة الحديد فى مصل الطفل ، وبالتالى ترسُّبه فى أجهزة الجسم المختلفة وحدوث المضاعفات .

ج ـ إعطـــاء دم للطفـــل إذا كانت نسبـــة الهيموجلوبين أقل من (٦ جم٪) ، بحيث لا تقل نسبته عن هذا المعدل ، وهذه الطريقة تقلل من نسبة الحديد ، فى مصل الطفل ، وبالتالى من معدل ترسُّبه فى أجهزة جسم الطفل ، ولكن الطفل يكون محدود النشاط ، متأخر النمو ، كما يزداد تمُّدد النخاع العظمـى ، وبالتـالى يزداد حدوث التغيرات العظمية ، وأيضاً يزداد تضخم الطحال ، وزيادة نشاطه ، وبالتالى تكسر خلايا الدم .

(٢) منع ترسب الحديد فى أجهزة جسم الطفل المختلفة **Haemosiderosis** .

ويتم هذا عن طريق الآتى :

أ ـ قلة تناول الطعام الغنى بالحديد مثل (الموز ، الإسفاناخ ، التفاح ، اللحم الأحمر) ، مع تناول المواد التى تعوق امتصاص الحديد مثل : الحبوب المختلفة **Cereals** والشاى .

ب ـ إعطاء المواد التى تتحد مع الحديد ، وبالتالى تمنع ترسُّبه فى أجهزة الجسم **Iron Chelators** وهى تشمل :

* المواد التى تعطى عن طريق الفم **Oral Chelators** :

ويجب إعطاء الطفل الكالسيوم فى شكل دوائى ؛ لأنه يقلل من نسبته فى مصل الطفل .

* المواد التى تعطى عن طريق الحقن تحت الجلد :

مثل عقار الديسفيروكسامين (الديسفرال) **Desferoxamine (Desferal)** وهو يعطى تحت الجلد على مدى ٨ ـ ١٢ ساعة لمدة (٥ إلى ٦ أيام متتالية إسبوعياً بواسطة مضخة صغيرة خاصة أثناء نوم الطفل ، وأهم الأعراض الجانبية له هو حدوث خلل فى مقدرة الطفل السمعية **Deafness** وحدوث ترسبات فى عين الطفل **Occular Deposits** .

(٣) استئصال طحال الطفل جراحياً :

ويتم هذا فى حالة زيادة نشاط الطحال ويتجلى هذا من الآتى :

● تضخم الطحال بشدة مسبباً ألماً بالبطن وصعوبة فى التنفس .

● حدوث تكسر شديد فى كرات الدم الحمراء يحتاج معه المريض إلى نقل الدم أكثر من (٢٤٠ مللى لتر من كرات الدم الحمراء لكل كيلو جرام من وزنه سنوياً) .

ويستحسن أن يتم هذا عند العام الخامس من عمر الطفل ؛ لمنع حدوث الالتهابات المتكررة الشديدة التى تنجم عن استئصال الطحال (كما سبق وذكرنا) وليس بعد هذا الوقت لمنع حدوث الحصوات المرارية المتكررة الناجمة عن زيادة تكسر خلايا الدم الحمراء وكذلك لمنع زيادة نسبة الحديد فى مصل الطفل وبالتالى ترسبه فى أجهزة الجسم وحدوث المضاعفات .

* **مضاعفات استئصال الطحال :**

● إصابة االطفل بالالتهابات المتكررة **Recurrent Infections** خصوصاً بالميكروبات ذات المحفظة **Capsule** نظراً لقلة مادة الأوبسونين **Opsonin** التى يفرزها الطحال وتساعد فى عملية التهام تلك البكتيريا ، ويتم إعطاء الطفل المصل المناسب لوقايته من الإصابة بالبكتريا المكورة الرئوية « **Pneumovax** » والمصل الواق من الإصابة بالالتهاب الكبدى «ب» **Hepatitis Bvaccine** .

● زيادة نسبة الصفائح الدموية : **Thrombocytosis** ويؤدى هذا إلى حدوث انسداد فى الأوعية الدموية **Thrombosis** وبالتالى حدوث جلطات متكررة .

(٤) إعطاء الطفل حامض الفوليك **Folic Acid** فى شكل دوائى بالقدر اللازم لعملية تصنيع كرات الدم الحمراء .

ومن الجدير بالذكر أن التطور العلمى المذهل واهتمام العلماء بهذا المرض والأبحاث المطردة أسفرت عن طرق علاجية جديدة لهذا المرض ومنها استخدام الهندسة الوراثية الجينية **Genetic Engineering** لتصحيح الخلل الجينى المؤدى للمرض ، والقيام بعملية زرع للنخاع العظمى **Bone Marrow Transplantation** للمرضى ، ولكن هذه العملية لها مخاطرها الكثيرة وتستخدم للمرضى الذين لديهم أشقاء أصحاء وبينهم ملائمة نسيجية

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... »

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد : د / نجوى السيد أحمد (*)

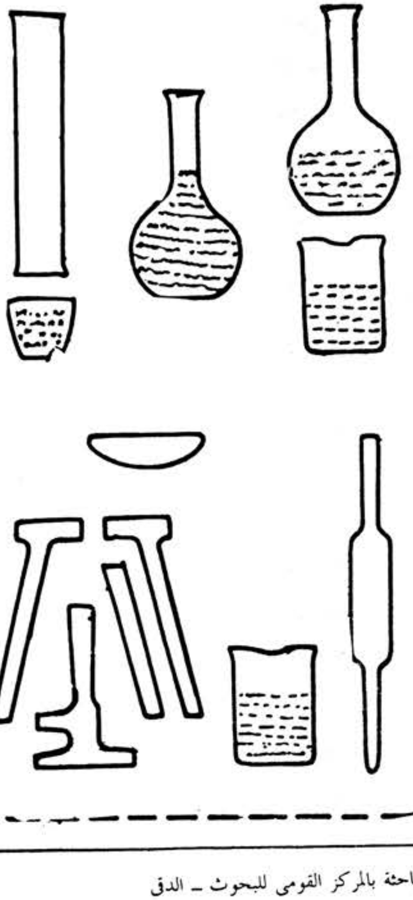

جهاز آلى لا تلحظه عين (الميكرورُوبُت)

أعلن مجموعة من الباحثين فى الولايات المتحدة الأمريكية النتائج الباهرة التى حصلوا عليها ، باستخدام أساليب التقنية المتقدمة فى إنتاج جهاز آلى ، لا تلحظه عين « الميكرورُوبت » ، وهو أدق من خيوط العنكبوت ، وبالرغم من هذه الدقة إلا أنه يضم قطعاً كثيرة من تروس وتوربينات ودوائر الكترونية وحاسبات الكترونية ، وهى مكونات تتطلب « ميكروسكوباً » الكترونياً لتحديد مواقعها ، ويمكن أن تقود هذه الآلات الدقيقة إلى تصميم وصناعة سفن فضائية ، لا يزيد طولها على ربع متر ، تؤدى مهامها العلمية والبحثية بدرجة أفضل وبدقة عالية ، كما يمكن « الميكرورُوبت » العلماء من تحقيق إنجازات باهرة فى أساليب وأدوات الجراحة وعلاج الأمراض .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

أصغر آلة تصوير لكشف اللصوص

طورت شركة انجليزية آلة تصوير صغيرة فى حجم ظفر الإبهام ، يمكن أن تتصل بأجهزة الإنذار فى البيوت والمحال والسيارات ، وعندما ينطلق جهاز الإنذار تبدأ آلة التصوير فى التقاط صور متعاقبة باستخدام « فلاش » خاص ، يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، وتنتقل هذه الصور عبر خط الهاتف إلى غرفة التحكم المركزى ، الأمر الذى يسمح لرجال الحراسة بالتأكد خلال ثوان من مدى صدق جهاز الإنذار ، وآلة التصوير الجديدة زهيدة التكلفة ، مقارنة بأنظمة المراقبة التى تستخدم « كاميرات الفيديو » المكلفة ، وبالرغم من صغر حجمها إلا أن صورها تظهر واضحة بدرجة كبيرة .

آلة حديثة لتنقية مياه البحر

انتجت إحدى الشركات الفرنسية آلة حديثة لمعالجة مياه البحر وتنقيتها وفصل قطيرات زيت البترول منها ، وكذلك تقليل نسبة الكربون بها إلى الحد المسموح به . وتحدث الآلة عند تشغيلها إعصاراً حلزونياً يسمى بالدوامات ، يؤدى إلى الإسراع من تفريق أجسام مختلفة الكثافة والوزن النسبى ، كلما اقتربنا من محور الإعصار ، حيث يمكن الحصول على قوى تفريق كبيرة ، تفوق آلة الطرد المركزى التقليدية ، كذلك تصلح هذه الآلة لفصل سائل من سائل ، أو سائل من صلب ، كما فى مجال الصناعات البترولية والميكانيكية والكيميائية وغيرها من الصناعات الأخرى .

جهاز جديد لتحويل الهاتف العادى إلى لاسلكى

الجهاز الجديد عبارة عن محول ومستقبل ، حيث يقوم المحول بتحويل نبضات الهاتف العادى إلى موجات (FM) ، يلتقطها المستقبل الموصول بالهاتف العادى ، ويمكن بواسطته أن ترسل وتتلقى المكالمات من أى ركن فى أنحاء بيتك ، دون الحاجة إلى مد أسلاك التليفون إلى الغرف ، أو تعدد أجهزة الهاتف فى المنزل ، وبذلك تعتبر أداة لحرية الحركة عند الاتصال ، وتوفير الكثير من النفقات .

جهاز الكبد الصناعية لإنقاذ مرضى الكبد

يتم الآن إجراء التجارب فى أحد المستشفيات فى انجلترا ، على استخدام جهاز الكبد الصناعية لانقاذ مرضى الكبد إلى أن يتم إجراء جراحة نقل الكبد لهم ، ويتكون الجهاز الجديد من مضخة صناعية ، تقوم بسحب دماء المرضى عبر أنبوب إلى عمود به خلايا كبدية بشرية حية ، تعمل كمرشح حيوى لتنقية دم المريض ، وتنظيف الدم من الكيماويات السامة ، ثم تقوم المضخة بعد ذلك بإعادة الدم المنقى إلى المريض ، ويعتبر هذا الجهاز فى مرحلة التطوير فى أجهزة الطب المستقبلى .

سفن الهواء الحديثة (المناطيد)

تستخدم الآن فى الولايات المتحدة واليابان وأوربا سفن الهواء الحديثة (المناطيد) ، التى تعمل بغاز الهيليوم الخامل داخل كبسولة من الألياف الصناعية الخفيفة ، ويتم توجيهها باستخدام معدات ملاحة متقدمة ، تتحكم فيها أجهزة « الكمبيوتر » ، وتنطلق بمحركات مروحية ، ولها القدرة على الصمود فى مكانها لساعات طويلة دون استهلاك طاقة ، ودون أى ضجيج على عكس طائرات « الهليكوبتر » ، وتستخدم سفن الهواء الحديثة فى مراقبة الاحتفالات الكبرى ، وفى الجولات السياحية .

خطورة التعرض للمجالات المغناطيسية

أجرى علماء مركز الصحة الهولندية دراسة على العاملين فى الحقول الكهربائية المغناطيسية للتوصل إلى تأثير هذه القوى عليهم ، وقد أجريت الدراسة على ٢٢٣ ألف عامل ، وأكدت الدراسة أن الذين يتعرضون لجرعات زائدة من الإشعاع المغناطيسى قد يصابون بسرطان الدم غير الليمفاوى ، والإصابة بورم الخلايا النجمية .

علبة جراحة لأمراض الفم لعملية واحدة

انتجت شركة طبية بشنغهاى علبة للأدوات الطبية لجراحة أمراض الفم ، وهى تستخدم لمرة واحدة فقط ، وتضم جهازاً للتكبير وكلاباً وإبرة استكشاف وطبقاً وفوطة وكوباً . وأثبتت التجارب على هذه العلبة المعقمة بصورة قوية جداً أنها تمنع العدوى ، كما توفر العمالة والتكاليف المادية التى يحتاجها تعقيم أدوات الجراحة بالطريقة العادية ، وبالتالى فهى تساعد على زيادة فاعلية العمل وسرعة إنجازه .

أحدث لوحة مفاتيح للحاسب الآلى

طورت شركة يابانية للالكترونيات لوحة مفاتيح للحاسب الآلى إلى طراز جديد خفيف الوزن صغير الحجم أبعاده ٣سم × ٨,٥سم × ١٤سم، وتتيح طباعة الحروف بيد واحدة بسهولة ، وتتميز لوحة المفاتيح المطورة بصغر حجمها ، الذى لا يشغل حيزاً كبيراً على المكتب ، وتعمل باللمس الخفيف بدون إرهاق للأصابع عند إدخال المعلومات للحاسب الآلى ، ويسهل استخدامه لمن ليس لديهم خبرة فى استعمال الحاسب الآلى .

جراحات مجسمة على الشاشة

فى أحد المستشفيات بالولايات المتحدة الأمريكية يتم إجراء الجراحات الدقيقة باستخدام نظارات ثلاثية الأبعاد ، يتم التحكم فيها الكترونياً بحيث يبدو النسيج الحى ومشرط الجراح مجسمين على الشاشة ، وتتنافس حالياً مجموعة من الشركات على إنتاج أنظمة الجراحة الثلاثية الأبعاد ، بعد موافقة وزارة الصحة الأمريكية ، وتستخدم هذه الأنظمة عدستين جنباً إلى جنب ، لإعطاء التأثير المجسم ، وبعضها يستخدم عدسة واحدة للحصول على العمق الوهمى .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

(٤)

بقلم عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

من مأساة كربلاء :

إيضاحاً لمزيد من الشواهد النحوية ودلالاتها الأدبية ، أعرض نموذجاً آخر من ذلك الأدب الرفيع ، الذى قدمه العلماء الأدباء فى تعليقاتهم وشروحهم لهذه الشواهد ، وهو حول شاهد من شواهد النحو فى موضوع « الاستغاثة » ، ذكره الإمام الرضى فى « الكافية » ، وعلَّق عليه البغدادى فى « خزانة الأدب » .

هذا الشاهد هو قول الشاعر : « عبيد الله ابن الحر الجُعْفى ، والجُعْفى - بضم الجيم وسكون العين - منسوب إلى جُعْفى بن سعد العشيرة بن مَذْحج ، وهو : مالك بن أدد بن زيد بن يشجب من بنى كهلان ، لقبيلة منها جماعة كبيرة من الصحابة والشعراء والعلماء وغيرهم ، يقول الشاعر[١] :

مع ابن المصطفى نفسى فداه
فيا لله من ألم الفراق

والشاهد هو عجز هذا البيت ، حيث أجاز النحويون أن يجر المستغاث بـ(من) بدلا من جره بـ (اللام) .

ومفهوم الاستغاثة عند علماء النحو أنها : نوع من النداء ، ينادى فيه من يعين على دفع شدة ، وأداة النداء (يا) لا غير يعقبها جر المستغاث به بلام مفتوحة ، ويجر المستغاث له بلام مكسورة كأن تقول : ياللقوىّ للضعيف ، ويا للحَاكِم

(١) عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للإمام الحافظ أبى بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمدانى ص٤١ .

العادل للمظلوم بفتح اللام الأولى وكسر الثانية فى المثالين .

وواضح أن الشاعر يستغيث فى بيته المذكور بالله ـ جل جلاله ـ على ألم فراق الحسين ـ رضى الله عنه ـ وذلك بعد أن اغتالته أيادى البطش والقهر والظلم فى معركة كربلاء الشهيرة ، فى العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد أن أبلى بلاء حسنا ، وضرب المثل الأعلى فى الشجاعة والتضحية والفداء .

الشاعر وحياته السياسية

وصاحب هذا البيت « عبيد الله بن الحر الجعفى » شاعر مغامـــر كانت له صولات وجولات ، ونترك للبغدادى فى « خزانة الأدب » يحدثنـــا عن بعض ذلك نقـــلا عن كتـــاب « اللصوص » الذى ألفه أبو سعيد حسن بن حسين السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ

قال السكرى فى كتابه المذكور بسنده الى أبى مخنف لوط ابن يحيى بن سعيد الأزدى : كان من حديث عبيد الله بن الحر أنه كان شهد القادسية مع خاليه : زهير ومرشد ابنى قيس بن مشجعة ، وكان شجاعا ، وكان لا يعطى للأمراء طاعة ، وحين ثار النزاع بين معاوية وعلى بن أبى طالب ـــ كرم الله وجهه ـــ صار إلى معاوية ، وكان معاوية يكرمه .

وكان عبيد الله صاحب إنفاق ، يستقبل فى داره إخوانه وأصدقاءه ، ويجتمع لديه كثير منهم ، وارتاب معاوية فى أمره فأرسل إليه ، فقال : يا ابن الحر ، ما هذه الجماعة التى بلغنى أنها ببابك ؟

فقال له ابن الحر : هؤلاء بطانتى أقيهم وأتقى بهم إن نابنى جور أمير .

فقال معاوية : لعلك يا ابن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك ، ونحو على بن أبى طالب ؟؟

فرد عليه ابن الحر قائلا : إن زعمت أن نفسى تطلعت إلى بلادى وإلى علىٍّ فإنى لجدير بذلك ، وإنه لقبيح بى الإقامة معك وتركى بلادى ، فأما ما ذكرت من على فإنك تعلم أنك على الباطل .

فقال عمرو بن العاص ـــ وكان حاضرا ـــ : كذبت يا ابن الحر وأثمت .

فقال عبيد الله بن الحر : بل أنت أكذب منى .

ثم خرج عبيد الله بن الحر مغاضبا ، وارتحل فى طريقه إلى الكوفة فى خمسين فارسا ، وسار يومه ذلك حتى إذا أمسى بلغ مسالح معاوية ، فَمُنِع من السير ، فشد عليهم وقتل منهم نفرا ، وهرب الباقون ، وأخذ دوابهم وما احتاج إليه ، ومضى لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها حتى قدم الكوفة .

وقد أشار ابن جرير الطبرى فى (تاريخه) وابن كثير فى (البداية والنهاية) إلى طرف من سيرة ابن الحر وصعلكته وفتوته ، فقالا : إنه كان رجلا شجاعا تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لايطيع لأحد من بنى أمية ولا لآل الزبير ـــ اللذين كانا يتنازعان الأمر بعد مصرع الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، وكان يمر على عامل الكورة من العراق وغيره ، فيأخذ منه جميع ما فى بيت المال قهرا ، ويكتب له براءة ، فينفقه على أصحابه ، وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيطردها ويكسرها ، قلّت أو كثرت ..

هو وعلى بن أبى طالب :

وحين قدم ابن الحر الكوفة بعد مغاضبته لمعاوية ـ كما ذكرنا ـ بحث عن زوجة كانت له فيها ،

فعلم أن أهلها قد أخذوها فزوجوها من رجل يقال له عكرمة ، وأنها ولدت منه ولدا اسمه الحارث .

فقدم ابن الحر إلى علىّ ـ كرم الله وجهه ـ فخاصم أهل زوجته عنده .

فقال له على : يا ابن الحر . أنت الممالىء علينا عدونا؟

فقال ابن الحر : أما إنّ ذلك لو كان لكان أثرى معه بَيِّنًا ، وما كان ذلك مما يمنع من عدلك .

وتَحَرَّى على ـ رضى الله عنه ـ الأمر ، فوجد الحق معه ، وأن نكاحها الثانى باطل ، فقضى له بها ، فأقام عبيد الله معها فى الكوفة منقبضا عن كل أمر فى يدى على بن أبى طالب ـــ رضى الله عنه ـــ حتى قتل على ، وحتى هلك معاوية ، وولى يزيد مكان أبيه ، وكان عبيد الله بن زياد قد ولى أمر الكوفة ، ثم كان من أمر الحسين بن على ـــ رضى الله عنهما ـــ ما كان .

ابن الحر والحسين بن على :

قال أبو مخنف ـ فيما ينقله البغدادى فى « خزانة الأدب » : لما قَتَل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وتحدث أهل الكوفة أن الحسين بن على يريد الكوفة خرج عبيد الله بن الحر منها متحرجا من دم الحسين ومن معه من أهل بيته .

وكان الحسين ـ رضى الله عنه ـ قد قرب من الكوفة ، ونزل فى الطريق فى قصر يقال له قصر بنى مقاتل . ونظر الحسين ذات صباح فرأى فسطاطاً مضروبا ، فقال : لمن هذا الفسطاط ؟

فقيل : هو لعبيد الله بن الحر .

وكان مع الحسين يومئذ الحجاج بن مسروق ، وزيد بن معقل الجعفيان ـــ وهما يمتان بنسب إلى عبيد الله بن الحر ـــ فبعث الحسين ـــ رضى الله عنه ـــ إليه الحجاج بن مسروق .

فلما أتاه الحجاج قال له : يا ابن الحر ، أجب الحسين بن على .

فقال له ابن الحر : أبلغ الحسين أنه إنما دعانى إلى الخروج من الكوفة ما بلغنى أنك تريدها ، وقد خرجت فرارا من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعين عليك ، وقلت : إن قاتلته كان على كبيرا وعند الله عظيما ، وإن قاتلت معه ولم أقتل بين يديه كنت قد ضيّعت قتله ـــ يعنى دمه ، وأنا رجل أحمى أنفا من أن أمكن عدوى فيقتلنى ضيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ، ولا شيعة يقاتل بهم .

فأبلغ الحجاج قول عبيد الله للحسين ، فعظم عليه ، فدعا بنعليه ، ثم أقبل يمشى حتى دخل على عبيد الله بن الحر فسطاطه ، فأوسع له عن صدر مجلسه ، وقام إليه حتى أجلسه .

ولنترك الحديث لعبيد الله بن الحر يقصّ علينا الحوار الذى دار بينه وبين الحسين فيما يرويه يد بن مرة .

قال : حدثنى عبيد الله بن الحر قال : دخل على الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، ولحيته كأنها جناح غراب ـ يعنى فى السواد ـ ، ولا رأيت أحدا قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين ، ولا رققت على أحد قطرقتى عليه حين رأيته يمشى والصبيان حوله .

فقال الحسين : ما يمنعك يا ابن الحر أن تخرج معى ؟

قال ابن الحر : فقلت لو كنت كائنا مع أحد الفريقين لكنت معك ، ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك ، فأنا أحب أن تعفينى من الخروج معك ، ولكن هذه خيل لى معدة ، وأدلاء

من أصحابى ، وهذه فرسى المُحَلِّقة فاركبها ، فوالله ما طلبت عليها شيئا قط إلا أدركته ، ولا طلبنى أحدٌ إلا فُتُّهُ ، فاركبها حتى تلحق بمأمنك ، وأنا لك بالعيالات حتى أؤديهم إليك ، وأموت وأصحابى عن آخرنا - يعنى فى سبيل المحافظة عليهم - ، وأنا كما تعلم إذا دخلت فى أمر لم يضمنى فيه أحد .

قال الحسين : فهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟

قال : قلت نعم ، والله الذى لا فوقه شىء .

فقال الحسين : إنى سأنصح لك كما نصحت لى ، **إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ، ولا تشهد وقعتنا فافعل ، فوالله لا يسمع داعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكبه الله فى نار جهنم .**

ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جُبَّة خز ، وكساء ، وقلنسوة موردة .

قال ابن الحر : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت فى نفسى : أسواد ما أرى أم خضاب ؟

فقال الحسين - وكأنه علم ما يدور فى رأسه من تساؤل - : عجل على الشيب يا ابن الحر .

قال ابن الحر : فعرفت أنه خضاب .

وكانت هذه فراسة صادقة من الحسين - رضى الله عنه .

ابن الحر يعتزل الحرب :

وخرج عبيد الله بن الحر حتى أتى منزلا له على شاطىء الفرات بعيدا عن الكوفة وما حولها فنزله .

وخرج الحسين - رضى الله عنه - فأصيب بكربلاء هو ومن معه .

وأقبل ابن الحر بعد ذلك فمر بهم ، فلما وقف عليهم بكى ، ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيد الله بن زياد بعد ثالثة .

وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقدهم ، فلما رأى ابن الحر قال له : أين كنت ؟

قال : كنت مريضا .

قال ابن زياد : مريض القلب أم مريض الجسد ؟

قال ابن الحر : أما قلبى فلم يمرض قط ، وأما جسدى فقد مَنَّ الله تعالى علىّ بالعافية .

قال ابن زياد : قد أبطلت . ولكنك كنت مع عدونا .

قال ابن الحر : لو كنت مع عدوك لم يخف مكانى .

قال ابن زياد : أما معنا فلم تكن .

ووجد ابن الحر غفلة من عبيد الله بن زياد فانسل خارجا ، ثم خرج إلى المدائن فنزل بها ، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجها - يعنى ابن زياد - لأفعلن .

ورثى الحسين بن على بعدة قصائد منها تلك القصيدة التى منها الشاهد المذكور ، وفيها يقول - وقد أحس بالندم على أنه لم ينصر الحسين فى قتاله أهل الظلم والبغى :

يا لك حسرةً ما دمتُ حيا
تردَّدُ بين حلقى والتراق
حسينا حين يطلب بذل نصرى
على أهل العداوة والشقاق
ولو أنى أواسيه بنفسى
لنلتُ كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسى فداه
فيا لله من ألم الفراق

غــداة يقـول لى بالقصر قولا :
أتتركنــا وتزمــع بانطـــلاق ؟!
فلــو فلــق التلهــفُ قلب حيٌّ
لهمَّ اليـــومَ قلبــى بانفـــلاق
فقد فــاز الأولى نصروا حُسَينا
وخاب الآخرون أولو النفـــاق

نهاية ابن الحر :

ولابن الحر مراثٍ أُخَرَ فى الحسين تشير إلى شدة جزعه على الحسين وإلى عظيم محبته لأهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ ومن ذلك ما يذكره ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » جـ٨ ص ٢١٠ ـ ويشير إلى ما حدث بينه وبين عبد الله بن زياد من حوار :

يقول أميرٌ « غادرٌ » حق غادر
ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة ؟

فيــا ندمى ألّا أكون نصرتـــه
لذو حسرة ما إن تفارق لازمــه
سقى الله أرواح الذين تبــارزوا
على نصره سقيا من الغيث دائمه
وقـفت على أجداثهـم وقبورهـــم
فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى
سراعا إلى الهيجا حماة حضارمه[2]
تأسَّوا على نصر ابـــن بنت نبيهم
بأسيافهـم آساد غيـل ضراغمه[3]
وما أن رأى الراءون أصبر منهم
لدى الموت سادات وزهــرا قماقمه[4]
أتقتلهم ظلما وترجــو ودادنا ؟
فدعْ خطة ليست لنا بملائمـــه
لعمرى لقــد راغمتمونا بقتلهـم
فكم ناقــم منّا عليكـم وناقمـــه
أهـــمُّ مرارا أن أسير بجحفـــل
إلى فئـــة زاغت عن الحقِّ ظالمه
فكفوا وإلا زرتكـــم فى كتائب
أشـــد عليكم من زحوف الديالمه

وقد ذكر البغدادى فى خزانته هذه القصيدة مع تغيير يسير فى بعض ألفاظها .

ثم إن ابن الحر ما زال يشغب بابن زياد ـ كما ذكر البغدادى ـ كما شغب أيضا بالمختار بن عبيد الثقفى ، ومصعب بن الزبير ، وجرت بينه وبينهم محاربات ومصادمات عديدة .

واستعان به عبد الملك بن مروان فى قتال مصعب بن الزبير ، واستطاع أن ينال من جنود مصعب ، ومازال يقاتل حتى مات غريقا فى أثناء القتال بينه وبين أنصار مصعب سنة ثمان وستين من الهجرة .

وانطوت صفحة مغامر تضاربت أمامه الطرق ، واختلفت فى نظرة الأهداف ولعله استراح فى النهاية من مشقة الموازنات بين الخيارات المختلفة ، والموت راحة على أى حال ، إلا أن مراثيه فى الإمام الحسين ـــ رضى الله عنه ـــ تشهدّ بمرارة أسفه على أنه لم يكن موفقا فى إيثاره السلامة على نصرة المظلوم ، الذى تخلى عنه أنصاره وشيعته ، بعد أن غرروا به حين استدعوه لينصروه ثم خذلوه .

وإلى لقاء مع شاهد آخر ، إن شاء الله تعالى .

(٢) مصاليت : جمع مصلات ، وهو القوى السريع ، حضارمة : منسوبون الى حضرموت اليمنية .

(٣) ضراغمة : جمع ضرغام ، وهو الأسد .

(٤) قماقمة : جمع قمقام ، وهو السيد الكثير الخير .

ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة (٢)

٢٢٣ - ٣٢١

د / محمد رياض السيد كريم(*)

هو - كما يقـــول القفطـــى - « أشرف كتبه »(٤٣) . وقد صنفه للأمير أبى العباس إسماعيل ابن عبدالله الميكالى أيام مقامه (بفارس) ، فأملاه عليه إملاء(٤٤) .

يقول ابن دريد - فى مقدمة الجمهرة : « إنى لما رأيت أهل هذا العصر فى الأدب ، وتثاقلهم عن الطلب ، وعداوتهم لما يجهلون ، وتضييعهم لما يعلمون ، ورأيت أكرم مواهب الله لعبده سعة فى الفهم ، وسلطانا يملك به نفسه ، ولبّا يَقمع به هواه ، ورأيت ذا السنّ من أهل دهرنا لَغلبة الغباوة عليه ، وملكة الجهل لقيادِهِ ، مضيّعا لما استودعته الأيام ، مقصرا فى النظر فيما يجب عليه ، حتى كأنه ابن يومه ، ونتيج ساعته ، ورأيت الناشىء المستقبل ذا الكفاية والجدة مؤثرا للشهوات ، صادفاً عن سبل الخيرات ، حبوت العلم خزناً على معرفتى بفضل إذاعته ، وجللته سترا مع فرط بصيرتى بما فى إظهاره من حسن الأحدوثة الباقية على الدهر ، فعاشرت العقلاء كالمسترشد ، وداجيت الجهال كالغبى ، نفاسة بالعلم أن أبثه فى غير أهله ، وأضعه بحيث لا يعرف كنه قدرة ، حتى تناهت بى الحال إلى أبى العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال - أيده الله بتوفيقه - فعاشرت منه شهابا ذاكيا ، وسابقا مبرّزا ، وحكيما متناهيا ، وعالماً متقنا يستنبط الحكمة بتعظيم أهلها ، ويرتبط العلم بتقريب حملته ، ويستجّر الأدب بالبحث عن مظانه ، لم تطمح به خيلاء الملك ، ولم تستفزهّ شرَّة الشباب ، فبذلت له مصون ما أكننت ، وأبديت مستور ما أخفيت ، وسمحت بما كنت به ضنينا ، وبذلت بما كنت عليه شحيحا ، إذ رأيت لسوق العلم عنده نفاقاً ، ولأهله لديه مزية ، وإنما يدخر النفيس فى أحرز أماكنه ، ويودع الزرع أخيل البقاع للنفع ، فارتجلت الكتاب المنسوب إلى (جمهرة اللغة) ، وابتدأت فيه بذكر الحروف المعجمة التى هى أصل

(*) الكاتب : استاذ مساعد / كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر .

(٤٣) إنباه الرواة : ٣/ ٩٧ .

(٤٤) معجم الأدباء : ١٨/ ١٣٨ .

تفرع جميع كلام العرب ، وعليها مدار تأليفه ، وإليها مآل أبنيته ، وبها معرفة متقاربة من متبائنه ، ومنقادُهُ من جامحه ، ولم أجر فى إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ، ولا الطعن فى أسلافنا ، وأنى يكون ذلك وإنما على مثالهم نحتذى ، وبسبلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبتنى[45] .

يقول الأمير أبوالعباس الميكالى : « أملى علىّ أبوبكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا فى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شيء من الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف ، فإنه طالع له بعض الكتب .. وكفاك بها فضيلة وعجيبة أن يتمكن الرجل من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى قيل فيه :

ابن دريد بقرهْ

وفيه عِيّ وشرهْ

ويدّعى من حمقه

وضع كتاب الجمهرهْ

وهو كتاب العين

إلا أنَّهُ قد غيّرهْ[46]

ويذكر لنا ابن دريد سبب تسميته كتابه بالجمهرة فيقول ـ فى مقدمته : « وإنما أعرناه هذا الاسم ، لأنا أخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى المستنكر »[47] .

و « كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه .. فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان .. والنسخة التى عليها المعوّل هى الأخيرة ، وآخر ما صح من النسخ نسخة أبى الفتح عبيد الله بن أحمد النحوى جُخْجُخ[48] ، لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه »[49] .

منهجه :

من معالم منهج ابن دريد فى جمهرته ما يلى :

١ ـ قام ابن دريد فى كتابه بخطوات فى سبيل ترقية المعجم العربى ، وذلك أنه غير الخطة التى أقام الخليل بن أحمد عليها تقسيم كتابه (العين) إلى أبواب ، فطرح الترتيب الصوتى الذى ارتضاه الخليل فى كتابه ، ولجأ إلى الترتيب السهل الشائع وهو الترتيب الألفبائى وإن اجتمع مع هذا الترتيب بعض الأمور التى قللت من أهميته ، مثل تناوله التقاليب كلها فى موضع واحد ، مما جعله مضطراً إلى تناول الحرف مع ما بعده فى الترتيب على الدوام ، وطرح تبويب الخليل فى كتابه ، وابتكر تبويبا جديدا يقوم على أساس الخليل نفسه وهو أبنية الكلمة[50] .

والذى دفعه إلى طرح نظام الخليل القائم على الترتيب الصوتى وفق المخارج فى كتاب : العين واستبدال الترتيب الألفبائى به مع ذكر تقليبات فى الأبجدية النصرية[51] ـ هو ما لمسه من صعوبة النظام الصوتى الذى ابتكره الخليل وطبقه فى كتابه (العين) على أبناء عصره ، وقد صرح ابن دريد بذلك فى مقدمة كتابه فقال : « ألف

---

(٤٥) الجمهرة : ١/٢ ، ٣ .

(٤٦) معجم الأدباء : ١٨/١٣٨ (٤٧) الجمهرة : ١/٤ .

(٤٨) كان ثقة . توفى سنة ٣٥٨ هـ . أنظر ترجمته فى : إنباه الرواة : (٢/١٥٢) ونزة الألباء (ص ٣٠٥) وبغية الوعاة (٢/١٦٢) .

(٤٩) معجم الأدباء : ١٨/١٣١ ، ١٣٢

(٥٠) د . حسين نصار : المعجم العربى : ٢/٤٣٣ .

(٥١) هى التى وضعها نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فى الربع الأخير من القرن الأول الهجرى وروعى فيها وضع الحروف المتشابهة إلى جوار بعضها والتمييز بينهما بالنقط ، وكان المتبع قبل ذلك هو أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ (معاجم اللغة العربية للدكتور محمد حسن جبل : ص ٥٩)

أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى[٥٢] ـ رضوان الله عليه ـ كتاب (العين) فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكُلٌّ من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكنه يرحمه الله ـ ألف كتابه مشكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره .

وأملينا هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، والعجز لهم شامل إلا خصائص كدرارى النجوم فى أطراف الأفق ، فسهلنا وعره ، ووطأنا شأْزه[ه] ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيـــدا من الحيرة ، مشفيـــا على المراد[٥٣] .

وقد بيّن ابن دريد فى كتابه طريقة تقليب أصول الكلمة بقوله : « إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ، ثم أدر دائرة فوقع ثلاثة أحرف حواليها ، ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة ، فتخرج من الثلاثى ستة أبنية ثلاثية ، وتسعة أبنية ثنائية ، وهذه (هى) الصورة :

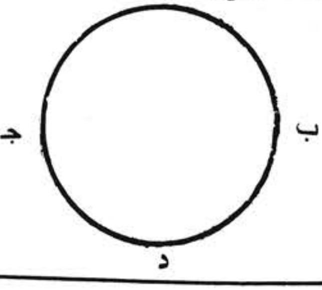

فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به ، وما رغبوا عنه[٥٤] .

ففى المثال الذى ذكره ابن دريد وهو المكون من الباء والجيم والدال حين نطبق عليه نظام التقليب يعطينا ستة أبنية ، إذ حين نبدأ بالباء ونثنى بالجيم ونثلث بالدال يصير لدينا بناء (ب ج د) .

وحين نبدأ بالباء ـ أيضاً ـ ونثنى بالدال ونثلث بالجيم يصير لدينا بناء (ب د ج) .

وحين نبدأ بالجيم ونثنى بالباء ونثلث بالدال يصير لدينا بناء (ج ب د) .

وحين نبدأ بالجيم ـ أيضاً ـ ونثنى بالدال ونثلث بالباء يصير لدينا بناء (د ب ج) .

وحين نبدأ بالدال ـ أيضاً ـ ونثنى بالجيم ونثلث بالباء يصير لدينا بناء (د ج ب) .

وليس بلازم أن تكون كل تقليبات أصول الكلمة مستعملة ، فقد يكون بعضها مستعملا وبعضها غير مستعمل .

وإليك ما يؤيد ذلك من كتابه ، وسنذكر لك ما قاله فى المثال الذى ذكره للثلاثى ووضع حروفه حول الدائرة ، يقول ابن دريد :

(ب ج د)

بجد بالمكان يَبْجُدُ بُجودًا ، إذا أقام به ، فهو باجد ، والبجاد كساءُ مُخطّط والجمع بُجُد ، ويقال : فلان ابن بَجْدَة هذا البلد ، إذا كان عالما به ، والجَــدْب ضد الـــخِصب ، وأرضون

(٥٢) توفى سنة ١٧٥ هـ ترجمته فى هدية العارفين (٣٥٠/١) .

(ه) الشأْز : العالى الصُّلب .

(٥٣) الجمهرة : ٣/١ .

(٥٤) نفسه : ٥١٣/٣ .

جُدوب ، وأجدب المكان إجد ابا فهو مُجدِبُ وجَديبُ ، وجدبتُ الرجلَ ، إذا عبته ، وفى الحديث (وجَدَب لنا عُمرُ السمر بعد عتمة) أى عابه ، قال الشاعر ـ ذو الرمة[٥٥] ـ :

فيالك من وجه جميل ومنطق
رخيم ومن خلْقٍ تعلَّل جادِبُه

أى عائبه ، يريد أن العائب له يأتى بالعلل فلا يصدّق .

والدَّجوب ـ بفتح الدال ـ الوعاء ، أو الغير يُجعل فيها الطعام ، قال الشاعر :

هل من دجوب الحُرْة المخَيط
وذِيلة تشفى من الأَطيط

الوذيلة هاهنا القطعة من السنام شبهها بسبيكة الذهب ، والأَطَيطَ أراد أطيط أمعائه من الجوع كما يئط النّسْعُ .

والدَّبْجُ : النَّقْشُ ، أصله فارسىّ معرّب ، مأخوذ من الديباج . ودَبَجَ المطرُ الأرض ، إذا روَّضها بدبجها دبجا ، وقد جمعوا ديباجا ديابيج فى لغة من جمع ديوانا دياوين ، وأنشد الأصمعى[٥٦] عن أبى عمر[٥٧] وعن يونس[٥٨] :

عمدانى أن أزورَك أُمَّ بكر
دياوينُ تُشَقَّقُ بالمداد

يريد تشقيق الكلام ، عدانى : صرفنى ، وعَدِّ عن هذا ، أى اصرف هَمَّكَ عنه[٥٩] .

فأنت تراه فى هذا المثال الذى سقناه لك من كتابه ذكر (ب ج د ـ ج د ب ـ د ج ب ـ د ب ج) ولم يذكر (ب د ج ـ ج ب د) وقد تابع الخليل بن أحمد فى ذلك ، فقد نص الخليل فى كتاب العين فى باب الجيم والدال والباء معهما أن (ج د ب ـ د ج ب ـ د ب ج ـ ب ج د) مستعملات[٦٠] ويعنى هذا أن (ب د ج) و (ج ب د) مهملان[٦١] بيد أن صاحب لسان العرب ذكر (ب د ج) وقال : « فى حديث ابن الزُّبيْر أنه حمل يوم الخندق على نَوْفل ابن عبدالله بالسيف حتى قطع أُبْدُوج سَرْجِهِ يعنى لِبْدَهُ . قال ابن الأثير[٦٢] :

قال الخطّابى[٦٣] : هكذا فسّره أحد رواته ، قال : ولست أدرى ما صحته[٦٤] وفى القاموس : « أُبْدُوجُ السرج بالضم : لِبْدُ بِدادَيْه ، مُعَربُ أَبْدُودَ » .

٢ ـ قسم ابن دريد كتابه إلى أبواب وفق الأبنية ، مراعيا الترتيب الأبجدى لأصول الكلمات ، بادئا

(٥٥) هو غيلان بن عقبة . مات سنة ١١٧ هـ . (هدية العارفين ٨١٣/١) .
(٥٦) هو عبدالملك بن قريب الأصمعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ (نزهة الألباء ص ٢١٢) .
(٥٧) هو أبوعمر بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ (نزهة الألباء ص ٢٤) .
(٥٨) هو يونس بن حبيب البصرى . مات سنة ١٨٢ هـ . (الفهرست ص ٦٣) .
(٥٩) الجمهرة : ٢٠٦/١ ، ٢٠٧ .
(٦٠) العين : ٨٧/٦ .
(٦١) هو عبدالله بن الزبير بن العوام . مات سنة ٧٣ هـ (الاصابة ٣٠٩/٢) .
(٦٢) هو أبوالسعادات المبارك بن محمد الشيبانى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (هدية العارفين ٢/٢) .
(٦٣) هو حميد بن محمد الخطابى البستى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (وفيات الأعيان ٤٥٣/١) .

كل باب بالحرف المبنى عليه الباب ، متبوعا بالحرف الذى يليه فى الترتيب الألفبائى ، وذلك لاتباعه نظام التقلبات الهجائية ، وبدأ بأبواب الثنائى فذكر منها باب الثنائى الصحيح المدغم ، وعنده ـ كما يقول ـ : « الثنائى الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ ثنائى والمعنى ثلاثى ، وإنما سمى ثنائيا للفظه وصورته ، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين ، أحدهما مدغم فى الآخر ، نحو : (بَتَّ يَبُتُّ بتّاً) فى معنى قطع ، وكان أصله بتت ، فأدغموا التاء فى التاء ، فقالوا : بَتَّ ، وأصل وزن الكلمة فَعَل وهو ثلاثة أحرف ، فلما مازجها الإدغام رجعت إلى حرفين فى اللفظ ، فقالوا : بتَّ ، فأدغمت إحدى التاءين فى الأخرى ، وكذلك كل ماأشبهها من الحروف المعجمة[65] .

ثم ذكر أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر ، وبدأها بقوله : « ب ت ب ت أهملت . ب ث ب ث ـ بثبثتُ التراب ونحوه ، إذا استثرته بَثْبَثَةً »[66] .

وختمها بقوله : « هـ ى هـ ى ـ من معكوسه اليَهْيَهَةُ من قولهم للرجل يَهْياهِ يبنى على الكسر ، كأنه يدعوه إذا يَهْيَهَ به ، أى صاح به »[67] .

ثم ذكر باب الهمزة وما يتصل به من الحروف فى التكرير ، وبدأه بقوله : « ى أ ى أ ـ أهملت إلا فى قولهم : يأيأتُ بالقوم ، إذا دعوتهم ليجتمعوا فقلت يَأْيَأْ »[69] .

ثم ذكر باب الثنائى المعتل وما تشعب منه ، وبدأه بقوله : « باءَ بإثمه يبوءُ به بَوءًا وبواءً ، إذا رجع به »[70] . وختمه بالحديث عن (وهى ـ هوىَ ـ هيأ ـ هاء)[71] .

وبعد أن أنهى الحديث عن أبواب الثنائى ذكر أبواب الثلاثى الصحيح وما تشعب منه ، وبدأه بقوله : « ب ت ث ـ ثبت يثبت ثباتا وثبوتا فهو ثابت ، ورجل ثبت المقام وثَبيتُ المقام ، إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه»[72] . وختم أبواب الثلاثى بقوله : « هذا آخر الثلاثى ، سالمه ومعتله ، وذى الزوائد منه ، وإنما أمللنا هذا الكتاب ارتجالا لا عن نسخة ، ولا تخليد فى كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير أُو تكرير إن شاءَ الله »[73] . وكأنه بذلك يعتذر عن وقوع مثل ذلك فيه لكثرة تفريعاته وتقسيماته للأبواب .

ثم ذكر بعد ذلك باب النوادر فى الهمز ، وبدأه بباب الألف فى الهمز ، فقال : « أَنَتَ الرجلُ يأنِت أنيتا ، وهو أشد من الأنين »[74] .

ثم ذكر أبواب الرباعى الصحيح السالم من حروف اللين ، وبدأها بباب الباء والتاء مع ما

(٦٤) اللسان ،القاموس : ب د ج .

(٦٥) الجمهرة : ١٣/١ .

(٦٦) الجمهرة : ١٢٤/١ .

(٦٧) الجمهرة : ١٦٦/١ .

(٦٨) الجمهرة : ١٦٧/١ .

(٦٩) الجمهرة : ١٦٩/١ .

(٧٠) نفسه .

(٧١) الجمهرة : ١٩٢/١ .

(٧٢) الجمهرة : ١١٣/١ .

(٧٣) الجمهرة : ٢٦٨/٣ .

(٧٤) الجمهرة : ٢٦٩/١ .

بعدهما الذى افتتحه بقوله :« جُعْتُبَ : اسم مأخوذ من فعل ممات ، والجَعْتَبة : الحِرْص والشَّرَهُ »[٧٥] .

ثم ذكر أبواب الخماسى وأتبعها بأبواب اللفيف ، واللفيف عنده ليس اللفيف المصطلح عليه عند الصرفيين ، وإنما اللفيف عنده له مفهوم آخر يخالف مفهومه عند الصرفيين ، فقد قال فى مستهل أبوابه : « وإنما سميناه لفيفا لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض »[٧٦] .

وقد بدأ أبوابه بباب ما جاء على فِعِيّلَى ، فقال : خِطِيبَى.وهى المرأة التى يخطبها الرجل .. والخِلِيفَى وهى الخلافة ، قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :[٧٧] (لو استطعت الأذان مع الخِلِيّفَى لأذّنت) وخِصيّصَى ؛ يقال : هذا لك خِصِصّيصَى ، أى خاص خصصتك به[٧٨] .

ومن أبوابه باب ما جاء على فِعَلَّى ، جاء فيه « زِبَعْرَى : ضخم كثير شعر الوجه والقفا ، وسِبَطْرَى : مِشْيةُ فيها تبختر ، وقِمَطْرَى : رَجل قصير غليظ »[٧٩] .

وهذا كل ما ذكره فى هذا الباب .

ثم ذكر أبوابا فى آخر الكتاب تعد ملحقات به وليست من صميم بناء المعجم ، منها : (باب ما يكون الواحد والجماعة فيه سواء فى النعوت) ومما جاء فيه : « شُهداء زُور ، وشاهد زُور ، ورجل نَوم ، وقوم نَوم ، أى نيام .. وقوم عدل ، ورجل عدل .. ورجل جُنُبُ ، وامرأة جُنُبُ ، وقوم جُنُبُ .. »[٨٠] ومنها : (باب جمهرة من الاتباع) بدأه بقوله : « يقال : هذا جائع نائع ، والنائع المتمائل ، قال :

ميّالة مثل القضيب النائع

وعطشان نَطْشان ، من قولهم ما به بطيش ، أى : حركة ، وحَسَنُ بَسَنُ . **قال أبو بكر**[٨١] **سألت أبا حاتم عن بَسَنٍ فقال : لا أدرى مت هو**[٨٢] .

ومنها : (باب الحروف التى قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات) بدأه بقوله : « وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة ، يقال : جبذ وجذب ، وما أطيبه وأيطبه »[٨٣] .

ومنها (باب الاستعارات) ويقصد به الاستعمالات المجازية التى انتقلت إليها الألفاظ ، وبدأه بقوله : « النُّجْعَةُ : طلب الغيث ، ثم كثر فصار كل طلَب انتجاعا »[٨٤] .

ومما جاء فيه : « الغَيْث : المطر ، ثم صار ما نبت من الغيث غيثا ، ويقال : أصابنا غيث ، **ورعينا الغَيْث . والسماء المعروفة ، ثم كثر ذلك** حتى سمى المطر سماء ، وتقول العرب مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أى مواقع الغيث .. ويقولون : بنى الرجل بامرأته ، إذا دخل بها ، وأصل ذلك أن الرجل من العرب إذا تزوج بُنى له ولأهله خِباء جديدا ، فكثر ذلك حتى استعمل فى هذا الباب »

(٧٥) الجمهرة : ٢٩٥/٣ .

(٧٦) الجمهرة : ٤٠٦/٣ .

(٧٧) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى . مات سنة ٢٣ هـ (الاصابة : ٥١٨/٢) .

(٧٨) الجمهرة : ٤٠٦/٣ .

(٧٩) الجمهرة : ٤٠٧/٣ .

(٨٠) الجمهرة : ٤٢٨/٣ .

(٨١) هو أبوبكر بن دريد .

(٨٢) الجمهرة : ٤٢٩/٣ . وأبوحاتم هو : أبوحاتم السجستانى أستاذ ابن دريد .

(٨٣) الجمهرة : ٤٣١/٣ .

(٨٤) الجمهرة : ٤٣٢/٣ .

مع

الدكتور عبد الوهاب عزام

فى كتابه : المعتمد بن عباد

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

من آيات الوفاء للأماجد من الأسلاف ، أن نترجم لهم ، لنحفظ آثارهم ، ونستخلص من يد الضياع والتشتت كنوزهم ؛ لتكون للأجيال المتعاقبة ، علامات بارزة ، على طريق القدوة الحسنة والعمل النافع المثمر ، ونتدبر ما مروا به من انتصارات وانكسارات ...

فهم دومـــا شموس فى عُلانـــا يُضىءُ جوانحا للمهتدينـــــــا
وهُـــمْ حقًـــا مفاخرنـــا إذا ما تذكَّـــرتْ الشعـــوب المبدعينـــا

★ ★ ★

قام الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ فى مجال آخر من مجالات تفرُّده الأدبى المتنوع ـ بالعكوف على دراسة الحقبة الإسلامية فى الأندلس ، فردوسنا المفقود ، واختص المعتمد بن عباد (الملك الشجاع والشاعر المرزَّأ) ـ كما وَصَفه بعنوان كتابه عنه ـ بتفهُّم عميق لشخصيته ، ووقائع حياته ، التى حفلت بالمواقف الحاسمة ، كما يسميها الأستاذ محمد عبدالله عنان ، فى فترة الحكم العربى الإسلامى فى الأندلس ، منذ قيام موسى بن نصير بفتْحها ، بعد أن بَعَث طريف ابن مالك ، ثم طارق بن زياد ، لارتياد الأندلس ، وظل يرسل الإمدادات حتى تم النصر ، واتسع الفتح .. وقد أحرق طارق بن زياد مراكبه[1] ، بعد اجتياز المضيق إلى الأندلس، وتقدم جنوده ببسالة وإقدام ، يقول لهم :

أيها الناس أين المفر ؟ والبحر وراءكم ، والعدو أمامكم وليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر ، اعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وعددهم ،

(١) وقيل إنه لم يحرقها ، بل قام بإعادتها إلى إفريقيا ، حثًا لجنوده على الإقدام والجلاد .

أقواتهم موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا قوت إلاّ ماتستخلصونه من أيديهم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمر أمرا ذهب ريحكم واستعاضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة عدوكم الجبار ، فقد خرج من مدينته الحصينة ، وانتهاز الفرصة فيه ممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة أو لم أبدأ فيه بنفسى ، اعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا . وقد بلغكم ما حوت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبدالملك أمير المؤمنين ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه فى هذه الجزيرة ولتكون مغانمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى أنجادكم على مايكون لكم ذكرا فى الدارين . واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم ـ رُذْرِيك ـ فقاتلُه إن شاء الله ـ تعالى ـ فاحملوا معى فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولن تفقدوا بطلا عاقلا ، تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه وكفّوا شره بقتله وقومُه بعده يُخذلون » .

وبعد أن استتب الأمر للدولة الأموية فى الأندلس ، قامت بالسيطرة عليه سيطرة قوية مهيبة ، منذ عام (١٣٨) هـ حتى عام ٤٠٠ هـ ، وصارت قرطبة حاضرة الخلافة الأموية ، ومركز العلوم والآداب ، ثلاثة قرون ، فى عهد الأمويين ، وبلغت فيها الحضارة العربية الإسلامية أَوْجَهَا(٢) .

وبعد عهدكل من عبدالرحمن الناصر ، والمنصور أبو عامر ، بدأ نجم الدولة الأموية فى الأفول ، إلى أن زالت تماما سنة ٤٢٢هـ .

وقسّم ملوك الطوائف ، الذين جاءوا على إثرها ، البلاد فيما بينهم ، بعد انتهاء الحكم المركزى الموحد ، الذى اتسم بالترابط والقوة .

ومن ثم أصبح ملوك الطوائف متنافسين متنازعين ، كل منهم لايهتم إلا بنفسه وملكه فحسب ، ويلقى العدو ـ إذا هاجمه بمفرده أو يتعاون معه نكاية فى غيره واستمر عصرهم خمسين عاماً ..

كانت للطوائف ـ كما يقول د. عزام ـ أربع عشرة دولة ، فى أرجاء البلاد ومن بينهم « بنو عبّاد » .

قامت دولة العبابدة فى إشبيليه سنة ٤١٤هـ ، ثم اتسعت ، فاستولت على ملك بنى حمود فى الجزيرة سنة ٤٥٠هـ ، وعلى ملك بنى جهور فى قرطبة سنة ٤١٦هـ وامتدت حتى شملت (مَرْسيه) فى الشرق . ودامت دولتهم سبعين عاما وتولاها منهم ثلاثة هم : أبو القاسم محمد ، ثم ابنه أبو عمرو عباد الملقب بـ (المعتضد) ، ثم ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ، الملقب بـ (المعتمد) الذى استمر حكمه ثلاثاً وعشرين عاماً (٤٦١هـ ـ ٤٨٤هـ) .

(٢) انظر مقدمة كتاب المعتمد ابن عباد للدكتور عزام

كان للمعتمد ـ كما يقول د. عزام ـ فى الجهاد بلاء عظيم ، وفى الجود صيت زائع ، وفى الأدب منزلة عالية . وله من غير الأيام ، ومصائب الحدثان نصيب موفور ، وقصته كأنها فى المآسى خيال شاعر ، لاحقيقة واقع ، وافتنان كاتب ، لاحادثات تاريخ .

ويؤثر الدكتور ، بعد ذلك ، أن يقص حوادث الأندلس ووصف المعتمد ومنزلته ، بلسان أهله ، كما يقول ، ليجمع إلى التاريخ صورا من الأدب ، وأمثلة من أقوال الكتاب والمؤرخين فى هذا العصر . فيورد عزام قول المقّرى فى (نَفْح الطيِّب) عن المعتمد .

« وأخبار المعتمد بن عباد ، وما رآه من الملك والعز ، فى كل حاضر وباد ، وما قاساه فى الأسر من الضيق والعسر ، وسوء العيش ، أمر عجيب ، يتعظ به العاقل الأريب ... الخ » .

وينقل د. عزام عن ابن بسام فى (الذخيرة) قوله فى وصف منزلة المعتمد الأدبية :

« كان للمعتمد ابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعته ، واتخذه بضاعة ، لكان رائعاً معجباً ونادرا مستغرباً .. » .

إن ابن عباد ، لم يقصر فى مجاراة شعراء عصره : ابن زيدون وابن عمار وابن حمديس وابن اللبانة .. بل كان مبرزاً عليهم أحياناً[(٣)] ، وكانت الرميكية ، أم أولاده ، شاعرة أيضا ، وكذلك بنوه كانوا ـ بدورهم ـ (شعراء) وكانت ابنته بثينة شاعرة ذُكرت فى ثبت الشواعر الأندلسيات .

★ ★ ★

وبدأت مأساة الشاعر الملك المعتمد بن عباد ـ التى تفيض بالأسى وتمزق نياط القلوب ـ بعد أن تولى الملك الفونسو السادس عرش قشتالة ، الذى استغل الصراع القائم بين أمراء الطوائف فأخذ يعين بعضهم على بعض ، ويبذر بذور الفتنة بينهم ، إلا أن المعتمد ـ أكبر ملوك الطوائف ـ هَالَهُ هذا الأمر وخشى من عواقبه الوخيمة .. « وعزم على الحرب ، وهو يعلم أنه لا قبل له بالعدو ، وإن اعتض بملوك الطوائف جميعاً .. ففاوض هؤلاء الملوك فى الاستنجاد بيوسف بن تشفين ، سلطان المرابطين الذين قامت دولتهم فى المغرب ، فتية قوية ، فيها قوة البادية وشظفها وخشونتها ، وفيها الحماسة الإسلامية ، لم يطفئها الترف ، ولم يؤهِنُها السكون إلى الدعة وإيثار العافية »[(٤)].

وبدأت الجيوش المرابطية العبور من سبتة إلى الجزيرة الخضراء ، ثم عبر أميرهم يوسف بن تاشفين فى يوم الخميس ـ منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ ٣٠ يونية سنة ١٠٨٦م ـ ، ثم تحركت العساكر إلى أشبيليه ، وعلى رأسهم ابن تاشفين ، ونزل بظاهرها ، وخرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه ، وتعانقا ، ودعوا الله أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه الكريم »[(٥)]

★ ★ ★

(٣) انظر كتاب دولة الاسلام فى الأندلس ص ٧ ط دار المعارف ١٩٥٩ للأستاذ محمد عبد الله بن عنان ج ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ .

(٥) انظر كتاب « الفكر الأندلسى » للأستاذ بلنشيا ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٣٣ بالمصدر السابق الذكر .

والتقى الجمعان : جيش المسلمين وجيش الفونسو فى (معركة الزلاقة) صباح الجمعة الثانى عشر من رجب سنة ٤٧٩هـ ، «وأظهر ابن عباد بطولة رائعة ، وجرح فى المعركة ، ثم حمل بنفسه بالقوة الإحتياطية الى المعسكر القشتالى ، فهاجمه بشدة ، ثم اتجه صوب مؤخرته فأثخن فيه وأشعَلَ النار ، وهو على فرسه يرغب فى الاستشهاد»

وتــــلك مجادة لله يقضى بهـــا ، ويخص قومــاً مُجْتَبَينـــا
وحسبى ابن الوليد وقد أتاه نذيـر الموت يخترق الحصونـاً
يقول شهدت زحفاً بعد زحف وجسمى فى الوغى ذاق الطعونا
وهأنـــذا أمــوت على فراشى فلا نامت عيــون الجازعينـا
.. وسيف الله كان مناه حتفا بنصل الحرب فى المتصادمينـا
ليغنـم أجـر جنـدى شهيـد ويحشر فى ركاب المرسلينـا(٦)

وتم النصر المبين على أعداء المسلمين فى هذه المعركة الخالدة . إلا أن الفونس السادس مالبث أن لعق جراحه ، واستجمع قواه «وكان حقده شديداً على المعتمد بن عباد ، فعاد إلى مهاجمة بلاده ، وركز غاراته على أشبيليه وتمكن من الاستيلاء على حصن لبيط ، مما اضطر ابن عباد إلى العودة مرة ثانية إلى الاستنجاد بالمرابطين»(٧) «وذهب المرابطون للمرة الثانية إلى الأندلس لكنهم فى هذه المرة لم يجدوا مساعدة من معظم أمراء الطوائف المسلمين حيث تغلبت عليهم شهواتهم وأهواؤهم الشخصية ، وخلافاتهم الضيقة ، مما أضطر أمير المسلمين (ابن تاشفين) أن يَسْتَفْتِى الفقهاء فى خَلْعهم ، وضم بلاد الأندلس إلى طاعة المرابطين ، والعودة مرة أخرى إلى الجهاد ضد الأسبان»(٨) .

وكان من عاقبة هذه الفتوى ، خَلْع المعتمد بن عباد عن أريكة الملك ، ونفيه ذليلاً مُهاناً إلى المغرب ، فيمن تم نَفْيهم ، وهنا بدأت مأساته الداوية ، التى صورها فى خوالد قصائده التى تستثير الدمع من أقسى المآق . ولم يقم الدكتور عزام بالاستشهاد إلا بالقليل النزر من بعض الأبيات ، وأحال قارىء الكتاب إلى ديوان المعتمد بن عباد ، الذى قام بشرحه ونشره الأستاذان : أحمد أحمد بدوى وعبدالحميد عبدالمجيد .

وبالرجوع إلى هذا الديوان ، يروعنا منه ، فى أول الأمر قوله :

لما تماسكت الدمـــوع وتنبـه القـلب الصَّديـع
قالـــوا : الخضوع سيــاسة فليبـــد منك لهم خضوع

(٦)أنظر مجلة (الأمة) عدد ذى القعدة ١٤٠٢هـ ، من مقال للدكتور محمد عبد الحميد عيسى ص ٢١ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) هذه الأبيات من قصيدة لكاتب المقال ، عن الشهداء .

وألـــذ من طعـــم الخضو ع ، على فمى ، السم النقيع
إن يسلب القـــومُ العـــدا ملكـــى ، وتسلمنـــى الجمـــوع
فالقـــلب بين ضلوعـــه لم تسلـــم القـــلب الضلـــوع
لم أستـــلب شرف الطبـــا ع ، أَتُسْلِبُ الشرف الرفيع ؟!

إلى أن يستتلى قائلاً :

قد رمت يوم نزالهم ألا تحصننـــى الـــدروَع
وبـــرزت ليس سوى القمـــيص على حشاشتـــه دفـــوع
وبـــذلت نفسى كى تسيـــل ، إذا يسيـــل بها النجيـــع

حتى قوله :

ماسرت قط إلى القتـــا ل ، وكان من أملى الرجـــوع
شيم الألى أنـــا منهمـــو والأصل تتبعـــه الفـــروع

وقد أسلس له البحر قيادة وطاوعته القافية حتى استطاع أن يعبر عما كان ينهش فى داخله من المرارة والألم ، بعد أن صنع به حليف الأمس ورفيق الجهاد (ابن تاشفين) ، وسَوَّى بينه وبين المتخاذلين دون أن يضع فى اعتباره ، أنه مختلف عنهم تماما ، بما جاهد وصابر واحتسب عند الله من أبناء استشهدوا فى المعارك ولم يتقهقروا ..

***

وحينما يحل يوم العيد عليه ، وهو فيما هو فيه من مهانة ، تنساب عبراته مع أبياته التى يقول فيها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً فساءك العيد فى (أغْماتَ) مأسوراً
ترى بناتك فى الأطمار جائعة يَغزِلْن للناس ، لايَمْلِكْن قطميرا
برزْن نحوك للـتسليم ، خاشعـة أبصارهـــن حسيرات مكـــاسيراً
يطأن فى الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مِسْكاً وكافـوراً
لاخدَّ إلا ويشكو الجَدْبَ ظاهره وليس إلا مع الأنفاس ممطوراً
أفطرت فى العيد ـ لاعادت إساءته فكان فِطْرك ـ للأكباد ـ تفطيراً
مَنْ بات يَرْفُلُ فى مُلْك يُسُرُّ به فإنما بات ـ بالأحلام ـ مغروراً

ثم يخاطب قيده الحديدى ، حينما زاره ابنه (أبو هاشم) ورآه مُكبلا به ، فيقول :

قيدى .. أما تعلمنـــى مسلمـــاً أبـيت أن تشفـــق أو ترحما
دمى شراب لك ، واللحم قد أكلتـــه .. لاتهشم الأعظمـــا

يصرنى فيـــه أبـــو هاشم فينثني القلب ، وقـــد هشمـــا
ارحـــم طفيـــلا طائشاً لبـــه لم يخش أن يأتـيك مستـــرحما
وارحـــم أخيـــات له ، مثلـــه جرعتهن السم والعلقمـــــا
منهن من يفهم شيئاً ، فقـــد خِفْنا عليه - للبكاء - العمى
والغير لا تفهـم شيئاً ، فمـــا تفتـــح إلا لرضاع .. فمـــا

* * *

وبعد ، فإن الأمر بالنسبة لابن عباد أمر : « شاعر أصيل مرهف الحس ، مشرق الديباجة .. لبس التاج ، واقتعد ذروة الملك ، والمأساة التى ختمت بها حياته .. وقد كان الشعراء سمار ندوته وأركان دولته »[٩] «وقد وصف لنا المعتمد صوراً شتى من حياته فى نعيمها وبؤسها »[١٠] تذكرنا بقول شوقى :

ومـــن يغتـــر بالدنيـــا ، فإنـــى لبست بها .. فأبْلَـيْتُ الثيابـــا
جنيت بروضها ورداً وشوكـــاً وذقت بكأسها : شهـداً وَصَابا

«ولو ضاعت أخبار المعتمد ، ونسيت سيرته ، وبَقِىَ ديوان شعره، لكان إلى حد كبير ، كافيا فى الدلالة على شخصيته ، والإعراب عن سماحة نفسه وسجاحة خلقه ، وفرط كرمه وأسلوب حياته ونمط تفكيره .. فهو سجل أمين ، للكثير من أخباره وحوادث حياته كما يقول الأستاذ على أدهم بحق[١١].

« البحث موصول »

(٩) المصدر السابق .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) انظر كتاب (المعتمد بن عباد) ـ العدد الثانى من سلسلة (أعلام العرب) للأستاذ على أدهم .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

الدعـــاء .. والقضـــاء والقـــدر

لا أحد يستطيع أن يحصى نعم الله عليه ، ولعل من أجلِّ هذه النعم التى أكرم الله ـ تعالى ـ بها بني آدم ؛ نعمة الطلب منه والتقرب إليه ، فقال ـ تعالى : ﴿ وَسْئَلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ النساء ٣٢ ، ذلك السؤال والدعاء الذى تسكن به النفس وتظمئن بعد حيرتها ، لاسيما عندما تشتد الكروب وتعجز الحيل وتنقطع الأسباب .

ويكفى العبد الداعى شرفاً أن ربه هو الذى أمره بالدعاء ، وهو الذى يتفضل ـ وحده ـ بإجابة الدعاء ، قال ـ تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الأعراف ٥٥ ، وقال ـ ايضاً : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر ٦٠ .

ونظراً لأن الدعاء يطرد الشيطان ويطارده ؛ فقد يحول الشيطان بيننا وبينه بالتغافل عنه ، أو بزعم : عدم جدواه ، لأن كل شىء بقضاء الله وقدره ، وماقدره ـ سبحانه ـ من خير أو شر على العبد فسيقع سواء دعا أو لم يدع .

وقد ساق الإمام الغزالى الجواب على ذلك بوضوح ، حيث يقول : « اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ـ تعالى ـ أن لا يحمل السلاح وقد قال ـ تعالى : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ النساء

٧٩ ، وأن لاتستقى الأرض بعد بذر البذر بدعوى : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات ، والذى قدَّر الخير قدره بسبب ، والذى قدَّر الشر قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته »[1] ، ومن هنا يظهر عدم التناقض بين الدعاء وبين القضاء والقدر .

ومن هنا ينشر الباب كلمة تلقاها عن أدب الدعاء ، وكلمات أخرى ننشرها حرصاً على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات ، فضلاً عن الإجابة عن الاستفسارات التى نتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم .

المحـــرر

مـــن آداب الدعـــاء

حول أدب الدعاء الذى ينبغى أن يتحلى به الداعون ربهم ، كتب الأستاذ / محمد خيرى أبو ربيع ـ من يعقوب ـ البلينا ـ سوهاج ـ هذه الكلمة :

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه ، ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤلهم ـ فعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إن الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر ٦٠ ، رواه أحمد وأصحاب السنن .

ولكن للدعاء آداب يجب أن يتأدب بها المسلم حتى يستجيب الله له دعاءه ـ منها :

أولاً : تحرى الحلال : فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : « ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم » ، وقال : « ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم » ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، فأنى يستجاب لذلك » . رواه مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده .

ثانياً : ملاحظة الأوقات الفاضلة والحالات الشريفة ، كيوم عرفة ، وشهر رمضان ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ونزول المطر ، وبين الأذان والإقامة ، وعند التقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب ـ فعن أبى أمامه قال : قيل **يارسول الله أى الدعاء أسمع ؟ قال : (جوف الليل**

(١) إحياء علوم الدين ج١ ص٣٣٦ ـ بتصرف .

الآخر ودبر الصلوات المكتوبات) رواه الترمذى بسند صحيح .

ثالثاً : أن يبدأ بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، ويصلى على النبى ﷺ ، فعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو فى صلاته لم يمجد الله ــ تعالى ــ ولم يصلِّ على النبى ﷺ فقال : « **عجل هذا ثم دعاه فقال له ــ أو لغيره ــ إذا صلى (دعا) أحدكم فليبدأ بتمجيد الله ــ عز وجل ــ والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعو بعد بما يشاء** » . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وصححه .

رابعاً : خفض الصوت بين المخافة والجهر ــ لقول الله ــ عز وجل ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف ٥٥ ، ولقول النبى ﷺ « **أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصماً ولاغائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً** » رواه الشيخان .

كُتَّابُ الشيخ عطية

وكتب الأستاذ/ محمد حنفى الشاذلى ــ مدير عام الرقابة الدينية بالتليفزيون ــ عن الدور التثقيفى ــ الغائب ــ الذى كانت تلعبه الكتاتيب فى تنمية مدارك الأطفال وتنشئتهم إسلامياً يقول سيادته :

فى نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات كان للكتاتيب المنتشرة فى الأحياء المختلفة دور هام فى تعليم الأطفال مبادىء الدين وتحفيظهم القرآن الكريم .. **وكان الشيخ عطية شيخ كتاب حى بولاق** من الشخصيات المحببة لدى أطفال الحى . فكانوا يسعون إلى كتابه بعد انصرافهم من مدارسهم ــ بنين وبنات ــ ويلتفون حوله فى دائرة كبيرة ، وكان ينضم إليهم عدد من المدرسات ليستمعن إلى الدروس الدينية للشيخ عطية التى تتناول طهارة الإنسان فى مختلف علاقاته بأهله وتعلمت منه المرأة الكثير مما يعينها على حياة أسرية ذات مستوى نظيف رفيع .

وكان يرد على أسئلة الأطفال المحرجة بأسلوب مبسط وسهل ، مدعم بآيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة .. ويشرح لهم كيف خلق الله آدم وحواء وكيف علم آدم الأسماء كلها ، أى كل شىء ، وإن فى ظهره نطف الإنسانية جمعاء وعلى رأسها نطفة الرسول محمد ــ عليه صلوات الله وسلامه وقصصه ــ فى ذلك ــ محبوب مشوق ، منه:خلق أمنا حواء ليتزوجها سيدنا آدم ، وينجبان الأطفال فتعمر الأرض .

وعندما عرف الإنسان المادة والمقايضة أصبح للزواج عرف جديد ، وهو أن يدفع العريس مهر عروسه ، ويجهز بيتها ، ويضمن لها حياة كريمة . **ويسأل الأولاد الشيخ عطية : ومن لم يستطع** الزواج فماذا يفعل ؟! فيجيب أن الرسول ــ عليه السلام ــ يقول : « يامعشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة ــ أى تجهيز بيت الزوجية

والإنفاق على الزوجة ـ فليتزوج . فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أى حماية)» ..

وكان الشيخ عطيه يشرح للأطفال كيف أن النطفة غالية فهى مخ الساق ونور العينين . ويقول : إن لقمان نصح ولده عندما أقدم على الزواج وفكر فى الإنجاب أن يعامل زوجته أحسن معاملة . ويقال:إنه نصح ولده بالاقتصاد فى لقائه بأهله .

وذلك بعض ما أداه الشيخ عطية فى كُتَّابه ثم انقرضت الكتاتيب ، فانقرض النفع منها .

العبادلة الأربعة

ورغبة فى التعرف ببعض أعلام الصحابة ، يقدم الأستاذ/ محروس عبدالفتاح ياسين ـ ليسانس أصول الدين من جامعة الأزهر ـ هذه اللمحة عن واحد من العبادلة الأربعة (عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عباس ، عبدالله بن مسعود ، عبدالله بن عمرو بن العاص) .

وهى فى هذا العدد عن عبدالله بن عمر :

هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه وقيل قبله .. شهد الخندق ومابعدها مع رسول الله ﷺ .

ومن بعده ﷺ شهد اليرموك ، وفتح مصر وأفريقية ، وكان شديد الاتباع لرسول الله ﷺ .

ولقد اتصل بالنبى ﷺ عن طريق المصاهرة . فأخته حفصه ـ رضى الله عنها ـ كانت من زوجات الرسول ـ عليه السلام .

ويعد عبدالله من المكثرين لرواية الحديث : فقد روى له ألفاً وستمائة وثلاثين حديثاً .

اتفق الشيخان من ذلك على مائة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخارى بواحد وثمانين ٨١ حديثاً ، ومسلم بواحد وثلاثين حديثاً .

توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٧٣هـ وعمره واحد وثمانون عاماً .

شباب الإسلام

كتب القارىء/ عادل على على اسماعيل ـ من قورص ـ أشمون منوفية ـ هذه الكلمة :

إن الشباب هم سواعد الأمة وبناة صرحها الشامخ ، ولاشك أنهم كلما تطلعوا بالإيمان إلى وجوه الخير وفقهم ربهم ، قال ـ تعالى ـ فى شأن أهل الكهف : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف ١٣ .

وباستقراء تاريخنا الإسلامى نجد الكثير ممن حباهم الله حب الإسلام والعمل به والتضحية من أجله ، فهذا «عمار بن ياسر» و«بلال بن رباح» و«صهيب الرومى» وغيرهم ممن دون التاريخ أسماءهم بحروف من نور ، ولن يعدم عصر من العصور أمثالهم من المجاهدين من أجل إسلامهم وتراب أوطانهم ، فالخير فى أمة النبى ﷺ إلى يوم القيامة .

سحابة صيف عن قريب تنقشع

وكتب الأستاذ/ كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ من الكوم الأحمر ببنى سويف ـ هذه الكلمة عن مآسى المسلمين :

قد يتسرب اليأس إلى القلوب وتنفطر الأفئدة بالحزن حينما نتعرف على أحوال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومايتعرضون له من قتل وتعذيب وتهجير ومصادرة أراض ، زيادة على تنكر المجتمع الدولى لحقوقهم ، ووقوفه موقف المتفرج من قضاياهم ، وتصبح قراراته سيفاً مسلطاً على المسلمين لابد من تنفيذه ، أما على غيرهم فتتحول إلى سراب ووهم ، فوضحت النوايا ، وانكشفت الضمائر ولكن هل يدعونا كل ذلك إلى اليأس فعلاً ؟! هذا السؤال لو طرحه المؤمن الواثق بالله على قلبه لكان الرد سريعاً . لايأس ولاقنوط لأن الله تعالى علمنا ذلك وعرفنا إياه ، فقال ـ سبحانه : « إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف ٨٧) .

وقديماً عبر العرب الفصحاء عن أوقات الشدة والبأس بأنها سحابة صيف عن قريب تنقشع ، ونحن المسلمين نوقن بذلك ونثق به ، فهذه الأحداث وما سبقها وما يمكن أن يأتى فى القريب ؛ إنما هى سحابة أوشكت رياح النصر أن تزيحها وتقشعها ؛ لأن الليل يشتد سواده قبل بزوغ الفجر ، وآلام المخاض تبلغ منتهاها قبل الولادة ، فهذا هو الظلام الذى يليه الفجر المشرق ، وضوء النهار ، وهذه آلام المخاض التى تليها ولادة النصر العظيم والعزة والتمكين .

مكانة اللغة العربية

وتلك كلمة وافانا بها القارىء/ محمد كمال كامل الشامى ـ الطالب بكلية التربية بأبى تيج ، قسم اللغة العربية ـ عن : منزلة اللغة العربية ومكانتها بين اللغات :

تعد اللغة العربية من أسمى اللغات التى أوجدها الله ـ تبارك وتعالى وكان من فضله علينا أن جعلنا شعوباً ناطقة بها ، وإتماماً لتلك النعمة بعث الله ـ تعالى ـ إلينا نبياً عربياً ناطقاً بلسان عربى ، وأنزل عليه قرآناً عربياً جعله لنا منهج حكم ودستور حياة .

قال ـ تعالى : ﴿ حمٓ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ ـ أول الزخرف ـ تلك اللغة التى كان يحبها سيدنا رسول الله ﷺ ؛ لأنها لغة قومه ولأنها لغة القرآن ولأنها لغة أهل الجنة ، ولا أعتقد أن هناك لغة أقدم منها أو أوسع انتشاراً ، إذ يتحدث بها الآباء والآجداد منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، ويتحدث بها نحو مليار ومائتى مسلم هم : خمس العالم ، إننا نتطلع الى اليوم الذى تنتشر فيه لغتنا العربية فى أرجاء العالم كله(*) .

(*) لاشك أن اللغة العربية من مظاهر استقلال المسلمين بقوميتهم وعروبتهم ، وعلينا أن نجبر الأجنبى على تعلمها ليحدثنا بها فى بلادنا ، كما يجبرنا أن نتعلم لغته لنحدثه بها فى بلاده ، ذلك أن لغتنا أعز وأكرم . المحرر .

وصلتنا رسائلكم

تلقى الباب رسائل السادة الآتية أسماؤهم :

الأساتذة : خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ، نجاح عبدالقادر سرور ، يحيى السيد النجار ، رمضان ابراهيم الأقرع ، أحمد محمود الطباخ ، عبدالقادر نوح رسلان ، سلامه محمود ابراهيم مخلوف ، شحاته أحمد أبو بكر ، مصطفى كمال عيسى مصطفى ، طلعت عبدالعظيم سليم ، محمد محمود حمام ، عماد ميزار عبدالعظيم جابر ، محمد عبدالخالق محمد حسن البياع ، محروس عبدالفتاح يٰس ، شريف مرشدى خليفة ، أشرف على جاد الله ، أحمد فتحى السيد محمد ، محمد أحمد مكرم ، آمنة أحمد مكرم ، عبدرب النبى محمد على ، كمال الشاطبى .

وفيما يلى من أعداد نهتم بعرضها والتعليق عليها وفقاً لما احتوته من المضامين ، شاكراً لكم عنايتكم ومتابعتكم .

ردود وتعليقات

★ القارىء / عبدالمنعم عمر محمد عبدالرحيم .. بنى عدى البحرية ـ منفلوط ـ أسيوط .

كما تفضلتم وذكرتم أن الأزهر هو درع المسلمين ضد أى عدوان على تشريع الإسلام ، وكذلك تلاحظون أن أعداء الإسلام لاينقطعون فى أى عصر من العصور ، فهو صراع أبدى بين الحق والباطل ؛ لأنه من سنن الله فى كونه يميز الله به الخبيث من الطيب ، ومن يثبت على الإيمان من غيره ، ومن فضل الله علينا أنهم برغم وجودهم وتنامى وسائلهم إلا أنهم لاتقوم لهم قائمة «فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ» الرعد ١٧

★ القارىء / فراج حسن فراج ـ قسم حسن صالح ـ الزقازيق .

استغلال بعض الباعة ببيع المجلة بأكثر من ثمنها المعلن (٧٥) خمسة وسبعون قرشاً أمر وارد ، ولكن لاينبغى تشجيعهم بالتعامل معهم ، ونأمل ـ على الرغم من أزمة الورق العالمية وارتفاع سعره ـ فى زيادة الكمية المطبوعة من المجلة لتغطية الطلب المتزايد عليها .

★ الشاعر / محمود عبدالعزيز عبدالمجيد ـ من البلدية ـ كفر الشيخ .

★ الشاعر / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :

قرأت قصيدتيكما : «لبيك ياقدس» و«على مشارف مذبحة الخليل» وأعجبت بما فيها من تدفق شعرى ، ولعل ماتحقق للفلسطينين فى هذه الأيام من توسع فى دائرة الحكم الذاتى يجعلنا نردد المثل العربى «أول الغيث قطر ثم ينهمر» .

نشكركم وفى انتظار إبداعاتكم .

ردود وتعليقات

★ القارىء / إبراهيم عبدالعظيم محمد ـ من السنبلاوين ـ دقهلية

★ والقارىء / طلعت عبدالعظيم سليم ـ المدرس بمعهد بنين بهجوره ـ نجع حمادى ـ قنا .

فيما يتعلق باشتراك كل معهد أزهرى فى مجلة الأزهر بثلاث أعداد شهرية من ميزانية مجلس الآباء أو اتحاد الطلاب ـ أسوه بما يتبع مع بقية الأنشطة ـ ضماناً لوصول المجلة إلى هذه المعاهد واطلاع العاملين فيها من مدرسين وطلاب وإداريين على رأى الأزهر فى كافة القضايا المعاصرة أولا بأول ، وتحفظ بعد ذلك فى مكتبة المعهد .

الحق أنه اقتراح طيب ، وسبق أن بادر به من قبل : فضيلة الشيخ / سليمان عبدالحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور ، ثم تلقت المجلة بعده العديد من رسائل المدرسين والطلاب الذين يشكون من عدم وصول المجلة إلى محال إقامتهم وتطالب بنفس الاقتراح تيسيراً عليهم .

ونظراً للأهمية التى يمثلها هذا الاقتراح ، فسوف نرفع الأمر لفضيلة الإمام الأكبر / شيخ الأزهر ـ لاسيما ونحن نعلم مدى اهتمام فضيلته بهذا القطاع العريض من أبناء المعاهد الأزهرية والعاملين بها ـ حتى يتسنى لنا ـ بموجب الموافقة ؛ التنسيق مع إدارة المعاهد الأزهرية لتحقيق هذه الأمنية التى طالما تطلع إليها كثيراً من قراء مجلة الأزهر .

★ الأستاذ / يحيى السيد النجار ـ من دمياط .

إننا نتطلع معا إلى اليوم الذى تعالج فيه أمتنا جميع خلافات الرأى بآداب الإسلام القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، عند ذلك يكون النزول عند الحق وقتما ظهر فى أى جانب .

★ القارىء / سيد محمود محمد ـ المرج القاهرة

لعلكم قد لاحظتم مؤخراً بالمجلة تخصيص باب ثابت للحديث النبوى وهو « السنة : هُدًى ورجالاً » ، ويمكن تغطيته لكل مايتصل بعلوم الحديث ورواته ، علماً بأنه ما من اقتراح يصلنا من قرائنا الأعزاء إلا وهو قيد النظر والبحث ، خالص التقدير لمتابعتكم البناءة .

★ القارىء / محمد على البلـــجيهى ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ دقهلية .

تلقيت كلمتكم عن « تعاليم الإسلام » وأعجبت ببلاغتها على إيجازها ، ولعل أفضل معنى أردتم الوصول إليه ، هو : أهمية منهج الاتباع كما ورد فى قوله ـ تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

آل عمران ٣١ .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الدكتور أحمد عمر هاشم رئيسا لجامعة الأزهر

أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيسا لجامعة الأزهر لمدة أربع سنوات .

جاء القرار بناء على ما اقترحه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وما عرضه الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر .

كان الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم يشغل منصب نائب رئيس جامعة الأزهر ورئيس لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب .

الإمام الأكبر يستقبل عضو البرلمان الهندى

استقبل الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم التاسع من ربيع الآخر ١٤١٦ هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٩٥ م السيد محمد عنايت خان رئيس الجامعة الإسلامية العربية الهندية .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع العالم الإسلامى وأوجه التعاون والتضامن لخروج الأمة الإسلامية من المصاعب التى تواجهها ، كذلك تناول اللقاء بحث قضية كشمير وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أمله فى إيجاد حل لهذه القضية حتى تتخلص المنطقة من العنف ويسود السلام فى كشمير .

وقد أكد الضيف تقديره للأزهر الشريف ـ شيخا وعلماء ـ لما يقدمه من خدمات تعليمية وإرشادية للعالم الإسلامى عامة ولمسلمى الهند بصفة خاصة .

الإمـام الأكبـر يسـتقبل كبيـر أساقفة كانتريرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم التاسع من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٤ أكتوبر ١٩٩٥ م القس جورج ليونارد كيرى كبير أساقفة كنيسة كانتريرى الانجيلية الذى زار القاهرة والوفد المرافق له .

وقد استعرض اللقاء دور الأزهر الشريـف ورسالته عبر تاريخيه الذى يربو على أكثر من ألف عام ليمثل بذلك أقدم جامعة على مستوى العالم مشيرا إلى التعاون العلمى المثمر بين الأزهـر الشريف والعديد من جامعات العالم بما فى ذلك اوروبا وأمريكا وغيرها ، إلى جانب تعاونه مع الدول العربية والإسلامية .

وقد أوضح فضيلته أن هذا التعاون يشمل تبـادل استكمـال الـدراسات العليـا ، وتبـادل الأساتـذة والخبرات العلميـة إلى جانب تبـادل وجهات النظر حول أوضاع الأقليات الإسلامية فى الغرب وغيره إلى جانب مشاركـة الأزهـر وأساتذته فى المؤتمرات العلمية التى تعقد خارج مصر .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر الشريف وإن كان هو الملجـأ الروحـى لكافـة الجامعات والمؤسسات الثقافية والدينية والعربية والإسلامية ، إلا انه لا يتدخل فى شئون هذه الجامعات ، هذا وقد أعرب كبير الأساقفة عن تقديره لدور الأزهر الشريف مؤكدا على أنه يؤمن بالتقارب والتساند مع الدين الإسلامى ، مشيرا إلى موقف بريطانيا ـ حكومة وكنائس ـ المتمثل فى إدانة المذابح التى يتعرض لها الشعب المسلم فى البوسنه والهرسك مشيرا كذلك إلى أن الحقائق قد غابت وسط نيران المعارك .

وقد أعرب الضيف عن أمله فى مزيد من التعاون بين الإسلام والمسيحية من أجل أن يعم السلام والأمن والخير بنى الإنسان .

وقد قدم فضيلة الإمام الأكبر لضيفه فى ختام اللقاء نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الانجليزية .

الإمـام الأكبر يستقبل وفد

جامعة بيشاور الباكستانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم الثامن من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٩٥ م وفد جامعة بيشاور الباكستانية برئاسة الدكتور قاضى محمد مبارك عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية .

تم خلال اللقاء أوجه التعاون بين جامعتى بيشاور لإمداد الجامعة بالخبرات العلمية والأساتذة المتخصصين فى مجالات الـدراسات الإسلاميـة والعربية .

كما تم خلال اللقاء بحث الطلب المقدم من الجامعة للسماح لأساتذتها بالانتظام فى دورات تدريبية بجامعة الأزهر الشريف للاستفـادة من خبرات علمها وعلمائها .

الإمـــام الأكبـــر فى زيـــارة للشـــرقية

قام فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩٩٥ م بزيارة لمحافظة الشرقية ، افتتح خلالها عددا من المعاهد الأزهرية ، وقام بوضع حجر الأساس لعدد آخر من المعاهد رافق فضيلته السيد الوزير الدكتور عبدالوهاب سيد أحمد محافظ الشرقية ، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر الشريف وهذه المعاهد هى معهد بردين المعهد الاعدادى الثانوى بقرية الحلمية بـ أبوحماد ومعهد بحطيط بـ أبوحماد الاعدادى الثانوى .

ثم توجه فضيلته بعد ذلك إلى مدينة العاشر من رمضان حيث قام بزيارة معهد العاشر من رمضان النموذجى ثم قام فضيلته بوضع حجر الأساس لمجمع فؤاد حسن الأزهرى النموذجى للغات بالمدينة ، وقد تقرر فى هذه الزيارة إنشاء فرع لجامعة الأزهر الشريف بالعاشر من رمضان على مساحة (٦٠٠) ستمائة فدان ، وتبرع أحد المستثمرين ببناء كلية أزهرية على مساحة مائة فدان .

ثم شهد فضيلته بعد ذلك افتتاح ندوة الملتقى الثقافى لعام ١٩٩٥ التى نظمتها جمعية المستثمرين بمدينة العاشر من رمضان والتى إستمرت ثلاثة أيام حيث ناقشت قضية الغلو فى الدين وأسبابه وطرق علاجه ، وقضايا أخرى معاصرة وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الإسلام لا يعرف المغالاة أو التطرف أو التفريط وعلى كل مسلم أن يؤدى ما عليه من عبادات ثم ينصرف إلى عمله مهما كان بسيطا لأن ذلك هو مفتاح الوصول بالأمة إلى طريق التنمية والرخاء .

قرارات لرئيس الجامعة الجديدة

أصدر الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر قراراً بندب الأستاذ الدكتور سيد عبدالتواب عبدالهادى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية البنات بالجامعة بالقاهرة لتولى منصب عميد الكلية مع منحه البدل المقرر لهذا المنصب .

كذلك أصدر فضيلته قرارا بندب الأستاذ على محمد عبدالمنعم الأستاذ بقسم المكتبات وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية لتولى منصب عميد كلية التربية بتفهنا الإشراف لمدة عامين مع منحه البدل المقرر لهذا المنصب .

كما أصدر رئيس جامعة الأزهر قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور على أحمد مرعى عميد كلية الشريعة والقانون ، وقد كان قبل ذلك فضيلته قائما بعمل العميد فى ذات الكلية .

كما أصدر فضيلته قرارا بتعيين الأستاذ الدكتور محمد الحديدى عميدا لكلية البنات الإسلامية بالمنصورة ، والأستاذ الدكتور محمد رشاد دهنش عميدا لكلية الدراسات بدسوق ، والأستاذ الدكتور محمد أحمد الغريب عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة .

ترقيات وتعينات بالأزهر الشريف

بناء على ترشيح من فضيلة الإمام الأكبر أصدر الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء قراراً بترقية وتعيين السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى درجة مدير عام بوظائف مختلفة بالأزهر الشريف وعددهم ستة عشر وهم :

١ ـ فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى على حمزة مديرا عاماً للإدارة العامة للإعلام والعلاقات العامة بمكتب شيخ الأزهر .

٢ ـ فضيلة الشيخ/ محمد عبدالسميع شبانة مديرا عاماً للتعليم النوعى قطاع المعاهد الأزهرية .

٣ ـ فضيلة الشيخ/ عزالعرب عبدالوهاب إبراهيم مديرا عاماً لمجلة الأزهر الشريف .

٤ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان مديرا عاماً لإدارة شئون القرآن الكريم .

٥ ـ فضيلة الشيخ/ محمود خليفة عبدالله خليفة مديرا عاماً لشئون المصحف والبحوث والترجمة .

٦ ـ فضيلة الشيخ/ صالح محمد عبدالهادى صالح مديرا عاماً لشئون الامتحانات والطلاب والخريجين .

٧ ـ فضيلة الشيخ/ متولى معوض مليجى مهدى مديرا عاماً للتعليم الإعدادى قطاع المعاهد الأزهرية .

٨ ـ فضيلة الشيخ/ محمد محمد الحسينى يونس مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

٩ ـ فضيلة الشيخ/ أحمد محمد البيومى محمد عبدالرحيم مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٠ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالله عبدربه إبراهيم بكر مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١١ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالرحيم أحمد عبدالرحيم السمين مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٢ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالمنعم محمد عبدالله الأودى مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٣ ـ فضيلة الشيخ/ محمد صبحى أحمد دياب مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٤ ـ فضيلة الشيخ/ محمد عبدالعظيم إبراهيم جمعة مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٥ ـ فضيلة الشيخ/ محمد طه عبدالحافظ مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٦ ـ السيد الأستاذ/ مصطفى أحمد على الغمراوى مديرا عاماً لرعاية الطلاب بالأزهر الشريف

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير

عام جديد .. مبارك

بعث رئيس مجلس الشعب المصرى برقية تهنئة إلى الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة بدء السنة الخامسة عشرة لتوليه مهام الرئاسة ، عبرَّ فيها باسمه وباسم أعضاء المجلس عن أصدق التهانى وأطيب التمنيات لسيادته داعياً الله أن يسدد خطاه ويبارك مسعاه من أجل مصر وشعبها .

كما بعث السيد رئيس مجلس الشورى برسالة مماثلة أشاد فيها ـ باسمه وباسم أعضاء المجلس ـ بقيادته الحكيمة للمسيرة المصرية المظفرة منوهاً بالتقدم الاقتصادى ، والثقافى ، والسياسى ، الذى أحرزته الأمة فى عهده .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس بدأ العام الجديد بإصدار بيان دعا فيه الناخبين لاختيار أعضاء مجلس الشعب الجديد وذلك فى التاسع والعشرين من نوفمبر القادم .

جنيف

عقد مؤخراً فى سويسرا مؤتمر إسلامى بعنوان (الوحدة الإسلامية فى أوروبا) شهدته وفود مثلت المنظمات والجمعيات الإسلامية فى أوروبا ورأسه الدكتور/ أحمد عبدالرحيم رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية فى النمسا .

قال فى الكلمة الافتتاحية للمؤتمر : إن الإسلام دين تسامح ولين ورحمة ، وأن رسالته عالمية للبشرية جمعاء .

أكد البيان الختامى للمؤتمر ضرورة العمل على اتخاذ الخطوات العملية لبناء مركز الوحدة الإسلامية بأوروبا والذى سيتخذ من بون مقراً له ، كما حض البيان على أهمية التركيز على قضايا الأقليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا واستراليا والذين يزيدون على ٥٥ مليون نسمة ، حيث ينبغى التركيز عليهم فى وسائل الإعلام .

أوسلو

وافقت السلطات النرويجية على إنشاء إذاعة إسلامية لبث القرآن الكريم والفتاوى والبرامج الدينية باللغات العربية ـ وغيرها ـ وذلك تلبية لطلب المسلمين فى مدينة بركين ، وقد تعهدت الحكومة فى أوسلو بدفع كافة نفقات إنشاء الإذاعة ، كما ساهمت فى إنشاء مكتبة تضم

الكتب الإسلامية والمراجع التى تخدم الإذاعة الوليدة .

وفى اليابان أكد صالح السامرائى مدير الشئون الدينية بالمركز الإسلامى بالعاصمة اليابانية (طوكيو) أنه يجرى حالياً الإعداد لبناء مسجد كبير هناك لاستيعاب أعداد المسلمين التى تزداد باطراد فى هذه البلاد .

البوسنة والهرسك

واصلت قوات التحالف البوسنى المسلم والكروات تقدمها إلى مسافة ١٢ كيلو متر من مدينة « بانيالوكا » كما ذكرت المصادر الصربية التى أضافت أن قتالاً عنيفاً يدور فى « بيهاتش » بشمال غرب البوسنة مؤكدة سقوط مدينة « سانسكيمونت » .

كما تحدثت مصادر بوسنية عن هجمات شنها الصرب فى نفس المنطقة ، وأكدت المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة مواصلة ميليشيات صرب البوسنة للتجاوزات فى حق اللاجئين البوسنيين والكروات ، وقال المتحدث باسم المفوضية فى جنيف أنها تتلقى تقارير مرعبة للغاية ؛ حيث أن آلاف الشبان البوسنيين الذين بإمكانهم حمل السلاح اعتبروا فى عداد المفقودين فى « بانيالوكا » كما تعرضت نساء بوسنيات للاغتصاب .

هذا ويقوم الصرب بمنع قوافل الإغاثة الدولية من المرور على الطريق الذى يربط سراييفو بجيب « جوارزدى » المسلم . ووسط هذه الانتهاكات الصارخة لأبسط حقوق الإنسان ، قال الرئيس البوسنى الزائر لجمهورية التشيك : إنه ليس متفائلاً بإمكانية توقيع اتفاق سلام سريع يضع حداً نهائياً للنزاع فى البلقان . وأضاف فى مؤتمر صحفى مشترك عقده فى براج مع الرئيس التشيكى أنه سيكون من الصعب حل قضايا مصيرية ، منها الاتفاق حول خريطة جديدة تقسم بلاده إلى مناطق عرقية .

وقال إن عملية التوصل إلى اتفاق سلام ستستغرق وقتاً طويلاً نظراً للتمادى فى حرمان المدنيين البوسنيين من أبسط حقوقهم المتمثلة فى وصول الغاز والكهرباء والماء إليهم لمواجهة شتاءً قاسياً آخر على الأبواب .

أفغانســــتان

أكدت مصادر قوات الحكومة الأفغانية فشل الهجوم المضاد الذى شنتهُ قوات الحكومة لإبعاد قوات (طالبان) عن التلال الواقعة جنوب كابول العاصمة ، وذكر أن قوات الرئيس برهان الدين ربانى بدأت هجوماً منذ الخميس ١٢ أكتوبر الماضى ، حيث قصفت قوات حركة (طالبان) بالدبابات والمدفعية الثقيلة ، وتأكد أخيراً أن مدينتى « ليشبور » و « خير أباد » لا تزالان بين الجانبين .

كما أستولت قوات (طالبان) على قليل من النقاط المطلة على الضواحى الجنوبية للعاصمة ، وذلك بعد صراع مرير واقتتال على السلطة أضاع ثمرة جهاد مقدس استمر أحد عشر عاماً لتحرير أفغانستان من الاحتلال السوفيتى .

ويوضح الصراع الدائر الآن افتقار الفرقاء هناك إلى أدنى معرفة بقواعد الإسلام التى تؤكد أن المسلمين إذا التقيا بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار .

كولومبيا

رأس وزير الخارجية المصرى وفد مصر فى اجتماعات القمة الحادية عشرة لرؤساء دول وحكومات حركة عدم الانحياز وذلك فى الثامن عشر من أكتوبر الماضى .

سبق القمة مؤتمر تحضيرى على مستوى وزراء الخارجية ، وأكد عمرو موسى أن مصر معنية ببقاء حركة عدم الانحياز واستمراريتها وأنه تجرى محادثات بهذا الصدد مع أندونيسيا وبعض الدول المؤسسة للحركة ، وطالب بضرورة انفتاح دول أمريكا اللاتينية على الحركة التى قال : إنها تمثل العالم الثالث بكل مصالحه ، وصرح سفير مصر فى كولومبيا : أن المؤتمرين بحثا : قضايا الصراع البوسنى وأزمةالشرق الأوسط والتعاون فى مجالات تلوث البيئة ، ومكافحة المخدرات والجفاف والحوار بين الشمال والجنوب ، وغير ذلك من الموضوعات الهامة .

الشيشان

أعرب الرئيس الروسى عن قلقه من تطورات الأزمة الشيشانية ، وربط حالة الاستقرار فى بلاده بإنهاء هذه الأزمة ، أما وزير الدفاع الروسى فقد أطلق تهديداته باستئناف العمليات العسكرية ضد المقاتلين الشيشان .

وكان وزير الداخلية الروسى قد أصدر أمراً بتعيين « آثاتولى شيكيركوف » قائداً للقوات الروسية فى الشيشان خلفاً للجنرال « رومانوف » الذى تعرض فى السادس من أكتوبر الماضى لمحاولة اغتيال فى « جروزنى » ، ولا يزال فى حالة صحية خطيرة فى أحد المستشفيات العسكرية فى روسيا .

والقائد الجديد يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً وهو من مواليد العاصمة الشيشانية وكان قبل ذلك يشغل منصب رئيس الأركان والنائب الأول لقائد القوات الداخلية التابعة لوزارة الداخلية الروسية الموكل بها أصلا إخماد التطلعات الإسلامية فى الشيشان .

مؤتمر الغرف الإسلامية بالقاهرة

عقد مؤخراً بالقاهرة فى غضون شهر جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ، الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥ م ـ برعاية الرئيس مبارك ـ المؤتمر الثانى للقطاع الخاص للدول الإسلامية ؛ الذى تنظمه الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة بكراتشى ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للغرف التجارية المصرية .

شارك فى المؤتمر نحو ثلاثين دولة إسلامية ، واثنتا عشرة منظمة إسلامية دولية ، وحضره ـ كضيف شرف ـ فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ناقش المؤتمر : التحديات الاقتصادية التى تواجه الدول الإسلامية بإنشاء سوق إسلامية للتجارة والاستثمار فى إطار مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية ، وتقوم هذه الفكرة على دعم التبادل التجارى والاقتصادى وتخفيض التعريفة الجمركية بين الدول العربية والإسلامية .

وعلى هامش المؤتمر أقيم معرض كبير لعرض أوجه النشاط الصناعى والتجارى للدول المشاركة فى المؤتمر ؛ سعياً وراء زيادة حجم التجارة البينية بين الدول الإسلامية .

avait fait afin de mériter cette récompense et l'annonce de mériter cette récompense et l'annonce de cette bonne nouvelle. Sa'ad lui répondit: "Je ne me suis jamais couché en ayant dans le coeur la moindre jalousie, ni la moindre haine, ni de rancune envers qui que ce soit". Il avait des qualités exceptionnelles; il ne mangeait que ce qui était licite c'est pour cela que ses invocations étaient exaucées.

Les jours s'écoulèrent et Sa'ad le chevalier victorieux n'avait pour souci que la lutte pour la cause d'Allah. Lorsque vint le Califat d'Omar Ibn Al Khattab, les perses profitèrent de l'occasion pour récupérer les terres conquises par les Musulmans sous le règne d'Abou Bakr. Leurs guerres aggressives inquiétèrent le prince des croyants Omar Ibn Al Khattab qui décida d'aller lui-même à la tête de l'armée musulmane dans une bataille décisive contre les perses en vue de reprendre les terres des Musulmans. Il confia Médine à Ali et s'apprêtait à partir lorsque quelques-uns de ses compagnons lui suggérèrent de choisir quelqu'un pour le remplacer dans cette mission. Ils lui dirent qu'il ne fallait pas mettre en danger la vie du prince des croyants dans cette période critique.

Omar leur demanda: "Qui me conseillez-vous de charger de cette mission? Qui peut supporter cette responsabilité alors que Rostom le sanguinaire commande l'armée perse? Ils se turent pour réfléchir; puis Abd Ar Rahman Ibn Awf s'écria: "Je l'ai trouvé". Omar lui dit: "Qui est-ce". Abd Ar Rahman répondit. "C'est lui qui, lorsqu'il lance la flèche, elle atteint l'ennemi et qui, s'il invoque Allah est exaucé: c'est Sa'ad Ibn Abou Waqas".

(à suivre)

grandeur de mon amour filial envers toi... Mère! par Allah! si tu possédais cent âmes et si ces âmes sortaient l'une après l'autre, je n'abandonnerais pas ma religion à n'importe quel prix... Mange si tu veux ou ne mange pas, à ta guise". Sa mère se plia devant sa ferme révolution: elle but et mangea. Voici la Révélation qui fut faite au Prophète (b.s.) au sujet de Sa'ad pour montrer qu'Allah approuve ce qu'il fit.

Allah dit: [Et si tous deux (père et mère) te forcent à M'associer ce dont tu n'as aucune connaissance, alors ne leur obéis pas; mais reste avec eux ici-bas de façon convenable. Suis le sentier de ceux qui s'en remettent à Moi. Puis c'est vers Moi que sera votre retour. Je vous informerai alors de ce que vous faisiez].

Sourate "Luqman" le sens du verset 15.

Sa'ad Ibn Abou Waqas était courageux et vaillant. Il fut le premier à attaquer un polythéiste au nom de l'Islam. Au début de l'Islam, les Musulmans faisaient leurs prières en cachette. Un jour, pendant que Sa'ad faisait sa prière dans les buissons de la Mecque, un des polythéistes l'aperçut et voulu l'attaquer, Sa'ad le frappa sur le crâne et fit couler son sang.

Sa'ad émigra à Médine, il prit part à l'expédition de Badr, lança ses flèches sur les polythéistes avec une compétence incomparable, si bien que le Prophète (b.s.) lui dit: "Tire Ô Sa'ad ... Je te sacrifierai mon père et ma mère ... Seigneur dirige son tir et exauce son invocation"(1). Le Messager d'Allah (b.s.) ne dit jamais cette parole qu'à Sa'ad, il dit fièrement de lui un jour devant ses compagnons: c'est mon oncle maternel... que l'un d'entre vous me présente son oncle'(2).

Un jour, alors que le Messager était assis parmi ses compagnons, il leur dit: "Maintenant vous allez recevoir l'un des hôtes du Paradis". Après un court moment, ils virent apparaître Sa'ad Ibn Abou Waqas. Abdallah Ibn Amr Ibn Al As, s'approcha de lui pour savoir ce qu'il

1. Hadith rapporté par Al-Bokhary.
2. Hadith rapporté par Termizi.

Sa'ad Ibn Abou Waqas

"Je sacrifierai pour toi ma mère

et mon père"

— 1 —

par : Hoda Hussein Chaâraoui

"J'ai vu durant mon sommeil que j'étais dans les ténèbres, puis qu'une lune m'a éclairé un chemin que je suivis. C'est comme si je regardai ceux qui m'avaient devancé vers cette lune: J'ai vu Zaïd Ibn Haritha, Ali Ibn Abou Talib et Abou Bakr. Je leur demandai: "Quand êtes-vous parvenus là "Ils m'ont dit: "A l'instant". Puis je me suis réveillé, le Prophète (b.s.) avait alors reçu la Révélation de son message, je me rendis chez lui et me convertis à l'Islam. Les trois hommes que je vis en rêve étaient les seuls à m'avoir devancé dans l'Islam".

Telle est l'histoire de la conversion de Sa'ad comme l'a racontée sa fille Aïcha. Sa'ad Ibn Malik Ibn Wahib surnommé Sa'ad Ibn Abou Waqas était le cousin germain de "Amina bent Wahab" le mère du Messager d'Allah (b.s.).

Sa'ad embrassa l'Islam à l'âge de 17 ans et il était connu par sa bonté et sa piété envers sa mère. Lorsqu'elle apprit qu'il s'était converti, sa mère s'efforça de l'écarter de ce chemin; puis voyant la fermeté de sa décision, elle le menaça de s'abstenir de manger et de boire jusqu'à sa mort, afin qu'il soit déshonoré aux yeux des gens. Elle exécuta sa menace et failli trouver la mort. Lorsqu'ils la virent près de mourir, les membres de sa famille obligèrent Sa'ad à venir la voir pour un dernier adieu, espérant par là attendrir son coeur en la voyant dans cet état. Sa'ad se rendit auprès d'elle et lui dit: "Mère, les gens connaissent la

De plus, elle est stable, grâce à la loi de la pesanteur, gravité (les montagnes jouent probablement un rôle en cela), grâce à l'équilibre entre les gaz atmosphériques et aux résultats des réactions chimiques et biologiques sur terre.

"Nous avons fait du ciel une voûte protégée."

Sour. "Al Anbiya," (Les Prophètes), v.32.

L'atmosphère demeurera ainsi jusqu'aux grands désordres cosmiques qui auront lieu le Jour Dernier.

"Lorsque de ciel sera enlevé).

Sour. "Al Takwir", v.11.

"Lorsque le ciel se déchirera."

Sour. "Al Inchiqaq" v.1.

"Lorsque le ciel se rompra".

Sour. "Al Infitâr", v.1.

Cette couche atmosphérique joue un rôle vital dans la préservation de l'air sur la terre avec ses composants indispensables à la vie de toutes les créatures — et en l'empêchant de s'échapper vers l'espace extérieur. C'est dans cette atmosphère que se condense la vapeur d'eau qui s'évapore des mers et des océans pour se condenser et "revenir" à la terre sous forme de pluie.

De même, cette atmosphère réfléchit les radiations thermiques vers la terre, de sorte qu'il n'y a pas de "fuites." Il en est de même pour les ondes de T.S.F.

"Par le ciel qui fait revenir."

Sour. "Al Tariq" v.11.

(à suivre)

physiques et des composantes chimiques différentes. Or cette découverte assez récente pourrait être l'interprétation du verset qui dit :

"Ne voyez-vous pas comment Allah a créé sept cieux superposés".

Sour. "Nuh" (Noé) v.15.

Une autre interprétation possible serait la référence aux composantes des cieux (Les plantètes, étoiles, galaxies, lunes, etc.)

"Nous avons construit au-dessus de vous sept cieux inébranlables).

Sour. "Al Naba' " (L'Annonce) v.12.

"Nous avons créé sept cieux au-dessus de vous)

Sour. "Al Mu'minûn" (Les Croyants) v.17

"Celui qui a crée sept cieux superposés."

Sour. "Al Mulk" (La Royauté) v.3.

Cette couche atmosphérique est constamment stable comme l'affirme le Coran :

"et du ciel un édifice".

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v.22.

"Ou bien de construire le ciel; Il en a élevé la voûte."

Sour. "Al Nazi'at", v.27-28

Cette atmosphère est uniforme et sans fissures

"N'ont-ils pas regardé le ciel au-dessus d'eux? Comment Nous l'avons édifé et orné et qu'il est sans fissures?".

Sour. "Qaf", v.6.

"Voici pour eux un signe : la nuit dont nous dépouillons le jour).

Sour. "Ya-Sin" v.37.

même le "mouvement des montagnes" est lié au mouvement de la Terre dans l'espace dont nous ne sommes pas conscients :

"Tu verras les montagnes, que tu croyais immobiles, alors qu'elles passent comme des nuages."

Sour. "Al Naml" (Les Fourmis) v.88.

9. Les Montagnes :

Les Montagnes jouent un rôle primordial dans la stabilisation de l'écorce terrestre au cours de la rotation de la terre autour d'elle-même et autour du soleil, avec tout ce que la terre comporte de matières en fusion et de vapeur sous la litosphère et avec toutes les fissures et les replis. Les montagnes contribuent donc à la stabilisation de la litosphère, et à la diminution des éruptions volcaniques et des tremblements de terre. Or, ceci est clairement expliqué par les versets coraniques suivants.

"Il a placé sur la terre des montagnes comme piliers, afin qu'elle ne branle pas."

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles), v.15,
et Sour. "Luqman", v.10.

"Nous avons placé sur la terre des montagnes comme piliers afin qu'elle ne branle pas et les hommes non plus."

Sour. "Al Anbiya'" (Les Prophètes), v.21.

10. Le ciel et l'enveloppe atmosphérique :

La terre est entourée d'une enveloppe gazeuze constituée de plusieurs couches ayant chacune des caractéristiques

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage
Traduit par

Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

8. La Terre

La terre a la forme d'une sphère qu tourne autour d'elle-même; et cette rotation a pur résultat L'alternance des jours et des nuits. C'est ce qu'affirme le verset suivant :

"Il enroule la nuit sur le jour et Il enroule
le jour sur la nuit."

Sour. "Al Zumur" (Les Groupes), v.5

Ce mouvement de la terre est également expliqué par la sourate "Al Chams" (Le Soleil).

"Par le soleil et sa clarté!
Par la lune quand elle vient après lui!
Par la jour quand il illumine la terre!
Par la nuit quand elle le cache!"

Sour. "Al Chams" (Le soleil) v. 1à4

Ce qui signifie que l'arrivée du jour (grâce au mouvement de la terre) est la raison pour la quelle le soleil nous apparaît (et non le contraire); de même, l'arrivée de la nuit (grâce au mouvement de la terre) est ce qui fait disparaître le soleil.

Le principe du mouvement est également mis en valeur par l'expression "Salkh" (qui signifie "retirer" "découvrir" ou "mettre à nu") dans le verset :

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 part VI

Jumada Al-Akhera 1416 H. November 1995

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

2. a.

/la-kum dīn-u-kum wa l-ī-din-i/

Notice the precedence of the PPs /la-kum/ and /l ī/ before the NPs /dīn-u-kum/ and /dīn-i/ in the above example. The reason for such precedence, as Al-Sabuni (1976 : Vol.3, 614) explains, is to stress the meaning of worshipping Allah. Placing the above conjoined structure in its normal unmarked word order, we get the following :

b. /dīn-u-kum la-kum wa dīn-ī l-ī/.

'Your religion is for you, and mine is for me!'

However, this assumption differs from the original in that the frontshifting of the PP in the latter gives a more exclusive sense of possession. In rendering this verse, the four translators in question seem to transfer nearly the same structure and meaning of the original, but in different words. Their versions are represented as follows :

Khatib (824) :

"To you be your religion and to me be my religion."

Y. Ali (1708) :

"6. To you be your Way, And to me be mine."

Arberry (664) :

"To you your religion and to me my religion!"

Pickthall (823) :

"6. Unto you your religion, and unto me my religion."

However, the four translators, by sticking to the Arabic WO which differs from that in English, have lost some of the communicative value expressed in the SL text.

"Surely they are contriving an artifice, and I am contriving an artifice."

Arberry (640) :

"They are devising guile,
and I am devising guile."

By comparing Khatib's and Arberry's translations to those of Y. Ali and Pickthall, we'll find a great difference. One aspect of such difference, on the part of Y. Ali, is his inconsistency in the choice of words in the two conjoined sentences. He first uses the continuous verb 'plotting' in verse 15, then he resorts to the verb 'planning' in verse 16. His version is represented as follows :

Y. Ali (1633-34) :

15. As for them, they Are but plotting a scheme,
16. And I am planning A scheme.

Moreover, he uses the expression 'As for' at the beginning of verse 15 when it is not necessary, as it has no equivalent in the original text.

On the other hand, Pickthall, in his version, first uses the expression "Lo!" for emphasis, perhaps to attract the attention of the reader. Furthermore, his translation mainly depends on the excessive repetition of words; he mentions the word 'plot' four times in rendering the two verses (twice in each conjoined element). In addition, his use of unnecessary brackets would probably spoil the fluency of the style and distract the reader.

Pickthall (802) :

"15. Lo! they plot a plot (against thee, O. Muhammad)
16. And I plot a plot (against them)."

Pichtall's translation is, therefore, made weaker due to the many interrupting useless brackets which spoil the stylistic effect of the text as a whole.

A further vivid example of syntactic matches with 'and', on part of some of the translators in question, is :

Sura 109, verse 6 :

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

semantic and functional equivalents of coordinators. Even though they are less accurate on the lexical level than Y. Ali and Pickthall, yet they are more communicative. Perhaps these good quality are due to Khatib's and Arberry's understanding of the Qur'an, on the one hand, and of the nature of translating literary styles, on the other. Moreover, they are acquainted with the distinctive features of the Qur'an and the grammatical structures in both languages.

FOURTH : Unlike Y. Ali and Pickthall, both Arberry and Khatib have, in most cases, resorted to the brevity of expression, absence of redundancy and, consequently, absence of unnecessary coordinators. Moreover, they avoid adding any explanatory sentences or phrases in their translated versions.

However, in dealing with some structures of Coordination and, in particular, those related to repetitive conjoined elements, the four translators in question may sometimes show great success on both formal and functional levels. Some of their syntactic matches can be illustrated in the following section :

Syntactic Matches of Translating Coordinators :

Consider the following example :

Sura 86, Verses 15-16 :

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

1. a

?inna-hum yakīd-ūn-a kayd-an wa ?akīd-u kayd-an/.

Notice from the following versions that the four translators in question have succeeded in rendering the /wāw/ as 'and'. Moreover, in rendering those two verses, both Khatib and Arberry succeed in reproducing the same emphatic effect produced in Arabic by conjoining the repetitive phrase /yakīd-u kayd-an/, in its two different forms : the first, in the first masc. pl. form, whereas the second, in the first sing. form. Both phrases mean that the unbelievers are planning against Allah's religion, and Allah, the best of planners, is also planning against them in order to cause Islam to prevail;

Khatib (803) :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VI

By Dr. Maha Y. El Tagouri

Quality Assessment on the Syntactic level :

From the study and evaluation of the translations of most of the coordinators in 'Amma' Part on the syntactic level, the following points can be deduced :

FIRST : Repetition of coordinators is a common feature in the four translations except for Arberry's, and more or less for Khatib's, where it is less frequently used.

SECOND : Y. Ali's and Pickthall's repetition of coordinators, in addition to the explanatory notes in brackets which, as they believe, may resolve any ambiguity in meaning, often distract the reader and distort the communicative effect and the flow of language. Thus, what Pickthall and Y. Ali aim at is the formal and lexical meaning of coordinators at the expense of the functional and communicative grandeur of the SL text. This is due to their literal approach, disregarding any other features of the Qur'an.

We may, therefore, realize from the translations rendered by Pickthall and Y. Ali that they both sacrifice the functional and communicative effect of the source text for the sake of accuracy on the lexical and syntactic level. They even admit in the introduction of their versions that their translation of the lexical meaning of words has often led them to neglect the communicative value of the SL text. That is why they refrain from calling their 'translations' as such. Instead, however, they refer to them as "Meaning" or "Translation and Commentary."

THIRD : From the translations given by both Arberry and Khatib, we realize that, in most cases, they resort to the most appropriate

In following year to Al Hudaybiyya treaty, the Prophet (PBUH) together with the Muslims, for three days, performed their religious ceremonies (Al Umra), but only after the idolaters had withdrawn from Mecca, as agreed upon in the peace treaty. In the Holy Mosque, the Muslims freely performed their religious ceremonies and thanked Allah becase the Prophet's vision was fullfilled. Before moving to the next point, it is worthmentioning to say that many of the Qureish leaders, after Al Hudaybiyya treaty, had went to Medina to declare to the Prophet (PBUH) their conversion to Islam. Among those who declared their faith in Islam were Khaled Bin Al-Waleed and Amr Bin Al-Aas.

The conquest of Mecca, in fact, did not take place except two years after Al Hudaybiyya treaty when the Meccans broke the truce and violated its terms by launching attacks against the allies of the Muslims from the Khoza'a. Thus, the Prophet (PBUH) marched against them with an army of 10,000 Muslims. He headed to them and after a fight conquered it and since then Mecca fell under the domination of the Muslims and once again they restored their legal rights in the Ka'aba.

Talking about Al Hudaybiyya peace treaty we should not forget the Surah entitled "Victory," which was revealed to the Prophet (PBUH) on his way back to Medina. It was revealed, in fact, to strengthen the Muslims faith in Allah and assure them that His victory was coming soon as they would expect. This Surah refers to the swearing allegiance which took place at Hudaybiyya them to advance with him towards Mecca. It refers as well as to those Arabs who refused to join the Muslim army when the Prophet (PBUH) exhorted them to advance with him towards Mecca. It refers as well to the believers who obeyed Allah at the Hudaybiyya. Moreover, the same Surah tells us that the Prophet's vision was to be fulfilled the very next year. In this respect the Glorious Qur'an says :

لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

"Truly did Allah fulfil the vision for His Messenger : Ye Shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills, with minds secure, heads shaived, hair cut short, and without fear.

For He knew what ye knew not, and He granted besides this, a speedy victory." **(Surat Al Fath (Victory); 27, Yusuf Ali P. 1335)**

ved to the greatest victory that the Muslims he till then achieved. In fact, the Prophet (PBUH) was in favour of the treaty for he believed that any face to face confrontation against the Qureish in the Holy Month (Muharram), would incite greatly the other tribes to establish alliances with the Qureish in their struggle against the Muslims. Besides, Islam would have much greater opportunity to achieve with peace what cannot be achieved by bloodshed.

Thereafter, the events which occurred after the Hudaybiyya, proved beyond doubt, the correctness of the Prophet's inspiration, resolution and understanding of the problem. Al-Hudaybiyya peace treaty had numerous advantages and merits in favour of the Muslims and in favour of Islam.

After the peace treaty, the Qureish had ceased their bullying oppression of the weakest people in Mecca the Muslims were given the opportunity to live together in peace with the idolaters. And, thus, were able to convert a great number of idolaters to Islam. Moreover, the Qureish began to accept the Muslims as a new face to be reckoned within the Arabian peninsula; whereas before the Hudaybiyya, they had been considered only as a tribe rebelling against the religion of their fathers and grandfathers. In addition, the strong tribe of Khoza'a had quickly established an alliance with the Prophet, thus adding considerably to the strength of the Muslims.

After the Hudaybiyya peace treaty, the Prophet (PBUH) had devoted considerable time to the spread of Islam within the arabia peninsula. In addition, he had been able to subjugate those tribes who had in the past treated them in disdain as Bani Murra and Ghatafan. The Prophet (PBUH) had also been able to establish contacts with both kings and Emperors exhorting them to become Muslims and embrace Islam and warning them to beware of Allah's punishment.

In the meantime, the Prophet's (PBUH) in the seventh year of the Hijrah, led a campaign against the Jews of Khaybar, the stronghold of the Jewish tribes in both Arabia, which had become a hornet's rest of his enemies. He had besieged them and stormed their strongholds, thereby ridding the countries of the Arabs from their potential threats.

2. The Muslims are under a strict obligation to turn away any Qureishite who should come to the Muslims seeking to join them, while the Qureish are not under any such obligation to turn away any Muslim who takes the same course of action.
3. The Prophet (PBUH) must return home this year without having performed his religious ceremonies (Umra), but he will be allowed to perform them next year, taking into consideration that the Qureish will have to leave the city before Muhammad and his followers enter it. After that, the Muslims will spend only three days in the city, carrying no more than their swards.
4. Any one, other than the Querishities is permitted to establish an alliance with Qureish.

The Prophet (PBUH) thereupon accepted these conditions because he had been enabled to know in advance that, in the future this treaty would be beneficial to Islam. This peace treaty was written out in two copies, one for the Qureish and the other for the Muslims and it was confirmed by witnesses from both sides.

There was dismay among the Muslims at the terms of Al-Hudaybiyya and most of them felt frustrated for not fullfilling the Prophet's vision. The Muslims saw no victory in this treaty, but on the contrary they felt defeated and desperate. Hence, when the Prophet (PBUH) ordered the Muslims to shave their heads and slaughter their camels in order to absorbe themselves from the Umra, the Muslims did not comply with the Prophet's command because they were in such great despair. When the Prophet saw this he returned to his tent very sorrowful. But his wife, Um Salama, tried to make him relax and told him the only thing he had to do was to go out and commence doing what he considered to be the right thing to be done and all the Muslims, surely, would follow his leadership. No doubt, Um Salama had deep insight for when the Prophet (PBUH) did what she told him all the Muslims hastened to do the same as the Prophet.

Though the Muslims, at that time, considered the peace treaty to be a form of surrender for they were preparing themselves to attack Mecca and destroy the pagon domination over the Ka'aba, yet the treaty pro-

alarmed by the Muslim forces who were waiting at the gates of Mecca. Thus, they dispatched Makraz Bin Hafz, who was from Bani Amer Bin Luay, to negociate with the Prophet (PBUH) concerning his intentions. Later, Makras returned to the Qureish and told them exactly the same information the Prophet (PBUH) had previously said to Budail Bin Warqa'a Al-Khozai'i.

Once again, the terrified Qureish sent Orwa Ibn Masoud Al-Thaqafi the leader of (Al-Taef) to negociate with the Prophet (PBUH) and to convince him that he should not try to enter Mecca. The Qureish received the same answer from the Prophet (PBUH). At last, the Prophet (PBUH) decided to sent one of the Muslims to the Qureish to assure them that the Muslims had come only to visit the Mosque and not to fight. The Prophet (PBUH) chose Osman Bin Affan to perform this mission. He arranged with Osman to go and negociate with Abu Suffian and the rest of the Qureish leaders and endeavour to convince them that the Muslims had only come in peace to visit the Holy Mosque. Osman Bin Affan was accompanied by 10 men on his journey to Mecca.

Because Osman did not return immediately from Mecca, the Muslims thought that may be he had been killed. Thus, the Prophet (PBUH) gathered the Muslims together at a nearly tree[1] and exhated them to undertake to die, if need be for the sake of their cause. The Qureish became very alarmed after they had been informed of this pledge which the Muslims had taken on themselves. Consequently, they realised that the Muslims had become too strong to be attacked by them, and taking into consideration the terrible consequences that the former wars against the Muslims had had for them, they decided that they should have to make peace with the Prophet (PBUH). For these reasons, the Qureish sent Suhail Bin Amr to the Prophet (PBUH) to negociate with him the details concerning the settlement of peace and, for the time being, the suspension of military attacks between the two sides. The conditions of Al-Hudaybiyya truce were as follows :

1. Suspension of war between the Muslims and the Qureish for at least 4 years.

(1) It has been call the tree of (Al-Radwan) after the Muslims had swan allegiance around it.

The Prophet (PBUH) set out towards Mecca, accompanied by 1400 Muslims, however many Arab tribes refused to join him, because they were afraid and thought that the Qureish might be able to defeat them and then prevent them from returning to Medina. The Muslims drove before them the camels which were to be sacrificed to Allah and carried with them no weapons except their swards in their scabbards as the Prophet (PBUH) ordered them for they were heading to Mecca with peaceful intentions.

The Muslims continued their progress until they reached a place called (Zulhulaifa), there the Prophet (PBUH) slaughtered one of his camels and then he sent Otba Al Khozai'i to gather information about the Qureish. In the meantime, the Muslims resumed their progress until they reached a place called (Ossfan). At that time, Otba returned and told the Prophet (PBUH) that the Qureish had heard of the Prophet's imminent arrival and were preparing themselves to prevent him from reaching the Holy Mosque. Then later on, the Prophet (PBUH) came to know that a party of Qureishites, led by Khalid Bin Al-Waleed, were coming towards them. Consequently, the Prophet (PBUH) decided to lead another route in order to avoid any possible confrontation with the idolaters.

The Muslims went through a rough track until they reached a slope called (Hudaybiyya) below Mecca. It was at this time that Khaled Bin Al Waleed realised that the Muslim had gone by another route, so he hurried back to warn the Qureish concerning the Muslims move towards Mecca. Meanwhile, the Prophet (PBUH) led the Muslims to the end of the (Al-Hudaybiyya) track and ordered them to make their camp there.

After the Muslims had calmed down, the Prophet (PBUH) was approached by Budail Bin Warqa'a Al-Khozai'i leading a group of men from Khoza'a, to inform him that the intention of Querish is to fight the Muslims and prevent them from entering the Holy Mosque. The answer of the prophet (PBUH) was that the Muslims did not come to fight but only came to perform their religious ceremonies. The leaders of Qureish were not satisfied with the Prophet's answer for they were extremely

one but Allah Who always promised them victory against their enemies.

One day in Medina, the Prophet of Allah dream that he and his companions had entered the Holy Mosque in Mecca with their hair shaved or cut. The Prophet (P.B.U.H.) considered this vision an inspiration he had received directly from Allah inspiring him to visit Mecca. The Prophet (P.B.U.H.) saw this vision in the month of Zilqe'da, nineteen years after the revelation and six years after his emigration to Medina. In fact, during these six years following their emigration, the Muslims had been able to establish a firm foundation which had enabled them to discourage the Qureish from resorting to armed conflict. Also during these six years, the Muslims had undertaken many battles against the idolaters, the most important of which was the Battle of 'Badr' in addition to two other battles : 'Uhud' and 'Al-Khandaq' (the Trench). The Muslims had also fought another battles against the Arabs who had supported the Qureish as well as those who had betrayed them. They had as well driven out of their reigon, the Jews of Bani Qaynuqa'a and Bani Al-Nadeer after they had violated the peace treaty, Bani Quraiza, with the Muslims. In short, during these six years, the Muslims in Madina, had been able to lay down the strong bases for the indespread of Islam and they began to be fully equipped to safeguard their new religion at whatever expenses.

In the meantime, Muslims, all through these six years, had always been filled with a tremendous yearning to visit the Holy Mosque and perform the religious duties of the pilgrimage and the Umra (Lesser Pilgrimage). Henceforth, the Prophet (PBUH) decided, after he had seen the vision, to set out for Mecca in orde to perform the Umra, i.e. the circumambulation of the Ka'aba. He informed his companions and, also, those Arabs who were then living in the desert and around Medina, to go with him. By doing so, the Prophet (PBUH) wanted his followers to be witness to the attitude of the Qureish, in case they tried to prevent him from visiting the Holy Mosque; it was the intention of the Prophet (PBUH) as well to demonstrate to the Qureish that the Muslims had no intention of threatening the (Suks) which were the established trading centres of the Qureish pilgrimage ceremonies.

THE GREAT BATTLES OF ISLAM

4. Al Hudaybiyya Peace Treaty and The Conquest of Mecca

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

It is important for all people, Muslims and non-Muslims, to understand that Islam is the religion of peace and that it is neither imposed nor are they compelled to adopt it. This means that Muslims were not ordered to fight unless they were attacked for as Allah Almighty says :

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

"Fight in the cause of Allah those Who fight you but do not transgress the limits, for Allah loveth not transgressors."

(Sourat : Al Baqarah : 190, 'Yusuf Ali P. 76)

It is clear from this verse that there is neither compulsion nor transgression in Islam except against the oppressors who harass to fight the Muslims. In other words, Muslim are ordered and ordained to fight, to defend themselves but they should not be transgressors for transgressors are hated by Allah.

Taking into consideration that Muslims were never transgressors, let's go back into Al Hudaybiyya peace treaty or shall we say Al-Hudaybiyya truce. In fact, this truce pared the way for the conquest of Mecca especially after the idolaters had breached and violated its terms. Thus, in order to clearly understand the real significance of Al Hudaybiyya truce and the necessity of conquering and opening Mecca, we should elaborately present the events that led to this truce or this treaty and later to the conquest of Mecca.

We all know that during their long struggle against the idolaters, Qureish had forcefully prevented the Muslims from visiting the Holy Mosque. All Muslims were longing for the day in which they would be able to enter Mecca and freely perform their religious duties, fearing no

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Akhera 1416 H.

Vol. 68 part VI

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al Aʿraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية (مجلة الأزهر وقراؤها)
للدكتور / على أحمد الخطيب ٧٨١
● مع الإمام الأكبر ●
- فتوى الإمام الأكبر ببيان دور الاجتهاد فى الغرب ٧٨٤
- كلمة الإمام الأكبر فى الأمم المتحدة ٧٨٨
- آراء ورؤى لفضيلة الإمام الأكبر
بقلم الأستاذ / عبدالسلام ناصف ٧٩١
- حوار مع الإمام الأكبر بشأن قضية الأسرى المصريين أجرى الحوار أ. سناء السعيد ٧٩٥
- بيان من الأزهر فى شأن القدس ٧٩٩
● مع سورة يس أ.د. ابراهيم خميس ٨٠٣
● تسبيح الكائنات لله رب العالمين
بقلم الشيخ عبدالفتاح سيد جمعان ٨٠٩
● الصبر على البلاء دليل الرضا بالقضاء
للشيخ محمد حافظ سليمان ٨١٦
● روابط المجتمع الإسلامى
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم ٨٢٠
● أجر من عزى مصابا
بقلم أ.د. محمود سالم الخطيب ٨٢٢
● من أعلام المدرسة الحجازية الإمام الزهرى
للدكتور / أحمد السيد أحمد حطيبة ٨٢٧
● المدونة الكبرى فى الفقة المالكى
أ. د. محمود عبدالمتجلى خليفة ٨٣١
● حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه
للدكتور / عبدالله مبروك النجار ٨٤٠
● الإسلام يحرر الانسان (٢)
أ.د. محمد عبدالغنى شامة ٨٤٥
● خلق المسلم على ضوء الكتاب والسنة
للدكتورة / فاطمة عمر نصيف ٨٤٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم .. ٨٥٤
● كيف واجه الأزهر نابليون وحملته ؟
للمستشار / محمد عزت الطهطاوى ... ٨٥٦
● من أعلام الإمام (الشيخ مصطفى صبرى (٢)
للأستاذ / توفيق إسلام يحيى ٨٦٣
● من روائع الماضى (الإسلام والطب)
إعداد وتقديم الأستاذ / عبدالفتاح حسين الزيات ٨٦٧
● العلوم التقنية فى التراث الإسلامى
عرض وتحليل أ.د. أحمد فؤاد باشا ٨٧١
● الزلازل بين القدرة والعبرة
للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ٨٧٧
● من أمراض الطفولة (أنيميا البحر المتوسط)
د / جيهان أحمد حافظ ٨٨٣
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٨٨٦
● اللغة والنقد والأدب ●
● الشواهد النحوية
للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٨٨٩
● ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة (٢)
د. محمد رياض السيد كريم ٨٩٤
● مع الدكتور عبدالوهاب عزام
بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٩٠٠
● بين المجلة والقارى
إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد. ٩٠٦
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ٩١٣
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ٩١٧
● القسم الفرنسى ٩٢٧
● القسم الانجليزى ٩٣٩